

إِنَّ الْقُرْآنَ لِبِلْهٗ كَيْفَ

وَبِسْمِ اللَّهِ

تَابِعًا لِشَنَادِ
مُحَمَّدِ الدِّينِ الدَّرْوِشِ
الْجَلْدُ الْخَامِسُ

الطبعة الأولى - بيروت - لبنان

دار ابن كثير

للطباعة ونشر المخطوطات
بيروت - لبنان

الكتامة

للطباعة ونشر المخطوطات
بيروت - لبنان



أَعْلَمُ الْقَارِئِينَ
وَبِيَّانِهِ

جَمِيعِ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَة

الطبعة السابعة

١٤٤٠ - ١٩٩٩م

طَبْعَةٌ مُنْقَحَّةٌ وَمُصَحَّحةٌ وَمَفْهُومَةٌ
(تَضْيِيدٌ جَدِيدٌ)

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء
منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ
أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي
والسموع أو الاختزان بالحواسيب
الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من دار اليمامة ودار ابن كثير،
دمشق - بيروت

دَمْشَقُ - حَلْبُ وَنِي - جَادَةُ أَبْنِ سَيِّنَا - بَيْتَاءُ الْجَكَابِيِّ
ص. ب. : ٢١١ - هَاتَف: ٤٤٢٥٨٧٧ - ٤٤٢٥٨٤٥٠ - فَاكس: ٤٤٢٥٠٤٩ - ٤٤٢٨٤٥٠
بَيْرُوت - بُرْجُ أَبْيَ حَيْدَر - خَلْفُ دَبَوْسِ الْأَصْلَى - بَيْتَاءُ الْجَكَابِيِّ
ص. ب. : ٦٣١٨ - ١١٣ / ٦٣١٨ - تَلْفَاْكَس: ١٨١٧٨٥٧ - ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٠٤٤٥٩



لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرِ وَالتَّوزِيعِ

دَمْشَقُ - بَرَامِكَة - جَانِبُ الْهَجَرَةِ وَالْجَوَازَاتِ
ص. ب. : ٢٧٧ - هَاتَف: ٤١٤٠٥٩ - فَاكس: ٤١٢٣٤٤٥ - ٤١٢٣٤٤٥
بَيْرُوت - بُرْجُ أَبْيَ حَيْدَر - خَلْفُ دَبَوْسِ الْأَصْلَى - بَيْتَاءُ الْجَكَابِيِّ
ص. ب. : ١١٣ / ٥٤٨٨ - هَاتَف: ٠١٧٤٩٥٩ - ٠٢٨٥٢٥٨٦



لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرِ وَالتَّوزِيعِ

أَعْلَمُ الْقُرُولَاتِ الْكَبِيرَاتِ
وَبَيْنَ أَهْلِهِ

نَابِلُ لَسْتَار

مجيي الدين الدرويش

المحمد المبل

الجزء السادس عشر - - - الجزء الخامس عشر - - - الجزء العشرين

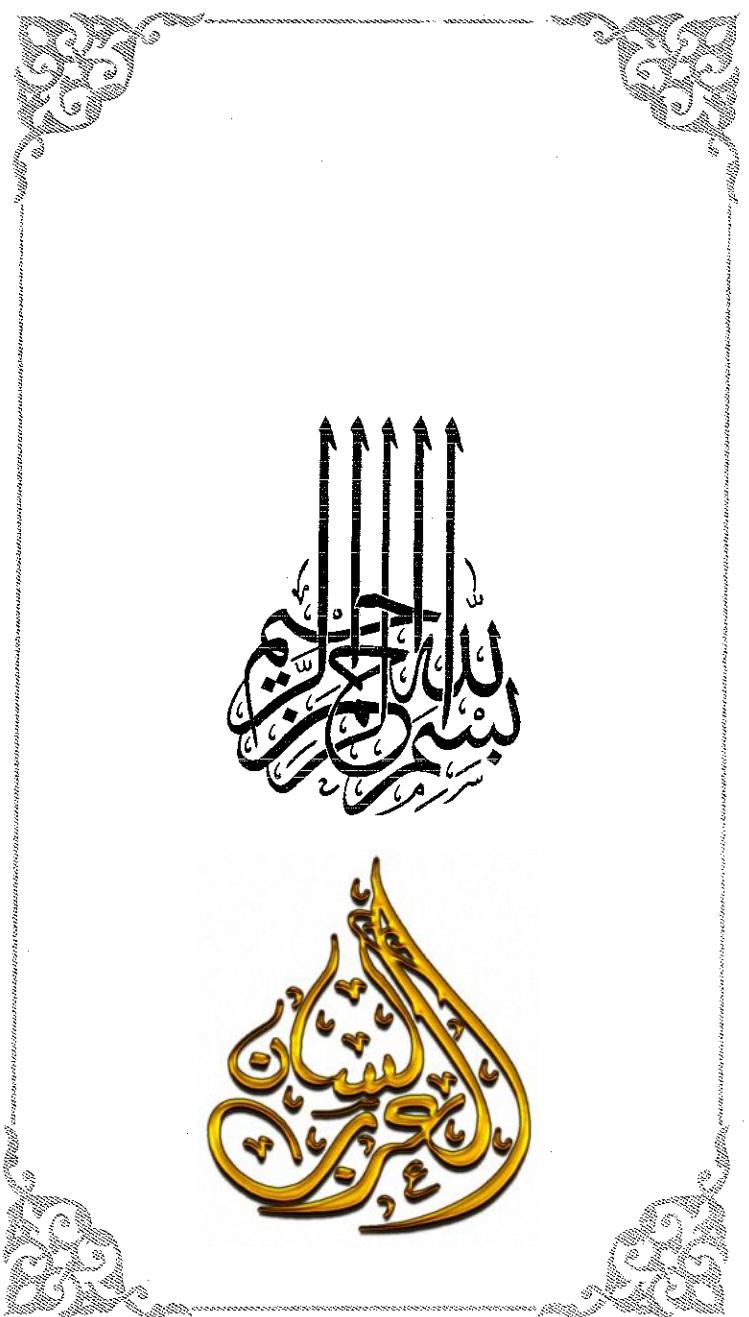
دار ابن سينا

دمشق - بيروت

دار المكتبة

دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشوفون الجامعية
صون - سوريا





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مُعَرِّضُونَ ﴾١﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ مُّخَدِّثٌ إِلَّا أَسْتَمْعُوهُ وَهُمْ لَيَعْمَلُونَ ﴾٢﴿ لَا هِيَةَ قُوَّةٌ وَأَسْرَوْا النَّجَوِيَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُّثَلُّكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ ﴾٣﴿ قَالَ رَّبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾٤﴿ بَلْ قَالُوا أَضَغَتُمْ أَحْلَامِنَا كُلِّ أَفْرَادِهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَيَأْتِنَا بِشَيْءٍ كَمَا أُرْسَلَ الْأَوْلَوْنَ ﴾٥﴾

الْفَتْحَةُ: ☆

﴿النَّجَوِي﴾: الكلام السر، وهي اسم من التاجي، ولا تكون إلا خفية، وفي القاموس: «وهو وصف بالمصدر يستوفى فيه المفرد والجمع، يقال: هم نجوى».

﴿أَضَغَتُمْ أَحْلَامِنَا﴾: أخلاط رآها في النوم، وقد تقدم بحثها.

○ الإعراب:

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مُعَرِّضُونَ﴾ اقترب فعل ماض مبني على الفتح ، وللناس متعلقان باقترب ، ويجوز أن تكون تأكيداً بالإضافة الحساب إليهم ، كقولك : أزف للحي رحيلهم ، والأصل : أزف رحيل الحي ، ثم أزف للحي الرحيل ، ثم أزف للحي رحيلهم ، وحساهم فاعل اقترب ؛ لأن كل آت قريب مهما يطل الأمد ، والواو للحال ، وهم مبتدأ ، وفي غفلة خبر ، ومعرضون خبر ثان . ﴿مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذَكَرٍ وَنَّ رَبِّهِمْ مُحَدِّثٌ إِلَّا سَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الجملة تعليل للجملة السابقة فلا محل لها ، وما نافية ، ويأتيهم فعل مضارع ، والهاء مفعول به ، ومن حرف جر زائد لسبقه بالتفي ، وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية ، ومن ربهم صفة لذكر ، وحدث صفة ثانية ، ويجوز تعليق من ربهم ب يأتيهم ، أو بمحذوف حال من ذكر ؛ لأنه وصف بمحذف ، وإلا أداة حصر ؛ لأن الاستثناء مفرغ ، وجملة استمعوه في محل نصب على الحال من مفعول يأتيهم ، وقد مقدرة ، وهم الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة يلعبون خبر هم ، والجملة نصب على الحال من فاعل استمعوه ، هذا وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث ؛ لأن الذكر هنا هو القرآن ، وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحراف ؛ لأنه متجدد في النزول ، فالمعنى محدث تنزيله ، وإنما النزاع في الكلام النفسي . ﴿لَا هِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْكُمْ﴾ لا هية حال من فاعل يلعبون أيضاً ، فتكون حالاً متداخلة ، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل استمعوه ، فتكون الحالان متادفتين ؛ لأن الحال يجوز تعددها ، وقلوبهم فاعل لا هية ، وأسرروا فعل وفاعل ، والنرجوى مفعول به ، والذين بدل من واو : وأسرروا النرجوى ، إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش الذي جاؤوا به ، وسيأتي المزيد من إعراب هذه الكلمة في باب الفوائد ، وجملة ظلموا صلة ، وهل حرف استفهام ، وهذا مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وبشر خبر ، ومثلكم صفة ، والجملة الاستفهامية في محل نصب بدل من النرجوى ؛ لأنها بمثابة

التفسير لها، وأجاز الزمخشري أن تكون في محل نصب مقول قول ممحذف، ويجوز أن تكون في محل نصب محكية للنجوى؛ لأنها في معنى القول، ولا أرى مانعاً من أن تكون جملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة. ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ﴾ وهذه الجملة تنطبق عليها الأوجه المتقدمة، والهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مقدر، وتأتون السحر فعل مضارع وفاعل ومحظوظ به، والواو للحال، وأنتم مبتدأ، وجملة تبصرون خبر، وجملة وأنتم تبصرون حالية من فاعل تأتون مقررة للإنكار. ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ربى مبتدأ، وجملة يعلم القول خبر، والجملة مقول القول، وفي السماء والأرض متعلقان بمحذف حال من القول، أو بعلم، وهو الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والسميع العليم خبران له، وحذف متعلقهما للعلم به، أي: السميع لما أسروه، والعليم به. ﴿بَلْ قَاتُلُوا أَصْبَغَتُ أَحَلَّمَ بَلِ افْتَرَنَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أضرروا عن قولهم: هو سحر، فقالوا: هو أصباغ أحلام، فأصباغ أحلام خبر لمبتدأ ممحذف، والجملة في محل نصب مقول قالوا: بل افتراء، ثم أضرروا عن ذلك، فقالوا: اختلقه، فافتراء فعل ماض وفاعل مستتر ومحظوظ به، ثم أضرروا أيضاً، فقالوا: هو شاعر مبتدأ وخبر. ﴿فَلَيَسْ إِنَّا بِإِثَابَةِ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوْلَوْنَ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، بأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، فليأتنا، واللام لام الأمر، ويأت فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف الللة، والفاعل مستتر تقديره: هو، ونا ضمير متصل في محل نصب ممحظوظ به، كما يجوز في الكاف أن تكون نعتاً لآية، أي: كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون، وعندها فما موصولة، ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر ممحذف، وما مصدرية، أي: فليأتنا بآية إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين.

* الفوائد:

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال أبو البقاء: الذين ظلموا في موضعه ثلاثة أوجه:

أحدٌ: الرفع، وفيه أربعة أوجه:

آ- أن يكون بدلاً من الواو في : ﴿ وَأَسْرُوا﴾ .

بـ-أن يكون فاعلاً ، والواو حرف للجمع لا اسم .

د- أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين ظلموا.

وثانيها: أن يكون منصوباً على إضمار أعني.

وثلاثها: أن يكون مجروراً صفة للناس.

والمعلوم أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد، وإن كان
مشتى أو مجموعاً، قال ابن مالك:

وَجَرِيدُ الْفَعْلِ إِذَا مَا أُسْنِدَا لاثِنَيْنِ أَوْ جَمِيعِ كَفَازِ الشَّهِدا

إلا على لغة ضعيفة لبعض العرب فيطابق فيها الفعل الفاعل، وحكي البصريون عن طيء، وحكي بعضهم عن أزدشنسوءة، نحو: ضربوني قومك، وضربني نسوتك، وضرباني أخواك، وفي الحديث: «أو مخرجي هم؟» وقال عمرو بن ملقط الجاهلي:

الفِتَا عَيْنَاكَ عَنْدَ الْقَفَا أولى فأولى لك ذا واقية

فالفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض، وعيناك نائب الفاعل، فألحق الفعل علامة التشنيف مع إسناده إلى الظاهر، ونائب الفاعل كالفاعل، وعند ظرف بمعنى قرب متعلق بالفيتا، وذا واقية حال من المضاف إليه، وهو الكاف، وواقية مصدر معناه الواقعية، كالكافذبة مصدر معناه الكذب، وأولى فأولى لك دعاء، أهي : قاربك ما يهلكك .

قال العيني: فإن قلت: ما موقع أولى من الإعراب؟ قلت: يجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ ممحض، تقديره: دعائي أولى لك، فأولى لك عطف على أولى الأول كرر للتأكيد.

وقال أبو البقاء في إعراب أولى لك فأولى فيه قوله:
أحدهما: فعل، والألف فيه للإلحاق لا للتأنيث.

والثاني: أفعل، وهو على القولين هنا؛ ولذلك لم ينون، ويدل عليه ما حكى أبو زيد في «النوادر» وهي أولات بالباء غير مصروف؛ لأنه صار علماً للوعيد، فصار كرجل اسمه أحمد، فعل هذا يكون أولى مبتدأ، ولك الخبر. والثاني: أن يكون اسمًا للفعل مبنياً، ومعناه: ويلك شرّ بعد شرّ، ولك تبيين، وهذا البيت يصف به رجلاً إذا اشتد الوطيس، فهو يتلتفت إلى ورائه خفافة أن يتبع، فتلفي عيناه عند قفاه من شدة الالتفات، وقال أبو فراس:

نَسْجُ الرِّبِيعِ مُحَاسِنًا أَقْحَنَهَا غَرَّ السَّحَائِبِ
وَأَبُو فِرَاسُ مِنَ الْمُولَدِينَ، وَالغَرْضُ مِنْ كَلَامِهِ التَّمثِيلُ لَا الاَسْتَشَاهَدُ.
وارتأى الشّيخ مصطفى الغلايني رأياً جھيلاً، وسنورد نص كلامه:

«وما ورد من ذلك من فصيح الكلام، فيعرب الظاهر بدلاً من المضرر، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أو يعرب الظاهر مبتدأ، والجملة قبله خبر مقدم، أو يعرب فاعلاً لفعل ممحوف، فكانه قيل بعد قوله وأسرروا النجوى: من أسرها؟ فيقال: أسرها الذين ظلموا، وهو الحق، وهذا لا يكون إلا حيث يستدعي المقام تقدير كلام استفهامي كما ترى في الآية الكريمة» ونحسب أن القول قد أشبع فحسبنا ما تقدم.

﴿مَا أَمَنتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا
فِيلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَمَا
جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝ شَمَ صَدَقَتْهُمُ الْوَعْدُ
فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا

قَوْمًا أَخْرِيْكَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا آَحَسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِنْهَا يُرْكَضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكِضُوا وَارْجِعُوْا
إِلَى مَا أَتَرْفَتُمْ فِيهِ وَمَسِكِنُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشَلُّونَ ﴿١٣﴾

☆ اللَّغَةُ :

﴿قصَّنَا﴾: القسم أبلغ من الكسر، وفي القاموس: «قسم من باب ضرب قصماً الشيء: كسره، وقسم الرجل: أهله»، ويقال: قسم الله ظهر الظالم، أي: أنزل به البليمة» وللخلاف مع الصادفاء وعيناً للكلمة سر عجيب، إنهم اتدلان على الكسر، والمحق، والإهلاك، فقولهم: قصب الشاة، يعني: قطعها قطعاً، أو عضواً عضواً، ومنه سمي القصاب، أي: الجزار، والقصابة مؤنة القصاب، ولها معنى آخر وهو ما نسميه اليوم «الناري» أي: قصبة ينفع بها للغناء. وعن بعض العرب: قلت أبياتاً فغنني بها حكم الوادي، فو الله ما حرك بها قصابة إلا خفت النار، فتركـت قولـ الشـعرـ، وهيـ الـوتـرـ، وـنـفـخـ فيـ القـصـابـةـ: فيـ المـزـمارـ، وـأـقـصـدـتـهـ الـمـنـيـةـ: أـهـلـكـتـهـ، وـمـنـهـ: قـصـدـ الرـجـلـ: إـذـ لمـ تـطـمـحـ إـلـىـ غـيرـهـ، وـقـصـرـتـ طـرـفـهـ: لـمـ أـرـفـعـ إـلـىـ مـاـلـاـ يـنـبـغـيـ، وـهـنـ قـاـصـرـاتـ الـطـرـفـ: قـصـرـنـهـ عـلـىـ أـزـوـاجـهـنـ، وـقـصـ الـشـعـرـ، وـالـرـيـشـ، وـقـصـصـهـ: مـعـرـوفـ، وـجـنـاحـ مـقـصـوصـ وـمـقـصـصـ، وـقـصـ الصـوـابـ بـيـنـ ظـفـرـيـهـ: قـتـلـهـ، وـقـصـعـ الرـحـىـ الـحـبـ: فـضـيـخـتـهـ، وـصـبـيـ قـصـيـعـ: قـمـيـ لـاـ يـشـبـ، وـقـصـفـ الـقـنـاءـ وـالـعـودـ: كـسـرـهـماـ، وـقـصـفـ ظـهـرـهـ، وـرـجـلـ مـقـصـوفـ، وـالـعـامـةـ تـقـولـ لـمـ تـدـعـواـ عـلـيـهـ: يـاـ مـقـصـوفـ، وـهـيـ فـصـيـحةـ لـاـ غـبـارـ عـلـيـهـ، وـعـصـفـتـ رـيحـ فـقـصـفـتـ السـفـيـنةـ، وـعـودـ قـصـفـ: سـرـيـعـ الـانـكـسـارـ، قـالـ الطـرـماـحـ:

تَيَمْ تَمَّى الْحَرْبَ مَا لَمْ أَلِقَهَا

وَهُمْ قُصْفُ الْعِيدَانِ فِي الْحَرْبِ خُورُهَا

وـقـصـلـهـ: قـطـعـهـ قـطـعاـ وـحـيـاـ، وـسـيفـ قـاصـلـ، وـقـصـالـ، وـمـقـصـلـ، وـقـصـلـ فـرسـهـ، يـقـصـلـهـ: عـلـفـهـ القـصـيلـ، وـمـنـهـ المـقـصـلـةـ، وـهـيـ: آلـةـ لـلـإـعـدـامـ قـوـامـهـا

سكن تسقط على رأس المجرم فتقطعه، وقصاً، يقصوا، قصواً، وقصواً، وقصاً، وقصاء الرجل: تباعد، وفي البعد إشارة إلى الهلكة؛ لأنها بعد أيضاً.

﴿أَتَرْفِمُ﴾: نعمتم من العيش الرافة، والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة.

○ الإعراب:

﴿مَا أَمْنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكَنَا أَفْهَمْ يَوْمَئِنَ﴾ ما نافية، وأمنت فعل ماض، والتاء للتأنيث، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير كفرهم، واستبعاد إيمانهم، وقبلهم ظرف متعلق بأمنت، ومن حرف جر زائد، وقرية مجرور لفظاً فاعل آمنت محلّاً، وجملة أهلتناها صفة لقرية، والمراد بالقرية: أهلها كما سيأتي في باب البلاغة، أفهم: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة يؤمنون خبر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِّي إِلَيْهِمْ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وأرسلنا فعل ماض وفاعل، إِلَّا أداة حصر، ورجالاً مفعول أرسلنا، وجملة نوحى إليهم صفة لرجالاً، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية. ﴿فَشَلَوْا أَهْلَ الْزَّكَرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وسألوا فعل أمر وفاعل، وأهل الذكر مفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وجملة لا تعلمون خبرها، وجواب الشرط مخدوف دلت عليه الفاء الفصيحة. ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَلِيلِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به، وجسداً مفعول ثان إذا كانت جعل بمعنى التصريح، وإن كانت بمعنى الخلق فجسداً حال مؤوله بالمشتق، أي: متغذين، وجملة لا يأكلون الطعام في محل نصب نعت بجسداً، وجسد مفرد أريد به الجمع، وإنما وحده ليشمل الجنس عامة؛ لأن الجسد لا بد له من غذاء، والواو عاطفة، وما نافية، وكانوا خالدين: كان واسمها وخبرها، والجملة معطوفة على لا يأكلون. ﴿شَمَ صَدَقَنَهُمُ الْوَعْدُ فَاجْتَبَيْنَهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَاهْلَكَنَا الْمُسَرِّفِينَ﴾ ثم حرف عطف، وصدقناهم فعل وفاعل ومفعول، والوعد

منصوب بتزع الخافض؛ لأن صدق يتعدى لاثنين إلى ثالثهما بحرف الجر، والأصل: في الوعد، فأنجيناهم عطف على صدقناهم، ومن نشاء عطف على الهاء، وجملة نشاء صلة، وأهللنا المسرفين عطف على أنجيناهم، والمسرفين مفعول به. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وإليكم متعلقان بأنزلنا، وكتاباً مفعول به، وفيه خبر مقدم، وذكركم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لكتاباً، وسيأتي معنى: «فيه ذكركم» في باب الفوائد، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبخي، والفاء عاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: لا تفكرون فلا تعقلون شيئاً من الأشياء المذكورة لكم، ﴿وَكُمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ طَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا أَخَرِينَ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية مسوقة للتمثيل بالأمم التي هلكت قبلهم، وكم خبرية مفعول به مقدم لقصمنا، ومن قرية تميز لكم الخبرية مجرور بمن، وقد تقدم ذلك، وجملة كانت ظالمة صفة لقرية، والمراد بالقرية: أهلها، وكانت ظالمة كان واسمها المستتر وخبرها، وأنشأنا عطف على قصمنا، وبعدها ظرف متعلق بأنشأنا، وقوماً مفعول به، وأخرين صفة لقوماً. ﴿فَلَمَّا أَحْسَنُوا بَاسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكِضُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية أو رابطة، وإذا الفجائية، وقد تقدم الكلام حولها، والخلاف فيها مُسبَّعين، وهم مبتدأ، وجملة يركضون خبر هم، ومنها متعلقان بيركضون، وقد استدل بعضهم بهذه الآية على أن لما حرف، وسمها ابن هشام رابطة؛ لأنه لا عامل لها إذا أعرت ظرفاً بمعنى حين، ونرى أن معنى المفاجأة التي دلت عليه «إذا» هو العامل، وسيأتي مزيد بحث عن لما في باب الفوائد. ﴿لَا تَرْكِضُوا وَلَا جُحْوا إِلَى مَا أَتَرْفَقَ فِيهِ وَمَسَكِكُمْ لَتَلَكُمْ شَهْوَنَ﴾ لا نهاية، وتركضوا فعل مضارع مجزوم بلا النهاية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، وجملة لا تركضوا مقول قول محذوف، والسائل اختلف فيه، فقيل: هم الملائكة، وقيل: هم من كان هناك من المؤمنين، وهذا القول على سبيل الاستهزاء بهم طبعاً، وارجعوا فعل أمر معطوف على لا تركضوا، وإلى ما متعلقان بارجعوا، وجملة أترفقت صلة، وفيه

متعلقات بأترفتم، ومساكنكم بالجسر عطف على ما، ولعلكم تسألون لعل واسمها وخبرها، والترجي هنا استهزاء بهم وتهكم بما كانوا يظنونه بأنفسهم من أنهم مظنة السخاء ومطلع الكرم، والمعنى : ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم حسبما تصورون أنفسكم من أنكم أهل النوال والعطاء، حيث يسألكم الناس في العوادي والنوازل، ويندبونكم للملمات، ويستشرونكم في المضلات، وسيأتي المزيد عن هذا البحث الشيق في باب البلاغة .

□ البلاغة :

١ - المجاز المرسل في قوله : ﴿ فَرِيَّةٌ إِذْ الْمَرَادُ أَهْلُهَا ، وَقَدْ تَقْدِمُ مَثَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا .﴾

٢ - التهكم بقوله : ﴿ وَأَرْجُحُوا إِلَى مَا أَتَرْفَقْتُمْ فِيهِ وَمَسَكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشَاعِرُونَ ﴾ وقد المعنا إلى المراد من هذا التهكم ، ونزيد عليه هنا احتمالين هامين متربعين على هذا التهكم :

آ - أنهم كانوا أسيخاء حقيقة ، يجودون بالنوال ، ويسيطرون أيديهم بالعطايا ، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رئاء الناس ، واكتساباً للشهرة والثناء ، وفي ذلك من الإيلام والإيجاع ما فيه ، إذ يرون أن ما أنفقوه ، وما بذلوه لم يكن إلا زيادة في برحائهم ، وإمعاناً في عذابهم .

ب - أنهم كانوا بخلاء ، يكرهون البذر ، ويصدون عن جاء يستندى سحاب أكفهم ، ويمتري أخلف جدواهم ، فقيل لهم ذلك ليزيد لهم إيلاماً على إيلام ، وإيجاعاً على إيجاع .

* الفوائد :

١ - قوله : ﴿ كَيْتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ أي : فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه نازلاً بمسانكم ، وبين ظهارنيكم ، وعلى رسول منكم ، وقيل : فيه ما تنسدونه من حُسْن الذكر ، وبعْد الصيت ، وطيب الأحداثة ، وقيل : فيه الموعظة لكم

والإرشاد لِمَا ينفعكم في دينكم ودنياكم، وجميع ذلك محتمل.

٢ - بحث لِمَّا: تقع لما في العربية على ثلاثة أوجه:

الأول: أن تختص بالمضارع فتجزمه، وتنفيه، وتقلبه ماضياً كـ«لم» إلا أنها تفارقها في خمسة أمور:

١ - أنها لا تقترب بأداة شرط، فلا يقال: إن لما تقم، ويقال: إن لم تقم.

٢ - أن منفيها مستمر النفي إلى الحال، أما منفي لم فيحتمل الاتصال والانقطاع، مثل: «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» ولهذا جاز أن تقول: لم يكن ثم كان، ولكن لا يجوز أن تقول: لما يكن ثم كان.

٣ - أن الغالب في منفي لما أن يكون قريباً من الحال بخلاف منفي لم.

٤ - أن منفي لما متوقع ثبوته بخلاف منفي لم.

٥ - أن منفي لما جائز الحذف للدليل قوله: «فجئت قبورهم بدءاً ولما» أي ولما أكن بدءاً قبل ذلك أي سيداً، ولا يجوز: «وصلت إلى حصن ولم» تريد ولم أدخلها.

الثاني: أن تختص بالماضي، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهمما عند وجود أولاهما، نحو: لما جاءني أكرمه، ويقال فيها: حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: وجوب لوجوب، وقيل: هي ظرف لفعل وقع لوقوع غيره، وقال جماعة: إنها ظرف بمعنى حين.

الثالث: أن تكون حرف استثناء بمعنى إلا، فتدخل على الجملة الاسمية نحو: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَا تَعْلَمُ حَافِظٌ» فيمن شدد الميم، وعلى الماضي لفظاً لا معنى، نحو: أنسدك الله لما فعلت، أي: ما أسألك إلا فعلك.

﴿قَالُوا يَوْمَنَا إِنَّا كُنَّا نَظَلِّمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعَوَتِهِمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنَّ

تَنْهَىٰ لَهُوا لَا تَخْدَنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحُقَّ عَلَى الْبَطْرِيلِ
فِيدِمَعْهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ عِنْدُهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَهِسِرُونَ ﴿١٩﴾ يَسْتِحْوِنَ الْيَلَلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَقْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنْخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنَشِّرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَا فَسَبَحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْتَأْلَوْنَ ﴿٢٣﴾

☆ النَّسْخَةُ :

﴿حَصِيدًا﴾: فعل بمعنى مفعول، يستوي فيه الواحد وغيره، وستأتي
قادته في باب الفوائد، وهو الزرع المحسود.

﴿خَمِدِينَ﴾: يقال: خدت النار وهدمت، كل منهما من باب دخل، لكن
الأول عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الحمر، والثاني عبارة عن ذهابها
بالكلية.

﴿لَهُوا﴾: في المصباح: «اللهو معروف، تقول أهل نجد: لهوت عنه ألهوا
لهيا، والأصل على فعل من باب قعد، وأهل العالية لهيت عنه ألهي، من
باب: تعب، ومعناه: السلوان والترك، ولهوت به لهوا، من باب: قتل،
أولعت به أيضاً. قال الطروشي: وأصل اللهو: الترويع عن النفس بما
لا تقضيه الحكمة، وألهائي الشيء بالألف: شغلني» اهـ. وفي القاموس
والتاح: «لها لهوا: لعب، كالتهي، وألهاء ذلك، والملاهي: آلاته، وتلاهي
بذاك، والألهوة، والألهية، والتلهية: ما يتلاهي به، ولهت المرأة إلى حدشه،
لهوا، وللهوا: أنسنت به، وأعجبها. واللهوة: المرأة الملهو بها كاللهو،
وبالضم والفتح: ما ألقته في فم الرحي، والعطية، أو أفضل العطايا
وأجزلها، كاللهيبة والحفنة من المال، أو الألف من الدنانير والدرارهم لا غير،
ولهي به كرضي: أحبه، وعنه: سلا، وغفل، وترك ذكره، كلها كدعا،
لهيا، ولهيانا، وقال شارح القاموس قوله: لها لهوا: لعب، قضيته اتحادهما،

وقد فرق بينهما جماعة، فقيل: يشتراكان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً، أو لا. قيل: والله أعلم مطلقاً، فاستماع الملاهي لهو لا لعب، وقال الجوهري: قد يكتن بالله عن الجماع، ويدل على ما قاله امرؤ القيس: **أَلَا زَعَمْتُ بِسُبْبَاسَةِ الْيَوْمِ آثَرِيَ كَبِيرُتُ وَأَلَا يُحْسِنَ اللَّهُوَ أَمْثَالِي** (فِي دَمْغَهُ): فيذهبه، وبابه: قطع، وفي القاموس: دمغه: قهره، ودمغ الحق بالباطل: أبطله ومحقه، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة.

يَسْتَحِسِرُونَ: يكثرون، ويتعburون. يقال: استحرس البعير، أي: كلّ، وتعب، ويقال: حسر البعير وحرسته أنا، فيكون لازماً ومتدعيّاً، وأحرسته أيضاً، فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد، وسيأتي مزيد بيان عن الاستحسار في باب البلاغة.

○ الإغراب:

قَالُوا يَوْلَنَا إِنَّا كَانَ ظَالِمِينَ يا أداء نداء، وويلنا منادي مضاف، يدعون الويل والثبور؛ لأن هذا وقته، ويجوز أن تكون يا للتنبيه، وويلنا مصدر لفعل مخدوف، والجملة مقول قولهم، وإن واسمها، وجملة كنا ظالمين خبراها، وكان واسمها، وظالمين خبرها. **فَمَا رَأَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ** الفاء عاطفة، وما زالت فعل ماض ناقص، والتاء علامة التأنيث، وتلك اسم إشاره اسمها في محل رفع، ودعواهم خبرا منصوب بفتحة مقدرة على الألف، والهاء مضاف إليه، والميم حرف دال على جمع الذكور، والمراد بالدعوى: تلك الكلمات، وهي: **يَوْلَنَا إِنَّا كَانَ ظَالِمِينَ** وحتى حرف غاية وجر، وجعلناهم فعل وفاعل ومحظوظ به أول، وحصيداً خامدين مفعول به ثان، لأن حكمهما حكم الواحد، إذ أن معنى جعلناهم حصيداً خامدين: جعلناهم جامعين لمائة الحصيد والخمود، ومثال ذلك قوله: جعلته حلواً حامضاً، أي: جامعاً للطعمين، أي: مزاً، ولذلك أن يجعل خامدين صفة حصيداً. **وَمَا حَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا لَعِينَ** الواو حرف عطف، أو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لعرض البدائع والعجبات؛ التي انطوى

عليها خلق السموات والأرض، وما فيهما للعظة، ولتكون مطابخ اعتبار، وحافزاً للتفكير والاستدلال، وما نافية، وخلقنا فعل وفاعل، والسماء مفعول به، والأرض عطف على السماء، وما عطف على السماء والأرض، وبينهما ظرف متعلق بممحض صلة الموصول، ولا عين حال من فاعل خلقنا. ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ تَتَّخِذَ لَهُمَا لِأَخْذَنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِّينَ﴾ لو شرطية امتناعية، وأردنا فعل وفاعل، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أردنا، وفاعل نتخد ضمير مستتر تقديره: نحن، ولو هوا مفعول به، ولا نخذنه اللام واقعة في جواب لو، واتخذناه فعل وفاعل ومفعول به، من لدنا متعلقان بممحض مفعول به ثان لا نخذ، وإن يجوز أن تكون نافية بمعنى ما، وكنا فاعلين كان واسمها وخبرها، والجملة حالية من فاعل اتخاذنا، أي: حال كوننا غير فاعلين، ويجوز أن تكون إن شرطية، وجوابها ممحض يدل عليه جواب لو، ولعل هذا أولى، وأشباه الوجهين بمذهب العربية. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْجُوْفِ عَلَى الْبَطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصْنَعُونَ﴾ بل إنحراف عن اتخاذ الله واللعب، وتزييه منه تعالى لذاته، ونقدف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره: نحن، وبالحق جار و مجرور متعلقان بنتقدف، وعلى الباطل متعلقان بممحض ح حال، أي: مستعلياً على الباطل، فيدمغه عطف على نتف، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا فجائحة، وقد تقدم ذكرها، وهو مبتدأ وزاهق خبرها، ولكم: الواو استئنافية، ولكم خبر مقدم، والويل مبتدأ مؤخر، وما متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو: مما، أي: استقر لكم الويل من كل ما تصنفون، وما يجوز أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية، وعلى كل جملة تصنفون لا محل لها. ﴿وَلَمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، وله خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وفي السموات والأرض صلة. ﴿وَمَنْ عِنْدُهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ الواو عاطفة، ومن معطوفة على من الأولى، وعنه ظرف متعلق بممحض صلة، وجملة لا يستكبرون حالية من من الأولى، وعن عبادته متعلقان بمستكبرون، وجملة لا يستحسرون عطف على جملة لا يستكبرون، ويجوز أن تكون الواو

للاستئناف، ومن عنده - أي: الملائكة - مبتدأ خبره جملة لا يستكرون، والجملة مستأنفة. ﴿يُسِّحُونَ إِلَيْهِ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله في عبادتهم، ويسبحون فعل مضارع وفاعل، ويحوز أن تكون الجملة حالية، والليل والنهر ظرفان متعلقان بيسبحون، وجملة لا يفترون حال من فاعل يسبحون. ﴿أَمْ أَخَذْنَا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرُونَ﴾ أم المنقطعة عاطفة، وتفيد الإنكار، واتخذوا فعل وفاعل، وألهة مفعول به، ومن الأرض صفة، وهم مبتدأ، وجملة يشرون خبر، وجملة هم ينشرون صفة لآلها، ومفعول ينشرون مذدوف، أي: يحيون الموتى، ويحوز جعلها جملة مستأنفة لأنهم^(١) لم يدعوا لآلهتهم أنها تنشر الموتى، ولكنهم بمجرد دعواهم ألوهيتها يتربّ عليهم أن يدعوا ضمناً أنها تنشر الموتى، وسيأتي مزيد بحث حول الضمير الذي هو «هم» في باب البلاغة. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان فعل ماض ناقص، وفيهما خبر كان المقدم، وألهة اسمها المؤخر، وإلا بمعنى غير صفة لآلها ظهر إعرابها على ما بعدها، ولا يصح أن تكون استثنائية؛ لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا، إذ حاصله أنه لو كان فيهما إلهة لم يُشنَّ اللَّهُ مِنْهُمْ لَمْ تَفْسِدَا، وليس كذلك، فإن مجرد تعدد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً، وسيأتي مزيد بسط لهذا المبحث الهام، ولفسدنا اللام واقعة في جواب لو، وجملة فسدتا لا محل لها من الإعراب، فسبحان الله: الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان، وسبحان مفعول مطلق لفعل مذدوف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، ورب العرش بدل، أو صفة للفظ الجلالة، وعما متعلقان بسبحان، وجملة يصفون لا محل لها؛ لأنها صلة ما، ويحوز أن تكون ما مصدرية. ﴿لَا يُشَكِّلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُشَكُّلُونَ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرده سبحانه بالسلطان، بحيث لا يسأل أحد عما يفعله، ولا نافية، ويُسأَل فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر

(١) زيادة على الأصل لإتمام السياق.

تقديره: هو، وعما متعلقان بيسأل، وهم: الواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يسألون خبر.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة أولها:

١ - الاستعارة في قولهم: ﴿يَوْلَئِنَا﴾ فقد خاطبوا الويل، وهو ال�لاك، كأنه شخص حي يدعونه ليقذفهم مما هم فيه.

٢ - التشبيه البليغ في قوله: ﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِدِينَ﴾. فقد شبّههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد أولاً، وهو الزرع الممحضود، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستصال من النابت، ثم شبّههم ثانياً بالنار المنفثة، ولم يبق منها إلا جمر منطفيء، لا نفع فيه، ولا قابلية لشيء من النفع منه، فلا ترى إلا أشلاء متناشرة، وأجزاء متفرقة قد تقدّدت، وقد ران عليها البلى.

٣ - الاستعارة المكنية في قوله: ﴿بَلْ نَفَذُ فِي الْحَقِّ عَلَى الْبَطْلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ فقد شبّه الحق والباطل، وهما معنويان بشيئين ماديين محسوسين، يقذفان ويدفعان، ثم حذف هذين الشيئين، واستعار ما هو من لوازمهما، وهما: القذف، والدموع؛ لتجسيدهما الإطاحة بالباطل، واعتلاء الحق عليه، وتصوير إبطاله، وإهداره، ومحقه، كأنه جرم صلب كصخرة، أو ما يماثلها في القوة والصلابة، قذف به على جرم رخو أجوف فدمعه، وهي من استعارة المحسوس للمعقول، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً مع استيفاء أقسام الاستعارة بالنسبة لطرف التشبيه.

٤ - قوة اللفظ لقوة المعنى: وقد تقدم الكلام عن هذا الفن، ونعني به: نقل اللفظ من وزن إلى وزن آخر أكثر منه ليتضمن من المعنى الدال عليه أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا الضرب من الزيادة لا يستعمل إلا في مقام المبالغة، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَحِرُونَ﴾ فقد عدل عن

الثلاثي - وهو حسر - إلى السادس - وهو استحسن - وقد كان ظاهر الكلام أن يقال: يحسرُونَ، أي: يكثرونَ، ويتباهونَ؛ لأن أقل ملل منهم، أو كلام إزاء الملائكة، وإزاء عبادتهم لله سبحانه لا يتصور منهم، ولكنه عدل عن ذلك لسرّ يخفى على النّظر السطحية الأولى، وهو: أن ما هم فيه من اتهماك بالعبادة وانصراف بالكليل لها يوجب غاية الحسور، وأقصاه.

٥ - التصريح بالضمير: وذلك في قوله: ﴿هُمْ يُشْرُونَ﴾ وقد كان يكفي أن يقول: ينشرونَ، ولكنه عدل عن ذلك إلى التصريح بالضمير لإفاده معنى الخصوصية أولاً، كأنهم قالوا: ليس هنا من يقدر على الإنتشار غيرهم، وثانياً لتسجيل إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم، وهذا الادعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية؛ بدليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية، وهي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ كما وضح في الإعراب، وهذا من جوهر الكلام، وخالصه.

٦ - المذهب الكلامي: وذلك في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وذكر ابن المعتز أن الذي سماه هذه التسمية هو الجاحظ، والكتاب الكريم مشحون به، وتعريفه هو: أنه احتاج المتكلم على ما يريد إثباته بحججة تقطع المعانده له، على طريقة أرباب الكلام، وله طرق متعددة، وقد أوصلها الرماني في تفسيره المسمى بـ«النكت في إعجاز القرآن» إلى خمسة ضروب، ومنها: إخراج الكلام خرج الشك للمبالغة في العدل، فملزوم قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أنها ما فسدتا، فليس فيما آلة إلا الله، وإيضاح ذلك: أن دليل التمانع هو أنه لو وجد مع الله إله آخر ربما قالوا: لو فرضنا وجود إلهين، فاما أن يكونا جمياً موصوفين بصفات الكمال؛ الباقي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى، وإنشارهم، وغير ذلك من الممكنات، أو لا يتصل بها واحد منها، أو أحدهما دون الآخر، وعندئذ تفسد الرعية بتدبير الملكين؛ لما يحدث بينهما من التغالب، والتناكر، والاختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق:

«كان والله أعزّ على من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول» وللمتكلمين في طريقة التمانع جولات واسعة تؤخذ في مطانها، وسيرد إيضاحها في باب الفوائد.

* الفوائد:

«إلا» بمعنى «غير»:

الأصل في «إلا» أن تكون للاستثناء، وفي «غير» أن تكون وصفاً، ثم قد تحمل إحداهما على الأخرى، فيوصف بـ«إلا»، ويُشتبه بـ«غير»، فإن كانت إلا بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلها، وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء، وإنما يُراد بها وصف ما قبلها بما يغاير ما بعدها، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفِسْدَتُهُ﴾ فـ«إلا» وما بعدها صفة لـ«الله»؛ لأن المراد نفي الآلة المُتعددة، وإثبات الإله الواحد الفرد، ولا يصح الاستثناء بالنصب؛ لأن المعنى يكون حيالـ«إلا»: لو كان فيهما آلة ليس فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلة فيهم الله لم تفسدا، وهذا ظاهر الفساد، وسامح الله ابن يعيش شارح مفصل الزمخشري حيث أجاز النصب على الاستثناء في الآية الكريمة، غير مقدّر ما يتربّى على النصب من فساد، وعبارة ابن يعيش:

«قال الله تعالى: لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدتا، والمراد: غير الله، وهذا لا يكون إلا وصفاً، ولا يجوز أن يكون بدلاً يراد به الاستثناء؛ لأنه يصيّر في تقدير لو كان فيهما إلا الله لفسدتا، وذلك فاسد؛ لأن لو شرط فيما مضى، فهي بمنزلة إن في المستقبل، وأنت لو قلت: إن أتاني إلا زيد لم يصح؛ لأن الشرط، في حكم الموجب، فكما لا يصح: أتاني إلا زيد، كذلك لا يصح: إن أتاني إلا زيد، ولو نصب على الاستثناء قلت: لو كان فيهما إلا الله لخاز».

ثم لا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من آلة؛ لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية، ثم إن الكلام موجب فلا تجوز البدلية، ولو صح الاستثناء؛ لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام، وأيضاً لو جعلته

بدلاً، لكان التقدير: لو كان فيهما إلا الله لفسدتا؛ لأن البديل على نية طرح المبدل منه كما هو معلوم، ولعدم صحة الاستثناء هنا، وعدم جواز البديلية تعيين أن تكون إلا بمعنى غير.

ولتتم هذه المبحث الدقيق نقل الفصل الممتع الذي أورده العلامة ابن هشام في «مغني اللبيب» وردد على المبرد، مع تعليقات مناسبة ليستوفي الموضوع حقه، قال ابن هشام بعد أن ذكر أن لـ«إلا» أربعة أوجه:

«والثاني أن تكون صفة بمنزلة غير، فيوصف بها، وبتأليها جمع منكر أو شبهه، فمثال الجمع المنكر: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى، إذ التقدير حيئذ: لو كان فيهما آلة فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي بمفهومه: أنه لو كان فيها آلة ليس فيهم الله لم تفسدا، وليس ذلك المراد، ولا من جهة اللفظ؛ لأن آلة جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه، فلو قلت: قام رجال إلا زيداً لم يصح اتفاقاً، وزعم المبرد أن «إلا» في الآية للاستثناء، وأن ما بعدها بدل، متحججاً بأن «لو» تدل على الامتناع، وامتناع الشيء: انتفاءه، وزعم أن التفريغ بعدها جائز، وأن نحو: «لو كان معنا إلا زيد» أجود كلام، ويرده: أنهم لا يقولون: «لو جاءني ديار أكرمته» ولا: «لو جاءني من أحد أكرمته» ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك، كما يجوز: ما فيها ديار، وما جاءني من أحد، ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه: إن إلا وما بعدها صفة» إلى أن يقول: «وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعذر الاستثناء، وجعل من الشاذ قول حضرمي بن عامر الصحابي، وقيل: عمرو بن معدى كرب:

وَكُلُّ أَخِ مُفَارِقَهُ أَخُوهُ لِعَمْرُ أَيِّكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

ومعنى الشذوذ فيه أنه ليس استثناء؛ إذ لم ينصب بعد الكلام التام الموجب، فتعين أنه صفة، ولم يتعد الاستثناء، فهو شاذ إذ كان يمكنه أن يقول إلا الفرقدين، ونحسب أن البحث طال، فحسينا ما تقدم.

﴿أَمْ أَتَخْذَلُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بِرْهَنَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَّا مَعِيَ وَذِكْرٌ مَّا قَبْلِي
 بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾٢٤٠ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
 إِلَّا نُوحٌ إِلَيْهِ أَنَّمَا لَإِلَهٍ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾٢٥٠ وَقَالُوا أَتَخْدَلُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَانِهِ
 بَلْ عِبَادٌ مُّكَرَّمُونَ ﴾٢٦٠ لَا يَسْتَقِنُوهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾٢٧٠
 يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يَشْعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيقَةِ
 مُشْفِقُونَ ﴾٢٨٠ * وَمَنْ يَقُلُّ مِنْهُمْ إِنْفَتِ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيُهُ جَهَنَّمَ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾٢٩﴾

○ الإعراب:

﴿أَمْ أَتَخْذَلُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ أم حرف عطف للإضراب، والانتقال إلى إظهار بطلان ما اتخذوه آلهة، مع خلوّها من خصائص الألوهية، واتخذوا فعل ماض وفاعل، ومن دونه في محل نصب مفعول به ثان لاتخذوا، وألهة هو المفعول الأول. ﴿قُلْ هَاتُوا بِرْهَنَكُمْ﴾ هاتوا فعل أمر مبني على الكسر دائمًا إلا مع واو الجماعة فيضم، وواو الجماعة فاعل، وبرهانكم مفعول به. ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَّا مَعِيَ وَذِكْرٌ مَّا قَبْلِي﴾ هذا مبتدأ، والإشارة للقرآن وجميع الكتب السماوية، وذكر خبر، ومن مضاف إليه، ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، وذكر عطف على ذكر الأولى، ومن مضاف إليه، والظرف صلة، والجملة مستأنفة. ﴿بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ بل حرف إضراب، وأكثرهم مبتدأ، وجملة لا يعلمون خبر، والواو فاعل، والحق مفعول به، فهم: الفاء للتعليق، وهم مبتدأ، ومعرضون خبر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحٌ إِلَيْهِ أَنَّمَا لَإِلَهٍ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الواو استئنافية، وأنا نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك حال، ومن حرف جر زائد، ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، وإلا أداة حصر،

ونوحي فعل وفاعل، وإليه متعلقان بنوحي، ولا إله إلا أنا تقدم إعراها كثيراً، والفاء الفصيحة، وأعبدوني فعل أمر، والواو فاعل، والباء الممحوظة تبعاً لرسم المصحف مفعول به، والجملة مستأنفة مقررة لما سبق إجماله من توحيد الله، كما نطقت بذلك الكتب السماوية، استدلاً بمقتضيات العقل، والمنطق. ﴿ وَقَالُوا أَنْحَذُ الرَّحْمَنَ وَلَدَا سَبَخَتُو بَلْ عِكَادُ مُكْرَمُونَ ﴾ استئناف آخر مسوق لحكاية أقوال بعض القبائل العربية؛ الذين قالوا: الملائكة بنات الله، ويقال: إنهم بنو خزانة، وبنو جهينة، وبنو سلمة، وبنو مليح، وجملة: ﴿ أَنْحَذُ الرَّحْمَنَ وَلَدَا ﴾ مقول القول، وسبحانه مصدر لفعل ممحوظ، وقد مرّ، والجملة معترضة، وبيل حرف إضراب، وعباد خبر لمبدأ ممحوظ، ومكرمون صفة، وقد وصف الملائكة بسبع صفات تقدمت الأولى. ﴿ لَا يَسِيقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ وهاتان صفتان ثانيتان: الأولى جملة: ﴿ لَا يَسِيقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ والثانية جملة: ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ وبأمره متعلقان بيعملون، وجملة يعملون خبرهم. ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ ﴾ وهذه هي الصفة الرابعة، وما موصول مفعول به، وبين ظرف متعلق بممحوظ صلة الموصول، وأيديهم مضاد إليه، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم. ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيتِهِ مُشْفَقُونَ ﴾ وهاتان صفتان أخرىان، ويشفعون فعل مضارع وفاعل، وإلا آداة حصر، ولمن متعلقان بيشفعون، وارتضى صلة الموصول، وهم مبتدأ، ومن خشيته جار و مجرور متعلقان بمشفقون، ومشفقون خبرهم. ﴿ وَمَنْ يَكُلُّ مِنْهُمْ إِلَّا إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَنَذَلَكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ وهذه هي الصفة السابعة والأخيرة، ومن شرطية مبتدأ، ويقل فعل الشرط مجزوم، ومنهم حال، وإن واسمها، وإله خبرها، والفاء رابطة لجواب الشرط لأنّه وقع جملة اسمية، وذلك: اسم إشارة مبتدأ، وجملة نجزيه خبر، والهاء مفعول نجزي، وجهنم: مفعول نجزي الثاني، والجملة جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر ذلك، وكذلك نجزي الظالمين: الكاف نعت مصدر ممحوظ، أي: نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك.

﴿أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾٢٣﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾٢٤﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقَفاً مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنِ ائِثِنَهَا مُعْرِضُونَ ﴾٢٥﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْيَلَى وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ فِلَكٍ يَسْبُحُونَ ﴾٢٦﴾

☆ النَّفْتَةُ :

﴿رَتْقًا﴾: في المختار: «الرتق: ضد الفتق، وقد رتفت الفتق من باب: نصر: سدنته فارتقت، أي: التأم، ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا﴾ والرتق - بفتحتين - مصدر قولك: امرأة رقاء، أي: لا يستطيع جاعها لارتفاع ذلك الموضع منها». وفي الأساس: «رتق الفتق حتى ارتفق، وقرىء.. كانتا رتقاً ورتقاً، وعن ابن الكلبي: كانتا رتقاويين ففتق الله السماء بالماء، وفتق الأرض بالنبات. وامرأة رقاء: بينة الرتق؛ إذا لم يكن لها خرق إلا المبال». .

﴿رَوَاسِيًّا﴾: جمع راسية، من: رسا الشيء: إذا ثبت ورسخ، وفي المختار: «والرواسي من الجبال: الرواسخ، واحدتها: راسية». وفي المصباح: «رسا الشيء يرسو، رسواً، رُوسُواً: ثبت، فهو راس، وجبل راسية، وراسيات، ورواس». .

﴿تَمِيدًا﴾: في المصباح: «ما يزيد ميداً من باب: باع، وميداناً - بفتح الياء - تحرك». وفي الأساس: «غضن مائد: مائل، وما يزيد ميداناً، ومن المجاز: مادت المرأة، وماست، وتميدت، وتمست، وما دلت به الأرض: دارت، ورجل مائد: يدار به، والمطعون يزيد في الرمح». .

﴿فِجَاجًا﴾: في المختار: «الفج - بالفتح -: الطريق الواسع بين الجبلين،

والجمع فجاج - بالكسر - مثل سهم وسهام ، والفج - بالكسر - : البطيخ الشامي ، وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج - بالكسر -. وفي القاموس : «الفج ، وجعه: فجاج ، والجاج: الطريق الواسع بين جبلين» .

○ الإعراب:

﴿أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَّاهُمَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والواو حرف عطف على مقدر ، ولم حرف نفي وقلب وجذم ، والذين فاعل ، وجملة كفروا صلة ، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعولي رأى ؛ لأن الرؤية قلبية ، وأن واسمها ، وجملة كانتا خبرها ، والألف اسم كان ، ورتقاً خبرها ، وفي الإخبار به ما تقدم في : زيد عدل ، أي : كانت الشمس والأرض نفس الرتق ، ففتناهما ، الفاء عاطفة ، وفتناهما فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة معطوفة على كانتا ، والميم والألف حرفان دالان على الثانية . قال الأخفش : إنما قال كانتا لأنهما صنفان ، أي : جماعتكم السموات والأرضين ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ وقال الزجاج : إنما قال كانتا لأنه يعبر عن السموات بلفظ الواحد ؛ لأن السموات كانت سماء واحدة ، وكذلك الأرضون . ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلَاكًا يُؤْمِنُونَ﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم ، وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلقنا ، ومن الماء متعلقان بجعلنا ؛ لأنها بمعنى خلقنا ، أو : بمحذف حال من كل شيء ؛ لأنه كان في الأصل وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال ، ولذلك أن تجعل : وجعلنا بمعنى صير متعدياً لاثنين ، فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، أفالاً : الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة على محذف ، ولا نافية ، ويؤمنون فعل مضارع مرفوع ، والواو فاعل . ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَّا أَنْ تَبَيَّدَ بِهِمْ﴾ وجعلنا عطف على جعلنا ، وفي الأرض إما مفعول ثان ، وروسي هو المفعول الأول ، وإما متعلقان بجعلنا ، أو بمحذف حال ، وروسي مفعول به ، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله ، أي : كراهة أن تبدي ، أو : لثلا تميد ، وبهم

متعلقان بتميذ. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبْلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، وفيها هو المفعول الثاني، أو متعلق بجعلنا، وفجاجاً حال لأنه كان صفة لسبلاً، وتقدم عليه، وسبلاً مفعول به، ولعل واسمها، وجملة يهتدون خبرها. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَعْفُوتًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مَعْرِضُونَ﴾ وجعلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به أول، وسقفاً مفعول به ثان، وهم مبتدأ، وعن آياتها متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر هم، والجملة حالية، أو استئنافية. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْيَلَّا وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة خلق صلة، وفاعل خلق ضمير مستتر تقديره: هو، والليل مفعول به، وما بعده عطف عليه، وكل مبتدأ، وساغ الابتداء لما فيه من معنى العموم، وفي ذلك متعلقان بيسبحون، وجملة يسبحون خبر كل، وجملة كل في ذلك يسبحون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر، وإنما جعل الضمير الواو العقلاء للوصف بفعل هو من خصائص العقلاء هو السباحة، وتقدم نظيره في قوله: ﴿رَأَيْنَاهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

* الفوائد:

١ - بحث شيق في المفعول لأجله:

هذا بحث طريف، أفرد له سيبويه فصلاً خاصاً في كتابه، وهو يتعلق بالمفعول لأجله المؤول، وهو هنا في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَبَدَّلْ بِهِمْ﴾ قال ما خلاصته: «هو من وادي قولهم: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، قال: ومعناه «أن أدعم الحائط إذا مال» وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه، ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام، وإدعام سبب في إعداد الخشبة، فعامل سبب السبب معاملة السبب، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضَلَّ إِحْدَى هُنْهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ كذلك ما نحن بصدده يكون الأصل، وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم، فجعل الميد هو السبب، كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً، وصار الكلام: وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فثبتتها، ثم حذف فثبتتها لأمن الإلباب إيجازاً

واختصاراً». وهذا لعمري أولى مما درجنا عليه في الإعراب؛ لأن مقتضى ما ذكرناه، وذكره أكثر المعربين والمفسرين يقتضي ألا تميد الأرض بأهلها؛ لأن الله كره ذلك، ومكروه الله تعالى محال أن يقع، كما أن مراده واجب أن يقع، والشاهد خلاف ذلك، فكم من زلزلة مادت لها الأرض، وكادت تقلب عاليها سافلها! وأما على تقرير سيبويه فالمراد: أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت، وهذا لا يأبى وقوع الميد، وهذا بحث جليل قلل من يتبه له إلا بعد هذا التفصيل، فتأمله تر السحر الحال، وإن من البيان لسحراً.

٢ - ذهب سيبويه والجمهور إلى القول بأن لفظي كل وبعض معرفتان بنية الإضافة؛ ولذلك يأتي الحال منها كقولهم: مرت بكل قائماً وبعض جالساً، وأصل صاحب الحال التعريف، وذهب الفارسي إلى أنها نكرونان، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول: إن نصفاً، وسدساً، وثلثاً، وربعاً، ونحوها معارف؛ لأنها في المعنى مضادات، وهي نكرات بإجماع، ورد بأن العرب تحذف المضاف وتريده، وقد لا تريده، ودلل مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته، بقي هنا سؤال واحد، وهو: لمَ أتى بصيغة الجمع وهماثنان؟ والجواب: إن الضمير عائد إليهما مع الليل والنهر، وذلك لأن الليل والنهر يسبحان أيضاً؛ لأن الليل ظل الأرض، وهو يدور على محيط كرة الأرض على حسب دوران الأرض، وكذلك النهر يدور أيضاً؛ لأنه يخلف الليل في المحيط.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مَتَ فَهُمُ الْخَلِدُونَ ﴾^{٤٧} كُلُّ نَفْسٍ ذَآيْقَةٌ الْمَوْتُ وَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْفَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^{٤٨} وَإِذَا رَأَكُوكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُرُوا أَهَنَاذَا الَّذِي يَذَّكُرُ إِلَهَتُكُمْ وَهُمْ يُذَكِّرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفَرُونَ ﴾^{٤٩} خُلُقُ الْإِنْسَنِ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ إِيَّتِي فَلَا تَسْتَعِجِلُونَ ﴾^{٥٠} وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^{٥١} لَوْ

يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ التَّارِ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٢٧﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَقَبَّهُمْ فَلَا يَسْتَطِعُونَ رَدَّهَا
وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ ﴿٢٨﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدُ أَفَإِنْ مَتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير عدم خلود البشر، جواباً لقولهم: إن محمدًا سيموت، وما نافية، وجعلنا فعل وفاعل، ولبشر في محل نصب مفعول ثان، ومن قبلك صفة لبشر، والخلد مفعول جعلنا الأول، والهمزة للاستفهام الإنكارى، والفاء عاطفة، وإن شرطية، ومت فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وهم مبتدأ، والخالدون خبر، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وهي بنية التقديم؛ لأن أصل الكلام أفهم الخالدون إن مت، قال الفراء: جاء بالفاء لتدل على الشرط؛ لأنه جواب قولهم سيموت، قال: ويجوز حذف الفاء وإضمارها، والمعنى: إن مت فهم يموتون أيضاً، فلا شماتة في الموت. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ كل مبتدأ، ونفس مضاف إليه، وذائقه الموت خبر، والجملة مستأنفة، مسوقة للتدليل على عدم الخلود، فلا مجال للشماتة، ورحم الله القائل:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ إِنَّا أَفِيقُوا سيلقى الشّامتون كما لقينا

﴿وَبَنِلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الواو استئنافية أيضاً، وبنيلوكم فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به، وبالشر متعلقان بنيلوكم، والخير عطف على الشر، أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر، وبما يجب فيه الشكر، وفتنة مصدر مؤكدة بنيلوكم من غير لفظه؛ لأن الابتلاء فتنـة، فكانه قيل: نفتـنكم فـتنـة، ويـجوز أن يـعرب مـفعـولاً من أجـلهـ، أو نـصـباً عـلـىـ الـحـالـ مـنـ فـاعـلـ بـنـيلـوكـمـ،ـ أـيـ:ـ فـاتـنـينـ لـكـمـ،ـ وـإـلـيـنـاـ مـتـعـلـقـانـ بـتـرـجـعـونـ،ـ وـتـرـجـعـونـ فـعلـ مـضـارـعـ مـبـنيـ لـلـمـجـهـولـ،ـ وـالـوـاوـ نـائـبـ فـاعـلـ،ـ

والجملة معطوفة على نيلوكم، أو حالية. ﴿وَإِذَا رَأَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوا﴾ لك أن تجعل الواو استثنافية، فتكون الجملة مستأنفة، مسوقة لترحير موقفهم من النبي محمد ﷺ، وأن يجعلها عاطفة، فتكون الجملة معطوفة على قوله الآنف: ﴿وَأَسْرُوا الْجَوَى﴾ وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة رأك مضاد لها الظرف، وفاعل رأك الذين، والكاف مفعول به، وجملة كفروا صلة، وإن نافية، ويتخذونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وإن النافية، وما في حيزها جواب إذا، وسيأتي ذكر السبب في عدم اقتران الجواب بالفاء في باب الفوائد، وإلا أداة حصر، وهزواً مفعول به ثان إما على الوصف بالمصدر مبالغة، وقد مررت له نظائر، وإما على حذف مضاد، هذا ويجوز أن تكون إن النافية وما بعدها جملة معتبرة، فيكون الجواب قوله الآتي: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهَتُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفِرُونَ﴾ الهمزة للاستفهام، والاستفهام معناه: السخرية، والجملة إما جواب إذا كما تقدم، وإنما قول قول محنوف، أي: يقول بعضهم لبعض على سبيل السخرية والهزء: أهذا؟ وهذا مبتدأ، والذي خبره، وجملة يذكر صلة، وألهمكم مفعول به، والواو حالية، وهم مبتدأ وبذكر متعلقان بكافرون، والرحمن مضاد إليه، وهم تأكيد لهم الأولى تأكيداً لفظياً، وكافرون خبرهم، والجملة حال إما من فاعل يتخذونك، وإنما من فاعل القول المقدر كما أسلفنا، ومفعول يذكر محنوف، وسيرد بحثه في باب البلاغة. ﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ سَأْوِرِيكُمْ أَيَّتِي فَلَا تَسْتَعِجِلُونَ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للرد على استعجالهم العذاب، وخلق فعل ماض مبني للمجهول، والإنسان نائب فاعل، ومن عجل متعلقان بخلق، أو بمحنوف حال، وسيأتي معنى هذا التراكيب في باب البلاغة، وسأريكم: السين للاستقبال، وأريكم فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به أول، وأياتي مفعول به ثان، والفاء عاطفة، ولا نهاية، وتستعجلون فعل مضارع مجزوم بلا النهاية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والياء المحنوفة للرسم مفعول به، وجملة سأريكم مستأنفة أيضاً، مسوقة لتأكيد العجلة، وعاقبتها التي هي رؤية العذاب.

﴿وَقَوْلُوكَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لإيراد نمط من استعجالهم المذموم، ويقولون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والوعد بدل، وإن شرطية، وكتم كان واسمها في محل جزم فعل الشرط، وصادقين خبر كتم، وجواب إن مذدوف تقديره: فعينوا موعده، وخطاهم للنبي وأصحابه. ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنَصَّرُونَ﴾ لو شرطية، ويعلم فعل مضارع، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة، وحين يجوز أن يكون مفعول يعلم، أي: الوقت الذي يستعجلون فيه بقولهم: ﴿مَنْ هَذَا الْوَعْدُ﴾ وهو وقت صعب ضنك، تحيط بهم النار من كل مكان؛ لما كانوا بتلك المثابة من الكفر، فجواب لو مذدوف، وقد تقدمت الإشارة إليه كثيراً، ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعلية، بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا متتعجلاً، وحين منصوب بمضمر، أي: حين لا يكفيون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل، والأرجح أن مفعول يعلم مذدوف لدلالة ما قبله عليه، أي: لو يعلم الذين كفروا بجيء الموعد الذي سألوه عنه، واستبطؤوه، وحين منصوب بالمفعول الذي هو جيء، وجملة لا يكفيون مسافة إلى الظرف، وعن وجوههم متعلقاً بيكونون، والنار مفعول به، ولا عن ظهورهم معطوفة، والواو حرف عطف، ولا نافية، وهم مبتدأ، وجملة ينصرون خبر، وينصرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل. ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبَهَّهُمْ فَلَا يَسْتَطِعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وتأتيهم فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على النار، وبغتة حال أتى مصدرأً، وقيل: مفعول مطلق، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد، فتبهتهم عطف على تأتيهم فلا يستطيعون عطف أيضاً، ورددها مفعول يستطيعون، ولا هم ينظرون عطف أيضاً، وهم مبتدأ، وجملة ينظرون خبر كما أنظروا وأمهلوا من قبل.

□ البلاغة:

١ - التذليل: في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِتَشْرِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلُدُ أَفَإِيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَلِيلُوْنَ﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فـنـ طـرـيفـ منـ فـنـونـ الـبـلاـغـةـ أـطـلقـ عـلـيـهـ عـلـمـاؤـهـاـ اـسـمـ:ـ (ـالـتـذـلـلـ)ـ وـعـرـفـوهـ بـأـنـهـ:ـ تـذـلـلـ الـكـلـامـ بـعـدـ تـامـاهـ،ـ وـحـسـنـ السـكـوتـ عـلـيـهـ بـجـمـلـةـ تـحـقـقـ ماـ قـبـلـهـاـ مـنـ الـكـلـامـ،ـ وـتـزـيـدـهـ توـكـيدـاـ،ـ وـتـخـرـجـهـ مـخـرـجـ المـثـلـ السـائـرـ لـيـشـيـعـ الـكـلـامـ بـعـدـ دـورـانـهـ عـلـىـ الـأـلـسـنـةـ،ـ فـإـنـ لـمـ تـكـنـ الـزـيـادـةـ تـفـيـدـ ذـلـكـ فـلـاـ يـسـمـىـ تـذـلـلـاـ،ـ وـبـعـضـهـمـ يـسـمـيـهـ آـنـذـاكـ:ـ تـذـلـلـاـ،ـ وـلـكـنـهـ يـقـولـ عـنـهـ أـنـهـ مـعـيـبـ،ـ وـمـاـ أـجـدـرـ الـمـعـيـبـ أـنـ يـتـفـتـىـ عـنـ فـنـونـ الـبـلاـغـةـ،ـ أـوـ يـنـدـرـجـ فـيـ سـلـكـهـاـ!ـ وـهـوـ شـائـعـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ،ـ وـسـتـأـتـيـ أـمـثـلـةـ كـثـيـرـةـ مـنـهـ،ـ أـمـاـ فـيـ الـآـيـةـ الـتـيـ نـحـنـ بـصـدـدـهـاـ،ـ فـإـنـ الـمـعـنـىـ مـسـتـوـفـ فـيـ الـإـخـبـارـ بـأـنـ سـبـحـانـهـ لـمـ يـجـعـلـ لـبـشـرـ قـبـلـ نـبـيـهـ الـخـلـدـ،ـ ثـمـ ذـلـيلـ ذـلـكـ الـإـخـبـارـ بـمـاـ أـخـرـجـهـ مـخـرـجـ تـجـاهـلـ الـعـارـفـ،ـ وـهـوـ قـوـلـهـ:ـ (ـأَفَإِيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَلِيلُوْنَ﴾)ـ ثـمـ ذـلـيلـ هـذـاـ التـذـلـلـ بـمـاـ أـخـرـجـهـ مـخـرـجـ المـثـلـ السـائـرـ حـيـثـ قـالـ:ـ (ـكُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾).

وـمـنـ أـرـوـعـ أـمـثـلـةـ التـذـلـلـ فـيـ الشـعـرـ قـوـلـ شـاعـرـ الـخـلـودـ أـبـيـ الطـيـبـ:

تمـسـيـ الـأـمـانـيـ صـرـعـىـ دـوـنـ مـبـلـغـهـ

فـمـاـ يـقـولـ لـشـيـءـ لـيـتـ ذـلـكـ لـيـ

يـقـولـ أـبـوـ الطـيـبـ:ـ لـاـ تـصـلـ أـمـانـيـ إـلـىـ قـلـبـهـ فـتـسـتـمـيـلـهـ،ـ وـلـاـ إـلـىـ لـسانـهـ فـتـجـرـيـ عـلـيـهـ؛ـ لـأـنـهـ لـاـ يـحـتـاجـ أـنـ يـتـمـنـىـ شـيـئـاـ إـلـاـ وـلـهـ خـيـرـ مـنـهـ،ـ أـوـ صـارـ لـهـ ذـلـكـ الشـيـءـ،ـ فـالـأـمـانـيـ تـقـصـرـ عـنـ بـلـوغـ قـدـرـهـ،ـ وـتـقـصـرـ عـنـ جـلـالـةـ أـمـرـهـ،ـ وـتـمـسـيـ صـرـعـىـ دـوـنـ إـدـرـاكـ مـجـدهـ،ـ فـمـاـ يـتـمـنـىـ فـيـ الرـفـعـةـ أـكـثـرـ مـاـ قـدـ بـلـغـهـ،ـ وـلـمـ يـزـلـ سـيفـ الدـوـلـةـ لـهـ جـاـهـاـ بـهـذـاـ الـبـيـتـ،ـ مـعـظـمـاـ لـهـ،ـ مـثـنـاـ عـلـيـهـ مـقـرـأـ لـهـ بـأـنـهـ لـاـ يـلـحـقـ سـيـقاـ،ـ وـلـاـ يـأـتـيـ أـحـدـ فـيـ بـابـهـ مـنـ الـمـبـالـغـ بـمـثـلـ مـاـ أـتـىـ بـهـ.

وـقـالـ اـبـنـ نـبـاتـةـ السـعـديـ،ـ وـأـجـادـ:

لـمـ يـبـقـ جـوـدـكـ لـيـ شـيـئـاـ أـمـلـهـ تـرـكـتـنـيـ أـصـحـبـ الدـنـيـاـ بـلـاـ أـمـلـ

لقد حقق له جميع آماله ومشتهياته ، فلم يعد لديه ما يؤمله ، وهب صبأ إلى شيء ، فإنه واثق بحضوره ، فغدا بلا آمال .

٢- الإيجاز بالحذف : وذلك في حذف مفعول يذكر في قوله تعالى : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهَتُكُمْ ﴾ والذكر يكون بالخير والشر ، فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ، ولم يقيد ، كقولك للرجل : سمعت فلاناً يذكرك ، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء ، وإن كان عدواً فذم . ومن جهة ثانية لم يقولوا : لهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء ؛ لأنهم استفطعوا حكاية ما ي قوله النبي من القبح في آلهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنفع ولا تضر ، وربوا بها عن نقل ذمها تفصيلاً وتصريحاً ، فنقلوه إجمالاً وتلميحاً ، بل أموموا إليه بالإشارة المذكورة ، كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر ، وإن كان قائلها غير كافر ، فيومئه إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعریض ، فسبحان من أصلّهم حتى تأدّبوا مع الأوّل ، وأساووا الأدب على الرحمن .

٣- الاستعارة المكنية في قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ فقد شبه العجل الذي طبع عليه الشخص ، وصار له كالجلبة بأصل مادته ، وهي الطين ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو قوله : ﴿ خُلِقَ ﴾ وقيل : لا استعارة فيه ، وإنما هو من باب القلب ، والأصل : خلق العجل من الإنسان لشدة صدوره عنه ، وملازمته له ، والقلب موجود كثيراً في كلامهم ، وقد تقدمت الإشارة إليه ، والأول أولى ، وأقعد بالبلاغة . ومن بدع التفاسير ما قالوه من : أن العجل هو الطين بلغة حمير ، وقال شاعرهم :

والثَّبَّعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مَنْبِتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

يقول : النبع ، - وهو شجر تتخذ منه القسي - في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها منبته ، أي : نباته . والنخل ينبع في الأرض اللينة الريانة ، فهو بين الماء والعجل ، أي : الطين ، وهذه لغة حمير كما قيل ، والظاهر : أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل ، والثاني للسهل الججاد ، أو الأول للشجاع ، والثاني للجبان لشدة الأول ورخاؤه الثاني ، وعلى كل حال هذا المعنى غير وارد

في الآية الكريمة؛ لأن السياق يأباهما، فهم يستعجلون، والله سبحانه ينعي عليهم عجلتهم.

وفي هذه الآية الاستعارة المكنية بقوله: «ذَلِكَ مَوْتٌ» وليس الموت مما يداق، ولكنه شبهه بطعم غير مريء، ولا مستساغ، ولكنه لحتمية وقوعه، وكونه أمراً لابد منه أصبح بمثابة المريء المستساغ، فلا مندوحة لنفس عن ذوقه، وقد تقدمت نظائر لهذه الاستعارة.

* الفوائد:

١ - جواب «إذا»:

تحالف «إذا» أدوات الشرط جيّعاً، فإن أدوات الشرط متى أجييت بأن النافية، أو بما النافية، وجب الإتيان بالفاء، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى أيضاً: «وَإِذَا لَئِنْ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَهُنَا بِيَسِّرٍ مَا كَانَ حُجَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا».

٢ - معجمي المصدر حالاً:

جاءت مصادر تعرّب أحوالاً بكثرة في النكرات، كـ: طلع زيد بغنة، وجاء ركضاً، وقتلته صبراً، وهو: أن تخبوه حيّاً ثم يرمي حتى يقتل، وذلك كله على كثرته مؤول بالوصف، فيؤول بغنة بوصف من باعث؛ لأنها بمعنى مفاجأة، أي: مباغتاً، ويؤول ركضاً بوصف الفاعل من ركب، أي: راكضاً ويؤول صبراً بوصف المفعول، من صبر، أي: مصبوراً محبوساً، ومع كثرة وروده قال سيبويه: لا ينقاس مطلقاً، وقاده بعضهم بما يمكن الرجوع إليه في المطولات.

ونعود إلى بغنة فقد أكد بعضهم أنه يجوز جعلها مفعولاً مطلقاً، وكذلك القول في الأمثلة المتقدمة؛ إذ هي نوع من عاملها، فهي كرجع الفهقرى.

ويتحصل مما ذكره النحاة أن المصدر المنصوب فيه أقوال ثلاثة:

١- مذهب سيبويه: أن المصدر هو الحال، وهو الأصل.

٢ - مذهب المبرد والأخفش: أنه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله، وإنما هو منصوب بالعامل المحذوف من لفظه، وذلك المحذوف هو الحال، وهو قول جميل كما ترى.

٣ - مذهب الكوفيين: أنه مفعول مطلق منصوب بالعامل قبله، وليس في موضع الحال.

وما يرد في هذا المجال إعراب «أَسْفًا» من قول أبي الطيب:

أَبْلَى الْهَوَى أَسْفًا يَوْمَ النَّوْى بَدَنِي
وَفَرَقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا
أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنِ الشَّوَّبِ لَمْ يَئِنِ
كَفَى بِجَسْمِي نُحُولًا أَنْتَيِ رَجُلٌ
لَوْلَا مُخَاطَبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِ

فالحال هنا غير واردة؛ لأن المعنى يأباهما، والمفعول لأجله لا يصح لاختلاف الفاعل، فلم يبق إلا المفعولة المطلقة، والتقدير: أسفت أسفًا، ودلل على فعله ما تقدمه؛ لأن إبلاء الهوى بدنه يدل على أسفه، كأنه قال: أسفت أسفًا، وتعسّف ابن هشام فحاول أن يبرر نصبه على أنه مفعول لأجله، فقال: «فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فلا إشكال (والقاتل بهذا هو ابن خروف) وأما من اشترطه فهو على إسقاط لام العلة توسعًا، كما في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَوْجًا﴾ (أي: يبغون لها عوجاً) أو: الاتحاد موجود تقديرًا إما على أن الفعل المعلل مطاوع أبلى مذوفاً، أي: فليت أسفًا، ولا تقدر، فلي بدني؛ لأن الاختلاف حاصل؛ إذ الأسف فعل النفس لا البدن، أو لأن الهوى لما حصل بتبسيبه، كأنه قال: أبلىت بالهوى بدني» ولا طائل تحت هذه التأويلات المتعسفة.

﴿ وَلَقَدِ اسْتَهْزَئَ بِرُسُلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَهُونُونَ ﴾
 قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعَرْضُونَ ﴾
 أَمْ لَهُمْ عَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرًا أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُضْحِبُونَ ﴾
 بَلْ مَنْعَنَا هَؤُلَاءِ وَعَابَأَهُمْ حَقَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْنَى إِلَيْهِنَّ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَافِلُونَ ﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرْنَاكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّرُمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْدَرُونَ ﴾
 وَلَئِنْ مَسَّتُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَدُونَنَا إِنَّا كُنَّا ظَلَمِينَ ﴾
 وَنَصَّعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلَمُ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّكَةٍ مِنْ خَرَدِلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسَسِينَ ﴾

☆ النَّفْخَةُ:

﴿ يَكْلُؤُكُمْ ﴾: في المصباح: «كلاه الله يكلؤه - مهموز بفتحتين - من باب: قطع، كلامه - بالكسر والمد - حفظه، ويجوز التخفيف، فيقال: كليته، أكلاه، وكلته، أكلؤه، من باب: تعب، لغة لقرיש، لكنهم قالوا: مكلوّ باللواو أكثر من مكليّ بالياء». وفي القاموس: «كلاً يكلاً - بالفتح - كلًاً، وكلاء، وكلاء - بكسر الكاف - الله فلاناً: حرسه وحفظه، وكلأه بالسوط: ضربه به، وكلأ بصره في الشيء: ردده فيه، وكلأ النجم متى يطلع: رعاه». وفي الأساس: «الله يكلؤك، وتداركه الله بكلاءاته، واكتلأت منه: احترست. قال كعب بن زهير:

أنْخُتْ قُلُوصِي وَاكْتَلَأْتُ بَعْنَاهَا وَأَمْرَتُ نَفْسِي أَيَّ أَمْرَيَ أَفْعَلُ
 أي: احترست بعينها لأنها إذا رأت شيئاً ذعرت، وكلأ دينه كلوءاً:

تأخر، فهو كاليء . ونُهِي عن «بيع الكاليء بالكاليء» وكلايته أنا تكلاهة ، واستتكلات كلاة وتكلات : استلقت سلفاً، وتقول: «إن الْكُلَى تذيب شحم الْكُلَى» جمع: كلاة» .

﴿خَرَدِيل﴾ : الخردل: نبات له حب صغير جداً أسود مقرح ، والواحدة: خردلة ، ويقال: خردل الطعام: أكل خياره ، وخردل اللحم: قطع أعضاءه ، والخرادل: القطع من اللحم .

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْرَ بِرُسْلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الواو: استثنافية ، والجملة مستأنفة ، مسوقة لتسليمة النبي ﷺ ، ومواساته ، واللام جواب قسم مذوف ، وقد حرف تحقيق ، واستهزئيء فعل ماضٍ مبني للمجهول ، وبرسل قام مقام نائب الفاعل ، ومن قبلك نعت لرسل . ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَهْيَءُونَ﴾ الفاء عاطفة ، وحاق فعل ماضٍ ، وبالذين متعلقان بحاق ، وجملة سخروا لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول ، ومنهم حال من فاعل سخروا ، وما: فاعل حاق ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وكان واسمها ، وبه متعلقان بقوله يستهزئون ، ويستهزئون جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا . ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وجملة يكلوكم خبر ، والجملة مقول القول ، وبالليل متعلقان بيكلؤكم ، والنهر عطف على الليل ، ومن الرحمن ، أي: من عذابه وأمره ، وهو متعلقان بيكلؤكم . ﴿بَلْ هُمْ عَنِ ذَكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ بل حرف إضراب ، وهم مبتدأ ، وعن ذكر ربهم متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر هم ، وهو إضراب عما تضمنه الكلام من النفي ، والتقدير: ليس لهم كاليء ولا مانع غير الرحمن ، مع أنهم لا يخترونه في بالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعدابه . ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾ أم حرف عطف وإضراب ، فهي بمعنى بل ، ولهم خبر مقدم ، والإلهة بتداء مؤخر ، وهنزة الاستفهام مقدرة ، والتقدير: أللهم إلهة تمنعهم ، وجملة تمنعهم صفة لإلهة ، ومن دوننا صفة لإلهة

أيضاً。 ﴿لَا يَسْتَطِعُونَ نَصَرًا أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَنَّا يُصْحِبُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير أنَّ مَنْ ليس ب قادر على نصر نفسه ومنها، ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمكنه منع غيره وينصره؟ ولا نافية، ويستطيعون فعل مضارع وفاعل، ونصر أنفسهم مفعول به، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، وهم مبتدأ، ومنا متعلقان يصحبون، ويصحبون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة يصحبون خبرهم، تقول العرب : أنا لك صاحب من فلان ، أي : مجير لك منه ، وتقول أيضاً : صحبك الله ، أي : حفظك وأجبارك ﴿بَلْ مَنَّعْنَا هُؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ بل حرف إضراب انتقالى ، ومتعبنا فعل وفاعل ، وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكتر في محل نصب مفعول به ، وآباءهم عطف على هؤلاء ، وحتى حرف غاية وجرا ، وطال فعل ماض ، وعليهم متعلقان بطال ، والعمر فاعل طال . ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتَىٰ الْأَرْضَ نَقْصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكارى ، والفاء عاطفة على مقدر ، وقد تكرر هذا التعبير حتى لم يعد ثمة موجب لإعادته ، ولا نافية ، ويرون فعل مضارع مرفوع ، والواو فاعل ، وأن ما في حيزها سدّ مفعولي يرون ؛ لأن الرؤية هنا علمية ، ويجوز أن تكون بصرية ، وأن واسمها ، وجملة نأتي الأرض خبرها ، وجملة نقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي ، أو : من مفعوله ، أي : نفتحها أرضًا بعد أرض بما ينقص من أطراف المشركين ، ويزيد في أطراف المؤمنين ، وقد تقدم بسط هذا مفصلاً في سورة الرعد فجدد به عهداً ، وسيأتي السر في إسناد الفعل إلى نفسه في باب البلاغة ، وقوله أفهم : الهمزة للاستفهام الإنكارى التقريري ، والفاء عاطفة على مقدر ، وهم مبتدأ ، والغالبون خبر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنذِرْكُمْ بِالْوَحْيٍ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ إنما كافية ومكافحة ، وأنذركم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره : أنا ، والكاف مفعول به ، وبالوحى متعلقان بأنذركم ، ولا يسمع : الواو عاطفة ، ويجوز أن تكون حالية ، ولا نافية ، ويسمع الصم الدعاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن ، وهي مجرد الظرفية متعلقان يسمع ،

أي: وقت إنذارهم، وما زائدة، ويندرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة يندرون في محل جر بإضافة الظرف إليها، وسيأتي تفصيل لهذه الآية في باب البلاغة. ﴿ وَلَئِنْ مَسْتَهْمَ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَتَوَلَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَاهِرِينَ ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ومستهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، ونفحة فاعل، والمراد بالنفحة: القليل، مأخوذ من نفح المسك، قاله ابن كيسان، ومنه قول النعمان بن بشير:

وَعُمْرَةٌ مِنْ سَرَّوَاتِ النَّسَاءِ إِنْفَجُ بِالْمَلْسَكِ أَرْدَانِهَا

وقال المبرد: النفحة: الدفعة من الشيء التي دون معظمها: يقال: نفحة
نفحة بالسيف، إذا ضربه ضربة خفيفة، وقيل: هي النصيب، وقيل: هي
الطرف، والمعنى متقارب، أي: ولئن مسّهم أقل شيء من العذاب، ومن
عذاب ربك صفة لنفحة، ليقولن: اللام واقعة في جواب القسم؛ لأنّه سبق،
ويقولنَّ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثل، والواو
المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون للتوكيد، ويا ويلنا إما نداء للوليل
ليحضر، وهذا أوانه، وإما أن يالتنبيه، وويلنا مفعول مطلق لفعل محذوف،
 وإنما: إن واسمها، وجملة كنا خبرها، ونا اسم كان، وظالمن خبرها ﴿وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان
ما سيقع عند إتيان ما أندروه، ونضع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره:
نحن، والموازين مفعول به، والقسط وصف الموازين، وقد وصفت بنفس
المصدر وبالغة من قسط إذا عدل، وليوم القيمة متعلقان بنضع، واللام بمعنى
«في» كقولهم: مضى لسبيله، وقيل: بمعنى عند، قال الزمخشري: «مثلاً في
قولك جئت لخمس خلون من شهر، ومنه بيت النابغة:

توسّمتُ آياتٍ لها فَعَرَفْهُا لِسَتَةٌ أَعوامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعٍ

ومعناه: تتبع رسومها وأثارها فعرفتها، أي: في تلك المواقع المذكورة في البيت قبله، وقوله «لستة أعوام» أي: تمام ستة أعوام مضت من عهدها،

وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع، ولو قال لسبعة أعوام لأفاد أن السبعة كلها مضت، وليس مراداً، فقول بعضهم: إنه كان يكفيه أن يقول لسبعة أعوام فعجز عن إتمامه وكمله بما لا معنى له، ولا وجه إلا عدم التبصر». فلا: الفاء عاطفة، وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول، ونفس نائب فاعل، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول ثان لتظلم. ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَنَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها مستتر تقديره: هو يعود على العمل، ومثال حبة خبر كان، ومن خردل صفة لحبة، وأتينا بها في محل جزم جواب الشرط، وكفى الواو عاطفة، وكفى فعل ماض، والباء حرف جر زائد، وحاسيبين تمييز، أو: حال، وأنث ضمير المثال؛ لأنه أضيف إلى الحبة، وقد مررت قاعدته.

□ البلاغة:

١ - وضع الظاهر موضع الضمير: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرْنَا بِالْوَحِيٍّ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فن لطيف يمكن تسميته وضع الظاهر موضع الضمير، والفائدة منه: التسجيل عليهم، فقد كان مقتضى السياق أن يقول: ولا تسمعون، ولكنه صرح بالضم، وتجاوز بالظاهر عن ضميره للدلالة على تصامهم، وسدّهم أسماعهم إن انذروا، وللدلاله على صدور إنكار شديد، وغضب عظيم، وتعجب من نبو أسماعهم عن الوحي، وعدم إصاخيتهم لما ينفعهم، وإمعانهم في ركوب الغي، والتعرّف في متاهات الضلال، وهذا فن عجيب تميّز به القرآن الكريم، وسيرد عليك الكثير من نماذجه.

٢ - إسناد الضمير إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْنِيَ الْأَرْضَ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أسناد سبحانه الضمير إلى نفسه تعظيمياً لل المسلمين الذين أجرى على أيديهم الانتصار العظيم، وافتتاح البلاد والأقصار، وأن عساكرهم وسراباهم كانت تغزو أرض المشركين، وتأتيها

غالبة عليها، ناقصة من أطراها، فأصله: تأتي جيوش المسلمين، ولكنه أنسد الإتيان إلى نفسه تنويهاً بقدر المجاهدين، وتعظيمًا لما أتوا به من جلائل الأعمال، وناهيك بمن يعمل عملاً ينسبه الله إلى نفسه، ألاً يصح فيه أن يكون مصداقاً لقوله في حديثه: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها» إلى آخر الحديث القدسي !

٣- مبالغات ثلاثة :

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مَسَّهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابٍ رَّيِّنَ لَيَقُولُوكَيْتَلَا﴾
ثلاث مبالغات :

آ- ذكر المس، وهو أقل شيء، بل هو شيء رفيق جداً، فما بالك إذا اثنال عليهم؟ أي: يكفي للدلالة على ذلهم، وهو أن أمرهم، ووهن عزيمتهم أن أقل مس يكفيهم ليذعنوا، ويتطامنوا، ويعلنوا ذلهم وخضوعهم، والإقرار على أنفسهم بأنهم تصاموا وأعرضوا، وقد رمك المتنبي سماء هذه المبالغة، فقال في وصف قوم جبناء:

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

ب- وما في النفحة من معنى القلة والزيارة، يقال: نفتحه الدابة، ونفحه بعطيته.

ج- بناء المرة من النفع، فمصدر المرة يأتي على فعلة، أي: نفحة واحدة لا ثانية لها تكفي لتشتيت أمرهم، وتوهين كيانهم، وتتصدع صفوفهم، فكيف إذا عززت بثانية أو ثالثة؟ .

* الفوائد :

مصدر المرة والهيئة:

مصدر المرة: هو ما يذكر لبيان عدد الفعل وينبئ من الثلاثي المجرد على وزن فعلة - بفتح الفاء، وسكون العين - مثل: وقفت وقفَةً، ووقفتين،

ووقفات، فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء، مثل: أكرمته إكراة، وفرّحته تفريحة، ودرج درجة، لا إن كان المصدر ملحاً في الأصل بالتاء، فيذكر بعده ما يدل على العدد، مثل: رحمة رحمة واحدة، وأقمت إقامة واحدة، واستقامت استقامة واحدة.

أما مصدر النوع، أو الهيئة فهو ما ذكر لبيان نوع الفعل وصفته، نحو: وقفت وقفه، ويُبني من الثلاثي المجرد على وزن فعلاً - بكسر الفاء - مثل عاش عيشةً حسنة، ومات ميّة سيّة، وفلان حسن الجلسة، وفلانة هادئة المشية، فإن كان الفعل فوق الثلاثي يصير مصدره بالوصف مصدر نوع، مثل: أكرمته إكراماً عظيماً.

هذا؛ وهنا تنبية هام نبه عليه الشيخ أبو حيان، وهو: أن هذه التاء الدالة على المرة الواحدة لا تدخل على كل مصدر، بل على المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحس، نحو: قومة، وضربة، وقعدة، وأكلة، وأما مصادر الأفعال الباطنة، والخصال الجليلة الثابتة، نحو: الظرف، والحسن، والجبن، والعلم، فلا يقال من ذلك: علمته علمة، ولا فهمته فهمة، ولا صبرته صبرة.

﴿ وَلَقَدْ عَآتَيْنَا مُوسَى وَهَذُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَّاهَ وَذِكْرًا لِّلْمُقْيَنِ ﴾
 الَّذِينَ
 يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُوْنَ ﴿٦٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مَبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ
 أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُوْنَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدًا مِّنْ قَبْلِ وَكَنَّا بِهِ عَلِمِينَ
 إِذَا قَالَ لِأَيْتَهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْتَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْشَرْتُ لَهَا عَنِّكُفُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آمَّا بَاءَتِهَا
 لَهَا عَيْدِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبْأَوْكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٣﴾ قَالُوا أَحْتَنَا
 بِالْحِقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الْمَعْيَنِ ﴿٧٤﴾

☆ الْفَتْحَةُ:

﴿ الْتَّمَاثِيلُ ﴾: جمع تمثال - بكسر التاء - أي: الصورة المchorة، أو

ما تصنعه وتصوّره مشبهاً بخلق الله من ذات الروح والصورة، وهذا الوزن فيه زائدان: أحدهما: قبل الفاء، والآخر: قبل اللام، وقد جاء اسماً وصفة. فالاسم تمثّل للصورة، ويجمع على تماثيل، وقالوا: تجفاف، وتبيان، فالتجفاف واحد تجأفيـف الفرس، وهو: ما يلبـس عند الحرب والزينة، وتبيـان بمعنىـ البـيان، فـمنـهمـ من يجعلـهـ مصدرـاًـ منـ قـبـيلـ الشـاذـ؛ لأنـ المصـادرـ إنـماـ تـحيـيـ علىـ تـفعـالـ بـالـفـتحـ،ـ نـحـوـ التـلـعـابـ،ـ وـالتـهـدارـ،ـ وـلمـ يـحـيـ بالـكـسرـ إـلاـ تـبـيانـ،ـ وـتـلـقـاءـ،ـ وـسـيـبـويـهـ يـجـعـلـهـمـاـ مـنـ الـأـسـمـاءـ الـتـيـ وـضـعـتـ مـوـضـعـ الـمـصـادـرـ كـالـغـارـةـ وـضـعـتـ مـوـضـعـ الـإـغـارـةـ.ـ وـقـالـ غـيرـ وـاحـدـ مـنـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ:ـ الـتـمـثـالـ هـوـ الـصـورـةـ الـمـصـنـوعـةـ مـنـ رـخـامـ،ـ أـوـ نـحـاسـ،ـ أـوـ خـشـبـ،ـ شـبـهـ بـخـلـقـ الـأـدـمـيـ.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذُكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقـةـ لـلـشـروعـ فـيـ قـصـصـ الـأـنـبـيـاءـ.ـ عـلـيـهـمـ الصـلاـةـ وـالـسـلامـ - تـسلـيةـ لـرـسـولـهـ ﷺـ فـيمـاـ يـكـابـدـهـ مـنـ قـوـمـهـ،ـ وـتـقوـيـةـ لـقـلـبـهـ،ـ وـحـفـزاـ لـاستـدامـتـهـ فـيـ تـأدـيـةـ الرـسـالـةـ،ـ وـذـكـرـ مـنـهـ فـيـ هـذـهـ السـوـرـةـ عـشـرـ قـصـصـ،ـ وـسـتـائـيـ.

واللام جوابـ لـلـقـسـمـ المـحـذـوفـ،ـ وـقـدـ حـرـفـ تـحـقـيقـ،ـ وـأـتـيـناـ فـعـلـ وـفـاعـلـ،ـ وـمـوـسـىـ مـفـعـولـ بـهـ،ـ وـهـارـونـ مـعـطـوـفـ عـلـىـ مـوـسـىـ،ـ وـالـفـرـقـانـ مـفـعـولـ بـهـ ثـانـ،ـ وـضـيـاءـ عـطـفـ عـلـىـ الـفـرـقـانـ،ـ وـذـكـرـاـ عـطـفـ عـلـىـ ضـيـاءـ،ـ وـلـلـمـتـقـينـ مـتـعلـقـانـ بـضـيـاءـ،ـ وـعـطـفـ الـصـفـاتـ جـائزـ،ـ فـهـوـ مـنـ هـذـاـ الـوـادـيـ،ـ وـاخـتـارـ الزـمـخـشـريـ أـنـ يـعـربـ حـالـاـ،ـ وـعـاـمـلـهـ مـحـذـوفـ دـلـلـ عـلـيـهـ مـاـ قـبـلـهـ،ـ وـقـدـرـهـ:ـ وـأـتـيـناـ بـهـ ضـيـاءـ،ـ أـمـاـ مـاـ اـرـتـآـهـ بـعـضـهـمـ مـنـ أـنـ الـوـاوـ زـائـدـةـ،ـ وـضـيـاءـ حـالـ مـنـ الـفـرـقـانـ،ـ فـهـذـاـ مجـرـدـ تـحـكـمـ لـاـ تـرـدـدـ فـيـ رـدـهـ.ـ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ الـذـينـ اـسـمـ مـوـصـولـ فـيـ حـلـ جـرـ صـفـةـ لـلـمـتـقـينـ،ـ وـلـكـ أـنـ تـعـربـهـ خـبـراـ لـمـبـداـ مـحـذـوفـ،ـ أيـ:ـ هـمـ الـذـينـ،ـ وـجـملـةـ يـخـشـونـ صـلـةـ،ـ وـالـوـاوـ فـاعـلـ،ـ وـرـبـهـمـ مـفـعـولـ بـهـ،ـ وـبـالـغـيـبـ حـالـ مـنـ الـفـاعـلـ فـيـ يـخـشـونـ،ـ وـهـمـ الـوـاوـ عـاطـفـةـ،ـ أـوـ حـالـيـةـ،ـ وـهـمـ مـبـداـ،ـ وـمـنـ السـاعـةـ جـارـ وـمـجـرـورـ مـتـعلـقـانـ بـمـشـفـقـوـنـ،ـ وـمـشـفـقـوـنـ خـبـرـهـمـ،ـ

وسيأتي سُؤُل التعبير بالاسمية في باب البلاغة. ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ الواو استثنافية، والجملة مستأنفة خطاب أهل مكة، ومحاورتهم حول القرآن الكريم؛ الذي أنزل بلسانهم، وهذا مبتدأ، وذكر خبر، ومبارك صفة، وجملة أنزلناه صفة لذكر، وهو فعل وفاعل ومفعول به، والهمزة للاستفهام التوبيخي؛ لأنّه خطاب للعرب وهم أهل اللسان العربي، ومعادن الفصاحة، فما أجرهم باكتناه أسرار القرآن، وإدراكه بلاغته، والفاء عاطفة على مخدوف، وأنتم مبتدأ، ولوه متعلقان بمنكرون، ومنكرون خبر أنتم. ﴿ وَلَقَدْ أَئْتَنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدًا مِنْ قَبْلٍ وَتَنَاهَا بِهِ عَنِ الْعِلْمِينَ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المخدوف، وقد حرف تحقيق، وأتينا فعل وفاعل، وإبراهيم مفعول به أول، ورشده مفعول به ثان، ومن قبل حال، أي: من قبل موسى وهارون، وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمهما، وبه متعلقان بعالمين، وعالمين خبر كنا. ﴿ إِذَا قَالَ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْتَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُ هَا عَنْكُمْ فَوْنَاحُ الظَّرْفِ مُتَعْلِقٌ بِفَعْلِ مَخْدُوفٍ ، أَيْ : اذْكُرْ ، وَلَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ بِعَالَمَيْنِ ، وَعَلَقَهُ الرَّمْخَشِرِيُّ بِأَتِينَا . أَوْ بِرَشْدِهِ أَيْضًا ، وَلَيْسَ ثَمَةَ مَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَجَمْلَةُ قَالَ مَضَافٌ إِلَيْهَا الظَّرْفِ ، وَلِأَهْلِهِ مُتَعْلِقٌ بِقَالَ ، وَقَوْمِهِ عَطْفٌ عَلَى لِأَهْلِهِ ، وَمَا اسْتَفْهَامٌ مُبْتَدِأ ، وَهَذِهِ خَبْرٌ ، وَالْتَّمَاثِيلُ بَدْلٌ مِنْ اسْمِ الإِشَارَةِ ، وَالْتِي صَفَةٌ ، وَجَمْلَةُ أَنْتُمْ مَعْاكُفُونَ صَلْةُ الْمَوْصُولِ ، وَأَنْتُمْ مُبْتَدِأ ، وَعَاكُفُونَ خَبْرٌ ، وَلَهَا مُتَعْلِقٌ لَهَا عَاكُفُونَ صَلْةُ الْمَوْصُولِ ، وَعَاكُفُونَ سَرُّ عِدْلِهِ عَنِ الْقَوْلِ «عَلَيْهَا عَاكُفُونَ» إِلَى «لَهَا عَاكُفُونَ» فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ . ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا هَمَّا عَيْدِينَ ﴾ قَالُوا فَعْلٌ وَفَاعِلٌ ، وَوَجَدْنَا فَعْلٌ وَفَاعِلٌ ، وَالْجَمْلَةُ مَقْوُلُ الْقَوْلِ ، وَآبَاءَنَا مَفْعُولٌ وَجَدْنَا الْأَوَّلَ ، وَلَهَا مُتَعْلِقٌ بِعَابِدِينَ ، وَعَابِدِينَ مَفْعُولٌ وَجَدْنَا الثَّانِيَ . ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ اللام جواب للقسم المخدوف، وقد حرف تحقيق، وكتنم كان واسمهما، وأنتم تأكيد للباء، وآباوكم عطف على الباء، وفي ضلال خبر كتنم، ومبين صفة لضلال. ﴿ قَالُوا أَجْهَنَّنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنَّ مِنَ الْلَّاعِينَ ﴾ الهمزة للاستفهام، وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق

متعلقان بجئتنا، وأم حرف عطف معادل للهمزة، وأنت مبتدأ، ومن اللاعبين خبره.

□ البلاغة:

١ - العدول عن الفعلية إلى الاسمية: في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفَقُونَ﴾ عدول عن الخطاب بالجملة الفعلية، كما هو مقتضى السياق إلى الخطاب بالجملة الاسمية، وإنما يعدل عن أحد الخطابين - وإن كان السياق يقتضيه - لضرب من التأكيد والبالغة، وقد جيء بها هنا تنويهاً بالخاص بعد العام، فالخشية من الله ملازمة لهم، ولكنها من الساعة أكثر ملازمة، وأشد امتلاكاً لقلوبهم، وأسرأً لجوارحهم، ما يريمون عن تذكرة، وتفادي كل ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه، وأمر ثان هو: الديومة، والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزع على الأزمنة.

٢ - في قوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ الْتَّمَاثِيلُ أَتَقْرَأُ لَهَا عَنِّكُفُونَ﴾؟ عدول عن «على» التي يتعدى فعل العكوف بها، ولكنه لم يقصد التعدية، ولو قصد التعدية لقال عليها، ولكنه عدل عنها إلى اللام؛ لأنّه قصد من العكوف معنى العبادة ليجيئه بقولهم: ﴿وَجَدَنَا إِبَاءَنَا لَهَا عَيْدِينَ﴾ وأنّهم لا ينكفون عن التقليد الأعمى، وفي ذلك ما فيه من التنديد بالتقليد، والقول بغير برهان، والانجرار إلى ما عليه آباءِهم ولو بالأرسان، وكفى أهل التقليد سبة أن عبده الأوّثان والأصنام منهم، وقيل: إن اللام بمعنى على، وقد نصّ النحاة على مجئها بمعنى على، ولكن تفوت بذلك النكتة التي أمعنا إليها، فالأولى بقاوئها على باهها من الاختصاص؛ الذي هو معنى رئيسي للأم.

٣ - خوف بين الجملتين في الآية: ﴿قَالُوا أَحِبْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الْأَعْبَرِ﴾ للاحظة تجدد في إدحاهما، فبرزت في صورة الفعلية، وثبات في الأخرى، فبرزت في صورة الاسمية، والمعنى: أحذثت عندنا الإتيان بالحق، وهو

التوحيد، فيما نسمعه منك، ألم أنت على ما كنت عليه من اللعب منذ أيام الصبا، وأرادوا بالتجدد في الجملة الأولى: أن التوحيد أمر محدث خنزع، وبالثبات في الثانية أنه على عادتهم المستمرة من اللعب تحفيزاً له، وما أصبح ضلالهم في تقليد آباءهم في عبادة جماد هو دونهم في الرتبة، حيث ينحتونها بأيديهم، ثم يعفرون وجوههم وجباهم دونها.

﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَإِنَّا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَتَالَّهُ لَا كَيْدَنَ أَصْنَمُكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُؤْمِنَ ۝ فَجَعَلْتُهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَيْرًا لَمْ يَعْلَمُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَنِّيَّا إِنَّهُ لِمَنِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا فَقَيْدَكُرُومْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالُوا فَأَتَوْ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشَهُدُونَ ۝ ۱۱﴾

☆ المُخْتَلِفُونَ ☆

﴿ جُذَادًا ﴾ في القاموس: الجذاد بتشليث الجيم: ما تكسّر من شيء، و فعله: جذّ يجذّ، من باب: نصر، وقد تقدمت الخصائص لاجتماع الجيم والذال فاء وعيناً للكلمة.

○ الإِكْرَابُ:

﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَإِنَّا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ بل حرف إضراب، وربكم مبتدأ، ورب السموات والأرض خبر، والذي صفة لرب، وجملة فطرهن صلة، والضمير يعود على السموات والأرض، أو على التمايل، ورجح الزمخشري الثاني لكونه: «أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم» ويدل على ذلك أيضاً قوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ كأنه قال: وسأين لكم ذلك، وأبرهن عليه، وأنا مبتدأ، خبره من الشاهدين، وعلى ذلك متعلقان بالشاهدين. ﴿ وَتَالَّهُ

لَأَكِيدَنَ أَصْنَمُكُ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ》 وهذا شروع في تأكيد الطريقة الفعلية، أو الدليل العملي كما يقال، فاللواو عاطفة، والتاء تاء القسم، وسيرد بحث هام عن حروف القسم الجارة في باب الفوائد، والجهاز وال مجرور متعلقان بفعل محدوف تقديره: أقسام، واللام جواب القسم، وأكيدن فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنا، وأصنامكم مفعول به، وبعد ظرف متعلق بأكيدن، وأنا وما في حيزها مصدر مؤول مضارف إلى الظرف، ومدبرين حال، أي: تعودوا إلى مجتمعاتكم. 《فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَيْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ》 الفاء عاطفة على محدوف تقديره: فولوا، وعادوا إلى مجتمعاتهم، وذهب معهم إبراهيم، فلما كان بعض الطريق ألقى بنفسه، وقال: إني سقيم، وأشتكي رجلي، فتركوه، ومضوا، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام، وقبالة الباب صنم عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا دواليك، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم ينبعس أحد، فانهال عليهم تكسيراً فجعلهم . . . والقصة بكاملها مروية في الخازن، وغيره. يجعلهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، وجذاذاً مفعول به ثان، وإلا أدلة استثناء؛ لأن الكلام تام موجب، وكثيراً مستثنى من الهاء، أي: لم يكسره وتركه لحبك النكتة واستكمال الهزء بهم، ولعل واسمها، وإليه متعلقان بيرجعون، وجملة يرجعون خبر لعل، وفي هذا من التهكم ما فيه. 《قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّا لَهُتَّا إِنَّهُ لِئِنْ الظَّالِمِينَ》 قالوا فعل وفاعل، ومن اسم استفهام قصد به الإنكار مبتدأ، وجملة فعل خبر، وهذا مفعول فعل، وبالهتنا متعلقان بفعل، ولم يشيروا إليها بهؤلاء، وهي أمامهم لوضع الظاهر موضع الضمير، وقد تقدم بحثه، وجملة إنه لمن الظالمين مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدم، وتؤكد استنكارهم لما حدث، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن الظالمين خبر إن. 《قَالُوا سَمِعْنَا فَيَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ》 جملة سمعنا مقول القول، وفتى مفعول سمعنا، وجملة يذكرهم يذكرهم مفعول به ثان، وستأتي خاصة فعل سمع في باب الفوائد، وجملة يقال

صفة لفتى، وله متعلقان بيكال، وإبراهيم: في رفعه عدة أوجه متساوية
الرجحان:

أولها: أنه نائب فاعل يقال: أي: يقال له هذا اللفظ، قال الزمخشري:
وهو الصحيح؛ لأن المراد الاسم لا المسمى.

وثانيها: أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو إبراهيم، أو: هذا إبراهيم.

وثالثها: أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: إبراهيم فاعل ذلك.

ورابعها: أنه منادي، وحرف النداء محذوف، أي: يا إبراهيم.

﴿قَالُوا فَأَتُوا يَهُ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشَهِدُونَ﴾ فائتوا: الفاء الفصيحة،
وائتوا فعل أمر مبني على حذف التون، والواو فاعل، وبه متعلقان بقوله
فائتوا، وعلى أعين الناس في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء،
أي: ائتوا به حال كونه معايناً مشاهداً، وسيأتي سر الاستعلاء في هذا التعير،
ولعلهم لعل واسمها، وجملة يشهدون خبراً، أي: يشهدون عليه أنه
الفاعل.

* الفوائد:

في هذه الآيات فوائد كثيرة، نورد أهمها فيما يلي:

١ - حروف القسم: أصل حروف القسم: الباء، والواو مبدلته منها،
 وإنما قلنا ذلك؛ لأنها حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف إلى المحلوف،
وذلك الفعل أحلف، أو أقسم، أو: نحوهما، ولكن لما كان الفعل غير متعدد
وصلوه بالباء المعدية، فصار أحلف بالله، أو أقسم بالله، قال الله تعالى:
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِ﴾، وقال الشاعر:

أَقْسَمْ بِاللَّهِ وَالْأَئِمَّهِ وَالمرءُ عَمَّا قَالَ مَسْؤُول

وقال زهير بن أبي سلمى:

فأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهِ

رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرْيَشٍ وَجُرْهُمْ

ولإنما خص الباء بذلك دون غيره من حروف الجر لأمور:

آ- أنه يجوز ذكر فعل القسم معها كما رأيت في الشواهد المتقدمة، ولا يجوز ذلك في الواو والباء، فلا تقول: أقسم والله، ولا أقسم بالله.

ب- جواز دخولها على الضمير دون غيرها من الحروف، تقول: بك لأفعلن، ولا تقول: تك، ولا لك، والمعروف أن الضمير يرد الشيء إلى أصله.

ج- استعمالها في القسم الاستعطافي، وذلك أن القسم جملة إنشائية يقصد بها تأكيد جملة أخرى، فإن كانت هذه الجملة الأخرى إنشائية أيضاً، فذلك هو القسم الاستعطافي، نحو: بالله هل قام زيد؟ أي: أسألك بالله مستحلفاً. ومن القسم الاستعطافي بالباء قول المجنون:

برِّيْكَ هَلْ ضَمَّمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبْيَلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتَ فَاها؟

د- اختصاص الباء دون الواو والباء بمجملتها لغير القسم، وهو ظاهر.

ولما كثر استعمال ذلك في الحلف آثروا التخفيف، فحذفوا الفعل من اللفظ، وهو مراد لتعليق حرف الجر به، ثم أبدلوا الواو من الباء توسيعاً في اللغة، ولأنها أخف لأن الواو أخف من الباء، وحركتها أخف من حركة الباء، وإنما خصوا الواو بذلك لأمرين:

آ- أنها من مخرج الباء، أي: من الشفتين.

ب- من جهة المعنى، وذلك أن الباء معناها الإلصاق والواو، معناها: الاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه.

وأما التاء فهي مبدلة من الواو لأنه قد كثر إبدالها في نحو: تكأة، وتراث، وتختمة لشبهها من جهة اتساع المخرج، وهي من الحروف المهموسة، فناسب همسها لين حروف اللين، ولما كانت الواو بدلاً من الباء، والبدل ينحط عن درجة الأصل؛ فلذلك لا تدخل إلا على كل ظاهر، ولا تدخل على المضمر؛ لانحطاط الفرع عن درجة الأصل؛ لأنه من المرتبة الثانية، والتاء لما كانت بدلاً

من الواو، وكانت من المرتبة الثالثة، انحطت عن درجة الواو، فاختصت باسم الله تعالى لكترة الحلف به، وقد يكون فيها معنى التعجب، قال الله تعالى: ﴿ تَعَالَى اللَّهُ تَفَقَّدَ تَذَكَّرُ يُوسُفُ ﴾ على طريق التعجب، وكالآية التي نحن بصددها، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأنيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقوطاً منه، أو مشكوكاً فيه على الأقل لتعذرها، وصعوبتها.

٢ - خصائص فعل سمع:

لهذا الفعل خصائص عجيبة، وذلك أنه إذا دخل على ما لا يسمع تعدى لاثنين كما في الآية الكريمة، فالمفعول الأول فتى، والثاني يذكرهم، بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع، كأن قلت: سمعت كلام زيد فإنها تتعدى لواحد.

٣ - معنى الاستعلاء:

معنى الاستعلاء: العلو، فالسين والتاء للعلو لا للطلب، ويكون الاستعلاء على نوعين حقيقي، نحو: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلَكِ تَحْمِلُونَ ﴾ ومجازي نحو: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ شبه التمكّن من الهدي، والأخلاق العظيمة الشريفة، والثبوت عليها بمن على دابة يصرفها كيف شاء، وكذلك قولهم: عليه دين؛ كأن شيئاً اعتقد، وكما في قوله: ﴿ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي: يثبت إتيانه في الأعين، ويتمكن منها ثبات الراكب على المركوب، وملكه منه.

﴿ قَالُوا إِنَّا فَعَلْتَ هَذَا إِنَّا يَاهِنَّا يَتَابُرْهِيمَ ٦١ قَالَ بَلْ فَعَلْتُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ٦٢ فَرَجَعُوا إِلَيْنَا أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ٦٣ ثُمَّ تُكْسُوُا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ٦٤ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعُلُ كُمْ شَيْئاً وَلَا

يَضْرُّكُمْ لَاۤ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ كَمِنْ دُونَ اللَّهِ أَفْلَأَ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرَفُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَنَعْلِمُنَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْنَارٌ كُوْنِي بَرَدًا وَسَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا إِلَيْهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

○ الإعراب:

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَرَبَتِنَا يَتَابِرَاهِيمُ﴾ الهمزة للاستفهام، وأنت مبتدأ، وجملة فعلت خبر، وهذا مفعول به، وبالهربتنا متعلقان بفعلت، ويا حرف نداء، وإبراهيم منادي مفرد علم مبني على الضم في محل نصب منادي. ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْرُهُمْ هَذَا فَشَاعُوكُمْ إِنْ كَانُوكُمْ يَنْطَقُونَ﴾ بل حرف إضراب، و فعله كبيرهم فعل ومفعول به وفاعل مؤخر، وهذا نعت ل الكبيرهم ، أو بدل منه ، والفاء الفصيحة ، وسائلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وإن شرطية ، وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والواو اسمها ، وجملة ينتظرون خبرها ، وجواب الشرط محدوف دل عليه ما قبله ، أي : فسائلوهم . ﴿فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الفاء عاطفة ، ورجعوا فعل ماض وفاعل ، وإلى أنفسهم متعلقان برجعوا ، فقالوا عطف على فرجعوا ، وإنكم إن واسمها ، وجملة أنتم الظالمون خبرها ، ولنك أن يجعل أنتم ضمير فصل ، والظالمون خبر إن ﴿ثُمَّ نِكْسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا هَذُلَّةٌ يَنْطَقُونَ﴾ ثم حرف عطف للتراخي ، وسيأتي معنى التنكيس في باب البلاغة ، ونكروا فعل ونائب فاعل ، وعلى رؤوسهم حال ، أي : كائين على رؤوسهم ، ولنك أن تعلقه بنفس الفعل ، ومعنى التنكيس : القلب ، يقال : نكس رأسه ونكسه ، خففاً ومشدداً ، أي : طأطأه حتى صار أعلىه أسفله ، واللام جواب للقسم المحدوف ، وقد حرف تحقيق ، وعلمت فعل وفاعل ، والخطاب لإبراهيم ، والجملة معمول لقول محدوف في موضع الحال ، وما نافية حجازية ، وهؤلاء اسمها ، وجملة ينتظرون خبرها ، وجملة ما هؤلاء ينتظرون في موضع المفعولين لعلمت ، أو في موضع المفعول الواحد إن كانت

علمت بمعنى عرفت. ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكارى، والفاء عاطفة على مذوف، وتبعدون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومن دون الله حال، وما مفعول به، وجملة لا ينفعكم صلة، وشيئاً مفعول مطلق، ولا يضركم عطف على لا ينفعكم. ﴿ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْلًا تَعْقِلُونَ ﴾ أَفْ اسم فعل مضارع، وقد تقدمت اللغات فيها، ومعناه: أتضجر، ولكم متعلقان بمذوف حال؛ لأن اللام للبيان بالنسبة للمتافق، ولما تبعدون عطف على لكم، وجملة تبعدون صلة، ومن دون الله حال، أَفْلَا: الهمزة للاستفهام الإنكارى، والفاء عاطفة على مذوف، ولا نافية، وتعقلون فعل مضارع، والواو فاعل. ﴿ قَالُوا حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ حرقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة مقول القول، وانصروا فاعل أمر وفاعل، وألهتم مفعول به، وإن شرطية، وكتنم فعل الشرط، والتاء: اسم كان، وفاعلين خبرها، وجواب إن مذوف دل عليه ما قبله، أي: فحرقوه، وانصروا آلهتكم. ﴿ قُلْنَا يَنْنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَنَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ لابد من تقدير جمل مذوفة، أي: فأزمعوا أمرهم على حرقه، فجمعوا الحطب الكثير، وأضرموا النار، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق، ورموه في النار، وقلنا فعل وفاعل، ويا حرف نداء، ونار منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، وكوني فعل أمر ناقص، والباء اسمها، وبرداً خبرها، وسلماماً عطف على برداً، وعلى إبراهيم صفة سلاماً. ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ أَلْأَخْسَرِينَ ﴾ الواو حرف عطف، وأرادوا فعل ماض وفاعل، وبه متعلقان بأرادوا، وكيداً مفعول به، فجعلناهم: الفاء حرف عطف، وجعلناهم عطف على أرادوا، والأخسرین مفعول به ثان.

□ البلاغة:

- تجاهل العارف: في قوله: ﴿ إِنَّا فَعَلْتَ هَذَا إِنَّا هَبَّنَا يَتَابَإِبْرَاهِيمُ ﴾ فن طريف من فنونهم يسمى: «تجاهل العارف» وهو سؤال المتكلم عما يعلمه

حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج الكلام مخرج المدح، أو الذم، أو يدل على شدة الوله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير، وهو على قسمين: موجب، ومنفي، والآية التي نحن بصددها من التجاهل الموجب، الجاري بجري التقرير.

٢- التعریض: في قوله: ﴿فَشَوَّهُمْ إِن كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ فن التعریض، وقد تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبيّن لهم أن من لا يتكلّم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله، فأخرج الكلام مخرج التعریض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بالله؛ لأنهم إذا قالوا لا ينطقون قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمهم الحجة، ويعترف بالحق؛ فإن ذلك أقطع لشبهته، وأدفع لمكابرته.

﴿ وَبَخِّسَنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَّكَنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ١٦١ وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَلَاحِينَ ١٦٢ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَلِيَسَاءَ الرَّكُوْنَةُ وَكَانُوا لَنَا عَبْدِينَ ١٦٣ وَلُوطًا إِلَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَخِّسَنَهُ مِنَ الْقَرْبَيْةِ الَّتِي كَانَ تَعْمَلُ الْمُغْتَبِثُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءًا فَنَسِيقِينَ ١٦٤ وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الْصَّالِحِينَ ١٦٥﴾

○ الإِكْرَاب:

﴿ وَبَخِّسَنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَّكَنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ١٦١﴾ الواو عاطفة، ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به، ولوطاً معطوف على الهاء، أو مفعول معه، والواو واو المعية، وهو ابن أخيه، فنقلناه من أرض نمرود بالعراق، إلى

الأرض متعلقان بنجيناه، أو بمحذوف حال، والتي صفة للأرض، وجملة باركنا فيها للعالمين صلة، وفيها حال، وللعالمين متعلقان بباركنا، وهي قرى بيت المقدس بفلسطين، وسيأتي بحث هام عن فلسطين لغة في باب الفوائد.

﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَلَاحِينَ﴾ الواو حرف عطف، ووهبنا فعل وفاعل، وله متعلقان بوهبنا، وإسحاق مفعول به، ويعقوب عطف على إسحاق، ونافلة حال من يعقوب، أي: أعطي يعقوب زيادة من غير سؤال، وإذا جعلت معنى نافلة عطية، فيكون انتصارها على المفعولة المطلقة من معنى العامل، وهو ووهبنا؛ لأن الهبة والعطية متقاربان في المعنى، وكلاً مفعول أول بجعلنا مقدم، وجعلنا فعل وفاعل، وصالحين مفعول به ثان. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به، وأئمة مفعول به ثان، وجملة يهدون بأمرنا صفة لأئمة، وبأمرنا حال، أي: يهدون إلى ديننا متلبسين بأمرنا. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوْنَةِ وَكَانُوا لَنَا عَبْدِينَ﴾ وأوحينا عطف إلى ما تقدم، وإليهم متعلقان بأوحينا، وفعل الخيرات مفعول به، وإقام الصلاة عطف على فعل الخيرات، وكذلك إيتاء الزكوة، وكانوا: الواو عاطفة، وكانوا كأن واسمها، وعابدين خبرها، ولنا متعلقان بعابدين. ﴿وَلَوْطًا أَئِنَّهُ حُكْمًا وَعَلِمًا﴾ ولوطاً منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: آتينا لوطاً، فهو من باب الاستعمال، وجملة آتيناه مفسرة لا محل لها، وحكمـاً مفعول ثان لآتيناه، وعلمـاً معطوف على حكمـاً. ﴿وَجَعَيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعَمَّلُ الْجَبَّائِيْتَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سُوءَ فَسِقِيْنَ﴾ ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن القرية متعلقان بنجيناه، والتي صفة للقرية، وجملة كانت صلة، واسم كانت ضمير مستتر تقديره: هي، وجملة تعمل الخبائث خبر كانت، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وقوم خبر كانوا، وسوء مضاف لقوم، وفاسقين صفة لقوم. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾ في رحمتنا متعلقان بأدخلناه، وجملة إنه من الصالحين تعليلية، وإن واسمها، والجار والمجرور خبرها.

البلاغة: □

في هذه الآيات مجازان:

الأول في قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ قَرِئَ الْقُرْآنَ كَانَ تَعْمَلُ الْخَيْثِيْثُ» والمراد: أهلها؛ لأنهم كانوا يمارسون الخياث، أي: الأعمال القبيحة من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، وغيرها.

والثاني في قوله: ﴿وَادْخُنَّهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في جنتنا؛ لأنها مكان الرحمة، فهو مجاز مرسل علاقته محلية.

الفوائد:

۱ - فلسطین:

فلسطين - بفتح الفاء وكسرها - مع فتح اللام لا غير : قرى بيت المقدس .
وفي القاموس : « فلسطين و فلسطين ، وقد تفتح فاؤهما : كورة بالشام ، وقرية
بالعراق ، تقول في حال الرفع بالواو ، وفي حال النصب والجر بالياء ، أو
تلزمها الياء في كل حال ، والنسبة فلسطي » هذا ، ويجوز في هذا النوع ، أي :
السمى بجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات الثلاثة ظاهرة على التون ، حال
كونه لم يكن أعجمياً ، وإن كان أعجمياً أعراب إعراب ما لا ينصرف ، أي :
لا ينون ، ويحير بالفتحة ، ويجوز فيه أن يعرب إعراب جمع المذكر السالم .

٢ - إقام الصلاة وإيتاء الزكاة:

﴿وَإِقَامَ الْمَسَلَةِ وَإِيَّاتَهُ الزَّكُورُ﴾ القاعدة في مصدر الفعل الرباعي على وزن أفعال أن يأتي على إفعال، إن كان صحيح العين، نحو: أكرم إكراماً، وأوجد إيجاداً، فإن اعتلت عينه، نحو: أقام، وأعان، وأبان، جاء مصدره على إفالة كإقامة، وإعانا، وإيانة، حذفت عين المصدر، وعواض منها تاء التأنيث، والأصل: إقوام، وإعونان، وإبيان، فنقلت حركة الواو والياء وهي الفتحة - إلى الحرف الساكن قبلهما، ثم حذفنا فراراً من اجتماع

الساكين، وعوض منها التاء، وقد تجذب هذه التاء من المصدر إذا أضيف، كقوله تعالى ﴿وَلِقَامَ الْمَسْلُوَةَ وَإِيتَاءَ الْزَّكُوْةَ﴾ وما كان منه معتل اللام مثل: أعطى، وأهدى، وأولى، قلبت لامه في المصدر همزة، مثل: إعطاء، وإهداه، وإيلاه، والأصل إعطاؤ، وإهداي، وإيلاه. قال في شرح القاموس: «العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف؛ لأن الهمزة أحمل للحركة منهما، ولأنهم يستقلون الوقف على الواو، وكذلك الياء مثل الرداء، أصله: ردأي» هذا؛ ويرجع في هذا إلى بحث الإبدال في كتب النحو المطولة.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَعَلْنَاهُ وَهَلَّهُ مِنْ
الْكَرِبِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِيَأْيَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا سَوِيعًا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ وَدَآوَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُانَ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَّشَتْ فِيهِ غَنْمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ ﴿٨﴾ فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ
وَكُلَّاًءَ أَلَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَآوَدَ الْجِبَالَ يُسَيِّحُنَّ وَالظَّيرَ وَكُنَّا
فَعِيلِينَ ﴿٩﴾ وَعَلِمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوْسِ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَتَمْ
شَلِكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَسُلَيْمَانَ الرَّبِيعَ عَاصِفَةَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا وَكُنَّا
يُكْلُ شَيْئًا عَلَيْمِينَ ﴿١١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِينَ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿١٢﴾

☆ **اللغة:**

﴿الْحَرْث﴾ الزرع، وبابه: نصر، أو: كتب، كما في المختار، وفي القاموس: الحرت مصدر، والأرض التي تستنبت بالبذور، والنوى، والغرس. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الحرت كان كرماً قد تدللت عناقيده، وقيل: كان زرعاً.

﴿نَفَّاثَتْ﴾ تفرقت، وانتشرت فيه، فرعون، وأفسدته. وفي المختار: «نفاثة الغنم والإبل»، أي: رعت ليلاً بلا راع، من باب: جلس... والنفاث - بفتحتين - اسم منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَّاثَتْ فِيهِ غَنْمٌ الْقَوْمُ﴾ ولا يكون النفاث إلا بالليل» ونفاث الصوف والقطن، من باب: نصر، والنفاث: تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر.

﴿لَبُوْسِ﴾: اللبوس: اللباس. قال: «البس لكل حال لبوسها» والمراد: الدرع. قال قادة: كانت صفائح، فأول من سردها وخلقها داود، فجمعت الخفة والتحصين، وهي المسماة بالدرع، والدرع - كما في المختار - مؤنة، وقال أبو عبيدة: تؤثر وتذكر.

○ الإعراب:

﴿وَنَوْحًا إِذْ نَكَدَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَمَهُ مِنَ الْكَرَبِ الْعَظِيمِ﴾ ونوحًا عطف على لوطاً، فيكون مشتركاً معه في عامله؛ الذي هو آتينا المفسر بآتينا الظاهر، وكذلك داود وسليمان، والتقدير: ونوحًا آتيناه حكماً، وداود وسليمان آتيناهم حكماً، فإذا بدل اشتغال من نوحًا وداود وسليمان، وذلك أن تعرية مفعولاً به لفعل مخدوف، أي: واذكر نوحًا وداود وسليمان، أي: اذكري خبرهم وقصتهم، فتكون إذ منصوبة بنفس المضاف المقدر، أي: خبرهم الواقع في وقت كذا، وجملة نادي مضاف إليها، ومن قبل متعلقان بنادي، فاستجبنا عطف على نادي، وله متعلقان باستجينا، فنجينا عطف على استجينا ومن الكرب متعلقان بنجينا، والعظيم صفة. ﴿وَنَصَرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِثْنَيْنِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءًا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ونصرناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن القوم متعلقان بنصرناه، والذين صفة للقوم، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، وإن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها، وقوم سوء خبر كانوا، فأغرقناهم عطف على ما تقدم، وأجمعين تأكيد للهاء. ﴿وَدَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَّاثَتْ فِيهِ غَنْمٌ الْقَوْمُ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ﴾ وداود وسليمان تقدم إعراضهما، وإذ

ظرف بدل من المضاف المحذوف، أي: اذكر قصة داود وسليمان، وجملة يحكمان مضافة إليها، وفي الحرف متعلقان بـيـحـكـمـانـ، وإـذـ ظـرـفـ مـتـعـلـقـ بـدـلـ منـ المـضـافـ المـحـذـوفـ، وـجـمـلـةـ نـفـشـتـ مـضـافـ إـلـيـهـ، وـفـيـهـ جـارـ وـمـجـرـورـ مـتـعـلـقـانـ بـنـفـشـتـ، وـغـنـمـ الـقـوـمـ فـاعـلـ، وـسـتـأـيـ خـلاـصـةـ الـقـصـةـ فيـ بـابـ الـفـوـائـدـ. وـكـنـاـ: الـوـاـوـ عـاطـفـةـ، وـكـانـ وـاسـمـهـاـ، وـشـاهـدـيـنـ خـبـرـهـاـ، وـلـحـكـمـهـمـ مـتـعـلـقـانـ بـشـاهـدـيـنـ، وـجـمـعـ الـضـمـيرـ لـأـنـ أـرـادـهـمـاـ وـالـمـتـحـاـكـمـيـنـ إـلـيـهـمـاـ، أـوـ أـنـ ضـمـيرـ يـرـادـ بـهـ الـثـنـيـةـ، وـإـنـماـ وـقـعـ الـجـمـعـ مـقـامـ الـثـنـيـةـ مـجـازـاـ، أـوـ: لـأـنـ التـشـيـةـ جـمـعـ، وـأـقـلـ الـجـمـعـ اـثـنـانـ، وـيـدـلـ عـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ التـشـيـةـ قـرـاءـةـ اـبـنـ عـبـاسـ لـحـكـمـهـمـ بـصـيـغـةـ الـثـنـيـةـ. ﴿فَفَهَمْنَاهُ سُلَيْمَانَ وَكَلَّا إِلَيْنَا حَكَمًا وَعِلْمًا﴾ فـهـمـنـاـهـاـ عـطـفـ عـلـىـ يـحـكـمـانـ؛ لـأـنـهـ بـمـعـنـيـ الـمـاضـيـ، أيـ: فـهـمـنـاـهـ الصـوـابـ فـيـهـاـ، وـفـهـمـنـاـهـاـ فـعـلـ وـفـاعـلـ وـمـفـعـولـ بـهـ، وـسـلـيـمـانـ مـفـعـولـ بـهـ ثـانـ، وـكـلـاـ مـفـعـولـ أـوـلـ مـقـدـمـ لـأـتـيـنـاـ، وـحـكـمـاـ وـعـلـمـاـ مـفـعـولـ بـهـ ثـانـ لـأـتـيـنـاـ. ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالَ يُسَيِّحَنَ وَالْطَّيْرَ وَكَنَّا فَلَعِلِيَنَ﴾ وـسـخـرـنـاـ فـعـلـ وـفـاعـلـ، وـمـعـ ظـرـفـ مـكـانـ مـتـعـلـقـ بـسـخـرـنـاـ، وـدـاـوـدـ مـضـافـ إـلـيـهـ، وـالـجـبـالـ مـفـعـولـ بـهـ، وـجـمـلـةـ يـسـبـحـنـ حـالـيـةـ مـنـ الـجـبـالـ، أيـ: مـسـبـحةـ، وـيـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ مـسـتـأـنـفـةـ، وـالـطـيـرـ عـطـفـ عـلـىـ الـجـبـالـ، أـوـ مـفـعـولـ مـعـهـ، وـكـنـاـ الـوـاـوـ عـاطـفـةـ، وـكـانـ وـاسـمـهـاـ، وـفـاعـلـيـنـ خـبـرـهـاـ. ﴿وَعَمَّنْ لَهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَ كُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَتْمُ شَكُرُونَ﴾ وـعـلـمـنـاـهـ عـطـفـ عـلـىـ مـاـ تـقـدـمـ، وـعـلـمـنـاـهـ فـعـلـ وـفـاعـلـ وـمـفـعـولـ بـهـ، وـصـنـعـةـ مـفـعـولـ ثـانـ لـعـلـمـنـاـ، وـلـبـوـسـ مـضـافـ، وـلـكـمـ يـجـوزـ أـنـ تـعـلـقـ بـمـحـذـوفـ صـفـةـ لـلـبـوـسـ، فـالـلـامـ لـلـتـمـلـيـكـ، وـيـجـوزـ أـنـ تـعـلـقـ بـعـلـمـنـاـ، فـتـكـوـنـ الـلـامـ لـلـتـعـلـيلـ، وـعـلـىـ هـذـاـ يـكـوـنـ قـوـلـهـ ﴿لِتُحْصِنَ كُمْ﴾ بـدـلـاـ بـأـعـادـةـ الـلـامـ، أيـ: لـكـمـ وـلـاـ حـصـانـكـمـ، وـعـلـىـ الـوـجـهـ الـأـوـلـ يـتـعـلـقـ قـوـلـهـ ﴿لِتُحْصِنَ كُمْ﴾ بـعـلـمـنـاـ، وـلـتـحـصـنـكـمـ: الـلـامـ لـلـتـعـلـيلـ، وـلـتـحـصـنـكـمـ فـعـلـ مـضـارـعـ مـنـصـوبـ بـأـنـ مـضـمـرـةـ بـعـدـ لـامـ التـعـلـيلـ، وـالـفـاعـلـ مـسـتـرـ تـقـدـيرـهـ، هـيـ، وـالـكـافـ مـفـعـولـ بـهـ، وـمـنـ بـأـسـكـمـ مـتـعـلـقـانـ بـتـحـصـنـكـمـ، وـالـفـاءـ اـسـتـئـنـافـيـةـ، وـأـتـمـ مـبـدـأـ، وـشـاكـرـونـ خـبـرـ. ﴿وَلِسَيْمَانَ الْيَمَّ عَاصِفَةَ تَهْرِي يَأْمُرُونَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا﴾ الـوـاـوـ عـاطـفـةـ، وـلـسـلـيـمـانـ مـتـعـلـقـانـ بـفـعـلـ مـحـذـوفـ تـقـدـيرـهـ: سـخـرـنـاـ،

والريح مفعول به للفعل المحدود المفهوم من قوله تعالى: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالَ» وعاصفة حال، وجملة تجري بأمره حال ثانية، وإلى الأرض متعلقان بتجري، والتي صفة، وجملة باركنا فيها صلة. «وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمِينَ» الواو عاطفة، وكنا: كان واسمها، وبكل شيء متعلقان بعالمين، وعالمين خبرها. «وَرَأَى الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ» ومن الشياطين خبر مقدم، ومن يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة مبتدأ مؤخر، ذلك أن تعطفها نسقاً على الريح، وجملة يغوصون صلة أو صفة، وجع الضمير حلاً على معنى من، وحسن ذلك تقدم جمع ما قبله، وله متعلقان بيعوصون. «وَيَعْمَلُونَ كُلَّا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ» ويعلمون عطف على يغوصون، وعملاً مفعوله به، أو مفعول مطلق، دون ظرف متعلق بمحدود صفة، وذلك مضاف إليه، وكنا: كان واسمها، وحافظين خبرها، ولهم متعلقان بحافظين.

□ البلاخة:

في قوله تعالى: «وَدَاؤِدَ وَسُلَيْمَانٌ إِذْ يَحْكَمُانِ فِي الْحَرْثِ». . . الخ فن جع المختلف والمختلف، وهو عبارة عن: أن يريد المتكلم التسوية بين مدوحين، فيأتي بمعانٍ موقعة في مدحهما، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تختلف معاني التسوية، وقبل أن نتحدث عن الآية نورد أبياتاً للخنساء، توضح هذا الفن بجلاء نظمتها في أخيها صخر، وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد، فقالت:

يَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ الْحُضْرِ صَقْرَانِ قَدْ حَطَّا إِلَى وَكْرِ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرَ بِالْعُذْرِ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ: لَا أَدْرِي وَمَضَى عَلَى غَلُوَائِهِ يَجْرِي	جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهُما وَهُما وَقَدْ بَرَزا كَائِنَهُما حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ أَيَّهُما؟ بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِ وَالدَّهِ
---	--

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السنن والكبير

فلتتكلم الآن على الآية والأبيات معاً لتتضاح لك حقيقة هذا الفن العجيب: ففي الآية ساوي أول الآية بين داود وسليمان - عليهما السلام - في أهلية الحكم، ثم رجح آخرها سليمان حيث يقول: «فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ» وحصل الالتفات إلى مراعاة السياق، فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التي يرجح بها سليمان لترشد إلى المساواة في الفضل؛ لتكون فضيلة السن، وما يستتبعها من وفرة التجارب، وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة؛ التي رجح بها سليمان في الحكم، أما معنى شعر الخنساء فإيمانها بعد قولها في المساواة:

وهمَا وَقَدْ بَرَزَا كَائِنَهُمَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّا إِلَى وَكْرِ

وبعد قولها فيها أيضاً:

حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَرَّأْتُ هُنَاكَ الْعُذْرَ بِالْعُذْرِ

تريد: أن عذر اللجم لرّ بعضها بعضاً، والعذر جمع عذر، وهو: السير الذي يكون على خدّ الدابة من اللجام، وهذا يدلّ على المساواة في العدو، ثم قالت في ترجيح الوالد:

بِرَقْتُ صَحِيفَةً وَجَهِ الْوَالِدِ وَمَضَى عَلَى غَلُوَائِهِ يَجْرِي

تعني: أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيله سبقاً.

ثم قالت في إلحاق الولد بالوالد في الفضل:

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السنن والكبير

تريد: أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد، لولا ما التزمه من الأدب مع بر أبيه، ومعرفته بحقه، فغض من عنانه، وخفض جناح فضله؛ ليؤثر أباه بالفضل على نفسه.

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم، وشركت بينهما فيه حيث قالت: «إِذْ يَحْكُمُنَّ فِي الْحُرْثِ» وأخبرت أن الله سبحانه

فهم سليمان إصابة الحكم ، ففضل أبياه بذلك بعد المساواة ، ثم التفت سبحانه إلى مراعاة حق الوالد ، فقال : ﴿وَكُلَّا إِثْنَانِ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فرجعاً بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان لعلم الولد بذلك بــوالد ، ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام ، وقال : من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الإخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة ، فحصلت المساواة ، وحصل في هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما في جمع المختلف والمؤتلف ضرب آخر من المحسن يقال له : الالتفات ، وذلك في قوله تعالى فيها : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِ شَهِيدِين﴾ وأدمج في هذا الالتفات ضرباً آخر من المحسن يقال له : «التنكية» فإن النكتة التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى ، هي الإشارة إلى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به ؛ لأنَّه عين الحق ، ونفس العدل ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له ، أي : هو مراعي بعينه عز وجل ، ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف إليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه ، فجمع الضمير لأجل ذلك .

هذا ؛ ومن الطريف ما قيل في جمع المؤتلف والمختلف قول الخبز أرزي ، واسمه : نصر الله بن أحمد البصري ، وكان أمياً ، يخبز خبز الأرز في البصرة ، وينشد أشعار الغزل ، فقد قال :

رأيت الهلالَ ووجهَ الحبيبِ	فكانَ هلالينَ عندَ النَّظرِ
فلِمَ أدرِّ منْ حيرَتِي فِيهِما	هلاَّ السَّمَا مِنْ هلاَّلِ البَشَرِ
ولولا التَّوْرُدُ فِي الْوَجْنَتَيْنِ	وَمَا لاحَ لِي مِنْ خَلَالِ الشِّعْرِ
لَكُنْتُ أَظْنَ الْهَلَالَ الْحَبيبَ الْقَمَرَ	وَكُنْتُ أَظْنَ الْهَلَالَ الْحَبيبَ الْقَمَرَ

فقد سوّى بينهما أولاً ، ثم رجع ففضل الحبيب على الهلال .

* الفوائد:

* قصة حكم داود وسليمان في الحrust:

سنلخص قصة حكمة داود وسليمان في الحrust لما انطوت عليه من طرافة؛ لتكون حافزاً لأقلام كتاب القصة على ترجمتها على غرار قصة أهل الكهف، فقد روى التاريخ: أن رجلاً دخل على داود - عليه السلام - أحدهما: صاحب حrust، والآخر: صاحب غنم، فقال صاحب الحrust: إن هذا انفلت غنه، فوقيع في حrust فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحrust، فخرجا فمرا على سليمان، وهو ابن إحدى عشرة سنة، فقال: كيف قضى بينكم؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمر كما لقضيت بغير هذا، وروي أنه قال: غير هذا أرق بالفريقين، فأخبر بذلك داود، فدعاه، فقال: كيف تقضي؟ ويروى أنه قال: بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذى هو أرق بالفريقين، قال: أدفع الغنم إلى صاحب الزرع يتتفع بدرها، ونسلها، وصوفها، ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحrust مثل حrustه، فإذا صار الحrust كهيته دفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنه، فقال داود: القضاء ما قضيت، كما قال تعالى: ﴿فَهَمَّنَهَا سُلَيْمَانٌ﴾ أي: علمناه القضية.

ويروى: قال سليمان: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحrust يتتفعون بأبنائها، وأولادها، وأصوافها، والحرست إلى أرباب الشاء يقومون عليه، حتى يعود كهيته يوم أفسد، ثم يتراوّان، فقال: القضاء ما قضيت. وأمضى الحكم بذلك.

* الحكم بالشريعة الإسلامية:

أما حُكم هذه القضية في الشريعة الإسلامية فقد تساءل عنه الزمخشري في «كتشافه» فقال: «فإن قلت: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه - رضي الله عنهم - لا يرون فيه ضماناً بالليل أو

بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، والشافعي - رضي الله عنه -
يوجب الضمان بالليل».

بقي هنا سؤال، وهو: لماذا استعمل ضمير الجمع لاثنين في قوله تعالى:
﴿وَكُنَا حِكْمَةً لِّهُمْ شَهِيدِينَ﴾؟

وَفِي الْجَوَافِ قُولَانْ:

أولهما: أن المراد المثنى، ولو وقع الضمير جمعاً؛ لأن التشنية أقل الجمجم.

والثاني: أن المصدر المضاف إنما هو مضاد للحاكمين، وهو داود وسليمان والمحكوم عليه، فهو لاء جماعة، ولكن فيه على هذا إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعه واحدة، وهو إنما يضاف إلى أحد هما فقط، وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر إلى فاعله، والمجاز إضافته إلى مفعوله».

ومن عجائب حكم سليمان ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «بينا امرأتان معهما ابناهما، إذ جاء الذئب، فذهب بأحدهما، فقالت هذه: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فاختصمتا إلى داود - عليه السلام - فقضى به للكبرى، فمررتا على سليمان، فأخبرته، فقال: أتتني بسجين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، ويرحمك الله، فقضى به للصغرى» قال أبو هريرة: والله إِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِالسَّكِينِ قَبْلَ ذَلِكَ، مَا كُنْتَ أَقُولُ إِلَّا الْمَدِيْةَ.

قال في القاموس: والسكنين مؤنثة كالسكنينة، وصانعها سكّان، وسكنيني. هذا؛ وقد أشتهر داود بصناعة الدروع، والجواشن، ونحوها.

وقد روى أبو الطيب المتنبي سماء هذه الصناعة، فقال يصف مفرشه
وملبسه بقصد الافتخار بنفسه:

مفرثي صهوة الحصان ولكن

قِمِيْصَيٌّ مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ

لَأْمَةُ فَاضَةُ أَضَاهَةُ دِلَاصُ

أَحْكَمْتُ نَسْجَهَا يَدَا دَاوِدِ

يقول: إني شجاع، لا أفارق ظهر الفرس، وملبوسي الدرع، وقميصي لأمة، أي: ملئمة الصنعة، محكمة النسج من صنع داود، وهو أول من عمل الدرع.

وسؤال آخر: كيف وصف الريح المسخّرة لسليمان بأنها عاصف، ووصفها في موضع آخر بأنها رخاء، فوصفها تارة بال العاصف، وتارة بالرخاء.

وقد أجاب الزمخشري على هذا السؤال ببراعة نادرة فقال: «كانت في نفسها رخية طيبة كالنسائم، فإذا مررت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال: ﴿غَدُوا شَهْرٌ وَرَاحَهَا شَهْرٌ﴾ فكان جمعها بين الأمرين، أن تكون رخاء في نفسها، وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد وتحتكم، آية إلى آية، ومعجزة إلى معجزة، وقيل: كانت في وقت رخاء، وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته».

قلت: ويشبه هذا الوصف عصا موسى تارة بأنها جان، وتارة بأنها ثعبان، والجان: الرقيق من الحيات، والثعبان: العظيم الجافي منها، ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين، فكانت في خفتها، وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان.

وفد رمق الشعرا سماء هذا المعنى، فوصفو اجتماع التقىضين في موصوف واحد، قال ابن الرومي في وصف وحيد المغنية:

خَلِقْتُ فَتْنَةً غَنَاءً وَحْسَنَاً مَا لَهَا فِيهِما جَمِيعاً نَدِيدُ
فَهِيَ نَعْمَى يَمِيدُ مِنْهَا كَبِيرٌ وَهِيَ بَلْوَى يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيدُ

فوصفها بأنها نعماً يميد منها الكبير، ثم وصفها بأنها بلوى يشيب منها الصغير، فهي إن واصلت أحبت، وإن هاجرت أماتت، وقال من هذه القصيدة الممتعة التي أحب أن ترجع إليها في ديوانه:

ما تزالين نظرةً منك موتٌ لي ميتٌ ونظرةٌ تخليدُ
 تتلاقي فلحظةٌ منك وعدٌ بوصالٍ ولحظةٌ تهديدٌ
 وهو في الشعر كثير نجتزيء منه بهذا المثال.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضرُّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾٨٣
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا يَدِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ
 مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَ لِلْعَنَدِينَ ﴾٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مَنَّ
 الصَّابِرِينَ ﴾٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾٨٦﴾ وَذَا النُّونِ
 إِذْ هَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَ فِي الظُّلْمِ مُتَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمَّ
 وَكَذَلِكَ نُثْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾٨٨﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضرُّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وأيوب مفعول به لفعل محدود تقديره: اذكر، وهو على حذف مضاف، أي: اذكر خبر أيوب، وإذا بدل من خبر، أي: من المضاف المقدر، وجملة نادي ربه مضاف إليه، وربه مفعول نادي، وأني: أن وما في حيزها نصب بتزع الخافض، أي: باني، وإن واسمها، وجملة مسني الضر خبر أن، وأنت: الواو حالية، وأنت متدا، وأرحم خبر، والراحمين مضاف إليه، وستأتي في باب الفوائد. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا يَدِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ الفاء عاطفة، واستجبنا فعل وفاعل، وله متعلقان باستجبنا، فكشفنا عطف على فاستجبنا، وما مفعول به، وبه صلة ما، ومن ضر حال. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَ لِلْعَنَدِينَ﴾ وأتيناه فعل وفاعل ومفعول به، وأهله مفعول به ثان، ومثلهم عطف على أهله، أو مفعول معه، ومعهم ظرف مكان متعلق

بمحذوف حال، أي: كائنين معهم، ورحمة مفعول من أجله، ويجوز أن يكون مصدرأً لفعل مقدر، أي: رحمناه رحمة، والأول أرجح، ومن عندنا صفة لرحمة، وذكرى عطف على رحمة، وللعاديين متعلقان بذكرى. ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وإسماعيل مفعول به لفعل محذوف، أي: واذكر، ويجوز أن يعطف نسقاً على من تقدم من الأنبياء، وإدريس عطف على إسماعيل، وهذا الكفل عطف أيضاً، وسيأتي سبب تسميته بذلك في باب الفوائد، وكل مبتدأ، ومن الصابرين خبره. ﴿وَأَدْخَنَتْهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الجملة معطوفة، وإن واسمها، ومن الصالحين خبرها. ﴿وَذَا الْنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وهذا النون مفعول به لفعل محذوف، أو معطوف نسقاً على من تقدم، وسيأتي بحثه في باب الفوائد. وإذا بدل من المضاف المحذوف كما تقدم، وجملة ذهب مضاف إليها، ومعاضباً حال، أي: لقومه لا لربه، أي: إنه غضب عليهم لما كابده منهم، فظن: الفاء عاطفة، وظن معطوف على ذهب، أي: تركهم، وذهب دون أن يؤذن له، وفاعل ظن مستتر تقديره: هو، وأن مخففة من الثقلية، واسمها ضمير الشأن، وجملة لن نقدر عليه خبر، وسيأتي معنى لن في باب الفوائد، كما ستأتي خلاصة قصته.

﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فنادى عطف على ظن، وفي الظلمات متعلقان بمحذوف حال، وأن مخففة من الثقلية، واسمها ضمير الشأن، وجملة لا إله إلا أنت هي الخبر، ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة حالية، وإن: إن واسمها، والجملة تعليلية، وجملة كنت من الظالمين خبر إني، ومن الظالمين خبر كنت. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَتَبَعَّدَتْهُ مِنَ الْفَمِ وَكَذَلِكَ نُشِّحِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فاستجبنا عطف على ما تقدم، وله متعلقان باستجبنا، ونجينا فعل وفاعل ومفعول به، ومن الغم متعلقان بنجينا، وكذلك الكاف نعت مصدر محذوف، ونجي المؤمنين فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به.

* الفوائد :

١ - خلاصة قصة أیوب :

روى التاريخ أن أیوب كان رجلاً رومياً من ولد إسحاق بن يعقوب، وقد استنباه الله، وبسط عليه الدنيا، وكثير أهله وماله، وكان له سبعة بنين وسبعين بنتاً، وله أصناف البهائم، وخمسين فدان يتبعها خمسين عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخل، فابتلاه الله بذهب ولده، انهدم عليهم البيت فهلكوا، وبذهب ماله، وبالمرض في بيته ثمانية عشرة سنة، وقيل: ثلاثة عشرة سنة، قالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله! فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة، فقال: أنا أستحيي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. فلما كشف الله عنه أحيا ولده، ورزقه مثلهم، ونوافل منهم. وقصة أیوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة، وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء، وعدم البطر في الرخاء.

٢ - الفرق بين الضر والضرّ :

يقال: ضر بفتح الضاد وضر بضمها، والفرق بينهما: أن الضر بالفتح هو الضر بكل شيء، والضر بالضم هو الضر في النفس من: هزال، ومرض، وفرق بين البناءين لافتراق المعنين، وقد نظم بعضهم الفرق بينهما، كما أورد معاني أخرى لهما قال:

وَضَدَّ نَفْعٍ قِيلَ فِيهِ ضَرٌّ وُجُودُ ضَرَّةٍ لِعَرْسٍ ضِرُّ
وَسُوءُ حَالِ الْمَرْءِ ذَاكَ ضُرُّ كَذَا هَزَالُ مَرْضٍ أَوْ كَبَرُّ

٣ - التاطف في السؤال :

وقد تلطف أیوب في السؤال، وألمح إلى ما يعانيه من بلاء، دون أن يصرح بمطلوبه، حيث اكتفى بذكر المس في الضر، وأدخل آل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة، ووصف ربها بغایة الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبه، فكان درساً بليغاً لكل من تعاوره الأرباء، وتنتابه اللاؤاء.

ويحكى أن عجوزاً تعرّضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت: يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي، فقال لها: أطفت في السؤال، لا جرم لأردتها شب وثب الفهود، وملاً بيتها حباً.

وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذياك هذه البلاغة عندما خاطب كافوراً بما كان يرجوه منه، وهو أن يعطيه ولاية، وإن كان قصده المواربة:

أرى لي بِقُرْبِي مِنْكَ عِيْنَا فَرِيرَةً

وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعْدِ يَشَابُ

وَهُلْ نَافِعٍ أَنْ تُزْفَعَ الْحَجَبُ بَيْنَا

وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابُ

أَقْلُ سَلَامِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ

وَأَسْكَتْ كِيمَا لَا يَكُونُ جَوَابُ

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتُ وَفِيكَ فَطَانَةُ

سَكُونِي بِيَانُ عَنْدَهَا وَخَطَابُ

وفي البيت الثالث نكتة نحوية، وهي انتساب حبّ، وذلك أنه نصبه على أنه مفعول له، وهو مصدر، كأنه يقول: لحب ما خف، أي: لإيثاري التخفيف.

وقد تلطّف حبيب بن أوس أبو تمام، وأجمل أغراضه كلها في بيت واحد، وهو قوله:

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرِءِ تَقَاضِيهِ بِتِرْكِ التَّقَاضِيِّ

أَمَا أَبُو بَكْرَ الْخَوَارِزْمِيِّ فَقَالَ رَاسِمًا خَطَّةَ الْطَّلْبِ :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلْقَاوْهُ يَكْفِيَكَ وَالتَّسْلِيمُ
فَإِذَا رَأَكَ مُسْلِمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَكَائِنًا مَلْزُومًا

وَسَبِّقْهُمْ جَمِيعًا أُمَّةً بْنَ أَبِي الصَّلَتِ بِقَوْلِهِ الْمَشْهُورِ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاوَكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحِيَاءُ

إِذَا أَتَنَىٰ عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرُضِهِ الشَّنَاءُ

٤ - ذو الكفل :

هذا لقبه، والكفل هو: النصيب، واسمه بشير، وقيل: إلياس، وقيل: زكريا، كأنه سمي بذلك لأنه المجدور، ذو النصيب الأول من الحظ، وقيل: ذو الكفل اسمه، وقد كان له اسمان، ولم يكن لقباً.

٥ - ذو النون :

في المختار: «ذو النون: الحوت، وجمعه أنوان، ونينان، وذو النون لقب يونس بن متى، على وزن شتى، اسم والده على ما ذكر في القاموس، أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير في «النهاية»، وقيل: ذا النون لأن رأى صبياً مليحاً، فقال: دسموا نونته لثلا تصيبه العين، وحكي ثعلب أن نمة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير، ومعنى دسموا: سودوا، ذو بمعنى صاحب، قال السهيلي في كتاب «الأعلام» في قوله تعالى: ﴿وَذَا الْثُّوْن﴾ وهو يونس بن متى، أضاف ذا إلى النون، وهو الحوت، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وبينهما فرق، وذلك أنه حين ذكر في معرض الثناء عليه، قيل: ذا النون، ولم يقل: صاحب النون، والإضافة بهذا أشرف من الإضافة بصاحب؛ لأن قولك ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما، وأما ذو فِينك تقول فيها: ذو الملك، ذو الحال، ذو العرش، ذو القرنين، فتجد الاسم الأول متبعاً غير تابع، ولذلك سميت أقيال حمير أذواء، منهم: ذو جدن، ذو يزن، ذو رعين، ذو كلاع، وفي الإسلام: ذو الشهادتين، ذو الشماليين، ذو اليدين، وذلك كله تفخيم للمسمي بهذا، وليس ذلك في لفظ صاحب، وإنما فيه تعريف لا يقترن به شيء من هذا المعنى» وستأتي قصته، وابتلاء الحوت له في «الصفات».

٦ - معنى «لن نقدر عليه»:

أما معنى قوله : «فَظَنَّ أَن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» لن نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت ، أو نضيق عليه بذلك ، فهـي من القدر ، لا من القدرة ، كما في قوله تعالى : «اللَّهُ يَعْلَمُ أَرْزَقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها ، فلم أجـد لنفسي خلاصاً إـلا بك ، قال : وما هي يا معاوية ؟ فقرأ عليه هذه الآية وقال : أوـيـظـنـ نـبـيـ اللـهـ أـلـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ ، قال : هذا من القدر لا من القدرة . على أن الزمخـشـريـ بعدـ أنـ ذـكـرـ الـوـجـهـ الـذـيـ أـوـرـدـنـاهـ أـجـازـ أـنـ يـفـسـرـ بـالـقـدـرـ عـلـىـ مـعـنـىـ أـنـ لـنـ نـعـمـلـ فـيـ قـدـرـتـنـاـ ، وـأـنـ يـكـونـ مـنـ بـابـ التـمـثـيلـ بـمـعـنـىـ : «فـكـانـتـ حـالـهـ مـمـثـلـةـ لـحـالـ مـنـ ظـنـ أـنـ لـنـ نـقـدـرـ عـلـيـهـ فـيـ مـرـاغـمـتـهـ قـوـمـهـ ، مـنـ غـيرـ اـنـتـظـارـ لـأـمـرـ اللـهـ» .

وذهب جمهور من العلماء أن معناها : فظنـنـ أـنـ لـنـ نـضـيقـ عـلـيـهـ ، مـنـ قـدـرـ عـلـيـهـ رـزـقـهـ ، أـيـ : ضـيقـ ، وـقـترـ .

﴿ وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرِّ فَكَرَدَا وَأَنَتْ خَيْرُ الْوَرَثَيْنِ ﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
 يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا
 خَشِيعِينَ ﴿١﴾ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
 وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْشَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمْتُكُمْ أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّ
 رَبِّكُمْ فَأَغْبَدُوكُمْ ﴿٣﴾ وَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا
 رَجْعُونَ ﴿٤﴾ .

☆ الـلـفـتـةـ :

﴿ وَزَكَرِيَا ﴾ : - بالمد - علم نـبـيـ ، وأـلـفـهـ لـلـتـائـيـثـ ؛ فـلـذـلـكـ منـ مـنـ

الصرف، وهو أيضاً غير مصروف للعجمة والتعريف، وقيل: هو عربي مشتق من زكر، أي: امتلاً، أو تذكر.

○ الإعراب:

﴿ وَزَكَرَيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُو رَبِّ لَا تَذَرِّنِي فَرَدَأَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ تقدم القول في إعراب: ﴿ وَزَكَرَيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُو ﴾ ورب منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحدوفة، ولا نهاية للدعاء، وتذرنـي فعل مضارع مجزوم بلا، والنون لللوقـية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والياء مفعول به، وفرداً حال، وأنت الواو عاطفة على محفوظ، أي: فارزقـني وارثاً، وأنت مبتداً، وخيرـ الوارثـينـ خـبرـ. ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ الفاء عاطفة، واستجـنا فعل وفاعل، وله متعلقان باستجـنا، واستجـنا فعل وفاعل، والمفعول محفوظ، أي: نداءـهـ، وأصلـحـنا فعل وفاعل، وله متعلقان بأصلـحـنا، وزوجـهـ مفعولـ بهـ، والمراد بـأصلـحـهاـ: جعلـهاـ صـالـحةـ للـولـادـةـ بعد عـقـرـهاـ وـعـقـمـهاـ، وـالـعـقـمـ: اـنـسـدـادـ الرـحـمـ كـمـاـ فيـ «ـالـخـتـارـ». ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْدِّعُونَكـ فـيـ الـخـيـرـاتـ ﴾ الجملـةـ تعـيلـ لـلـإـصـلـاحـ، وـإـنـ وـاسـمـهاـ، وـجـملـةـ كانواـ خـبرـهاـ، وـكـانـ وـاسـمـهاـ، وـجـملـةـ يـسـارـعـونـ فيـ الـخـيـرـاتـ خـبرـ كانـ، وـعـبـرـ بـفـيـ دونـ إـلـىـ لـلـإـشـعـارـ بـدـيـمـوـمـتـهـمـ عـلـىـ الـمـارـعـةـ، كـأـنـهـ اـسـتـقـرـواـ فـيـهاـ ﴿ وَيَدْعُونَكـ رَغْبـاً وَرَهـبـاً وَكـانـواـ لـنـاـ خـشـعـينـ ﴾ وـيـدـعـونـناـ عـطـفـ عـلـىـ يـسـارـعـونـ، وـيـدـعـونـناـ فعلـ وـفـاعـلـ وـمـفـعـولـ بـهـ، وـرـغـبـاً وـرـهـبـاً مصدران متـصـبـانـ عـلـىـ الـحـالـ، أـوـ عـلـىـ الـمـصـدـرـيـةـ الـمـلـاـقـيـةـ لـعـامـلـهـاـ فـيـ الـعـنـدـ، أـوـ عـلـىـ الـمـفـعـولـ لـهـ، وـكـانـواـ: كـانـ وـاسـمـهاـ، وـخـاشـعـينـ خـبرـهاـ، وـلـنـاـ مـتـعـلـقـانـ بـخـاشـعـينـ. ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَنَّهَا آعِيَةً لِلْعَنْلِيمِينَ ﴾ والتـيـ: أيـ: وـاذـكـرـ مـرـيمـ التـيـ، وـجـملـةـ أـحـصـنـتـ فـرجـهـاـ صـلـةـ، فـنـفـخـناـ عـطـفـ عـلـىـ أـحـصـنـتـ، وـفـيهـاـ مـتـعـلـقـانـ بـنـفـخـناـ، وـمـنـ رـوـحـنـاـ مـتـعـلـقـانـ بـنـفـخـناـ أـيـضاـ، وـلـكـ أـنـ تـعرـبـ التـيـ مـبـداـ، وـالـخـبـرـ مـحـدـوفـ، أيـ: فـيـماـ يـتـلـىـ عـلـيـهـمـ، وـجـعلـنـاـهـاـ فعلـ وـفـاعـلـ وـمـفـعـولـ بـهـ، وـابـنـهـاـ عـطـفـ عـلـىـ

الهاء، أو مفعول معه، وآية مفعول به ثان، وإنما لم يطابق المفعول الأول، فيشنى؛ لأن كلاً من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر، فصار آية واحدة، أو تقول: إنه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه، أي: وجعلنا مريم آية وابنها كذلك، أو بالعكس، وللعلميين صفة لآية. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَحْدَةٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَأَعْبُدُونِ﴾ إن واسمها وخبرها، وأمة حال لازمة، وقيل: بدل من هذه، وواحدة صفة، وأنا الواو عاطفة، وأننا مبتدأ، وربكم خبر، والفاء الفصيحة، واعبدوني فعل أمر وفاعل، وباء المتكلم المحذوفة لرسم المصحف مفعول به. ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجُعُونَ﴾ الواو عاطفة، وقطعوا فعل ماض وفاعله، والأصل: وقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة. وأمرهم في نصبه وجوه أرجحها أنه منصوب بنزع الخافض، أي: تفرقوا في أمرهم، ويجوز أن يكون قطعوا معناه: قطعوا: فيكون أمرهم مفعولاً به، ورأى أبو البقاء أن يكون تميزاً، ولا أدرى كيف استقام ذلك معه.

□ البلاغة:

١- الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَحْدَةٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَأَعْبُدُونِ﴾ * ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجُعُونَ﴾ الالتفات، الأصل في قطعوا: تقطعتم على الأول، إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه يعني عليهم ما أفسدوه، ويقع عندهم ما فعلوه، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباهيهم، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فيجازهم على ما فعلوا.

٢ - معنى النفح في مريم: ظاهر الكلام يوهم أن مريم هي التي أحياها؛ لأن معنى النفح الإحياء، ولكن الله تعالى نزل نفح الروح في عيسى لكونه في جوف مريم متزلاً نفح الروح في مريم، ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفحت في

بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الْصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفَرَانَ لِسَعْيِهِ، وَإِنَّا لَهُ كَافِرُونَ ﴾٩٦﴿وَكَرِمٌ عَلَىٰ قَرِيبَةٍ أَهْلَكَنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾٩٧﴾ حَقَّ إِذَا فُيَحْتَ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴾٩٨﴾ وَاقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرَ الظَّرَفَ كُفَّرًا وَلَوْلَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي عَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَلَمِينَ ﴾٩٩﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَتَسْرُ لَهَا وَرَدُونَ ﴾١٠٠﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْهَمَّةُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾١٠١﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾١٠٢﴾

☆ اللغة:

﴿كُفَرَانَ﴾: الكفران مصدر الكفر، قال في القاموس: «كفر يكفر، من باب: نصر، كفراً، وكفراً، وكُفُوراً، وكُفُراناً، ضد آمن، وكفر بالحالق: نفاه، وعطل، وكفر كُفراً وكفوراً وكفراناً بنعم الله: جحدها، وتناسها».

﴿حَدَبٌ﴾: - بفتحتين -: مرتفع من الأرض، ومنه الحدب في الظهر، وكل كدية أو أكمة فهي حدبة.

﴿يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون، والنسلان: مقاربة الخطأ مع الإسراع، وفي المصباح: نسل في مشيه نسلاناً: أسرع، وبابه: ضرب، وفي القاموس هو من باب: ضرب، وقتل.

﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾: الحصب: المحصوب به، أي: يحصب بهم في النار، والمحصب: الرمي. وفي «المختار»: «والمحصب - بفتحتين -: ما تحصب به النار، أي: ترمي، وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به، وبابه: ضرب» ومثله في «القاموس».

○ الإعراب:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الْصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفَّارَانَ لِسَعْيِهِ، وَإِنَّا لَهُ كَتَبْنَا﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويعلم فعل الشرط، ومن الصالحات صفة لفعله بمحذوف، أي: عملاً من الصالحات، والواو حالية، وهو مبتدأ، ومؤمن خبر، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وكفران اسمها، ولسعيه خبر، والواو استئنافية، أو: حالية، وإن واسمها، وكانتون خبرها، وله متعلقان بكتابون. ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكَنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الواو عاطفة من عطف الجمل، أو استئنافية، وحرام خبر مقدم، وعلى قرية متعلقان بحرام، وجملة أهلتناها صفة لقرية، وإن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، وإن واسمها، وجملة لا يرجعون خبرها، وقيل: لا زائدة، وهو قول أبي عبيدة، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدُ﴾ أي: يرجعون إلى الإيمان، والمعنى: ومتمنع على أهل القرية قدرنا عليهم إهلاكهم لکفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم القيمة، فحيثند يرجعون، ويصح أن تكون نافية على باهها، والتقدير: لأنهم لا يرجعون. قال الزجاج: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكَنَاهَا﴾: حكمنا بإهلاكها أن تتقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون، ودلل على هذا المعنى قوله قبل: ﴿فَلَا كُفَّارَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: يتقبل عمله، ثم ذكر هذا عقبيه، وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

وعبارة ابن هشام في «المغني»: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكَنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقيل: لا زائدة، والمعنى: متمنع على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لکفرهم أنهم يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة، وعلى هذا فحرام خبر مقدم وجوباً؛ لأن المخبر عنه أن وصلتها، ومثله: ﴿وَمَا يَهُمْ أَنَّا حَلَّنَا ذِرَّتَهُمْ﴾ لا مبتدأ، وأن وصلتها فاعل أغنى عن الخبر، كما جوز أبو البقاء؛ لأنه ليس بوصف صريح، ولأنه لم يعتمد على نفي ولا استفهام، وقيل: لا نافية، والإعراب إما على ما تقدم، والمعنى متمنع عليهم أنهم لا يرجعون إلى الآخرة،

وإما على أن حرام مبتدأ حذف خبره، أي: قبول أعمالهم، وابتداء بالنكرة لتقييدها بالمعمول، وإما على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: العمل الصالح حرام عليهم، وعلى الوجهين فإنهم لا يرجعون تعليل على إضمار اللام، والمعنى: لا يرجعون أعمالهم فيه، ودليل المحذوف ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفَّارًا لِسَعِيهِ﴾.

﴿حَقٌّ إِذَا فُرِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ حتى حرف غاية وجر، وهي غاية لامتناع الرجوع، فهي متعلقة بحرام، على أنها حرف غاية وجر، ويجوز أن تكون ابتدائية، وهي التي يمحى بعدها الكلام، والكلام المحكى هنا جملة الشرط والجزاء، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، والجواب الذي تتعلق به إذا محذوف، وتقديره: قالوا يا ويلنا. واختار الزخيري وغيره أن يكون الجواب هو الفاء الداخلة على إذا الفجائية، فإذا جاءت الفاء معها تساندتا، وتعاونتنا على وصل الجواب بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة، أو فهي شاخصة كان سديداً.

هذا وقد اختار أبو حيان أن تكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا، على ما فيه من بعد، قال: «وكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا فيه من حيث كثرة الفصل، لكنه من حيث المعنى جيد، وهو أنهم لا يزالون مختلفين على دين الحق إلى قرب مجيء الساعة، فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك».

وفتحت فعل ماض مبني للمجهول، ويأجوج ومجوج نائب فاعل، ولا بد من تقدير مضاد، وهو سدهما، والواو للحال، وهو مبتدأ، وخبره جملة ينسلون، ومن كل حدب متعلقان بيسلون. ﴿وَاقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ إِذَا هُوَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الواو عاطفة، واقترب الوعد فعل وفاعل، والحق صفة للوعد، والفاء رابطة، وإذا الفجائية، وقد تقدم بحثها، وهي مبتدأ، وشاخصة خبر، وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة. ﴿يَوْمَنَا قَدْ كُنَّا فِي عَنْقَلَةٍ مِنْ هَذَا أَلْكُنَّا ظَلَمِينَ﴾ النداء متعلق بقول ممحذوف في محل نصب على الحال، أي: يقولون: يا ويلنا أحضر فهذا أوانك، وقد حرف

تحقيق، وكان واسمها، وفي غفلة خبرها، ومن هذا متعلقان بغفلة، بل حرف إضراب، وكان واسمها وخبرها، وهذه الجمل كلها مقول قولهم المذوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا فَرِدُورُبَ﴾

إن واسمها، والجملة ابتدائية، وما عطف على الكاف، وجملة تعبدون صلة، ومن دون الله حال، وحصب جهنم خبر إنكم، وجملة أنت لها واردون جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من جهنم، وفيه أن مجيء الحال من المضاف إليه لم يرد في كلامهم إلا مشروطاً، ويجوز أن تكون بدلاً من حصب جهنم، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لإن، وأجاز آخرون أن تكون مستأنفة. ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّهَمَّ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا حَلِيلُوْنَ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان فعل ماض ناقص، وهؤلاء اسمها، وألهة خبرها، وجملة ما وردوها لا محل لها لأنها جواب لو، والواو للحال، وكل مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر. ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُوْرُ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال، وزفير مبتدأ مؤخر، والواو عاطفة، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بيسمعون، وجملة لا يسمعون خبرهم.

□ البلاغة:

المذهب الكلامي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا فَرِدُورُبَ﴾ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّهَمَّ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا حَلِيلُوْنَ﴾ المذهب الكلامي، وقد تقدمت الإشارة إليه، وستزيده بسطاً هنا فنقول:

إذا تقرر أن المذهب الكلامي هو: احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحججة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، أو استنتاج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، كما سيأتي في سورة الحج، فإن الآية التي نحن بصددها يترب عليها أن هؤلاء الأصنام والأوثان ليسوا باللهة، فلو كانوا اللهة فهم حصب جهنم كما تقدم أن ملزم قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾

لَفَسَدَتَا هو ما تقديره: لكنهما ما فسدا، فليس فيهما آلة إلا الله. ومن النوع الثاني تقدم الكلام في سورة الأعراف على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجُجَ الْجَمْلُ فِي سَرِّ الْحَيَاطِ﴾ فوجه استنتاج التسليحة في هذه الجملة من المقدمتين أن يقال: إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلجم الجمل في خرم الإبرة، والجمل لا يدخل في خرم الإبرة أبداً، فهم لا يدخلون الجنة أبداً، لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط.

ومن المذهب الكلامي قوله عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً» و تمام الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيراً، وبكيرتم قليلاً، فلم تعلموا ما أعلم، ومثله قوله مالك بن المرجل الأندلسي:

لو يكون الحبُّ وصلاً كله لم تكنْ غايته إِلَّا الملل
أو يكون الحبُّ هجراً كله لم تكنْ غايته إِلَّا الأجل
إنما الوصولُ كمثل الماء لا يستطابُ الماء إِلَّا بالغلل

فالبيان الأول أن قياس شرطي ، والثالث قياس فقهي ، فإنه قاس الوصل على الماء، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر ، وأما الأقيسة الحميلية فقد استنبطوها على صور ، منها ما يروى أن أبو دلف قصده شاعر تميمي ، فقال له: من أنت؟ فقال: من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا

ولو سلكت سُبُلَ الْهَدَايَا ضلَّتْ

قال التميمي : نعم بتلك الهدایة جئت إليك ، فأفحمه بدليل حملي ألمه فيه أن المجيء إليه ضلال ، ولعمري إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره ، وأعذب في الذوق ، وأسهل في التركيب ، فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها ، وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم .

وقال ابن رشيق في كتاب «العمدة»: «ذكر ابن المعز أن الجاحظ سمي هذا

النوع : المذهب الكلامي ، قال ابن المعتز : وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» .

وقد فات ابن رشيق وابن المعتز أن القرآن حافل بهذا النوع كما رأيت ، وكما سيأتي فيما بعد على أن ابن رشيق لاحظ على ابن المعتز شيئاً آخر فقال : «غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها» وأنشد للفرزدق :

لكل امرئ نesan: نفس كريمة

وآخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسك تشفع للتدى

إذا قل من أحراهرهن شفيعها

وأنشد لآخر ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :

وعلمتني كيف الهوى وجهته

وعلمكم صبّري على ظلمكم ظلمي

فأعلم ما لي عندكم فيميل بي

هواي إلى جهلي وأعرض عن ظلمي

وعاب على أبي تمام قوله :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن

يرضى المؤملُ منك إلا بالرضا

وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ، ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : «يا هذا القذشترت على نفسك». وعندى أن النقد يتوجه إلى أبي تمام في بيته لا من ناحية المذهب الكلامي الذي سلكه ، بل من ناحية التعقيد اللفظي فيه .

ومن طريف هذا المذهب ما أورده ابن رشيق لابن المعتز وهو قوله :

أسرفتُ في الكتمانِ وذاك متنّي ذهاني
كتمتُ حبك حتى كتماني

ولم يكن لي بِئْدٌ من ذِكْرِه بِلسانِي

قال: «وَهَذِهِ الْمَلاحةُ نَفْسَهَا، وَالظَّرْفُ بَعْيَنِهِ».

وقال أبو نواس:

سُخِنْتَ مِنْ شَدَّةِ الْبَرُودَةِ حَتَّى صَرَّتْ عَنِّي كَأَنَّكَ النَّارَ

لَا يَعْجِبُ السَّامِعُونَ صَفْتِي كَذَلِكَ الثَّلَجُ بَارِدٌ حَارٌ

فَهَذَا مَذْهَبُ كَلَامِي فَلَسْفِي، وَقَوْلُهُ أَيْضًا:

فِيكَ خَلَافٌ لِخَلَافِ الدِّيَنِ فِيهِ خَلَافٌ لِخَلَافِ الْجَمِيلِ

وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُ أَبِي تَمَامَ صَاحِبَ طَرِيقَةِ خَاصَّةٍ فِي الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ، اسْتَمِعْ إِلَى قَوْلِهِ فِي الْحَسْدِ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُشْرَرَ فَضْلِيلَةً طُوِيتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتَ مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَزْفِ الْعَوْدِ

وَمِنْ أَزْهَارِ الْبَهَاءِ زَهِيرُ قَوْلِهِ:

يَا مَنْ أَكَابِدُ فِيهِ مَا أَكَابِدُهُ مُولَاي أَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ

سَمِّيَتْ غَيْرَكَ مُحْبُوبِي مَغَالَطَةً لَمْعِشِرِ فِيكَ قَدْ فَاهُوا بِمَا فَاهُوا

أَقْوَلُ زِيدَ وَزِيدَ لَسْتُ أَعْرَفُهُ إِنَّمَا هُوَ لِفَظُ أَنْتَ مَعْنَاهُ

وَكُمْ ذَكْرَتْ مَسَمَّى لَا اكْتَرَاثَ بِهِ حَتَّى يَجُرِي إِلَى ذَكْرِكَ ذَكْرَاهُ

أَتَيْهِ فِيكَ عَلَى الْعَشَاقِ كُلَّهُمْ قَدْ عَزَّ مِنْ أَنْتَ يَا مُولَاي مُولَاهُ

كَادَتْ عَيْنُهُمْ بِالْبَغْضِ تُنْطَقُ لِي حَتَّى كَأَنَّ عَيْنَ النَّاسِ أَفْوَاهُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنَا الْحُسْنَةَ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ ﴾٩٤﴾
 يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشَتَهُتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيلُونَ ﴿٩٥﴾ لَا يَحْزُنُهُمْ
 الْفَرَغُ الْأَكْبَرُ وَنَثَلَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ
 تُوعَدُونَ ﴿٩٦﴾ يَوْمَ نَطُوِي السَّكَمَاءَ كَطَنِي السِّحْلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوْلَ

خَلَقْنِي تُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِيهِنَّ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الْزَّمَرِ مِنْ
بَعْدِ الذِّكْرِ أَبْ ۝ الْأَرْضَ يَرْثَاهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ۝ ١٥

☆ النَّفْتَةُ :

﴿السِّجْل﴾ : كتاب العهود، وكتاب الأحكام، وكتاب يكتب فيه القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها، وصكوك المبايعات ونحوها لتبقى محفوظة عنده، والجمع : سجلات، ويقال سجل الرجل : كتب السجل، وسجل الأوراق : قيدها في المحاكم، وسجل القاضي عليه : حكم، وسجل عليه بكذا : شهره به، ووسمه، وسجل له بما له : قرره، وأثبته له.

○ الإِعْرَابُ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنَا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعِّدُونَ﴾ إن واسمها، وجملة سبقت صلة، ولهم متعلقان بسبقته، ومنا حال، والحسنى فاعل، وأولئك مبتدأ، وعنها متعلقان بمبعدون، ومبعدون خبر أولئك، وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إن، وجملة إن... الخ ابتدائية. ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلَدُونَ﴾ جملة لا يسمعون حسيسها تحتمل وجوهاً :

منها: أن تكون بدلاً من مبعدون؛ لأنها تحل محله فتغنى عنه.

ومنها أن تكون خبراً ثانياً لأولئك، ويجوز أن تكون حالاً من ضمير مبعدون، ولا نافية، ويسمعون حسيسها فعل مضارع مرفوع وفاعل ومحض مفعول به، والواو للحال، أو استثنافية، وهم مبتدأ، وفيما متعلقان بخالدون، وجملة اشتهرت أنفسهم صلة، وخالدون خبرهم.

﴿لَا يَخْرُونُهُمُ الْفَرْعَزُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الجملة حالية، أو بدل من الجملة السابقة، ولا نافية، ويخزنهم فعل ومحض مفعول به، والفرع فاعل، والأكبر صفة للفرع، وتتلقاهم الملائكة فعل ومحض مفعول به وفاعل، وجملة هذا يومكم مقول قول مذوق واقع

موقع الحال، أي : قائلين : هذا يومكم ، وهذا مبتدأ ، ويومكم خبر ، والذي صفة لليومكم ، وجملة كتم صلة ، وكان واسمها ، وجملة توعden خبر كتم .

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّكَنَاءَ كَطَّى السِّجْلَ لِلسُّكُنِ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، ولك أن تعلقه بلا يخزنهم ، أو بالفزع ، أو تتلقاهم الملائكة ، وجملة نطوي في محل جر بإضافة الظرف إليها ، والفاعل ضمير مستتر تقديره : نحن ، والسماء مفعول به ، وكطي الكاف نعت مصدر محذوف ، أي : كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها ، فالطي مصدر مضاد للمفعول ، والمحذف للفاعل مع المصدر مطرد باستمرار ، وللكتب متعلقان بطي ، فهي لتقوية التعدية ، أي : للمكتوبات جميعها ، أي : لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة .

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعْدًا عَيْنَاهُ إِنَّا كُنَّا فَعِيلِينَ﴾ الكاف نعت مصدر محذوف ، وما مصدرية ، وببدأنا فعل وفاعل ، وأول خلق مفعول ببدأنا ، أي : نعيد أول خلق إعادة مثل بدأنا له ، والزمخشري يجعل ما كافية للكاف دائماً ، ووعداً مصدر منصوب بوعدهنا مقدراً قبله ، وهو مفعول مطلق مؤكـد لمضمون ما قبله ، وعليـنا متعلقان بوعـداً ، وإن واسمـها ، وجملـة كـنا خـبر إـنا ، وكان واسمـها ، وفاعـلين خـبرـها ، وجـملـة إـنا تعـليلـة بمـثـابة التـأـكـيد لـلـقـدرـة على فعل ذلك ، وقدـرـها أبو حـيـان في «الـبـحـرـ» : «أـيـ : نـحنـ قادرـونـ عـلـىـ أـنـ فـعـلـ ذـلـكـ». واختـارـ العمـاديـ أـنـ تكونـ حـالـيـةـ ، وقدـرـها : «أـيـ : مـحـقـقـينـ هـذـاـ الـوـعـدـ فـاسـتـعـدـواـ لـذـلـكـ» وـسـتـأـيـ فـوـائـدـ هـامـةـ حـوـلـ هـذـهـ الـآـيـةـ فـيـ بـاـيـ : الفـوـائدـ ، والـبـلـاغـةـ .

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُها عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الواو استثنافية ، والجملة مستأنفة ، مسوقة لتقرير أن الأرض للصالحين لها ، ولاستغلال مواردها ، وطاقاتها المكنوزة فيها ، واللام جواب لقسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وكتبنا فعل وفاعل ، وفي الزبور متعلقان بكتـبـنا ، ومن بعد متعلقان بمـحـذـوفـ حالـ منـ الزـبـورـ ، وأنـ وـماـ فيـ حـيـزـهاـ مـفـعـولـ كـتـبـناـ ، أـيـ : كـتـبـناـ وـرـاثـةـ الـأـرـضـ ، وـأـنـ وـاسـمـهاـ ، وجـملـةـ يـرـثـهاـ خـبرـ ، وـعـبـادـيـ فـاعـلـ ، وـالـصـالـحـونـ صـفـةـ .

□ البلاغة:

١ - المبالغة: في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ فن المبالغة ذلك؛ لأن لقائل أن يقول: إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيه، فـأي بشاره لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ والجواب: أنه تأكيد للمبالغة، وأنها لن تقرب منهم أبداً؛ لأن الذي يكون عن كثب منها يسمع - ولا شك - حسيسها؛ لأنّ أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها، وعدد داخلتها، ووفق عدة معبوداتهم، ولذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَأْبِي مِنْهُمْ جُرْجُرٌ مَقْسُومٌ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر.

ويروى أن علياً - رضي الله عنه - قرأ هذه الآية، وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنَّهَا مُبَعَّدُونَ﴾ ثم قال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف. ثم أقيمت الصلاة، فقام يحرّ رداءه، وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

٢ - التشبيه: في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُبَيِّدُهُ﴾ تشبيه للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. قال الزمخشري: «فإن قلت: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أوله: إيجاده من العدم، فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم.

فإن قلت: ما بال خلق منكر؟ قلت: هو كقولك: هو أول رجل جاعني، تريده: أول الرجال، ولكنك وحدته، ونكرته إراده تفصيلهم رجالاً رجالاً، فكذلك معنى أول خلق، أول الخلق بمعنى أول الخلائق؛ لأن الخلق مصدر لا يجمع، ووجه آخر وهو أن يتتصب الكاف بفعل مضمر يفسره: نعيده، وما موصولة، أي: نعيid مثل الذي بدأناه نعيده، وأول خلق ظرف لبدأناه، أي: أول ما خلق، أو: حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى».

﴿إِنَّ فِي هَذَا لِبَدْغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْكَ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ فَإِنْ تَوَلُوا فَقُلْ إِذَا نَشَأْتُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعْدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٤﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَنْتَعْ إِلَى حِينٍ ﴿١١٥﴾ قُلْ رَبِّ الْحُكْمِ إِلَّا هُوَ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْفُونَ ﴿١١٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ فِي هَذَا لِبَدْغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي هذا خبرها المقدم، واللام المزحلقة، ولقوم صفة لبلاغاً، وعابدين صفة. «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، ورحمة مفعول من أجله، أو حال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة، أو على حذف مضاد، أي: ذارحة، وللعالمين صفة لرحمة، أو يتعلق بنفس الرحمة. «قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْكَ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ إنما كافية ومكافحة، ويوجى فعل مضارع مبني لل مجرور، وإلي متعلقان بيوجى، وإن وما في حيزها نائب فاعل يوجى، وإلهكم مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة، والفاء الفصحية، أي: إن علمتم هذا، وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ، ومسلمون خبر، وسيأتي مبحث القصر بتنوعه في هذه الآية في باب البلاغة. «فَإِنْ تَوَلُوا فَقُلْ إِذَا نَشَأْتُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتولوا فعل ماض، وهو فعل الشرط، والواو فاعل، والفاء رابطة جواب الشرط، وقل فعل أمر، وأذنتكم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وعلى سواء متعلقان بمحدود حائل من التاء، أي: الفاعل، أو من الكاف، أي: المفعول، أي: مستويين في العلم بالحرب، وسيأتي تفصيل هذا الإيجاز في باب البلاغة. «وَإِنْ

أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تَوَعَّدُونَ ﴿١﴾ الواو للحال، وإن نافية، وأدرى فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والهمزة للاستفهام، وقرب خبر مقدم، وأم حرف عطف، وبعيد عطف عليه، وما مبتدأ مؤخر، وجملة توعدون صلة، وجوز أبو البقاء أن يرتفع ما توعدون فاعلاً بقريب سدّ مسدّ خبره، وقرب مبتدأ، قال: لأنّه اعتمد على الهمزة، أو ببعد؛ لأنّه أقرب إليه فتكون المسألة من باب التنازع، وجملة أقرب أم بعيد ما توعدون في محل نصب مفعول أدرى المعلقة عن العمل. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ مِنْ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكَثُّمُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يعمل خبرها، وفاعل يعلم ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على الله تعالى، والجهير مفعول به، ومن القول حال من الجهير، ويعلم عطف على يعلم الأولى، وما مفعول به، وجملة تكتمون صلة. ﴿وَإِنَّ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَنْتَعْ إِلَى حِينٍ﴾ الواو عاطفة، وإن نافية، وأدرى فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، ولعل واسمها، وفتنة خبرها، ولكم صفة، ومتاع عطف على فتنة، وإلى حين متعلقان بمخدوف صفة لمتاع، أو يتعلق به، وجملة لعله فتنه في محل نصب بأدرى، والكافيون يحررون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق عن العمل، ولكن النحاة لم يذكروا لعل من المعلقات، ولكنها وردت كثيراً في القرآن، كقوله في هذه الآية، وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَكُمْ يَرِكَ﴾ وقيل: إن قوله ﴿وَمَنْتَعْ﴾ ليس داخلاً في حيز الترجي؛ لأنّه محقق، فلا يصح عطفه على فتنه؛ لأنّه حيث كان معطوفاً على خبرها كان معمولاً لها، وداخلاً في حيزها، وفي نطاق الترجي؛ الذي تدلّ عليه، فالأولى إذاً أن يقال: إن قوله ﴿وَمَنْتَعْ﴾ خبر لمبتدأ مخدوف، وتقديره: وهذا متاع إلى حين، أي: وتأخير عذابكم متاع لكم، وتكون الجملة مستأنفة، وليس هذا بعيد. ﴿قَلَّ رَبٌ أَشْكُرُ بِالْمَعْنَى وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ رب منادي مضاد إلى ياء المتكلّم المخدوفة، واحكم فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وبالحق حال، وربنا الواو استئنافية، وربنا مبتدأ، والرحمن يجوز أن يكون خبراً، المستعان خبراً ثانياً، ويجوز أن يكون صفة لربنا، المستuan خبراً؛ لأنّه المحدث به، وعلى

ما متعلقان بالمستعان، وجملة تصفون صلة، والعائد مخدوف، أي: تصفونه مخالفًا للواقع.

□ البلاغة:

١ - القصر:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَنَ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ وقد تقدم بحث القصر مفصلاً، ونقول: إن في هذه الآية قصرين:

الأول: قصر الصفة على الموصوف، وذلك في قصر الوحي على الوحدانية، والمعنى: لا يوحى إلي إلا اختصاص الإله بالوحدةانية، لا لأنه لم يوح إليه بشيء غيرها، ولكنها الأصل الرئيسي في كل عبادة وعمل، وهي المطلوبة أولاً، وقبل كل شيء، حتى كان ما عادها غير منظور إليه، أو غير جدير بالذكر.

والثاني: قصر الموصوف على الصفة، وذلك في قصر الله على الوحدانية، وهو ظاهر.

٢ - الإيجاز:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوْلُوا فَقُلْ أَذْنِنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ تقدم القول في الإيجاز كثيراً، وفي هذه الآية إيجاز قصر؛ لأنَّه تحدث بثلاث كلمات، وهي: ﴿أَذْنِنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ عن كلام طويل، أي: إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد، وأعرضوا، وطروا كشحاً، فقل لهم: لقد أعلمناكم على بيان أنا وإياكم في حرب لا مهادنة فيها، ولا صلح بيننا، ولكنني لا أدرِّي متى يأذن الله، وأذنتكم منقول من أذن إذا علم، قال الحارث ابن حلزون:

آذنتنا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءٌ رُبَّ شَاءٍ يُمَلِّئُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وقد سما الزمخشري في شرح هذا الإيجاز، وهذه نبذة من كلامه: «والمعنى: إني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله، وتزويجه عن الأنداد والشركاء، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة،

فأحسنَّ منهم بعدرة، فنبذ إلَيْهِم العهد، وشهر النبذ، وأشاعه، وأذنهم جيئاً بذلك ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: مستوين في الإعلام به، لم يطوه عن أحد منهم، وكاشف كلهم، وقشر العصا عن لحائه».

٣ - التوليد:

في قوله: «**قَلَّ رَبٌ أَحَكَرُ بِالْحَقِّ**» فن التوليد، وسمّاه ابن منقذ: فن التلطيف، وهو على ضربين: من الألفاظ، ومن المعاني:

١ - التوليد من الألفاظ على ضربين أيضاً:

آ - توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام.

ب - توليد المتكلم صورة من موضعين من لفظ نفسه.

والأول هو أن يزوج لفظة من لفظة لفظة من لفظ غيره، فيتولد بينهما كلام مناقض غرض صاحب اللفظ الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة، ومثاله: ما حكى عن مصعب بن الزبير أنه كان قد وسم خيله بلفظ: «عُدّة» وهو يريد عدة الحرب، فلما قتل، وصارت خيله عند الحاجاج، ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم إلى جانب عدة بلفظة «الفار» فتوارد بين اللفظين معنى غير ما أراده مصعب، وانقلب المدح قدحاً.

٢ - التوليد من المعاني، وستأتي أمثلته، أما الآية التي نحن بصددها، فقد زوج فناً من فنون البديع لفن آخر فيه، فتولد فن ثالث غيرهما، وذلك أنه يتوجه على ظاهره إشكال، وهو أن يقال: ما الحكمة في كونه سبحانه أمر نبيه أن يسأله الحكم بالحق، وهو عز وجل يعلم أن نبيه متيقن أنه سبحانه لا يحكم إلا بالحق، فلو اقتصر على قوله: احْكُم فَقْطَ كَانَ ذَلِكَ كَافِياً، فلم عدل عن الأوجز الموفي بالمعنى المراد، مع سلامة الظاهر من الإشكال إلى الأطول الموجب للإشكال، والجواب:

إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك؛ لأنهم بعثوا مؤلفين لا منفرين، وهم لا يعلمون من الغيب

إلا ما أعلمهم به الله، فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك، ألا ترى أن نوحًا عليه السلام لم يتجرأ أن يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكُفَّارِ دَيَارًا﴾ إلا بعد قوله تعالى له: ﴿أَتَهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدَّمَ أَمَانَ﴾ ولذلك احترس في الدعاء بقوله: على الأرض، فإن من آمن معه كان في السفينة، ولم يبق على الأرض إلا من حق عليه العذاب، ولما علم سبحانه أن الذين عادوا نبيه محمدًا ﷺ لا يُرجِّحُ فلاحهم أمره بالدعاء عليهم، بيد أنه علمه كيف يدعوا عليهم دعاء غير منفر لغيرهم، فأراد سبحانه أن يقول: قل رب أهلك الظالمين، فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التغیر إلى لفظ الإرداد فقال: ﴿قَلَّ رَبِّ أَنْجُونَ يَلْتَحِقُ﴾ فإنه سبحانه إذا حكم بالحق وهو العدل - عاقب من يستحق العقاب.

وأما قول مورد الإشكال: لم عدل عن الأوجز إلى الأطول؟ ولو قال: رب أحكم لكان كافياً، فليس الأمر كما زعم؛ لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل، فينزل عن حق نفسه، وله أن يحكم بالعدل، فيستوفي حقه وحق غيره، وطلب مطلق الحكم لا يوفي بذلك، فلهذا عدل عن الأوجز إلى الأطول ليوفي بالمعنى المراد.

وقد تنخل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع، اتفقت في هذه الألفاظ الثلاثة، وهي:

١ - الإرداد الذي قدّمنا ذكره.

٢ - الإيضاح؛ لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدججاً في الإرداد.

٣ - التتميم؛ إذ لو وقع الاقتصار على قوله: رب أحكم، لكان المعنى المراد ناقصاً؛ لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود كما بينا.

٤ - المقارنة؛ لأن الإدماج والإيضاح اقترنا في التتميم.

٥ - الافتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فئتين من الفنون التي يقصدها المتكلمون، وهما:

- آ - فن الأدب في تعليم الحق سبحانه نبيه ﷺ كيف يدعو على من خالقه دعاء غير منفر عنه .
- ب - فن الهجاء ، لأن عدل الله سبحانه يأبى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه على العصيان ، وبراءته من الإيمان ، ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم ، فأدّمك سبحانه في أمر الرسول بالدعاء عليهم هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام .
- ٧ - الإيجاز عن المعنى المراد بأقلّ ما يمكن من الحروف .
- ٨ - السهولة ، فقد تركب الكلمات تركيباً سليماً من سوء الجوار ، سهلة المخارج ، ولأن الكلمات جاءت في مقارها ، فلا تتقدّم كلمة عن كلمة ولا تتأخر .
- ٩ - التهذيب في كون تركيب الجملة وضع على أصحّ ترتيب ، وأسهل تهذيب إذ تقدم فيها ذكر المدعو ، وثني بالطلب ، وثالث بالطلوب .
- ١٠ - حسن البيان ؛ لأن الذهن يسابق إلى فهم معنى الكلام من غير توقف بمجرد سماعه أول وهلة لعدم التعقيد في اللفظ ، وخلوه من أسباب اللبس من التقديم والتأخير ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك .
- ١١ - التمزيج ؛ لامتزاج الفنون بمعاني البديع ، فإن فني الأدب والهجاء امتزجاً بمعنى الإرداد والتميم ، ولم يظهر في اللفظ لكل معنين سوى صورة واحدة ، فظهر فن الأدب ، وأدّمك فيه فن الهجاء ، وظهر الإرداد ، وأدّمك فيه التتميم .
- ١٢ - الإبداع ؛ لما تتضمن كل لفظة من الجملة الضرب والضربين فصاعداً من البديع .
- ١٣ - التمثيل ؛ لأن قوة البلاغة ، ورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات خرج المثل السائر ؛ الذي يصلح لأن يتمثّل به في كل واقعة تشبه واقعته .
- ١٤ - التوليد ؛ لأن الإرداد لما زوّج بالتميم تولّد منها الإيضاخ ، وتولّد

من الإيضاح والإدفاف: الإدماج، ولما ظهرت فائدة الإتيان بالجهاز والمجرور، وثبت التتميم، وظهرت العلة في العدول عن لفظ الدعاء الخاص إلى لفظ الإدفاف، وتولّد، من ذلك: فن الأدب، ومن فن الأدب: فن الهجاء. ولما ثبت الائتلاف والتهدیب، وما وقع في النظم من حسن الترتيب تولّد من ذلك المثل السائر؛ ولذلك غلب التوليد على جميع ما فيها من الضروب الثلاثة عشر، وأثبتت في بابه دون أبوابها.

التوليد في الشعر :

أما في الشعر فلا يستحسن إلا التوليد في المعاني، أما التوليد في الألفاظ، فيأتي دونه في المرتبة، بل ربما غالى بعضهم، فجعله غير مقبول لشبيه بالسرقة، وذلك أن يستعبد الشاعر لفظة في شعر غيره، فيأخذها، ويضمّنها معنى غير معناها الأول، كقول أبي تمام:

لها منظر قيُدُ الأوابِدِ لم يَرَنْ يروحُ ويَغُدو في خُفَارِتِه الْحُبُّ

أخذ لفظة قيد الأوابد من بيت امرئ القيس في وصف فرس، ونقلها إلى الغزل، وبيت امرئ القيس هو:

وقد أخذتني والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا يُمْنَجِرِدُ قَيْدُ الأَوَابِدِ هَيْكَلٌ

على أنه قد يكون عذباً كما فعل علي بن زريق البغدادي في قوله:

أَسْتَوْدُعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قَمَرًا بِالْكَوْرِخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلُعُهُ

فقد أخذ الأزرار من قول عبد الله بن المعتز:

يَا حَسْنَ أَحْمَدَ إِذْ بَدَا مُتَشَمِّرًا فِي قِرْطَقِي يَسْعِ بِكَأسِ عَقَارِهِ

وَالْغَصْنُ فِي أَثْوَابِهِ وَالدُّرُّ فِي فَمِهِ وَجِيدُ الظَّبَّيِّ فِي أَزْرَارِهِ

ولقد عايبوا على عمارة اليمني بيته يمدح الخليفة المصري الفاطمي عند قدومه عليه من اليمن، وهو:

فَهَلْ دَرِي الْبَيْتُ أَتَّيْ بَعْدَ فُرْقَتِهِ مَا سَرَتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ

لأنه مأخوذ بلفظه من شعر أبي تمام مادحا:

يَا مَنْ رَأَى حَرَمًا يَسِيرِي إِلَى حِرْمٍ
طَوْبِي لِمُسْتَلِمٍ يَأْتِي وَمُلْتَزِمٍ

وَهُنَا يَحْمَارُ النَّاقِدُ فِي كُثْرَةِ وَقْوَعِ الشُّعُرَاءِ الْكَبَارِ بِهَذِهِ الْمَزَالِقِ، قَالَ أَبْنُ
الْأَشْيَرِ: «وَمَا كُنْتُ أَسْتَحْسِنُهُ مِنْ شِعْرِ أَبِي نُوَاسَ قَوْلَهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ التِّيْ أُولَاهَا:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فِيْ إِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءً
وَدَاوِنِي بِالْتِيْ كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
دَارَتْ عَلَى فَتِيَّةِ ذَلِيلِ الزَّمَانِ لَهُمْ
فَمَا يَصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَأْوَا

وَهُذَا مِنْ عَالِيِّ الشِّعْرِ، ثُمَّ وَقَتَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِيِّ لِأَبِي الْفَرْجِ عَلَى هَذَا
الْبَيْتِ فِي أَصْوَاتِ مَعْبُدٍ، وَهُوَ:
لَهُفِي عَلَى فَتِيَّةِ ذَلِيلِ الزَّمَانِ لَهُمْ فَمَا أَصَابُهُمْ إِلَّا بِمَا شَأْوَا
وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ هَذَا».

أَمَّا تُولِيدُ الْمَعْانِي فَهُوَ مُسْتَحْسِنٌ عَلَى إِطْلَاقِهِ كَقَوْلِ أَبِي الطِّيبِ الْمَتَنْبِيِّ:
هُمَّامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفَهُ وَعَائِتَتْهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:
يَمْدُونَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيَا فَهَنَّ سَوَاءُ وَالسَّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
وَقَالَ الْمَتَنْبِيُّ أَيْضًا:

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ إِذَا نَزَلتَ فِي قَلْبِهِ رَحْلُ الْعُقْلِ
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسَ فِي وَصْفِ الْخَمْرَةِ:
إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ الْلَّهَاءِ مِنَ الْفَتَنِ دَعَا هَمَّهُ مِنْ صَدِرِهِ بِرْحِيلِ
وَجَمِيلٍ أَخْذَ الْمَتَنْبِيِّ مِنْ أَبِي تَمَامٍ قَوْلَهُ:
وَمِنَ الْخَيْرِ بَطْءَ سَيْكَ عَنِي أَسْرَعَ السَّحْبَ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ
وَبَيْتُ أَبِي تَمَامٍ:

هو الصنْعُ إِنْ تَعْجَلْ فَخَيْرٌ وَإِنْ تَرْثِ
 فَلَلَّرِيَثٌ فِي بَعْضِ الْمَوْاضِعِ أَفْعَ
 وَبَيْتُ الْمُتَنَبِّي أَجْحَلُ وَأَرْشَقُ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ ضَرْبُ الْمُثَلِّ .
 وَوَلَدُ أَحَدِ الشُّعُّرِ الْمُولَدِينَ بِيَتًا فَارْسِيًّا فَقَالَ :
 كَانَ عَذَّارَهُ فِي الْخَدَّلَامِ وَمِبْسَمِهِ الشَّهِيَّ العَذْبُ صَادَ
 وَطَرَّةُ شِعْرِهِ لِيلٌ بَهِيمٌ فَلَا عَجَبٌ إِذَا سَرَقَ الرِّقادَ
 فَقَدْ وَلَدَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْ تَشْبِيهِ الْعَذَّارِ بِالْخَلَامِ، وَتَشْبِيهِ الْفَمِ بِالصَّادِ لِفَظَةِ
 لَصٍ، وَوَلَدَ مِنْ مَعْنَاهَا وَمَعْنَى تَشْبِيهِ الْطَّرَّةِ بِاللَّيلِ ذَكْرُ سَرْقَةِ النَّجُومِ، فَحَصَّلَ
 فِي الْبَيْتِ تَوْلِيدٌ، وَإِغْرَابٌ، وَإِدَمَاجٌ .
 وَقَدْ أَطْلَنَا عَنْ الْقَوْلِ، وَلَكِنَّ الْحَسْنَ غَيْرَ مَمْلُولٍ .

* الفوائد :

التعليق :

للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أحکام عديدة، منها:
 التعليق، وهو: إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام بعده،
 والملقات عن العمل هي:

١ - لام الابتداء نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْرَتْهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَنَ
 حَلَقَ﴾ فمن مبتدأ، وهو موصول اسمى، وجملة اشتراه صلة من، وعائدها
 فاعل اشتراه المستتر فيه، وما نافية، وله وفي متعلقان بالاستقرار خلاق،
 ومن زائدة، وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من، والرابط بينهما الضمير
 المجرور باللام، وجملة من وخبره في محل نصب متعلق عنها العامل بلا م
 الابتداء؛ لأن لها الصدارة، فلا يتخططاها عامل، وإنما تخططاها في باب: إن،
 فرفع الخبر لأنها مؤخرة من تقديم لإصلاح اللفظ، وأصلها التقديم على إن.

٢ - لام القسم كقول ليبد:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِتَائِنِ مِنِّي إِنَّ الْمَنَائِيَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا

فاللام في لتأتين لام القسم، وتسمى: جواب القسم، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم، لا جملة الجواب فقط، فسقط ما قيل: إن جملة جواب القسم لا محل لها، وإن الجملة المعلقة عنها العامل لها محل فيتنافيان؛ ولهذا قال أبو حيان: «أكثر أصحابنا لا يذكرون لام القسم في المعلقات، وفي العزة، ولام القسم لا تعلق كقوله:

لَقَدْ عَلِمْتَ أَسْدًا أَنَّا لَهُمْ يَوْمٌ نَصْرٌ لِنِعْمَ التَّصِيرِ

بفتح أن، فهذه لام القسم، ولم تعلق، وتقول: علمت أن زيداً ليقوم بفتح أن» اهـ وفي المعنى: «أن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم، كقوله:

وَلَقَدْ عَلِمْتَ لَتَأْتِينِي مِنْتِي . . . الْخَ» اهـ.

فَأَخْرَجَ لَامَ لَتَأْتِينِي عَنْ كُونِهَا لِلْقُسْمِ.

٣- ما النافية نحو: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَتُولَكَإِنْ يَنْطَقُونَ﴾ فما نافية، وهؤلاء مبتدأ، وجملة ينتظرون خبره، والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمته، وهي معلقة عنها العامل في اللفظ بما النافية.

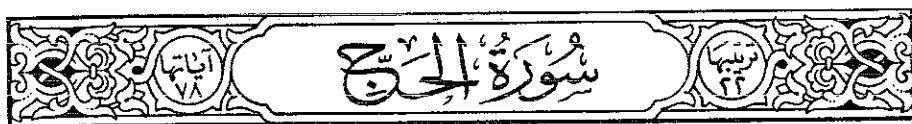
٤- لا وإن النافيتان، الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، فالمملفوظ به، نحو: علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو، وعلمت والله أن زيد في الدار، والمقدر، نحو: علمت لا زيد في الدار ولا عمرو.

٥- الاستفهام كالآلية التي نحن بصددها، وهي: ﴿وَلَمْ أَدْرِيْتَ أَقْرَبِ﴾
الخ . . . وقول كثير:

وَمَا كُنْتُ أَدْرِيْ قَبْلَ عَزَّةِ مَا الْبُكَا

وَلَا مَوْجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

فعطف موجعات بالنصب على الكسرة على محل قوله: ما البكا؛ الذي علق عن العمل فيه قوله: أدرى .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ١
تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ
حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ سُكَّرَى وَلَا كُنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدًا ﴾ ٢
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّمِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ ٣
عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّهُ فَأَنَّهُ يُضْلِلُهُ وَيَهْدِيهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ٤ ﴾

☆ الْلَّفْظَةُ:

﴿ مَرِيدٍ ﴾: عات متجرد للفساد. قال الزجاج: المرید، والمارد: المرتفع الأملس، وقال في القاموس وشرحه: المارد: العاتي المرتفع، يقال: بناء مارد، أي: مرتفع، وهو مجاز، وجمعه، مردة، وماردون، ومزاد، والمرید: الشديد المرادة، والخبيث الشرير، وجمعه: مُرَد، ومؤنة مرداء، يقال: مُرَد على جُرْد، أي: شبان مرد على خيول جرد.

○ الإعراب:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقْوِ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يا أداة نداء، وأيها منادي نكرة مقصودة مبني على الضم، والهاء للتبنيه، والناس بدل من أي على اللفظ، واتقواف فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإن زلزلة الساعة: إن واسمها، شيء خبرها، وعظيم صفة لشيء، وجملة ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ . الخ تعليلية لا محل لها من الإعراب، وذلك لقوله: ﴿أَتَقْوِ رَبَّكُمْ﴾ وزلزلة الساعة من إضافة المصدر إلى فاعله، أو إلى مفعوله، فعل الأولى كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف، وإجرائه مجرى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَنْ كَرِهُ أَتَتِ الْأَيْلَهُ وَالنَّهَارُ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعٍ كُلُّ عَمَّا أَرَضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمِيلٍ حَمَلَهَا﴾ الظرف متعلق بتذهل، وجملة ترونها مضارف إليها الظرف، وأجازوا فيه أوجهًا أخرى، منها: أن يكون متعلقاً بعظيم، أو باذكر مقدرة، أو: أنه بدل اشتغال من زلزلة؛ لأن كلاماً من الحديث والزمان يصدق عليه أنه مشتمل على الآخر، والضمير في ترونها عائد على الساعة، أي: القيامة، ولأنها بهذه المثابة التي تقطع نيات القلوب، ويجوز أن يعود على الزلزلة، ولعله أقرب لأنه في الدنيا، وتذهب فعل مضارع مرفوع، وكل مرضعة فاعل، والجملة في محل نصب على الحال من ضمير ترونها، أي: الهاء فإن الرؤية هنا بصرية حتماً، هذا إذا لم يجعل يوم متعلقاً بتذهب، فإن تعلق به لم تجز الحال، وصارت الجملة مستأنفة، أو: أنها حال من الزلزلة، أو من الضمير المستتر في عظيم، أو: من الساعة، وإن كانت مضارفاً إليها؛ لأنها إما فاعل، وإنما مفعول بها، كما تقدم، ولا بد عندئذ من تقدير ضمير مخدوف، أي: تذهب فيها، والمرضة هي التي باشرت الإرضاع بأن القمت الرضيع ثديها، والمرضع هي التي من شأنها أن ترضع سواء باشرت الإرضاع أم لم تباشره، ففرقوا بينهما بالباء المربوطة، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا السر في باب البلاغة، وعما

أرضعت متعلقان بتدهل، وما موصولة، أو مصدرية، أي: عن الذي أرضعته، أو عن إرضاعها، وتضع كل فعل مضارع وفاعل، والجملة معطوفة على جملة تدهل، وذات حمل مضارف لكل، وحملها مفعول به لتضع، والحمل بفتح الحاء المهملة: ما كان في بطن، أو على شجرة، وبالكسرة: ما كان على ظهر. «وَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى وَلَكِنَ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» الواو عاطفة، وترى فعل مضارع معطوف على تروتها، وإنما جمع في الأول، وأفرد في الثاني؛ لأن الرؤية الأولى علقت بالزلزلة أو الساعة، وكل الناس يرونها. أما الثانية فهي متعلقة بكون الناس سكارى، فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي بقطع النظر عن اتصافه بالسكر، وفاعل ترى مستتر تقديره: أنت، والناس مفعول به، وسكارى حال، الواو للحال، وما نافية حجازية، وهم اسمها، والباء حرف جر زائد، وسكارى مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والجملة في محل نصب على الحال من الناس، ويجوز في سكارى ضم السين وفتحها فهما لغتان، وبهما قريء، ولكن الواو عاطفة، على مذوف، مخالفة لما بعد لكن، وهذا حكم مطرد لها، والتقدير كما في «البحر» لأبي حيان: «فهذه الأحوال، وهي: الذهول، والوضع، ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة، ولكن عذاب الله شديد، أي: ليس لدينا وسهلاً، فما بعد لكن مخالف لما قبلها» وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة. «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لذكر من غفل عن الجزاء في ذلك، وكذب به، والمناسبة بينها وبين ما تقدم من ذكر أحوال الساعة، وزلزلتها واضحة، ومن الناس خبر مقدم، ومن نكرة موصوفة حتماً، وهي مبتدأ مؤخر، أي: ناس موصوفة بالجدل، واللجاج، والسفطة، والمكابرة لا تنفع فيهم العزات، ولا تؤثر فيهم الدلائل، وجملة يجادل في الله صلة لمن، وأفرد الضمير مراعاة للفظ من، ولو جمع مراعاة لمعناها لجائز، وفي الله متعلقان يجادل على حذف مضارف، أي: قدرته، وصفاته،

ودينه، وبغير علم حال من الضمير الفاعل في يجادل، أي: جاهلاً متخططاً في متأهات الضلالة العمiae، والجهالة النكراء ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَنٍ مَّرِيدٍ﴾ ويتبَعُ عَطْفاً على يجادل، وكل مفعول به، وشيطان مضاف إليه، ومريد صفة لشيطان، ولا يد من تقدير مضاف، أي: خطوات كل شيطان. ﴿كَتَبَ اللَّهُ أَنَّمَا مَنْ تَوَلَّهُ فَأَنَّهُ يُضْلَلُ وَيَهْدِيهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ كتب فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان به، وأن وما في حيزها في محل رفع نائب فاعل، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويجوز أن تكون من اسم موصول مبتدأ، وفأنه الخبر، ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط، وجملة يضله خبر أنه، وجملة الشرط أو الموصول خبر أنه، وأجاز الزمخشري أن تكون فأنه معطوفة على الأولى، وتعقبه أبو حيان فقال: وهذا لا يجوز؛ لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استثناء خبر، على أن كثيرين أيدوا الزمخشري في إعرابه، ونرى أن ما اختناه هو الأقرب للصواب، ويهديه عطف على يضله، وإلى عذاب السعير متعلقان بيهدية.

□ البلاغة:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى﴾ تشبيه بلية، فقد شبه الناس في ذلك اليوم العصيّ بحالة السكارى؛ الذين فقدوا التمييز، وأضاعوا الرشد، والعلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقشه، كقولك: زيد حمار إذا وصفته بالبلاده والغباء، ثم يصدق أن تقول، وما هو بحمار، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن ثبتت السكر المجازي نفت الحقيقة أبلغ نفي مؤكداً بالباء، والسر في تأكيده التنبيه، على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى﴾ وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر، وهو السكر المعهود، فما هذا السكر الغريب؟ وما سببه؟ فقيل: شدة عذاب الله تعالى.

٢ - وفي عدوله عن مرضع إلى مرضعة سُر قلَّ من يتغطّن له، وهو: أن المرضعة هي التي باشرت الإرضاع فعلاً، فزعها الثدي من فم طفلها عند حدوث الهول، ووقوع الارتكاك أدلّ على الدهشة، وأكثر تجسيداً لمواطن الذهول؛ الذي استولى عليها، وهناك فرق آخر، وهو: أن وروده على النسب، أي: مرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتبه بها، ولكن مقتضاه أنه موصوف بها، وعلى غير النسب، أي: مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل، وخروج الصفة عليه، وهذا من أسرار لغتنا التي تندر في اللغات.

وقال في «المفصل»: «إن مذهب الكوفيين إن حذف التاء من حاضن للاستغناء عنها، وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس كضامر، وعاشق، وأيم، وثيب، وعانس» وهذا الاعتراض بين، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإناث من امرأة معيبة، وكلبة مجرية على ما في الصحاح، فليس بسديد؛ لأن ما ذكروه مجوز لا موجب؛ لأنهم يقولون: الإتيان بالتأء في صورة الاستغناء على الأصل كحاملة في المرأة، قال في الصحاح: يقال: امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبل، فمن قال: حامل، قال: هذا نعت، ومن قال: حاملة، بناء على حملت، فهي حاملة، وأنشد لعمرو بن حسان:

تَمَحَّضَتِ الْمَنْوَنُ لَهُ بِيَوْمِ أَتَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامٌ

فَإِذَا حَمِلَتِ شَيْئاً عَلَى ظَهَرِهَا، أَوْ عَلَى رَأْسِهَا، فَهِيَ حَامِلَةٌ لَا غَيْرَ.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُرِيَبٍ مِّنَ الْمُبَعِّثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّبُ فِي الْأَرْجَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلِّ مُسَمِّيٍّ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَنْتَبَلُغُوا أَشَدَّ كُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْفَكُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدُدُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِحَكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَأَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيج﴾ ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحِيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى

كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِنَّ السَّاعَةَ إِلَيْهَا لَا رَيْبَ فِيهَا ۝ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ فِي
الْقُبُوْرِ ۝

الله ☆

نُطْفَةٌ: ماء الرجل أو المرأة، والجمع: نطاف، ونُطْفَةٌ، وهو ما يعرف بالمني، كفني، والمني، كإلي، والمنية كرمية، ويجمع على مُنْتَهِي، كقُفل. ومني، وأمني، ومُنْتَهِي بمعنى واحد. والنطفة أيضاً: الماء الصافي قل أو أكثر، وسيأتي المزيد من الكلام عنه.

العلقة : هي الدم الجامد، وهو المراد هنا، والذي يعلق باليد، وكل ما يعلق، وما تبلغ به الماشية من الشجر، ودويبة سوداء تتصل الدم، والجمع : علق.

• **مُضْغَةٌ** : لحمة قدر ما يمضغ.

﴿مُخَلَّقَة﴾ : المخلقة: المسوأة الملساء من النقصان والعيوب، يقال: خلق السواك والعود؛ إذا سواه، وملسه، من قولهم: صخرة خلقاء، لأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة متباعدة منها، ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، وعلى حسب ذلك التفاوت تتفاوت المخلوقات في الصور، والخلق.

﴿طَفْلًا﴾ : الطَّفْل - بكسر الطاء - يطلق على الولد من حين الانفصال إلى حين البلوغ، وأما الطفل بالفتح فهو الناعم، والمرأة طفلة، وأما الطَّفَل - بفتح الطاء والفاء - فهو وقت ما بعد العصر، من قولهم: طفلت الشمس إذا مالت للغرب، وأطفلت المرأة؛ أي: صارت ذات طفل. وفي «المختار»: الطفل يستعمل مفرداً وجمعاً، وفي الحديث: سُئِلَ ﷺ عن أطفال المشركين. وقال في الأساس واللسان ما خلاصته: هو طفل بين الطفولة، وفعل ذلك في طفولته، وامرأة وظبية مُطْفَل، وطفَلت ولدها: رشحته. قال الأخطل يصف سحاباً: إذا زَعَرَعَتْهُ الرِّيحُ جَرَّ ذِيولَهَا كما رَجَعَتْ عُودٌ ثِقَالٌ تُطَفَّل

وامرأة طَفْلَةُ، وطَفْلَةُ الأَنَمْلِ: ناعمة، وبنان طَفْلٌ: ناعمة.

قال ذو الرمة:

أَسِيلَةُ مُسْتَنٌ الْوَشَاحِينَ قَانِيٌّ

بأطرا فها الحَنَاءُ في سِرِطٍ طَفْلٍ

وقد طَفْلُ طُفُولةٍ وَطَفَالَةُ، وَآتَيهِ في طَفْلِ الْغَدَاءِ، وَطَفَلُ الْعَشَيِّ، وَهُوَ:
بعيد طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غَرْوَبَهَا، قَالَ:

بَاكِرَتُهَا طَفَلَ الْغَدَاءِ بَغَارَةٍ وَالْمُتَغَوِّنُ خِطَارَ ذَاكَ قَلِيلٌ

وقال ليدي:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا وَعَلَى الْأَرْضِ غَيَّا يَاتِ الْطَّفَلُ

وَطَفَلَتِ الشَّمْسُ: إِذَا دَنَتْ لِلْغَرْوَبِ، وَطَفَلُ اللَّيلِ: أَقْبَلَ وَأَظَلَّ، وَطَفَلَ
عَلَيْنَا وَتَطَفَّلَ، وَهُوَ طَفِيلٌ. وَتَقُولُ: مَا زَالَ يَطَفَّلُ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى نَسْخَ
طُفِيلَ الْأَعْرَاسِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْكَوْفَةِ، نُسِبَ إِلَيْهِ التَّطَفِيلِ.

﴿أَشَدَّكُمْ﴾: تَقْدِمُ بِحَثَّهِ، وَنَقُولُ هُنَا: الْأَشَدُ: كِمالُ الْقَوْلِ،
وَالْعُقْلِ، وَالْتَّمِيزِ، وَهُوَ مِنَ الْفَاظِ الْجَمْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَعْمِلْ لَهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ
مَا بَيْنَ الْثَّلَاثَيْنِ إِلَى الْأَرْبَعِينِ.

﴿هَامِدَةُ﴾: الْهَمُودُ: السَّكُونُ وَالْخُشُوعُ، وَهَمَدَتِ الْأَرْضُ: يَسِّيَتْ،
وَدَرَسَتْ، وَهَمَدَ الثَّوْبُ: بَلَّيْ.

﴿أَهْتَزَتْ﴾: تَحْرَكَتْ، وَتَحْوِيْزَهُ هَنَاعُونَ إِنْبَاتِ الْأَرْضِ نَبَاتَهَا بِالْمَاءِ.

﴿وَرَبَّتْ﴾: زَادَتْ وَارْتَفَعَتْ، مِنْ: رِبَا، يَرِبُّو.

○ الْإِعْرَابُ:

﴿يَكْتُبُهَا النَّاسُ إِنْ كُتُبَ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعْثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ تَقْدِمُ إِعْرَابِهَا، وَإِنْ شَرْطِيَّةُ، وَكَتَبْتُمُ فعلَ ماضٍ ناقصٍ فَعُلُّ الشَّرْطِ،
وَالتَّاءُ اسْمَهَا، وَفِي رَبِّ خَبْرَهَا، وَمِنَ الْبَعْثِ مَتَعْلِقَانِ بِمَحْذُوفٍ صَفَةٌ لِرَبِّ،
فَإِنَّا الْفَاءُ رَابِطَةُ، وَإِنْ وَاسْمَهَا، وَجَمِيلَةُ خَلَقْنَاكُمْ خَبْرَهَا، وَمِنْ تُرَابٍ مَتَعْلِقَانِ

بخلقناكم، وإنما ساغ وقوع قوله ﴿فَإِنَّا لَحَقْتُمُ﴾ جواباً على تأويل، فمزيل ربكم أن تظروا في بدء خلقكم. ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقٌ وَغَيْرُ مُخْلَقٌ﴾ عطف بضم للدلالة على وجود تراخ في تطور الخلق، وتدرجه من حال إلى حال، وقوله مخلقة صفة لمضغة، وغير مخلقة عطف على مخلقة، والمراد: تفصيل حال المضغة، وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها من الأعضاء شيء، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً. ﴿لِتَبَيَّنَ لَكُمْ وَنَقِيرٌ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَّا أَجَلٌ مُسَمٌ﴾ لنبين اللام للتعليق، ونبين مصارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعلييل، واللام مع مدخلوها متعلقة بخلقناكم، أو اللام للصيرورة والعاقبة، أي: أن أفعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وعلمه ما لا يمكن اكتناهه، أو الإحاطة به، ولذلك حذف مفعول نبیّن، وذلك للاستدلال بهذه القدرة على أن من قدر على بدء الخلق قادر على إعادةه، فلا مجال للإنكار، ولا مساغ للتشكيك، ونقر: الواو استثنافية، ونقر فعل مصارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وفي الأرحام متعلقان بـنـقـير، وما مفعول به، وجملة نشاء صلة، وإلى أجل مسمى متعلقان بممحذوف حال، وإنما استأنف؛ لأنـه ليس المعنى خلقناكم لنـقـير، ومسمى صفة لأجل حرف، أي: يمتد الوقت خروجه. ﴿ثُمَّ نَخْرُجُكُمْ طَفَلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ ثـمـ حـرـفـ عـطـفـ وـتـرـاخـ أـيـضاـ، وـنـخـرـجـكـمـ عـطـفـ عـلـىـ نـقـيرـ، وـفـاعـلـ نـخـرـجـكـمـ ضـمـيرـ مستـرـ تقـدـيرـهـ: نـحـنـ، وـالـكـافـ مـفـعـولـ بـهـ، وـطـفـلـاـ حـالـ مـنـ مـفـعـولـ نـخـرـجـكـمـ، ثـمـ لـتـبـلـغـواـ: لـاـ بـدـ مـنـ تـقـدـيرـ: فـعـلـ، وـهـوـ: نـعـرـكـمـ، وـلـتـبـلـغـواـ اللـامـ للـتـعـلـيـلـ، أوـ الصـيـرـورـةـ، وـتـبـلـغـواـ مـنـصـوبـ بـأـنـ مـضـمـرـةـ بـعـدـ الـلامـ، وـالـواـوـ فـاعـلـ، وـأـشـدـكـمـ مـفـعـولـ بـهـ. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَ إِلَيْ أَرْذَلَ الْعُمُرِ﴾ الواو عاطفة، ومنكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يتوفى صلة، ومنكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يرد صلة، إلى أرذل العمر متعلقان بـيـرـدـ، وـنـسـبـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ قولـهـ: أـرـذـلـ العـمـرـ: خـمـسـ وـسـبـعـونـ سـنـةـ، وـقـيـلـ: ثـمـانـونـ، وـقـالـ قـتـادـةـ: تـسـعـونـ، وـالـصـوـابـ أـنـهـ الـهـرمـ، وـالـحـرـفـ، وـوـصـولـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ إـلـيـعـاءـ، وـالـوـهـنـ، أـوـ: يـرـتـدـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ

الطفولة ضعيف البنية والعقل، بليد الفهم. ﴿لَكِيَّلا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عَلِيهِ شَيْئًا﴾ لكيلا متعلقان بيرد، ويعلم منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وكني مصدرية، ومن بعد علم متعلقان بمذدوف حال؛ لأن علم بمعنى عرف، وشيئاً مفعول به ليعلم. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ وهذه الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير الدليل الثاني؛ لأن الدليل الأول منه ما هو مرئي مشاهد، ومنه ما ليس كذلك، فغير عنه بالخلق، أما هذا الدليل، فهو داخل في حيز النظر ومندرج في سلك المرئيات، فلذلك عبر عنه بقوله وترى، والأرض مفعول به، وهامدة حال من الأرض، فإذا الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أنزلنا مضافة إلى الظرف، وعليها متعلقان بأنزلنا، والماء مفعول به، وجملة اهتزت لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وربت عطف على اهتزت، وكذلك قوله: وأنبت، ومن كل زوج صفة لمفعول به مذدوف، أي: أشياء وأصنافاً كائنة من كل صفات، وبهيج صفة لزوج. ﴿ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْمَوْقِعَ وَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذلك مبتدأ، وبأن الله خبر وقيل: ذلك خبر لمبتدأ مذدوف، أي: الأمر ذلك، وعندئذ تكون الباء مع مدخولها في محل نصب على الحال، وأن واسمها، وهو ضمير فصل أو مبتدأ، والحق خبر أن، أو خبر هو، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر أن، وأنه عطف على بأن، وأن واسمها، وجملة يحيي الموتى خبرها، وأنه على كل شيء قادر عطف أيضاً.

ولا بأس هنا بأن نورد ملاحظة لأبي حيان خلاصتها: أن الباء ليست للسببية، وإنما هي متعلقة بمذدوف تقديره: شاهد بأن، وهو ينطبق على ما ذكرنا من الوجهين المتقدمين.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ إِاتَيَةً لَا رَبَّ فِيهَا﴾ وأن الساعة خبر لمبتدأ مذدوف، أي: والأمر أن الساعة، وأن واسمها، وآتية خبرها، ولا نافية للجنس، وربت اسمها، وفيها خبرها، والجملة حالية، أو خبر ثان لأن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَعْثُثُ

مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ عَطَفَ عَلَى مَا تَقْدِمُ، وَأَنْ وَاسْمَهَا، وَجَمْلَةٌ يَبْعَثُ خَبْرَهَا، وَمِنْ مَفْعُولِهِ، وَفِي الْقُبُورِ مُتَعْلِقَانِ بِمَحْذُوفٍ صَلَةٌ مِّنْ .

□ البلاغة:

في قوله تعالى: «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَزْلَنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٠﴾ فنون لا يكاد يتسع لها صدر هذا الكتاب، وسنحاول تلخيصها جهد المستطاع، فأول ما فيها:

١ - ائتلاف الطباق والتكافؤ:

لمجيء أحد الضدين، أو أحد المتقابلين حقيقة، والآخر مجازاً، فهمود الأرض واهتزازها ضidan؛ لأن الهمود سكون، فالاهتزاز هنا حركة خاصة، وهما مجازان، والريو والإنبات ضدان، وهو حقيقتان، وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء، وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الريبو، وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء، وتشققت، وأنبتت، فصدر الآية تكافؤ، وما قابله في عجزها طباق.

٢ - الإرداد:

وفيها مع هذين الفنين: فن الإرداد، وهو كما ذكر قدامة في «نقد الشعر»: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلغظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل بلغظ هو ردد المعنى الخاص، وتتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف، وقد تقدمت الإشارة إليه في هود، وهنا في هذه الآية عدل عن لفظي الحركة والسكنى الحقيقيين إلى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز؛ لما في لفظي الإرداد من الملامة للمعنى المراد؛ لأن الهمود يراد به الموت، والأرض في حال عطلها من السقي والنبات موات، فكان العدول إلى لفظ الهمود المعبر به عن الموت أولى من لفظ السكون، والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز المدوح لل مدح،

فلا يجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاص؛ لما يشعر أن الأرض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها بتنزل السقي لها متزلاً ما يسرها، فاهتزت لتشعر بالعطاء، فقد ظهرت فائدة العدول إلى لفظ الإرادة؛ لما يعطيه من هذه المعانى التي لا يعطيها لفظ الحقيقة.

٣ - التهذيب :

وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ، والطبق، والإرادة، والاتلاف منعوتاً بالتهذيب؛ لما فيه من حسن الترتيب، حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الربو، ولفظ الربو على الإنبات؛ لأن الماء إذ نزل على الأرض فرق أجزاءها، ودخل في خاللها، وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال؛ لأن انقسام الجوهر يدلُّ على انتقال قسميه، أو أحدهما عن حيزه، ولا معنى للحركة إلا هذا، فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيبة السقي، كما جاء الربو بعد الاهتزاز، فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة إلى حاله قبل ذلك، وهذا هو الربو بعينه، وقد تقدم شرح كون الإنبات إنما يكون بعد الربو، وجفاف رطوبة الماء، وعود التراب إلى حاله، وتشققه، فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب، واقترن بذلك حسن النسق؛ لتقدم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً.

٤ - المذهب الكلامي :

وفي قوله تعالى من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنِ فِي الْقُبُوْرِ﴾ فن المذهب الكلامي، ففي هذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات، وسياقها مفصلة على الترتيب:

آ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ذلك لأنَّه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها، وذلك مقطوع بصححته؛ لأنَّه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر، فهو حق، ولا يخبر بالحق عمما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق.

ب - أخبر سبحانه أنه يحيي الموتى؛ لأنه تعالى أخبر عن أحوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى؛ ليشاهدو تلك الأحوال التي فعلها سبحانه من أجلهم، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء: إحياء الموتى، فهو يحيي الموتى.

ج - وأخبر أنه على كل شيء قادر؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين، ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قادر، فهو على كل شيء قادر.

د - وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: ﴿لَكُلَّا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ وضرب سبحانه لذلك مثلاً بالأرض الهاامة التي ينزل عليها الماء، ففهز، وتربو، وتربت من كل زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به، فأوجده بالخلق، ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم، فأحياها بالخلق، ثم أماتها بال محل، ثم أحياها بالحسب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على التوقع الغائب؛ حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره.

ه - في الإتيان بالساعة، ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور، إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فالساعة آتية لا ريب فيها، وهو سبحانه يبعث من في القبور.

٥ - المجاز:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فقد أنسد الإنبات للأرض، وهو مجاز عقلي؛ لأن المبتدأ في الحقيقة هو الله تعالى، وقد تقدم القول غير مرّة في المجاز، ونزيد هنا: أن المجاز خلاف الحقيقة، والحقيقة فعلية بمعنى مفعولة، من أحق الأمر، يتحقق؛ إذا أثبتته، أو: من حققته إذا كنت على يقين، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك؛ لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة،

والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه؛ إذا تعاذه، فإذا عدل باللفظ عما يوجهه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً.

شرط المجاز:

المجاز لا يكون إلا بشرطين:

ـ آـ أن يكون اللفظ منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزاءه أولاً، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك، وعن الكذب الذي ادعى فيه أنه مجاز.

ـ بـ والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقته، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقلة بأنها مجاز، مثل ذلك تسميتك رجلاً بالحجر، ويقال أن ذلك مجاز وإن كنت نقلت اسم الحجر إلى الإنسان، إلا أنه نقل لغير مناسبة، إذ لا مناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الإنسان، ومتنى تتحقق هذان الشرطان في لفظ ، كان ذلك اللفظ مجازاً.

قسمما المجاز:

والمجاز مجازان: مجاز استعارة، ومجاز حذف . والأول قائم على التشبيه؛ لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه، كقولك : لقيتأسداً، وأنت تعني : أنك لقيت شجاعاً، ولكن ليس فيها نقل كما تقدم ، وسيأتي مزيد بسط لهذا البحث ، فقوله تعالى : ﴿وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ نقل الإنبات إلى الأرض ، وجعل خضرتها ، ونضرتها ، وتعاشييها ، وتعاجيب ألوانها لها ، والحقيقة أن كل ذلك الله .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يُغَيِّرُ عِلْمَهُ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ ۚ ثَانٍ عِطْفِهِ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حَزْنٌ ۗ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا الْحَرِيقَ ۖ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لِيَسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبْدِ ۚ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَهُ ۖ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الْأَضَلُلُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيَسَ الْمَوْلَى وَلِيَسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

☆ اللغة:

﴿ثَانِ عِطْفِهِ﴾: الثاني : اللي ، وفي القاموس : ثني يثنى الشيء : عطفه ، وطواه ، ورد بعضه على بعض ، وكفة . والعطف : الجانب يعطفه الإنسان ، ويلويه ، ويميله عند الإعراض عن الشيء ، وهو تعبير يراد به التكبر .

﴿حَرْفٌ﴾: طرف ، وسيأتي تفصيل معناه في باب البلاغة .

○ الإغراب:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم : تقدم القول فيها مفصلاً ، فجدد به عهداً ، ولا هدى عطف على علم ولا كتاب منير عطف أيضاً ، وسيأتي القول في تكرير هذه الآية في باب البلاغة . ﴿ثَانِ عِطْفِهِ لِيُضَلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ثان حال من فاعل يجادل ، وإنما نصبه على الحال ، والحال من شرطها أن تكون نكرة ؛ لأن إضافته بنية الانفصال ، والتقويم مراد المقطوع به ، وعطفه مضاف ، وثني العطف سيأتي بحثه في باب البلاغة ، ول يجعل : اللام للتعليل ، أو للعقاب ، والصيورة ، ولعلها أولى للاءمة السياق ، ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والفاعل مستتر تقديره : هو ، وعن سبيل الله متعلقان بيضل ، أي : عن دينه . ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حُزْنٌ وَنَذِيقَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابٌ أَلْحَقَ﴾ له خبر مقدم ، وفي الدنيا حال ؛ لأنه كان صفة لحزى ، وتقدم على القاعدة المشهورة ، وحزى مبتدأ مؤخر ، ونديقه الواو عاطفة ، ونديقه فعل وفاعل مستتر ، ومفعول به ، ويوم القيمة ظرف متعلق بالفعل قبله ، وعداب الحريق مفعول به ثان ، وجملة له في الدنيا حالية . ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَيْدِ﴾ ذلك مبتدأ ، وبما خبر ، وجملة قدمت صلة ، ويداك فاعل ،

وأن عطف على قدمت، فهي في محل جر، وأن واسمها، وجملة ليس خبرها، واسم ليس مستتر تقديره: هو، والباء حرف جر زائد، وظلام اسم مجرور لفظاً متصوب مخلافاً خبر ليس، وللعيديد جار ومحرر متعلقان بظلام، وجملة ذلك بما قدمت يداك مقول قول ممحذوف، وجملة القول حالية. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال المرتايين في إيمانهم الشاكين في دينهم، ومن الناس خبر مقدم، ومن نكرة موصوفة، وهي مبتدأ مؤخر، أي: موصوفة بالعبادة القلقة، غير المستقرة، ولا الثابتة، فهي عرضة للأهواء يعصف بها أقل ما يحدث لهم من بلاء، أو ضر، وجملة يعبد الله صفة لمن، وعلى حرف حال من فاعل يعبد، أي: مضطرباً متراجعاً، وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب البلاغة. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةً أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾ فإن الفاء عاطفة، وإن شرطية، وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وخير فاعل، واطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط، وبه متعلقان باطمأن، وإن الواو عاطفة على إن الأولى، وأصابته فتنة عطف على ما تقدم، وانقلب جواب الشرط، وعلى وجهه حال أيضاً، وجملة خسر الدنيا والآخرة حال أيضاً من فاعل انقلب، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة، أو تبدلها من جملة انقلب على وجهه، والدنيا مفعول خسر، والآخرة عطف على الدنيا. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان والخساران خبر هو، والجملة خبر ذلك، والمبين نعت للخساران، والجملة مستأنفة، ولك أن تجعل هو ضمير فصل. ﴿يَدْعُوا مِنْ دُورِنَا مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل يعبد، ويجوز أن تكون مستأنفة، ويدعو فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، ومن دون الله حال، وما اسم موصول مفعول به، ولا نافية، وجملة لا يضره صلة، وما لا ينفعه عطف على الجملة السابقة، وذلك هو الضلال البعيد تقدم إعراب نظيرتها. ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَفَرُّبِّنَ نَفْعَهُ لِيَنْسَ الْمَوْلَى وَلِيَنْسَ الْعَشِيرَ﴾ الجملة بدل من جملة يدعوا السابقة، فهي

بمثابة التكرير لها، ولا محل لها، ويدعو فعل مضارع، واللام للابتداء، أو هي موطة للقسم، ومن اسم موصول مبتدأ، وضره مبتدأ ثان، وأقرب من نفعه خبر ضره، وجملة ضره أقرب من نفعه صلة من، وجملة ليس المولى خبر من، ويرد على هذا الإعراب دخول لام الابتداء على الخبر، وهو ضعيف من حيث القواعد النحوية، إلا أن يقال أن اللام كررت للمبالغة، ولذلك أن تجعل يدعو من أفعال القلوب متضمنة معنى يزعم؛ لأن يزعم قول مع اعتقاد، فتكون جملة لمن ضره أقرب من نفعه في محل نصب على المفعول به؛ لأن لام الابتداء معلقة لها عن العمل، أو يكون يدعو بمعنى يقول، ومن مبتدأ، وضره مبتدأ ثان، وأقرب خبره، والجملة صلة من، وخبر من مخدوف تقديره: إله، أو إلهي، وموضع الجملة نصب بالقول. وجملة ليس مستأنفة؛ لأنها لا يصح دخولها في الحكاية؛ لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم ليس المولى وليس العشير، وهناك وجه آخر مقبول، وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به ليدعوه، ويؤيد هذا الوجه قراءة عبد الله يدعو من ضره بغير لام الابتداء، فمن مفعول يدعوه، وضره مبتدأ، وأقرب خبر، والجملة صلة من، وقد اختار الحال السيوطي هذا الوجه، ودعمه شارحوه، أما الزمخشري فهذا نص عبارته:

«استعيض الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً، فطالت وبعدت مسافة ضلالته، فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان له في الآيتين، وهذا تناقض؟ قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاهما له ﴿لَمَنْ ضَرُهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ أو كرر يدعو كأنه قال: يدعوه من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: ﴿لَمَنْ ضَرُهُ﴾ بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً ليس المولى، وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام».

فكأن الزمخشري - رحمه الله - أجمل الأعاري卜 التي أوردناها على أن هناك أوجههاً عديدة، سلكها المفسرون تربو على سبعة أوجه، ولكنها كلها بعيدة عن المنطق نورد لك منها على سبيل المثال رأي الفراء قال : «إن التقدير يدعو من لضره، ثم قدم اللام على موضعها» ولا يخفى ما فيه من التعسف، وتقدير ما في صلة الذي عليها .

وثمة رأي لا يقلّ عن هذا غرابة وشذوذًا، وهو أن يكون ذلك بمعنى الذي في موضع نصب يدعوه، أي : يدعو الذي هو الضلال، ولكنه قدم المفعول، وهذا يتمشى على قول من جعل ذا مع غير الاستفهام بمعنى الذي، مع أنه منحصر في قوله ماذا، ومن ذا؟

وثمة رأي آخر أشد استحالة، وهو أن يكون التقدير ذلك هو الضلال البعيد يدعوه. فذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، أو بدل، أو ضمير فصل، والضلال خبر المبتدأ، ويدعوه حال، والتقدير : مدعواً، وهو وجه يدعو على نفسه بالوهن كما ترى، وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص إلى القول : إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير ، ولم يأتوا فيها بما ينفع الغليل ، وكلام الله المعجز أسمى من أن تطاله القواعد التي وضعها الإنسان .

وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، والمولى فاعل ، والمحخصوص بالذم مخدوف تقديره : هو ، ولبئس العشير معطوف على قوله : ﴿لِئَسَ الْمَوْلَى﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ ﴾^{١٤} مَنْ كَانَ يَظْنُنَ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيَمَدِّدْ سَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾^{١٥} وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ إِيمَانَ بَيْنَتِ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾^{١٦} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالْمَجْوُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ

اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

☆ اللغة:

﴿وَالْمَجُوس﴾ : أطلق الماجوس على فئة من الكهان، كان لهم الدور الخطير في الديانة الإيرانية القديمة، ولا سيما في العهد الساساني، وقد أطلق الاسم على فئات من المنجمين والعلماء، وجاء ذكر الماجوس في إنجيل متى، كانوا من رجال علم الفلك، وقد استثاروا بوعي خاص عن مجيء المسيح، أتوا من منطقة لم تبعد عن فلسطين شرقاً على ما يظن، يهدّهم نجم في السماء، إلى أن وصلوا إلى بيت لحم، وقدموه للمسيح الطفل هداياهم، وقد ذكر التقليد الشعبي أنهم كانوا ثلاثة ومن سلالة ملوكية، وأطلق العرب الماجوس على قرchan النورمان والسكندينافيين؛ الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحام السواحل والحدود في بلاد الغرب الإسلامي، هذا وقد اختلف أهل العلم في الماجوس، فقيل: هم قوم يعبدون النار، وقيل: الشمس، وقيل: هم القائلون بأن للعالم أصلين النور والظلمة، وقيل: هم قوم يستعملون النجاسات، والأصل نجوس، فأبدلت الميم نوناً، هذا؛ وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا الماجوس.

○ الإكراه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَحْمِلُّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَذْهَرَ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ إن واسمها، وجملة يدخل خبر، والذين مفعول به، وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير مصير المؤمنين الذين يعلمون الصالحات، وجنات مفعول به ثان على السعة، أو نصب بنزع الخاضض، وجملة تجري من تحتها الأنهر صفة لجنات، وجملة إن الله يفعل ما يريد مستأنفة لتعليق ما تقدم، وإن واسمها، وجملة يفعل خبر، وفاعل يفعل مستتر تقديره: هو، وما مفعول به، وجملة يريد صلة. ﴿مَنْ كَانَ يَظْنُنَّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من شرطية مبتدأ، أو

موصولة ف تكون الفاء فيما بعد رابطة للتشبيه بالشرط ، والأول أرجح ، وكان فعل ماضٌ ناقص ، واسمها مستتر يعود على من ، وجملة يظن خبر وفاعل يظن مستتر يعود على : من ، وأن مخففة من الثقيلة ، واسمها مذدوب ضمير الشأن ، وجملة لن ينصره الله خبرها ، وأن وما بعدها سدّ مسدّ مفعولي يظن ، وفي الدنيا متعلقان بنصره ، والآخرة عطف على الدنيا . ﴿فَلِيمَدْدِ سَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغْيِظُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، واللام لام الأمر ، ويمدد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والفاعل مستتر تقديره : هو ، وبسبب متعلقان بيمدد ، وإلى السماء صفة لسبب ، والمراد بالسماء : سقف البيت ، ثم ليقطع عطف على فليمدد ، وهل حرف استفهام ، ويذهبن فعل مضارع مبني على الفتح ، وكيفه مفعول به ، وما يغيظ فاعل يذهبن ، وجملة يغيظ صلة ، وجملة ﴿هَلْ يُدْهِنَ﴾ في موضع نصب بینظر ، وسيأتي تفصيل واف لهذه الآية في باب البلاغة . ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ إِيَّاكَمْ بَيْنَتِي وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ الواو عاطفة ، وكذلك نعت مصدر مذدوب ، وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به ، وآيات حال من الهاء ، وبينات صفة ، وأن الله عطف على هاء أنزلناه ، والمعنى : وأنزلنا أن الله يهدي من يريد هدايته ، ولذلك أن تجعل الواو للحال ، وأن وما في حيزها في محل رفع لمبدأ مضموم ، أي : والأمر أن الله يهدي من يريد ، وأن واسمها ، وجملة يهدي خبرها ، ومن مفعول يهدي ، وجملة يريد صلة من . ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّدَّرِي وَالْمَجْوُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إن واسمها ، وجملة آمنوا صلة ، وما بعده عطف على الذين ، والجملة ابتدائية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إن الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر إن الأولى ، وسيأتي السر في تصدير الجملتين بيان ، أو تجعل الثانية تأكيداً للأولى ، ويكون قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ هو الخبر ، وإن واسمها ، وعلى كل شيء متعلقان بشهيد ، وشهيد خبر إن ، وقيل : الخبر مذدوب تقديره : معرفون ، أو : نحو ذلك ، وما ذكر تفسير له .

□ البلاغة:

١ - الإيجاز والتمثيل:

في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظْنُ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَغِيظُ﴾ الإيجاز والتمثيل، فأما الإيجاز فلأن معناه من كل يظن من حاسدي محمد وبغضيه أن الله لن ينصره، وأنه يفعل شيئاً مغايراً للنصر، ومن كان يغطيه أن محمداً يظفر بمحظوظه، ويبلغ ما هدف إليه من المثل العليا التي رسمناها له فليستقص وسعه، ولسيفرع جهده، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ حبلاً يمده إلى سماء بيته، فيختنق نفسه به، ثم بعد ذلك كله، ليعد النظر والتأمل مجدداً، ليرى هل ذهب نصر الله الذي يغطيه، ويقض مضجعه، وهل ذهب عنه ما كان يساوره من حرقة، وارتضاي؟ وسمى الاختناق قطعاً؛ لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ومنه قيل للبهر: القطع والبهر تابع النفس.

وقال الجوهري في «الصحاح»: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقْطَعُ﴾ قالوا ليختنق؛ لأن المختنق يمد السبب إلى السقف، ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق، تقول منه: قطع الرجل، أي: اختنق، ولبن قاطع، أي: حامض».

قلت: والعامة تستعمل هذا التعبير فيما يذهب خيره ويبلي، وهو عربي فصيح. وسمى هذا الفعل كيداً لأنه وضعه موضعه، إما لأنه لا يستطيع سواه، ولا يملك غيره، وإما على سبيل الاستهزاء. وقد توسع المفسرون في هذه الآية، وذهبوا به مذاهب شتى، فقالوا: «ويجوز أن يراد: فليمد حبلاً إلى السماء المظلة، وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي». وقال آخرون: «النصر هو الرزق، وأن الأرزاق ييد الله لا تزال إلا بمشيئته، ولا بد للعبد من الرضا بقسمته، فمن ظن أن الله غير رازقه، وليس به صبر ولا استسلام، فليلبلغ غاية الجزع، وهو الاختناق، فإن ذلك لا يقلب القسمة، ولا يرده ممزوجاً». وقيل غير ذلك. وما ذكرناه أولى، وأوْفِي بالمراد، وهو ما يخالف كل حاسد،

وما يقال لكل من يعترض على ما ليس في طوقه، ولا داخل في نطاق إرادته، تقول له: اشرب البحر، أو: اقتل نفسك، فليس لك حيلة في تبديل ما هو واقع راهن، وإرادة الله أقوى.

٢ - تصدير الجملتين بيان:

وفي تصدير الجملتين بيان زيادة في تأكيد الكلام، وقد رمه الشعرا في أشعارهم، قال جرير:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرِّبَلَهُ سَرِّبَالَ مَلِكٍ بِهِ تُرْجِي الْخَوَاتِيمِ

فقوله: إن الله سربله خبر إن الأولى، وكررها لتوكيده التوكيد، وسربله: كسه بالملك الشبيه بالسربال. ويروى: لباس ملك، قوله: به، أي: بذلك اللباس أو الملك، ترجى؛ أي: تساق الخواتيم، جمع خاتم - بالفتح والكسر - والأصل: خواتم، فزيادة الباء، والمراد بها: عواقب الأمور الحميدة ومخالفتها. وقال أبو حيان: «يحتمل أن خبر إن، قوله: به ترجى الخواتيم، وجملة إن الله سربله: اعتراضية» ويروى: ترجى - بالراء المهملة -.

﴿أَتَرَأَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ
وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ ﴾١٨﴾ هَذَا نَحْنُ خَصَمَانِ
أَخْصَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شَابُّ مِنْ نَارٍ يُصْبَبُ مِنْ فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجَلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَبِعٌ مِّنْ
حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعْيُدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

☆ اللِّفْظَةُ:

﴿وَالدَّوَابُ﴾: جمع دابة - بتشدد الباء - لأنه مشتق من الدبب، فأما من

قرأً بتحفيف الباء فقد حذفها كراهة التضييف، والدابة مؤنث الدابّ: ما دبّ من الحيوان، أي: مشى كالحية، أو على اليدين والرجلين كالطفل، وغلبت الدابة على ما يركب، ويحمل عليه، وتقع على المذكر والمؤنث، والباء فيه للوحدة، وتصغير الدابة: دويبة، والدبّاب: الشديد الدبيّب، والضعيف: الذي يدب في المشي، قال:

زعمتني شَيْخًا ولستُ بشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدْبُ دَبِيبًا

والدبابات: مؤنث الدباب، وسميت بها آلة كانت في الماضي تتخذ في الحصار، وكانتا يدخلون في جوفها، ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في أجوافها، ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة تهجم على صفوف الأعداء، وتُرمي منها القذائف.

﴿الْحَمِيمُ﴾: الماء البالغ نهاية الحرارة، واستحمد الرجل: اغسل، واستحمد: دخل الحمام، وبضم حيمه، أي: عرقه، ويقال للمستحمد: طابت حّتك وحميك، وإنما يطيب العرق على المعاف، وينحيت على المبتلى، فمعنىـه: أصـحـ الله جـسـمـكـ، وـهـوـ مـنـ بـابـ الـكـنـاـيـةـ. وـسـخـنـ المـاءـ بـالـحـمـمـ، وـهـوـ الـقـمـقـ، أوـ الـرـجـلـ، وـمـثـلـ الـعـالـمـ كـمـثـلـ الـحـمـمـ، وـهـيـ الـعـيـنـ الـحـارـةـ، وـذـابـواـ ذـوبـ الـحـمـ، وـهـوـ مـاـ اـصـطـهـرـتـ إـهـالـتـهـ مـنـ الـأـلـيـةـ، وـحـمـيـ الرـجـلـ حـمـمـيـ شـدـيـدـةـ، وـهـوـ مـحـمـومـ، وـهـوـ حـمـيـيـ، وـهـيـ حـمـيـتـيـ، أيـ: وـدـيـيـ، وـوـدـيـدـيـ، وـهـمـ أـحـمـائـيـ. وـتـقـولـ الـمـرـأـةـ: هـمـ أـحـمـائـيـ، وـلـيـسـواـ بـأـحـمـائـيـ، وـعـرـفـ، ذـلـكـ الـعـامـةـ وـالـحـامـةـ، أيـ: الـخـاصـةـ، وـهـوـ مـوـلـايـ الـأـحـمـ، أيـ: الـأـخـصـ وـالـأـحـبـ، قالـ:

وَكَفَيْتُ مَوْلَايَ الْأَحْمَ حَرِيرَتِي وَجَبَسْتُ سَائِمِيَّ عَلَى ذِي الْخَلَّةِ

وَحَمَّ الْأَمْرُ: قـضـيـ، وـحـمـ حـمـاـهـ، وـنـزـلـ بـهـ الـقـدـرـ الـمـحـمـومـ، وـالـقـضـاءـ

الـمـحـتـومـ.

﴿يُصَهَّرُ﴾: يذاب، يقال: صهرت الشحـمـ، من بـابـ: قـطـعـ؛ إـذـاـ أـذـبـتهـ، والـصـهـارـةـ: الـأـلـيـةـ الـمـذـابـةـ، وـصـهـرـتـهـ الشـمـسـ: أـذـبـتـهـ، وـفـيـ الـحـدـيـثـ: «إـنـ الـحـمـيمـ لـيـصـبـ مـنـ فـوـقـ رـؤـوسـهـمـ، فـيـنـفـذـ مـنـ جـمـجمـةـ أـحـدـهـمـ حـتـىـ يـخـلـصـ إـلـىـ

جوفه، فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان».

﴿مَقْنِعُ﴾ : جمع مِقْمَعَةٍ - بكسر الميم - لأنها آلة القمع، يقال: قمعه يقمعه، من باب: قطع، إذا ضربه بشيء يزجره به، ويذله، والمِقْمَعَةُ: المطرقة، وقيل: السوط. وفي الأساس: «قمع خصمك: قهره، وأذله، فانقمع، وتقمع، والناس على باب القاضي متقمّعون، وانقمع في بيته، وتقمع: جلس وحده، وقمعته بالقمع والمِقْمَعَةِ وبالمقامع، وهي: الجرزة، وتقمعت الدواب: ذُبِّيت عن رؤوسها القمع، وهي: ذبان كبار زُرْقَ، من ذبان الكلأ التي تغنى، الواحدة: قَمَعَةٌ، وأنشد الجاحظ:

كأنَّ مَشَافِرَ النَّجَدَاتِ مِنْهَا

إِذَا مَا مَسَّهَا قَمَعُ الْذَّبَابِ
بِأَيْدِي مَائِمٍ مُّسَاعِدَاتٍ
نِعَالُ السَّبْتِ أَوْ عَذَبُ الثَّيَابِ

من النَّجْدِ: العَرَقِ.

وقال أوس:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُرْزَنَةً

وَعُفْرُ الظَّبَابِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمَّعُ

وهم يكلّلون الجفان بالقمع، جمع قَمَعَةٍ، وهي: أعلى السنام، ومن المجاز: «ويل لأقماع القول» وهم الذين يسمعون ولا يعون، وفلان قمع الأخبار: يتبعها، ويتحدث بها، وتقول: ما لكم أسماء، إنما هي أقماع». وفي القاموس وشرحه: «والقمع أيضاً بثليث القاف: آلة تُوضع فوق الإناء فتصبّ فيه السوائل، وجمعه: أقماع».

لللقاف مع الميم خاصة عجيبة، وهي أنها إذا اجتمعتا فاء وعينا للكلمة دلت على القهر، والإذلال، والغلبة. تقول: قمئ الرجل قماءة وقماقاً: إذا ذل وصغر في الأعين، وهو صاغر قميء، وأقاما الرجل: أذله، وقمحت

السويق وغيره - بكسر الميم - واقترنحته: إذا أخذته في راحتك إلى فيك ، ومنه القمح ، وهو الحب الذي يطحن ، ويتحذ منه الخبز ، وشهر أقماح: أشد أشهر الشتاء برداً ، قال الهندي :

فتى ما ابن الأغر إذا شتوتنا وحب الرزاد في شهر قمح

ومن المجاز: أقمح المغلول فهو مقمح: إذا لم يتركه عمود الغل الذي ينخس ذقنه أن يطأطئ رأسه **﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾** وقمر الرجل: غلبه ، وسلبه ماله ، وقمر الرجل - بكسر الميم - تغير بصره من الثلج ، وكان القمر سمي بذلك لأنه متغير في سمائه ، وقمز الشيء: جمعه ، وأخذه بأطراف أصابعه ، وقمسه في الماء: غمسه ، وغرق في قاموس البحر: في قعره الأقصى ، وشبه القاموس بأعماق البحار لاشتماله على الكثير من مفردات اللغة ، وهو اسم لكتاب الفيروزبادي في اللغة ، ويطلق في زماننا على كل كتاب في اللغة ، فهو يرادف كلمة معجم ، وليس ذلك بعيداً ، وقمس يقمس بكسر الميم وضمها في المضارع قِمَاصاً - بالكسر - كالنفار ، والشراذ ، وتقامص الصبيان وبينهم مقامصة ، وقمس الفرس: رفع يديه معاً ، وطرحهما معاً ، وعجن برجليه ، وتقامص مطاوع قمس: ليس القميص ، ويقال على الاستعارة: تقمص الولاية والإمارة ، وتقامصت الروح: انتقلت من جسد إلى جسد آخر على زعم بعضهم ، ومنه القميص ، وهو: ما يلبس ، وقحط الأسير: جمع بين يديه ورجليه بالحبل ، وهو: القماط ، وقحط الصبي بقماطة ، وهي: الخرقة التي تلف عليه في المهد ، وال العامة تستعمله كثيراً ، وهو عربي فصيح ، والقماط: اللص ، وقحط الطائر أنثاه ، والرجل امرأته: فعل بها ، وقمح ما على المائدة: تتبع ما عليها ، وجمعه ، وقمل رأسه: صار ذا قمل يقلّيه ، وقنم الشيء يقمه - بضم القاف - : استأصله ، وقمه: جففة ، والقمن - بفتحتين - : الجدير بالأمر كأنه يغلبه ، ويتحكم به ، ويكون بلفظ واحد مع المذكر والمؤنث والمفرد والثنى والجمع ، ويقال: هذا المنزل لك موطن قمن ، أي: جدير بأن تسكنه ، وقمه البعير يقمه قموها: رفع رأسه فلم يشرب الماء ، كأن شيئاً غلبه ، وهذا من الغريب بمكان .

○ الإهراباء:

﴿أَلَّا تَرَأَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَمَّا مَنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنَ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ﴾ : الهمزة للاستفهام التقريري ، ولم حرف نفي وقلب وجسم ، وتر فعل مضارع مجزوم بلم ، والفاعل مستتر تقديره : أنت ، والرؤية هنا علمية ، وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور إنما تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق البصر ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر ، وأن واسمها ، وجملة يسجد خبرها ، قوله متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، والشمس السموات ، ومن في الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، والشمس وما بعدها عطف خاص على قوله من في السموات ومن في الأرض ، ونص على هذه الأمور لما ورد من أن بعضهم كان يعبدوها ، والسجود يشمل الملائكة ، والأدميين ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، وغيرها ، وأفرد الشمس ، القمر ، والنجم ، والجبال ، والشجر ، والدواب بالذكر لشهرتها ، واستبعاد السجود منها . ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين كثيراً فمن منع استعمال المشترك في معنيه الحقيقي والمجازي لم ينظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل ، وجعله مرفوعاً بفعل مضمر يدل عليه قوله : يسجد ، أي : ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ، وذلك أن السجود المسند لغير العقلاة غير السجود المسند للعقلاة ، فلا يسوغ عطفه عليهم على ما قبله لاختلاف الفعل المسند إليهما في المعنى ، فسجود العقلاة هو الكيفية المخصوصة المعروفة ، وسجود غير العقلاة هو الإذعان والطاعة ، وأما الذين أجازوا استعمال المشترك في معنيه الحقيقي والمجازي ، فهم ينسقونه على ما تقدم ، ولهم في تبرير ذلك تأويلاً ثلاثة ، وهي :

آ- أن المراد بالسجود هو المعنى العام المشترك بين العقلاة وغيرهم ، وهو : الخضوع ، والإذعان ، فيكون الاشتراك معنوياً .

ب- أنه لا يمنع الاشتراك اللغطي ، وقد يشترك المجاز والحقيقة .

ج - أنه يجوز الجمع بين المجاز والحقيقة، وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في باب البلاغة.

ووقف فريق من المعربين موقفاً ثالثاً، فلم يرفعوه بفعل مضمر؛ لأن حذف فعل الفاعل غير وارد عندهم، ولم ينسقوه على ما تقدم، بل أعتبروه مبتدأ وخبره مذوق تقديره: مطيونون، أو مجزيون، أو مثابون، أو نحو ذلك، ومن الناس صفة كثير، وكثير حق عليه العذاب عطف على سابقه.

﴿وَمَنْ يُرِيكُنَ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكَرَّمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾
الواو استثنافية، أو عاطفة، ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليهن، والله فاعل، وما نافية، وله خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ومكرم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مرفوع محلاً، وإن واسمها، وجملة يفعل خبرها، والجملة تعليمة.

﴿هَذَا نَحْنُ أَنْخَصَمُ أَنْخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾
الجملة مستأنفة، مسوقة لسرد قصة المبارزين يوم بدر، وهم: حمزة، وعلي، وعيادة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقيل: هم المختصمون من أهل الكتاب، وال المسلمين في دين الله، وهذا مبتدأ، وخصمان خبره، وجملة اختصموا صفة لخصمان، ولذلك أن تجعل الجملة خبراً، وخصمان بدل من هذان، وفي ربهم متعلقان باختصموا، وهو على حذف مضاف، أي: في دينه، وقال خصمان، ثم جمع الفعل؛ لأن الخصم في الأصل مصدر؛ ولذلك يوحّد ويذكر غالباً، ويجوز أن يشتمل ويجمع أو الجماع مراعاة للمعنى؛ لأن المختصمين كانوا فرقاً شتى، وطوائف كثيرة.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعْتَ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ ﴾
الفاء عاطفة، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة، وجملة قطعت خبر، ولهم متعلقان بقطعت، وثياب نائب فاعل، ومن نار صفة لثياب، وسيأتي تفصيل معنى الثياب - هنا - في باب البلاغة، وجملة يصب خبر ثان لاسم الموصول، أو حالية من الضمير في لهم، أو تجعلها مستأنفة، ويصب فعل مضارع مبني لل مجرور، ومن فوق رؤوسهم متعلقان بيصب، والحميم نائب فاعل.

﴿يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجَلُودُ ﴾
جملة يصهر حالية من الحميم،

وهو بالبناء للمجهول، وبه متعلقان به، وما نائب فاعل، وفي بظنه متعلقان بمحذوف صلة ما، والجلود عطف على ما، واختيار بعضهم أن يكون الجلود مرفوعاً بفعل مضمر، أي: وتحرق الجلود، قالوا: لأن الجلود لا تذاب، وإنما تنقبض إذا صليت بالنار، فهو من باب: علفتها تبناً وماء بارداً... أي: وسقيتها ماء؛ لأن الماء لا يكون علفاً。 ﴿وَهُمْ مَّقَاتِلُونَ مِنْ حَدِيدٍ﴾ الواو عاطفة، ولهم خبر مقدم، ومقامع مبتدأ مؤخر، ومن حديد صفة مقامع، واختلف في عودة الضمير في لهم، فقيل: يعود على الذين كفروا، واللام للاستحقاق، وقيل: يعود على أعواوان جهنم، أي: الزيانية، ولم يتقدم لهم ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليه。 ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِنْ غَيِّرُوا أَعْيُدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ كلما ظرف متضمن معنى الشرط، وقد تقدم كثيراً، وأرادوا فعل وفاعل، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به لأرادوا، ومنها متعلقان بيخروا، ومن غم بدل من الجار والمجرور قبله بدل اشتتمال؛ لأنها تشتمل عليه، ويجوز أن تكون من للتعليل فتتعلق بيخروا أيضاً، أي: يخرجوا من النار من أجل الغم الذي لحق بهم، وجملة أعيدوا لا محل لها؛ لأنها جواب كلما، وفيها متعلقان بأعيدوا، والواو حرف عطف، والمعطوف محذوف تقديره: وقيل لهم، وجملة «ذوقوا عذاب الحريق» مقول القول الممحوف.

□ البلاغة:

١ - الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: هي اللفظ الدال على موضعه الأصلي، وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة كما تقدم، وقد عدناك أن نقول قوله أشافياً في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز، فالواقع أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، وبديه أن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم الذي لابد منه، فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا

نقل إلى غيره صار مجازاً، والفرق الدقيق بينهما: هو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر، ألا ترى أنا إذا قلنا: فلان «عالم» صدق على كل ذي علم، بخلاف: ﴿وَسَكَلِ الْقَرَيْةَ﴾ لأنه لا يصح إلا في بعض الجمادات دون بعض؛ إذ المراد أهل القرية لأنهم من يصح السؤال لهم، ولا يجوز أن يقال: وسائل الحجر، والترب، وقد يحسن أن يقال: وسائل الربع والطلل، قال الأعشى:

ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ وَهُلْ تُخْبِرَنَّكَ الْيَوْمَ بِيَدِهِ سَمْلُقُ؟

٢ - الاستعارة التمثيلية في ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ شَيَابٌ﴾ :

في قوله تعالى: ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ شَيَابٌ مِّنْ نَارٍ﴾ استعارة تمثيلية، جعل تقاطع الشياب وتفصيلها على قدود الكفار بمثابة الإحاطة بهم، مع التهكم الذي ينطوي عليه، أي: أنها تشتمل عليهم وتحتوهم كما تشتمل الشياب لابسها وتحتويه، أما الروعة فهي كامنة في قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ وهو ما يسمى بالإرداد؛ فإن الشياب تشتمل جميع الجسد غير الرأس، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله: ﴿يُصَبُّ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ يُحَكَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَؤْلَؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ٢٣ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صَرَاطِ الْحَمِيمِ﴾ ٢٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِيدُ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمُ ثُدُّهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

○ الإكراه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ تقدم إعراب نظيرها، فجدد به عهداً. ﴿يُحَكَّلُونَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ» يحلون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفيها متعلقان بـيحلون، ومن أساور اضطربت أقوال المعربين فيها، كما استشهد بها جميع النحوين على مجيء من لبيان الجنس، وهي قوله: «مِنْ ذَهَبٍ» وعلامةها: أن يصح الإخبار بما بعدها عمما قبلها، فتقول: الأساور هي من ذهب، ومن البيانية ومحوروها في موضع نصب على الحال مما قبلها إن كان معرفة، كقوله تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَنِ» وفي موضع النعت كقوله: من ذهب، ولم أرى بهم جميعاً من تعرض لإعراب من أساور إلا بقول مبهم، لا يبل أواماً، ولا يشفى غليلاً، ولعل أقرب ما أراه فيها أن تكون نعتاً لمفعول مذوف، أي: حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب، واكتفى ابن هشام بقوله: هي للابتداء. وقال أبو البقاء مثل قولنا، ولم يتعرض الزمخشري لها، وقال شهاب الدين الحلبي: «وقوله «مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» في من الأولى ثلاثة أوجه: أحدها: أنها زائدة.

والثاني: أنها للتبعيض، أي: بعض أساور.

والثالث: أنها لبيان الجنس.

ومن في «مِنْ ذَهَبٍ» لابتداء الغاية، وهي نعت لأساور».

وقوله متهافت متدافع كما ترى.

ولؤلؤاً عطف على محل من أساور؛ لأن محلها النصب، كذا قال المربون، ولكن الزمخشري لم يرتضى هذا القول، فجعلها منصوبة بفعل مذوف، تقديره: ويؤتون لؤلؤاً، وجملة يحلون حالية، أو: خبر ثان لإن، ولباسهم الواو عاطفة، ولباسهم مبتدأ، وفيها حال، وحرير خبر. وفي هذا العدول عن الفعلية إلى الاسمية دلالة على الديمومة، حيث لم يقل: ويلبسون حريراً، فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة والدائمة في الجنة، كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل؛ لأنه لو قال: ويلبسون حريراً لكان في آخر الفاصلة

الألف في الكتابة، والوقف بخلاف البقية ﴿وَهُدُوا إِلَى الْطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ الواو عاطفة، وهدوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الطيب متعلقان بهدا، ومن القول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الطيب، وهدوا إلى صراط الحميد عطف على الجملة السابقة، أي : إلى طريق الله المحمود، ودينه القويم . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا صلة، والجملة مستأنفة ، ويصدون الواو حرف عطف ، ويصدون عطف على كفروا ، وفي عطفه على الماضي تأويلات : أولها : أن لا يقصد بالمضارع الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال ، وإنما يراد به مجرد الاستمرار ، ومثله : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَمَّئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ . أو أنه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي ، أو أنه على بابه ، وأن الماضي قبله مؤول بالمستقبل ، وقد أجاز أبو البقاء وغيره أن تكون الواو حالية ، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل كفروا ، وهو قول متهافت ؛ لأنه مضارع مثبت ، وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو ، وما ورد منه على قلته مؤول ، فلا يسوغ حمل القرآن عليه ، وعن سبيل الله متعلقان بتصدرون ، والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ، والذي صفة ثانية للمسجد ، وجملة جعلناه صلة ، ونا فاعل ، والهاء مفعول به أول ، وللناس حال ؛ لأنه كان صفة وتقدم ، وسواء مفعول به ثان إن كانت جعل متعددة لاثنين ، وإن كانت متعددة لواحد أعربت سواء حالاً من هاء جعلناه ، والعاكف فاعل سواء لأنه مصدر وصف ، فهو في قوة اسم الفاعل المشتقة ، أي : بمعنى مستو ، أي : جعلناه مستوياً فيه العاكف ، أي : المقيم ، والباد بحذف الياء تبعاً لرسم المصحف معطوف على العاكف ، ومعناه : الطاريء ، وقد انفرد حفص بقراءة النصب في سواء ، والجمهور على رفعها ، على أنه خبر مقدم ، والعاكف والباد مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب مفعول به ثان ، أو حال ، وخبر إن محذوف تقديره : خسروا ، أو هلكوا ، أو نحو ذلك ، وقدره الرغشري نديقهم من عذاب أليم ، واعتراض عليه بأنه يكون بعد المسجد الحرام ، وفيه فصل بين

الصفة والموصوف . ﴿وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ بِالْحَادِ بُظُلْمٌ نُذَقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويرد فعل الشرط ، وفيه متعلقان بيرد ، ومفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله ، وبإلحاد حال ، وبظلم حال أيضاً ، فهما حالان متراافقان ، كأنه قال : ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظلماً ، وهذا أولى من تقدير زيادة الباء في إلحاد ، وجعله هو المفعول ، قال أبو عبيدة : «مفعول يرد هو بإلحاد ، والباء زائدة في المفعول ، قال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا

أي : رزق ». وقال أبو حيان : والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس ، فيتعدى بالباء » ونذقه جواب الشرط ، والفاعل مستتر تقديره : نحن ، والهاء مفعول به ، ومن عذاب متعلقان بنذقه ، وأليس صفة ، وقدر أبو حيان الخبر مستنبطاً من قوله : نذقه ، وهو إعراب تفسيري لا صناعي ، فالأولى أن يقدر تقديرأً ، أي : نذيقهم عذاباً أليماً .

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً وَطَهَرْ
بَيْتِي لِلطَّافِيفَتِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ
يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشَهَدُوا
مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَارَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْشِهُمْ
وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

☆ اللَّفْظَةُ :

﴿رِجَالاً﴾ : مشاة ، جمع راجل ، كقائم وقيام ، يقال : رجل يرجل - بفتح الجيم - رجلاً - بفتحتين - : سار على رجليه لا راكباً ، ويقال : هذا رجل ، أي : كامل في الرجال ، بين الرَّجُولية والرُّجُولية ، وهذا أرجل

الرجلين، وهو راجل ورجل بين الزوجة، وحملك الله عن الزوجة، ومن الزوجة، وقوم رجال، ورجال، ورجال، ورجال، ورجال، وأراجيل، وترجلوا في القتال: نزلوا عن دوابهم للمنازلة، ورأه فترجل له، ورجل أرجل عظيم الرجل، ورجل رجيل، وذو رجلة مشاء.

﴿ضَامِر﴾: في «المختار»: ضمر الفرس، من باب: دخل، وضمُّر أيضاً - بالضم - ضمراً بوزن قفل، فهو ضامر، وناقة ضامر وضامرة، وتضمير الفرس أيضاً: أن تعلفه حتى يسمن، ثم ترده إلى القوت، وذلك في أربعين يوماً. والبعير يطلق على الجمل والناقة.

﴿فَجَ﴾: الفَجَ - بفتح الفاء - ويجمع على فِجاج - بكسر الفاء - والفُجاج - بضم الفاء - الطريق الواسع، الواضح بين الجبلين.

﴿نَفَثَهُم﴾: أو ساخهم، وقضاء التفت المراد به: قص الأظافر، وتنف الإبط. وفي «المصباح»: تفت تفتاً فهو تفت، مثل تعب تعباً فهو تعب: إذا ترك الأدھان والاستحداد، فعلاه الوسخ. وقوله تعالى: ﴿ثُرَأْ لَيَقْضُوا نَفَثَهُم﴾ قيل: هو استباحة ما حرم عليهم بالإحرام بعد التحلل». وقال غيره: «التفت قيل: أصله من التف، وهو: وسخ الأظافر، قلبت الفاء كمعثور في مغفور، وقيل: هو الوسخ والعذر، يقال: ما تفتك؟ وحکى قطرب: تفت الرجل: إذا كثر وسخه في سفره، ومعنى: ليقضوا: ليصنعوا ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعت، ونحوهما عند حلّه».

○ الإكراب:

﴿وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشَرِّكَ فِي شَيْئًا﴾ الواو استئنافية، والظرف متعلق بممحوذ تقديره: اذكر، وجملة بوأنا مضافة إليها الظرف، وبأنا فعل وفاعل، ولإبراهيم متعلقان ببوأنا، ومكان البيت مفعول بوأنا، واختار أبو البقاء وغيره أن تكون اللام زائدة، أي: أنزلناه

مكان البيت، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَيْحِ إِسْرَئِيلَ﴾ أما على الأول، فيكون معنى بوأنا: هيأنا، وإن هي المفسرة لأنها واقعة بعد قول مقدر، أي: قائلين له لا تشرك، ولا ناهية، وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وقيل: هي مصدرية، فعلنا ذلك لئلا تشرك، وجعل النهي صلة لها، وبي مت关联 بتشرك، وشيئاً مفعول تشرك. وعبارة أبي حيان: وأن مخففة من الثقيلة، قاله ابن عطية، والأصل: أن يليها فعل تحقيق، أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة، أو حرف تفسير، قاله الزخيري، وابن عطية، وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول، وبوأنا ليس فيه معنى القول، والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر، والنهي كالأمر. ﴿وَطَهَّرَ بَيْتَ لِلطَّافِيفِ﴾
 ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودَ﴾ وظهر الواو عاطفة، وظهر فعل أمر، فاعله مستتر تقديره: أنت، وبطيء مفعول طهر، وللطائفين متعلق بظاهر، والقائمين والرکع عطف على ما تقدم، والسجود صفة للرکع، والأولى أن تجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة؛ لأنهما عملان في عمل واحد، وهو الصلاة. ﴿وَأَذْنَ فِي أَلَّا يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَيْحَ عَمِيقٍ﴾ وأذن فعل أمر، أي: ناد بدعاوة الحج، والأمر به، والخطاب لإبراهيم كما يقضيه السياق، وعليه المفسرون جمیعاً. وعن الحسن: أنه خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، وهو أقوى من جهة التشريع، وفي الناس متعلقان بأذن، وبالحج متعلقان بمحذوف حال، أي: معلن، ويأتك مضارع مجزوم؛ لأنه وقع جواباً للطلب، والواو فاعل، والكاف مفعول به، ورجالاً حال، وعلى كل ضامر عطف على رجالاً، أي: مشاة وركباناً، ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، وجملة يأتين صفة لكل ضامر؛ لأنه في معنى الجمع، وقرئ يأتون صفة للرجال الركبان، ومن كل فوج متعلقان بيتين، وعميق صفة لفوج. ﴿لِشَهَدُوا مَنَّافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ اللام للتعليل، ويشهدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وهي متعلقة مع

مجرورها بيأتك، أو بأذن، ومتناع مفعول به، ولهم صفة لمنافع، ويدكروا عطف على يشهدوا، والواو فاعل، واسم الله مفعول به، وفي أيام متعلقان يذكرها، ومعلومات صفة لأيام، وسيأتي ذكر هذه الأيام في باب الفوائد. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ على ما رزقهم متعلقان يذكرها أيضاً، ومعنى على هنا التعليل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَئِكَرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَاكُمْ﴾.

وقول الشاعر:

علام تقول الرُّمح يُتقلُّ عاتِقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كررت

ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم، فكلوا: الفاء الفصيحة، وكلوا فعل أمر وفاعل، ومنها متعلقان بكلوا، وأطعموا عطف على كلوا، والبائس مفعول به، والفقير صفة. ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا نَقَّاهُمْ وَلَيُوْفُوْنَدُورَهُمْ وَلَيَطْوَوْهُمْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ثم حرف عطف، واللام لام الأمر، وسيأتي بحث مفيد عنها في باب الفوائد، ويقضوا مضارع مجزوم بلام الأمر، وتفضهم مفعول به، وليوفوا ندورهم عطف على يقضوا تفضهم، وليطوفوا بالبيت عطف أيضاً، وبالبيت متعلقان بيطوفوا، والعتيق صفة للبيت، وسيأتي السر في تسميته بالعتيق في باب الفوائد.

* الفوائد:

١ - لام الأمر:

لام الأمر، ويسميها النحاة: اللام الطلبية، سواء أكانت أمراً أم دعاء، فال الأول نحو: ﴿لَيُنْقِذُ دُوْسَعَةً مِّنْ سَعَةٍ﴾ والثاني نحو: ﴿لَيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ﴾ وتكون للالتماس، فالامر من الأعلى، والدعاء من الأدنى، والالتماس من المساوي. ولام الأمر مكسورة إلا إذا وقعت بعد الواو والفاء، فالأكثر تسكينها، نحو: ﴿فَلَيَسْتَحِيْجُوا لِي وَلَيُؤْمُنُوا بِي﴾ وقد تسكن بعد ثم. وتدخل

لام الأمر على فعل الغائب معلوماً ومحظواً، وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين.

٢ - لماذا سمي البيت العتيق؟

اختلف المفسرون في هذه التسمية، فرجح الزمخشري أنه القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، وقال ابن عباس: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبارية عليه، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله. وقال الزمخشري في تأييد هذا الوجه: «فإن قلت: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع؟ قلت: ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لاخراجه، ثم بناء، ولما قصد التسلط عليه أبرهه فعل به ما فعل» كما سيأتي، وقيل: بيت كريم، من قولهم: عناق الخيل، والطير.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتَّلِّ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْزُّورِ ﴾٢١﴾ حُنَفَاءُ اللَّهِ عَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَ مَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهُ الْطَّيْرُ أَوْ تَهُوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾٢٢﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَّبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجْلٍ مُّسَمٍّ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾٢٣﴾

☆ اللّٰهُمَّ

﴿حُرْمَتِ اللَّهِ﴾: الْحُرْمَات - بضمتين - ويقال في الجمع أيضاً حُرْمات - بضم فتح - وحُرْم - بضم ففتح - جمع حُرْمة - بضم فسكون - وحُرْمه - بضمتين - وحُرْمة - بضم ففتح - وهي الذمة، والمهابة، وما وجب القيام به من حقوق الله، وحرم التفريط به، وما لا يحل انتهاكه. وتفاصيل الحرمات تؤخذ من كتب الفقه.

﴿الْجِحَّةُ﴾: بتشدید الراء المكسورة وسکون الجيم، والرّجس بتشدید الراء المفتوحة وفتح الجيم، والرّجس بتشدید الراء المفتوحة وكسر الجيم: القدر والأوساخ، وسمى الأوثان رجساً على طريق التشبيه؛ لأنها قدر معنوي.

﴿الْزُورِ﴾: الشرك بالله، والباطل، والكذب. ومن معانيه أيضاً: العقل، والقوة، يقال: ماله زور ولا صيور، أي: لا قوة له، ولا مرجع إليه. والرأي، والسيد، والزعيم، ولذة الطعام وطبيه، ولین الثوب ونقاؤه، وب مجلس الغناء، وهو من الزور، أو الاذورار، وهو: الانحراف. وفي الأساس: «وكلمة زوراء: دنية معوجة، ومنارة زوراء: مائلة عن السُّمْت»، ورمى بالزوراء: بالقوس، وفلاة زوراء، وهو أزور عن مقام الذل. وتقول: قوم عن مواقف الحق زُور، فعلهم رباء، وقولهم زُور، ومالكم تعبدون الزور، وهو: كل ما عُيِد من دون الله، وأنا أُزيركم ثنائي، وأزرتكم قصائدِي».

هذا وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة بالأبيات التالية:

الصدر والزئر فهو زور	وكل زوار النساء زير
في جمع أزور يقال زور	أعني به ذا ميل في الصدر
زيارة أي مرة فزورة	وهيئه الزيارة ادع زيره
قطعة الكتان أما الزوره	فموضوع ذو شجر وطير

وسميت بعداد بالزوراء لانحراف قبليتها، قال الطغرائي:

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتني فيها ولا جلي؟!

﴿فَتَخْطُفُهُ﴾: في القاموس: خطف ينطف، من باب: تعب، خطفاً الشيء: استلبه بسرعة، وخطف البرق البصر: ذهب به بسرعة.

﴿سَجِيق﴾: بعيد، أي فهو لا يرجى خلاصه.

﴿شَعَّابَرَ اللَّو﴾: جمع شعيرة، أو شعارة بالكسر، وفي «المصاح»:

«والشاعر: أعلام الحج وأفعاله، الواحدة: شعيرة، أو شعار بالكسر، والمشاعر: مواضع المناسب».

○ الإعراب:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ذلك قال الزمخشري: «خبر مبتدأ ممحض، أي: الأمر والشأن ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا، وقد كان كذا» ومعنى هذا: أنه يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد، وقيل: مبتدأ ممحض الخبر، أي: ذلك الأمر الذي ذكرته، وقيل: في موضع نصب، تقديره: امثروا ذلك، ونظير هذه الإشارة البليغة قول زهير في وصف هرم بن سنان:

هذا وليس كمن يعيا بخطبته وسط النديّ إذا ما ناطق نطقا
وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة، ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة، فكانه قال: هذا خلقه، وليس كمن يعيا بخطبته.

والواو استثنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويعظم فعل الشرط، وفاعله مستتر يعود على من، وحرمات الله مفعول به، والفاء رابطة، وهو مبتدأ، وخير خبر، وله متعلقان بخير، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، وعند ربه الظرف متعلق بممحض حال. ﴿وَاحْلَتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمُ﴾ الواو عاطفة، وأحلت فعل ماض مبني للمجهول، ولكم متعلقان بأحلت، والأنعم نائب فاعل، وإلا أداة استثناء، وما مستثنى يجوز فيه الاتصال والانقطاع، وقد تقدم إعراب هذه الآية، وما استثناء الله في كتابه، فالانقطاع على أنه ذكر في آية المائدة ما ليس من جنس الأنعم، كالدم، ولحم الخنزير، والاتصال على صرفه إلى ما يحرم من الأنعم بسبب عارض كالموت ونحوه، وجملة يتلى صلة، ونائب الفاعل ضمير مستتر، وعليكم متعلقان بيتل. ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّحْمَ منَ الْأَوَّلَيْنِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْزُّورِ﴾ الفاء تفريع على قوله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ

حُرْمَتِ اللَّهِ》 واجتنبوا الرجس فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ومن الأوثان بيان للرجس، فهو في محل نصب على الحال، واختار الزمخشري أن يكون تمييزاً، ومثل لذلك بقولك: عندي عشرون من الدرام؛ لأن الرجس منهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وليس قوله بعيد، واجتنبوا قول الزور عطف على ما تقدم. 《حُنْفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ يَهُؤُونَ》 حنفاء الله حال، مؤسسة من ضمير اجتنبوا، وغير مشركين حال مؤكدة منه أيضاً، وبه متعلقان بمسركين، وسيأتي بحثهما في باب الفوائد. 《وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيرُ أَوْ تَهُوِيَ بِهِ الْرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَيِّقِ》 هذه الجملة مستأنفة، مسوقة لضرب المثل لم يشرك بالله، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويشرك بالله فعل الشرط، فكأنما: الفاء رابطة، وكأنما كافية ومكاففة، وخر فعل ماض وفاعل مستتر، ومن السماء متعلقان بخر، فتخطفه عطف على خر، وإنما عدل إلى المضارع لسر سيأتي في باب البلاغة، والطير فاعل، أو تهوي به الريح عطف أيضاً، وفي مكان متعلقان بتهوي أيضاً، وسحيق نعت لمكان. 《ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ》 ذلك خبر لمبدأ محدود كما تقدم، ومن يعظم شعائر الله تقدم إعرابها، والفاء رابطة، وإن واسمها، ومن تقوى القلوب خبرها. 《لَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ إِنَّ أَجْلِ مُسَمَّى ثُمَّ مَحْلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ》 لكم خبر مقدم، وفيها حال، ومنافع مبتدأ مؤخر، وإلى أجل صفة لمنافع، ومسمى صفة لأجل، ثم حرف عطف، ومحلها مبتدأ، وهو اسم مكان من حل محل، أي: صار حلاً، وإلى البيت خبر، والعتيق صفة.

□ البلاغة:

١- التشبيه المركب والتمثيلي:

وقد تقدم أنه ما كان وجه الشبه فيه صورة متزرعة من متعدد، وبيان ذلك: أنه لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما: الأول منهما: المتذبذب، الشاك، التمادي على الشك، وعدم التصميم

على ضلاله واحدة، فهذا القسم من المشركين شبه بمن اخطفه الطير، وتوزّعه، فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذنب، لا يلوح له خيال إلا اتبعه، ونزل عما كان عليه.

والثاني: مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه، لا سبيل إلى تشكيمه، ولا مطعم في نقله عما هو عليه، فهو فرح، مبتهج لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سحيق سافل، فاستقر فيه، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد ما يكون عن السماء.

وأجاز الزمخشري أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق، قال: «إإن كان تشبيهاً مركباً، فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية؛ لأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء، فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطواح البعيدة، وإن كان مفرقاً، فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزّع أفكاره بالطير المتخطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلال بالريح التي تهوي بما عصف به في بعض المهاوي المثلفة».

وكلام الزمخشري فيه نظر؛ لأن التشبيه التمثيلي ما في ذلك شك، ولا مساغ لجعله مفرقاً.

٢- العدول إلى لفظ المضارع:

سياق الكلام يقتضي أن يعطى فتح خطأ على مضارع، مع أنه في الآية معطوف على خرّ، وهو ماض، وإنما عدل عن ذلك لتصوير الواقع، والتقدير: فهي تخطفه، فيكون من عطف الجملة على الجملة، ولكنه آثر المخالفة لاستحضار الصورة الغريبة التي تصوّره مزعاً في حواصل الطير.

* الفوائد :

١ - الحال إما مؤسسة وإما مؤكدة، فالمؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو: جاء خالد راكباً، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها، وإنما يؤتى بها للتوكيد، وهذه أنواع ثلاثة:

آ - ما يؤتى بها للتوكيد عاملها، وهي التي توافقه معنى فقط، أو معنى ولفظاً، فالأول نحو: «تبسم ضاحكاً»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والثاني كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ وقول الشاعر:

أصْحَ مصِيقاً لِمَنْ أَبْدَى نَصِيحَتَه

والزَّمْ تَوْقِي خُلْطَ الْجَدَّ بِاللَّعْبِ

ب - ما يؤتى بها للتوكيد صاحبها، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ حَمِيعاً﴾.

ج - ما يؤتى بها للتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين، نحو: هو الحق بينما أوصريحاً، وقول الشاعر:

أَنَا ابْنُ دَارَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِهَا نَسَبِيٌّ وَهُلْ بِدَارَةٍ يَا لِلنَّاسِ مِنْ عَارٍ؟!

٢ - لماذا أنت الضمير في فإنها؟

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْظِمْ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ سؤال مهم، وهو: لماذا أنت الضمير؟ وعلى أي شيء يعود؟

والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضادات مخدوفة، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لأن الضمير يعود على الشعائر، أي: فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب، والعائد على من مخدوف، أي: منه، ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث، تقديره: فإن العظمة، أو الحرمة، أو الخصلة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكَاهُ لَيَذَكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ﴾

الآنِعْمَرْ فَإِنَّهُ كُوْلِ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَلَمْ يَأْتِ أَسْلِمُوا وَيَشِيرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابُهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَرَبِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِ فَإِذَا وَجَيَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعَرَّ كَذَلِكَ سَحَرَتْهَا لَكُمْ لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنْأَى اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَدُكْنَ يَنْأَى اللَّهُ النَّقْرَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَحَرَهَا لَكُمْ لَشَكِرُوا اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ وَيَشِيرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ حَوَانٍ كَمُورٍ ﴿٣٨﴾

☆ النَّفْتَةُ :

﴿مَسْكَ﴾: بفتح السين وكسرها، فالفتح على أنها مصدر ميمي، والكسر على أنها اسم مكان، وفي «المصباح»: نسـك للـه ينسـك، من بـاب قـتل، تـطـوع بـقرـبة، والـثـكـ - بـضمـتين - اـسـمـ منهـ . وـفي التـنزـيلـ: ﴿إِنَّ صَلَاقِ وَسُكِي﴾ والـمنـسـكـ - بفتحـ السـيـنـ وكـسـرـهاـ - يـكونـ زـمانـاـ وـمـصـدرـاـ، وـيـكونـ اـسـمـ المـكـانـ الـذـي تـذـبـحـ فـيـهـ النـسـيـكـةـ ، وـهـيـ: الـذـبـحـةـ وـزـنـاـ وـمـعـنـىـ ، وـمـنـاسـكـ الـحـجـ: عـبـادـاتـهـ ، وـقـيلـ: مـوـاضـعـ الـعـبـادـاتـ ، وـمـنـ فـعـلـ كـذـاـ فـعـلـيـهـ نـسـكـ ، أـيـ: دـمـ يـرـيقـهـ ، وـنـسـكـ: تـزـهـدـ وـتـعـبـدـ ، فـهـوـ نـاسـكـ ، وـالـجـمـعـ نـسـاكـ ، مـثـلـ عـابـدـ وـعـبـادـ﴾.

وفي القاموس: «الـمـسـكـ - بـفتحـ السـيـنـ -: الـمـكـانـ الـمـأـلـوـفـ ، وـالـمـسـكـ بـالـفـتحـ أـيـضاـ: مـصـدرـ نـسـكـ ، وـالـمـسـكـ - بـالـكـسـرـ -: شـرـعـةـ النـسـكـ ، وـمـوـضـعـ تـذـبـحـ فـيـهـ النـسـيـكـةـ» .

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: المـطـيعـنـ، الـمـتوـاضـعـنـ، وـالـإـخـبـاتـ: نـزـولـ الـخـبـتـ ، وـهـوـ الـمـكـانـ الـمـنـخـفـضـ ، وـسـيـأـتـيـ فـيـ بـابـ الـبـلـاغـةـ بـحـثـ قـيـمـ حـوـلـ هـذـاـ الـوـصـفـ .

﴿وَالْبَدْنَ﴾: - بـضمـ الـبـاءـ -: جـمـعـ بـدـنـةـ ، سـمـيتـ بـذـلـكـ لـعـظـمـ بـدـنـهاـ ، وـهـيـ خـاصـةـ بـالـإـبـلـ ، كـماـ قـالـ الـأـزـهـريـ ، أـوـ هـيـ تـشـمـلـ الـإـبـلـ وـالـبـقـرـ ، كـماـ قـالـ

صاحب «الصحاب». قال القسطلاني: «البدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر، فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري، وكلام الحنفية موافق لكلام الصاحب».

﴿صَوَافٌ﴾: قائمات قد صفين أيديهن وأرجلهن، وقرىء صوافن من صفين الفرس، وهو: أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سبکه؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبًا﴾: وجوب الجنوب، وقوعها على الأرض، من وجب الحائط وجبة، إذا سقط، ووجبت الشمس وجبة: غربت، قال أبو تمام:

فالشمس طالعةٌ من ذا وقد غربت

والشمسُ واجبٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ

﴿القَانِعَ﴾: السائل المتذلل، والخارج من مكان إلى مكان، وخادم القوم، وأجيرهم، والجمع قانعون وقئون، أو بمعنى القناع، أي: الراضي بما قسم له، يقال: قنع يقنع، من باب: تعب تعباً، قنعاً، وقناعة، وقئعاً: رضي بما قسم له، وقفع يقفع، من باب: فتح، قنوعاً: سأل وتذلل. وفي «الأساس» و«اللسان»: «العز في القناعة والذل في القنوع، وهو: السؤال. وفلان قنع بالمعيشة، وقنيع، وقنوع، وقانع، أنسد الكسائي:

إِنْ مَلَكْتْ كَفَاكْ قَوْطَأْ فَكَنْ بِهِ قَنِيعاً إِنَّ الْمَتَّقِيَ اللَّهُ قَانِعٌ

ونقنع بالشيء، واقتنع، وتقنع، وأقتعك الله بما أعطاك، وفلان حريص ما يقنعه شيء». وبيت شوقي المشهور:

شَبَابْ قَنْعَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَبُورِكَ بِالشَّبَابِ الطَّاهِيْنَا
يَدِلُّ عَلَى ضَلَاعَتِهِ بِاللُّغَةِ، وَتَكَنَّهُ مِنْهَا.

﴿وَالْمُعَتَرُ﴾: المعرض بسؤال، وعَرَاه بمعنى واحد، وقيل: القانع: السائل، والمعتر: المعرض من غير سؤال، وقال قوم بالعكس. وفي

«المصباح»: «المعتر: الضيف الزائر، والمعتر: المعرض للسؤال من غير طلب. يقال: عرّه، واعتّره، وعرّاه، واعتّراه: إذا تعرض للمعروف من غير مسألة».

وفي «القاموس»: «والمعتر: الفقير، والمعرض للمعروف من غير أن يسأل عرّه، عرّاً، واعتّره، وبه». وفي «الأساس» و«اللسان»: «وعن عائشة - رضي الله عنها - ما البتيم عرّة لا أدخله في مالي، ولا أخلطه به. ولا تفعل هذا لا تصبّك منه معّرة». وفي الحديث: «كلما تعاررت ذكرت الله» وكان سلمان - رضي الله عنه - إذا تعارّ في الليل قال: سبحان رب النبّين وإله المرسلين. وهو أن يهبّ من النوم مع كلام، من عرار الظليم، وهو: صيامه، و: «وَاطْعُمُوا الْفَقَائِعَ وَالْمُعَرَّ» أي: المعرض بسؤاله».

○ الإغراب:

﴿وَلَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كَلِمَاتًا لِيَذَكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ﴾ الواو استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة، ونوع التعبد الذي يتقربون به إلى الله، ولكل أمة متعلقان بمحدود فمفعول جعلنا الثاني المقدم، وجعلنا فعل وفاعل، ومنسّكاً مفعول جعلنا الأول، وليدركوا اللام للتعميل، ويدركوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار وال مجرور متعلقان بجعلنا، واسم الله مفعول به، وعلى ما رزقهم متعلقان بذكرها، وجملة رزقهم صلة، ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم. ﴿فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَلَهُمْ أَسْلِمُوا وَبِشِّرُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الفاء الفضيحة، وإلهكم مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفة، فله: الغاء عاطفة، وله متعلقان بأسلموا، وأسلموا فعل أمر وفاعل، وبشر: الواو عاطفة وبشر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والمخبيتين مفعول به. ﴿الَّذِينَ إِذَا ذِكْرَ اللَّهِ وَجِلْتُ قُلُوبُهُمْ وَالصَّدِرُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقْيِسِيُّ الصَّلَاةَ وَمَنْ رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الذين نعت للمخبيتين، أو بدل منه، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة ذكر الله مضاد إليها، وجملة وجلت قلوبهم لا محل

لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وإذا وفعلها وجوابها لا محل لها؛ لأنها صلة، والصابرين عطف على الذين، وعلى ما: متعلقان بالصابرين، وجملة أصحابهم صلة للموصول، والمقيم الصلاة عطف أيضاً، وحذفت النون للإضافة، وما متعلقان بينفقون، وجملة رزقناهم صلة، وجملة ينفقون صلة أيضاً。 ﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَّتِرِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، والبدن مفعول لفعل مذوف، فهي منصوبة على الاشتغال، أي: وجعلنا البدن، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به، ولكم متعلقان بجعلناها، ومن شعائر الله مفعول به ثان بجعلناها؛ التي هي بمعنى التصوير。 ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ صَوَافِ﴾ لكم خبر مقدم، وفيها حال، وخير مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما قبلها، ويجوز جعلها حالاً من الهاء في جعلناها، فاذكروا: الفاء الفصيحة، واذكروا فعل أمر وفاعل، واسم الله مفعول به، وعليها متعلقان باذكروا، وصواف حال من الهاء، أي: بعضها إلى جنب بعض。 ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَلَكُلُّوْهَا وَأَطْعَمُوْهَا التَّابِعَ وَالْمُعَرَّبَ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، وجملة وجبت جنوبها مضافة إلى الظرف، والفاء رابطة لجواب إذا، وجملة كلوا منها لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وأطعموا القانع والمعرّب عطف على جملة كلوا منها。 ﴿كَذَلِكَ سَحَرْتَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ شَكُرُونَ﴾ كذلك الكاف نعت مصدر مذوف، أي: سخرها تسخيراً مثل ذلك التسخير، وسخرناها فعل وفاعل ومفعول به، والجملة حال، ولكم متعلقان بسخرناها، ولعل واسمها، وجملة تشكرهن خبرها، والجملة في محل نصب على الحال من الكاف في لكم。 ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْثَّقَوَى مِنْكُمْ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، وينال فعل مضارع منصوب بلن، ولفظ الجلالة مفعول به مقدم، ولحومها فاعل ينال، ولا دماءها عطف على لحومها، والمعنى لن تبلغ مرضاته، ولن تقع منه موقع القبول، والمراد: أصحاب اللحوم والدماء.

قال أبو حيان في «البحر»: «أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة، وتضميغ الكعبة بالدم تقرباً إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآية».

ولكن: الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مهم؛ لأنَّه مخفف، وبينَه فعل مضارع ومفعول به، والتقوى فاعل، ومنكم حال من التقوى، أي: يرفع إليَّه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ إِشْكَرِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ وَبِشَرِّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الكاف نعت مصدر مذوق، وقد تقدمت نظائره، وسخرها فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، ولكم متعلقان بسخرها، ولتكبروا اللام للتعليل، وتكبروا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واللام وما في حيزها متعلقة بسخرها، وتكبروا فعل مضارع، وفاعل، ولفظ الجملة مفعول به، على ما هداكم: ما مصدرية، أو موصولة، أي: على هدايته إياكم، أو على ما هداكم إليه، وعلى متعلقة بتكبروا للتضمينه معنى الشكر، وبشر الواو استثنافية، وبشر فعل أمر، وفاعل مستتر، والمؤمنين مفعول به. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُلْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِيْ كُفُورِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد البشري للمؤمنين بالنصر المحتموم، وإن الله: إن واسهما، وجملة يدافع خبر، وعن الذين متعلقان بيدافع، وجملة آمنوا صلة، ومفعول يدافع مذوق، تقديره: عوادي المشركين وغوائدهم، وجملة «إن الذين» تعليل للجملة السابقة، وإن واسمها، وجملة لا يحب خبرها، وكل خوان مفعول به، وكفور صفة لخوان.

﴿أَذِنْ لِلَّذِينَ يَقْتَلُونَ يَأْنَهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِعَصْبَرَهُمْ لَهُمْ صَوَاعِقُ وَبَيْعٌ وَصَلَواتٌ وَمَسَاجِدٌ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ ﴾ الَّذِينَ إِن

**مَكَنُتُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَوَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا
عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِيقَبَةُ الْأُمُورِ**

☆ اللغة:

﴿صَوْمَع﴾: الصوامع جمع صومعة وصومع، وهو جبل، أو مكان مرتفع يسكنه الراهب، أو المتبع قصد الانفراد، ثم أطلقت الكلمة على الدير، والصومعه أيضاً: العقاب، والبرنس، وأعلى كل جبل إذا كان مستدقًّا الرأس.

﴿وَيَعَ﴾: جمع بيعة - بكسر الباء -: المعبد للنصارى واليهود، والجمع بيع وبيعات بكسر الباء وفتح الياء، وبيعات بكسر الباء وسكون الياء.

﴿وَصَلَوَات﴾: بفتح الصاد واللام، جمع صلاة، وسميت الكنيسة صلاة؛ لأنَّه يصلُّ فيها، وقيل: هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثاً بفتح الصاد والثاء المثلثة كما في الخفاجي على البيضاوي، قال: وبه قرئ في الشواذ، ومعناه في لغتهم: المصلى، فلا يكون مجازاً.

○ الاقرابة:

﴿أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ يَأْتُهُمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإذن بقتل المشركين، كان المؤمنون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يشكون، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر، فنزلت هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية.

وأذن فعل ماضي مبني للمجهول، والمأذون فيه ممحوف للعلم به، أي: أذن للذين يقاتلون في القتال، وللذين متعلقان بأذن، وجملة يقاتلون صلة، ويقاتلون مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وبأذنهم متعلقان بأذن أيضاً، والباء للسببية، أي: بسبب ظلمهم، وجملة ظلموا خبر أذنهم، وإن الله

على نصرهم لقدير: الواو استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للوعد لهم بالنصر على طريق الرمز والكنية، وإن واسمها، وقدير خبرها، واللام المزحلقة، وعلى نصرهم متعلقان بقدير. ﴿أَلَا أَنْ يَقُولُوا رَبِّنَا اللَّهُ﴾ الذين نعت، أو بدل من الموصول الأول، ولذلك أن ترفعه على أنه خبر لمبدأ مذدوف، تنويهًا بقدرهم، ورفعاً لشأنهم، وجملة أخرى جوا صلة، والواو نائب فاعل، ومن ديارهم متعلقان بأخرجوا، وبغير حق حال، وإلا أدلة استثناء، وأن يقولوا المصدر المؤول مستثنى منقطع في محل نصب، واختار الزمخشري وغيره أن يكون الاستثناء مفرغاً لوجود النفي بغير، إلا أدلة حصر، وأن يقولوا في محل جر على الإبدال من حق، أي: بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير، ومثله: ﴿هَلْ تَنِقْمُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ أَمَّنَا بِإِلَهٍ﴾ وربنا متبدأ، والله خبر، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَصِّ لَهُمْ صَوْمَعٌ وَبَعْ وَصَلَوَتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ الواو استثنافية، ولو لا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، ودفع الله متبدأ مذدوف الخبر وجوباً، والناس مفعول به لدفع؛ لأن مصدر مضاف إلى فاعله، وهو الله، والمعنى: ولو لا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلب المفسدون، وتعطلت المصالح، ويقل عمله عكسه، وهو أن يضاف المصدر إلى مفعوله، ثم يأتي فاعله مرفوعاً كقول الأقيشر الأسيدي:

أَفْنِي تلادِي وَمَا جَمِعْتَ مِنْ نَشَبٍ

قرع القوافيز أفواه الأباريق

قرع بالقاف والعين المهملة مرفوع على الفاعلية بألفني، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله، وهو القوافيز بقافين وزاي معجمة: أقداح يشرب بها الخمر، واحدتها قاقوزة بزاءين معجمتين، فجمعها قوافيز، وأفواه فاعل المصدر، وهو جمع فم، وأصله فوه، فلذلك وردت في الجمع على أنه روبي البيت بنصب الأفواه، فيكون من القسم الأول.

وبعضاً منهم بدل بعض من الناس ، وببعض متعلقاته بدفع ، واللام واقعة في جواب لولا ، وهدمت فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول ، وصوامع نائبٍ فاعلٍ وبع وصلواتٍ ومساجدٍ عطف على صوامع ، وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود ، وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة ، وفيها متعلقات يذكر ، واسم الله نائبٍ فاعلٍ ، وكثيراً صفةٌ لمصدر مذكوف ، أي : ذكرأكثراً ، أو صفة لظرف مذكوف ، أي : وقتاً كثيراً . ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوْئٌ عَزِيزٌ ﴾ الواو استثنافية ، واللام موطة للقسم ، وينصرن فعل مضارعٍ مبنيٍ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والله فاعلٍ ، ومن موصولٍ مفعولٍ به ، وجملة ينصره صلة ، وجملة إن وما بعدها لتعليق النصر ، والله اسمها ، واللام المزحلقة ، وقوى خبرها الأولى ، وعزيزٍ خبرها الثاني ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا الْزَكَوةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الذين بدلٌ من الذين السابقة ، أو نعتٌ ثانٌ للذين الأولى ، أو خبرٌ لمبدأ مذكوف ، ولذلك وجه آخر ، وهو أن تعرّبها بدلًا من ﴿ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ ذكر هذا الوجه الزجاج ، قال : أي : لينصرن الله الذين إن مكناهم ، وإن شرطية ، ومكناهم فعلٌ ماضٍ وفاعلٍ ومفعولٍ به ، وهو في محل جزمٍ فعلٍ الشرط ، وفي الأرض متعلقات بمكناهم ، وأقاموا فعلٍ ماضٍ وفاعلٍ ، وهو في محل جزمٍ جواب الشرط ، والصلة مفعولٍ به ، وما بعده عطفٍ عليه . ﴿ وَلَلَّهِ عَدِيقَةُ الْأُمُورِ ﴾ الواو استثنافية ، أو عاطفة ، والله خبر مقدم ، وعاقبة الأمور مبتدأ مؤخر .

* الفوائد :

الجهاد ذروة سنام الإسلام :

والآحاديث في الجهاد كثيرة ، نورد منها ما يسمى إلى ذروة البلاغة جريأً على نهجنا في هذا الكتاب ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : سُئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال : «إيمان بالله ورسوله» قيل : ثم ماذا؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» قيل : ثم ماذا؟ قال : «حجٌّ مبرور» رواه البخاري ،

ومسلم، والترمذى، والنمسائى، وابن خزيمة فى صحيحه.

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوته تبوك ، فلما أَنْ صَبَحَ صَلَى بالناس صلاة الصبح ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا ، فلما أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعْسَ النَّاسَ عَلَى إِثْرِ الدَّلْجَةِ ، وَلَزَمَ مَعَاذُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَوُ إِثْرَهُ ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقُتْ بِهِمْ رَكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِ الْطَّرِقِ تَأْكِلُ وَتَسِيرُ ، فَبَيْنَا مَعَاذُ عَلَى إِثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَاقَتِهِ تَأْكِلُ مَرَةً وَتَسِيرُ أُخْرَى ، عَشْرَ نَاقَةً مَعَاذُ فَحَنَّكَهَا بِالْزَّمَامِ ، فَهَبَتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ عَنْهُ قَنَاعَهُ ، فَالْتَّفَتَ فَإِذَا لَيْسَ فِي الْجَيْشِ أَدْنِي إِلَيْهِ مَعَاذُ ، فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «يَا مَعَاذُ» فَقَالَ : لَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : «أَدْنِ دُونَكَ» فَدَنَّا مِنْهُ حَتَّى لَصَقَتْ رَاحِلَتَهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا كُنْتَ أَحْسَبَ النَّاسَ مِنْ بِمَكَانِهِمْ مِنَ الْبَعْدِ» فَقَالَ مَعَاذُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَعْسَ النَّاسُ فَتَفَرَّقَتْ رَكَابُهُمْ تَرْعَى وَتَسِيرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَأَنَا كُنْتُ نَاعِسًاً». فَلَمَّا رَأَى مَعَاذَ بَشَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَخَلْوَتِهِ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَئْذِنْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ أَمْرَضَتِنِي ، وَأَسْقَمَتِنِي ، وَأَحْزَنَتِنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سُلْ عَمَّا شَاءْتَ» قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدَثَنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «بَخْ بَخْ لَقَدْ سَأَلْتَ لِعَظِيمَ ثَلَاثًا ، وَإِنَّهُ لَيْسِرُ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بِهِ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ لَيْسِرُ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بِهِ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ لَيْسِرُ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بِهِ الْخَيْرَ» فَلَمَّا يَحْدُثَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَعْادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَاتٍ حَرَصًا لِكِيمَا يَتَقَنَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «تَؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَقْيِيمُ الصَّلَاةِ ، وَتَؤْمِنُ بِالزَّكَاةِ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدَلِي ، فَأَعْادَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ شَيْئَتْ يَا مَعَاذَ حَدَثْتَكَ بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ ، وَقَوْمَ هَذَا الْأَمْرِ ، وَذِرْوَةَ السَّنَامِ؟» فَقَالَ مَعَاذُ : بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَدَثَنِي بِأَنِّي أَنْتَ وَأَمِي ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ : أَنْ تَشَهِّدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِنْ قَوْمَ هَذَا الْأَمْرِ : إِقَامُ

الصلوة، وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهد في سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا، وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما شُحِبَ وجهه، ولا اغْبَرَتْ قدمه في عمل تُبَتَّغَنِي به درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تتفق في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل الله».

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَّعَادٌ وَّثَمُودٌ وَّقَوْمٌ إِنْزَهُمْ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَّاصْبَحُ مَدِينٌ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾ فَكَانُوا مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَرِّ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

☆ اللَّفْظَةُ :

﴿ وَيَرِرُ ﴾ : في المختار: «بأر بثراً - بهمزة بعد الباء - : حفرها، وبابه: قطع». واليثر فعل بمعنى مفعول، كالذبح بمعنى المذبوح: حفرة في الأرض عظيمة يستنقى منها الماء، والجمع: آبار، وأبار، وبئار، وأبور، وهي مؤنة. وفي الأساس: «الفاست من ابئار، والفويسق من ابتهر، يقال: ابئارت الجارية: إذا قال فعلت بها وهو صادق، وابتهرتها: إذا قال ذلك، وهو كاذب، وأنشد الكمي:

قَبِيْحٌ بِمَثِيلٍ نَعْتُ الْفَتَّا
ةِ إِمَّا ابْتَهَارًا وَإِمَّا ابْتِشَارًا

﴿مُعَطَّلَةً﴾ متروكة بموت أهلها، مع أنها عامرة، فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء.

﴿مَشِيدٍ﴾: مرتفع بمحضه، من شاد البناء، أي: رفعه، ويقال: شيد، وأتى به في «النساء» من شيد؛ لأن هناك وقع بعد جمع، أما هنا فقد وقع بعد مفرد فناسب التخفيف.

○ الأعراب:

﴿وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثُمُودٌ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لسلسلة النبي ﷺ، وأنه ليس بأوحدي في التكذيب، وإن شرطية، ويكتذبوا فعل الشرط، والواو فاعل، والكاف مفعول به، فقد: الفاء رابطة للجواب لاتصاله بقدر، وقد حرف تحقيق، وكذبت فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وقبلهم ظرف زمان متعلق بكذبت، وقوم نوح فاعل، وعد وثمة معطوفان على قوم، وأنّ القوم باعتبار معنى الأمة أو القبيلة، ولم يقل قوم عاد وثمة استغناء بشهرتها بهذين الأسمين. ﴿وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٌ﴾ عطف على ما تقدم، ﴿وَاصْحَابُ مَدِينَةٍ وَكَذَبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وأصحاب مدین عطف، وعدل عن قوم شعيب لأن أصحاب مدین أعرق من أصحاب الأیكة في التكذيب؛ فلذلك خصّهم بالذكر، وكذب فعل ماض مبني للمجهول، وموسى نائب فاعل، وخالف في الكلام، فلم يقل: قوم موسى؛ لأنه لما صدر الكلام بحكایة تكذبیهم، ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم، ولم يتّه إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكریره ليلي قوله: فأملیت، فیتصل المسیب بالسبب، كما قال في آیة «ق» بعد تعیدیهم: ﴿كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلُ هُقَّ وَعَيْدٌ﴾ فربط العقاب والوعيد، ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره، فأملیت: الفاء عاطفة، وأملیت فعل وفاعل، وللكافرين متعلقان بأملیت. ﴿ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به، فكيف: الفاء عاطفة، وكيف اسم استفهام

في محل نصب خبر كان المقدم، ونكير اسم كان، أي: إنكاري، فحذفت الياء، والنكير مصدر بمعنى الإنكار والتغيير؛ حيث أبدلهم بالنعمة نعمة، وبالحياة هلاكاً، وبالبناء خراباً، وسيأتي معنى الاستفهام في باب: البلاغة.

﴿فَكَانُوا مِنْ قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهُوَ ظَالِمٌ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتأكيد ما تقدم بضرب الأمثلة والشاهد، وكأين خيرية، ومحلها الرفع على الابتداء، ومن قرية تميز كأين، وقد تقدم تحقيقه، وجملة أهلكناها من الفعل والفاعل والمفعول به خبر كأين، ويجوز نصب كأين على الاشتغال بفعل مذدوج يفسره أهلكناها، فتكون جملة أهلكناها مفسرة، وهي ظالمة: الواو للحال، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة نصب على الحال.

﴿فَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عِرْوَشَهَا وَبِئْرٌ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ الفاء عاطفة، وهي مبتدأ، وخاوية خبر، والجملة معطوفة على جملة أهلكناها، وعلى عروشها إما متعلقان بخاوية، فيكون المعنى: إنها ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، وإما أن يكون خبراً ثانياً لهي، كأنه قيل: هي خالية وهي على عروشها، أي: قائمة مطلة على عروشها، بمعنى: أن السقوف سقطت إلى الأرض، فصارت في سمت الحيطان، وبقيت الحيطان موائل، باهته، مشرفة على السقوف الساقطة، وكلا التقديرتين جميل، ووارد، وبئر عطف على قرية، أي: وكم من بئر، ومعطلة صفة لبئر، وقصر مشيد عطف أيضاً، وهل هي بئر معينة وقصر معين، أم هما واردان مورد المثل؟ سيأتي الكلام عن هذا كله في باب الفوائد.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذْنَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكري إن كانوا قد سافروا، أو للبحث على السفر ليروا مصارع من تقدّهم، والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، أي: أغفلوا وأهملوا، وسافروا فلم يتذمروا، ولم حرف نفي وقلب وجسم، ويسيروا فعل مصارع مجزوم بلם، والواو فاعله، وفي الأرض متعلقان بيسيروا، ف تكون الفاء للسببية، وتكون فعل مصارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، ولهم خبر تكون المقدم، وقلوب اسمها المؤخر، وجملة يعقلون صفة لقلوب، وبها

متعلقان بيعقلون، وأو حرف عطف، وأذان عطف على قلوب، وجملة يسمعون بها صفة لأذان، وواضح أن التفريع على المنفي يوجب النفي أيضاً. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنَ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الفاء للتعميل، وإن اسمها، والضمير يعود على القصة أو الشأن، وجملة لا تعمى الأبصار خبر، ولكن الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك أهمل؛ لأنه خفف، وتعمى القلوب فعل مضارع وفاعل، والتي صفة القلوب، وفي الصدور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وسيأتي سر قوله في الصدور في باب البلاغة.

□ البلاغة:

١ - الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَيْكِر﴾ معناه: التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، ويماري فيه، ويلجأ إلى المكايدة والسفسطة في مخالفته، وقال أبو حيان: «ويصحب هذا الاستفهام معنى التعجب، فكأنه قيل: ما أشد ما كان إنكاري عليهم» وهذا واضح أيضاً، فالاستفهام إذاً للتقرير التعجيبي.

٢ - الانفصال في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فإن لقائل أن يقول: إن القلوب لا تكون إلا في الصدور، فأية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن؛ لأنه معلوم، والانفصال عن ذلك أن يقال: إن المتعارف أن العمى الحقيقي مكانه البصر؛ لأنه إصابة الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب مجاز، فلما أريد نقله من الحقيقة إلى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف، وما هو الأصل، فاحتاج إلى زيادة تعين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأ بصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقوله: بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه، ونفي المضاء عن السييف، وهو المتعارف، وهذا من أوابد البيان، فافهمه، وجملة الأمر: أن الخلل ليس في مشاعرهم، فهي سليمة لا عيب فيها، وإنما الخلل في عقولهم المرتكسة، وأحلامهم المعطلة.

* الفوائد:

البئر المعطلة والقصر المشيد: قيل: هما خاصان، قال الخطيب الشربيني في تفسيره: «روي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر من آمن به، ونجاهم الله تعالى من العذاب، وهي بحضرموت، وإنما سميت بذلك؛ لأن صالحًا حضرها حين مات، وثم بلدة عبد البئر اسمها حاضوراً بناها قوم صالح، وأمرروا عليهم جلهم بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا، وعبدوا صنماً، وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى، وعطّل بئرهم، وخرب قصورهم، والأولى أن تكون البئر عامة، وأن يكون القصر عاماً، أي: كم من قرية أهلكناها، وكم من بئر عطّلناها من سقاتها! وكم من قصر مشيد تفرق عنه أهله، وتحمل عنه ساكنوه!».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَافِ سَنَةً مِّمَّا تَعْدُونَ ﴾١﴾ وَكَائِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمْلَأَتُ لَهَا وَهِيَ طَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَهَا وَلَلَّهِ الْمَصِيرُ ﴾٢﴾ قُلْ يَاتَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾٣﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي أَيَّتِنَا مُعَجِّزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِّمِ ﴾٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّقَنَّ الْقَوْمُ الشَّيْطَانُ فِي أَمْيَنَتِهِ فَيَنْسَخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾٦﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيشِيٍّ ﴾٧﴾

○ الإكراب:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾٨﴾ السُّوَادُ عَاطِفَةٌ، ويستعجلونك فعل مضارع وفاعل ومفوعول به، وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك، أي: يطلبون عجلتك على سبيل الاستهزاء، والسواد عاطفة،

ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويختلف فعل مضارع منصوب بلن، والله
فاعل، ووعده مفعول به. ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةٌ مِّمَّا تَعْدُونَ﴾
الواو للحال، وإن واسمها، وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف حال،
والكاف خبر إن، وما صفة لسنة، وجملة تعودون صلة، واقتصر في التشبيه على
الألف؛ لأن الألف متنه العدد بلا تكرار، وأيام الشدائد مستطاله على حد
قول الشاعر:

فقصارهنّ مع الهموم طولية وطوالهن مع السرور قصار

﴿وَكَائِنٌ مِّنْ قَرِيبَةِ أُمَّيَّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ الواء
عاطفة، قال الزمخشري في «كتابه»: «فإن قلت: لم عطفت الأولى بالفاء وهذه
بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِير﴾ وأما هذه
فحكمها حكم الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قوله: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ
وَعَدَهُ﴾ و﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفَسَنَةِ مِمَّا تَعَدُّونَ﴾ وكأين خبرية في
 محل رفع مبتدأ، ومن قرية في محل نصب تميز كأين، وجملة أمليت لها صفة
لقرية، والواو حالية، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة في محل نصب على
الحال، ثم أخذتها عطف على أمليت، وإلى: الواو عاطفة، أو حالية، وإلى
خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لِكُوْنِ نَذِيرٍ مُّبِينٍ﴾
يا حرف نداء، وأيها منادي نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على
النداء، والهاء للتتبية، والناس بدل من أي، وإنما كافة ومكافحة، وأنا
مبتدأ، ونذير خبر، ومبين صفة. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الفاء تفريعة، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وعملوا
عطف على آمنوا، والصالحات مفعول به، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ
مؤخر، ورزق عطف على مغفرة، وكريم صفة لرزق، وجملة لهم مغفرة خبر
الذين. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي أَيَّاتِنَا مُعَذِّبِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحْمِ﴾ الواو عاطفة،
والذين مبتدأ، وجملة سعوا صلة، وفي آياتنا متعلقان بسعوا، ومعنى السعي في
الآيات: إفسادها، وتزييفها، وإبطالها، يقال: سعيت في أمر فلان: إذا

أصلحته ، أو أفسدته بهذا السعي ، ومعاجزين حال ، أي : مسابقين في زعمهم وتقديرهم ، قد سولت لهم أنفسهم أنهم يستطيعون إبطالها ، وصرف الناس عن اتباعها ، فالمفعولة لا تخلو من معنى الظن ، والاعتقاد بالنسبة إليهم ، وأولئك مبتدأ ، وأصحاب الجحيم خبره ، والجملة خبر الذين . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا تَمَغَّقَهُ الْقَوْمُ الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ ۝﴾ الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة ، مسوقة للشروع في تسلية ثانية للنبي ﷺ ، وما نافية ، وأرسلنا فعل وفاعل ، ومن قبلك متعلقان بأرسلنا ، ومن لا بدأ الغاية ، ومن رسول من زائدة ، ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به لأرسلنا ، ولا نبي عطف على من رسول ، وإلا أداة حصر ، وإذا ظرف مستقبل ، وجملة تمنى في محل جر بإضافة الظرف ، وجملة ألقى الشيطان لا محل لها ، والجملة الشرطية بعد إلا تتحمل وجوهاً ، أرجحها : أن تكون في محل جر صفة لرسول على اللفظ والنصب على المعنى ، ويجوز أن تكون حالاً ، ولنك أن يجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء ، والجملة نصب على الاستثناء ، وفي أمنيته متعلقان بألقى ، وسيأتي معنى هذا الإلقاء ، وقصة سبب التزول في باب الفوائد ، وقد استشكل أبو حيان مجبيء جملة ظاهرها الشرط بعد إلا وهو إذا تمنى ألقى ، وأجاب عن ذلك بأن إذا جردت للظرفية ، ولا شرط فيها ، وفصل بها بين إلا والفعل الذي هو ألقى ، وهو فصل جائز ، فيكون إلا قد وليها ماض في التقدير ، ووجه شرط ، وهو تقدم فعل قبل إلا ، وهو أرسلنا . قال ابن هشام : والذي يظهر إنما هو فيما إذا ولي إلا لفظ الفعل ، وهذا لم يقع في الآية فلا إشكال ، ولا حاجة لتأويل إلا بأنها خرجت عن الشرطية . ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيْنَتِهِ ۝ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ الفاء استئنافية ، وينسخ الله فعل مضارع وفاعل ، وما مفعول به ، وجملة يلقي الشيطان صلة ، ثم حرف عطف ، ويحكم الله فعل وفاعل ، وأياته مفعول به ، والله عليم حكيم جملة اعتراضية مؤلفة من مبتدأ وخبريه . ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْقَارِسَةُ قُلُوبُهُمْ ۝﴾ اللام للتعميل ، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة ، وهي متعلقة بيحكم ، أي : ثم يحكم الله

آياته ليجعل ، ويجوز أن تتعلق بىنسخ ، وما موصولة ، أو مصدرية ، وهي على كل حال مفعول به أول ، وجملة يلقي الشيطان صلة ، وفتنة مفعول به ثان ، وللذين صفة لفتنة ، وفي قلوبهم خبر مقدم ، ومرض مبتدأ مؤخر ، والجملة صلة للذين ، والقاسية عطف على الذين ، وقلوبهم فاعل القاسية ، ومن المفید أن نذكر أن ألل في «القاسية» موصولة ، والقاسية صفتها ، وأنثها لأن مرفوها وهو قلوبهم مؤنث مجازي . **﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لِفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** الواو حالية ، أو استثنافية ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وفي شقاق خبرها ، وبعيد صفة لشقاق .

* الفوائد :

☆ أسطورة الغرانيق :

نعرض الأن لمسألة شغلت علماء المسلمين في القديم والحديث ، واستأثرت باهتمام الكثرين منهم لخطورتها ، وجسامتها ما تنطوي عليه من أمور ، لا يجوز للباحث أن يمرّ بها مرور الراكب العجلان ، فهي تمسّ جوهر العقيدة ، وتنعلق بعصمة صاحب الرسالة ، فإنقاء الكلام على عواهنه فيها من غير تعن ولا تمحيق لا يجوز بحال ، وسنعتمد إلى سرد الأسطورة على علاقتها ، وكما نقلها المفسرون من غير تفنيدها ، أو إثارة للشكوك حولها ، وكثير تناقلها حتى أصبحت حديث السمر تروّح به النفس ، ويزجى بها الفراغ ، والناس بطريقهم ميالون إلى كل غريب ، وهذه هي الأسطورة :

لما رأى رسول الله ﷺ إعراضَ قومه عنه، لعييه أصنامهم، وزرايته بالهتهم، أخذه الضجر من هذا الإعراض، وحرصه على إسلامهم، وتهالكه عليه، تمنى ألا ينزل عليه ما ينفرهم؛ لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم، واستنزالهم عن غيّهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة **﴿وَالنَّجْرُ إِذَا هَوَى﴾** وهو في نادي قومه، وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها، فلما بلغ قوله : **«وَمَنْوَةُ آثَاثَةِ الْأَخْرَى»** **«أَلَقَّ الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ»** التي تمناها بأن وسوس له بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى

أن قال : تلك الغرانيق العلی ، وإن شفاعتهن لترنجی ، وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة ، فتنبه إليه ، وقيل : نبهه جبريل - عليه السلام - أو تكلم الشيطان بذلك ، فأسمعه الناس ، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي ، وطابت نفوسهم ، وكان تمكين الشيطان من ذلك مخنة من الله وابتلاء ، زاد المنافقون به شكًا وظلمة ، والمؤمنون نوراً وإيقاناً .

وفيمالي طائفة من أقوال العلماء والمفسرين ، فقال الرazi ما خلاصته :

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم تكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون ، وأيضاً فقد روى البخاري في «صحيحه» أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم ، وسجد معه المسلمين والشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرانيق ، بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها البة حديث الغرانيق ، ولا شك أن من جوّز على الرسول تعظيم الأوّلاد فقد كفر ؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوّلاد ، ولو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعيه ، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، أي : ما ألقاه الشيطان على لسانه ، ويبطل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ هَـٰ مَا بَلَّغَتْ رِسَالَتُهُ﴾ فإنه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه ، وبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة ، وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها . اهـ كلام الرazi .

أما شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري ، فقد نبه في «فتح الباري على البخاري» على ثبوت أصلها ، وقال - ساحمه الله - : «أخرج ابن أبي حاتم ، والطبرى ، وابن المنذر من طرق عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة : والنجم ، فلما بلغ : ﴿أَفَرَأَيْتَمُ اللَّدَّ وَالْعَزَّىٰ ۝ وَمَنْوَةَ الْثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه : «تلك الغرانيق العلی وإن شفاعتهن لترنجی» فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فلما ختم السورة سجد وسجدوا ، فكبر ذلك عن النبي ، فنزل تسليمة

له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىَ الْقَوْمُ الشَّيْطَنُ فِي أُمُّيَّتِهِ﴾ أي: في قراءته بين كلماته.

وأخرجه البزار، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد، عن شعبة، فقال في إسناده: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق الحديث المذكور، وقال البزار: لا يروى إلا متصلًا بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد، وهو ثقة مشهور.

وأوردها الطبرى من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكلٌّ من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع، ولكن كثرة الطرق تدل على أن لقصة أصلًاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح:

أحدهما: ما أخرجه الطبرى عن طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب، حديثي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه.

والثانى: ما أخرجه من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة، كلاهما عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية.

وقال ابن حجر العسقلاني في معرض ردّه على القاضي أبي بكر بن العربي: «وقد تجزأ ابن العربي كعادته فقال: ذكر الطبرى في ذلك روایات كثيرة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول القاضي عياض: هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب روایاته، وانقطاع أسانیده، وكذا قول عياض أيضًا: ومن حكى عنه هذه القصة من التابعين والفسرین لم يستندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، فهذا مردود أيضًا».

وتتمة كلام القاضي عياض تدل على مدى تحرره من غائمة التقليد، ومحاولته تمحيق الچحائق، قال: «وقد بين البزار أن الحديث لا يعرف طريق يجوز ذكره إلا من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في

وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه، ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتدى كثير من أسلم، قال: ولم ينقل ذلك».

قال الحافظ ابن حجر: «وجميع ذلك لا يتمشى مع قواعد المحدثين؛ فإن الطرق إذا كثرت وتبينت خارجها دل ذلك على أن لها أصلًا، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتاج بمثلها من يحتاج بالمرسل، وكذا من لا يحتاج به لاعتراض بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لترنجي، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه بِكَلِيلِهِ أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس فيه، وكذا سهواً إذ كان مغاييرًا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته» ومضى قائلاً: «وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة، فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم، وهو لا يشعر، فلما أعلمه الله بذلك أحکم آياته، وهذا أخرجه الطبری عن قتادة».

ورد القاضي عياض بأنه لا يصح؛ لكونه لا يجوز على النبي ذلك، ولا ولایة للشیطان عليه في النوم.

وقيل: إن الشیطان أجهأ إلى أن قال ذلك بغير اختيار. ورد ابن العربي بقوله تعالى حکایة عن الشیطان: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ...﴾ الآية، قال: فلو كان للشیطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة.

وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق ذلك بحفظه بِكَلِيلِهِ، فجرى على لسانه سهواً. وقد رد القاضي عياض ذلك فأجاد.

وقيل: لعله قال ذلك توبیخاً للكفار، قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزًا، وإلى هذا نحا الباقلاني.

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمِنْهَا أَثَاثَةُ الْأُخْرَى﴾ خشي المشركون أن

يأتي بعدها شيء يذم آهاتهم به كعادته إذا ذكرها، فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: «لَا سَمِعْنَا لِهَذَا الْقُرْءَانَ وَالغَوْفِي» أي: أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه، ونسب ذلك إلى الشيطان لكونه الحامل لهم عليه، أو: المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلا: الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: «أَكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَنْتَنَ» فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: قد عظم آهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ تينك الكلمتين، وهم قولهم: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهم لترنجي، وأحکم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فترصد الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيًا صوت النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه، فظنها من قول النبي، وأشاعها. قال القاضي عياض: وهذا أحسن الوجه، وهو الذي يظهر ترجيحه، ويؤيده ما روى عن ابن عباس في تفسير تمني بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل، وقال: معنى قوله في أمنيته، أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسle إذا قالوا قولًا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله؛ لأنّه معصوم.

قال في «فتح الباري»: «وقد سبق إلى ذلك الطبرى مع جلالة قدره، وسعة علمه، وشدة ساعده في النظر، فصوب هذا المعنى» اهـ.

أما ما ورد في «صحيحة البخاري» بصدق هذه القصة فهو: «وقال ابن عباس في ﴿إِذَا تَسَمَّىَ الْقَيْشَطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته، ويقال: أمنيته: قراءاته: «الأماني يقرؤون ولا يكتبون» فتراه حكى تفسير الأمانية بالقراءة بلفظ: يقال بعد ما فسرها في الحديث رواية عن ابن عباس، وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين، فما يدعنه الشرح أن الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التلاوة

يخالف ظاهر العبارة، ثم حكايتها تفسير الأممية بمعنى القراءة بلفظ يقال يفيد أنه غير معتبر عنده، وسيأتي أن المراد بالحديث حديث النفس.

وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: «وقد طعن في هذه القصة غير واحد من الأئمة، حتى قال ابن إسحاق وقد سُئل عنها: هي من وضع الزنادقة» وكفى في إنكار حديث أن يقول فيه ابن إسحاق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن إسحاق المعروفة عند المحدثين.

وهذا نص ما قاله القاضي عياض: «والذي ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ : والنجم» وهو بمكة فسجد معه المسلمين والشرون والجن والإنس، وقد يكون ذلك لبلاغة السورة، وشدة قرعها، وعظم وقوعها». ثم قال القاضي: «قد قامت الحجة، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ، وزراحته عن هذه الرذيلة».

أما من تنبأه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتسمّد عليه الشيطان، ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه، وحتى يفهمه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ، أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر، وسهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على لسانه، أو قلبه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشتبه عليه ما يلقى الملك بما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو: أن يتقول على الله - لا عمداً ولا سهواً - ما لم ينزل عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَذَنَنَا مِنْهُ بِالْمِيزِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِ﴾ وقال: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا يَهِدُ لَكَ عَيْنَانِ نَصِيرًا﴾.

ووجه ثان: وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان - كما روي - لكان بعيد الالتحام متناقض الأقسام، متزوج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي ﷺ ومن بحضرته من المسلمين،

وصناديد المشركين من لا يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيغ الكلام علمه؟!

ووجه ثالث: أنه علم من عادة المنافقين، ومعاندة المشركين، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة، وارتداد من في قلبه مرض من أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يمح أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء، ولا فتنة أعظم من هذه البلاية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادي حيث أشدّ من هذه الحادثة لو أمكنت، وما ورد عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفعة، فدلّ على بطلها، واجتناث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلِي المحدثين؛ ليليس به على بعض ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع: ذكر الرواية لهذه القصة أن فيها نزلت: ﴿فَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكُمْ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ﴾ الآياتان، هاتان الآياتان ترددان الخبر الذي رووه؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتونه حتى يفترى، ولو لا أن ثبته لكاد يرکن إليهم شيئاً قليلاً، فمضمون هذا ومفهومه: أن الله عصمه من أن يفترى، وثبته حتى لم يرکن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً؟ وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه ﷺ قال: افترت على الله وقلت ما لم يقل، وهي تضعف الحديث لو صحيحة، فكيف ولا صحة له؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَنِكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ طَالِفَكُمْ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُّوكُمْ وَمَا يُضْلُّونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ قال الفشيري: ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مرّ بالآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل، ولا كان ليفعل، قال ابن الأنباري: «ما قارب الرسول ولا ركن».

أما ما ذكره ابن حجر من أن القصة رويت مرسلة من ثلاثة طرق على شرط الصحيح، وأنه يحتاج بها... الخ ما سبق، فقد ذهب عليه أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين، فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء، وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكتابها، هذا لو فرض اتصال الحديث، فما ظنك بالراسيل؟ وإنما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الأحكام، لا في أصول العقائد، ومعاقد الإيمان بالرسل، وما جاؤوا به فهي هفوة من ابن حجر، يغفر لها الله له.

وقد استغل بروكلمان - المستشرق الألماني الشهير - هذه الرواية فنقلها بأمانة، واعتبرها من المسائل المفروغ من إثباتها، وذلك في كتابه: «تاريخ الشعوب الإسلامية» الذي أخرجه للناس عام (١٩٣٩) للميلاد، فقال في الحديث عن محمد: «ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بالله الكعبة الثلاث؛ اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بناة الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحدة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلي، وإن شفاعتهن ترجحى، أما بعد ذلك حين قوى شعور النبي بالوحدةانية، فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله، وجاءت السورة الثالثة والخمسون، وفيها إنكار لأن تكون الآلة الثلاث بناة الله، ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسلیم إلا تحولاً أغراء به الشيطان؛ ولذلك أرجئت حوارثه إلى أشد الأوقات ضيقاً في مكة، ثم ما لبث أن أنكره، وتبرأ منه في اليوم التالي».

هذا ما ذكره بروكلمان، وهو ينصح بالتعصب، وينادي على نفسه بالافتئات.

ولم يقتصر الأمر على بروكلمان وحده، فكثير من المبشرين، وبعض المستشرقين تشبيّتوا بهذه الرواية، وزعموا أن الرسول فعل ذلك لما قاومه المشركون بمكة، فأحب أن يتقرب منهم، فمدح آلهتهم، ثم عدوا عمله هذا تراخيًا عن تشديده في التوحيد ومحاجمة الأصنام.

هذا؛ وقد تصدى لهم كثيرون من علماء المسلمين في العصر الحديث، ففندوا افتاءاتهم، وطروها بأرجيفهم، وحسبنا أن نلجم إلى اثنين من كبار هؤلاء العلماء، ملخصين ما قالاه ضاربين صفحًا عن التطويل فيما لا يتفق مع منهج الكتاب.

* خلاصة ما كتبه العالم الهندي محمد علي :

«إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبرى، ومع ذلك فإنها لا ظل لها من الحقيقة، فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض مثل هذا الاتجاه، أضف إلى ذلك أن الواقدى معروف بسرد الإسرائيليات، ويسرد الخرافات، وكذلك الطبرى معروف بالجمع الكبير، واستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة، على أننا لو رجعنا إلى روایة محمد بن إسحاق أو: إلى صحيح البخارى، وهو الذى لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرانيق أثراً، وأبن إسحاق جاء قبل الواقدى بأربعين سنة، وقبل الطبرى بنحو مئة وخمسين سنة أو تزيد، أما البخارى فقد كان معاصرًا للواقدى ، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة، ثم إن الواقدى معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث، وأنه غير ثقة فيما يروى ، وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث.

وإذا عدنا إلى قراءة الآيات نفسها بالسلسل وجدناها : «أَفَرَبِّيْمُ اللَّهَ
وَالْعَزَّىٰ وَمِنْهَا ثَالِثَةُ الْأُخْرَىٰ أَكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَلْأَنْىٰ ۝ تَلَكَ إِذَا قَسَّمَ
صِبَرَىٰ ۝ إِنَّهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَيِّمَوْهَا أَنْتَ وَأَبَاوْكُرٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ يَتَعَوَّنَ
إِلَّا أَظْنَىٰ وَمَا تَهُوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُهْدَىٰ ۝ فليس من المعقول أن
تحشر بين هذه الآيات المتالية آية مناقضة لها في أصل العقيدة الإسلامية ،
وصلب دعوة محمد ﷺ ، وهنالك تفاصيل كثيرة في نقض هذه الرواية
لا جدوى من ذكرها» .

هذا ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي ، وهو كافٍ في الرد على هؤلاء المستشرين الذي ينظرون إلى نبوة محمد نظرة مادية ، مجردة من الإيمان الإلهي ،

وما ذلك إلا من قبيل التحصّب الديني، المبني على عداء سياسي أنهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة، بينما هم يقرّون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل.

☆ خلاصة البحث الجليل الذي كتبه الإمام محمد عبده:
والآن آن لنا أن نلخص البحث الممتع الذي كتبه الإمام الشيخ محمد عبده، وفيه قطعت جهيزه قول كل خطيب:

«لا يخفى على كل من يفهم العربية، وقرأ شيئاً من القرآن أن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ...﴾ الآيات، يمكنه قدرأ للمسلمين كافة لا يعدونه، ولا يقفون دونه، ويصف شنونة عرفت فيهم، وفي أنفسهم، فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى: أن جميع الأنبياء والمسلمين قد سلط الشيطان عليهم، فخلط في الوحي المتزل إليهم، ولكن بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان، ويحكم الله آياته، وهذا من أقبح ما يتصور متصرور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه و اختيارهم من خاصة أوليائهم، فلندع هذا الهذيان، ولنعد إلى ما نحن بصدده».

وبعد أن أفاد الأستاذ الإمام في ذكر الله لنبيه أحوال الأنبياء والمسلمين قبله ليبين له سنته فيهم، وأنه لم يبعث واحد منهم في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف، قال: «فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء يجب أن تفسر الآية، وذلك على وجهين:

الأول:

أن يكون تمنى بمعنى قرأ، والأمنية بمعنى القراءة، وهو معنى قد يصح، وقد ورد استعمال اللفظ فيه قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما: تمنى كتاب الله أول ليله وأخره لاقى حمام المقادير

غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه، بل على المعنى المفهوم من قوله: ألم يقتت في حديث فلان؟ إذا أدخلت فيه ما ربما يحمله لفظه،

ولا يكون قد أراده، أو نسبت إليه ما لم يقله؛ تعللاً بأن ذلك الحديث المذكور يؤدي إليه، وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق، يتبعون الشبهة، ويسعون وراء الريبة، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان؛ لأنه مثير الشبهات بوساوشه، مفسد القلوب بدسائه، وكل ما يصدر من أهل الضلال ينسب إليه، ويكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث قومه عن ربه، أو تلا وحياً أنزل إليه فيه هدى لهم، قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه، ويقولون عليه ما لم يقله، وينشرون ذلك بين الناس ليعدوهم عنه، ويعذلوا بهم عن سبيله، ثم يحق الله الحق، ويبطل الباطل، ولا زال الأنبياء يصبرون على ما كذبوا، وأوذوا، ويجهدون في الحق، ولا يعتذرون بتعجيز المعاجزين، ولا يهزء المستهزئين إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة، ويتنصر على الباطل بالمجالدة، فينسخ الله تلك الشبهة، ويحيثها من أصولها، ويثبت آياته، ويقررها. وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب، فيفتتن الذين في قلوبهم مرض، وهم ضعفاء العقول بتلك الشبهة والوساوسي، فينطليقون وراءها، ويفتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجادحة، فيتخذونها سندًا يعتمدون عليه في جدلهم، ثم يتمحصنون في الحق عند الذين أوتوا العلم، وخليص لهم بعد ورود كل شبهة عليه، فيعلمون أنه الحق من ربك فيصدقون به، فتخبت، وتطمئن قلوبهم، والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع؛ الذي يستقر بالعقل في قراره اليقين، وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم، وتتغیر به مع الوهم، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين.

الثاني:

أن التمني على معناه المعروف، وكذلك الأمنية، وهي أفعولة بمعنى المنية، وجمعها أمني كما هو مشهور، وقال أبو العباس أحمد بن حمبي: التمني حديث النفس بما يكون، وبما لا يكون، والتمني سؤال الرب. وفي

الحديث : «إذا تمنى أحدكم فليتکثر فإنما يسأل ربه» وفي رواية : فليکثرا ، قال ابن الأثير : التمني : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقال أبو بكر : تمنيُ الشيء إذا قدرته ، وأحببت أن يصير لي ، وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه ، فهو يرجع إلى ما ذكرنا ، ويتبعه معنى الأمنية . ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً إلى هدى جديد ، أو شرع سابق شرعاً لهم ، ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولاً ، أو جاء به غيره إن كاننبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه إلا وله أمنية في قوله ، وهي أن يتبعوه ، وينحازوا إلى ما يدعوههم إليه ، وما يستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا أهواءهم بإجابة ندائهم ، وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحراص على إيمان أمته ، وتصديقهم برسالته منه على طعامه الذي يطعم وشرابه الذي يشرب وسكنه الذي يسكن إليه ، وينجدون عنه ، ويروح عليه ، وقد كان نبينا ﷺ من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى ، قال الله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْرُّ نَفَسَكَ عَلَىٰ إِنْتَرِهِمْ إِنَّ لَهُ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾ وقال : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقال : ﴿أَفَأَنَّ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ .

وفي الآيات مما يطول سرده مما يدل على أمانية ﷺ المتعلقة بهداية قومه ، وإخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه إلى نور ما جاء به ، وما من رسول ولا نبي إذا تمنى هذه الأمنية السامة إلا ألقى الشيطان في سبيله العثرات ، وأقام بينه وبين مقصد他的 العقبات ، ووسوس في صدور الناس ، وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس ، فشاروا في وجهه ، وصادروه عن قصده ، وعجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالقول والسلاح حتى لقد يقهرونه ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها ، وسهل عليهم إيزاؤه ، وهو قليل الأتباع ضعيف الأنصار ، ظنوا الحق من جانبهم ، وكان فيما القوه من العوائق بينه وبين ما عمد إليه فتنة لهم ، غلبت سنة الله في أن يكون الرسل من أواسط قومهم ، أو من المستضعفين فيهم ؛ ليكون العامل في الإذعان بالحق محض

الدليل ، وقوة البرهان ، ولن يكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى إليه على قبوله ، ولكيلا يشارك الحق الباطل في رسائله ، ويشاركه في نصب شرائه وحبيبه أنصار الباطل في كل زمان ، هم أهل القوة ، والألفة ، والجاه ، والاعتزاز بالأموال ، والأولاد ، والعشيرة ، والأعوان ، والغرور بالزخارف ، والذهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال إنما تجتمع كلها ، أو بعضها في الرؤساء ، وذوي المكانة من الناس ، فتذهبهم عن أنفسهم ، وتصرف نظرهم عن سبيل رشدتهم ، فإذا دعا إلى الحق داع عرفته القلوب النقية من أو ضار هذه الفوائن ، وفرعت إليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجد إلا عند الضعفاء وأهل المسكنة ، فإذا التفت هؤلاء حول الداعي ، وظاهروه على دعوته قام أولئك المغرورون يقولون : ﴿مَا نَرَدْكُ إِلَّا بَشَّرَّا وَثَلَّا وَمَا نَرَدْكُ إِلَّا أَذَّكَ هُمْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُظْكِمُ كَذَّبِينَ﴾ .

فإذا استدرجهم الله على سنته ، وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ، ولكن الله غالب على أمره ، فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات ، ويرفع هذه المowanع وتلك العقبات ، ويهب السلطان لآياته في حكمها ، ويثبت دعائتها ، وينشيء من ضعف أنصارها قوة ، ويختلف لهم من ذلهم عزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الشيطان هي السفل **﴿فَمَآ أَزَّيْدَ فِيَهُ بَهْ جَقَاءٌ وَمَآ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾** .

☆ خاتمة هامة للأستاذ الإمام :

« ولو صحي ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفاعت الثقة بالوحى ، وانتقض الاعتماد عليه ، كما قاله البيضاوى وغيره ، ولكن الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقي الشيطان فيه ما يشاء ، ولا نهدم أعظم ركن للشائع الإلهية ، وهو العصمة ، وما يقال من المخرج في ذلك ينفر منه الذوق ، ولا ينظر إليه العقل ، على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد

لا في نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح، وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة، كما قال ابن إسحاق، وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت، ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود أو أبيض، أو هو اسم الكركي، أو طائر يشبهه، والغرنيق بالضم كزنبور، وقنديل، وسموءل، وفردوس، وقرطاس، وعلابط معناه الشاب الأبيض الجميل، وتسمى الخصلة من الشعر المقتلة: الغرنوق، كما يسمى به ضرب من الشجر، ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات، ولا يقال: ملة غرانفة وغرانقة، أي: ناعمة تضيئها الريح، أو الغرنوق: الناعم المستتر من النبات... الخ.

ولا شيء من هذه المعاني يلائم الإلهام والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح القول؛ الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام، فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم، ومختلقات الملبيسين من لا يميز بين حز الكلام، وما استبعد منه لضعفاء الأحلام، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية، عما تقتضيه الدرائية، ﴿رَبَّنَا لَا تُغْرِيَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ .

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَلَمَّا آتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا صِرَاطَنَا مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْأَسَاطِيرُ بَعْثَةً أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَرِيقٍ ۝ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِتَائِبَتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَكِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَاهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۝ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾

لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ
عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوَقَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ لَعَلِيمٌ
غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

○ الإكراه:

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ الواو
عاطفة، وليعلم عطف على ليجعل، وقد تقدم تعليق ليجعل، والذين فاعل،
وجملة أوتوا العلم صلة، والعلم مفعول به ثان لا أوتوا، وأنه الحق سدت مسد
مفوعولي يعلم، ومن ربهم حال، فيؤمنوا عطف على يعلم، وبه متعلقان
بيؤمنوا. ﴿فَتَعْرِضُتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطِمُسْتَقِيمٍ﴾
فتighbت عطف على فيؤمنوا به، وله متعلقان بتاختب، أي : تطمئن له قلوبهم،
وقلوبهم فاعل، والواو استئنافية، وأن واسمها ، ولهاد اللام المزحلقة ، وهاد
خبر إن ، والذين مفعول هاد؛ لأنه اسم فاعل، وجملة آمنوا صلة، وإلى صراط
مستقيم متعلقان بهاد. ﴿وَلَا يَرَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي رِيَةٍ مُّنْهَ﴾ الواو عاطفة
على ما تقدم ليستكملا شرح حال الكافرين ويستوفيها ، ولا يزال فعل مضارع
ناقص ، والذين كفروا واسمها ، وفي مريمة خبرها ، ومنه صفة لمريمة ، وهي بكسر
الميم وضمها ، والضمير يعود إلى القرآن ، أو : إلى الرسول ، أو : إلى ما ألقاه
الشيطان . ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ﴾ حتى حرف
غاية وجر ، وتأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والهاء مفعول
به ، والساعة فاعل ، وبغترة حال ، وأو حرف عطف ، و يأتيهم عطف على
تأتيهم ، وعدايب يوم فاعل ، وعقيم صفة . ﴿الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ لَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ﴾ الملك مبتدأ ، ويومئذ ظرف مضارع إلى مثله ، وهو متعلق بالاستقرار
الذي تعلق به الخبر ، وهو الله ، والتنوين عوض عن مخدوف تقديره : يوم
يؤمنون ، أو : يوم تزول حریتهم ، وجملة يحكم بينهم مستأنفة كأنها وقعت
جواباً لسؤال مقدر تقديره : ماذا يصنع بهم ، فقيل : يحكم بينهم ، ولا يبعد أن

تكون حالاً من اسم الله ، والظرف متعلق بيحكم . ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾ الفاء عاطفة للتفریع ، والذين مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة ، وجملة وعملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا ، وفي جنات النعيم خبر . ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِيَوْمَنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَمْهِلُتْ ﴾ والذين مبتدأ أيضاً ، وجملة كفروا صلة ، وجملة كذبوا بآياتنا عطف على جملة كفروا ، فأولئك الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، وأولئك مبتدأ ، ولهم خبر مقدم ، وعداب مهين مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر أولئك ، وجملة أولئك . الخ خبر الذين . ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَيِّئِ اللَّهِ شَرَّمَ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا أَوْ لَيْزَقُنَاهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قتلوا أو ماتوا عطف على قتلوا ، ليرزقهم اللام موطئة للقسم ، ويرزقهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله ببنون التوكيد الثقيلة ، والهاء مفعول به ، والله فاعل ، ورزقاً مفعول مطلق ، وحسناً صفة ، والجملة القسمية وجوابها خبر الذين ، وهذا أولى من تقدير خبر . ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ الواو عاطفة ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وهو مبتدأ ، وخير الرازقين خبر هو ، والجملة خبر إن . ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ اللام موطئة للقسم ، وجملة يدخلنهم جواب القسم ، وجملة القسم وجوابه بدل من الجملة القسمية الأولى ، أو: هي مستأنفة ، والهاء مفعول به ، ومدخلاً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي ، وجملة يرضونه صفة لمدخلاً ، وإن الله لعليم حليم: الواو عاطفة ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وعليم حليم خبران لإن . ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقَبَ بِهِ ﴾ ذلك خبر مبتدأ ممحظف ، وقد تقدم إعراب نظيره ، والواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم أو موصولة مبتدأ ، وعاقب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبمثل متعلقان بعاقب ، وما موصول مضاف إليه ، وجملة عوقب به صلة .

﴿ ثُمَّ بِغَيْرِ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ غَنُورٌ ﴾ ثم بغي عليه

عطف على عاقب، واللام موطئة للقسم، والجملة القسمية خبر من، وجملة إن الله لغفور تعليلية لا محل لها.

□ البلاغة:

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: استعارة مكنية، فقد شبه ما لا خير فيه من الزمان بالنساء العقم، أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن.

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ الْيَلَىٰ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِٰ
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ **١١** ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَى الْكَبِيرِ﴾ **١٢** ﴿الَّرَّ تَرَأَّبَ اللَّهُ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاهِئَةً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ﴾ **١٣** ﴿لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ **١٤** ﴿الَّرَّ تَرَأَّبَ اللَّهُ
سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّحَابَةَ أَنْ تَقْعَ عَلَىٰ
الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لَرْوِفٍ رَّحِيمٌ﴾ **١٥**

○ الإعراب:

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ الْيَلَىٰ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِٰ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الجملة مستأنفة لتقرير قدرته تعالى على النصر، وأن من قدر
على إيلاج الليل والنهار، وإيلاج النهار في الليل، وغير ذلك من روائع
قدرته، قادر ولا شك على النصر، وذلك مبتدأ، والإشارة إلى النصر
الموعود، وبأن الله خبره، وبالباء للسببية، وجملة يولج الليل في النهار خبر أن،
وجملة ويولج النهار في الليل عطف على الجملة الأولى، وأن الله سميع بصير
عطف أيضاً على: بأن الله . . . الخ، ومعنى إيلاج الليل في النهار، وبالعكس
تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك، وبالعكس. **﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ
الْحَقُّ﴾** جملة مستأنفة ثانية لتقرير دليل آخر إلى جانب الدليل الأول، وهو

القدرة على جميع المكنات، وهو كونه تعالى حقاً ثابتاً، وما عداه معذوم وزائل، وذلك مبتدأ، وبأن خبر، والله اسم أن، وجملة هو الحق من المبتدأ والخبر بـأَن. ﴿وَأَنَّكَ مَا يَكُنْتُ عَوْنَىٰ هُوَ الْبَطِلُ وَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ عطف على ما تقدم، قوله: من دونه متعلقان بمحدوف حال. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَبَّحَ الْأَرْضُ مُخْضَرًا﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجسم، وتر فعل مضارع محزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأن ما في حيزها سدت مسد مفعولي تر؛ لأنها علمية كما سيأتي، وجملة أنزل خبر بـأَن، ومن السماء متعلقان بأُنَزَل، وماء مفعول به، فتصبح الفاء عاطفة لا سبيبة؛ لأن الاستفهام تقريري كما قدمنا مؤول بالخبر، أي: قد رأيت، والخبر لا جواب له، وأيضاً لا تصح السبيبة - هنا - فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض، بل إنما يوجبه إِنْزَال الماء بعد أن تصبح، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النكت البلاغية في باب البلاغة، فتصبح الفاء عاطفة، وتصبح معطوف على أُنَزَل، وهو فعل مضارع ناقص، وسيأتي سر المخالفية في عطف المضارع على الماضي، والأرض اسم تصبح، ومخضرة خبراها، واختار أبو البقاء أن تكون تصبح تامة، والأرض فاعلاً ومخضرة حالاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ الجملة تعليق لما تقدم، وإن واسمها وخبرها. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْغَنَىُ الْحَمِيدُ﴾ الجملة حالية أو مستأنفة، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات متعلقان بمحدوف صلة ما، وما في الأرض عطف على ما في السموات، وإن الله: الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهو الغني مبتدأ وخبر، والجملة خبر إن، والحميد خبر ثان لهو. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجسم، وتر فعل مضارع محزوم بلم، وأن الله مفعول تر، وجملة سخر خبر بـأَن، ولكم متعلقان بـسخر، وما مفعول سخر، وفي الأرض صلة ما، والفلك عطف على ما، أي: سخر لكم ما في الأرض، وسخر لكم الفلك، وجملة تجري حال من الفلك، وفي البحر متعلقان

بتجري ، وبأمره حال ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الواو عاطفة ، ويمسك فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره : هو ، والسماء مفعول به ، وأن تقع المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله ، فالبصريون يقدرون : كراهة أن تقع ، والkovيون : لثلا تقع ، واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بدل اشتغال من السماء ، أي : ويمسك وقوعها بمعنى يمنعه ، وعلى الأرض متعلقان بتقع ، وإلا أداة حصر ؛ لأن الكلام غير موجب ، أو في قوة النفي ، أي : لا يتركها تقع في حالة من الأحوال ، فهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، فقوله : بإذنه متعلقان بمحدود ح حال ، أي : متلبسة بمشيئته تعالى وإذنه ، والباء للملابسة . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْنَسِ لَهُ وَفُرَحِيمُ﴾ الجملة تعليمة ، وإن واسمها ، وبالناس متعلقان ببروف ، واللام المزحلقة ، ورؤوف خبر أول ، ورحيم خبر ثان .

□ البلاغة :

في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ عطف المضارع المستقبل على الماضي ، ولم يقل : فأصبحت عطفاً على أنزل ، وذلك لإفاده بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ، فإنزال الماء مضى وجوده ، وأخضرار الأرض باق لم يمض ، وهذا كما تقول : أنعم علي فلان فأروح وأغدو شاكراً له ، ولو قلت : فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقع ؛ لأنه يدل على ماض قد كان وانقضى ، وهذا موضع جدير بالتأمل .

والسؤال الوارد هنا لم ينصب ، فتصبح جواباً للاستفهام ؟ والجواب لو نصب لأعطي عكس ما هو الغرض ؛ لأن معناه : إثبات الأخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الأخضرار ، مثاله أن تقول لصاحبك : ألم ترأني أنعمت عليك فتشكر ؟ إن نصبيته ، فأنت نافٍ لشکره ، شاكٌ تفريطه فيه ، وإن رفعته فأنت مثبت للشکر . قال سيبويه : وسألته (يعني الخليل) عن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ فقال : هذا واجب ، وهو تنبية لأنك قلت : أسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذلك . قال ابن خروف

في «شرح كتاب سيبويه»: «وقوله: فقال هذا واجب، قوله: فكان كذا، يريد: أنهم ماضيان، وفسر الكلام بأن تسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه».

وقال بعض شراح «الكتاب»: «فتصبح لا يمكن نصبه؛ لأن الكلام واجب، ألا ترى أن المعنى: أن الله أنزل الماء، فالأرض هذه حالها».

وقال الفراء: «وإنما عبر بالمضارع؛ لأن فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها، والحالة التي لابت الأرض، والماضي يفيد انقطاع الشيء، وهذا قول جحدر بن معونة العكلي يصف حاله مع أشد نازلة، في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف:

لما أجالهما شاع سراج
للقرن أرواح العدا مجراج
فأكرا أحملُ وهو يقعى باسته
وعلمت أني إن أبى نزاله أني من الحجاج لست بناج

يسمو بنااظرتين تحسبُ فيهما
لما نزلت بحصن أزبر مهضر
فأكرا أحملُ وهو يقعى باسته
وعلمت أني إن أبى نزاله أني من الحجاج لست بناج

فقوله: «فأكرا» تصوير للحالة التي لابتها».

وقال ابن هشام في «المغني»: «وقيل: الفاء في هذه الآية للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب، بدليل صحة قولك: إن يسلم فهو يدخل الجنة، ومعلوم ما بينهما من المهلة».

* بحث ممتع للرازي:

وللإمام الرازي بحث جيد هنا، ويمكن تلخيصه بما يلي:

«ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء:

- 1 - إنزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض، وفسر الرؤية بالعلم دون الإبصار؛ لأن الماء وإن كان مرئياً إلا أنَّ كون الله متولاً له من السماء غير مرئي، وقال: «فتُصْبِحُ الْأَرْضُ» دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.

٢ - قوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ومن جملة خلق المطر والنبات نفعاً للحيوان، مع أن الله لا يحتاج لذلك، ولا ينفع به.

٣ - تسخير ما في الأرض، أي : ذلل لكم ما فيها كالحجر وال الحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب ، والحمل عليه ، والنظر إليه.

٤ - تسخير الفلك بالماء والرياح ، فلو لا أنَّ الله سخرها لكان تغوص ، أو تقف .

٥ - إمساك السماء؛ لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به ، والسماء جرم ثقيل ، وما كان كذلك لا بد له من السقوط لو لا مانع يمنع منه ، وهو القدرة ، فأمسكها الله بقدرته لثلاثة ، فتبطل النعم التي امتنَّ بها علينا .

٦ - الإحياء ، ثم الإمامة ، ثم الإحياء . نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله ، فنبه بالإحياء الأول على إنعامه في الدنيا بكل ما تقدم ، ونبه بالإماماة والإحياء على إنعامه علينا في الآخرة .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يُحِيقُكُمْ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَفُورٌ ﴾^{١١} لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاهُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُنَا فِي الْأَمْرِ
وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴾^{١٢} وَإِنْ جَنَدُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴾^{١٣} اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ
أَلَّا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^{١٤}

☆ **اللغة:**

﴿ مَسْكَاهُمْ ﴾ : بفتح السين وكسرها : شريعة؛ لأنَّه مأخوذ من النسيكة ، وهي : العبادة . وقد تقدم الكلام مستوفياً عن هذه المادة .

○ الإعراب:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتُكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَثُورٌ﴾
 الواو استثنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لنفيه رسول الله ﷺ عن الالتفات إلى
 قولهم، وتمكينهم من منازعته تثبيتاً له، وحفظاً لهمته على المضي في الأمر الذي
 عهد الله إليه به، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة أحياكم صلة، ثم حرف
 عطف للترابطي، ويحييكم فعل مضارع مرفوع، والكاف
 ثم حرف عطف وترابط أيضاً، ويحييكم فعل مضارع مرفوع، واللام
 مفعوله، أي: عند البعث، وجملة «إن الإنسان لکفور» مستأنفة تفيد التعليل
 لعدم الاعتبار والتبصر بعد هذه العبر والدلائل، وإن واسمها، واللام
 المزحلقة، وكفور خبرها. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا
 يُشَرِّعُنَّكُمْ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾
 لكل أمّة مفعول ثان
 مقدم بجعلنا، ومنسكاً هو المفعول الأول، والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما
 قبلها؛ ولذلك لم يأت بالواو الاستثنافية، وهي مسوقة لزجر منازعه من أهل
 الأديان السماوية، وهم مبتدأ، وناسكه خبر، والجملة الاسمية صفة
 لنسكاً، والفاء الفصيحة، ولا ناهية، وينازعنك فعل مضارع مجزوم بلا،
 وعلامة جزمه حذف النون لتوالي الأمثال، والواو المحدوقة لالتقاء الساكنين
 هي الواو الجماعة في محل رفع فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، ولم
 تؤثر في بناء المضارع؛ لأنها لم تباشره، وقد مررت لها نظائر، والكاف مفعول
 به، وفي الأمر متعلقان بينازعنك، وادع فعل أمر، وفاعله أنت، وإلى ربك
 متعلقان بادع على حذف مضاف، أي: إلى دينه وسيله، وجملة «إنك لعلى
 هدىٰ مُسْتَقِيم» تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وعلى
 هدىٰ خبرها، ومستقيم صفة لهدىٰ. ﴿وَإِنْ جَنَدُوكَ فَقُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
 الواو عاطفة، وإن شرطية، وجادلوك فعل مضي في محل جزم فعل
 الشرط، والواو فاعل، والكاف مفعول به، فقل: الفاء رابطة، وقل فعل
 أمر، والله مبتدأ، وأعلم خبر، والجملة مقول القول، وجملة فقل جواب

الشرط، وبما متعلقان بأعلم، وتعلمون صلة. ﴿أَلَّهُمْ يَحْكُمُ بِيَقِنَّاتِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لسلية النبي ما كان يلقى، والله مبتدأ، وجملة يحكم خبر، وبينكم ظرف متعلق بيحكم، ويوم القيامة متعلق بيحكم أيضاً، وفيما متعلقان بمحدود حال، وجملة كتم صلة، وكان واسمها، وفيه متعلقان بـتختلفون، وجملة تختلفون خبر كتم. ﴿أَلَّمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجسم، وتعلم فعل مضارع مجزوم، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم، وإن واسمها، وجملة يعلم خبرها، وما مفعول به، وفي السماء صلة ما، والأرض عطف على السماء. ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ جلتان تعلييلتان لما سبق، وإن واسمها، وفي كتاب خبرها، وإن واسمها، ويسير خبرها، وعلى الله متعلقان بيسير.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ^{٦٦} وَإِذَا نَتَّلَى عَلَيْهِمْ أَيَّتُنَا بَيْنَتِ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّكُّرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ يَسْطُونَ عَلَيْهِمْ أَيَّتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرٍ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَئِنْ أَمْصِرُ ^{٦٧} يَتَأْيِهَا النَّاسُ ضُرِبَ مثَلُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِمُوا الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقِدُوهُ مِثْهُ ضَعْفُ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبُ ^{٦٨} مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقٌّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عزير

☆ اللَّغَةُ :

﴿يَسْطُونَ﴾ : يبطشون، والسطو: الوثب، والبطش؛ ولذلك عدى

بالباء، وإنما فهو يتعدى بعلى. يقال: سطا عليه، وأصله: الْقَهْرُ وَالْغَلْبَةُ، وفي الأساس: «وَسَطَا بِقَرْنَهُ»، وعلى قرنه: وثب عليه، وبطش به، والفحل يسطو على طرائقه. ومن المجاز: سطا الماء: كثُرَ وَزَخْرُ، وما سطوت في طعام أحد: ما تناولته، ولهم أيدٌ سَوَاطِ عَوَاطِ. قال المتنحّل يصف خمراً:

رُكُودٌ فِي الْإِنَاءِ لَهَا حُمَيْدًا تَلْدُ بِأَخْذِهَا الْأَيْدِي السَّوَاطِي

وللسين مع الطاء فاء وعيناً للكمة صفة الامتداد، تقول: رأيتهم قاعدين على المساطب، وهي الدكاكين المتعددة حول رحبة المسجد، وبات فلان على المسطبة، وتقول: كم أبات هذا البيت رجالاً على المساطب، وأوقعهم في المتألف والمعاطب! تريده: فسْرٌ في بلاد الله، وتقول: إما أن يبيتك على المسطبة، أو: يرفعك إلى المسطبة، وهي: المجرة، وسطح الشيء: بسطه وسواه، ومنه سطح الخبر بالسطح، وهو: المحور، وسطح الثريدة في الصحفة، ومنه، سطح البيت، وسطح مسطح: مستو، وأنف مسطح منبسط جداً، ويسط لنا المسطح والمساطب: وهو: الحصير من الخوص، وضربه فسطحة: إذا بطحه على قفاه ممتدأ، فانسطح، وهو سطح ومنسطح، وبه سُمِّي سطح، وضربه بالسطح، وهو: عمود الخبراء، وشرب من السطحة، وهي: المزادة، وسطر واستطر: كتب، وكتب سطراً من كتابه، وسطراً، وأسطراً، وسطوراً، وأسطاراً، وهو مسيطر علينا، ومتسيطر، ونار ساطعة: ممتدة، ونور ساطع، وسطح الفجر، وسطح الغبار سطوعاً، وسطح البعير والظليم: مدّ عنقه إلى السماء، قال ذو الرمة يصف ظليماً:

يَطَلُّ مُخْتَضِعاً طَوْرًا فَتُنَكِّرُهُ حِينًا وَيَسْطَعُ أَحِيَاً فَيَنْتَسِبُ

وسطح بيديه رفعهما مُصْنِقاً بهما. ومن المجاز: سطعت رائحة المسك، وأعجبني سطوع رائحته، واغتسلت بالسَّطْلِ والسَّيْطَلِ، وهو القدس الذي يُظهر به في الحمام، وحرك النار بالإسطام، وسيف مصقول السَّطَام، وهو: الحدّ، وأنشد سيبويه لكتاب بن جعيل:

وأَيْضَ مَصْوَلُ السُّطَامِ مُهَنَّدًا

وَذَا حَلَقِيْ من نَسْجِ داودَ مِسْرَدًا

ومن المجاز: ليل طما أسطممه، وهو في أسطمة قريش: في وسطهم،
وعاد الملك في إسطممه: في أصله، قال:

يَا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فُمِّهِ حَتَّى يَعُودَ الْمَلَكُ فِي إِسْطَمَمْهِ
وَالْعَرَبُ سَطَامُ النَّاسِ.

﴿الذباب﴾: اسم جنس، واحده: ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث،
ويجمع على ذبّان بالكسر كغربان، وذبّان بالضم كقضبان، وعلى أدبة كاغرة،
وهو أجهل الحيوانات لأنّه يرمي نفسه في المهلكات، ومدة عيشه أربعون يوماً،
وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشيء
الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض، والذبابة مأخوذة من ذب؛
إذا طرد، وآب؛ إذا رجع؛ لأنّك تذبه فيرجع عليك، وقد ذكره أمرؤ القيس
في شعره قال:

أَرَانَا مُوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَسُحْرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
عَصَافِيرُ وَذَبَّانٌ وَدُودٌ وَأَجْرَأُ مِنْ مُجَلَّحَةِ الذَّئَابِ

وسيأتي بحث مسهب عنه في باب البلاغة.

○ الـأـكـرابـ:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ الواو استئنافية، والجملة
مستأنفة، ويعبدون فعل مضارع، والواو فاعل، ومن دون الله حال،
وما موصول مفعول به، وجملة لم ينزل صلة ما، وبه حال؛ لأنّه كان في الأصل
صفة لسلطاناً، وسلطاناً مفعول به. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾
وما عطف على ما الأولى، وجملة ليس صلة، ولهم خبر ليس المقدم، وبه
متعلقان بعلم، وعلم اسم ليس المؤخر، وما الواو عاطفة، وما نافية،
وللظالمين خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ونصير مجرور لفظاً مرفوعاً مخالفاً

مبتدأ مؤخر. ﴿ وَإِذَا نُتْلِي عَلَيْهِمْ أَيَّتِنَا بَيْتَنَا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُتَكَبِّرُونَ ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى في محل جر بإضافة إذا إليها، وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول، وعليهم متعلقان بتللي، وآياتنا نائب فاعل، وبينات حال، وجملة تعرف لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وفي وجوه متعلقان بتعرف، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، والمنكر مفعول به، وفيه وضع الظاهر موضع المضرر، وهو الذين كفروا تشنيعاً عليهم، وتسجيلاً للشهادة عليهم بالكفر. ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُوْنَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ أَيَّتِنَا ﴾ جملة يكادون حال من الموصول، وإن كان مضافاً لأن المضاف جزءه، ويجوز أن يكون حالاً من وجوه؛ ولأن المراد بها أصحابها، ويكادون من أفعال المقاربة، والواو اسمها، وجملة يسطون خبرها، وبالذين متعلقان يسطون، وجملة يتلون صلة، وعليهم متعلقان بيتلون، وآياتنا مفعول به. ﴿ قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ يُشَرِّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ ﴾ قل فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والجملة مستأنفة، فأنتكم: الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مذوف، أي: أخاطبكم فأنتكم، وأنتكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبشر متعلقان بأنئكم، ومن ذلكم متعلقان بشر، والنار خبر لمبدأ مذوف، أو النار مبتداً، وخبره جملة وعدها، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة لشر. ﴿ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ جملة وعدها الله إما خبر ثان، وإما خبر النار، ووعدها الله فعل ومفعول به أول وفاعل، والذين كفروا مفعول به ثان لوعدها، ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني، والذين كفروا هو المفعول الأول، ولعل هذا أرجح لسرّ سياقى في باب الفوائد، وبئس المصير فعل وفاعل، والمخصوص بالذم مذوف، أي: هي. ﴿ يَتَأْيَهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لضرب المثل، وهو: إن يكن أشبه بالقصة إلا أنه في سيرورته واسغرابه سُمِّيَ مثلًا، يا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً، وضرب مثل فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل، فاستمعوا: الفاء الفصحية، واستمعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وله متعلقان باستمعوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذِبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ﴾ الجملة مفسرة للمثل ، وإن واسمها ، وجملة تدعون صلة ، ومن دون الله حال ، وجملة لن يخلقوا ذباباً خبر إن ، وذباباً مفعول به ، ولو الواو عاطفة على مخدوف هو حال ، أي : انتفى خلقهم الذباب على كل حال ، ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها ، ولو شرطية ، واجتمعوا فعل وفاعل ، وله متعلقان باجتماعوا .
 ﴿وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الظَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ ضَعْفُكَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ويسليهم فعل الشرط ، والهاء مفعول به ، والذباب فاعل وشيئاً مفعول به ثان ، ولا نافية ، ويستنقذوه جواب الشرط ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به ، ومنه متعلقان بيستنقذوه ، وجملة ضعف الطالب والمطلوب حال .
 ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَرِئَ عَزِيزٌ﴾ الواو استنافية ، مسوقة للرد على أighbors اليهود ورؤسائهم ؛ الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وما نافية ، وقدروا فعل وفاعل ، ولفظ الجملة مفعول به ، وحق قدره مطلق ، وجملة إن الله تعليلاً لما تقدم ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وقوى خبر إن الأول ، وعزيز خبر إن الثاني .

□ البلاغة:

* سلامة الاختراع:

وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق إليه ، ولم يتبع فيه ، فقوله تعالى :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذِبَابًا﴾ الآية من أبلغ ما أنزله الله في تجھيل الكافرين ، واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل ؛ الذي تضمن الإفراط في المبالغة ، مع كونها جارية على الحق ، خارجة عن خرج الصدق ، وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات ، وأقلها سلباً لما تسلبه ، وتعجيز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله ، مع التضاد في الاجتماع ، ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق ، إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النذر التفه ؛ الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ، ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاؤه منه ، فتنقل في التزول

في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذه المكان؛ لما علم سبحانه أنه لا مبالغة في تعجيزهم عن الخلق والاختراع؛ الذي لا يدعه جبار، ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد، وإن أوقى قدرة، وأعطي قوة، وكان فيه من التغالي بالكفر والجهل ما يدعى معه الإلهية، ويتحلل الربوبية، فنزل بهم إلى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم؛ ليرجعهم عجزهم، فتستيقنه نفوسهم وإن لم تقر به أسلتهم، فجاء بما يقضى الظاهر أنه أيسر من الخلق، وهو الحقيقة مثله في العمر، فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه، فاستنقاذ ما يسلبه في العجز عنه مثل خلقه، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول الكتاب العزيز.

هذا؛ وقد قسم علماء البيان سلامه الاختراع إلى ضربين:

أولهما: يبتدعه صاحبه من غير أن يقتدي فيه بمن سبقة، وهذا الضرب يعثر عليه عند الحوادث المتتجدة، وينتبه له عند الأمور الطارئة، فمن ذلك ما ورد في شعر لأبي تمام في قصيدة له يمدح بها المعتصم بالله، ويدرك حرق الأفшин، ومطلعها:

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسُّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٌ مِنْ أُسْدِ الْعَرِينِ حَذَارٌ

وفيها يخترع وصف المصليين، فيقول:

بَكَرُوا وَأَشْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ

قَيْدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ

لَا يَئِرُّحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ

أَبْدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتتجدة، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق إلى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة، ولما قاله فيها في صفة من أحراق بالنار:

مَا زَالَ سِرُّ الْكُفَّارِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سِرُّ الزَّنَادِ الْوَارِي

نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرَّهَا لَهُبٌ كَمَا عَصْفَرَتْ شِقٌّ إِزَارٌ

طارت لها شعلٌ يهدم لقحها أركانه هدماً بغير غبار
 فَصَلَنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلٍ
 وَفَعَلَنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارٍ
 مَسْبُوبَةً رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ
 مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلسَّارِي
 صَلَّ لَهَا حَيَاً وَكَانَ وَقُودَهَا
 مَيْتَا وَيَذْلُلُهَا مَعَ الْفُجَارِ

وقد ذيل البحري على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلين فقال :
 كم عزيزٍ أباده فغدا ير
 كب عوداً مركباً فوق عود
 أسلمه إلى الرقادِ رجالٌ
 لم يكونوا عن وترهم يرقوه
 تحسُدُ الطير فيه ضبعُ البوادي
 وهو في غير حالة المحسود
 غاب عن صحبه فلا هو موجودٌ
 دلديهم وليس بالفقود
 وكأنَّ امتدادَ كفيه فوق الـ
 وجذع في مخفل الردى المشهود
 طائرٌ مددٌ مستريحًا جناحه
 جل خاطبَ الناسِ راكباً فإذا أر
 أخطبُ الناسِ راكباً فإذا أر

ومن هذا الضرب ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمي :
 وزائرتي كأنَّ بها حياءً
 فليس تزور إلا في الظلامِ
 بذلت لها المطارف والخشايا
 فعافتها وباتت في عظامي
 كأنَّ الصبحَ يطردُها فتجري
 مدامِعها بأربعةِ سجامٍ
 أراقبُ وقتها من غير شوقٍ
 مراقبةً المشوقِ المستهانِ

ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع أن سيف الله بن حمدان كان مخيماً
 بأرض ديار بكر على مدينة «ميا فارقين» فعصفت الريح بخيته، فتطير الناس
 لذلك، وقالوا فيه أقوالاً، فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط
 الخيمة أولها :

أينفعُ في الخيمة العذلُ وتشملُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ

وَمَا أَحْسَنَ فِيهِ غَايَةُ الْإِحْسَانِ، وَعَدَّ مِنْ أَوْابِدِهِ الَّتِي لَا تَبْلِي قَوْلَهُ :
 تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا
 وَتَقْصُرُ مَا كَنْتَ فِي جَوْفِهَا
 وَكَيْفَ تَقْوُمُ عَلَى رَاحِسَةٍ
 فَلِيلَتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا
 وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بِاَذْخَارًا
 فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً
 وَلَوْ بَلَغَ النَّاسُ مَا بَلَغُتْ
 وَلَمَّا أَمْرَتَ بِتَطْنِيهَا
 فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيَّهَا
 وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هَمَّهِ
 فَمَا عَانِدُونَ وَمَا أَمْلَوْا
 هُمْ يَطْلَبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا؟
 وَهُمْ يَتَمَنَّونَ مَا يَسْتَهِونَ

وَالْمَعْنَى الْمُخْتَرَعَةُ فِيهَا وَاضْحَى لِلْعِيَانِ، وَكَفِيَ الْمُتَنَبِّيُّ فَضْلًا أَنْ يَأْتِي بِمَثَلِهَا .

وَفِي كِتَابٍ «الروضة» لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْمَبْرُدِ، وَهُوَ كِتَابٌ جَمِيعُهُ، وَاخْتَارَ فِيهِ أَشْعَارَ شَعَرَاءَ بَدَأَ فِيهِ بِأَبِي نُوَاسٍ، ثُمَّ بِمَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِ، فَقَالَ مَا أُورِدَهُ مِنْ

شِعْرٍ : وَلِهِ مَعْنَى لَمْ يُسْبِقْ إِلَيْهِ بِإِجْمَاعٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ	حَبْتَهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٌ
قَرَارَتُهَا كَسْرِيَ وَفِي جَنَابَتِهَا	مَهَا تَدَرَّبَهَا بِالْقَسْيِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلَلرَّاحِ مَا زَرْتَ عَلَيْهِ جَيْوَبُهَا	وَلِلْمَاءِ مَا دَارْتَ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

فَالْمَعْنَى مُخْتَرَعٌ، وَلَكِنَّهُ - كَمَا يَقُولُ الْجَاحِظُ - مِنْ الْمَعْنَى الْمُشَاهِدَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخَمْرَ لَمْ تَحْمَلْ إِلَّا مَاءَ يَسِيرًا، وَكَانَتْ تَسْتَغْرِقُ صُورَ هَذِهِ الْكَأْسِ إِلَى مَكَانٍ

جيوبها، وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلائل التي على رؤوسها، وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر.

وثانيهما: المعانى التي تستخرج من غير شاهد حال متصرفة، فإنها أصعب مناً ما يستخرج بشاهد الحال، وقد قيل: إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرین ابتداعاً للمعاني، وقد عدّت معانیه المتبدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى:

فمن ذلك قوله:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِي بِرَوْيِتِهِ وَجُودُهُ لِرَاعِي جُودِهِ كُثُبَ
لِيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصِي عَنْكَ لِيْ أَمَلًا
إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجِى حِينَ تَحْجَبُ

وكذلك قوله في الهجاء:

وَأَنْتَ تَدِيرُ قَطْبَ رَحْيَ عَلَيْا
وَلَمْ نَرْ لِلرَّحْيِ الْعَلِيَاءِ قَطْبَا
تَرَى ظَفَرًا بِكُلِّ صِرَاعِ قَرْنِ
إِذَا مَا كُنْتَ أَسْفَلَ مِنْهُ جَنْبَا

وكذلك قوله:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضْلِيَّةَ
طُوِيَّتْ أَتَاحَ لَهَا سَانَ حَسْوَدَ
لَوْلَا اشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاءَوْتَ
مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرْفِ الْعُودِ

وكذلك له في الشيب:

شَعْلَةُ فِي الْمُفَارِقِ اسْتَوْدَعَنِي
فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ ثَكَلًا صَمِيمًا
يَسْتَثِيرُ الْهَمُومَ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا
صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَثِيرُ الْهَمُومَا

على أن ابن الرومي فاق شعراً العربية جمِيعاً في خلق الأشكال لالمعاني المجردة، أو خلق الرموز لبعض الأشكال المحسوسة، بل فاق بها شعراً الدنيا جمِيعاً. استمع لوصفه لحركة الرقاق في يد الخباز:

ما أَنْسَ لَا أَنْسَ خَبَازًا مَرَّتْ بِهِ

يدحو الرفقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرَّة
وبين رؤيتها قوراء كالقمِّ
إلا بمقدار ما تنداح دائرةُ
في صفحة الماء يُرمى فيه بالحجري

ووصفه للحركة البطيئة في سير السحائب:

سحائب قيسْتْ في البلاي فالفيت
غطاء على أخوارها ونجدتها
حدتها النعامي منقلات فأقبلتْ
تهادى، رويداً، سيرها كركودها

وله:

وإذا أمرُؤْ مَدَحَ امرأً لنواله
وأطَالَ فيه فَقَذْ أرادَ هجاءه
لو لم يقدرْ فيه بعد المستقى
عند الورود لما أطَالَ رشاعه

وله قوله الممتع:

عدُوكَ من صديقكَ مستفاد
فلا تستكثرنَ من الصّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثرَ ماتراه
يكونُ من الطَّعامِ والشَّرابِ

وكذلك قوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعةً يولدُ
وإلاً فما يبكيه منها وإنما
لأوسعُ ممَّا كان فيه وأرغمَ؟!
إذا أبصرَ الدُّنيا استهلاً كأنَّه
بما هو لاقٍ مِّن أذاهَا يهدِّد

* قول جامع للجاحظ :

وللجاحظ فصل ممتع انتهى فيه إلى وصف الذباب الذي نحن بصدده الحديث عنه ، قال : « ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيهه مصيبة تام ، وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يقدر على لفظه ، فيسرق بعضه ، أو يدعنه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء ، فتختلف ألفاظهم ، وأعاريفهم أشعارهم ، ولا يكون أحد منهم أحقًّا بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط ، وقال : إنه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول ، هذا إذا قرعوه به ، إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب ، فإنه وصفه فأجاد وصفه ، فتحمami معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ، قال عنترة :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةَ كَالدَّرَّهُمْ
فَتَرَى الدُّبَابَ بِهَا يَغْنِي وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُرْتَنِمِ
غَرِداً يَحْلُكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

يريد فعل الأقطع المكب على الزناد ، والأجذم : المقطوع اليدين ، فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى ، فتشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ، ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك » .

* قصة قاضي البصرة:

وبعد أن تحدث الجاحظ طويلاً كعادته في الاستطراد عن الذباب، روى قصة قاضي البصرة، وهي طويلة، تصور إلحاد الذباب وقدرته على العض، وهي مثبتة في كتاب «الحيوان» للجاحظ فليرجع إليه من شاء.

* الفوائد:

متى اجتمع بعد ما يتعذر إلى اثنين شيئاً ليس ثانيهما عبارة عن الأول، فالفاعل المعنوي رتبته التقديم، وهو المفعول الأول، ويعني بالفعل الأول: من يتأنى منه فعل، فإذا قلت: وعدت زيداً ديناً فالدينار هو المفعول الثاني؛ لأنه لا يتأنى من فعل، وهو نظير: أعطيت زيداً درهماً، فزيد هو الفاعل؛ لأنَّه آخذ للدرهم.

﴿اللَّهُ يَصْطَلِفُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴾^{٧٦} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^{٧٧} يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا وَأَعْبُدُوا رَبِّكُمْ وَأَفْكَلُوا الْخَيْرَ
لَعْلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^{٧٨} وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ أَجَبَنَكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَّلَةً أَيْسِكُمْ إِنَّ رَهِيمًا هُوَ سَمِّنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَفِيمُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْوِيُوا الزَّكُوَةَ وَأَعْصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانُكُمْ فِي عِمَّ الْمَوْلَى وَرَعَمَ
النَّصِيرُ ﴾^{٧٩}

○ الإكراب:

﴿اللَّهُ يَصْطَلِفُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير اصطفائه تعالى الرسل، والله مبتداً،

وجملة يصطفي خبر، ومن الملائكة حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لرسلاً، وتقدم عليه، ولذلك أن تعلقه بيصطفي، ورسلاً مفعول به، ومن الناس عطف على من الملائكة، وحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، أي: ويصطفي من الناس رسلاً، وجملة إن الله سميع بصير تعليلية لما تقدم، أي: سميع لما يقولونه بصير بمن يتزدّه رسولاً، وإن واسمها، وسميع خبرها الأول، وبصير خبرها الثاني. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ جملة يعلم خبر ثالث، أو مستأنفة، ويعلم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وما موصول مفعول به، وبين أيديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم، وإلى الله الواو عاطفة، وإلى الله متعلقان بتراجع، وتراجع فعل مضارع مبني للمجهول، والأمور نائب فاعل. ﴿يَتَابِهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يا أيها الذين آمنوا تقدم إعرابها، وجملة آمنوا صلة، وارکعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، واسجدوا عطف على اركعوا، واعبدوا ربكم عطف أيضاً. ﴿وَفَكَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وافعلوا الخير عطف على ما تقدم، وجملة لعلكم تفلحون حال من الواو في اركعوا، وما عطف عليه، أي: افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح. ﴿وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ﴾ وجاهدوا عطف أيضاً، وفي الله متعلقان بجاهدوا، ولا بد من حذف مضاف بعد حذف مفعول جاهدوا، أي: جاهدوا أعداءكم في ذات الله، ومن أجله ففي للسببية، وحق جهاده مفعول مطلق.

﴿هُوَ الْجَبَّارُ كُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ هو مبتدأ، وجملة اجتباكم، أي: اختاركم خبر، والجملة حال من الله، وما الواو عاطفة، وما نافية، وجعل فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، وعليكم متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لجعل، وفي الدين حال، ومن حرف جر زائد، وحرج مجرور لفظاً منصوب محالاً؛ لأنه مفعول جعل الأول. ﴿قِلَّةٌ أَيْكُمْ إِنْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذِهِ﴾ ملة في نصبها أو وجه أظهرها

ما ذكره الزمخشري، ونصّه: «نصب الملة بمضمون ما تقدمها، كأنه قيل: وسع دينكم توسيعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، ويجوز نصيحتها على الاختصاص، أي: أخص بالدين ملة أبيكم، أو: بتقدير: فعل مضمر تقديره: اتبعوا، وهناك أوجه أخرى لا تخرج عن هذه الأوجه، وأبيكم مضاف إليه، وإبراهيم بدل من أبيكم، وهو مبتدأ، وجملة سماكم خبر، والجملة حال من إبراهيم، وسماكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، وال المسلمين مفعول به ثان، ومن قبل حال، أي: من قبل هذا الكتاب، وفي هذا عطف على من قبل، أي: وفي هذا القرآن. ﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ اللام للتعليق، وقيل: للعاقبة، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، واللام ومدخلوها متعلقة بسماكم، والرسول اسم يكون، وشهيداً خبر يكون، وعليكم متعلقان بشهيداً، وتكونوا شهداء على الناس عطف على نظيرتها. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا الْزَكُوْةُ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ الفاء الفصيحة، وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما بعده عطف عليه. ﴿هُوَ مَوْلَانَا فِيْعَمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الجملة حالية من الله، وهو مبتدأ، ومولاكم خبر، فنعم المولى: الفاء استثنافية، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والمولى فاعل، والمخصوص بالمدح مذوف، أي: هو، ونعم النصیر عطف على نعم المولى.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ فَنَعْلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
خَفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ ۝
فَمَنْ أَبْتَغَنَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُوَ لَأَمْنَتْهُمْ وَعَاهَدَهُمْ
رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يَحْافِظُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ۝ الَّذِينَ
يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا حَلِيلُونَ ۝﴾

☆ النَّفْخَةُ :

﴿اللَّغْو﴾ : اللغو : كل ما كان حراماً، أو مكروهاً، أو مباحاً لم تدع إليه ضرورة، ولا حاجة، واللغو : كل ما لا يعنيك من قول أو فعل ، كاللعب والهزل ، وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحته ، وكل ما لا يعتد به .

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾ : الفرج : جمع فرج ، وهو من الإنسان : العورة .

○ الاعراب:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد حرف تحقیق، وأفلح فعل ماض، والمؤمنون فاعل. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَشِيعُونَ﴾ الذين صفة للمؤمنون، وهم مبتدأ، وفي صلاتهم متعلقان بخاشعون، وخاشعون خبر «هم»، والجملة صلة الذين، وقدّم الجار وال مجرور على متعلقه للاهتمام به وحسنـه كون متعلقه فاصلة. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ والذين عطف على الذين، وهم مبتدأ، وعن اللغو متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر «هم»، والجملة صلة الذين. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّغْوَةِ فَنِعْلُونَ﴾ والذين عطف على الذين، وهم مبتدأ، وفاعلون خبر، وللزكاة متعلقان بفاعلون، وضمن فاعلون معنى مؤدون، وقيل: اللام زائدة في المفعول به لتقدمه على عامله. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ والذين عطف على ما تقدم، وهم مبتدأ، وحافظون خبر، ولفروجهم متعلقان بحافظون. ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ إلا أداة استثناء، وعلى أزواجهم في موضع الحال، أي: إلا والين على أزواجهم، أو قوامين عليهن. قال الزمخشري: «من قوله كان فلان على فلانة فمات عنها، فخلف عليها فلان، ونظيره: كان زياد على البصرة، أو والياً عليها، ومنه قوله: فلانة تحت فلان، ومن ثم سميت المرأة فراشاً، والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم، أو تسريحهم، أو تعلق «على» بمحذوف يدل عليه ﴿غَيْرِ مَأْمُونِينَ﴾ كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم، فإنهم غير ملومين عليه، أو تجعله صلة لحافظين، من قوله: احفظ علي عنان فرسي، على تضمينه معنى النفي، كما ضمن قوله: نشدتك بالله إلا فعلت، معنى: ما طلبت منك إلا فعليك». وذهب الفراء إلى أن «على» بمعنى «من» أي: إلا من أزواجهم، كما جاءت «من» بمعنى «على» في قوله: ﴿وَنَصَرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾، وأو حرف عطف، وما عطف على أزواجهم، وجملة ملكت أيماهم صلة، وعبر بما دون «من» وإن كان المقام لها؛ لنقصهن لأنهن السراري؛ والسرية:

الأمة التي بوأتها بيتاً، وهي فعلية منسوبة إلى السر، وهو: الجماع، أو الإخفاء؛ لأن الإنسان كثيراً ما يسرها، ويسترها عن حرّته، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب، كما قالوا في النسب إلى الدهر: دُهري، وإلى الأرض السهلة: سُهلي بضم أولهما، والجمع: سراري. وقال الأخفش: هي مشتقة من السرور؛ لأن الإنسان يسر بها، وعبارة المصباح: «والسرية فعلية، قيل: مأخوذه من السر بالكسر، وهو النكاح، فالضم على غير قياس، فرقاً بينها وبين الحزة إذا نكحت سراً، فإنه يقال لها: سرية بالكسر على القياس، وقيل: من السر بالضم بمعنى السرور؛ لأن مالكها يسر بها، فهو على القياس». ﴿فَإِنَّهُمْ عَنِّيْرَ مَلُومِيْنَ﴾ الجملة تعليل للاستثناء، وإن واسمها، وغير ملومين خبرها. ﴿فَمَنْ أَبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِّكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُوْنَ﴾ الفاء استثنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: هو، ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة، وهذا المحذوف مفعول ابتغى، أي: ابتغى شيئاً كائناً وراء ذلك، ولذلك أن يجعل وراء بمعنى خلاف، فتنصبه على أنه مفعول به، وذلك مضاد إليه، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، والعادون خبر أولئك، أو هم ضمير فصل، والعادون خبر، والجملة خبر أولئك. ﴿وَالَّذِيْنَ هُرُّ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَاهَدُهُمْ رَاعُوْنَ﴾ والذين عطف على ما تقدم، وهم مبتدأ، وراغون خبره، ولاأماناتهم متعلقان براعون، وعاهدهم عطف على أماناتهم. ﴿وَالَّذِيْنَ هُرُّ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يَحَافِظُوْنَ﴾ تقدم إعرابها، وهي عطف على ما تقدم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُوْنَ﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، والوارثون خبر، وقد تقدم أنه يجوز إعراب هم مبتدأ ثانياً، ولكن الأحسن أن يكون للفصل للدلالة على التخصيص. ﴿الَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾ الذين خبر ثان، أو صفة للوارثون، وجملة يرثون صلة، والفردوس مفعول به، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر هم، وأنت الفردوس باعتبار المعنى: أنها الجنة، وجملة هم فيها خالدون: حال.

□ البلاغة:

١- التفصيل:

تميزت السورة ببراعة استهلالها؛ لأنها ذكرت أحوال المؤمنين على جهة التفصيل، والتفصيل على قسمين: متصل ومنفصل، فالمتصل: كل كلام وقع فيه أما، أو ما، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبِعُشُ وُجُوهٌ وَسُودٌ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوَدَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ إلى آخر الكلام، وأما المنفصل فهو: ما يأتي محملاً في مكان، ومفصله في مكان آخر، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوفِهِمْ حَفَظُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّسَعَ وَرَأَءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فإن قوله تعالى «وراء ذلك» إجمال المحرمات، وقد تقدمت مفسرة في سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ النِّسَاءِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَأَءَ ذَلِكُمْ﴾ فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محراً من أصناف النساء، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً، ومن الأجانب صنفان.

٢- الطلاق:

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ طلاق إيجاب، فقد جمع سبحانه للمؤمنين في هذا الوصف بين الفعل والترك، إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو، وهذا كله من طلاق الإيجاب المعنوي، وقد حمدو الخشوع كثيراً. روى عن النبي ﷺ أنه أبصر رجلاً يبعث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه». ونظر الحسن إلى رجل يبعث بالخصى، وهو يقول: اللهم زوجني بالحور العين، فقال: بئس الخطاب أنت! تخطب وأنت تبعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْنَلَقٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْعَكَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَكَةَ

عَظَلَمًا فَكَسَوْنَا الْعَظَلَمَ لَهُمَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا إِنَّهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَسَّوْنَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةَ تُبَعَثُرُونَ ﴿١٨﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَطْنَةِ مِنْ طِينٍ ﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب قسم مذوف، واللام جواب للقسم المذوف، وقد حرف تحقيق، وخلقنا فعل وفاعل، والإنسان مفعول به، ومن سلالة متعلقان بخلقنا، فمن الابتداء، ومن طين صفة لسلالة، أو متعلقان بسلالة؛ لأنها معنى مسلولة، فمن للبيان، ولا تلتفت إلى قول بعض المعربين أن الواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام، فالكلام مستأنف، لا علاقة له بما قبله.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكَيْنَ ﴾ ثم حرف عطف، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به، ونطفة مفعول به ثان، وفي قرار مفعول به ثالث، ومكين صفة.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ ثم حرف عطف، وخلقنا فعل وفاعل، والنطفة مفعول به أول، وعلقة مفعول به ثان؛ لأن خلقنا متضمن معنى صيرنا.

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْكَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْكَةَ عَظَلَمًا ﴾ الفاء حرف عطف، وخلقنا فعل وفاعل، والعلقة مفعول به أول، ومضضة مفعول به ثان، فخلقنا فعل وفاعل، والمضضة مفعول به أول، وظاماماً مفعول به ثان. ﴿ فَكَسَوْنَا الْعَظَلَمَ لَهُمَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا إِنَّهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ الفاء حرف عطف، وكسومنا فعل وفاعل، والظلم مفعول به أول، ولهمماً مفعول به ثان، ثم حرف عطف، وأنشأناه فعل وفاعل ومفعول به، وخلقنا حال، وأخر صفة، فتبارك: الفاء استثنافية، وتبارك فعل ماض، والله فاعل، وأحسن بدل من الله، والخالقين مضاد إليه، وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف؛ لأن المضاف إليه عوض من «من»، وهكذا جيم باب اسم التفضيل، وميزة أحسن مذوف للعلم به، أي: خلقاً. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَسَّوْنَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةَ تُبَعَثُرُونَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وإن واسمها، وبعد ذلك الظرف متعلق بمذوف حال، أو: بمتون، واللام المزحلقة، ومتون خبر

إن، ثم إنكم عطف على ما تقدم، وجملة تبعنون خبر إن.

□ البلاغة:

١- المخالفة في حروف العطف:

في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ، دقيقة المعنى، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله، فبدأ بالخلق الأول، وهو خلق آدم من طين، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى - وهو آخر الخلق - عطفه بثم، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل، ولكن الحالتين متصلتان، فأحياناً ينظر إلى طول zaman فيعطف بثم، وأحياناً ينظر إلى اتصال الحالين ثانيةما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما، فيعطف بالفاء، ومثل هذا: تزوج محمد، فولده.

وشيء آخر، وهو: أن صيغة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال، ومثل ذلك صيغة العلقة علقة لاختلاف إحداهما عن الأخرى اختلافاً ظاهراً، ولكن صيغة العلقة مضيعة لا غرابة فيه لتقاربهما، فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى: ﴿يَتَأْيِهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنَ الْعَصِّ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضَعَّةٍ﴾ بثم.

وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق، وتباعد الأوقات بين كل طورين. وفي «حاشية» الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته: اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات، يعني: إن بعضها مستبعد حصوله مما قبله، وهو المعطوف بثم، فجعل الاستبعاد عقلأً، أو رتبة منزلة التراخي والبعد الحسي؛ لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً، وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهأ له في اللون والصورة، وكذا تصليبيها حتى تصير عظماً؛ لأنه قد يحصل ذلك بالموت فيما يشاهد، وكذا مدّ لحم المضعة عليه ليستره، وذلك يقتضي عطف الجميع

بثم إن نظر لآخر المدة وأولها، ويقتضي العطف بالفاء إن نظر لآخرها فقط.

٢ - تشبيه الرحم بالقرار:

في قوله تعالى: «**فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**» استعارة تصريحية، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به، والمشبه هو الرحم، وقد شبهه بالقرار، أي: موضع الاستقرار، ثم وصفه بمكين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه، بحيث لا يعرض له اختلال، أو لم يمكن ما يحل فيه، كقولهم: طريق سائر، أي: يسار فيه. وفيه إيضاح قوله تعالى: «**خَلْقًا أَخْرَى**» وقد كثرت فيه الأقوال، واضطربت وخير ما يقال فيه: إنه عام، والمراد مبaitته للخلق الأول مبaitة بعيدة جداً، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميناً وكان أصم، وبصيراً وكان أعمى أكمه، وأودع باطنها وظاهره، وكل عضو من أعضائه، وكل جزء من أجزاءه عجائب لا توصف، وغرائب لا تدرك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كَانَ عِنِ الْخَلْقِ عَلِيلٌ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا مَلِئَ كُلُّ دُنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا يَرَوْنَ ۖ فَإِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ ۗ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحْيٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَّاكُهُ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۖ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءَ تَبَتُّ بِالْأَرْضِ وَصَبَغَ لِلْأَكْلِينَ ۖ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعُمِ لِعِبْرَةٍ ۗ شُقِّيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفِعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۖ﴾

☆ الملفقة:

«**طَرَائِقٌ**»: جمع طريقة، وهي: السيرة، والحالة، والمذهب، والخط في الشيء، وفي «الأساس» و«اللسان»: «ووضع الأشياء طرقة طرقة، وطريقة طريقة: بعضها فوق بعض، وهي طرق وطرائق، وطرق طريقاً: سهلة حتى طرقه الناس بسيرهم» وسميت السموات طرقاً؛ لأنها طورق ببعضها فوق بعض كمطارقة النعل، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة.

﴿ طُورِ سِينَاء ﴾ : وطور سينين ، قال الزمخشري : « لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون ، وإما أن يكون اسمًا للجبل مركبًا من مضاد ومضاد إليه كامرئ القيس وكعيلبك فيمن أضاف ، فمن كسر سين سيناء فقد منع من الصرف للتعریف والمعجمة ، أو التأنيث ؛ لأنها بقعة ، وفعلاً لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ، ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء ».

هذا ؛ وسيناء : شبه جزيرة يمدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وقناة السويس وخليج السويس غرباً ، وفلسطين وخليج العقبة شرقاً ، تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر ، وسيناء : جبل واقع في شبه جزيرة سيناء جنوباً ، والمراد بالشجرة : شجرة الزيتون ، وخصت بطور سيناء مع أنها تخرج في غيره ؛ لأن أصلها منه ، ثم نقلت إلى غيره .

○ الإكراه:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عِنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ جملة مستأنفة ، مسوقة لذكر خلق السموات التي تعلو الإنسان بعد ذكر خلقه ، واللام جواب للقسم المحدوف ، وقد حرق تحقيق ، وخلقنا فعل وفاعل ، وفوقكم ظرف متعلق بخلقنا ، وسبع طرائق مفعول خلقنا ، وطرائق مضاد لسبع ، وما الواو حالية ، وما نافية ، وكان واسمها ، وعن الخلق متعلقان بغافلين ، وغافلين خبر كنا . ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا يُقْدِرُ فَاسْكَنَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ وأنزلنا عطف على خلقنا ، ومن السماء متعلقان بأنزلنا ، وماء مفعول به ، وبقدر صفة الماء ، أو حال من الضمير ، أي : بتقدير يسلمون معه من المضرة ، ويصلون إلى المفعة ، فأسكناه عطف على أنزلنا ، وهو فعل وفاعل ومفعول به ، وفي الأرض متعلق بأسكتناه . ﴿ وَلَنَا عَلَى ذَهَابِ يَدِهِ لَقَدِيرُونَ ﴾ الواو عاطفة ، وإن واسمها ، وعلى ذهاب متعلقان بقادرون ، وبه متعلقان بذهب ، وقادرون خبر إن ، واللام المزحلقة . ﴿ فَإِنَّا لَكُمْ بِهِ جَنَاحَتِ مِنْ نَصِيلٍ وَأَعْنَبٍ ﴾ الفاء عاطفة ، وأنشأنا فعل وفاعل ، ولكم متعلق بأشنان ، وبه متعلقان بأشنان أيضاً ، أو بمحذوف حال

فتكون الباء للملابسة، وجنات مفعول به، ومن تخيل صفة بجنات، وأعناب عطف على تخيل. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَرِزْكُهُ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لكم خبر مقدم، وفيها حال، وفواكه مبتدأ مؤخر، وكثيرة صفة، ومنها متعلقان بتأكلون، وتأكلون فعل مضارع وفاعل، وجملة لكم فيها الآية حال من جنات، أو صفة، كما هي القاعدة. ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ﴾ الواو حرف عطف، وشجرة عطف على جنات، وجملة تخرج صفة لشجرة، ومن طور سيناء جار ومحرر متعلقان بتخرج. ﴿تَبَدَّلُتِ بِالدُّهْنِ وَصَبَغَ لِلَاكِلِينَ﴾ الجملة صفة ثانية لشجرة، وبالدهن في موضع نصب على الحال، أي: متلبسة بالدهن ومصحوبة به، والدهن في عصاراة كل شيء ذي دسم، وصبغ عطف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر، أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به، ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ به الخبز، أي: يغمس فيه للاهتمام به، وللأكلين صفة لصبغ. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً شَسِيقَكُمْ وَمَا فِي بُطُونِهَا﴾ الواو حرف عطف، وإن حرف مشبه بالفعل، ولكم خبرها المقدم، وفي الأنعام حال، واللام المزحلقة، وعبرة اسم إن، وجملة نسيقكم تفسيرية لعبرة، أو: مستأنفة، والكاف مفعول به، وما متعلقان بنسيقكم، وفي بطونها متعلقان بمحذوف صلة ما. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفِعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تقدم إعرابها قريباً فجدد به عهداً.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَصَبَغَ لِلَاكِلِينَ﴾ استعارة تصريحية، شبه الإدام من المائعتات بالصبغ، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس به.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تُحْمَلُونَ ٢١﴾ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، فقال ينقولون أعبدوا الله ما للك من إله غيره، أفلان ننقولون ﴿فَقَالَ الْمُلُوُّكُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَا سَمِعْنَا

يَهْدَا فِي سَابَقَ إِلَيْنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهُوَ حِنْنَةٌ فَتَرَى صُوَرَ إِلَيْهِ حَتَّى جَاءَنِ ﴿٢٢﴾
 قَالَ رَبِّنِي أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبْنُونِ ﴿٢٣﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفَلَكَ يَأْعِنْنَا وَوَحْيَنَا
 فَإِذَا جَاءَهُ أَمْرُنَا وَفَكَارَ السَّنُورُ فَاسْلَكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ثَنَيْنِ وَاهْلَكْ إِلَّا
 مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَفُونَ ﴿٢٤﴾
 فَإِذَا آتَيْتَ أَنَّتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكِ فَقُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخْنَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

○ الْأَكْرَابُ:

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمِلُونَ﴾ الواء عاطفة، وعليها متعلقان بتحمليون، والضمير يعود على الإبل التي هي من جملة الأنعام، ولأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ الواء استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لسرد خمس قصص أو لاها قصة نوح، واللام جواب للقسم المحدود، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، ونوحًا مفعول به، وإلى قومه متعلقان بأرسلنا. ﴿فَقَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْتَهُونَ﴾ الفاء حرف عطف، وقال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، ويا حرف نداء، وقوم منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحدودة، واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما نافية، ولكنكم خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله مبتدأ مؤخر محلًا مجرور بمن لفظاً، وغيره صفة لإله على المحل، وقرىء بالجر على اللفظ، وهو جائز، وجملة ما لكم من إله غيره مستأنفة، تجري بجري التعليل للأمر بالعبادة، والهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أفالا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم، وخالفكم، ورزاقكم. ﴿فَقَالَ الْمُلُوُّكُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِمْمَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ الفاء عاطفة، وقال الملا فعل وفاعل، والذين صفة للملا، وجملة كفروا صلة، ومن قومه حال، وجملة ما هذا مقول القول، وما نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلكم صفة، وهذه هي الشبهة الأولى من الشبه الخمس التي ذكروها. ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِلَ عَلَيْكُمْ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا نَزَّلَ مَلَائِكَةً》 جملة يريد صفة، وأنّ ما في حيزها مفعول يريده، وعلىكم جار و مجرور متعلقان بيتفضل ، والواو حالية، أو استثنافية، وشاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محدوف يفهم من مضمون جواب لو، أي: لو شاء إنزال رسول ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة إنزال ملائكة لا محل لها لأنّها جواب شرط جازم ، وهذه هي الشبهة الثانية . 《مَا سَمِعْنَا يَهْدَنَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ》 الجملة مستأنفة ، مسوقة لحكاية شبهتهم الثالثة ، وما نافية ، وسمعنا فعل وفاعل ، وبهذا متعلقان بسمعنا ، وفي آبائنا في محل نصب حال ، أي: في قصص آبائنا ، والأولين صفة لآبائنا . 《إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهْدِي حِنْنَةً فَتَرْبِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينَ》 جملة مستأنفة ، مسوقة لحكاية شبهتهم الرابعة ، وإن نافية ، وهو مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ورجل خبر هو ، وبه خبر مقدم ، وجنة ، أي: جنون مبتدأ مؤخر ، والجملة صفة رجل ، فتربيصوا: الفاء الفصيحة ، أي: إن أردتم أن تتبينوا حقيقته فتربيصوا ، ويجوز أن تكون استثنافية ، وهذه هي شبهتهم الخامسة ، وتربيصوا فعل أمر ، أي: انتظروا ، والواو فاعل ، وبه متعلقان بتربيصوا ، وحتى حرف غایة وجر ، وحين مجرور بحتى ، والجار والمجرور متعلقان بتربيصوا أيضاً ، أي: اصبروا عليه ، واحتملوه إلى زمان حتى ينجلي لكم أمره عن مغبته ، فإن أفاق من جنته وإلا قتلتموه . 《قَالَ رَبُّ أَنْصُرِي يِمَا كَذَّبُونَ》 كلام مستأنف ، مسوق لطلب الانتصاف منهم ، والانتصار عليهم من ربه بعد أن يئس من إيمانهم ، ورب منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر ، والفاعل مستتر ، والنون لللوقيا ، والياء مفعول به ، والباء حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بالياء ، أي: بسبب تكذيبهم إياي ، فالباء للسيبية ، ويجوز أن تكون للبدل ، أي: انصرني بدل تكذيبهم إياي ، كما تقول: هذا بذلك ، أي: بدل ذلك ومكانه ، والجار والمجرور متعلقان بانصرني . 《فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلَكَ يَأْعِينَا وَوَحْيَنَا》 الفاء استثنافية ، وأوحينا فعل وفاعل ، وإليه متعلقان بأوحينا ، وأن مفسرة لوقوعها بعد أوحينا ، وهو فعل فيه معنى القول دون حروفه ، واصنع فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره: أنت ، والفلك مفعول به ،

وبدأ عينا حال من الضمير المستكثن في اصنع، أي: بحفظنا، وكلاعتنا، ووحينا عطف على أعيننا، أي: وأمرنا. **(فَإِذَا جَاءَهُمْ نَحْنُ أَمْرَنَا وَفَكَارَ الْتَّشْوُرُ فَاسْلَكُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)** الفاء عاطفة لترتيب مضمون ما بعدها على قام صنع الفلك، والمراد بالأمر: العذاب، وجملة جاء مضاف إليها الظرف، وأمرنا فاعل، وفار التشور عطف على جاء أمرنا، وقد تقدم بحث هذا في سورة هود. فاسلك: الفاء رابطة لجواب إذا، واسلك فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وفيها متعلقان باسلك، ومن كل جار ومحروم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنَّه كان صفة لاثنين واثنين مفعول اسلك، وقد تقدم إعراب هذا في هود أيضاً. **(وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَيْنِهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ)** وأهلك عطف على اثنين، وإلا أداة استثناء، ومن مستثنى متصل من موجب فهو واجب النصب، وجملة سبق صلة، وعليه متعلقان بسبق، والقول فاعل، ومنهم حال، أي: بالإهلاك **(وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرِقُونَ)** الواو عاطفة، ولا نهاية، ومخاطبني فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وفي الذين متعلقان بمخاطبني، أي: بترك إهلاكهم، وذلك بعد أن لزمتهم الحاجة البالغة، وبعد أن أملأ لهم الدهر المطاول، لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين، وجملة ظلموا صلة، وجملة إنهم مغردون تعليل للنبي عن المخاطبة بشأنهم، وإن واسمها وخبرها. **(فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنَّ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلُكِ)** الفاء استثنافية، وإذا ظرف مستقبل، وجملة استويت في محل جر بالإضافة إليها، وأنت تأكيد للباء، ومن عطف على التاء، ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة لمن، وعلى الفلك متعلقان باستويت، أي: اعتدلت عليه. **(فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَدَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** الفاء رابطة لجواب إذا، وقل فعل أمر، وأفرده بالأمر إظهاراً لفضله، وإشعاراً بأنَّ في دعائه مندوحة عن دعائهم، والحمد مبتدأ، والله خبره، والجملة مقول القول، وجملة القول لا محل لها لأنَّها جواب شرط غير جازم، والذي صفة الله، وجملة نجانا صلة، ومن القوم متعلقان بنجانا، والظالمين صفة للقوم.

﴿ وَقُلْ رَبِّيْ أَنْزَلَنِيْ مُنْزَلًا مُبَارِكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
لَمُبْتَلِينَ ﴿ فَرُّ أَنْشَانَا مِنْ بَعْدِهِ قَرْنَاءَ أَخَرَيْنَ ﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا آلَّهَ
مَا لَكُرُّ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْقُونَ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا يُلْقَاءُ
الْآخِرَةَ وَأَرْفَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِمَّا تُكُلُونَ مِنْهُ
وَيُشَرِّبُ مِمَّا تُشَرِّبُونَ ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمُ بَشَرًا مُثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُوكُمْ أَيُعْدُكُمْ
أَنَّكُمْ إِذَا مِنْتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعَظِيمًا أَنَّكُمْ تُخْرُجُونَ ﴾ هَيَّاهَاتٌ هَيَّاهَاتٌ لِمَا
تُوعَدُونَ ﴽ

○ الإعراب:

﴿ وَقُلْ رَبِّيْ أَنْزَلَنِيْ مُنْزَلًا مُبَارِكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾ الواو عاطفة، وقل أمر،
وفاعله مستتر تقديره: أنت، ورب منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحدوقة،
وحرف النداء مخدوف، وأنزلني فعل أمر للدعاء، والفاعل مستتر تقديره:
أنت، والنون للوقاية، والياء مفعول به، ومنزلًا اسم مكان، أو مصدر
مفعول به ثان، أو مفعول مطلق، ومباركاً صفة، وأنت الواو حالية، وأنت
مبتدأ، وخير المزليين خبر. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ الجملة
مستأنفة، مسوقة لتعليل ما ذكر، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها
المقدم، ولآيات اللام المزحلقة، وآيات اسم إن، وإن مخففة من الشقيقة،
والغالب إهمالها، وكنا: كان واسمها، واللام الفارقة، ومبتلين خبر كنا،
ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها، ويجوز أن تكون إن
نافية، واللام بمعنى إلا. ﴿ فَرُّ أَنْشَانَا مِنْ بَعْدِهِ قَرْنَاءَ أَخَرَيْنَ ﴾ ثم حرف عطف
للترافق، وأنشأنا فعل وفاعل، ومن بعدهم حال، وقرناً مفعول به، أي:
قوماً، وآخرين صفة، وهم قوم عاد. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ الفاء حرف
عاطف، وأرسلنا فعل وفاعل، وفيم تعليقان بأرسل، ورسولاً مفعول به،

ومنهم صفة . ﴿أَنْ أَبْدُلُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أن مفسرة ، لأن في الإرسال معنى القول دون حروفه ، أي : قلنا لهم على لسان الرسول : اعبدوا الله ، ثم إن إرسال الرسل هو للتبلیغ ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في موضع نصب بنزع الخافض ، أي : بأن عبدوا ، والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا ، وما بقي تقدم إعرابه قريباً بنسنه ، فجده به عهداً . ﴿وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلَهَ الْآخِرَةِ وَأَرَفَنَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الواو عاطفة ، وقال الملا فعل وفاعل ، والجملة من كلامهم الباطل معطوفة على كلامه الحق ، فالاعطف هنا لبيان المفارقة ، وقد سبق مثل هذا التعبير في سورة الأعراف مجردًا من الواو ، بأنه جواب سؤال مقدر ، فلم يحتاج إليها ، ومن قومه حال ، والذين صفة لقومه ، وجملة كفروا صلة ، وما بعدها عطف عليه داخل في حيزها ، وأسهب في وصفهم لبيان فداحة ما ارتكبوه من كفران للنعم ، وجحود للنعم المترادفة عليهم ؛ ليورد بعد ذلك على لسانهم شبهتين من شبهات الملاحدة ، وبنوا عليهما إنكارهم البعث والطعن في رسالته ﷺ . ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُّتَلَكِّرٌ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكِلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ما نافية ، وهذا مبتدأ ، وإلا أدلة حصر ، وبشر خبر ، ومثلكم صفة ، وجملة يأكل صفة ثانية ، وما متعلقان بياكل ، وجملة تأكلون صلة ، ولذلك أن يجعلها مصدرية ، أي : من مأكلكم ، وكذلك قوله «ويشرب مما تشربون» وحذف العائد من الثاني اكتفاء بالعائد الأول ، وهو منه ، والجملة كلها مقول القول ، وهي تتضمن الشبهة الأولى .

﴿وَلَيْسَ أَطَعْمُ بَشَرًا وَلَكُمْ إِنْكَارٌ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ الواو عاطفة ، واللام موطة للقسم ، وإن شرطية ، وأطعمتم فعل وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، وبشرًا مفعول به ، ومثلكم صفة ، وإن واسمها ، واللام المرحلقة ، وخاسرون خبرها ، وإذاً : هذه ليست هي الناسبة للفعل المضارع ، وإنما هي إذا الشرطية ، حذفت جملتها التي تضاف ، وعرض عنها التنوين ، كما في يومئذ ، ولهذا لا يختص دخولها على المضارع ، بل تدخل على الماضي ، وعلى الاسم ،

وقد وردت في القرآن كثيراً، مثل: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فقد دخلت هنا على الاسم ومن دخولها على الماضي قوله: ﴿وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ﴾ وهذا تقرير عن شبهتهم الثانية . والجملة جواب القسم لأنه المقدم حسب القاعدة.

﴿أَيَعْدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعَظَمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكارى الاستبعادى ، وجملة يعدكم مستأنفة، مسوقة لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه بإنكار وقوع ما يدعوهם إلى الإيمان به واستبعاده. ويعدكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره: هو ، والكاف مفعول به ، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان ، وأن واسمها ، ومخرجون خبرها ، وإذا ظرف متعلق بمخرجون ، وجملة متمنٌ في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وكنتم تراباً وعظاماً عطف على إذا متـم ، وأنكم الثانية تأكيد للأولى لما طال الفصل بين اسم أنـ ، وهو الكاف ، وخبرها وهو مخرجون ، ولما كانت مجرد التأكيد اللغظى لم تحتاج إلى الخبر ، وهذا أحد أوجه ذكرها النحاة ، وسنأتي على ذكرها في باب الفوائد؛ لأنها كلها صحيحة ، وما ذكرناه أسهلها . ﴿ هَيَّهَاتٌ هَيَّهَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هيئات اسم فعل ماض بمعنى بعد ، وسيأتي الكلام عليها مطولاً في باب الفوائد ، والثانية تأكيد لغظى لها ، واللام زائدة ، وما اسم موصول فاعل لاسم الفعل ، وهو هيئات ، ومحله القريب الجر باللام الرائدة ، ومحله البعيد الرفع على أنه فاعل هيئات ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيئات ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيئات ، وسيأتي مزيد من الأوجه في إعراب هذا التركيب في باب الفوائد .

* الفوائد :

١ - في قوله تعالى: ﴿أَيَعْدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ الآية: اختلفت آراء الأئمة النحاة والمفسرين في إعراب هذه الآية ، وقد ذكرنا في الإعراب ما رأينا أقرب إلى التناول ، وأدنى إلى المنطق ، وسنورد لك هنا ما قالوه لوجاهته ، ولترى ما تخたـر . فقال سيبويه : إن خبر «أن» الأولى ممحـوذـفـ لـدـلـالـةـ خـبـرـ الثـانـيـةـ عـلـيـهـ ،

تقديره: «أنكم مخرجون» وهو العامل في الظرف و«أن» الثانية وما في حيزها بدل من الأولى.

وذهب الجرمي والمبرد والفراء: إلى أن خبر «أن» الأولى هو مخرجون وهو العامل في «إذا» وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل، وهذا هو الوجه الذي اخترناه.

واختار أبو البقاء أن اسم الأولى محذوف أقيم مقام المضاف إليه، تقديره: أن إخراجكم، و«إذا» هو الخبر، و«أنكم مخرجون» تكرير؛ لأن «أن» وما عملت فيه للتوكيد، أو للدلالة على المحذوف.

وقيل: «أنكم مخرجون» مبتدأ، وخبره الظرف مقدماً عليه، والجملة خبر عن «أنكم» الأولى، والتقدير: أيعدكم أنكم إخراجكم كائن، أو مستقر وقت موتكم، ولا يجوز أن يكون العامل في «إذا» مخرجون؛ لأن ما في حيز «أن» لا يعمل فيما قبلها، ولا يعمل فيها «تم» لأنه مضaf إليه، وأنكم وما في حيزها في محل نصب، أو جر بعد حذف حرف الجر؛ إذ الأصل: أيعدكم بأنكم، ويجوز ألا يقدر حرف جر، فيكون في محل نصب فقط، نحو: وعدت زيداً خيراً.

٢- هيئات:

في هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، وذكر فيما يلي أشهرها، وما قرئ به، فالمشهور هيئات بفتح التاء من غير تنوين،بني لوقعه موقع المبني، أو لشبه الحرف، وبها قرأ العامة، وهي لغة الحجازيين، وهيئات بالفتح والتنوين، وهيئات بالضم والتنوين، وبالضم من غير تنوين، وهيئات بالكسر والتنوين، وبالكسر من غير تنوين، وهيئات بإسكان التاء، وهيئه بالهاء آخرأ ووصلأ ووقفأ، وإيهات بابدال الهاء همزة مع فتح التاء، فهذه تسع لغات، وقد قرئ بهن، ولم يتواتر منها غير الأولى، ويجوز إبدال الهمزة من الهاء الأولى في جميع ما تقدم، فيكمل بذلك ست عشرة لغة، وإيهان بالنون آخرأ وإيهأ بالألف آخرأ، ويقع الاسم بعدهما مرفوعاً بها

ارتفاع الفعل بفعله؛ لأنها جارية مجرى الفعل، فاقتضت فاعلاً كاقتضائه الفعل.
قال جرير:

فهيئات هيئات العقيقُ وَمَنْ بِهِ
وَهِيَاتَ خَلُّ بِالْعَقِيقِ نُواصِلُهُ
وَالْعَقِيقُ: وَادِبِ الْمَدِينَةِ، يَقُولُ فِيهِ جَرِيرٌ وَيَبْدُعُ:
وَلَمْ أَنْسَ يَوْمًا بِالْعَقِيقِ تَخَايلُكُ
ضَحَاهُ وَطَابَتْ بِالْعَشِيِّ أَصَائِلُهُ
رُزِقْنَا بِهِ الصِّيدَ الْعَزِيزَ وَلَمْ نَكُنْ
كَمْ نَبْلَهُ مَحْرُومَةٌ وَجَبَائِلُهُ

وقال الزمخشري: «إِنْ قَلْتَ: مَا تَوَعَّدُونَ هُوَ الْمُسْتَبِدُ، وَمَنْ حَقَهُ أَنْ
يُرْتَفَعَ بِهِيَاتِهِ، كَمَا ارْتَفَعَ فِي قَوْلِهِ: «فَهِيَاتِهِيَاتِهِ الْعَقِيقِ وَأَهْلِهِ»
فَمَا هَذِهِ الْلَّامُ. قَلْتَ: قَالَ الزَّجَاجُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: الْبَعْدُ لِمَا تَوَعَّدُونَ أَوْ بَعْدُ
لِمَا تَوَعَّدُونَ فِيمَنْ نَوْنَ، فَنَزَّلَهُ مَنْزَلَةُ الْمَصْدَرِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ
يَكُونَ الْلَّامُ لِبِيَانِ الْمُسْتَبِدِ مَا هُوَ بَعْدُ التَّصْوِيتِ بِكَلْمَةِ الْاِسْتَبِدَادِ، كَمَا
جَاءَتِ الْلَّامُ فِي هِيَتِ لِكِ لِبِيَانِ الْمَهِيَّتِ بِهِ» وَمَا اخْتَرَنَاهُ فِي الإِعْرَابِ أَسْهَلُ،
وَأَقْرَبُ.

﴿إِنَّهُ إِلَّا حِكَمَانَا الْدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَبْنَا
قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحَنَّ نَذِيرِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخْذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً
بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّلَمِيِّينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا مُخَرِّبِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَيِّقُ مِنْ
أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٢﴾

☆ الْفَتْحَةُ :

﴿غُثَاءً﴾: الغثاء: ما يحمله السيل، ومثله الجفاء، وهو: ما تكسر

وتهشم أيضاً من المرعى إذا بيس، ويجمع على أغاثية كغраб وأغريبة، وعلى غثيان كغраб وغِربان، وقال الزجاج: هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبده، وقيل: ما يلقيه السيل والقدر مما لا يتفع به، ولامه واو لأنه من غثا الوادي يغشو غثواً، وكذلك القدر، وأما غثيث نفسه تغثي غثياناً، أي: خبئت، فهو قريب من معناه، ولكنها من مادة البياء. وقال الزمخشري: «شبههم في دمارهم بالغثاء، وهو حميل السيل مما بلي واسود، من: بلي العيدان والورق».

○ الْأَعْرَاب:

﴿إِنَّ هَذِهِ أَدْسِنَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا تَحْكِمُ بِمَعْبُوثَيْنَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير معتقدهم بأن العالم قديم بالطبع، ولم ينزل كذلك، ولم يحدث بإحداث محدث، والناس كالثبات ينتبون ويعودون بالموت هشيمًا، وهذا كفر صريح، وضلال بعيد، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من معتقد الدهرين. وإن نافية، وهي مبتدأ، وإلا أداة حصر، وحياتنا خبر، والدنيا صفة، وجملة نموت، ونحيا حالية، أو مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا، أي: يموت بعضنا، وينفرض ببعضنا إلى انفراط العصر، والواو حرف عطف، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وبمبعوثين الباء حرف جر زائد، وبمبعوثين مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا تَحْكِمُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، ورجل خبر، وجملة افتري صفة، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به، والواو حرف عطف، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وله متعلقان بمؤمنين، ومؤمنين محله القريب مجرور بالباء الزائدة، ومحله البعيد خبر ما. ﴿قَالَ رَبِّ اتَصْرِفُ بِمَا كَذَبْتُ﴾ قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره: هو، ورب منادي محدوث منه حرف النداء، مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وانصرني فعل أمر معناه الدعاء، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبما الباء حرف جر، وما موصولة، أو مصدرية، وكذبوني فعل وفاعل ومفعول به، والجملة

صلة ما، والجار والجرور متعلقان بانصرني. ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيَصِحُّ نَدِيمٌ﴾ عما قليل: عن حرف جر، وما زائدة، وقليل مجرور بعن، والجار والجرور متعلقان بيصبحن، أو بنادمين، أو بمحذوف تقديره: عما قليل نصر، فمحذف لدلالة ما قبله، وهو رب انصرني، واللام موطئة للقسم، ويصبحن فعل مضارع ناقص، والواو المحذوفة لاتقاء الساكنين اسمها، وهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتولى الأمثال، والنون المشدد نون التوكيد الثقيلة ونادمين خبر يصبحن. ﴿فَأَخْذُوهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَّاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم الصيحة فعل ومحظول به وفاعل، وبالحق حال من الصيحة فجعلناهم عطف على فأخذتهم، والهاء مفعول به أول، وغشاء مفعول به ثان، والفاء حرف عطف، وبعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف واجب الإضمار؛ لأنَّه بمعنى الدعاء عليهم، والأصل بعدوا بعدها، وللقوم صفة لبعداً، ولا تتعلق به لأنَّه لا يحفظ حذف هذه اللام، ووصول المصدر إلى مجرورها البتة، ووضع الظاهر موضع المضمر للتعميل. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا لَآخَرِينَ﴾ ثم حرف عطف وترافق وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال، وقرؤنا مفعول به، وآخرين صفة ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَاهَا وَمَا يَسْتَخْرُونَ﴾ ما نافية، وتسبق فعل مضارع، ومن حرف جر زائد، وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنَّه فاعل تسبق، وأجلها مفعول به، وما يستاخرون عطف على ما سبق، وذكر الضمير بعد تأثيره لرعاة المعنى؛ لأنَّ أمة بمعنى قوم.

* الفوائد:

في «شرح النهج» لابن أبي حديد: «قال قاضي القضاة: إن أحداً من العقلاة لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم، ولكن قوماً من الوراقين اجتمعوا، ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد إليها، وهي أن العالم قديم، لم يزل على هيئته هذه، ولا إله للعالم، ولا صانع له أصلاً، وإنما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر، ومن أشهر الذين أخذوا هذه المقالة من

العرب ابن الرأوندي، وقد أخذ هذه المقالة، ونصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج».

قلت: قد ذكر أبو العلاء المعري ابن الرأوندي وتوجه هذا في رسالة الغفران، وما قاله: «وأما ابن الرأوندي فلم يكن إلى المصلحة بمهدى، وأما توجه فلا يصلح أن يكون نعلاً، وهل تاجه إلا كما قالت الكاهنة: أَفْ وَتَفْ وَجُورْبْ وَخَفْ؟!».

وفي هؤلاء يقول أبو العلاء في لزومياته:

ضلَّ الَّذِي قَالَ الْبَلَادَ قَدِيمَةً بِالظَّبْعِ كَانَتْ وَالْأَنَامُ كَنْبَتْهَا
وَأَمَانَنَا يَوْمَ تَقْوُمُ هَجُودَهُ مِنْ بَعْدِ إِبْلَاءِ الْعَظَامِ وَرَفْهَهَا

﴿ثُمَّ أَرْسَلَنَا رُسُلَنَا تَتَرَّا كُلَّ مَا جَاءَ أَمَةً رَسُولُهُ كَذَبُوهُ فَاتَّبَعُنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَعُدَّا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَرْسَلَنَا مُوسَى وَلَخَاهُ هَرُونَ
يَثَايَنَتْنَا وَسُلْطَنِنَ مُيْنِ ﴿٤٢﴾ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيَّنَ
فَقَالُوا أَنْؤُمُ لِيَشَرِّينَ مِثْنَانَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِيُّوْنَ ﴿٤٣﴾ فَكَذَبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ
الْمُهَلَّكِيْنَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَيَّتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ لِعَاهُمْ يَهْنَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمَّهَ
إِيَّاهُ وَأَوْتَنَهُمَا إِلَى رَبِّوْقَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٦﴾

الثالثة:

﴿تَتَرَّا﴾ سترد في باب الإعراب.

﴿رَبِّوْقَ﴾: الربوة والرباوة: الأرض المرتفعة، وفي رائهما الحركات الثلاث، وقد اختلف المفسرون في المراد بها، فقيل: بيت المقدس، وقيل: دمشق وغوطتها، وعن الحسن: فلسطين، والرملة.

﴿وَمَعِينٍ﴾: اسم مفعول، من عان يعين، كياع بيع، فهو معين كمبيع، فالميم زائدة، وأصله معيون كمبیع، وقد دخله الإعلال، والمعین: الماء

الظاهر الجاري على وجه الأرض، وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته، فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره، من: عانه؛ إذا أدركه بعيته، نحو: ركب؛ إذا ضربه بركته، ووجه من جعله فعيلاً أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون، وهو: المنفعة، وقال الراغب: هو من: معن الماء: جرى، وسمى مجرى الماء: معيان، وأمعن الفرس: تباعد في عدوه، وأمعن بحقي: ذهب به، وفلان معن في حاجته، أي: سريع.

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ أَرْسَلَنَا رُسُلًا تَتَّرَأَ﴾ ثم حرف عطف وترافق، وأرسلنا فعل وفاعل، ورسلنا مفعول به، وتترى: التاء مبدلة من الواو، وأصله: وترى، وهو مصدر كشبعي ودعوى، فألفه للتأنيث، وهو منصوب على الحالية، أي: متتابعين، فهو مصدر واقع موقع الحال، ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر مذوف، تقديره: أرسلاً ترى، أي: متتابعاً، وفي ألفها ثلاثة أقوال:

١ - هي للإلحاق بجعفر، كالآلف في أرطى؛ ولذلك تؤثر في قول من صرفها.

٢ - هي بدل من التنوين.

٣ - هي للتأنيث مثل سكري؛ ولذلك لا تتواء على قول من منع الصرف.

﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهُ كَذَبُوهُ﴾ كلما ظرف متضمن معنى الشرط، وجملة جاء أمة إما مضاد إليها، وإما لا محل لها، وقد تقدم تفصيل البحث عن كلما، وأمة مفعول مقدم، ورسولها فاعل مؤخر، وجملة كذبوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ الفاء عاطفة، وأتبعنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به أول، وبعضاً مفعول به ثان، وجعلناهم عطف على أتبعنا، والهاء مفعول به أول، وأحاديث مفعول به ثان، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه: أحاديث رسول الله ﷺ، وتكون جمعاً للأحداثة التي هي مثل الأضحوكة، والألوية، والأعجوبة،

وهي مما يتحدث به الناس تزجية للفراغ، واجتلاباً للسلوى، ودفعاً للملالة، وتعجبأً، وتلهيأً، وفي القاموس: «يقال: صاروا أحاديث، أي: انفروضاً».

﴿فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء: استثنافية، وبعداً مصدر لفعل محذف، أي: بعدواً بعداً، وهذا دعاء عليهم، ولقوم: تقدم القول في هذه اللام قريباً، فجدد به عهداً، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِإِيمَانِنَا وَسُلْطَانِنَّ مُمِينٍ﴾ ثم حرف عطف وترابخ، وأرسلنا فعل وفاعل، وموسى مفعول به، وأخاه عطف عليه، وهارون بدل أو عطف بيان، وبآياتنا حال، أي: حال كونهما متلبسين بآياتنا، فالباء للملابسة، وسلطان ممین عطف على آياتنا، وهي الآيات التي جاء بها، وإنما عطف سلطان على آياتنا لما تميزت به تلك الآيات المرهضة من الفضل حتى كأنها ليست منها، وإن الشيء لا يعطى على نفسه، ومن تلك الحجج القاطعة البينة: اليد، والعصا. ﴿إِلَى فَرَعَوْنَ كَمَلَائِيهِ، فَاسْتَكَبُرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيَّنَ﴾ إلى فرعون متعلقان بأرسلنا، وملئه عطف على فرعون، فاستكبوروا عطف على أرسلنا، وكانوا قوماً عالين: كان واسمها وخبرها، ومعنى عالين: متكبرين، أو: متطاولين على الناس، قاهرين لهم بالبغى والظلم، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في آية أخرى فقال: ﴿إِنَّ فَرَعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿فَقَالُوا أَوْمَئِنُ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا وَقَوْمًا مِثْلِهِمَا لَنَا عَيْدِونَ﴾ الفاء عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، والضمير يعود على فرعون وملته، والهمزة للاستفهام الإنكارى، ونؤمن فعل مضارع، ولبشرين متعلقان بنؤمن، والبشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث، ومثلنا صفة، وهي كغير في أنه يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْهُمْ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ أَزْرَضَ مِثْلَهُمْ﴾ ويقال أيضاً: هما مثلاه، وهم أمثاله.

وقومهما الواو للحال، وقومهما مبتدأ، ولنا متعلقان بعابدون،
وعابدون خبر قومهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهَلَّكِينَ﴾ الفاء: عاطفة،
وكذبوهما فعل وفاعل ومفعول به، فكانوا عطف على كذبوهما، وكان

واسمها، ومن المهلكين خبرها. ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْدُونَ ﴾ الواو استئنافية، وقد حرف تحقيق، وأتينا فعل وفاعل، وموسى مفعول به أول، والكتاب مفعول به ثان، ولعل واسمها، والضمير يعود إلى قوم موسى؛ لأن فرعون وقومه كانوا قد بادوا غرقاً. ﴿ وَجَعَلْنَا أَبْنَى مَرِيمَ وَأُمَّهَ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ الواو عاطفة، وجعلنا فعل وفاعل، وابن مريم مفعول به أول، وأمه عطف على ابن مريم، وآية مفعول به ثان، ولم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة، وهي الولادة من غير أب، ولو قال آيتين لساغ؛ لأن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسي روح الله ألقى إليها، وقد تكلم في المهد، وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى، فكان آية من غير وجه. ﴿ وَأَوْيَنَاهُمَا إِلَى رَبُوبَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ وأويناهما عطف على جعلنا، أي: أسكناهما، وإلى ربوبة متعلقان بأويناهما، وقد تقدم القول فيها، وذات صفة لربوبة، وقرار مضاد إليه، ومعنى القرار: الاستقرار، أي: جعلناها صالحة للاستقرار فيها بما فيها من مغلات، وطاقات، وثمار، وماء، ومعين عطف على قرار.

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَنْلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
 وَلَنَ هَذِهِ أُمَّةٌ مُّشْكُرٌ أُمَّةٌ وَنِدَّةٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَانَّقُونَ ﴿ فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زِبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ ﴾ فَذَرُوهُمْ فِي عُمُرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينَ ﴿ أَيَخْسِبُونَ أَنَّمَا نُنَذِّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَنِ ﴾ شَارِعٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ كُلُّ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ يا أيها الرسل تقدم إعرابها، والنداء لجميع الأنبياء بحسب تفاوت الأزمنة المترامية بينهم، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومن الطيبات متعلقان بكلوا، والمراد بالطيبات: ما حلّ، وطاب. ﴿ وَاعْمَلُوا صَنْلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ واعملوا عطف على كلوا، وصالحاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وجملة إني تعليل للأمر، وإن

واسمها، وبما متعلقان بعلم، وجملة تعملون صلة، وعلیم خبر إن . ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتَكُمْ أَمْمَةٌ وَجَدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْرُونَ ﴾ الواو استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للتبيه على انتظام أمر هذه الأمة، وكمال سدادها . وإن واسمها، وأمتكم خبرا، وأمة حال لازمة، وواحدة صفة، وأنا: الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وربكم خبر، فاتقون: الفاء الفصيحة، واتقوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به . ﴿ فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُرِ بَيْنَهُمْ زِبْرًا كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الفاء استثنافية، وتقطعوا فعل ماض، والواو فاعل، وأمرهم تقدم إعرابها في الأنبياء، وأنها إما نصب على إسقاط الخافض، أي: تفرقوا في أمرهم، أو أنها مفعول به، وعدى تقطعوا إليه؛ لأنه بمعنى قطعوا، وبينهم ظرف متعلق بتقطعوا، وزبراً حال من فاعل تقطعوا، أي: أحزاباً متخالفين، والزبر جمع زبرة بمعنى القطعة، أو جمع زبور بمعنى فريق، ولها جمع آخر تقدم في الكهف، وهو زبر بفتح الباء، وكل مبتدأ، وحزب مضاد إليه، وبما متعلقان بفرحون، ولديهم ظرف متعلق بممحذوف صلة، وفرحون خبر كل حزب . ﴿ فَذَرُوهُرِ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حَيْنِ ﴾ الفاء الفصيحة، وذرهم فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به، والخطاب لمحمد ﷺ، والضمير لکفار مكة، وفي غمرتهم حال، أي: متخبطين في غمرتهم، أو مفعول ثان لذر، أي: اتركهم متخبطين في غمرتهم، وحتى حرف غاية وجرا وحين مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بذرهم . ﴿ أَيَّسَبُونَ أَنَّهَا يُنْذَهُرُ يِهِ مِنْ مَالِ وَبَنِينَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التcriعي، ويحسبون فعل مضارع وفاعل، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبون، وأن وما اسمها، وكان من حقها أن تكتب مفصولة، ولكنها كتبت موصولة إتباعاً لرسم المصحف، وجملة نمدهم صلة، وبه متعلقان بنمدهم، ومن مال وبنين حال من الموصول . ﴿ نُسَارُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الجملة خبر أن، نسارع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ولهم متعلقان بنسارع، وفي الخيرات حال، بل حرف إضراب انتقال عن الحسبان، ولا نافية، ويشعرون

فعل وفاعل معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: لا نفعل ذلك، بل هم لا يشعرون بشيء أصلًا كالبهائم، لا فطنة لهم، ولا شعور يتيح لهم التأمل، فيعرفون أن ذلك الإمداد ما هو إلا استدراج لهم، واستجرار إلى زيادة الإثم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَآءَاتِهَا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاسِبِقُونَ ۝ وَلَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَنِيلُونَ ۝﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ الجملة ابتدائية، مستأنفة، مسوقة لذكر الأبرار الذين يشفقون من خشية ربهم، وإن واسمها، وهم مبتدأ، ومن خشية ربهم متعلقان بمشفقون، ومشفقون خبر هم، والمصدر - وهو خشية - مضارف لفعله، أي: خائفون من عذابه، وجملة «هم من خشية ربهم مشفقون» صلة الذين. وفي الإشراق معنى يتضمن زيادة على معنى الخشية، هو معنى الرقة والضعف.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وإعرابها مماثل لها، وجملة يؤمنون خبرهم. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَآءَاتِهَا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ﴾ عطف أيضًا على إن الذين، وجملة يؤمنون صلة الذين، وما مفعول يؤمنون، وجملة آتوا صلة، وقلوبهم: الواو حالية، وقلوبهم مبتدأ، ووجلة خبره، وأنهم: أن وما بعدها نصب بنزع الخافض، ويكون تعليلاً لقوله: وجلة، والتقدير: وجلة من أنهم، أي: خائفة من رجوعهم إلى ربهم، وأن واسمها، وإلى ربهم متعلقان براجعون، وراجعون خبر أنهم. ﴿أُولَئِكَ

يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَا سَيِّقُونَ ﴿٦٣﴾ الجملة خبر إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه، فاسم إن أربعة موصولات، وخبرها جملة أولئك، وأولئك مبتدأ، وجملة يسار عنون خبر المبتدأ، وفي الخيرات متعلقان بيسار عنون، والواو عاطفة، والجملة معطوفة على سابقتها بمثابة تأكيد لها، وهم مبتدأ، ولها متعلقان بسابقون، وسابقون خبرهم، والضمير في لها يعود على الخيرات لتقديمها عليه في اللفظ، وهو الظاهر من سياق الكلام، وقيل: على الجنة، وليس بعيد، ومفعول سابقون ممحذوف، أي: سابقون الناس لها، ويقال: سبق له، وإليه، ويحوز أن تكون اللام للتعليق، أي: سابقون لأجلها. ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الواو استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للدلالة على أن التكليف غير خارج عن حدود الطاقات والإمكانيات، ولا نافية، ونكلف فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ونفساً مفعول نكلف الأول، وإلا أداه حصر، ووسعها مفعول به ثان. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الواو عاطفة، ولدينا ظرف متعلق بممحذوف خبر مقدم، وكتاب مبتدأ مؤخر، وجملة ينطق صفة، وبالحق حال، أي: متلبساً بالحق، وهم: الواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر. ﴿بَلْ قُلُّهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ بل حرف إضراب للانتقال إلى أحوال الكفار المحكية، وقلوبهم مبتدأ، وفي غمرة خبر، ومن هذا صفة لغمرة، أي: كائنة من هذا الذي وصف به المؤمنون. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَذَّلُونَ﴾ الواو عاطفة، ولهم خبر مقدم، وأعمال مبتدأ مؤخر، ومن دون ذلك صفة لأعمال، وجملة هم صفة ثانية لأعمال، وهم مبتدأ، ولها جار و مجرور متعلقان بعاملون، وعاملون خبرهم، أي: مستمرون عليها، ومعنى من دون ذلك، أي: متجاوزة متخطية لما وصف به المؤمنون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَنَا مُتَرَفِّهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْزَرُونَ ١٤﴾ لَا يَجْزَرُوا إِلَيْهِمْ إِنَّكُمْ مِّنَ الْأَ

لُصُورُونَ ﴿٦٦﴾ قَدْ كَانَتْ أَيْنِي تُتَلَّعِّلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَادِكُمْ لَنَكِصُونَ
مُسْتَكِرِينَ بِهِ سَمِّرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدْبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَبَابَاهُمْ
الْأُولَئِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِنْنَةً بَلْ
جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُتَّفِقُهُمْ﴾ : أغنياءهم، ورؤسائهم.

﴿يَبْخَرُونَ﴾ : يضجون. وفي القاموس: «جأر كمنع جراراً، وجواراً»: رفع صوته بالدعاء، وتضرع، واستغاث، والبقرة والثور: صاحا، والنبات: طال، والأرض: طال نيتها، والجوار من النبت: الغض، والكثير، والرجل الضخم». وقال في «اللسان» و«الأساس»: الجوار: الصراخ باستغاثة.

﴿لَنَكِصُونَ﴾ : في «المختار» ما يدل على أنه من بابي جلس، ودخل، والمصدر: نكوص.

﴿سَمِّرًا﴾ : السامر مأخوذ من السمر، وهو سهر الليل، وقال الراغب: السامر: الليل المظلم، وهو اسم جمع كجاج، وحاضر، وراكب، وغائب كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن، وتسميته سحراً وشراً، وسب رسول الله ﷺ.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ : هو بفتح التاء من الهجران، وهو: الترك، أو من هجر هجراً: هذى، وتكلم بغير معقول لمرض أو نحوه، وفُرِيءَ بضمها من أهجر إهجاراً: أفحش في كلامه.

○ **الإعراب:**

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَّفِقِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَبْخَرُونَ﴾ حتى - هنا - ابتدائية، يتبدأ بها الكلام، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، منصوب

بجوابه، وهو يجأرون، وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونا فاعل، ومتوفهيم مفعول به، وبالعذاب متعلقان بأخذنا، وإذا الثانية حرف مفاجأة، قائمة مقام فاء الجزاء في الربط، والجملة بعدها جواب إذا الأولى لا محل لها، كأنه قيل: فهم يجأرون، وقيل: حتى حرف غاية وجرا. ﴿لَا تَجْهَرُوا إِلَيْمَ إِنَّكُمْ مَنَا لَا تُنَصِّرُونَ﴾ لا نهاية، وتجأروا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، واليوم متعلق بتجأروا، وإنكم تعليل للنهي، وإن واسمها، ومنا متعلقان بتنصرون، ولا نهاية، وجملة تنصرون خبر إنكم، والواو نائب فاعل. ﴿فَذَكَرَتْ إِنَّكُمْ تُشَاهِدُونَ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ لَنْ تَكُونُونَ﴾ قد حرف تحقيق، وكانت آياتي: كان واسمها، وجملة تتلى خبراها، وعليكم متعلقان بتتل، فكتتم: الفاء عاطفة، وكان واسمها، وعلى أعقابكم حال من فاعل تنكصون، وجملة تنكصون خبر كتم. ﴿مُسْتَكِرِينَ بِهِ سَمِّرًا تَهْجُرُونَ﴾ مستكرين حال ثانية من فاعل تنكصون، وبه متعلقان بمستكرين، أي: بسببيه والضمير في «به» للبيت العتيق والحرم، وقيل: عائد إلى القرآن، وسامراً حال ثالثة، وجملة تهجرون حال رابعة، فهي أحوال متداخلة، أي: كل واحدة مما قبلها. ﴿أَفَلَمْ يَدْبِرُوا الْأَوْلَىٰ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَوْيَاتِ أَبَاءَهُمُ الْأَوْلَىٰ﴾ الجملة مستألفة، مسوقة لبيان أسباب رکوبهم متن الضلال، وسيأتي أنها خمسة سنشير إليها في مواطنها، والهمزة للاستفهام الإنكري التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجسم، ويدبروا فعل مضارع مجزوم بل، والقول مفعول به، والفاء عاطفة على مخدوف، دخلت عليه الهمزة، أي: فعلوا ما فعلوا مما سبق ذكره، فلم يدبروا القول، وأم عاطفة بمعنى بل الانتقالية، أي: بل أجاءهم، بل ألم يعرفوا، بل أ يقولون، قوله: ألم يدبروا القول هو السبب الأول لإقدامهم على الضلال، واجترائهم على ارتكابها، أي: أنهم صدوا عن التأمل في دلائل نبوته ﷺ، وفي مقدمتها: القرآن المعجز، وجاءهم فعل ومفعول به ثان، وما موصول فاعل، وجملة لم يأت آباءهم الأولين صلة، وهذا هو السبب الثاني، وهو اعتقادهم أن بعثة محمد ﷺ أمر غريب؛ لأنها لم تسمع عن الأمم السالفة. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ عطف على ما تقدم كما

ذكرنا، وهذا هو السبب الثالث في إقدامهم على ركوب الغي، وهو عدم علمهم بأمانة مدعى الرسالة وصدقه قبل أن يدعىها، وليس الأمر بهذه المثابة، بل إنهم سبروا غوره، وعلموا حقيقته، واكتنعوا صدقة، ولقبوه بالأمين، فكيف كذبوه بعد أن أجمعوا على جدارته باللقب الذي أطلقوه عليه؟! . والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وله متعلقان بمنكرهن، ومنكرهن خبر هم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ إِهِ، حِنْنَةً بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وهذا هو السبب الرابع، وهو اعتقادهم فيه الجنون، وهذا الاعتقاد منافق لما كانوا يعتقدون فيه من كمال الرجاحة، و تمام الحصافة. وبه خبر مقدم، وجنة، أي: جنون، مبتدأ مؤخر، بل حرف عطف وإضراب انتقالى، وجاءهم فعل ومفعول به وفاعل مستتر، وبالحق متعلقان ب جاءهم، أو بمحذوف حال، أي: متلبساً بالحق، والواو حالية، وأكثرهم مبتدأ، ولل الحق متعلقان بكارهون، وكارهون خبر أكثرهم.

* الفوائد:

-معنى «وأكثرهم»:

اعتراض الزمخشري على نفسه، فوجّه إليها سؤالاً، وأجاب عليه، وفيما يلي نص السؤال والجواب:

قال: «فإن قلت: قوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق، قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافاً من توبیخ قومه، وأن يقولوا: صباً، وترك دین آباءه لا كراهة للحق، كما يُحکى عن أبي طالب.

فإن قلت: يزعم بعض الناس أن أبي طالب صح إسلامه، قلت: يا سبحان الله! كان أبي طالب كان أحمل أعمام رسول الله ﷺ حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس، وينفي إسلامه!!».

وهذا جميل من الزمخشري، ولكن أولى من ذلك أن يكون الضمير في قوله

﴿وَأَكْثُرُهُمْ﴾ عائدًا على الجنس للناس كافة، ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله ﴿وَأَكْثُرُهُمْ﴾ على الجنس بجملته، كقوله : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ» وكقوله : «وَمَا أَكْثُرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضَتْ بِمُؤْمِنِينَ» ويدل على ذلك قوله تعالى : «بَلْ جَاءُهُمْ بِالْحَقِّ» والنبي ﷺ جاء إلى الناس كلهم، وبعث إلى الكافة. ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل، كما حمل القليل على النفي، وأما قول الزمخشري : إن من تمادي على الكفر، وأثر البقاء عليه تقليداً لأبائه ليس كارهاً للحق، فمردود، فإن من أحب شيئاً كره ضده، فإذا أحبو البقاء على الكفر فقد كرهو الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة، ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب، وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر، ووجه ذلك بأنه أشهر عمومه النبي ﷺ، فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحزرة؛ لأنه أشهر، وللقاتل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار، فلم يظهر له موافق في الإسلام يشتهر بها، كما اشتهر لغيره من عمومته .

﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَلْيَتَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعَرِّضُونَ ۚ ۱۶۱﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا رَّيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقَيْنَ ۚ ۱۶۲ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطِي مُسْتَقِيمٍ ۚ ۱۶۳ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَكُونُ ۚ ۱۶۴﴾ وَلَوْ رَأَهُنَّهُمْ وَكَشَفَنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَّلَجَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ ۱۶۵﴾ وَلَقَدْ أَخْذَنَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا أَسْتَكَلُوا لِرَبِّهِمْ ۚ ۱۶۶﴾ وَمَا يَنْصَرِفُونَ ۚ ۱۶۷﴾

☆ اللّفّة: *

﴿خَرْجًا﴾ : أجرًا وخراجًا، ويعلب في الخرج أن يكون مال العنق، وفي الخراج مال العقار، ونقيس الدخل، وقيل : الخرج : ما تبرعت به، والخرج : ما لزمك أداءه، والوجه أن الخرج أخص من الخراج، ومعنى

الآية: أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَنْ هُدَايَتِكَ لَهُمْ قَلِيلًا مِّنْ عَطَاءِ الْخَالقِ، فَالكثير من عطاء الخالق خير.

﴿لَنَكُوبُنَ﴾ عادلون، وزائفون، ومائلون، وكل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكس.

﴿لَلْجُوُا﴾: اللجاج، وهو: التمادي في العناد، وفي المصباح: لجّ في الأمر لحجّاً، من باب: تعب، وحجاجاً ولجاجة، فهو لجوج، ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء، وواظبه، ومن باب: ضرب لعنة.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: في «المصباح»: «عمه في طغيانه عمهاً، من باب: تعب، إذا تردد متّحراً، وتعامه: مأخوذ من قولهم: أرض عمها؛ إذا لم يكن فيها أمارات تدلّ على النجاة، فهو عمّه، وأعممه.

﴿أَسْتَكَانُوا﴾: يقال: استكان، أي: انتقل من كون إلى كون، كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال، وأصله: استكون نقلت حركة الواو إلى ما قبلها، ثم قلبت ألفاً، هذا ما قاله علماء اللغة، ولكن اعتراض بعضهم على هذا التنظير، وحجته: أن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول، كقولهم: استحجر الطين، واستنوق الجمل، وأما استحال فثلاثيه حال: إذا انتقل من حال إلى حال، وإذا كان الثلاثي يفيد التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر، فليس استحال من استفعل للتحول، ولكنه من استفعل بمعنى فعل، وهو أحد أقسامه إذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى.

ثم نعود إلى تأويله فنقول: المعنى عليه: فما انتقلوا من كون التكبر، والتجبر، والاعتياص إلى كون الخضوع، والضراعة إلى الله تعالى.

ولسائل أن يقول: استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون، فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى، وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت بجملة محتملة للانتقالين جميعاً، والجواب: أن أصلها كذلك على الإطلاق،

ولكن غالب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص، كما غالب في غيرها.

ولما دخل أحمد بن فارس اللغوي الوزير بغداد في زمن الإمام الناصر، جمع له جميع علماء بغداد، وعقد بهم محفلاً للمناقشة، فانجر الكلام إلى هذه الآية فقال: الأصل اللغوي هو مشتق من قول العرب: كنت لك إذا خضعت، وهي لغة هذلية، فاستحسن ابن فارس ذلك منه، وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل، كقولهم: استقر، واستعلى، وحال، واستحال على ما مرّ، وإنما لم يجعل سن استفعل المبني للمبالغة، مثل: استحسن واستعصم، من: حسر وعصم؛ لأن المعنى يأباه، وذلك أنها جاءت في النفي، والمقصود منها: ذم هؤلاء بالجفوة، والقسوة، وعدم الخضوع، مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب، فلو جعلت للمبالغة أفادت نقص المبالغة؛ لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى، وكأنهم على ذلك ذمّوا بنفي الخضوع الكثير، وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها، وليس الواقع؛ فإنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلحظة منها، فكيف تنفي عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية؟

وزن استفعل على ضربين متعد وغير متعد، فالمتعد قوله: استحقه، واستقبحه، وغير المتعد: استقدم، واستأخر، ويكون فعل منه متعدياً، وغير متعد، فالمتعد نحو: علم، واستعلم، وفهم، واستفهم، وغير المتعد نحو: قبح، واستقبح، وحسن واستحسن، وله معانٌ أحدها: الطلب والاستدعاء، كقولك: استعطيت، أي: طلبت العطية، واستعنته، أي: طلبت إليه العتبى، ومنه: استفهمت، واستخبرت، والثاني: أن يكون للإصابة، كقولك: استجدته، واستكرمه، أي: وجدته جيداً وكريماً، وقد يكون بمعنى الانتقال والتحول من حال إلى حال، نحو قوله: استنوف الجمل؛ إذا صار على خلق الناقة، واستبيست الشاة؛ إذا أشبّهت التيس، ومنه استحجر الطين؛ إذا تحول إلى طبع الحجر في الصلابة، وقد يكون بمعنى تفعّل لتكلف الشيء وتعاطيه، نحو: استعظم بمعنى تعظم، واستكبر بمعنى تكبر،

كقولهم : تشجّع وتجلّد ، وربما عاقب فعل ، قالوا : قرّ في المكان ، واستقرّ ، وعلا قرنه ، واستعلاه ، قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَأَوْا إِيمَانَهُ يَتَسَبَّحُونَ﴾ والغالب على هذا البناء : الطلب والإصابة ، وما عدا ذيتك فإنه يحفظ حفظاً ، ولا يقاس عليه .

○ الإعراب :

﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ الْسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ الواو استثنافية ، ولو شرطية ، واتبع الحق فعل وفاعل ، وأهواهم مفعول به ، واللام واقعة في جواب الشرط ، وفسدت السموات والأرض فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها ؛ لأنها جواب شرط غير جازم ، ومن عطف على السموات والأرض ، وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من . ﴿بَلْ أَلَيْتَنَاهُمْ يَذِكِّرُهُمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعَرِّضُونَ﴾ بل حرف إضراب انتقالى ، وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به ، وبذكرهم متعلقان بآتيناهم ، والمعنى : كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بشريفهم ، والتنويه بذكرهم ، والفاء عاطفة ، وهم مبتدأ ، وعن ذكرهم متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر هم . ﴿أَتْرَ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ عطف انتقالى على ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِنْنَةً﴾ وهو السبب الخامس من أسباب ركوبهم متن الضلال العمياء ، وتسألهם فعل مضارع ، وفاعل مستتر تقديره : أنت ، ومفعول به أول ، وخرجأ مفعول به ثان ، والفاء تعليلية ، أو فصيحة ، وردت مورد التعليل للسؤال المستفاد من الإنكار ، وخرجأ مبتدأ ، وربك مضاف إليه ، وخير خبر ، وهو الواو حرف عطف ، وهو مبتدأ ، وخير الرازقين خبر . ﴿وَلَذِكَ لَتَدْعُوهُمْ إِنِّي صَرَطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الواو حرف عطف ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وتدعوهם فعل مضارع ، وفاعل مستتر ، ومفعول به ، وإلى صراط متعلقان بتدعوههم ، ومستقيم صفة . ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الْصِرَاطِ لَنَكِبُونَ﴾ الواو عاطفة ، وإن واسمها ، وجملة لا يؤمنون صلة ، وبالآخرة متعلقان بيمون ، وعن الصراط متعلقان بناكبون ، واللام المزحلقة ، وناكبون خبر إن . ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا

مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَّكُلُّهُو فِي طُغْيَتِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ الواو استئنافية، مسوقة لبيان إصابتهم بعد خروج النبي ﷺ إلى المدينة بالقطط، حتى روي أنهم أكلوا العلوز، وهو كما في «الصحاح»: طعام كانوا يتذدونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة، وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في باب الفوائد. ولو شرطية، ورحناهم فعل وفاعل ومفعول به، وكشفنا عطف على رحناهم، وما مفعول به، وبهم متعلقان بمحذوف صلة ما، ومن ضر حال، للجوا: اللام رابطة جواب لو، وجملة جوا لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفي طغيانهم متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهم حالية. ﴿٧٧﴾ ولقد أخذْنَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا أَسْكَنَاهُمْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْتَزِعُونَ ﴿٧٨﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالعذاب متعلقان بأخذناهم، فما استكانوا عطف على أخذناهم، وما نافية، واستكانوا فعل وفاعل، ولربهم متعلقان باستكانوا، والواو حرف عطف، وما نافية، ويتضرونون فعل مضارع وفاعل، وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي في باب البلاغة.

□ البلاعنة:

عطف المضارع على الماضي لإفادة الماضي وجود الفعل، وتحققه، وهو بالاستكانة أحق بخلاف التضرع؛ فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال.

* الفوائد:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَهُمْ ...﴾ الآية، والآية التي تليها، هاتان الآيتان مدحيتان، فإن إصابتهم بالقطط إنما كانت بعد خروجه ﷺ من بينهم. روى التاريخ أنه لما أسلم ثمامنة بن أثال الحنفي، ولحق باليمامه، ومنع الميرة من أهل مكة، وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلوز - وقد قدمنا تفسيره - جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنسدك الله والرحم، ألسنت تزعم

أنك بعثت رحمةً للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فنزلت الآية.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾^{٧٧} وَهُوَ الَّذِي أَشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾٨٠﴾ بَلْ قَاتُلُوا مِثْلَ مَا قَاتَلَ الْأَوَّلُونَ ﴾٨١﴾ قَاتُلُوا أَهْدًا مِنْ نَا وَكَنَّا مُرَايَا وَعَظِيمًا أَهْدًا لِمَبْعَوْتُونَ ﴾٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَعْنَوْنَ وَأَبَوَاتَنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾٨٣﴾

☆ اللَّغْةُ:

﴿ مُبْلِسُونَ ﴾: في «المصباح»: «الblas مثل سلام، هو: المنسُخ، وهو فارسي معرب، والجمع بُلُس بضمتين، مثل: عنق، وأبلس الرجل إبلاساً: سكت، وأبلس: أيس، وفي التنزيل ﴿إذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

﴿ ذَرَكُمْ ﴾: خلقكم، وبثكم بالتناسل.

○ الْإِعْرَابُ:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ حتى حرف تبدأ به الجمل، وقد تقدم نظيره قريباً، وقيل: هي غاية وجرا، إذا شرطية ظرفية متعلقة بمبلسون، وجملة فتحنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليهم متعلقان بفتحنا، وباباً مفعول به، وإذا عذاب صفة لباباً، وإذا الثانية حرف مفاجأة، قائمة مقام فاء الجراء في الربط، والجملة بعدها جواب إذا الأولى، كأنه قيل: فهم فيه مبلسون، وهم مبتدأ، وفيه متعلقان بمبلسون، ومبلسون خبرهم. ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ الواو

استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير الكافرين، وتذكير المؤمنين، فهو خطاب عام، وهو متبدأ، والذي خبر، وجملة أنساً صلة، ولكلم متعلقان بأنساً، والسمع مفعول به، والأبصار والأفئدة عطف عليه، وقليلًا منصوب على أنه مفعول مطلق صفة محدوف هو المفعول المطلق في الحقيقة، تقديره: شكرًا قليلاً، وما زائدة للتوكيد بمعنى حقاً، وإنما خصّ هذه الأعضاء؛ لأنه ينطاط بها من المنافع ما لا ينطاط بغيرها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية من لم يعمل هذه الأعضاء فيما خلقت له، فهو بمنزلة عادمها، وسيأتي مزيد بسط في هذا الصدد في باب البلاغة. ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَ كُلَّ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وإعرابه ظاهر. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ الْخِلْفَةُ إِلَيْهِ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَقْرِبُونَ﴾ وهو الذي عطف على ما تقدم، قوله خبر مقدم، واختلاف الليل والنهار متبدأ مؤخر، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محدوف مقدر، ولا نافية، وتعقلون فعل مضارع وفاعل. ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ بل حرف إضراب انتقالي، وقالوا فعل وفاعل، ومثل صفة لمصدر محدوف، أي: قولًا مثل قول الأولين، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضارف مثل، والأولون فاعل. ﴿قَالُوا أَءَذَا مَتَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظَمَنَا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الجملة بدل من الجملة قبلها، أي: مستأنفة، والهمزة للاستفهام الاستبعادي، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة متنا في محل جر بإضافة إذا إليها، وكنا عطف على متنا، وكان واسمها، وتراباً خبرها، وعظامًا عطف على تراباً، والهمزة للاستفهام الاستبعادي أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومبعوثون خبرها. ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ﴾ اللام جواب للقسم المحدوف، ووعد فعل ماض مبني للمجهول، ونا نائب فاعل، ونحن تأكيد للضمير، وأبااؤنا معطوف على الضمير المتصل، وسough العطف الفصل بالمنفصل، ومن قبل متعلقان بوعدنا، أو بمحذوف صفة لقوله «آباؤنا» أي: الكائنون من قبل، والمعنى على الجميع: لقد وعدنا وأبااؤنا بالبعث، فلم نر هذا الوعد صدقًا، وإنما رأيناه أساطير

الأولين. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أدلة حصر، وأساطير الأولين خبر هذا.

□ البلاغة:

١ - وحد السمع في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لِكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ﴾ لوحدة المسموع دون الأ بصار والأ فئدة، أو: لأنه مصدر في الأصل، والمصارد لا تجمع، فلمح إلى الأصل، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في البقرة، فجدد به عهداً.

٢ - في قوله: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ الفصل، أي: قطع إحدى الجملتين عن الأخرى للاتحاد، فقد فصل: قالوا أئنا متنا وكنا تراباً... الخ عما قبله؛ لقصد البدل؛ لكونه أوفي بالمقصود من الأول؛ لأن ما قال الأولون أقوال كثيرة، ولا يدرى أي قول يُراد من تلك الأقوال، والأحسن أن يقال: إن أريد بقوله: مثل ما قال الأولون ما نقل عنهم من قولهم: أئنا متنا... الخ، وهو الظاهر، كان بدل كل من كل.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ ﴿٤٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقَوْنَ ﴿٤٨﴾ قُلْ مَنْ يُبَدِّلُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيْرُ وَلَا يُجْعَلُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّمَا تُسْحَرُونَ ﴿٥٠﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَذِّابُونَ ﴿٥١﴾ مَا أَنْخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا ذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْنَعُونَ ﴿٥٢﴾ عَذِيلُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةُ فَتَعْلَمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيكَ مَا يُوَعِّدُونَ ﴿٥٤﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا

عَلَيْهِ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْ رُوْنَ ﴿٩٦﴾ أَدْفَعَ بِالْيَقِينِ هِيَ أَحَسَنُ السَّيِّئَةَ فَمَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَصْفُونَ ﴿٩٧﴾

○ الإكراه:

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَالَمُونَ ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والجملة استثنافية، ولمن خبر مقدم، ومن استفهامية، والأرض مبتدأ مؤخر، ومن عطف على الأرض، ومن موصولة، وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء كما تقرر، وفيها متعلقان بممحذوف صلة من، وإن شرطية، وكتتم تعلمون: كان واسمها، وجملة تعلمون خبراها، وكتتم فعل الشرط، والجواب ممحذوف، أي: فأخبروني بخالقهما، وفي هذا تلويع بغاوتهم.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإثبات من الله تعالى عما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه، والله متعلقان بممحذوف خبر لمبتدأ ممحذوف تقديره: هي، والجملة مقول القول، قل فعل أمر، والمراد بالأمر: التوبيخ والتأنيب، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على ممحذوف، ولا نافية، وتذكرون فعل مضارع بحذف إحدى التاءين، والأصل: تذكرون. ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ الْكَوْنَاتِ السَّبْعَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، ورب السموات السبع خبره، ورب العرش العظيم عطف عليه. ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَشْقُونَ ﴾ الله خبر لمبتدأ ممحذوف، أي: لا بد لهم أن يقولوا ذلك، وأتى باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك: من ربه؟ ولمن هو؟ في معنى واحد، كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، ويقال: لزيد. ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِبُّ وَلَا يُحَبُّ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وبيده خبر مقدم، وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر، والجملة خبر من، والتاء والواو في ملكوت زائدتان للمبالغة، كزيادتها في الرحموت والرهبوب، من الرحمة والرهبة، والملكوت: الملك العظيم، والعز، والسلطان، والملكوت السماوي: هو محل القديسين في

السماء، والواو عاطفة، أو حالية، وهو مبتدأ، وجملة يغير خبر، والواو عاطفة، وجملة لا يحار عطف على يغير، والمعنى: يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يغاث أحد منه، وعدى بعى لتضمنه معنى النصر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَلْهُونَ﴾ إن شرطية، وكتنم فعل الشرط، والجواب ممحذف كما تقدم، أي: فأخبروني. ﴿سَيَقُولُوكَ اللَّهُ قُلْ فَانِي تُسْحَرُوكَ﴾ الله جار ومحرر متعلقان بممحذف خبر لمبدأ ممحذف، وفيه نظر إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ والتقدير في الأولى: قل من له السموات السبع؟ وفي الثاني: قل من له ملکوت كل شيء؟ فلام الجر مقدرة في السؤال، ظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وقد قرئ بإسقاطها مع رفع الحالة جواباً على اللفظ لقوله من؛ لأن المسؤول به مرتفع المحل، وهو من، ف جاء جوابه مرتفعاً مطابقاً له في اللفظ. فأنى: الفصيحة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف، وهي في محل نصب على الحال، وتسرحون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وأتيناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق حال، والواو حالية، وإن واسمها، واللام المزخلقة، وكاذبون خبر إن. ﴿مَا أَنْصَدَ اللَّهُ مِنْ وَلَيْوَ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٌ﴾ ما نافية، وانخد الله فعل وفاعل، ومن حرف جر زائد، وولد محرر لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول به، والواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماضٍ ناقص، ومعه ظرف مكان متعلق بممحذف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله محرر لفظاً مرتفع محلاً لأنه اسم كان. ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إذآ حرف جواب وجاء مهملاً، وإلى هذا ذهب القراء، وقد تقدم القول فيه في الإسراء، وإليه جنح الزمخشري قال:

«إِنْ قلتْ إِذَا لَا تدخل إِلا على كلام هو جواب وجاء، فكيف وقع قوله: ﴿إِذَا لَذَهَبَ﴾ جواباً وجاء، ولم يتقدم شرط، ولا سؤال سائل؟ قلتْ: الشرط ممحذف، تقديره: وكان معه آلة، فحذف لدلالة: وما كان معه من إله».

واختار غير القراء والمخشري أن تكون إذاً بمعنى لو الامتناعية، وعليه جرى البيضاوي قال: «أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه، واستبدل به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، ووقع بينهم التحارب والتغالب، كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء، ولللازم باطل بالإجماع، والاستقراء، وقيام البرهان على استناد جميع الكائنات إلى واجب واحد».

واللام واقعة في جواب الشرط على كلا القولين، وذهب كل إله فعل وفاعل، والجملة لا محل لها، وبما خلق متعلقان بذهب، وجملة خلق صلة، ولعلا بعضهم على بعض عطف على ما تقدم. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سبحان الله نصب على المصدر، وعما متعلقان بسبحان، وجملة يصفون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: عن وصفهم. ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةَ فَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ عالم الغيب بالجر على البدلية من الحالات، أو: صفة له، وقرىء بالرفع على القطع، فهو خبر لمبدأ مذوف، فتعالى: الفاء عاطفة، كأنه قال: علم الغيب فتعالى، وعما متعلقان بتعالى، وجملة يشركون صلة. ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيقَ مَا يُوعَدُونَ﴾ رب منادي مضاد إلى ياء المتكلم المذوفة، وإنما أدغمت إن الشرطية بما الزائدة، وتريني فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وما مفعول به ثان، فهي بصرية تعدّت لمفعولين بواسطة الهمزة؛ لأنه من أرى الرباعي، وجملة يوعدون صلة ما، والعائد مذوف، أي: يوعدون به من العذاب ﴿رَبِّ فَلَا تَجِعَلْكَنِي فِي الْقَوْرَى الظَّالِمِينَ﴾ هذا جواب الشرط، والفاء رابطة، وأعيد لفظ رب منادي وبالغة في التضرع والابتهال، ولا نهاية، وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، وفي القوم مفعول به ثان، والظالمين صفة. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْرُونَ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، وإن واسمها، وعلى أن نريك متعلقان بقادرون، وأن حرف مصدرى ونصب،

ونري مضارع منصوب بأن، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به أول، وما مفعول به ثان، وقد تقدم القول في أرى البصرية، واللام المزحلقة، وهي لام الابتداء، زحلقت إلى الخبر، وقدرون خبر إننا. ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق لـ ث النبي ﷺ على الصفح عن مساعتهم، و مقابلتها بما أمكن من الإحسان. وادفع فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وبالتي جار ومحور متعلقان بادفع، والتي نعت لمحذوف، أي: الخصلة، وهي أحسن مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية صلة التي، والسيئة مفعول به، وجملة، نحن أعلم حالية، ونحن مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وجملة يصفون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: بوصفهم لك، وسوء ذكرهم.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ عدول عن مقتضى السياق لسرّ بلغ، فالظاهر أن يقول: ادفع بالحسنة السيئة، ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل، والمعنى: ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح، والإحسان، وبذل الاستطاعة فيه، كانت حسنة مضاعفة بـ إزاء سيئة. ولعترض أن يقول: كيف توسع هذه المفاضلة التي هي اشتراك في أمر والتميز بغيره، وليس ثمة أي اشتراك بين الحسنة والسيئة، فإنـهما ضدان متقابلان، فـما وجه هذه المفاضلة إذا؟ .

والجواب: إن الحسنة من باب الحسنات، أزيد من السيئة من باب السيئات، فتجيء المفاضلة ما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة، وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدان، كقولك: العسل أحل من الخل، يعني: أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة، وليس لأنـهما اشتراكاً خاصاً، ومن هذا الوادي ما يُحکى عن أشعب الماجن أنه قال: نـشأت أنا والأعمش في حجر فلان، فـما زـال يعلو وأـسفل حتى استوينا، بـمعنى:

أنهم استويا في بلوغ كل منها الغاية: أشعب بلغ الغاية على السفلة، والأعمش بلغ الغاية على العلية.

هذا؛ ويجوز أن يُراد وجه آخر، وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيدة، فإنها قد تدفع بالصفح والإغفاء، ويقنع في دفعها بذلك، وقد يُزداد على الصفح الإكرام، وقد تبلغ غايتها ببذل الاستطاعة، فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة، ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات، فأمر النبي ﷺ بأحسن الحسنات في دفع السيدة، وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تاويل.

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتُ الْشَّيَاطِينِ ٩٧ ﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْصُرُونِ ۝ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَهْدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ أَرْجُونِ ۝ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةٌ هُوَ قَالِهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ ۝ فَإِذَا شَرَحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمِ خَلِدُونَ ۝ تَلْفَعُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْمَحْوُنِ ۝ ۱۰۰ ﴾

Digitized by srujanika@gmail.com

﴿هَمَزَتْ﴾ : جمع هَمَزة، وهي: النخسة، والدفعة بيد وغيرها، وفي الأساس واللسان: «همز رأسه»: عصره، وهمز الجوزة بكفه . ومن المجاز: همز الرجل في قفاه: غمز بعينه، ورجل هُمَّزة وهمَّاز، والشيطان يهمز الإنسان: يهمس في قلبه وسواساً، ويقال: أعود بالله من هَمْسه، وهمَّزه، ولِمَزَه، و﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَرَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ .

وفي «المختار»: «وهمزات الشيطان: خطراته التي يخترها بقلب الإنسان».

قلت : وأصل الهمز : النحس ، ومنه : مهماز الرائض ، شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي ، والجمع للمرات ، أو لتنوع الوساوس .

﴿بَرَزْخُ﴾ : حاجز يصدّهم عن الرجوع إلى الدنيا ، والبرزخ هو : الحاجز بين المتنافيين ، وقيل : الحجاب بين الشيئين أن يصل أحدهما إلى الآخر ، وقال الراغب : أصله بربه ، فعزب ، وهو في القيامة : الحاجل بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة ، والبرزخ قيل : هو الحاجل بين الإنسان وبين الرجعة التي يتمناها .

﴿تَلْفَحُ﴾ اللفح : أشد النفح ؛ لأنه الإصابة بشدة ، والنفح : الإصابة مطلقاً ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ مَسَّهُمْ نَفَحَةٌ مِّنْ عَذَابٍ رَّبِّكَ﴾ . وفي «القاموس» : لفح يلفح ، من باب : فتح فلاناً بالسيف : ضربه به ، ولفحت النار لفحاً ولفحاناً ، أو السموم بحرها فلاناً : أصابت وجهه ، وأحرقته .

﴿كَلْلَحُوك﴾ : الكلوح أن تتقلص الشفتان ، وتتشمرا عن الأسنان ، كما ترى الرؤوس المشوية . وعن مالك بن دينار : كان سبب توبيه عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس قد أخرج من التنور ، فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتستريح شفته السفلی حتى تبلغ سرتها». وفي «المختار» : «الكلوح : تكسّر في عبوس ، وبابه : خضع». قلت : ومنه كلوح الأسد ، أي : تكسيره عن أنيابه ، ودهر كالح ، وبرد كالح ، أي : شديد .

○ الإعراب:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَتِ الشَّيَاطِينِ﴾ الواو استثنافية ، والجملة مستأنفة ، ولذلك أن تعطفها على ما تقدم ، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ، وأعوذ فعل مضارع ، وفاعل مستتر تقديره : أنا ، وبك متعلقان

بأعوذ، وكذلك قوله من همزات الشياطين. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّيْ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ عطف على ما تقدم، وأعيد كل من العامل والنداء مبالغة، وزيادة اعتماء بهذه الاستعارة، وأن حرف مصدرني ونصب، ويحضرهن منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والنون لللوقافية، والواو فاعل، وباء المتكلم المحدوفة في محل نصب مفعول به. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّيْ أَرْجِعُونِ﴾ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يجوز أن تكون غاية ليصفون متعلقة بها، أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت، ويجوز أن تكون ابتدائية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بقال، وجملة جاء مضاف إليها الظرف، وأحدهم مفعول به مقدم، والمولت فاعل مؤخر، وجملة قال لا محل لها، ورب منادي مضاف إلى ياء المتكلم المحدوفة، وارجعون فعل أمر مبني على حذف النون، وواو الجماعة فاعل، والنون لللوقافية، والباء المحدوفة لرسم المصحف مفعول به، وإنما جمع، والمخاطب واحد، وهو الله تعالى للتعظيم.

قال أبو البقاء: «فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جمع على التعظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخْنُونَ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ﴾ وكقوله تعالى: ﴿أَلَّمْ تَرَأَنَ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾.

والثاني: أنه أراد يا ملائكة ربى أرجعون.

والثالث: أنه دلّ بلفظ الجمع على تكرير القول، فكانه قال: أرجعني أرجعني».

وما ذكرناه أولى، ولعل واسمها، وجملة أعمل خبرها، وصالحاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وفيما صفة لصالحاً، أو متعلقان بأعمل، وجملة تركت صلة، أي: ضيعت من عمري من دون جدوى، أو فائدة. ﴿كُلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَّخَ إِلَيْهِمْ يُبَعْثُرُونَ﴾ كلا حرفاً ردعاً وزجر، وسيأتي القول فيها مفصلاً، أي: لن تكون له رجعة، وإن واسمها، وكلمة خبرها، وسيأتي بحث مفيد عن الكلمة في باب الفوائد. وهو مبتدأ، وقاتلها خبر، والجملة الاسمية صفة لكلمة، والواو إما عاطفة، وإما حالية، ومن ورائهم خبر

مقدم، ويرزخ مبتدأ، وإلى يوم صفة ليرزخ، وجملة بعضون مضاد إليها الظرف، وليس المراد أنهم يرجعون يوم البعث ولكنه إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا، فليست الغاية داخلة في المغایة، وإنما المراد أنه غيا رجوعهم بالمحال، فهو يشبه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَلْيَعَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ ﴾.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بما في الجواب من معنى النفي، أي: انتفى ذلك، وجملة نفع مضاد إليها الظرف، وفي الصور متعلقات بنفخ، والفاء رابطة لجواب إذ، ولا نافية للجنس، وأنساب اسمها مبني على الفتح، وبينهم ظرف متعلق بمحذوف خبرها، ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنساب، أو بالمحذوف الذي تعلق به الخبر، والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديرها: يوم نفح في الصور، وسيأتي معنى نفي الأنساب في باب البلاغة. ولا يتساءلون عطف على ما سبق، ويتساءلون فعل مضارع وفاعل، أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عنها كما سيأتي. ﴿ فَمَنْ ثَقَّتْ مَوْرِيزِنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلُوبُونَ ﴾ الفاء للتفریع، والجملة معطوفة، أو مستأنفة، ومن شرطية مبتدأ، وثقلت فعل الشرط، وموازيته فاعل، فأولئك: الفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والمفلحون خبر أولئك، أو خبرهم، والجملة خبر أولئك. ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوْرِيزِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها ومثلتها، وفي جهنم متعلقات بخالدون، وخالدون خبر لمبتدأ محذوف، أو: خبر بعد خبر لأولئك، وارتقاء الزمخشري أن يكون بدلاً من خسروا أنفسهم، ولا محل للبدل والبدل منه؛ لأن صلة الموصول لا محل لها. ﴿ تَفَحَّصُ وُجُوهُهُمْ أَنَّارٌ وَهُمْ فِيهَا كَلَّاهُونَ ﴾ الجملة مستأنفة، أو خبر ثان، أو حال، ووجوههم مفعول به مقدم، والنار فاعل مؤخر، والواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، وفيها متعلقات بحالون، أو: بمحذوف حال من هم، وكالحون خبر.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ يَنْهُمْ﴾ فن التكثيت، قد تقدم بحثه، فقد قصد بنفي الأنساب وهي موجودة أمراً آخر لنكتة فيه، فإن الأنساب ثابتة لا يصح نفيها، وقد كان العرب يتظاهرون بها في الدنيا، ولكنه جنح إلى نفيها إما لأنها تلغو في الآخرة إذ يقع التقاطع بينهم، فيتفرقون معاقين أو مثابين، أو أنه قصد بالنفي صفة للأنساب محدوفة، أي: لا يعتد بها حيث تزول بالمرة، وتبطل لزوال التراحم والتعاطف؛ من فرط البهار، والكلال، واستيلاء الدهشة عليهم.

* الفوائد:

تطلق الكلمة في اللغة على الكلام، وهذا الإطلاق اختلف فيه العلماء، فذهب السنهوري في شرح الأجرمية، وابن هشام في شذور الذهب إلى أن الإطلاق حقيقي كائن في أصل اللغة، قال صاحب القاموس: «الكلمة، وجمعها كلام و كلمات: الملفظة، وما ينطق به الإنسان مفرداً كان أو مركباً». وقيل: إن الإطلاق المذكور من قبيل الاستعارة، وإن أجزاء الكلام لما ارتبط بعضها ببعض حصلت له بذلك وحدة، فشابه بذلك الكلمة فأطلق لفظها عليه، والأية صريحة في تأكيد هذا الإطلاق، ونحوها قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليدي».

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ باطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا حَالَةَ زَائِلٌ

وقولهم: كلمة الشهادة، يريدون: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ إِيمَانِي تُنَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾
قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شَقَوْتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا صَالِحِينَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا طَالِمُونَ
قَالَ أَخْسَئُوكُمْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ
إِنَّمَا كَانَ فِيْكُمْ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَمَنَّا

فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٠﴾ فَلَنَخْذُنُهُمْ سَخِيرًا حَقَّ أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي
وَكُنْتُم مِّنْهُمْ تَضَعَّكُونَ ﴿١١١﴾

☆ الْفَة :

﴿شَقَوْتُنَا﴾ : أحد مصادر شقي ، وفي «المختار» : «الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة ، وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر ، وهي لغة . وقد شقي بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً ، وأشقاء الله ، فهو شقي ، بين الشقوة». وفي «القاموس» وشرحه : «شقي يشقى ، من باب : تعب ، شقاً ، وشقاوة ، وشقاوة ، وشقوة ، وشقوة ، ضد : سعد ، فهو شقي ، والجمع : أشقياء» .

﴿أَخْسَرُوا﴾ : ذلوا فيها ، وانزجروا ، كما تنجر الكلاب إذا زجرت . وفي «المصبح» : «خسأت الكلب ، وخساً بنفسه يتعدى ولا يتعدى». وفي «المختار» : «خساً الكلب : طرده» ، من باب : قطع ، وخساً هو بنفسه : خضع ». وللخلاف مع السين فاء وعيناً خاصة واحدة ، وهي أن الكلمة تدل على المهانة والمذلة ، وقد تقدم القول في خساً ، وخسر التاجر في بيعه خساراً وخساً ، وتاجر خاسر ، وأخسر الميزان ، وخسره نقصه ، وميزان محسور ، وأخسر فلان ، وأكسد : وقع في الخسaran والكساد ، وأخسرت الرجل : نقىض أربحته ، وقيل لسلم : الخاسر ؛ لأنه باع مصحفاً ورثه ، واشتري بشمنه عوداً يضرب به ، والخسة معروفة ، وهي : النذالة ، تقول : خسست يا رجل تخس ، مثل مسست تمس ، خسة وخصوصية ، ورجل خسيس ، وقوم أخسة ، وما رأيت أحسن منه ! والخس ترياق . ويقال : أين نبت الخس ، من فصاحة قسّ ، وكلاهما من إياد ، ولكن أين الأخاماص من الأجياد ، وخسف القمر ، وخسف الأرض ، وانخسفت : ساخت بما عليها ، وخسف الله بهم الأرض . ومن المجاز : سامه خسفاً ، أي : ذلاً وهواناً ، ورضي بالخسف ، وبات على الخسف : على الجوع ، وشربوا على الخسف على غير ثقل ، وعين خاسفة : فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس ، وخسفت عينه ، وانخسفت ، وخسف

بُدْنَهُ : هَزْلٌ ، وَفَلَانٌ بُدْنَهُ خَاسِفٌ ، وَلُونَهُ كَاسِفٌ ، قَالَ يَصْفِ صَائِدًا :

أَخْوَقْتُرَاتٍ قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ

إِذَا لَمْ يَصْبِ لَحْمًا مِنَ الْوَحْشِ خَاسِفًا

وَخَسَفَتْ إِبْلُكَ وَغَنْمَكَ ، وَأَصَابَتْهَا الْخَسْفَةُ ، وَهِيَ : تَوْلِيَةُ الْطَرَقِ ، وَإِنَّ
لِلْمَالِ خَسْفَتَيْنِ : خَسْفَةُ الْحَرِّ ، وَخَسْفَةُ الْبَرْدِ ، وَهُوَ مَخْوَلٌ وَمَخْسَلٌ : وَقَدْ
خَسَلَهُ ، وَخَسَلَهُ . وَقَالَ :

وَنَحْنُ الْثُرَيَا وَجَوْزَاؤُهَا وَنَحْنُ الدَّرَاعَانِ وَالْمِرْزَمُ
وَأَنْتُمْ كَوَاكِبُ مَخْسُولَةٍ تُرَى فِي السَّمَاءِ وَلَا تُعْلَمُ

وَقَوْلُهُمْ : أَخْسَأَ أَمْ زَكَ؟ أَيْ : أَوْتَرَ أَمْ شَفَعْ؟ وَتَخَاسِي الصَّبِيَانِ : تَلَاعِبُوا
بِذَلِكَ ، وَقَالَ الْمَرْزَقُ :

تَخَاسِ يَدَاهَا بِالْحَصَى وَتَرْضَهُ بِأَسْمَرَ صَرَافِ إِذَا جَمَّ مُطْرِقِ
وَفِي هَذَا الْقَدْرِ مَا يَكْفِي.

﴿سَخِيرًا﴾ : بالكسر والضم، مصدر سخر، كالسخر إلا أن في ياء النسب
زيادة في قوة الفعل، كما قيل الخصوصية في الخصوص. وعن الكسائي
والفراء: أن المكسور من الهزة، والمضموم من السخرة والعبودية، والأول
مذهب الخليل وسيبوه، والمراد بهم: الصحابة، وقيل: أهل الصفة خاصة.
وفي «المصباح»: «سخرت منه سخراً، من باب: تعب، هزئت به، والسخري
بالكسر لغة فيه، والسخرة وزان غرفة: ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر،
والسخري بالضم بمعناه، وسخرته في العمل بالتشقيل: استعملته بجاناً،
وسخر الله الإبل: ذللها، وسهلها».

○ الْإِعْرَابُ :

﴿أَلَمْ تَكُنْ مَا يَأْتِي ثُلَّا عَلَيْكُمْ فَكَنْتُمْ بِهَا تُكَبِّرُونَ﴾ الهمزة للاستفهام
التقريري والتوبيني، ولم حرف نفي وقلب وجذم، وتكون فعل مضارع ناقص
محزوم بـلـم، وأياتي اسمها، وجملة تتلى خبرها، وعليكم متعلقان بتلـى،

فكتم : الفاء عاطفة ، وكان واسمها ، وجها متعلقان بتكتذبون ، وجملة تكتذبون خبر كتم . ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَفَوْتُنَا وَكُنَّا فَوْمًا ضَالِّينَ ۚ ۝ قالوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو ، والواو فاعل ، وربنا منادى مضاد ، وغلبت فعل ماض ، والتاء للتأنيث ، وعلينا متعلقان بغلبت ، وشقوتنا فاعل غلبت ، وكنا : الواو عاطفة ، وكان واسمها ، وقماً خبرها ، وضالين صفة . ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَدَنَا فَإِنَّا ظَلَمُونَ ۚ ۝ رينا منادى مضاد ، وكراره للعنتية به ، وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء ، ومنها متعلقان بآخر ، والفاء عاطفة ، وإن شرطية ، وعدنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والضمير فاعل ، والفاء رابطة لجواب الشرط ؛ لأنه جملة اسمية ، وإن واسمها ، وظالمون خبرها ، والجملة في محل جزم جواب الشرط . ﴿ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ۚ ۝ جملة اخسروا مقول القول ، وهو فعل أمر ، والواو فاعل ، وفيها متعلقان باخسروا ، ولا الواو عاطفة ، ولا نافية ، وتتكلمون فعل مضارع مجزوم بلا ، والنون للوقاية ، والياء المحدوفة مفعول به . ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ ۝ رينا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴝ جملة تعليمة لما قبلها من الزجر ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها ، وفريق اسم كان ، ومن عبادي صفة لفريق ، وجملة يقولون خبر كان ، وربنا منادى مضاد ، وجملة آمنا مقول القول ، فاغفر لنا : الفاء عاطفة ، واغفر فعل أمر معناه الدعاء ، وارحمنا عطف عليه . وأنت : الواو استئنافية ، وأنت مبتدأ ، وخير الرحيمين خبر . ﴿ فَاتَّخَذُوكُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَسْوَكُمْ ذُكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَّكُونَ ۚ ۝ الفاء عاطفة ، واتخذوهم فعل وفاعل ومفعول به ، والميم علامة جمع الذكور ، والواو لإشبع ضمة الميم ، وسخرياً مفعول به ثان ، ومن هؤلاء المهاجرين بلا وصهيب وعمار وخياب ، وحتى حرف غایة وجر ، وأنسوكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول ، وذكرى مفعول به ثان ، وكتتم كان واسمها ، ومنهم متعلقان بتضحكون ، وجملة تضحكون خبر كتم ، والمعنى : لم يعد لكم شغل إلا الهزء بهم ، والضحك منهم .

﴿إِنَّ جَزِيلَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِرُونَ ﴾١١١﴿ قَلَ كَمْ لَيَتَمَّ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ ﴾١١٢﴿ قَالُوا لِيَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّلَ الْعَادَيْنَ ﴾١١٣﴿ قَلَ إِنْ لَيَتَمَّ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ لَهُتَمَّ تَعْلَمُونَ ﴾١١٤﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْشًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾١١٥﴿ فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾١١٦﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ أَخْرَى لَا يُرْهِنُ لَوْيِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾١١٧﴿ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾١١٨﴿ وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنَّ خَيْرَ الرِّزْقِينَ ﴾١١٩﴾

☆ المفہوم:

﴿الْعَادَيْنَ﴾: بتشديد الدال، جمع عاد، من عد الشيء يعده بضم العين في المضارع: إذا أحصاه، وحسبه.

﴿عَبَشًا﴾ العَبَث بفتحتين: اللعب، وما لا فائدة فيه، وكل ما ليس فيه غرض صحيح. يقال: عبث يبعث عبشاً: إذا خلط عمله بلعب، وأصله من قولهم: عبشت الأقط، أي: خلطته، والعبث طعام مخلوط، ومنه العوثاني لتمر وسوق وسمن مختلط.

○ الإكراه:

﴿إِنَّ جَزِيلَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِرُونَ ﴾١١١﴿ كلام مستأنف مسوق لبيان حسن حالهم أنهم انتفعوا بإذاتهم إياهم، وإن واسمها، وجملة جزيتهم خبر إن، وجزيتهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول، واليوم ظرف لجزيتهم، وبما متعلقان بجزيتهم، والباء للسببية، أي: بسبب صبرهم، وما مصدرية، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ثان لجزيتهم، أي: جزيتهم فوزهم، وأن واسمها، وهو ضمير فصل، والفائزون خبر إن. ﴾١١٢﴿ كَمْ لَيَتَمَّ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ ﴾١١٣﴿ كم استفهامية في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهو متعلق بلبستهم، وفي الأرض متعلقان بلبستهم، أو بمحذوف

حال، وعدد سنين تمييزكم، وسنين مضارف إليه، والمعنى : كم ليشتم عدداً من السنين . ﴿ قَالُوا لِيَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّمَ الْمَادِينَ ﴾ جملة ليثنا مقول القول، ويوماً ظرف متعلقان بلثنا، وأو حرف عطف، وبعض يوم معطوف على يوماً، فأسأل : الفاء الفصيحة، واسأله فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره : أنت، والعادين مفعول به، وقد قالوا هذا لأنهم - وقد غشيم العذاب، وأحاطت بهم أهواله - لم يعد بوعدهم أن يحصلوا بذلك ، أو يذكروا ، فقالوا : إن أردت معرفة الحقيقة فاسأله العادين ، أما نحن ففي معزل عن ذلك .

﴿ قَنَّ إِنْ لِيَشْتَمُ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال فعل ، وفاعله مستتر يعود على الله سبحانه ، وإن نافية ، ولبيثتم فعل وفاعل ، وإلا أدلة حصر ، وقليلاً صفة لظرف مخدوف ، أي : زماناً قليلاً ، ولو حرف امتناع لامتناع ، وإن واسمها ، وجملة كنتم خبرها ، وجملة تعلمون خبر كنتم ، ومفعول تعلمون مخدوف ، أي : مقدار لبيثكم ، ويجوز إعراب قليلاً صفة لمصدر مخدوف ، أي : لبيثأً قليلاً . ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكارى التوبىخي ، وحسبتم فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة ، مسوقة لتوبىخهم على تماديهم في الغفلة ، وتصدوفهم عن النظر الصحيح ، وأنما كافة ومكافوفة ، وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسدّ مفعولي حسبتم ، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به ، وعيثأً يجوز إعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال ، أي : عابثين ، ويجوز إعرابه نصباً أيضاً على المصدرية ، أو أنه مفعول لأجله ، أي : لأجل العبث ، وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه ، وأن يكون معطوفاً على عيثأً ، أي : للعبث ، وأن واسمها ، ولا نافية ، وجملة ترجعون خبر إن ، وهو فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل . ﴿ فَتَعَنَّلَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ الفاء استثنافية ، والجملة مستأنفة ، مسوقة لاستعظام الله تعالى ، وتعالى فعل ماض ، والله فاعله ، والملك الحق صفتان له ، وجملة لا إله إلا هو حال ، وقد تقدم إعرابها كثيراً ، ورب العرش صفة ثالثة ، والكريم نعت للعرش . ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا إِلَّا خَرَّ لَا

بِهِنَّ لَهُ يَدُهُ فَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ^{﴿﴾} الواو استثنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويدع فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة، ومع الله ظرف متعلق بيدع، وإلها مفعول به ليدع، وآخر صفة، ولا نافية للجنس، وبرهان اسمها مبني على الفتح، قوله لا، والجملة صفة ثانية لإلها، وهي صفة لازمة، نحو قوله: **﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾** وجيء بها للتوكيد، ويجوز أن تكون جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه، فإن كانت صفة المقصود بها التهكم بمدعى إله مع الله، قوله: **﴿إِنَّمَا أَشَرَّكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾** فنفي إنزال السلطان به، وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزّل ولا غير منزّل، ومن جنس جيء بالجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما تقدم عند قوله تعالى: **﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾** فارجع إليه إن شئت.

فإنما: الفاء رابطة لجزاء الشرط؛ لأن الجملة اسمية، وإنما كافية ومكفوقة، وحسابه مبتدأ، وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف خبر حسابه، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من **﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾** الجملة تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة لا يفلح خبر إنه، والكافرون فاعل. **﴿وَقُلْ رَبِّي أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِ﴾** الواو استثنافية، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وأغفر فعل أمر، والمقصود منه: الدعاء، وارحم عطف عليه، وأنت: الواو استثنافية، وأنت مبتدأ، وخير الراحمين خبر.

□ البلاغة:

في خاتمة سورة «المؤمنون» قوله: **﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾** وفي فاتحتها **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** فشتان ما بين الفاتحة والختامة!

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ النُّورِ وَرَضِينَاهَا وَأَنْزَلَنَا فِيهَا إِيمَانَكُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الْرَّانِيَةُ وَالْرَّانِيَةُ
فَاجْلِدُو أُكُلَّ وَجْهِيْرٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا شَهَدَ عَذَابَهُمَا طَالِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الْرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ لَا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالْرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا لَا زَانِي أَوْ مُشْرِكٍ وَحَرِمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوْنَ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُو هُنْ ثَمَنِينَ جَلْدًا وَلَا نَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾

☆ اللُّغَةُ :

﴿الْرَّانِيَةُ﴾ : بيضة الزنى والزناء ، بالمد والقصر ، قال الفرزدق :

أبا خالد مَنْ يَرْزِنْ يُعْلَمْ زِنَاؤه

وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّراً

قال الفراء : المقصور من زنى ، والممدود من زانى ، يقال : زاناها مُزانةً

وزناة، وخرجت فلانة تزاني، وتباغي، وقد زنى بها، وجمع بين الزناة والزواني، وزناه تزنية: نسبة إلى الزني، وهو ولد زنية، بفتح الزي وكسرها.

﴿رَأْفَةُ﴾ : في «المختار» : «والرأفة : أشد الرحمة ، وقد رؤف بالضم رأفة ، ورأف به يرأف ، مثل : قطع يقطع ، ورئف به ، من باب : طرب ، كله من كلام العرب ، فهو رؤوف ، على فعول» .

○ الاقرابة:

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا أَيَّتِيَتْ بِيَنْتَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة خبر لمبتدأ مذدوف ، أي : هذه سورة ، أو مبتدأ والخبر مذدوف ، أي : فيما أوحينا إليك سورة ، وساغ الابتداء بالنكرة ؛ لأنها صفت بجملة أنزلناها ، وفرضناها عطف على أنزلناها ، وأنزلنا عطف أيضاً ، وفيها متعلقان بأنزلنا ، وآيات مفعول به ، وبيانات صفة لآيات ، ولعل واسمها ، وجملة تذكرون خبرها ، وجملة لعلكم تذكرون حال . ﴿الْزَانِيَةُ وَالْزَانِي فَاجْلِدُو أَنْجَلِدُوا كُلُّ وَجْهٍ مِّنْهُمَا مِائَةُ جَلْدٍ﴾ جملة مستأنفة ، مسوقة للشروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات . والزانية والزاني في رفعهما وجهان :

أحدهما مذهب سيبويه أنه مبتدأ خبره مذدوف ، أي : فيما يتلى عليكم حكم الزانية .

وثانيهما : مذهب الأخفش وغيره بأنه مبتدأ ، والخبر جملة الأمر ، ودخلت الغاء لشبه المبتدأ بالشرط ، وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوف عنده قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُو أَيْدِيهِمَا﴾ فجدد به عهداً ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث .

وإنما قدم الزانية على الزاني ؛ لأنها الأصل في الفعل ، لكون الداعية إليها أوفر ، ولو لا تمكينها منه لم يقع ، وقد عكس الأمر في آية حد السرقة ، فقد قدم السارق على السارقة ؛ لأن الزني يتولد بشهوة الواقع ، وهي في المرأة أقوى

وأكثُر، والسرقة إنما تولد من الجسارة، والقوة، والجرأة، وهي في الرجل أقوى وأكثر.

فاجلدوا: الفاء رابطة لأن الألف واللام بمعنى الذي، والموصول فيه رائحة من الشرط، أي: التي زنت، والذي زنى فاجلدوها، كما تقول: من زنى فاجلدوه، واجلدوا فعل أمر وفاعل، وكل واحد مفعول به، ومنهما صفة لواحد، ومئنة جلدة نائب مفعول مطلق؛ لأن المفعول المطلق ينوب عنه عدده، أي: ضربة، يقال جلدته: ضرب جلدته. ﴿وَلَا تَأْخُذُوهُمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وتأخذكم فعل مضارع مجزوم بلا النافية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبهذا متعلقان بتأخذكم، ورأفة فاعل، وفي دين الله متعلقان بتأخذكم أيضاً. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إن شرطية، وكتتم فعل ماضٌ ناقص، والتاء اسمها، وهو في محل جزم فعل الشرط، وجملة تؤمنون بالله واليوم الآخر خبر كتم، وجواب الشرط محدود دل عليه ما قبله، أي: فلا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وحكمه، والمراد بالشرط: التهيج، وإثارة الحفائظ على الزناة، والغضب لله ولدينه. وسيأتي في باب البلاغة المزيد من القول في هذه الآية. ﴿وَلِشَهَادَةِ عَذَابِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويشهد فعل مضارع مجزوم باللام، وعدا بهما مفعول به مقدم، وطائفة فاعل مؤخر، ومن المؤمنين صفة لطائفه. وسيأتي القول عن المراد فيها. ﴿الَّذِانَ لَا يَنْكِحُونَ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ جملة مسئلة، مسوقة لبيان أن الفاسق الخبيث الذي جعل الزنى دينه وهجراه لا يرغب في نكاح الصوالح، ذوات الصون والعفاف، وكذلك شأن الفاسقة الخبيثة، تأبى إلا الارتطام في مستوبل الأقدار. والزاني مبتداً، وجملة لا ينكح خبر، وإلا أداة حصر، وسيأتي سر القصر على زانية. ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانِي أَوْ مُشْرِكَةً﴾ جملة معطوفة على سابقتها، ومثيلتها في الإعراب، وزان فاعل حذفت ياؤه؛ لأنه اسم منقوص تحذف ياؤه في حالة التنوين رفعاً وجراً، وتثبت نصباً ﴿وَحُرِمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو استثنافية، والجملة مسئلة،

مسوقة لبيان حكم المتشبهين بالفساق والمستهدفين لسوء القالة والطعن، وسيأتي القول في سر التحرير في باب الفوائد. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِإِبْرَعَةٍ شَهَدَهَا﴾ الواو استئنافية، مسوقة لبيان نوع آخر من حدود الزنى، والذين مبتدأ، سيأتي له ثلاثة أخبار، وجملة يرمون صلة الموصول، والمحصنات مفعول به، ثم لم يأتوا عطف على يرمون، وبأربعة متعلقان يأتوا، وشهداء مضاف إليه جر بالفتحة لمنعه من الصرف لكان ألف التائث منه ﴿فَاجْلِدُوهُنَّا
ثَتَّيْنَ جَلَدَةً وَلَا تَنْقِبُوا لَهُمْ شَهَدَةً أَبْدَأً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الفاء رابطة جواب الموصول المتضمن معنى الشرط، واجلدوههم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وجملة فاجلدوههم خبر أول للذين، وثمانين مفعول مطلق، وجملة تميز، ولا تقبلوا عطف على فاجلدوههم، وهي بمثابة الخبر الثاني للذين، ولهم جار ومحرر متعلقان بمحذوف حال؛ لأنـه كان في الأصل صفة لشهادة، وأبداً ظرف متعلق بتقبلوا، وأولئك الواو عاطفة، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو خبر ثان، وال fasiqون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة بمثابة الخبر الثالث للذين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى من الفاسقين، واختلف في هذا الاستثناء، فقيل: هو متصل؛ لأنـ المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون، والتائبون من جملتهم، لكنـهم مخرجون من الحكم، وهذا شأنـ المتصل، وقيل: هو منقطع؛ لأنـه لم يقصد إخراجه من الحكم السابق، بل قصدـ إثباتـ أمر آخر له وهو أنـ التائب لا يبقى فاسقاً، وأنـه غير داـخل في صدرـ الكلـام لأنـه غير فاسق، وجملة تابوا صلة الموصول، ومن بعد ذلك متعلقان بتابوا، وأصلحوا عطف على تابوا، فإنـ الفاء تعليلية لما سبق، وإنـ واسمها، وغفورـ خبرـها الأول، ورحيمـ خبرـها الثاني.

□ البلاغة:

١- الإيجاز بالحذف:

في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ إيجازـ بالـ حـذـفـ، وـهـوـ كـمـاـ يـرـاهـ عبدـ القـاهرـ

الجر جاني، باب دقيق المسلوك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفعى من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبنِ، ولكن عبد القاهر لم يصب كبد الحقيقة عندما أردف يقول: «ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره» ووجه عدم إصابةه أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتدأ، وإنما يحسن في مبتدأ خبره وصف يقتضي المدح أو القدح، وتقبل المبالغة فيه، وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى، وفي المبتدآت ما هو بخلاف ذلك، فإن قولنا «زيد قائم» لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد عن غيره، فإن القيام يوصف به كل أحد إذا أريد به ضد القعود، ولا يقبل المبالغة، وليس هو من صفات المدح، ولا من صفات الذم، ولا هو مما يليغ به الموصوف إلى أنه استحق الوصف به دون غيره، فإن كان القاضي - رحمه الله - أردا مبتدأ مخصوصاً فيحتمل، وإن كان أطلق فالأمر مشكل، والسبب فيما ذكر من حذفه غير معلوم.

ثم يعرض عبد القاهر أمثلة من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها،
كقول الشاعر:

سأشكرُ عمراً إِنْ ترَاهُتْ مِنْيَّ
أَيْادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ

فَتَنْ عَيْرَ مَحْجُوبَ الْغَنِيِّ عَنْ صَدِيقِهِ
وَلَا مَظَهِرَ الشَّكُوِيِّ إِذَا التَّعَلَّزَ

والأصل: هو فتى.

٢- النهي والشرط للتهسيج:

المقصود من النهي في قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذُكُمْ تَقْرُئُونَ﴾ . . . الخ التهسيج، وإثارة الغضب، وإلهاب الحفاظ على دين الله، وإن على المؤمنين الحراس على الاتسام بهذه السمة المشرقة أن يتصلبوا في

دينهم، وألا تأخذهم هواة، أو لين في تنفيذ ما أمرهم الله به لاستيفاء حدوده، وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بنفسه وابنته، فقال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها».

٣- الخضر بـالـا:

ظاهر النظم يوحي بأن الزاني لا ينكر المؤمنة العفيفة، وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقى، ولما كان ذلك غير ظاهر الصحة، كان لا بد من حمل الأخبار على الأعمّ الأغلب كما لا يفعل الخير إلا الرجل التقى، وقد بفعل الخير من ليس بتقى.

٤- استعارة الرمي للشتم بفاحشة الزنى لكونه جنائية بالقول، كما قال النافعه:

وجراح اللسانِ كجراح اليدِ

ويسمى الشتم بهذه الفاحشة: قذفاً، والمراد بالمحصنات: النساء، وخصصهن بالذكر؛ لأن قذفهم أشنع، والعار فيهن أعظم، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم، بلا خلاف بين علماء هذه الأمة.

الفوائد:

١ - قوله تعالى: ﴿الرَّازِيَةُ وَالرَّازِيَ فَاجْلِدُوا﴾ الآية: إنما عدل الخليل وسيبويه إلى هذا الذي نقلناه من الإعراب لوجهين: لفظي، ومعنى. أما اللفظي، فلأن الكلام أمر، وهو يخلي اختيار النصب، ومع ذلك فالرفع قراءة العامة، ولو جعل الأمر خبراً، وبين المبتدأ عليه؛ لكان خلاف المختار عند الفصحاء، فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر، فخلص من مخالفة الاختيار، وقد مثلهما سيبويه في كتابه بقوله تعالى: ﴿مَثُلَ الْجَنَّةُ أَلَّقَ وَعِدَ الْمُنَفَّوْنَ فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ الآية، ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله: ﴿مَثُلَ الْجَنَّةُ﴾ ولا يستقيم أن يكون قوله: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ خبره، فتعين تقدير خبره مخدوفاً، وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل

المجمل بقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ إلى آخرها، فكذلك ها هنا، كأنه قال: وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني، ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد، هذا بيان المقتضى عند سببويه لاختيار الحذف من حيث الصناعة اللغظية، وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر؛ لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني بجملة، حيث قال: ﴿الَّزَانِيَةُ وَالَّزَانِي﴾ وأراد: وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني، فلما تشوّف السامع إلى تفصيل هذا المجمل، ذكر حكمهما مفصلاً، فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَيَشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَإِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الطائفة: الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وأقلها ثلاثة أو أربعة، وهي صفة غالبة، كأنها الجماعة الحاكمة حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها: هي أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله. وعن الحسن: عشرة. وعن قتادة: ثلاثة فصاعداً. وعن عكرمة: رجلان فصاعداً. وعن مجاهد: أقلها رجل فصاعداً. وقيل: رجلان. وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الحد، والتفصيل في كتب الفقه.

٣- أقسام الزناة الأربعه^(١):

- أ- الزاني لا يرغب إلا في زانية.
- ب- الزانية لا ترغب إلا في زان.
- ج- العفيف لا يرغب إلا في عفيفة.
- د- العفيفة لا ترغب إلا في عفيف.

وهذه الأقسام الأربعه مختلفه المعانى، وحاصرة للقسمة، فنقول: اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين، واقتصرت على قسمين أحري من المسكون عنهمما، فجاءت مختصرة جامعاً، فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث، والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع،

(١) كذا في الأصل، وليس (ج ود) من أقسام الزناة!

والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضي لانحصر رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة، وذلك بعينه مقتضٍ لانحصر رغبتهما فيه، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة، والأعفاء بما لا يقلّ عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً، فإنّ معنى الأول: الزانية لا ينكرها عفيف، ومعنى الثانية: العفيفة لا ينكرها زان، والسرّ في ذلك أن الكلام في أحکامهم، فذكر الإعفاء لسلب نمائصهم حتى لا يخرج الكلام عما هو المقصود منه، ثم بيّنه في إسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث، بخلاف قوله: ﴿الزنانية والرَّانِي﴾ فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالاً، وقدّم الزانية على الزياني - كما تقدم - والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنى، والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض، والإطماء، والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والأصل في النكاح الذكور، وهم المبتدئون بالخطبة، فلم يستند إلا لهم لهذا، وإن كان الغرض من الآية تغير الأعفاء من الذكور والإناث مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً، زجراً لهم عن الفاحشة؛ ولذلك قرن الزنى والشرك.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاءَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَهُمْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِإِلَهِهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّابِدِينَ ﴾١٠﴾ وَالْخَمِسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾١١﴾ وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشَهَّدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِإِلَهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴾١٢﴾ وَالْخَمِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّابِدِينَ ﴾١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَابُ حَكِيمٌ ﴾١٤﴾

○ الاعراب:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاءَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أحكام اللعان، وهو مبسوط في كتب الفقه. والذين مبتداً، وجملة يرمون أزواجاهم صلة، وحذف التاء أوضح؛ ولذلك جمع الزوج على أزواج، ويتبعين

في الفرائض إثبات التاء، ومتصل برمون مذوف، أي: بالزني، ولم: الواو حالية، أو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجسم، ويكون فعل مضارع ناقص مجزوم بـلم، ولهم خبر مقدم، وشهادـاء اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، وأنفسهم بدل من شهـادـاء، ويحـوز أن تكون إلا بمعنى غير، فتكون أنفسهم نـعتـاً لـشـهـادـاء، وقد ظـهـرـ علىـهاـ إـعـرابـ إلاـ، علىـ حدـ قولـهـ تعالىـ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتْ﴾ . ﴿فَشَهَدَهُ أَحَدُهُمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّمَا لِمَنَ الصَّادِقِينَ﴾ الفاءـ وـاقـعـةـ فيـ جـوابـ اـسـمـ المـوصـولـ لـتـضـيـمـهـ مـعـنـ الشـرـطـ، وـشـهـادـةـ مـبـدـأـ، وـأـحـدـهـمـ مـضـافـ إـلـيـهـ، وـأـرـبـعـ شـهـادـاتـ خـبـرـ المـبـدـأـ، وـقـرـأـ الـعـامـةـ بـنـصـبـ أـرـبـعـ، فـيـكـونـ خـبـرـ شـهـادـةـ مـقـدـرـ التـقـديـمـ، أيـ: فـعـلـيـهـمـ شـهـادـةـ، أوـ: مـؤـخرـ، أيـ: فـشـهـادـةـ أـحـدـهـمـ كـائـنـةـ، أوـ: وـاجـبـةـ، أوـ: هـوـ خـبـرـ لـمـبـدـأـ مـذـوفـ، أيـ: فـالـواـجـبـ شـهـادـةـ أـحـدـهـمـ، وـأـمـاـ نـصـبـ أـرـبـعـ فـهـوـ نـصـبـ عـلـىـ المـصـدـرـ، وـالـعـاـمـلـ فـيـهـ مـصـدـرـ مـثـلـهـ، وـقـدـ نـابـ عـنـ المـصـدـرـ عـدـدـهـ، وـبـالـلـهـ جـارـ وـجـرـورـ مـتـعـلـقـانـ بـشـهـادـاتـ، أوـ: بـشـهـادـةـ، فـالـمـسـأـلةـ مـنـ بـابـ التـنـازـعـ، وـإـنـ وـاسـمـهاـ، وـكـسـرـتـ هـمـزةـ إـنـ لـوـجـودـ الـلـامـ، وـالـلـامـ الـمـرـحـلـةـ، وـمـنـ الـصـادـقـينـ خـبـرـ إـنـ، وـإـنـ وـمـاـ بـعـدـهاـ مـفـعـولـ شـهـادـاتـ، أوـ: شـهـادـةـ، أيـ: يـشـهـدـ أـنـهـ صـادـقـ، وـجـملـةـ «فـشـهـادـةـ أـحـدـهـمـ» خـبـرـ الـذـينـ . ﴿وَلَخَيْسَةٌ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِيبِ﴾ الواو اـعـتـراـضـيـةـ، وـالـخـامـسـةـ مـبـدـأـ، أيـ: الشـهـادـةـ الـخـامـسـةـ، وـأـنـ وـمـاـ بـعـدـهاـ فيـ تـأـوـيلـ مصدرـ خـبـرـ، وـلـعـنةـ اللهـ اـسـمـ أـنـ، وـعـلـيـهـ خـبـرـ أـنـ، وـإـنـ شـرـطـيـةـ، وـكـانـ فعلـ الشـرـطـ، وـاسـمـ كـانـ مـسـتـترـ، وـمـنـ الـكـاذـبـينـ خـبـرـ كـانـ، وـجـوابـ الشـرـطـ مـذـوفـ دـلـلـ عـلـيـهـ ماـ قـبـلـهـ، ويـحـوزـ أنـ تكونـ الواـوـ عـاطـفـةـ، وـالـخـامـسـةـ عـطـفـ عـلـىـ شـهـادـةـ، وـأـنـ لـعـنةـ اللهـ بـدـلـ مـنـ الـخـامـسـةـ، أوـ: نـصـبـ بـنـزعـ الـخـافـضـ، أيـ: بـأـنـ لـعـنةـ اللهـ، وـالـأـوـلـ أـسـهلـ . ﴿وَيَدْرُأُ عَنْهَا عَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّمَا لِمَنَ الْكَذِيبِ﴾ جـملـةـ وـيـدـرـأـ عـطـفـ عـلـىـ ماـ سـبـقـ، وـيـدـرـأـ فعلـ مضـارـعـ معـناـهـ: يـدـفعـ، وـعـنـهاـ مـتـعـلـقـانـ بـهـ، وـالـعـذـابـ مـفـعـولـ بـهـ، وـأـنـ تـشـهـدـ فيـ تـأـوـيلـ مصدرـ فـاعـلـ يـدـرأـ،

وأربع شهادات نصب على المصدر، فهو نائب مفعول مطلق، وبالله متعلقان بشهادات، أو: بأن تشهد كما تقدم في الأولى، وإنه لمن الكاذبين تقدم إعراضها. ﴿ وَلَخُمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ تقدم إعراب مثيلتها، فجدد به عهداً. ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ تَوَابُ حَسِيقٌ ﴾ لولا حرف امتناع لوجود، وفضل الله مبدأ، وخبره ممحوظ وجوباً كما تقدم، وعليكم متعلقان بفضل، ورحمته عطف على فضل، وأن الله تواب: أن واسمها وخبرها، وهي معطوفة على فضل، وجواب لولا ممحوظ للدليل على أمر ممحوظ لا يكتنه لعظمته، وفادحته، ورب مسكون عنه أبلغ من منظوق به.

□ البلاعنة:

اشتملت هذه الآيات - بالإضافة إلى ما انطوت عليه من الأحكام والتشريع الصالح - على العديد من فنون البلاغة، وقد تقدم البحث فيها فنجترىء بالإلماع إليها:

١ - الالتفات: في قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب لتسجيل الملة على المخاطبين؛ بحيث لا تبقى لديهم أذار واهية، يتسبّون بها إذا هم تجاوزوا حدود ما بيّنه لهم.

٢ - التغليب: فقد غالب صيغة الذكور على صيغة الإناث، حيث لم يقل: عليكم وعليكن؛ لأنّه بقصد مخاطبة الفريقين، أي: القاذفين والمقدوفات.

٣ - الحذف: وقد تكرر حذف المبدأ والخبر، كما رأيت في الإعراب، وحذف جواب لولا، أي: كأن يقول الله في بيانه: فلان صادق بالزنى لكون المقدوفة قد زنت في نفس الواقع، أو يقول فلان كاذب في قذفه؛ لكون المقدوفة لم تزن في نفس الواقع، وسدل الستار على ذلك كله؛ لأن الغرض الأسماى هو الصون، والصون يتطلب التحوّط، والتحوّط يستدعي السكوت عمما لا يحسن التصرّح به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ إِنَّهُمْ مَا أَكْتَسَبُوا مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ كَبِيرٌ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١)

☆ الشُّخْصَةُ :

﴿بِالْإِلْفَكِ﴾: أبلغ ما يكون من الكذب، وقيل: هو البهتان، لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله: الأفك، وهو: القلب؛ لأنه قول مأفووك عن وجهه.

﴿كَبِيرٌ﴾: كِبْرُ الشيء - بكسر الكاف وسكون الباء - : معظمه، قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

تسنم عن كِبِيرِ شَائِهِ فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ

○ الإعْرَابُ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكِ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الجملة مستأنفة للشروع في سرد قصة الإفك، وتقع في ثمانى عشرة آية ستأتي باطراد، وهي تتعلق بعائشة - رضي الله عنها - وهي صالحة تستحق المديح والثناء، فمن رماها بالسوء فكانه قلب الحقائق، وطمسها. وإن واسمها، وجملة جاؤوا صلة الموصول، وبالإفك متعلقان بجاوؤوا، وعصبة خبر إن، ومنكم صفة لعصبة، أي: من المؤمنين ولو ظاهراً، فقد كان عبد الله بن أبي - وهو أحد الذين خاضوا في حديث الإفك - من كبار المنافقين، وجملة لا تحسبوه مستأنفة، والخطاب هنا للنبي ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان تسليمة لهم، وستأتي قصة الإفك في باب الفوائد.

﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لا جازمة، وتحسبوه مضارع مجزوم، والواو فاعل، والهاء مفعول به أول، وشراً مفعول به ثان، ولهم متعلقان بشر، وبيل حرف عطف وإضراب، وهو مبتدأ، وخير خبر، ولهم متعلقان بخير، ووجه الخير فيه: ما يناله صاحب الابتلاء من مثوبة، ثم ظهور الكرامة، ونصوع الحق بإنزال ثمانى عشرة آية في براءتكم، والتهويل بالوعيد لمن خاض فيه عن سوء نية، وقصد.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يُمْنَهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ لـكل امرئ خبر مقدم، ومنهم صفة لـامرئ، وما اسم موصول متبدأ مؤخر، وجملة اكتسب صلة، ومن الإثم متعلقان باكتسب. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّ كَبَرُوهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الواو استثنافية، والذي مبتدأ، وجملة تولى كبره صلة، أي: بالغ فيه، وضخم الأمور، وزوّقها لسوء دخيلته، وشّر طويته، ومنهم متعلقان بمحذوف حال، وهو عبد الله بن أبي المنافق، وله خبر مقدم، وعداً عظيم مبتدأ مؤخر، والجملة خبر الذي.

* الفوائد:

- الحديث الإفك:

جاء في صحيح البخاري ومسلم على لسان عائشة قالت: «كنت مع النبي ﷺ في غزوةٍ بعد ما أنزل الحجاب، ففرغ منها، ورجع، ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت، وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع، فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي يحسبوني فيه، وكانت النساء خفافاً، إنما يأكلن العلقة من الطعام، ووجدت عقدي، وحيث بعد ما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظنت أن القوم سيفقدونني، فيرجعون إلىّ، فغلبتني عيناي فنمّت، وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش، فأدلح للاستراحة، فسار منه، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي، والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطئ على يدها، فانطلق يقودُ بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغررين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك فيّ، وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلوى.

- تفسير غريب الحديث:

١ - قوله في غزوة: قيل: هي غزوة المريسيع، وتسمى: غزوةبني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل في السادسة، وسببها، أن

رسول الله ﷺ بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه، وقادهم الحارث ابن أبي ضرار، أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياهم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، فأفاءها، وردها عليهم.

- ٢ - يأكلن العُلقة: - بضم العين وسكون اللام -: القليل من الطعام.
 - ٣ - صفوان: هو الصحابي الجليل صفوان بن العطاء السلمي.
 - ٤ - عَرَس: بتشدید الراء المفتوحة، أي: نزل ليلاً للاستراحة، وهو خاصٌّ بآخر الليل.
 - ٥ - أدْلِج: بتشدید الدال المفتوحة: سار من أول الليل.
 - ٦ - باسْتَرْجَاعِهِ: أي: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.
 - ٧ - حَمَرْت وجهي بجلبائي: أي: غطّيته بالملاءة.
 - ٨ - ووْطَئَ على يدها: أي: وضع رجله على ركبتها.
 - ٩ - موغررين: «في القاموس» الوغرة: شدة الحر، ووغرت الهاجرة كوعده، وأوغرروا: دخلوا فيها، والوغر - ويحرّك -: الحقد، والضعن، والعداوة، والتوقد من الغيط. وقد وغر صدره كوعده، ووجل، وغراً ووَغَراً بالتحريك. وفي «المصباح»: «ووْقَعَ في أَرْضِ فَلَّةٍ: صَارَ فِيهَا».
- رواية المستشرقين: هذا وقد شغل حديث الإفك المستشرقين، فصاغوه في روايات شتى، نورد منها هنا للاطلاع رواية بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية»، وفيما يلي نصّ تعریبه:
- «قام النبي خلال سنة (٦٢٧) أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية، ولقد أبعد في إحداها حتى لقارب مكة، وكانت هذه الغزوات آمنة إلى حدّ سعاده على أن يصطحب فيها اثنين من أزواجها، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر - وكانت آنذاك في الرابعة عشرة

من عمرها - قلادتها ، فخرجت تبحث عنها مساء ، ففاتتها قوافل الغزاة ، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي ، وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل ، وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي ، فردها إلى بيت أبوها ، ولكن الله لم يلبث أن برأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموجة إلى النبي ، مضيفاً في الوقت نفسه أن أي اتهام لامرأة بالخيانة الزوجية لا يؤيده أربعة شهود عيان يعتبر فريدة ، أو قذفاً ، يستحق عليه صاحبه مئة جلد ، وكان عليّ صهر النبي أحد خصوم عائشة ؛ الذين ألحوا عليه في طلاقها ، وليس من شك في أن جذور العداء الذي تكشفت عنه عائشة لعلي بعد أن استخلف على المسلمين ترجع إلى هذه الحقبة .

ومهما يكن من شيء ، فلم يكن لحادثة العقد هذه أدنى تأثير على وضع المرأة الاجتماعي في الإسلام كما يظن ، فالحجاب الذي تصطنه النساء المتزوجات كان عادة عربية قديمة ، وكان النبي قد فرضه قبل هذه الحادثة لأسباب أخرى ، والواقع أن الحجاب لم يحل بين النساء في الجاهلية وفي الإسلام أيضاً حتى عهد الأميين وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيراً مذكوراً في بعض الأحيان . إن مؤسسة الحرير التي وضع قواعدها العباسيون على غرار التموج المسيحي البيزنطي ، هي وحدها المسؤولة عن انحطاط المرأة في الشرق» .

ولا تخلو رواية بروكلمن ، على دقتها من خلل ، وخطأ ، وتحامل خفي يحاول صاحبه إخفاءه ، ويأبى إلا أن يظهر ، ومن ذلك قوله «فردها إلى بيت أبوها» .

- العودة إلى المدينة ، واللغط في الحديث :

ولنعد إلى رواية عائشة نفسها في تتمة الحديث الآنف الذكر ، قالت :

واشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً ، والناس يغيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويريني في وجيبي أنني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله فيسلم ثم

يقول : «كيف تيكم؟» فذاك يربيني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نفهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ، ثم عدنا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح .

قلت : بئس ما قلت ! أتبين رجالاً قد شهد بدرأ؟

قالت : أي هناء ! أو لم تسمعي ما قال ؟

قلت : وماذا قال ؟

فأخبرتني بقول أهل الإلفك ، فازدادت مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي استأذنت أن آتي أبي ، أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي .

قالت أمي : هوّني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيّة عند رجل يحبها ، ولها ضرائر ، إلا كثرن عليها .

قلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة ، حتى أصبحت لا يرقالي دمع ، ولا أكتحل بنوم .

ودعا رسول الله عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم في نفسه لهم من الود ، وقال لرسول الله : هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيراً .

وأما عليّ بن أبي طالب فقال : لم يضيق اللهُ عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك .

فدعى رسول الله بريّة يسألها : هل رأيت من شيء يربيلك من عائشة ؟
قالت : والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قد أغتصبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تقام عن عجين أهلاها ، فتأتي الداجن فتأكله .

وبكيت يومي ذلك لا يرقالي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكى لي ليلي المقبلة لا يرقالي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظننان أن البكاء فالق كبدى .

فيبينما نحن على ذلك دخل رسول الله فسلم ثم جلس، وتشهد ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإن قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله، وتوبى إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه».

فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي، حتى ما أحسن منه قطرة، فقللت لأبي: أجبعني رسول الله فقال: والله، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله.

فقللت لأمي: أجيبي عني، فقالت: كذلك والله، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله.

قلت: - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن -: إني والله، لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني، وإن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني بريئة، لتصدقوني، وإني والله، ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ﴾.

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله بجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتىأنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان من البراء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجما من العرق في اليوم الثاني.

فلما سرّي عن رسول الله وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشرني يا عائشة، أما الله فقد برأك».

قالت لي أمي: قومي إليه.

قلت: والله لا أقوم إليه، ولا أح مد إلا الله الذي أنزل براءتي.

وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرباته منه، وفقره، فأقسم لا ينفق عليه شيئاً أبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتَوْا أُولَى الْقُرْبَى...﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا يَحْبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾؟

فقال أبو بكر: والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

هذا؛ وسيأتي في بقية الآيات ما يتعلق بهذا الحديث.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِنْكُلْ مُّبِينٌ ﴾ لَوْلَا جَاءُوكُمْ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ لَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمْ سَكُنْ فِي مَا أَفْسَنْتُمْ فِيهِ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ إِذْ تَلْقَوْنَاهُ بِالسَّتَّةِ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾

○ الإعراب:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ كلام مستأنفة للشرع في زجر الخائضين في الإفك، وتوبيخهم على ما أرجفوا به، وستأتي تسعه زواجر متراوقة، وهذا هو الزاجر الأول. ولو لا حرف تحضيض متضمن معنى الزجر والتوبيخ، وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخْرَتْنِي﴾ وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بظن، وجملة سمعتموه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وظن المؤمنون فعل وفاعل، والمؤمنات عطف، وبأنفسهم متعلقان بخيراً، وخيراً مفعول به ثان. ﴿وَقَالُوا هَذَا إِنْكُلْ مُّبِينٌ﴾ وقالوا عطف على ظن، وهذا مبتدأ، وإفك خبر، ومبين صفة، والجملة الاسمية مقول القول، وسيأتي القول في الالتفات الرائع بهذه الآية. ﴿لَوْلَا جَاءُوكُمْ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِالشَّهَدَاءِ﴾ لو لا حرف تحضيض ثان، وهذا هو الزاجر الثاني، وجاؤوا فعل وفاعل، وعليه متعلقان بشهداء، وبأربعة متعلقان بجاؤوا، وشهاداء مضاف إليه، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالكافذبون، ولم حرف نفي وقلب وجذم، ويأتوا فعل مضارع مجزوم بلم، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها،

وبالشهداء متعلقان بيأتوا. ﴿فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الفاء رابطة، وأولئك مبتدأ، وعند الله متعلقان بمحذوف حال، أي: في حكمه، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والكافيون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة خبر أولئك. ﴿وَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ مُبَشِّرٌ بِالْأُخْرَى﴾ الواو عاطفة، ولو لا حرف امتناع لوجوده، وفضل الله مبتدأ، حذف خبره وجوباً، وهذا هو الزاجر الثالث، وعليكم متعلقان بفضل، ورحمته عطف على فضل، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال، والآخرة عطف على الدنيا. ﴿لَسَكُرٌ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ اللام واقعة في جواب لولا، ومسكم فعل ومفعول به، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفيما متعلقان بمسكم، وجملة أفضتم فيه صلة، و«ما» عبارة عن حديث الإفك، والإفاضة: الاندفاع، والخوض، ويصح أن تكون ما مصدرية، أي: لمسكم بسبب إفاضتكم، وخوضكم في الإفك، وفيه متعلقان بأفضتم، وعداب فاعل، وعظيم صفة. ﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ يَأْسِتُكُمْ وَقَوْلُونَ يَأْفَوْهُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عَمَّ﴾ وهذا هو الزاجر الرابع، وإذا ظرف متعلق بمسكم، أو بأفضتم، وتلقونه فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، وهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والتلقي، والتلتف، والتلقن معان متقاربة، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمراد يرويه بعضكم عن بعض، وبأسستكم متعلقان بتلقونه، وتقولون عطف على تلقونه، وبأفواهكم متعلقان بتقولون، وما مفعول تقولون، وجملة ليس صلة الموصول، وليس فعل ماض ناقص، ولكم خبر، وبه متعلقان بعلم، وعلم اسم ليس. ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيْثَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ وتحسبونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول، وهينأً مفعول به ثان، والواو للحال، وهو مبتدأ، وعند الله حال، وعظيم خبر هو، والجملة حالية.

□ البلاغة:

١- التعبير بالأنفس عن الآخرين:

التعبير بالأنفس عن الآخرين ينطوي على أبعد النكت مرئي، وأكثرها

حفولاً بالمعاني السامية، فهو أولاً يهيب بالمؤمنين إلى التعاطف، وإجراء التوبيخ على النفس بدلاً من أن يذكره بسوء، وذلك أدعى إلى اصطناعه، وجعله محمولاً على الموالاة والاصطفاء، وذلك بتصويره بصورة من أخذ يقذف نفسه، ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة. وروي أن آباً أيوب الأنباري قال لامرأته: ألا ترين مقالة الناس؟ قالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته، وصفوان خير منك، وعائشة خير مني.

وهذا صحيح كل الصحة، وبراءة عائشة واضحة، ومفهومه بالبداهة لدى كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش، وفي وضح النهار، ولغير ضرورة مع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي، وغضب المسلمين، وغضب الله، فتلك خلة ترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً، ومنزلة، وخلقاً، وأنفة، فكيف بها في مكانها المعلوم؟ وهذا هو المفهوم للتعبير عن الآخرين من المؤمنين بالنفس، الذي حدا بأمرأة آبي أيوب الأنباري إلى أن تنزل زوجها منزلة صفوان، ونفسها منزلة عائشة، ثم ثبت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة، حتى تثبت لصفوان وعائشة بطريق الأولى.

وهو ثانياً يحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة، والمقصود: إلزام سيئ الظن بنفسه؛ لأنه لم يعتد بنوازع الإيمان وزوائعه في حق غيره، وألفاه، واعتبره في حق نفسه، وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهرى، لا بحكم الهدى.

٢- الالتفات:

وفي الكلام عدول عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، وسياق الحديث أن يقول: ﴿لَوْلَا إِذْ سَعَمْتُمُوهُ طَمَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرٌ وَقَاتُلُوا﴾ وإنما اقتضت البلاغة هذا الالتفات، والعدول عن الضمير إلى الظاهر للإشارة في التوبيخ، وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه

يقتضي ألا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على اختها قول عائب، ولا طاعن، وهذا ما فعله النبي ﷺ، وكان جديراً بالآخرين الاحتذاء به: سمع حديثاً يلأك بين المنافقين، ويسري إلى المسلمين، بل إلى خاصة ذويه الأقربين، حديثاً يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في نبرته تحيز، فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق، والنساء كثيرات، سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة، ولم يرفضه بغير بينة، وكان عليه أن يعود زوجه المريضة، أو يحفوها إلى حين، فعادها وبه من الرفق والإنصاف ما يأبى عليه أن يفاتها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة، وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به، والنفس صافية كل الصفاء، وظل يسأل عنها سؤال متubb ينتظر أن تشفى، وأن تأتيه البينة، فيشتند كل الشدة، أو يرحم كل الرحمة، ولا يعجله لغط الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية، وما توجبه المروءة في آن.

- عبد الله بن أبي ومسطح :

وإذا قيل: إن عبد الله بن أبي كان من أصحاب العصبية التي يحسب حسابها، وتتقى بوادرها، فماذا يقال في مسطح وهو مكحول أبي بكر، وصنعيته الذي يأكل من ماله؟ ما الذين أنجاه من السخط والعقاب، وكفل له دوام البر والمعونة لو لا سماحة النبي الكريم، وسماحة أبي بكر، وسماحة القرآن؟!

٣- المبالغة :

تقدم في البحث في مثل هذا التعبير: «**وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ**» والقول لا يكون إلا بالفم، مما معنى ذكر الأفواه؟ ونعيد القول: إنه - هنا - للمبالغة والتعريض بأنه ربما يتصدق ويقضي تشدق جازم عالم، وهذا أشد وأقطع، ومعناه: أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب، فيترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قوله يجري على ألسنتكم، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب.

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا مُهَمَّنٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٧ يَعْظِمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمُ الْأَيْمَنُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَحْشَةُ فِي الَّذِينَ أَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ١٨ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ كُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ وهذا هو الراجر الخامس، ولو لا حرف تحضيض وتوبیخ، وإذا ظرف متعلق بقلتم، أي: كان ينبغي لكم بمجرد السمع الأول أن تقولوا: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، وأن تقولوا: سبحانك.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف؟ قلت: للظروف شأن، وهو تزلاها من الأشياء متزلة أنفسها لوقعها فيها، وأنها لا تنفك عنها، فبذلك يتسع فيها مالا يتسع في غيرها».

ورد عليه أبو حيان فقال: «وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف، وهو جار في المفعول به، تقول: لولا زيداً ضربت، لولا عمراً قتلت».

وسيأتي سر تقديم الظرف في باب البلاغة.

وجملة سمعتموه مضاد إليها الظرف، وجملة قلتم لا محل لها لأنها ابتدائية، وما نافية، ويكون فعل مضارع ناقص، ولنا خبرها المقدم، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر، وبهذا متعلقان بتكلمن، وسبحانك مفعول مطلق، وجملة سبحانك في محل نصب حال لأن معناه: التعجب، والمعنى: هلا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلّم بهذا حال كونكم متعجبين من هذا الأمر العجيب الغريب. **﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا مُهَمَّنٌ عَظِيمٌ ﴾** وهذا مبتدأ، وبهتان خبر،

وعظيم صفة ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدًا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا هو الزاجر السادس ويعظمكم، وقد ضمن معنى فعل يتعدى بعن، ثم حذف الجار، أي: ينهاكم عن العودة، وهي فعل مضارع ومفعول به، والله فاعل، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، ولمثله متعلقان بتعودوا، وأبداً ظرف زمان متعلق بتعودوا أيضاً، وقيل: لا تضمين في معنى يعظكم، وأن وما بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف، أي: كراهة أن تعودوا، وإن شرطية، وكتسم: كان واسمها، ومؤمنين خبرها، وجواب الشرط مذوف، أي: إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا لمثله. ﴿وَيَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةُ الْوَao عَاطِفَةٍ، وَبَيْنَ اللَّهِ فَعْلٌ وَفَاعِلٌ، وَلَكُمْ مُتَعْلِقَانِ بَيْنَ، وَالآيَاتِ مَفْعُولٌ بِهِ، وَاللَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَعَلِيمٌ حَكِيمٌ خَبْرَانِ اللَّهِ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تُشَيَّعَ الْمُجْحَشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لإيراد الزاجر السابع، وإن واسمها، وجملة يحبون صلة، وأن وما في حيزها مفعول يحبون، والفاحشة فاعل، وفي الذين آمنوا متعلقان بتشيع. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لهم خبر مقدم، وعداب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر إن، وأليم صفة، وفي الدنيا والآخرة صفة ثانية، ففي الدنيا ثبت بالحد للقذف، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك. والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تعلمون خبر. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا هو الزاجر الثامن، ولو لا امتناعية، وفضل الله عليكم مبتدأ مذوف الخبر وجوباً، ورحمته عطف على فضل، وأن الله رءوف رحيم عطف على فضل الله، وجواب لو لا مذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة.

* الفوائد:

ثبت أن النبي ﷺ حدّ القاذفين الأربع، وهم: عبد الله بن أبي، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش، وقعد صفوان لحسان بن ثابت، وضربه بالسيف ففك بصره، وفي ذلك يقول:

توقَّ ذبَابَ السيفِ عَنِي فِي إِنْسَني
 غلامٌ إِذَا هُوَ حِيجُوتُ لست بـشاعر
 وَلَكَنِّي أَهْمَى حِمَايَ وَأَنَّقَيِ
 مِنِ الْبَاهِتِ الرَّامِي الْبَرِيءِ الظَّواهِرِ

وأنشد حسان بن ثابت أبياتاً يشي فيها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
 ويرثئها مما نسب إليها، ومنها:

حَصَانٌ رَّزَانٌ مَا تُرَزَنُ بِرِيرِيَةٍ
 حَلِيلٌ خَيْرُ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا
 عَقِيلٌ حَيٌّ مِنْ لَؤِيْ بْنِ غَالِبٍ
 مَهْذَبٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ جَنِيهَا
 فَإِنْ كَانَ مَا بَلَغْتُ عَنِيْ قَلْبِهِ
 وَكَيْفَ وَوْدِيْ مَا حَيْتُ وَتُصْرِيْتِيْ
 لَهُ رَتْبٌ عَالٌ عَلَى النَّاسِ فَضْلُهَا

وتصبح غَرْشِي من لحومِ الغوافِلِ
 نَبِيَّ الْهَدِيِّ وَالْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ
 كَرَامُ الْمَسَاعِيِّ مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ
 وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ شِينٍ وَبَاطِلِ
 فَلَا رَفِعْتُ سَوْطِيِّ إِلَيَّ أَنَامِلِيِّ
 لَآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
 تَقَاصِرَ عَنْهَا سُورَةُ الْمَطَاؤِلِ

□ البلاغة:

١ - التقديم والتأخير:

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ . . الخ قدم الظرف لفائدة هامة ، وهي: بيان أنه كان من الواجب أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به ، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم . ولعبد القاهر في «دلائل الإعجاز» بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه: باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ، ويعلو بها أسلوب على أسلوب ، ويبدو بها إعجاز القرآن .

٢ - سرّ التعجب:

في كلمة التعجب ﴿سُبْحَانَكَ﴾ سرّ عجيب ، وهو أن الأصل في ذلك أن

يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْبِغُوا خُطُوَتِ الشَّيْطَنِ وَمَنْ يَنْبَغِي خُطُوَتِ الشَّيْطَنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِيكُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴾٢١﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْةُ أَنْ يُقْنَوْا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَدِكِينَ وَالْمَهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا شَجَونَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾٢٢﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الظَّافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعِنْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾٢٣﴿ يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٢٤﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَقِّرُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾٢٥﴿ الْحَسِنَاتُ لِلْخَيْرِيْنَ وَالْخَيْرُ لِلْخَيْرِيْنَ وَالظَّبَابَاتُ لِلظَّابِيْنَ وَالظَّابِيْنَ لِلظَّابِيْنَ وَالظَّابِيْنَ لِلظَّابِيْنَ وَرِزْقُ كَرِيمٌ ﴾٢٦﴾

☆ المُفَكَّرَةُ:

﴿ خُطُوَتِ﴾: جمع خطوة، بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء، وكل ما كان على وزن فعل بكسر الفاء، أو بفتح الفاء مع سكون العين جاز لنا إذا أردنا أن نجمعه جمعاً مؤنثاً سالماً الإتباع والفتح والتسكين، فنقول في خطوة: خطوات، وخطوات، وخطوات.

﴿ زَكَّى﴾: طهر من دنس.

﴿ يَأْتِلِ﴾: في «المختار»: «وَآلَّ يُؤْلِي إِيلَاء: حلف، وتَأْلِي، وَائْتَلَ مثَلَهُ». قلت: ومنه قوله تعالى: «وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» والأالية: اليمين، وجمعها: ألايا» وقيل: هو من قولهم: ما ألوت جهداً؛ إذا لم تدخل شيئاً.

﴿الْغَفَلَتِ﴾: السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر؛ لأنهن لم يجربن الأمور، ولم يرزن الأحوال، فلا يفطنن لما تفطن له المجرّبات العزّافات . قال:

ولقد لهوت بِطَفْلَةٍ مِيَالَةٍ بِلَهَاءٍ تُطْلَعْنِي عَلَى أَسْرَارِهَا
لهوت : تلاهيت ، ولعبت بطفلة بالفتح ، أي : امرأة ناعمة لينة ، يقال :
امرأة طفلة الأنامل ، أي : رخصتها لينتها ، ومياله : مختالة ، وبلهاء : غافلة ،
لا مكر عندها ، ولا دهاء ، فلذلك تطلعني على ضمائرها .

○ الإعراب:

﴿يَكَاهِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُونَ حُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ وهذا هو الزاجر التاسع والأخير ، ولا نافية ، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وخطوات الشيطان مفعول به . ﴿وَمَن يَتَّبَعُ حُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتبع فعل الشرط ، وخطوات الشيطان مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط ؛ لأنه جملة اسمية ، وإن واسمها ، وجملة يأمر بالفحشاء والمنكر خبرها ، والضمير في إنه يعود على الشيطان ، أو على المتبع ، والأول أظهر . ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ مَارَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدَأَ﴾ لولا امتناعية ، وقد تقدم إعرابها ، وما نافية ، وزكي فعل ماض ، وفاعله مستتر تقديره : هو ، يعود على الله ، ومنكم حال ؛ لأنه كان في الأصل صفة لأحد ، ومن حرف جر زائد ، وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ، وأبداً ظرف متعلق بزكي . ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْزِكِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَيِّعُ عَلِيِّمُ﴾ الواو عاطفة ، ولكن واسمها ، وجملة يزكي خبرها ، ومن يشاء مفعول يزكي ، والله مبتدأ ، وسميع خبر أول ، وعليم خبر ثان ، أي : أنه سبحانه سمع لقولهم عليم بنياتهم . ﴿وَلَا يَأْتِلُ أَفْلُوْا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تقدم القول مسهماً في سبب نزول هذه الآية ، وأنها نزلت في شأن مسطوح بن أثاثة بضم الهمزة وفتحها . ولا نافية ، ويأتل فعل مضارع مجزوم بلا ، وأولو فاعل ملحق بجمع المذكر

السلم، والفضل مضاد إليه، ومنكم حال، والسعنة عطف على الفضل، وأن يؤتوا: أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض مع حذف لا النافية، والتقدير: على ألا يُؤتوا، وأولي القربي مفعول، وما بعدها عطف عليه. ﴿وَلَيَعْفُوا
وَلَيَصْفِحُوا أَلَا تَجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويعرفوا مضارع مجزوم بلام الأمر، ولি�صفحوا عطف، والهمزة للاستفهام، ولا نافية، وتحبون فعل مضارع مرفوع، وأن وما في حيزها مفعول تحبون، والله فاعل، ولكم متعلقان بيعذر، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنِثَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير الخائضين في الإفك، ووعيدهم الشديد، وعتابهم البليغ. وإن واسمها، وجملة يرمون المحسنات صلة، والمحسنات مفعول به، والغافلات المؤمنات عطف على المحسنات، وجملة لعنوا خبر إن، وفي الدنيا والآخرة متعلقان بلعنوا، ولهم خبر مقدم، وعداب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة. ﴿يَوْمَ تَشَهُّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتَهْمُ
وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به ﴿وَكُمْ﴾ ويجوز تعليقه بالمصدر، وهو عذاب؛ لأن الظروف يتسع فيها مالا يتسع في غيرها، وجملة تشهد في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليهم متعلقان بتشهد، وأستهتم فاعل، وأيديهم وأرجلهم عطف على أستهتم، وبما جار ومجاور متعلقان بتشهد، وجملة كانوا لا محل لها لأنها صلة، ولك أن تجعل ما مصدرًا، وكان واسمها، وجملة يعملون خبرها، وقد مرت لها نظائر. ﴿يَوْمَ إِذْ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ الظرف متعلق بيعملون، أو يوفيهم، وقد تقدم البحث في إضافة إذ للظرف، والتنوين اللاحق لإذ، ويوفيهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ودينهم مفعول به ثان، والحق نعت لدينهم، والمراد بدينهم الحق: جزاؤهم الواجب عليه، وفي الحديث: «كما تدين تدان». ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ويعلمون عطف على يوفيهم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلمون، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والحق خبر أن، أو خبر هو، والجملة الاسمية خبر أن، والمبين صفة.

﴿الْحَيْثَنَتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِنَتِ وَالظَّبَيْنَتُ لِلظَّبَيْنَ وَالظَّبَيْنُونَ لِلظَّبَيْنَتِ﴾
 كلام مستأنف، مسوق لبيان سنة الله في خلقه في أن يسوق كل صنف إلى صنفه، وأن يقع كل طير على شكله. والخيثات مبتدأ، وللخيثين خبره، وما بعده عطف عليه، وسيرد معنى ذلك في باب البلاغة. ﴿أُولَئِكَ مُبَرِّئُونَ مَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أولئك مبتدأ، والإشارة إلى الطيبين، وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة. ومبرئون خبر أولئك، وما متعلقان بمبرئون لأنه اسم مفعول، وجملة يقولون صلة، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ثان لأولئك، ورزق كريم عطف عليه.

□ البلاغة:

- ١ - المجاز العقلي في شهادة الأيدي والأرجل، وقد تقدم بحثه مستوى.
- ٢ - أراد بالمحضنات العموم، وإن كان الحديث مسوقاً عن عائشة، والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه؛ لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف أحد المؤمنات، فما الظن بوعيد من وقع في قذف سيدتهن؟! على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه، ولهذا عممت زليخا حين قالت: ﴿مَا جَرَأَ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فعممت، وأرادت يوسف تهويلاً عليه، وإرجافاً.
- ٣ - يحمل أن يراد بالخيثات: النساء، وبالخيثين: الرجال، فيكون الكلام جارياً على حقيقته، ويجوز أن يراد: الكلمات التي صيغ منها الإفك، فيكون الكلام مجازاً بالاستعارة التصريحية.

﴿يَتَأَمَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَنَا غَيْرَ بُوْتِكُمْ حَقَّ تَسْتَأْسُوا وَشَلَّمُوا عَلَيْهَا أَهْلَكُمْ خَيْرُ لَكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجْعُدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا نَدْخُلُهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوكُمْ فَأَرْجِعُوكُمْ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ ۝ ۲۸ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بِوَتَا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَّعٌ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝ ۲۹

○ الْعَرَبُ:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا لَا تَدْخُلُوا بُيوْتًا غَيْرَ بُيوْتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُو وَتَسْلِمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما يترتب على مخالطة الرجال بالنساء، ودخولهم عليهن في أوقات خلواتهن. ولا نافية، وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا، وببيوتاً مفعول به على السعة، وقد تقدم بحث ذلك، وغير بيوتكم صفة لبيوتاً، وحتى حرف غاية وجر، وتستأنسو فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ومعنى الاستئناس: الاستئذان على طريق الكناية، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة، وتسليموا عطف على تستأنسو، وعلى أهلها متعلقان بتسليموا. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ذلكم مبتدأ، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير، ولعل واسمها، وجملة تذكرون خبر لعل، وجملة ذلكم مستأنفة، وجملة لعلمكم تذكرون حال معللة لفعل مذدوف، أي: أنزل عليكم هذا آملين أن تذكروا. ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الفاء استثنافية، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتتجدوا مضارع مجزوم بلم، وفيها متعلقان بتتجدوا، وأحداً مفعول به، فلا تدخلوها: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية، وتدخلوها مضارع مجزوم بلا النافية، وحتى حرف غاية وجر، ويؤذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ويؤذن مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، ولكم متعلقان ببيذن. ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وقيل لكم فعل الشرط، وجملة ارجعوا مقول القول، فارجعوا: الفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأنه طلبي، وهو مبتدأ، وأذكى لكم خبر، والجملة مستأنفة، والله: الواو استثنافية، والله مبتدأ، وبما تعلمون متعلقان بعليم، وعليم خبر الله.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بِهُوَا غَيْر مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَّعٌ لَكُمْ﴾ ليس فعل ماض ناقص، وعليكم خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب ببنزع الخافض، أي: في أن تدخلوا، والجار والجرور صفة لجناح، وبيوتاً مفعول به على السعة، وغير مسكونة نعت ليبيوتاً، وفيها خبر مقدم، ومتاع لكم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة ثانية لبيوتاً.
 ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ والله: الواو استثنافية، والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وما مفعول به، وجملة تبدون صلة، وما تكتمون عطف على ما تبدون.

□ البلاغة:

١ - الكنية في قوله تستأنسوها: فإن أصل معناها: الاستئناس، وهو ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدرى أ يؤذن له أم لا، فهو متعدد، مستطار القلب، مستوحش، أو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له بالدخول استأنس، وزايده تردد، واستطارة قلبه، وقد أريد المعنى بعيد منه، وهو: الاستئذان.

٢ - الإرداد، وقد تقدم أنه هو: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل لفظ هو ردد المعنى الخاص، وتابعه قرب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف، وواضح أن هذا النوع من الاستئناس يردد الإذن، فوضع موضع الإذن، ويجوز أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف، من أنس الشيء: إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، وعليه يكون المعنى حتى تستعلموا، وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا؟ والوجه الأول هو البين، وسر التجوز فيه، والعدول إليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين في الإتيان بالاستئذان بواسطة، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن الاستئذان.

* الفوائد:

في القرطبي سبب نزول هذه الآية، كما روى الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت: أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله ﷺ إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر: يا رسول الله أفرأيت الحانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ...﴾ الآية.

وعن أبي موسى الأشعري: أنه أتى بباب عمر - رضي الله عنهما - فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ قالها ثلاثة، ثم رجع، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاثة».

واستأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: أألاج؟ فقال ﷺ لامرأة يقال لها روضة: «قومي إلى هذا فعلميه، فإنه لا يحسن أن يستأذن، قولي له: يقول له: السلام عليكم أأدخل؟» فسمعها الرجل فقالها، فقال: «ادخل».

وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيته: حيitem صباحاً، وحيitem مساء، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدق الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل.

أما البيوت التي استئذناها الله، فهي غير المكونة نحو الفنادق، والربط المسبلة، وحوانيت البائعين، والمنازل المبنية للنزول، وإيواء المتاع فيها، واتقاء الحر والبرد، وقيل: بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء.

﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُمُونَ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْزَكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^١ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَعْصُمْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جِيُونِهِنَّ

وَلَا يُدِينَ رِبَّتَهُنَّ إِلَّا لِعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبَاءَيِهِنَّ أَوْ أَبَاءَءُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَبَنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِيِّ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِيِّ
أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكْتَ أَيْمَنَهُنَّ أَوْ التَّشِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الطَّفَلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَقَوْبَاهُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئُمَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُقْلِحُونَ ﴿٢٩﴾

☆ **المفہوم:**

﴿يَغْضُضُنَّ﴾: الغض: إطباقي الجفن بحيث تتنع الرؤية، وفي «المصباح»: «غض الرجل صوته، وطرفه، ومن صوته، ومن طرفه غضاً، من باب قتل: خفض، ومنه يقال: غض من فلان غضاً، وغضاضة: إذا انتقصه». وقد أدغم في الأول أحد المثنين في الثاني بخلاف الثاني؛ لأن الثاني في يغضضن متحرك، فأدغم فيه الأول، وفيما سيأتي ساكن، فلم يتأت إدغام الأول فيه، قال جرير:

غضّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

﴿زِينَتَهُنَّ﴾: الزينة: ما تزييت به المرأة من حلي، أو كحل، أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتاخة - بالتحريك - وهي حلقة من فضة لا فض فيها، فإذا كان فيها فض فهو الخاتم، والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للأجانب، وما خفي منها كالسوار، والخلخال، والدمليج، والقلادة، والإكليل، وهو - كما في الصحاح - يشبه عصابة تزين بالجلوهر، ويسمى التاج: إكليلًا، والوشاح، والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين.

﴿خُمُرِّهِنَّ﴾: الخمر - بضم الخاء والميم - جمع خمار - بكسر الخاء - وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والستر عموماً، ويجمع على أحمر، وخمر - بضم الخاء وسكون الميم - وخمر بضمتيين.

﴿جِيُونِينَ﴾: جمع جيب، والجيب من القميص: طوفه، والقلب، والصدر، وعند العامة الجيب: هو كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل، ويجعل فمه من الخارج.

﴿أُولَئِرَبَةَ﴾: أصحاب الإربة، والإربة: الحاجة، وفي «المصبح»: «الأَرْبَ»: بفتحتين، والإربة بالكسر، والمأربة بفتح الراء وضمها: الحاجة، والجمع: المأرب، والأرب في الأصل مصدر، من باب: تعب، يقال: أرب الرجل إلى شيء: إذا احتاج إليه، فهو آرب على فاعل، والإرب - بالكسر - يستعمل في الحاجة، وفي العضو، والجمع: آراب، مثل: حمل، وأحمال».

○ الإعراب:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة، يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً كلياً. وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ومفعوله مذوق، وهو أمر آخر مثله، وقد حذف لدلالة جوابه عليه، وهو يغضوا من أبصارهم، ويغضوا فعل مضارع جزم؛ لأنه جواب الأمر المذوق، وهو غضوا، أو مقول القول، ومن أبصارهم: قال الزمخشري: «من للتبعيض، والراد: غض البصر عما يحرم، والاقتصار على ما يحلّ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه». ويجوز أن تكون للبيان، أو لابتداء الغاية، وعلى كل حال، فهي متعلقة بغضوا، وسيأتي السبب في دخول من على الأبصار دون الفروج في باب البلاغة، ويفظوا عطف على يغضوا، وفروجهم مفعول به. ﴿ذَلِكَ أَرْبَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ذلك مبتدأ، وأزكي خبره، ولهم متعلقان بأزكي، وإن واسمها وخبرها، وبما متعلقان بخير، وجملة يصنعون لا محل لها. ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ تقدم إعراب نظيرتها، أي: فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة، ولا للمرأة أن تنظر إلى الرجل؛ فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها، ومن طريف ما يلفت النظر أن هذه

الآلية اشتملت على عدد كبير من ضمائر الإناث، وقد بلغت عدتها خمسة وعشرين ضميراً ما بين مرفوع ومحرور، ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الصدد. ﴿وَلَا يُبْدِيْكَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُنَّ﴾ الواو حرف عطف، ويبدين عطف على يغضضن، فهو مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم، والنون فاعل، وزينتهن مفعول به، وإلا أداة حصر، وما بدل من زينتهن، وجملة ظهر منها صلة، والمراد بالظاهر: الوجه والكفان، فيجوز أن ينظرها الأجنبي إن لم يخف فتنة، كما هو مقرر في علم الفقه. ﴿وَلَيَضَرِّنَّ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جِيُوبِهِنَّ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويضربن فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم باللام، والنون فاعل، وبخمرهن: الباء زائدة، أو تبعيضية، أي: يلقين خمرهن على جيوبهن، أي: يسترن الرؤوس، والأعناق، والصدور باللقانع، جمع: مقنعة، أو مقنع بكسر الميم فيهما، وهي: ما يغطي به الرأس. ﴿وَلَا يُبْدِيْكَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبَعْوَلَتِهِنَّ﴾ الواو عاطفة، ولا نهاية، ويبدين مضارع مبني في محل جزم، والنون فاعل، وزينتهن مفعول به، وإلا أداة حصر، ولبعولتهن متعلقان ببدين، وهذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها الطفل. ﴿أَوْ أَبْنَاءَ أَبَيْهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بَعْوَلَتِهِنَّ أَوْ
أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَنَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْرَنَهُنَّ أَوْ
بَنَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنَهُنَّ﴾ كلهن معطوفات. ﴿أَوِ التَّقِيَّةِ غَيْرِ أُولَئِي
الْإِرْبَةِ مِنَ الْرِّجَالِ أَوِ الْطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ غير صفة للتابعين، والمراد بالتتابعين: غير أولي الإربة موضع خلاف، قال ابن عباس: التابع: هو: العين الأحق، وقيل: هو الذي لا يستطيع غشيان النساء، ولا يشتهين، وقيل: هو المحبوب، وقيل: هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته، وقيل: هو المخت. أقول: والعين والمخت هو: المشبه بالنساء، والشيخ الهرم، وأما المحبوب فهو: الذي يقي أنيابه، والخصي هو: الذي يقي ذكره. ومن الرجال حال، وأو حرف عطف، والطفل معطوف على ما تقدم، وهو بمعنى الأطفال، فأول جنسية، والطفل يطلق على الواحد والمجموع؛ فلذلك وصف بالجمع، وقيل: لما قصد الجنس روعي فيه الجمع، والذين

صفة، وجملة لم يظهروا صلة، وعلى عورات النساء متعلقان بظهورها. ﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ الواو عطف على ما تقدم، ولا ناهية، ويضربن فعل مضارع مبني في محل جزم بلا، والنون فاعل، وبأرجلهن متعلقان بضربين، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقطعن خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين، فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إلى الرجال. وقال الزجاج: «وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائهما».

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الواو عاطفة، وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإلى الله متعلقان بتوبوا، وجميعاً حال، وأئمها المؤمنون منادي نكرة مقصودة، وقد تقدم إعرابه، ولعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها، وقد رسمت في المصحف دون ألف، والرسم سنة متبعة.

□ البلاغة:

من الأسرار التي تدقّ على الأفهام دخول من الجارة على غضّ الأبصار دون الفروج في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ والسر في ذلك أن أمر النظر واسع، لا يني يسرح في مراتع الجمال، ومواطن الفتنة، قال الزمخشري بهذا الصدد: «ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن، وصدورهن، وثديهن، وأعضادهن، وسوقهن، وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات للبيع، وأما أمر الفروج فمضيق».

ومن هذه الأسرار تقديم غضّ الأبصار على حفظ الفروج في الآية نفسها، وفي الآية التي تليها، والسر فيه: أن النظر بريد الزنى، ورائده الذي لا يخطئ. وقد أفضى الشعراء في القديم والحديث فيما تحدّثه النظرة من

إلهاب نار الحب ، وتأريث الحرقة ؛ التي تدفع إلى ارتكاب المحرم ، ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون :

حسنٌ أفالين لم تستوفِ أعيننا

غاياته بأفالين من النَّظر

وقال ابنُ الرومي :

عيوني لعينك حين تنظُر مقتُلٌ لكن لحظك سهمٌ حتفٌ مرسل
ومن العجائبِ أنَّ معنى واحداً هو منك لحظٌ وهو متي مقتل
وسيرد في كتابنا العجيب منه .

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ يعني عن ربِه : «(النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتي أبدلتَه إيماناً يجد حلاوته في قلبه» أي : جعلت بدلَه إيماناً يشعر بذلكَه في قلبه .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «كتب على ابن آدم نصيبيه من الزنى ، فهو مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطأ ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويُصدق ذلك الفرج أو يكذبه» . والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيمة لتطلعها إلى حرم بقصد بلا فجاءة ، والخطأ - بفتح الخاء - : المishi إلى المعصية .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم؟ قال : «الحم الموت» رواه البخاري ومسلم ، ثم قال : ومعنى كراهة الدخول على النساء على نحو ما روی عن النبي ﷺ قال : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» .

والحم - بفتح الحاء وتحقيق الميم ، وبإثبات الواو أيضاً ، وبالهمز أيضاً -

هو أبو الزوج، ومن أدلّ به كالأخ، والعم، وابن العم، ونحوهم، وهو المراد هنا، كذا فسره الليث بن سعد وغيره، وأبو المرأة أيضاً، ومن أدلّ به، وقيل: بل هو قريب الزوج فقط، وقيل: قريب الزوجة فقط. قال أبو عبيد في معناه: يعني: فليمّت ولا يفعلن ذلك، فإذا كان هذا روایة في أب الزوج، وهو محمر، فكيف بالغريب؟ ومعنى الحمو الموت: أي: الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة، والخلوة من غير أن ينكر عليه.

﴿وَأَنِكُحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءً يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ ﴾٢٣﴿ وَلَا يَسْتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَحِدُّونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَنْعَوْنَ الْكِتَابَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَعَانُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَنَّكُمْ وَلَا تُكْرِهُوهُا فَإِنْ يَتَّكِئُمْ عَلَى الْعِلْمَ إِنَّ أَرْدَنَ تَحْصِنَا لَنْبَغِيَ عَرَضُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴾٢٤﴾

☆ اللهفة:

﴿الْأَيْمَنَ﴾: جمع أيام، وهي مَنْ ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثياباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار، والحرائر بقرينة قوله: وإمائكم، وتحمع الأيام أيضاً على أيام، وأيامون، وأيامات، يقال: آم، يئيم الرجل من زوجه أو المرأة من زوجها: فقدها، أو فقدته، وأصل الأيامي: أيام، كما قال الزخاري، ومثله: يتامي في يتائم، وأجاز سيبويه أن يكون غير مقلوب، وأنه جمع على فعلى، وقال الشاعر:

إِنْ تَشْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَنَأِيْمِي إِنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمْ أَتَأْيِمُ
يقول لمحبوبته: إن تتزوجي أتزوج، وإن لم تتزوجي لم أتزوج، وجملة:
وإن كنت أفتى منكم اعترافية، والأفتى: الأكثر فتية وشباباً، ورفع المضارع

في جواب الشرط - كما هنا - قليل ، وقد ورد في الشعر إذا كان الشرط فعلاً ماضياً - كما هنا -. وفي الحديث : «اللهم إني أعوذ بك من العيمة ، والغيمة ، والأيمة ، والكزم ، والقرم» أما العيمة فهي : شدة شهوة اللبن ، والغيمة : شدة شهوة العطش ، والأيمة : طول العزبة ، والكزم : شدة شهوة الأكل ، قال في «الصحاح» : كرم الشيء بمقدّم فيه ، أي : كسره ، واستخرج ما فيه ، والقرم : شدة شهوة اللحم .

﴿الْكِتَب﴾ : والمكاتب كالعتاب ، والمعاتبة : هو أن يقول الرجل لملوكه : كاتبتك على ألف درهم ، فإن أدتها عنق ، ومعناه : كتب لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال ، وكتبتك لي على نفسك أن تفي بذلك ، أو كتبتك لك الوفاء بالمال ، وكتبتك علي العنق ، وله أحكام مبسوطة في كتب الفقه . وفي «الأساس» و«اللسان» : «كُتب عليه كذا» : قُضي عليه ، وكتب الله الأجل والرزق ، وكتب على عباده الطاعة ، وعلى نفسه الرحمة ، وهذا كتاب الله : قدره ، قال الجعدي :

يا بنتَ عمِّي كِتابُ اللهِ أخْرَنِي
عَنْكُمْ وَهُلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلَ؟!

﴿الْبِغَاء﴾ : الزنا ، وبغت فلانة بغاء ، وهي بغي : طلوب للرجال ، وهن بغايا ، ومنه للإماء : البغايا ؛ لأنهن كن يبغين في الجاهلية ، يقال : قامت البغايا على رؤوسهم ، قال الأعشى :

وَالْبَغَايَا يَرْكُضُنَّ أَكْسِيَةَ الإِضْ

سَرِيجَ وَالشَّرْعَعِيَّ ذَا الْأَذِيَالِ

وفي المصباح : «وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد ، من باب : رمى : فجرت ، وهي بغي ، والجمع البغايا ، وهو وصف مختص بالمرأة ، فلا يقال للرجل : بغي ، قاله الأزهري ، والبغي : القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل ، قاله الجوهري ، ولا يُراد به الشتم ؛ لأنه اسم جعل كاللقب ، والأمة تباغي ، أي : تزاني » .

○ الإعراب:

﴿وَأَنِكُحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير حكم النكاح، والأمر للوجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح خوف الزنى، أو كان الرجل محتاجاً للنكاح خوف الزنى، فإن لم تكن ثمة حاجة كان الأمر للإباحة كما رأى الشافعى أو للندب كما رأى أبو حنيفة، ومالك، والتفصيل في كتب الفقه. والأيامى مفعول به، ومنكم حال، والصالحين عطف على الأيامى، ومن عبادكم حال، وإمائكم عطف على عبادكم. ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءً يَعْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ إن شرطية، ويكونوا فعل الشرط، والواو اسمها، وفقراء خبرها، ويغنىهم الله جواب الشرط، ومن فضله متعلقان بيعنهم، والله مبتدأ، وواسع خبر أول، وعليم خبر ثان. ﴿وَلَيَسْتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويستعفف مضارع مجزوم بلام الأمر، والذين فاعل، وجملة لا يجدون صلة، ونكاحاً مفعول به، وحتى حرف غاية وجر، ويغنىهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعل، ومن فضله متعلقان بيعنهم. ﴿وَالَّذِينَ يَتَغَنَّوْنَ إِلَيْكُنْتَ مِمَّا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ والذين نصب على الاشتغال، أي: منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور، ويجوز إعرابه مبتدأ، وخبره جملة فكتابوهم، والأول أرجح ل مكان الأمر، وجملة يتغون الكتاب صلة، وما حال، وجملة ملكت أيمانكم صلة، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وكتابوهم فعل أمر، والواو فاعل، والجملة مفسرة على الوجه الأول، وخبر على الوجه الثاني، وإن شرطية، وعلمت فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وفيهم متعلقان بعلمت، وخيراً مفعول به، والجواب مذوف دل عليه قوله: فكتابوهم ﴿وَأَثُوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَيْتُكُمْ﴾ وآتوهم عطف على فكتابوهم، ومن مال الله متعلقان بآتوهم، والذي صفة الله، وجملة آتاكم صلة للموصول. ﴿وَلَا تُنْكِرُهُوْ فَنِيتُكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُ مَحْسُنًا لِتَنْبَغِي عَرَضُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

الواو عاطفة، ولا نافية، وتكرهوا فعل مضارع مجزوم بلا النافية، وعلى البغاء متعلقان بتكرهوا، وإن شرطية وأردن فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وتحصناً مفعول له، والجواب ممحذف كما تقدم، ولتبتغوا: اللام للتعليل، وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، وعرض الحياة الدنيا مفعول به. ﴿وَمَن يُكْرِهُنَّ إِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوٌ رَّحْمَمٌ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويكرههن فعل الشرط، والفاء رابطة؛ لأن الجواب جملة اسمية، وإن واسمها، ومن بعد إكراهن حال، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبرها الثاني.

□ البلاعنة:

الاحتراس: في قول تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا تَحْصُنَا﴾ فقد أقحم هذا الاعتراض ليشيع ذلك عند المخاطب، ويحذره من الواقع فيه، ولكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة، وإن لم يكن زاجر شرعى، ووجه التبشير عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه؛ لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة، وهو يأبى إلا إكراها، ولأبي السعود قول جميل في هذا الصدد: «وقوله تعالى «إن أردن تحصنا». ليس لتخسيص النهي بصورة إرادتهم التعفف عن الزنى، وإنخرج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهنّ الزنى لخصوص الزاني، أو لخصوص الزمان، أو لخصوص المكان، أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة، بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهوهنّ على البغاء، وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحسن الزاجرة عن تعاطي القبائح».

هذا؛ ومن المفيد أن نذكر سبب نزول هذه الآية، فقد ذكروا أنها نزلت في عبد الله بن أبي، كان يكره جواريه على الكسب بالزنى وكن ستاً، فشكوا منه اثنان إلى النبي ﷺ فنزلت الآية، وأسماء هذه الجواري هي: معادة، ومسكية، وأمية، وعمرة، وأروى، وقتيلة.

* الفوائد:

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أبغض للبصر وأحصن للفرح، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه البخاري ومسلم.

وإنما خصّ الشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ، والباءة: الجماع، واستعمل لعقد النكاح، قال الجوهري: الباءة مثل الباءة، ومنه سمي النكاح: باءة، والوجاء أصله: رض الخصيتين. قال النووي في «شرح مسلم»: «معناه: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته، وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته، ويقطع شرّ منه، كما يقطعه الوجاء». وهناك قول آخر وهو أن المراد بالباءة: مؤن النكاح، سمي باسم ما يلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، قالوا: والعاجز لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباءة بالمؤن.

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمُثْلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ٢٤ ﴾ أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورٍ هُوَ كَمِشْكُوفٌ فِيهَا مَضَبَّحٌ الْمَضَبَّحُ فِي رَجَاهِ الْزَّجَاجَةِ كَانَهَا كَوَافِرُ دُرَىٰ يُوَدُّ مِنْ شَرْحَرٍ مُبَرَّكَةٌ زَيْتُونَةٌ لَا شَرِيقَةٌ وَلَا عَرِيقَةٌ يَكَادُ زَيْتَهَا يُضَيِّعُهُ وَلَوْ لَمْ تَحْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي أَللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ أَللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ ٢٥ فِي مَيْوَتٍ أَذْنَ أَللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا يَالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ٢٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَعْعَدُ عَنْ ذِكْرِ أَللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيَّاهُ الْزَّكُوْفَ يَخَافُونَ يَوْمًا ثَنَلَبُ فِيهِ

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرَدِيهِمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرَوُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

☆ **اللغة:**

﴿كِمْكَوْف﴾: المشكاة: الكوة غير النافذة، وقيل: هي الحديدة، أو الرصاصية التي يوضع فيها الزيت، وقيل: هي العمود الذي يوضع على رأسه الم صباح، وقيل: ما يعلق فيه القنديل من الحديدة، وفي «القاموس» وشرحه: «المشكاة كل كوة غير نافذة، وكل ما يوضع فيه أو عليه المصباح، وقيل: المشكاة جبشية معربة» وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة.

﴿زُجَاجَة﴾: الزجاج - بفتح الزاي وضمها وكسرها -: جسم شفاف يُصنع من الرمل، والقليل، والإباء، والقطعة منه: زجاجة بتثليث الزاي أيضاً، وأراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر.

﴿دُرِّي﴾: مضيء، بضم الدال من غير همز وبالتشديد، منسوب إلى الدر، شبه به لصفائه، وإضاءته، ويحوز أن يكون أصله الهمز، ولكن خفت الهمزة، وهو فعال من الدر، وهو: دفع الظلمة بضوئه، ويقرأ بالكسر على معنى الوجه الثاني، ويكون على فعال كسكينة وصديق. وفي «المختار»: «الدر»: الدفع، وبابه قطع، دراً: طلع مفاجأة، وبابه: خضع، ومنه كوكب دريء كسكينة؛ لشدة توقده، وتلاؤه، ودريء - بالضم -: منسوب إلى الدر، وقريء دريء بالضم والهمزة، ودريء بالفتح والهمز، وتدارأتم: تدافعت، واحتلتفت». وفي «الأساس»: «وكوكب دريء»، وطلعت الدراري نسبة إلى الدار، وهو: كبار اللؤلؤ». وفيه أيضاً: «ومن المجاز: دراء الكوكب: طلع كأنه يدرأ الظلام، ودرأت النار: أضاءت».

﴿وَالْأَصَالِ﴾: جمع أصيل، وهو: الوقت بين العصر والمغرب، ويجمع أيضاً على أصائل، وأصل، وأصلاح.

○ الاقراب:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمُثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حقيقة الآيات المنزلة. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وإليكم متعلقان بأنزلنا، وأيات مفعول به، ومبيّنات صفة، وهي بكسر الياء وفتحها، ومثلاً عطف على آيات، ومن الذين صفة مثلاً، وجملة خلوا صلة، ومن قبلكم حال، وموعظة عطف على مثلاً، وللمتقين صفة لموعظة. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُثَلٌ نُورٍ كَمِشْكُوكٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾ الله مبتدأ، ونور السموات والأرض خبره، ومثل مبتدأ، ونوره مضاف إليه، والكاف اسم بمعنى مثل خبر، ومشكاة مضاف إليه، ويجوز إعراب الكاف حرف جر، والجار والمجرور خبر مثل، وفيها خبر مقدم، ومصباح مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لمشكاة، وسيأتي تحقيق هذا الكلام في باب البلاغة، وجملة مثل نوره تفسير لما قبلها، فلا محل لها. ﴿الْمَصَبَاحُ فِي زَجَاجَةٍ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها. ﴿الْزَجَاجَةُ كَانَتْ كَوْكِبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرِيقَةً وَلَا غَرِيقَةً﴾ الزجاجة مبتدأ، وكان واسمها، وكوكب خبرها، ودربي صفة لكوكب، والجملة خبر الزجاجة، وجملة الزجاجة.. الخ تفسير لما قبلها فلا محل لها، وجملة يوقد صفة ثانية لكوكب، ونائب الفاعل مستتر، ومن شجرة جار ومحروم متعلقان بيوقد، وهي لابتداء الغاية على حذف مضاف، أي: من زيت شجرة، ومبارة صفة لشجرة، وزيتونة بدل من شجرة، ولا شرقية صفة ثانية لشجرة، ودخلت لا لتفيد النفي، فلا تحول بين الصفة والموصوف، ولا غريبة عطف، وسيأتي المزيد من بيان هذا المعنى في باب البلاغة. ﴿يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ هذه الجملة صفةثالثة لشجرة، ويقاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة، وزيتتها اسمها، وجملة يضيء خبرها، ولو: الواو حالية، ولو شرطية، ولم حرف نفي وقلب وج梓، وتمسسه فعل مضارع مجزوم بلـم، وجواب لو محذوف، أي:

لأضاء بدلالة ما تقدم عليه، والجملة حال، فلو هنا تفید استقصاء الأحوال، أي: حتى في هذه الحال، ونار فاعل تمسسه، ونور خبر لمبدأ محدوف، أي: هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف، وعلى نور متعلقان بمحدوف صفة نور مؤكدة له، وسيأتي سر تنكير النور في باب البلاغة. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِتُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَشْلَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير تنفيذ مشيئته سبحانه، ولنوره متعلقان بيهدي، ومن يشاء مفعول يهدي، وجملة يشاء صلة، ويضرب الله فعل مضارع وفاعل، والأمثال مفعول به، وللناس متعلقان بيضرب، والله: الواو استئنافية، أو: عاطفة، والله مبتدأ، وبكل شيء متعلقان بعليم، وعليم خبر الله. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذْنَ اللَّهَ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ في بيوت صفة لمشكاة، أي: كمشكاة في بيوت، أو لصباح، أو لزجاجة، أو متعلقان بيوقد، وعلى هذا لا يوقف على عليم، ولك أن تقف على عليم فتعلقه بمحدوف تقديره: سبحوه في بيوت، أو بيسبح، وقال ابن الأنباري: سمعت أبا العباس يقول: هو حال للمصباح، والزجاجة، والكوكب، كأنه قيل: وهو في بيوت، وقيل: متعلقان بتوقد، أي: توقد في بيوت، وجملة «أذن الله» صفة لبيوت، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: في أن ترفع، ويدرك عطف على ترفع بالبناء للمجهول، وفيها متعلقان بذكر، واسمها نائب فاعل. ﴿يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا يَالْفُدُوقُ وَالْأَصَالُ﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإثناء الركوة﴾ الجملة صفة ثانية لبيوت، وله متعلقان بيسبح، وبالغدو والأصال حال، ورجال فاعل يسبح، وجملة لا تلهيهم صفة لرجال، وتجارة فاعل تلهيهم، ولا بيع عطف على تجارة، وعن ذكر الله متعلقان بتلهيهم، وما بعده عطف على ذكر الله. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ﴾ الجملة صفة ثانية لرجال، أو حال من مفعول تلهيهم، ويخافون فعل وفاعل، ويوماً مفعول به لا ظرف، وجملة تنقلب صفة ليوماً، وفيه متعلقان بتقلب، والقلوب فاعل تقلب، والأبصار عطف على القلوب. ﴿لِجَزِيَّهُمُ اللَّهُ أَحَسَنَ مَا عَمَلُوا وَيَرِدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ اللام للتعليل، ويجزىهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والهاء

مفعول به أول، والله فاعل، وأحسن مفعول به ثان، وما مضاف إليه، وجملة عملوا صلة، ويزيدهم عطف على ليجزيهم، ومن فضلهم متعلقان بيزيدهم.
 ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الواو استثنافية، والله مبتدأ، وجملة يرزق خبر، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وبغير حساب حال.

□ البلاغة:

حفلت هذه الآيات بأفاني شتى من البلاغة والبيان، ونسهب فيها بعض الشيء، جرياً على ما درجنا عليه في هذا الكتاب، وسنوزع هذه المباحث نجوماً متالية:

١- التشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والمراد به المضمر الأداة، وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه، وإنما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولو جازته بسبب هذا الحذف، وقد تكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه، وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساع فيها هذا التشبيه؛ لأن النور كما هو معلوم كيفية، أو عرض يدرك بالبصر، فلا يصح حله على الذات المقدسة، وأحسن ما يقال فيه: أن التشبيه جارٍ على التقرير للذهن، أي: به تعالى وبقدرته أنارت أضواء السماء والأرض، واستقامت أمرها؛ لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات، أو أنه على التجوز، أي: منور السماء والأرض، أو: بتقدير مضاف، كقولك: زيد عدل، أي: ذو عدول.

٢- التشبيه المرسل في قوله: ﴿مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكَوْرٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ...﴾ الآية، فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة، وهي الكاف، والمراد: أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناحر فيه المشكاة، والزجاجة، والمصباح، والزيت حتى لم تبقية مما يقوى النور، واختلفوا في هذا التشبيه: هل هو تشبيه تشيلي، أي: مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، بل قصد تشبيه هداه وإتقانه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور؛ الذي تخدونه، وهو أبلغ صفات النور عندكم؟ أو تشبيه غير تشيلي،

أي : غير مركب ، قصد فيه مقابلة جزء بجزء ؟

وأجاز القرطبي الوجهين ، وهذا نص عبارته :

« قوله : ﴿مَثُلْ نُورِهِ﴾ أي : صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن ، والدلائل تسمى نوراً ، وقد سمي الله تعالى كتابه نوراً ، فقال : ﴿وَأَنَّا لِكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ وسمى نبيه نوراً فقال : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُلُونَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنْ أَنَّ اللَّهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين ، وكذلك الرسول ، ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ، ومبنينا ، وواضعها ، وتحتمل الآية معنى آخر ، ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من المثل به ، بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة ، وذلك : أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق ، وبراهينه الساطعة على الجملة ، بهذه الجملة من النور ، الذي تخذلونه أنتم على هذه الصفة ؛ التي هي أبلغ صفات النور ؛ الذي بين أيدي الناس ، فمثل نور الله في الوضوح لهذا الذي هو متهاكم أيها البشر ».

وأبدع الكرخي في تحديده هذا التشبيه التمثيلي فقال : « .. ومثل الله نوره ، أي : معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس ، مع أن نورها أتم ؛ لأن المقصود تمثيل النور في القلب ، والقلب في الصدر ، والصدر في البدن بالمصباح ، والمصباح في الزجاجة ، والزجاجة في القنديل ، وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو : لي اجتمعها كالذهن ، والفهم ، والعقل ، والبيضة ، وغيرها ، وأن نور الشمس يشرق متوجهاً إلى العالم السفلي ، ونور المعرفة يشرق متوجهاً إلى العالم العلوي ؛ نور المصباح ، ولكرة نفع الزيت ، وخلوصه مما يخالطه غالباً ، وقع التشبيه في نوره دون نور الشمس ، مع أنه أتم من نور المصباح ».

٣ - الطلاق : في قوله تعالى ﴿لَا شَرِيقَةَ لَلَّهِ﴾ وقد تكلم علماء البيان كثيراً عن هذا الطلاق ، والمقصود منه .

قال الزمخشري : «وقيل : لا في مضحى ولا في مقناة (وهو المكان الذي لا تطلع عليه الشمس) ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها ، وذلك أجود لحملها ، وأصفى لدهنها ، قال رسول الله ﷺ : «لا خير في شجرة في مقناة ، ولا نباتٍ في مقناة ، ولا خير فيما في مضحى» وقيل : ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط ، بل تصيبها بالغدة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية» .

ولابن الأثير كلام لطيف في هذا الصدد قال : «أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح ، فإن هذا مثال ضربه للنبي ﷺ ، ويدل عليه أنه قال : ﴿يُوَقِّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةً لَا شَرِقيَّةً وَلَا غَرَبِيَّةً﴾ وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجياً ، وذلك أن قلب النبي ﷺ وما أُلقي فيه من النور ، وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة ؛ التي كأنها كوكب لصفائها ، وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية ، فإنها عبارة عن ذات النبي ﷺ لأنها من أرض الحجاز ؛ التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب ، وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار ، والمراد بذلك : أن فطرته فطرة صافية من الأكدار ، منيرة من قبل مصافحة الأنوار» .

٤ - التنکير : في تنکير قوله : ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ضرب من الفخامة والبالغة لا أرقى ، ولا أجمل منه ، فليس هو نوراً واحداً معيناً ، أو غير معين فوق نور آخر مثله ، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط ، بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحدّ معين . وقد استهوى هذا التعبير شعراً نا العرب ، فرمقوا سماءه ، قال أبو تمام يصف غربته في مصر :

أَخْسَأَ أَعْوَامِ مَضَتْ لِمَغِيْهِ وَشَهْرَانِ بَلْ يَوْمَانِ ثَكَلُ عَلَى ثَكَلِ

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَرْقَ على أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَرِيدُ وَعَبْرَةً تَتَرَقْرُقُ

وقال شوقي في العصر الحديث يرثي المرحوم فوزي الغزي أحد أعلام دمشق :

جُرح على جُرح حنانك جلق حملت ما يُوهى الجبال ويرهق
 ٥ - تشابه الأطراف : وهو أن ينظر المتكلم إلى لفظة وقعت في آخر جملة من الفقرة في النثر ، أو آخر لفظة وقعت في آخر المصراع الأول في النظم ، فيبتدىء بها . . . تأمل في تشابه أطراف هذه الجمل المتلاحقة : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكُوفٍ فِيهَا مَصَاحِحُ الْمِصَاحِ فِي نَجَاهَةِ الرَّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ . ومن أمثلة الشعر في قول ليلي الأخيلية في الحجاج بن يوسف :

إذا نزل الحجاج أرضًا مريضة
 تتبع أقصى دائئها فشفاها
 شفاها من الداء العضال الذي بها
 غلام إذا هز القناة سقاها
 سقاها فرواها بشرب سجاله
 دماء رجال يملبون حرهاها

وجميل قول أبي تمام :
 هوئي كان خلساً إِنَّ مِنْ أَبْرَدِ الْهَوَى
 هوئي جلت في أفنائه وهو خامل
 أبا جعفر إِنَّ الْجَهَالَةَ أَمْهَا
 ولُودٌ وَأَمُّ الْعِلْمِ جَدَاءُ حائِلُ
 فَكُنْ هَضْبَةً نَأَوِي إِلَيْهَا وَحَرَّةً
 يُعَرِّدُ عَنْهَا الْأَعْوَجِيُّ الْمُنَاقِلُ
 فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ ضَرْبٍ مُنَاسِبٌ
 مَنَاسِبَ رُوحَانِيَّةً مَنْ يُشَاكِلُ

وينسب لأبي نواس قوله :
 خزيمة خيربني حازم
 وحازم خير تميم دارم
 ودارم خير تميم وما
 إلا البهاليلبني هاشم
 لهم سيف لبني هاشم

وقد يكون تشابه الأطراف معنياً، وهو: أن يختتم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى لا في اللفظ، كقول محمد بن عبيد الله السّلامي:

بِدَائِعُ الْحَسْنِ فِيهِ مُفْتَرَقَه
وَأَعْيُنُ النَّاسَ فِيهِ مُتَفَقَّهَه
سَهَامُ الْحَاظَهِ مُفْوَقَه
فَكُلُّ مَنْ رَامَ لَحْظَهِ رَشَقَه
قَدْ كَتَبَ الْحَسْنُ فَوْقَ عَارِضَه
هَذَا مَلِيقُ وَحْقٍ مَنْ خَلَقَه
فَالرَّشْقُ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي يَنْسَابُ السَّهَامُ فِي أَوْلَهِ.

وجميل قول السري الرفاء:

إِبْرِيقَنَا عَاكِفٌ عَلَى قَدْحٍ
كَأَنَّهُ الْأَمْ تَرْفَعُ الْوَلَدَا
أَوْ عَابِدٌ مِنْ بَنِي الْمَجَوسِ إِذَا
تَوَهَّمَ الْكَأسَ شَعْلَةً سَجَدا
فَالسَّجُودُ مَنْسَابٌ لِلْعَابِدِ فِي أَوْلِ الْبَيْتِ.

وبلغ ابن الرومي الغاية في وصف معنوية:

جَاءَتْ بِوْجَهِ كَأَنَّهُ قَمْرٌ
عَلَى قَوَامٍ كَأَنَّهُ غَصَنٌ
غَنَثٌ فَلَمْ تَبْقَ فِيَ جَارِهِ
إِلَّا تَمْنَيْتُ أَنْهَا أَذْنَ
فِي الْأَذْنِ تَنَاسِبُ ذَكْرَ الْغَنَاءِ فِي أَوْلِ الْبَيْتِ.

- استدراك على بعض النقاد:

هذا؛ وقد خفيت على بعض علماء البيان أسرار التشابه في الأطراف، فجزم بأنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام، فينبغي أن تعاد بعينها في آخره، ومتى عدل عن ذلك كان معيناً، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام، وقول أبي الطيب المتنبي، فقال: إن أبي تمام أخطأ في قوله:

بَسْطَ الرَّجَاءِ لَنَا بِرَغْمِ نَوَابِ
كَثُرْتُ بِهِنْ مَصَارُعُ الْآمَالِ
فَحِيثُ ذَكْرُ الرَّجَاءِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَعِيدَ ذَكْرَهُ أَيْضًا فِي
عِزْجَهِ، أَوْ كَانَ ذَكْرُ الْآمَالِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ وَعِجْزَهُ، وَكَذَلِكَ أَخْطَأَ أَبُو الطَّيْبِ
فِي قَوْلِهِ:
إِنِّي لِأَعْلَمُ - وَاللَّبِيبُ خَيْرٌ - أَنَّ الْحَيَاةَ - وَإِنْ حَرَصْتَ - غَرَورٌ

فإنه قال: «إني لأعلم وللبيب خبر» وكان ينبغي أن يقول: إني لأعلم وللبيب علیم؛ ليكون ذلك تقبلاً صحيحاً.

هذا ما ذكره الناقد، وليس شيء؛ لأن المعتمد عليه في هذا الصدد أنه إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز.

٦- المجاز العقلي: في قوله: **﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تُنَقَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ﴾** فقد أُسند إلى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفزع.

وفي قوله: **﴿يَكَادُ زَمِنًا يُضَيِّعُهُ وَلَوْ لَقِتَ حَسَّسَةً نَارًا﴾** فن الغلو، وهو الإفراط في وصف الشيء المستحيل عقلاً وعادة، وهو ينقسم إلى قسمين: مقبول وغير مقبول، فالمقبول لا بد أن يقرره الناظم إلى القبول بأداة التقريب، إلا أن يكون الغلو في مدح النبي ﷺ، فلا غلو حينئذ، ويجب على الناظم أن يسبكه في قالب التخيّلات؛ التي تدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة كالآية الكريمة، فإن إضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلاً، ولكن لفظة يكاد قربته، فصار مقبولاً.

والقسم الثاني، وهو الغلو غير المقبول، كقول أبي نواس:

وَأَخْفَتَ أَهْلَ الشَّرِّ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقْ

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْنَاهُمْ كَسَرَبٌ يَقِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءٌ حَقَّ إِذَا
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَلَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** أو
كُظُلْمَتِي فِي بَحْرِ لَحْيٍ يَغْشَلُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلْمَتِي
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُرُ لَهُ يَكْدُرُ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
نُورٍ **﴿﴾**

☆ اللَّفْظَةُ:

﴿كَسَرَبٌ﴾: السراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر، كأنه ماء

تعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها، ويضرب به المثل في الكذب والخداع. يقال: هو أخدع من السراب، وسمي سرابة لأنّه يتسرّب، أي: يجري كالماء، يقال: سرب الفحل، أي: مضى وسار، ويسمى الآل أيضاً، ولا يكون إلا في البرية والحر، فيغترّ به الظمآن.

﴿بِقِيَعَةٍ﴾: القيعة بمعنى القاع، أو جمع قاع، وهو: المنبسط المستوي من الأرض، وفي «الصحاح»: «والقاع: المستوى من الأرض، والجمع أقواع، وقيعان، فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها، والقيعة مثل القاع، وهو أيضاً من الواوي، وبعضهم يقول: هو جمع». وقال الhero: «والقيعة جمع القاع، مثل: جيرة وجار». وفي «الأساس»: «هو كسراب بقيعة وبقاع، ونزلوا بسراب قيungan، ولهم قاعة واسعة، وهي عرضة الدار، وأهل مكة يسمون سفل الدار: القاعة، ويقولون: فلان قعد في العلية، ووضع قماشه في القاعة، وقال:

سائلٌ مجاورٌ جَزِيمٌ هُلْ جَنِيتُ لَهُمْ
حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ
وَهُلْ تَرَكَتْ نِسَاءُ الْحَيِّ ضَاحِيَةً
فِي قَاعَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقَدْنَ بِالْغُبْطِ

وفي «القاموس» و«التاج» ما يفهم منه أن القاع: أرض سهلة مطمئنة، قد انفرجت عنها الجبال والأكاد، ويجمع على: أقواع، وأقوع، وقيع، وقيعان، وقيعة.

﴿لُجَى﴾: اللجي: العميق، الكثير الماء، منسوب إلى اللج، وهو معظم البحر، هكذا قال الزمخشري، وقال غيره: منسوب إلى اللجة بالباء، وهي أيضاً معظم.

○ الـأـكـرـابـ:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَقَّ إِذَا جَاءَهُمْ لَهُمْ

يَحِدُّهُ شَيْئاً》 كلام مستأنف، مسوق لبيان حال عمل من لا يعتقد الإيمان، ولا يتبع الحق بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم، وهو: ﴿مَثُلُّ نُورُهُ كِشْكَوْفٍ﴾، والذين مبتدأ أول، وجملة كفروا صلة الموصول، وأعمالهم مبتدأ ثان، وكسراب خبر الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول، وجملة يحسبه الظمان صفة لسراب، وماء مفعول به ثان ليحسبه، وحتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاءه في محل جر بالإضافة الظرف إليها، وجملة لم يجده لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وشيئاً في موضع المصدر، أي: لم يجده وجданاً، وقيل: شيئاً هنا بمعنى: ما قدره، وظنه، فهي مفعول به ثان ليجده، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْسَلَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الواو حرف عطف، ووجد فعل ماض وفاعل مستتر، ولفظ الجلالة مفعول به، وعنه متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لوجد، أي: كائناً عند السراب، أو العمل، فوفاه: الفاء عاطفة، ووفاه فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وحسابه مفعول به ثان، أي: جازاه عليه في الدنيا، والله مبتدأ، وسريع الحساب خبر.

﴿أَوْ كَظُلْمَتِ فِي بَحْرٍ لَّهِ يَغْشِيهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ أو حرف عطف، قيل: هي للتقسيم، أو للتخيير، أي: أن عمل الكافر قسمان: قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء، أو أن عمل الكافر لاغ لا منفعة له كالسراب، ولكونه خالياً من نور الحق كالظلمات المتراكبة، والحنادس المدلهمة. قال الزجاج: «أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار كما أنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات، فهي أيضاً تشبه الظلمات، وأنها إن مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب، وإن مثلت بما يرى فهي بهذه الظلمات التي وصف». وقال أيضاً: «إن شئت مثل بالسراب، وإن شئت مثل بهذه الظلمات، فأول للإباحة».

والجار والجر ونسق على كسراب، على حذف مضاف تقديره: أو كذبي ظلمات، ويدل على هذا المضاف قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَهُ يَكْدِيرُهَا﴾ أو على حذف مضافين، تقديرهما: كأعمال ذي ظلمات، وفي بحر صفة لظلمات،

ولجي صفة لبحر، وجملة يغشاه موج صفة ثانية لبحر، وموج فاعل، ومن فوقه خبر مقدم، وموج مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لموج الأولى، وجملة من فوقه سحاب صفة لموج الثانية. ﴿ ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَرَقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَوْيَكَدْ يَرْهَهَا ﴾ ظلمات خبر لمبدأ ممحذف، أي: هذه ظلمات، والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها، وبعضها مبتدأ، وفوق بعض: الظرف متعلق بممحذف خبر، والجملة صفة لظلمات، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة أخرى في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفاعل أخرى ضمير الواقع في البحر المرتظم فيه، ويده مفعول به، ولم حرف نفي وقلب وجذم، ويکد فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها ضمير مسند تقديره: هو، وجملة يراها خبر يکد وجملة لم يکد يراها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ الواو استثنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ولم حرف نفي وقلب وجذم، ويجعل فعل الشرط، والله فاعل، وله مفعول به ثان، ونوراً مفعول به أول ل يجعل، والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية، وما نافية، وله خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ونور مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء حلاً، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ.

□ البلاغة:

وقد انطوت هذه الآية على أفالين من البلاغة، ندرجها فيما يلي:

- ١ - التشبيه المرسل: فقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه الحاسة، ولو قيل: يحسبه الرائي ماء لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمان أشد حرضاً عليه، وأكثر تعلق قلب به. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه، وأبلغه، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة الألفاظ، وصحة الدلالة، وصدق التشليل؟!

- ٢ - التشبيه التمثيلي: وقوله: ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُمْ ﴾ تشبيه تمثيلي، أي: وجد عقابه، وزبانية عذابه، ووجه التشبيه: أن الذي يأتى به الكافر من أعمال البر،

ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى، وليس كذلك، فإذا واف عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يطنه، بل وجد العقاب العظيم، والعذاب الأليم، فعظمت حسرته، وتناهى غمّه، فشبه حاله بحال الظمان؛ الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه، فإذا جاءه لم يجده شيئاً، فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه، فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أثني عنده شيئاً.

٣ - العطف على محدود: في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ عطف على مقدر، وليست الجملة معطوفة على: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً، كأنه قيل: حتى إذا جاء الكفرة يوم القيمة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة، لم يجدوها شيئاً، ووجدوا حكم الله، وقضاءه لهم بالمرصاد.

٤ - المبالغة في التشبيه: وهذا في قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُو لَمْ يَكُدْ يَرَهَا﴾ وقد اختلف الناس في تأويل هذا الكلام، ويقاد الإجماع ينعقد على أن المعنى أنه لا يرى يده، فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجه^(١):

أحدها: أن التقدير لم يرها ولم يكُد، وهذا غير واضح؛ لأن نفي للرؤيه، ثم إثبات لها.

ووجه ثان: وهو أن كاد زائدة، ولا مساغ له في القرآن، فالوجه إذاً أنه لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها، ومثله قول ذي الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكُدْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حَبْ مَيَّةَ يَبْرُحُ
أَيْ: لَمْ يقرب من البراح، والنَّأْي: البعد، ويقال: رس وأرس؛ إذا لزم،
والرسيس: بقية المرض، ويبرح: يذهب، وروي: أن ذا الرمة لما قدم الكوفة
اعتراض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدل على زوال رسيس الهوى، فغیره

(١) ذكر المؤلف - رحمة الله - وجهين لا ثلاثة.

بقوله: لم أجد، وقال ابن عتبة: حدثت أبي بذلك، فقال: أخطأ ابن شبرمة، وأخطأ ذو الرمة في تغييره، وإنما هو كقوله تعالى: ﴿لَوْ يَكُدْ يَرَهَا﴾ وبعد البيت:

فلا القرب يدنو من هواها ملالة
ولا حبها إن تنزح الذار ينزع

﴿أَلَّرْتَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسِيْحُ لَهُ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيرَ صَفَقَتِ كُلُّ قَدْ عَلَمَ
صَلَانِهِ وَتَسَبِّحُهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعُولُنَّ ﴿١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ أَلَّرْتَرَ أَنَّ اللَّهَ يُنْجِي سَحَابًا شَمَّ يَوْلُفُ بَيْنَهُ شَمَّ يَجْعَلُهُ رَكَامًا فَرَى الْوَدْفَ
يَخْرُجُ مِنْ خَلْلِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرُفُهُ عَنْ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَهُ يَدْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٣﴾ يُقْلِبُ اللَّهُ أَيْلَهُ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعْبَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَرِ ﴿٤﴾﴾

☆ المفتاح:

﴿وَالطَّيرُ﴾: قال: أبو عبيدة وقطرب: الطير يقع على الواحد والجمع. وقال ابن الأباري: الطير: جماعة، وتأنيتها أكثر من التذكرة. وفي «المصبح»: «الطائر على صيغة اسم الفاعل، من: طار يطير طيراناً، وهو له في الجو كمشي الحيوان في الأرض، ويعتدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: طيرته، وأطربته. وجع الطائر: طير، ومثل صاحب وصاحب، وراكب وركب. وجع الطير: طيور، وأطياف».

﴿صَفَقَتِ﴾: باسطات أجنحتهن في الهواء.

﴿يُنْجِي﴾: يسوق. وفي «المختار»: «زجي الشيء ترجية: دفعه برفق، وتزجي بكذا: اكتفى به، وأزجي الإبل: ساقها، والمزجي: الشيء القليل، وبضاعة مزجاً: قليلة، والريح ترجي السحاب، والبقرة ترجي ولدها».

تسوقة». وفي «القاموس» وشرحه: «زجا يز جواز جواً، زجي تزجية، وأزجي إِزْجاء، وازدجاه: ساقه، ودفعه برفق. يقال: كيف تزجي أيامك؟ أي: كيف تدفعها؟ وزجي فلان حاجتي، أي: سهل تحصيلها، وأرجى الأمر: أخره، وأرجى الدرهم: روجه». ومنه قول النابغة:

إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ وَطَنِي

أَرْجِي حشَاشَةَ نَفْسٍ مَا بِهَا رَمَقَ

﴿رَكَامًا﴾: الركام - بضم الراء -: المتراكم بعضه فوق بعض، وفي «المختار»: «رکم الشيء؛ إذا جمعه، وألقى بعضه على بعض»، وبابه: نصر، وارتکم الشيء وترکم: اجتمع، والرکام: الرمل المتراكم، والسحب ونحوه».

﴿الْوَدْق﴾: المطر، قيل: هو خاص بالضعف، وقيل: هو المطر ضعيفاً كان أو شديداً، وهو في الأصل مصدر، يقال: ودق السحاب يدق، من باب: وعد.

﴿سَنَاء﴾: في «المختار»: «السناء - مقصور -: ضوء البرق، والسنا أيضاً: هو نبت يُنْدَأُ به، والسناء من الرفعه مددود، والشيء الرفيع، وأسناء: رفعه، وسناء تسمية: فتحه، وسهله».

○ الابرار:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير هذه الحقيقة، فالهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجذم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر؛ لأن الروية هنا قلبية؛ لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر، أي: قد علمت علماً يشبه المشاهدة في اليقين، وجملة يسبح خبر، وله متعلقان يسبح، ومن فاعل يسبح، وفي السموات والأرض صلة من. ﴿وَالْطَّيْرُ صَنَّتِ كُلُّ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَانِهِ وَسَيِّحَهُ وَاللَّهُ

عَلِمْ بِمَا يَفْعُلُكَ ﴿الواو للعطف، والطير عطف على من، وصفات حال، ومفعول صفات مذوف، أي: باسطات أجنحتها، وكل مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، وجملة قد علم خبر كل، وفاعل علم يعود على كل، أو: على الله، ويقول أبو البقاء: إن عودته على «كل» أرجح لأن القراءة برفع كل على الابتداء، فيرجع ضمير الفاعل إليه، ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الأولى نصب كل؛ لأن الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سبها، فيصير كقولك: زيداً ضرب عمرو غلامه، فتنصب زيداً بفعل دل عليه ما بعده، وهو أقوى من الرفع، والأخر جائز». وصلاته مفعول به، وتسييحة عطف على صلاته، والله مبتدأ، وعلم خبر، وبما متعلقان بعلم، وجملة يتعلون صلة ما.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ الواو استئنافية، والله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وإلى الله خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر. ﴿أَلَّا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤْلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رَكَامًا﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر، وقد تقدم إعراب نظيره، ثم حرف عطف، ويؤلف عطف على يزجي، وبينه ظرف متعلق بيؤلف، ودخلت بين على مفرد، وهي إنما تدخل على المثنى فما فوقه؛ لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس، فعاد الضمير على حكمه وإما أن يراد أنه على حذف مضاف، أي: بين قطعه، فإن كل قطعة سحابة، ثم حرف عطف، و يجعله فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وركاماً مفعول به ثان. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْلِهِ وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَقٍ﴾ الفاء عاطفة، وترى الودق فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول به، وجملة يخرج حال؛ لأن الرؤية - هنا - بصرية، ومن خلاله متعلقان يخرج، أي: من فتوقه وخارجه، جمع خلل، كجبل وجبال، وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقدم إعرابها، ونعيده هنا للتقوية، فمن الأولى ابتدائية متعلقة بيتزل، وكذلك الثانية فهي بدل بإعادة العامل، وفيها صفة جبال، ومن برد

للتبسيض، وهي و مجرورها في موضع مفعول الإنزال، وقيل: هي للبيان، أي: ف تكون حالاً وتكون من جبال هي في موضع مفعول الإنزال، وأجمل بعضهم إعراب الآية، فقال: والحاصل أن من في «من السماء» لابتداء الغاية بلا خلاف، ومن في «من جبال» فيها ثلاثة أوجه:

الأول: لابتداء الغاية، ف تكون هي و مجرورها بدلاً من الأولى بإعادة الخافض بدل اشتغال.

الثاني: أنها للتبسيض، ف تكون على هذا هي و مجرورها في محل نصب على أنها مفعول الإنزال، كأنه قال: وينزل بعض جبال.

الثالث: أنها زائدة، أي: ينزل من السماء جبالاً.

وأما من في «من برد»، ففيها أربعة أوجه:

الثلاثة المتقدمة، والرابع: أنها لبيان الجنس، فيكون التقدير على هذا الوجه: وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد.

وقال الزجاج: «ومعنى الآية: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد، أي: خاتم حديد في يدي؛ لأنك إذا قلت: هذا خاتم من حديد، وخاتم حديد كان المعنى واحداً». وعلى هذا يكون «من برد» في موضع جر صفة لجبال، كما كان من حديد صفة خاتم، ويكون مفعول ينزل: من جبال، ويلزم من كون الجبال بردًا أن يكون المنزل بردًا.

وذكر أبو البقاء أن التقدير شيئاً من جبال، فحذف الموصوف، واكتفى بالصفة.

﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُ عَنْ مَن يَشَاءُ﴾ الفاء عاطفة، و يصيّب فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، وبه متعلقان يصيّب، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة الموصول، ويصرفه عنمن يشاء عطف على الجملة السابقة، وهي ماثلة لها. ﴿يَكَادُ سَنَا بَرَقَهُ يَدْهَبُ إِلَيْهِ أَبْصَرٍ﴾ يُقلّب الله أَيْلَ

وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ》 الجملة صفة لبرد، ويکاد فعل مضارع من أفعال المقاربة، وسنا برقة اسمها، وجملة يذهب بالأبصار خبرها، وجملة يقلب تفسير لما قبلها، فلا محل لها، والله فاعل يقلب، والليل مفعول به، والنهر عطف على الليل، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وعبرة اسمها المؤخر، وأولي الأبصار صفة لعبرة، والأبصار بمعنى البصائر.

□ البلاغة:

١- فن العنوان:

في قوله: ﴿أَلَّا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِحُ سَحَابًا﴾ الآية، فن انفرد به القليل من علماء البيان، وهو: فن العنوان، وعرفوه بأنه: أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف، أو فخر، أو مدح، أو عتاب، أو هجاء، أو غير ذلك من الفنون، ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة، وقصص سالفة، ومنه نوع عظيم جداً، وهو ما يكون عنواناً للعلوم، وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم، ومداخل لها؛ والآية التي نحن بصددها فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية، والجغرافيا الرياضية، وعلم الفلك، ومن أمثلته في الشعر قصيدة أبي فراس الحمداني:

أَسِيرٌ لِدِي الْأَعْدَاءِ جَافِي الْمَرَاقِدِ مَشَانِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرِ فَرَائِدِ وَأَعْدَدْتُ لِلْأَعْدَاءِ كُلَّ مَجَالِدِ أَنْتَهُ الرَّزَايَا مِنْ وَجُوهِ الْفَوَائِدِ وَكَانَ يَرَاهَا عَذَّةً لِلسَّدَائِدِ حَلِيلَتِهِ الْحَسْنَاءِ يَا أَمَّ خَالِدِ بُنُوهُ وَأَهْلُوهُ بَشَدُّو الْقَصَائِدِ	خَلِيلٌ مَا أَعْذَدْتُمَا لَتِيسِمْ فَرِيدٌ عَنِ الْأَحْبَابِ لَكُنْ دَمْوَعَهِ جَمِعَتْ سَيُوفُ الْهَنْدِ مِنْ كُلِّ وَجْهَهِ إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَدَّةَ فَقَدْ جَرَتْ الْحِنَافَاءِ حَتْفَ جَذِيمَةِ وَجَرَتْ مَنَايَا مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ وَأَرْدَى ذَوَابًا فِي بَيْوَتِ عَتِيقَةِ
---	---

فهذه القصص التي استطرد إليها أبو فراس تكميلًا لقصده وتدعمًا لرأيه مشهورة ومعروفة، ويمكن الرجوع إليها في مطانها بكل سهولة.

وقال الفرزدق لحرير:

فهل أنت إن ماتتْ أتانُك راكبُ
إلى آلِ بسطام بن قيس فخاطب
وإنِي لأشْخى إِن خطيتَ إِلَيْهِم
عليك الذي لاقى يسار الكواكب

ومن حديث يسار أنه كان عبداً أسود، يرعى لأهله إبلًا، وكان معه عبد يراعيه، وكان لولى يسار بنت، فمررت يوماً بإبله، وهي ترعى في روض معشب، فجاء يسار بعلبة لبن وسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسمت، ثم شربت، وأخذت مضجعها، فانطلق فرحاً حتى أتى العبد الراعي، وقصّ عليه القصة، وذكر فرحة بتبسّمها، فقال صاحبه: يا يسار كل من لحم الحوار، واشرب لبن العشار، وإياك وبنات الأحرار، فقال له: دحكت لي دحكة لا أخيتها، يريد: ضحكت لي ضحكة، ثم قام إلى علبة فملأها، وأتى إلى ابنة مولاه، فنبهها، فشربت ثم اضطجعت، فجلس العبد حذاءها، فقالت: ما جاء بك؟ فقال: ما خفي عنك ما جاء بي، فقالت: فأي شيء هو؟ قال: دحلك الذي دحكت لي، فقالت: حياك الله، ثم قامت إلى سفط لها، فأخرجت منه بخوراً ودهناً، وعمدت إلى موسى، ودعت بمجمرة، وقالت له: إن ريحك ريح الإبل، وهذا دهن طيب، فوضعت البخور تحته، وطأت أثوابها تصلح البخور، وأخذت مذاكيه، وقطعتها بالموسى، ثم أشمته الدهن، فسللت أنفه وأذنيه، وتركته، فصار مثلاً لكل جانٍ على نفسه، ومتعدّ طوره.

وزعيم هذا الباب أبو تمام، فقد كان من أهم مميزات شعره: استخدامه الحوادث القديمة والحديثة في أماديجه خاصة، كقوله يمدح أبا دلف:

إذا انتخرت يوماً قيم بقوسها
 وزادت على ما وطدت من مناقبِ
 فأنتم بذى قارِ أمالت سيفُكم
 عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجبِ

فقد ارتقى بمديحه إلى ذكر قصة قوس حاجب، وخلاصتها: أن حاجب بن زراراً - سيدبني قيم - أتى إلى كسرى في سنة جدب يستميره، فقال له كسرى: وما ترهنني؟ قال: قوسي، فاستعظمه، وقدم له ما طلب، فضرب بقوس حاجب المثل عند العرب، ثم كانت وقعة ذي قار، وانتصر العرب على العجم لأول مرة، وحرروا أرضهم من استعمارهم، وكان الفضل يعود إلى بني شيبان الذين يمت إليهم المدوح بالنسبة، فقال أبو تمام منوهاً بذكر هذه الحادثة.

ويطول بنا الحديث إن تقصينا ما ورد في هذا الباب، فحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد.

٢- المبالغة، أو الإفراط في الصنعة:

وفي قوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِيَّ يَدْهَبُ﴾ فن سماء ابن المعتز: الإفراط في الصنعة، وسماء قدامة: المبالغة، وسماء من بعدهما: التبلیغ، والناس على تسمية قدامة، وعرفه بقوله: «هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزاءٍ، فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده». وقد قدمنا في مكان آخر من هذا الكتاب ضرورة المبالغات في الكتاب العزيز، فلا حاجة إلى الإعادة، ونقف عند الضرب الخامس الذي منه هذه الآية، وهو ما جرى مجرى الحقيقة، وهو قسمان:

قسم: كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كهذه الآية، فإن اقتران هذه الجملة بيکاد يصر لها إلى الحقيقة، فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان.

وَقُسْمٌ: أُتِيَ بِصِيغَةِ اسْمِ التَّفْضِيلِ، وَهُوَ مُحْضُ الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةِ، كَقُولَهُ تَعَالَى: «أَنَا أَكْثَرُكُمْ مَا لَا وَأَعْزُّ نَفَرًا» وَقَدْ تَقْدِمُ الْقُولُ فِيهِ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَاءٍ فَيَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ بُيَّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَيَقُولُونَ أَمَّا مَا يُنَزَّلَ إِلَيْكُمْ وَالرَّسُولُ وَأَطْعَنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمْ حُكْمٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾

○ الإعراب:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَاءٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أصناف الخلق، والله مبتدأ، وجملة خلق خبر، وكل دابة مفعول به، ومن ماء جار ومحروم متعلقان بخلق، أي: نطفة بحسب الأغلب. ﴿فَيَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ الفاء تفريعية، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يمشي صلة الموصول، وعلى بطنه متعلقان بيمشي، ومنهم من يمشي على رجلين عطف على ما سبقه. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ عطف، وسيأتي سر ذكر من لغير العاقل في باب البلاغة. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يخْلُقُ الله ما يشاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وجملة يشاء صلة، وإن الله: إن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر إن. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ بُيَّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر آياته سبحانه على طريق الالتفات، كما سيأتي في باب البلاغة، واللام جواب للقسم الممحوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وأيات مفعول به، ومبيمات صفة، والله مبتدأ، وجملة يهدي خبره، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وإلى صراط متعلقان بيهدي، ومستقيم صفة.

﴿ وَيَقُولُونَ إِمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطْعَنَا ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان حال المنافقين، ويقولون فعل مضارع مرفوع وفاعل، وجملة آمنا مقول القول، وأمنا فعل وفاعل، وبالله متعلقان بأمنا، وبالرسول عطف على بالله، وأطعنا عطف على آمنا. ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ قَنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم حرف عطف، ويتوالى فعل مضارع مرفوع، وفريق فاعل، ومنهم صفة، ومن بعد ذلك حال، والإشارة إلى القول المذكور، والواو حالية، وما نافية حجازية، وأولئك اسم إشارة في محل رفع اسم ما، والباء حرف جر زائد، والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب خلاً خبر ما، والجملة حالية. ﴿ وَإِذَا دُعَوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، ودعوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الله متعلقان بدعوا، ورسوله عطف على الله، والمراد: رسول الله، كقولك: أعجبني زيد وكرمه، تريده: كرم زيد، واللام للتعليل، ويحکم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بدعوا، وبينهم ظرف متعلق بيحکم. ﴿ إِذَا فِرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعَذِّبُونَ ﴾ إذا فجائحة، وقامت مقام الفاء فيربط الجواب بشرطه، وهو إذا الأولى، وفريق مبتدأ، ومنهم صفة، وهي التي سوغت الابتداء به، ومعرضون خبر فريق. ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمْ الْحُقْرُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويكون فعل الشرط، ولهم خبر يكن المقدم، والحق اسمها المؤخر، ويأتوا جواب الشرط، وإليه متعلقان يأتوا، ويجوز أن يتعلق بمذعنين، قال الرمخري: «وهذا أحسن لتقدير صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى: أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحث يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لثلا تتزعه من أحداهم بقضائك عليهم خصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحوكمتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم» ومذعنين حال، قال الزجاج: الإذعان: الإسراع مع الطاعة. وفي «القاموس»: «أذعن له: خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة».

□ البلاغة:

١- صحة التفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابِّةٍ﴾ الآية: فيها فن بديع من فنون البلاغة، سماه علماؤها: «صحة التفسير» وسماه ابن الأثير في «المثل السائر»: «التناسب بين المعاني»، وحده: أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، إما أن يكون مجملًا يحتاج إلى تفصيل، أو موجهاً يفتقر إلى توجيهه، أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه، ووقوع التفسير على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط، أو بعد ما فيه معنى الشرط، وطوراً بعد الجار والجرور، وأونه بعد المبتدأ الذي التفسير خبره. والآية التي نحن بصددها مما وقع بعد الجار والجرور، فقد ذكر سبحانه الجنس الأعلى مقدماً له حيث قال: ﴿كُلُّ دَابَّةٍ﴾ فاستغرق أجناس كل ما دب ودرج، ثم فسر هذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطة، والأنواع، حيث قال: ﴿فِئُنُّهُمْ﴾ و﴿وَمِنْهُمْ﴾ مراعياً الترتيب؛ إذ قدم ما يمشي بغير آلة لكون الآية سبقت لبيان القدرة، والتمدح بها، وتعجب السامعين منها، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بالآلة؛ فلذلك اقتضت البلاغة تقديمها، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل، فأتى بما يمشي على رجلين، وهو الإنسان والطائر لتمام خلق الإنسان، وكمال حسن صورته، وهيئته، وجمال تقويمه المقتضي تخصيصه بالعقل، ولما في الطائر من عجب الطيران في الهواء الدال على غاية الحفة، ونهاية اللطف، مع ما فيه من كثافة، وثبت بما يمشي على أربع؛ لأنه أحسن الحيوان البهيم، وأقربه تغليباً على ما يمشي على أكثر من أربع من الحشرات، فاستواعت جميع الأقسام، وأحسن الترتيب بالإضافة إلى الترتيب، والإشارة، والإرادة، وحسن النسق.

وعرفه صاحب «العمدة» بأنه أن يستوفي الشاعر شرح ما بدأ به بجملة، وقلما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد، ومثل له ببيتين للفرزدق، وهما:

لقد جئت قوماً لؤلؤات إليهم
طريداً دم أو حاماً ثقل مغزم

لألفيت منهم معظيّاً ومطاعناً

وراءك شرزاً بالوشيج المقوّم

واشتربت صاحب «العمدة» سلامته من سوء التضمين، قال: ومن جيد

التفسير قول حاتم الطائي، ويرى لعتيبة بن مرداس:

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي

يَجِدْ جَمْعَ كَفَّ غَيْرِ مَلَائِي وَلَا صِفْرٍ

يَجِدْ فَرْسًا مُثْلِ العَنَانْ وَصَارِمًا

حُسَاماً إِذَا مَا هُزِّ لَمْ يَرْضِ بِالْهَبْرِ

وَأَشَمَّ رَخْطِيًّا كَآنَ كُعُوبَةً

نَوْيَ القَسْبِ قَدْ أَرَبَّ ذِرَاعَ عَلَى الْعَشْرِ

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من التضمين؛ لأنّه لم يعلق كلامه بـ«لو»

كما فعل الفرزدق، ومثله قول عروة بن الورد:

وَإِنَّ امْرَأَ يَرْجُو تُرَاثَيْ وَإِنَّ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدَّاً لَقَلِيلٌ

وَمَالِيَ مَالَ غَيْرَ دِرْعٍ وَمَغْفَرٍ وَأَيْضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ

وَأَشَمَّ رَخْطِيًّا الْقَنَاءِ مُنَقَّفٌ وَأَجْرَدُ عَرِيَانُ السَّرَّاه طَوْيَلٌ

هكذا أنسدوه بالإقواء، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار، كأنه قال:

هو صقيل، أو قال: ولّي أيض من ماء الحديد، يعني: سيفه. وقال ذو الرمة

في التفسير:

ولِيلٌ كَجَلْبَابِ الْعَرْوَسِ ادْرَعْتَه

بِأَرْبَعَةِ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

أَحَمَّ عَلَافِيَّ وَأَيْضَ صَارِمٌ

وَأَعِسَ مَهْرِيَّ وَأَرْوَعَ مَاجِدٌ

فسر الأربعـة ما هي؟ ورفع على شـرط ما قدمـت من الإـضمار، كـأنـه قـيل

له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد؟ فقال : كذا ، وكذا ، وكذا .
ومضى صاحب «العمدة» يُورِدُ نماذجَ من التفسير ، إلى أن قال : «ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل ، وذلك ما أنت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :

مَنْ مُبِلِغُ الْأَعْرَابِ أَنِي بَعْدَهَا
جَالَسْتُ رَسْطَالِيسَ وَالإِسْكَنْدَرَا
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي
مَنْ يَسْخَرُ الْبَدْرَ الْفَضَارَ لِمَنْ قَرَى
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبَهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّلًا مُتَحَضِّرًا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَائِنًا
رَدَّ الْإِلَهُ نَفْوَسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا
نُسِقُوا لَنَا نَسْقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فَذِلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا

فقوله : «نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً» البيت تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس » هذا وقال الواهدي في شرح البيت الأخير : «جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود فما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله ثم تجمع تلك التفاصيل فيكتب في آخر الحساب فذلك كذا وكذا فيجمع في الجملة ما ذكر في التفاصيل ، كذلك أنت جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعمل والحكمة ».

وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :
إِنْ كُوَرِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وُجِدُوا
فِي الْخَطْ وَاللَّفْظِ وَالهَيْجَاءِ فُرْسَانًا

ففسّر، وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير، ومن التفسير الحلو قول كشاجم، واسمها محمود بن الحسين :

فِي فَمِهَا مِسْكُ وَمَسْمُولَةٌ
صِرْفٌ وَمَنْظُومٌ مِنَ الدُّرِّ
يَقْتَلُ لِلنَّكَهَةِ وَالخَمْرِ لِلثَّغْرِ

وَجَمِيلُ قَوْلِ ابْنِ هَانِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ :
الْمَدْنَفَاتُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كُلُّهَا
جَسْمَنِي وَطَرْفُ بَابِلٍ أَحْوَرُ
الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ الْمَنِيرُ وَجَعْفَرُ
وَالْمَشْرَقَاتُ الْنَّيَّارَاتُ ثَلَاثَةٌ

٢- التنکير :

ونکر الماء في قوله : ﴿مَنْ مَاءٌ﴾ وعرفه في قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ لأن المقصود في الآية هنا إظهار أن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة، ذكر تفاصيلها في آية النور والرعد، والمقصود في آية ﴿أَقْرَبَ﴾^(١) أنه خلق الأشياء المتفرقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع، فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة.

٣- الاستعارة :

الاستعارة في قوله : ﴿فِينِهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ فقد سمي الزحف على البطن مشياً على سبيل الاستعارة المكنية، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، ويقال: فلان لا يتمشى له أمر.

٤- التغليب :

وفي قوله : ﴿مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ . . . مَنْ يَسْتَوِي عَلَى أَرْجَعٍ﴾ تغليب للعاقل على غيره، وقد مرت له نظائر كثيرة لأنه لما احتلط غير العاقل بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة، كان التعبير بمن أولى لتوافق اللفظ.

وقيل: أوقع «من» على غير العاقل لما احتلط بالعاقل، ويحتمل أن تكون

(١) المقصود في الآية التي في السورة التي أولها ﴿أَقْرَبَ﴾، وهي سورة الأنبياء.

من نكرة موصوفة بالجملة بعدها، والتقدير: فمنهم نوع يمشي على بطنه، نوع يمشي على رجلين، ونوع يمشي على أربع على حد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال ابن هشام: «ويجوز في من أن تكون نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير: ومن الناس ناس يعبدون الله».

﴿أَفَ قُلُوبُهُمْ مَرْضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنَّ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمْرَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا أَطَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِمَا تَعْمَلُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿أَفَ قُلُوبُهُمْ مَرْضٌ أَمْ أَرْتَابُوا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقسيم الأمر في صدودهم عن حكمته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين أن يحيف عليهم لعرفتهم بحاله. والهمزة للاستفهام التقريري، ويبالغ به تارة في الذم، وتارة في المدح، وهو هنا من النوع الأول، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، وأم حرف عطف بمعنى بل، فهي منقطعة، وارتباوا فعل وفاعل. ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أم يخافون عطف على ما تقدم، وأن يحيف في تأويل مصدر مفعول به يخافون، والحيف: الميل، والجور في القضاء، وبل حرف إضراب، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والظالمون خبرهم، والجملة خبر المبتدأ الأول، أو خبر أولئك. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ إنما كافية ومكتفوقة، وكان فعل ماض ناقص، وقول خبر كان المقدم، والمؤمنين مضاد إليه، وإنما ترجح

نصبه؛ لأنه متى اجتمع معرفتان، فالأولى جعل^(١) أوغلهما في التعريف، ولكن سيبويه لم يفرق بينهما، وسيأتي مزيد بحث في باب الفوائد، وإذا ظرف مستقبل، متضمن معنى الشرط، وجملة دعوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو نائب فاعل، وإلى الله متعلقان بدعوا، ورسوله عطف على الله، واللام للتعليق، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعلييل، وبينهم ظرف متعلق بيحكم، وجعل الزمخشري فاعل يحكم عائداً إلى المصدر؛ لأن معناه ليفعل الحكم بينهم. «أَنْ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أَنْ وما حيزها اسم كان، وجملة سمعنا مقول القول، وأطعنا عطف على سمعنا، والواو حرف عطف، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمفلحون خبر هم، أو خبر أولئك، وقد تقدم قريباً. «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» الواو استثنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وبطع فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، ورسوله عطف على الله، ويتقه عطف على يطبع بسكون الهاء وكسرها، ومع إشباع، وبدونه، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك هم الفائزون، تقدم فيه القول كثيراً. «وَاقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ لِئَنَّ أَمْرَهُمْ كَلامٌ مُسْتَأْنِفٌ لِحَكَايَةِ قُولِ الْمَنَافِقِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَيْنَا كُنْتُ نَكْنُ مَعَكُمْ لَئِنْ خَرَجْتُ خَرْجَنَا وَلَئِنْ أَقْمَتُ أَقْمَنَا وَلَئِنْ أَمْرَتُنَا بِالْجَهَادِ جَاهَدْنَا وَأَقْسَمُوا فَعْلَ مَاضِ وَالْوَاوُ فَاعلُ وَبِاللَّهِ مُتَعْلِقَانِ بِأَقْسَمُوا وَجَهَدَ أَيْمَانِهِمْ مَفْعُولٌ مُطلِقٌ وَسِيَّاتِي مُزِيدٌ بحث عنِهِ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ أَوْ حَالِ تَقْدِيرِهِ مجتهدِينَ وَقدْ خَلَطَ الزَّمَخَشَرِي الْوَجَهَيْنِ فِي جَعْلِهِمَا وَاحِدَّاً وَلَئِنْ اللَّامُ مُوَطَّنَةٌ لِلْقَسْمِ وَإِنْ شَرْطِيَّ أَمْرِهِمْ فَعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ. «لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» اللام واقعة في جواب القسم، ويخبر جن فعل مضارع مرفوع، وحذفت النون لتولي الأمثال، والواو فاعل، والنون للتوكيد، ولم بين الفعل؛ لأن النون لم تباشره، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولا نافية، وتقسموا

(١) كذا الأصل، ولعل كلمة «نَصْبٌ» تفي بالغرض المقصود.

فعل مضارع مجزوم بلا، وطاعة خبر لمبتدأ ممحذوف تقديره: أمركم، أي: أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها، ويحوز أن يعرب مبتدأ ممحذوف الخبر، أي: طاعة معروفة أولى بكم، وأمثل من هذه الأيمان الكاذبة، ومعروفة صفة، وجملة إن الله: تعليلية لما تقدم، وإن واسمها، وخبر خبر، وبما متعلقان بخبار، وجملة تعلمون صلة.

□ البِلَاغَةُ:

١- الاستعارة:

جهد أيمانكم: لفظ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها، وقد استعاره للإيمان، وأصله: أقسم بالله جهد اليمين جهداً، فحذف الفعل، وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً إلى المفعول كضرب الرقاب، وإذا جعلته حالاً جعلته مؤولاً باسم الفاعل، أي: جاهدين.

٢- صحة التقسيم:

وفي قوله تعالى: «**أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» الآية، فن يقال له: صحة التقسيم، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنها لم تبق قسماً يقع في القلوب من الصوارف عن القبول إلا جاءت به، ألا ترى أنه تعالى بعد قوله: «**أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» ذكر الريبة؛ لأنه لا بد أن يكون الصارف عن الإجابة، فحكم الله ورسوله إما إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وهو: المرض، أو التشكك والتردد والتذبذب في حكم الله، هل هو جار على العدل، أو على غيره؟ وذلك هو الريبة، أو يكون الصارف خوف الحيف الذي لا يشعر به رجاء الإنصاف؟ فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها، ثم ختمها سبحانه بقوله: «**بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» فيكون مرشحاً للإيغال الذي جاء في فاصلة الآية، فتحقق الظلم وصفاً لهم في الرد عليهم ليقي ثبوته فيهم، وجوده في حكمه سبحانه، فحصل من ذلك الافتتان، وهو جمع الكلام بين فني الفخر والهجاء، فإن في وصفهم بالظلم وصف ذاته بالعدل، ووصف نبيه بالعدل أيضاً، فإذا أضفت إلى ذلك أن الكلام قد أفرغ في قالب من النزاهة والاحتشام، واشتمل الهجاء

المرير على مala يوهم الهجاء ، وهو من أمضى الهجاء وأقذعه ، فقد أضفت إلى ما تقدم فن النزاهة ، وهو فن مشهور من فنون البلاغة عبر عنده أبو عمرو بن العلاء بقوله : « خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها ، فلا يقع بمثلها » ، وابن بسام في قوله في « الذخيرة » : « الهجاء ينقسم إلى قسمين : قسم يسمونه هجاء الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً ، أو هجواً مستبشعًا ، والثاني : السباب الذي أحدهه جرير ، وطبقته » فقد اجتمع في الآية حسن التقسيم ، والإيغال ، والافتتان ، والنراة .

ومما ورد من الهجاء الموجع ، وليس فيه لفظ فاحش قول أبي تمام :

بني لهيعة ما بالي وبالكم
وفي البلاد مناديح ومضطرب
لجاجة لي فيكم ليس يُشِّهدا

* الفوائد :

توسط الخبر بين الأفعال الناقصة وبين أسمائهن جائز ، قال ابن مالك : « وفي جميعها توسيط الخبر أجز » قال الله تعالى : « وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » فحقاً خبر كان مقدم ، ونصر المؤمنين اسمها المؤخر ، ويؤخذ من كلام « المغني » أن رفع الخبر ضعيف كضعف الإخبار بالضمير عما دونه في التعريف إلا أن يمنع مانع من تقدم الخبر ، كحصر الخبر ، نحو : « وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُحَكَّأً وَتَصَدِّيَةً » أو كخفاء إعرابهما ، نحو : كان موسى فتاك ، وقد يكون التوسط واجباً ، نحو : كان في الدار ساكنها ، فتحصل ثلاثة أقسام : قسم يجوز ، وقسم يتمتنع ، وقسم يجب ، وسكتوا عن تقديم أسمائهم لعدم تصوّره ، إذ متى تقدم الاسم صار مبتدأ ، وتحمل الناسخ ضميره ، فلا يقال : إن الاسم تقدم .

﴿ قُلْ أَطِيعُو اللَّهَ وَأَطِيعُو الرَّسُولَ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حَمَلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حِلَّتْمُ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَبْلَغُ الْمُبِينَ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

أَمَّنْتُو مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِيْنٌ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَلَا يُشْرِكُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَسِقُونَ ﴿٥٥﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لخطاب المأمورين بالطاعة من جهةه تعالى. وجملة أطيعوا مقول القول، ولنظر الحاله مفعول به، وأطيعوا الرسول عطف على: أطيعوا الله. ﴿فَإِنْ تَوْلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمَا مَا حَمَلُ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمُ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل الشرط، وهو مضارع حذفت إحدى تاءيه، فإنما: الفاء رابطة للجواب، والجواب مخدوف، أي: إن تولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فاعلموا أنما عليه -عليه الصلاة والسلام - ما حمل، أي: ما أمر به من التبليغ، وإنما كافة ومكفوقة، وعليه خبر مقدم، وما حمل مبتدأ مؤخر، وجملة حمل صلة، وعليكم ما حملتم عطف على ما تقدم. ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا بِلَغَ الْمُسِيَّبِ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتطيعوه فعل الشرط، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وتهتدوا جواب الشرط، والواو حالية، أو استثنافية، وما نافية، وعلى الرسول خبر مقدم، وإلا أداة حصر، والبلاغ مبتدأ مؤخر، والمبين صفة.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَّنْتُو مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير المصير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والتمكين لهم في الأرض. ووعد الله الذين فعل وفاعل ومفعول به، وجملة آمنوا صلة، ومنكم حال، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، ومفعول وعد الثاني مخدوف تقديره: الاستخلاف لدلالة قوله: ليستخلفنهم عليه، واللام جواب قسم مضمر، أي: أقسم ليستخلفنهم، وفي الأرض متعلقان بـ يستخلفنهم، ولكل أن تنزل وعد منزلة أقسم، فتلقي بما يتلقى به القسم.

﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الكاف نعت مصدر محذوف، أي: استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم، والذين مفعول استخلف، ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين. «﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾» وليمكن عطف على ليستخلفنهم، فهو مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ولهم متعلقان ي يمكن، ودينه مفعول به، والذي صفة، وجملة ارتضى صلة، والعائد محذوف، أي: ارتضاه، ولهم متعلقان بارتضى. «﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾» ولبيدلنهم عطف على ما تقدم، والباء مفعول به أول، ومن بعد خوفهم حال، وأمناً مفعول به ثان. «﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾» جملة يعبدونني استثنافية على الأرجح فلا محل لها، وكأنها جواب لسؤال مقدر، أي: ما بالهم، فقيل: يعبدونني، واختار بعض المعربيين أن تكون حالاً من مفعول وعد، أي: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم، فمحلها النصب، أو حال من مفعول: لسيتخلفونهم. وجملة لا يشركون بي شيئاً بدل منها، ولذلك أن يجعلها حالاً من فاعل يعبدونني، أي: يعبدونني موحدين، وهو جيد، ولذلك أن يجعلها استثنافية كسابقتها، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، وقد تقدم مثله كثيراً، ومن كفر: الواو استثنافية، ومن شرطية مبتدأ، وكفر فعل ماض فعل الشرط، وبعد ذلك متعلق بكفر، فأولئك هم الفاسقون: الجملة جواب الشرط، وقد تقدم إعراب نظيرتها.

* الفوائد:

ذكر التاريخ أن النبي ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح! فقال النبي ﷺ: «لا تغبون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملاً العظيم محبياً ليس معه حديدة» فأنجز الله وعده، وأظهراهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بلاد الشرق والغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهם، واستولوا على الدنيا، ثم خرج

الذين على خلاف سيرتهم، فكفروا بذلك الأنعم، وفسقوا، وذلك قوله ﷺ: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم يملك الله من يشاء، فتصير ملكاً، ثم تصير بُزيري: قطع سبيل، وسفك دماء، وأخذ أموال غير حقها». ومعنى بزيري، قال في «الصحاح»: «بزه يزه بزًا: سلبه، والاسم البزيري، مثل: الخصيسي».

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّا لَرَكِنُهُمْ تَرْحِمُونَ ﴾^{٦٧} لَا
تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَلَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ^{٦٨}
يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِدُنَّكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّتَ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَجِئَنَ تَضَعُونَ شَابَّكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمَنْ بَعْدَ صَلَاةِ
الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَتَ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُتْ عَلَيْكُمْ
بَعْضُهُمْ كُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^{٦٩}﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّا لَرَكِنُهُمْ تَرْحِمُونَ﴾ كلام معطوف على: وأطاعوا الله وأطاعوا الرسول، قال الزمخشري: «وليس بعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال؛ لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه» ولذلك أن تعطفه على محدوف يقتضيه السياق، وتقديره: فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الصلاة، وإعراب الجملة واضح كل الوضوح. **لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ** في الأرض وما ولهُمْ من النار ولَيْسَ الْمَصِيرُ لا نافية، وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والذين مفعول تحسبن الأول، وجملة كفروا صلة، ومعجزين مفعول تحسبن الثاني، وفي الأرض متعلقان بمحدوف حال، ومتعلق معجزين محدوف، أي: لنا، وأما واهم عطف على لا تحسبن الذين كفروا، عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم، أو معطوف على مقدر

تقديره: بل هم مقهورون مدركون، ومؤاهم، ولعله أولى لأنه يكون عطف خبر على خبر، ومؤاهم مبتدأ، والنار خبره، أو بالعكس، ولبس: اللام موطئة للقسم، وبئس فعل ماض جامد للذم، والمصير فاعل، والمحصوص بالذم ممحض، أي: مصيرهم، يعني: النار. ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لِيَسْتَغْنُوكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُ أَيْمَنَكُم﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان حكم الاستئذان، وسيأتي في باب الفوائد المزيد منها، واللام لام الأمر، ويستاذنكم فعل مضارع محروم بلام الأمر، والكاف مفعول به، والذين فاعل، وجملة ملكت أيمانكم صلة. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعُغُوا الْحَلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ والذين عطف على الذين، وجملة لم يبلغوا الحلم صلة، ومنكم حال، وثلاث مرات نصب على الظرفية، أو المفعولية المطلقة، فإن قدرت بمعنى ثلاثة أوقات فهي ظرف، وإن قدرت بمعنى ثلاثة استئذانات، فهي مفعول مطلق، ومن قبل صلاة الفجر بدل من ثلاث مرات، ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ ممحض، أي: هنّ من قبل، وإنما وجوب الاستئذان في ذلك الوقت؛ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح الغلائل، وما ينام فيه من الشباب. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ شِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ وحين عطف على محل من قبل صلاة الفجر، وجملة تضعون مجرورة بإضافة الظرف إليها، وثيابكم مفعول به، ومن الظهيرة حال، أي: حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة، أو: بتضعون، فتكون من بمعنى في. ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله، وثلاث عورات خبر لمبتدأ ممحض مقدر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه، أي: هي أوقات ثلاثة عورات، وسمى كل واحد من هذه الأحوال عورة؛ لأن الناس يختلي تسريحهم، وتحفظهم فيها. والعورة: الخلل، وفي «الصحاح»: «أعور الفارس؛ إذا بدا فيه موضع خلل للضرب، والأعور: المختل العين». ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنْ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْثَبَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ جملة ليس عليكم... الخ صفة لثلاث عورات، والمعنى: هن ثلاثة عورات مخصوصة بالاستئذان، وعليكم خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وبعدهن ظرف متعلق بمحض صفة جناح،

وطوافون خبر لمبدأ مذوف تقديره: هم، وعليكم متلعقان بطوافون؛ لأنه صيغة مبالغة لاسم الفاعل، وببعضكم مبتدأ، وعلى بعض خبره، أي: طائف على بعض بدلالة طوافون، ويجوز أن يعرب بدلاً من قوله طوافون، ولأبي حيان كلام مطول فيه لا جدوى منه، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الكاف نعت مصدر مذوف، وقد تقدم كثيراً، وبين الله لكم الآيات فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والله مبتدأ، وعلیم خبر أول، وحکيم خبر ثان.

* الفوائد :

روي أن مدلع بن عمرو - وكان غلاماً أنصارياً - أرسله رسول الله ﷺ وقت الظهرة إلى عمر ليدعوه، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر: لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمتنا ألا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ، فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية، وهي إحدى الآيات المترلة بسبب عمر. وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قال: إنما دخل على الرجل والمرأة، ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله، فأدت رسول الله ﷺ.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي ﷺ، فقام إليه النبي ﷺ بم الشخص، أو مشاقص، فكأنه أنظر إليه بختال الرجل ليطعنه، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى، ولفظه: أن أعرابياً أتى بباب النبي ﷺ، فألقم عينه خصاصة الباب، فصر به النبي ﷺ، فتوخاه بحديدة، أو عودة ليفقا عينه، فلما أبصره انقمع، فقال له النبي ﷺ: «أما إنك لو ثبت عليك لفقأت عينك».

والمشخص: - بكسر الميم بعد شين ساكنة، وقاف مفتوحة - هو سهم له نصل عريض، وقيل: طويل، وقيل: هو النصل العريض نفسه، وقيل: الطويل.

وينحنه : - بكسر التاء : أي : يخدعه ، ويراؤه .

وخصاصة الباب : - بفتح الخاء المعجمة وصادين مهمليتين : هي الثقب فيه ، والشقوق ، ومعناه : أنه جعل الشق الذي في الباب محاذياً عينه .

توخّاه : أي : قصده ، بتشديد الخاء المعجمة .

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلَيَسْتَدِّنُوا كَمَا أَسْتَدَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ الْإِسْكَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُنَ شَابَهُنَّ إِنَّهُ مُتَبَرِّجٌ تِزْنِيَةً وَأَنْ يَسْتَعْفِفُنَ حِرَّ لَهْرٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَمْهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالِتِكُمْ أَوْ مَا مَكَثَ مِنْ فَسَادٍ تَحْمَدُهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتَنَّ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طِبَّةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

☆ اللِّفْظَةُ :

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ : جمع قاعد بغير تاء ، وفي «المصباح» : «وقدعت المرأة عن الحيض : أنسنت ، وانقطع حيضها ، فهي قاعد بغير تاء ، والجمع : قواعد . وقدعت عن الزوج فهي لا تستهيه» ولو لا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء ، نحو : ضاربة ، وقاعدة ، ومن القعود المعروفة .

﴿مُتَبَرِّجٌ﴾ : مظاهرات للزينة ، وحقيقة التبرج : تكلف إظهار ما يجب

إخفاؤه من قولهم: سفينة بارج، لا غطاء عليها، والبرج محركة: سعة العين يرى بياضها محياً بسودادها كله، لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تكشف المرأة للرجال بإبداء زيتها، وإظهار محسنتها للرجال. وفي «المختار»: «والترج: إظهار المرأة زيتها، ومحاسنتها للرجال» فالبرج يعطي معنى الاتساع، يقال: برج يرج برجاً، من باب: تعب؛ اتسع أمره في الأكل والشرب ونحوهما، وبرجت عينه: اتسعت بحيث يرى بياضها مدققاً بالسوداد كله، والبرج: الركن واللحسن، والقصر، وكل بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع، ويكون منفرداً أو قسماً من بناية عظيماً، وجمعه: بُرج بضمتين، وأبراج، وأبرجة، والبرج أيضاً: أحد بروج السماء، وهي اثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلاة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. والبارجة: سفينة كبيرة للقتال، وتُجمَع على: بوارج، ومن أقوالهم: ما فلان إلا بارجة قد جمع فيه كل الشر، أي: إنه شرير.

﴿صَدِيقُكُمْ﴾ الصديق يكون واحداً أو جمعاً، وكذلك الخلط، والقطين، والعدو، وهو الصادق في المودة والمخالفة، قال الشاعر:

دعون الهوى ثم ارتئين قلوبنا بأعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله:

إذا امتحن الدنيا ليُبْ تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

﴿أَشَتَّاتًا﴾: جمع شت، بمعنى التفرق، وفي «المختار»: «أمر شت بالفتح، أي: متفرق، تقول: شت الأمر يشت - بالكسر - من باب: ضرب، شتاً، وشتاتاً بفتح الشين فيهما، أي: تفرق».

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمُ فَلَيَسْتَأْذِنُوا كَمَا أُسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
كلام مستأنف، مسوق لنقرير حكم الأطفال الذين خرجن عن حد الطفولة

بأن يختلموا، أو يبلغوا السن التي يحكم فيها بالبلوغ في وجوب الاستئذان، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة بلغ الأطفال مجرورة بإضافة إذا إليها، ومنكم حال، والحلم مفعول به، والفاء رابطة جواب إذا، واللام لام الأمر، ويستأذناً مضارع مجزوم باللام، وكما نعت مصدر مذوف، وما مصدرية، أي: استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم، والذين فاعل، ومن قبلهم متعلقان بالصلة. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكْيَمٌ﴾ الكاف نعت مصدر مذوف، وبين الله فعل مضارع وفاعل، ولهم متعلقان بيبين، وأياته مفعول به، والله مبتدأ، وعلیم خبر أول، وحكيم خبر ثان. ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ الروا استئنافية، والقواعد مبتدأ، ومن النساء حال، واللامي صفة للقواعد لا للنساء، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ، وجملة لا يرجون صلة، ويرجون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، ونكاحاً مفعول به.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ بَغْرِيَّبَةٍ زِينَةٍ﴾ الفاء واقعة في جواب الموصول؛ لأن الألف واللام في القواعد بمعنى اللاتي قعدن، وجملة ليس خبر القواعد، وعليهن خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض، أي: في أن يضعن ثيابهن، بمعنى: يتزعن ثيابهن، فيجوز النظر إلى أيديهن ووجوههن، وسيأتي مزيد بسط لهذه الآية في باب البلاغة. وغير متبرجات حال، وبزيينة متعلقان بمترجات، واعتبرها بعضهم بمعنى اللام، أي: غير مظاهرات لزينة، واعتبر آخرهن الباء للتعدية، أي: غير مظاهرات زينة. وفي «حاشية الشهاب» على البيضاوي: «قوله غير مظاهرات زينة: أشار به إلى أن الباء للتعدية؛ ولذا فسر بمتعدد، مع أن تفسير اللازم بالمتعدد كثير، ويؤيد أنه أهل اللغة لم يذكره متعدياً بنفسه، ولم نر من قال: تبرجت المرأة حلية، وليس الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال: إنه تحرير كما توهם، فمن قال: إنه إشارة إلى زيادة الباء في المفعول به فقد أخطأ».

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفُوا خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ الواو عاطفة، وأن وما في حيزها مبتدأ، وخير خبر، ولهم متعلقان بخير، أي: والاستعفاف من الوضع خير لهن، لما ذكر الجائز أعقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنتها، كقوله: ﴿وَأَن تَقْعُدُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ﴿وَأَن تَصَدِّقُوا خَيْرَكُمْ﴾ والله مبتدأ، وسميع خبر أول، وعليم خبر ثان. ﴿لَيَسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق للأمر اختلف العلماء في تأويله، وأقرب ما ذكروه من تلك التأويلات: أن هؤلاء الطوائف الثلاث كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء، فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى أطيب الطعام فسبقت البصير إليه، والأعرج يتفسح في مجالسه فإذا خذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم، والمريض لا يخلو من حالة مؤذية لقرينه وجليسه، فنزلت هذه الآية، وسيأتي في باب الفوائد بقية الأقوال.

وليس فعل ماض ناقص، وعلى الأعمى خبرها المقدم، وحرج اسمها المؤخر، ولا على الأعرج حرج عطف على ما سبقه، وكذلك ما بعده. ﴿وَلَا عَلَى الْأَفْسَكِمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوِتِكُمْ﴾ الواو استثنافية، وما بعدها كلام مستأنف لتقرير إباحة ما حرموا على أنفسهم، ففي القرطبي: «أنه لما أنزل الله ﴿يَكَاهُهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَئِنَّكُم بِالْبَطِلِ﴾ قال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بينما بالباطل، وأن الطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فنزلت» ولا نافية، وعلى أنفسكم خبر مقدم، وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، ومن بيوتكم متعلقان بتأكلوا. ﴿أَوْ بَيْوِتِ إِبَابَكُمْ أَوْ بَيْوِتِ أَشْهَادِكُمْ أَوْ بَيْوِتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم وإخوانكم بمعنى إخوتكم. ﴿أَوْ بَيْوِتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بَيْوِتِ أَعْمَانِكُمْ أَوْ بَيْوِتِ عَمَّاتِكُمْ﴾ عطف أيضاً على ما سبق. ﴿أَوْ بَيْوِتِ أَخْوَلَكُمْ أَوْ بَيْوِتِ خَلَاتِكُمْ﴾ عطف أيضاً على ما سبق. ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفْسَاتِكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ما عطف على ما سبق، وجملة ملكتم صلة، ومفاتحة مفعول به، والمراد بها: أموال الرجل إذا كان له عليها قيم، أو

وكيل يحفظها له، والمقاتح: جمع مفتاح، وتجمع على مفاتيح، والمراد: الخزائن، وأو حرف عطف، وصديقكم معطوف على ما سبق. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَانًا﴾ الجملة بدل من الجملة السابقة، وأن تأكلوا: أن وما في حيزها نصب بتزع الخافض، أي: في أن تأكلوا، وجميعاً حال، وأشتاناً عطف على جميعاً، والمعنى: أنهم لما تحرجوا في الاجتماع على الطعام، والمشاركة فيه لاختلاف الأكلين، بين أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ومترفين، وسيأتي مزيد بسط لهذا كله في بابي البلاغة، والفوائد. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةً طَيِّبَةً﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دخلتم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وبيوتاً نصب على المفعولية على السعة، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت، والصحيح: أنها عامة؛ لأنه لا دليل على التخصيص، فسلموا: الفاء رابطة، وسلموا فعل أمر وفاعل، وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا، وتحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا، فهو مراده، كقعدت جلوساً، وفرحت جزاً، ومن عند الله صفة لتحية، أو بنفس التحية، ومبركة صفة، وطيبة صفة أيضاً، أي: يرجى بها زيادة الخير، وتطيب بها نفس المستمع. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَلْأَيَّتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الكاف نعت مصدر محذف، ويبيّن الله فعل مضارع وفاعل، ولكم متعلقان بيّن، والآيات مفعول به، ولعل واسمها، وجملة تعقلون خبر لعل.

□ البلاغة:

١ - عكس الظاهر:

في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَتَّبِعَ حَدِيثٍ بِرِيشَةٍ﴾ فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر، وبعضهم يسميه نفي الشيء بإيجابه، وقد سبقت الإشارة إليه في كتابنا، وهو من مخاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنها نفياً، وظاهره إيجاباً، أو: أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي

للموصوف أصلًا، ومن أهم أبياته قوله أمرىء القيس :

على لاحِبٍ لا يُهتَدِي بمنارِهِ إذا سافَهَ العودُ النَّبَاطِيُّ جرجرًا

فاللاحِب هو : الطريق الواضح ، والمنار : هو العالمة توضع على الطريق للهداية ، وفي الحديث : «إن للدين صوی ومناراً كمنار الطريق». وسافه : شمه ، والعود المسن من الإبل والنَّبَاطِي : الضخم ، وجُرجر : رغاء ، وضج ، وأخرج جرته ، فقوله : «لا يُهتَدِي بمنارِهِ» لم يرد أن له مناراً لا يُهتَدِي به ، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدِي بذلك المنار .

وكذلك المراد هنا ، والقواعد من النساء الباقي لا زينة لهن ، فيتبرجن بها ؛ لأن الكلام فيهن هي بهذه المثابة ، وكان الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب خير لهن ، فما ظنك بذوات الزينة من الثياب ؟! وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستعفاف إيذاناً بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة ، هذا في القواعد ، فكيف بالكواكب ؟!

٢- الإيضاح :

وفي قوله : ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ الآية فن الإيضاح ، وهو : أن يذكر المتلکم كلاماً في ظاهره ليس ، ثم يوضحه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحمله الإيضاح يكون في معانٍ البديع من الألفاظ ، وفي إعرابها ، ومعانٍ النفس دون الفنون ، وقد سبق ذكره في هذا الكتاب ، وهذا في هذه الآية ترد على ظاهرها أسئلة :

أولها : مافائدة في الإخبار برفع الجناح عنمن أكل من بيته ؟ وكيف يظن أن على من أكل من بيته جناحاً ؟

وثانيها : لم يذكر بيوت الأولاد كما ذكر بيوت غيرهم من الأقارب القرية ؟

وثالثها : مافائدة قوله : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْتُمْ مَنْ كَايَحْمُ﴾ وظاهر الحال أن هذا داخل في قوله : ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ ؟

ورابعها: كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب؟

والأجوبة التي تتضمن بها هذه الإشكالات الأربع هي :

الجواب الأول:

أما فائدة الإخبار برفع الجناح عن أكل من بيته، فإنما ذكر ذلك توطئة لينبني عليه ما يعطفه على جملته من البيوت التي قصد إباحة الأكل منها، فإنه إذا علم أن الإنسان لا جناح عليه أن يأكل من بيته، فكذلك لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت؛ ليشير إلى أن أموال هذه القرابة كمال الإنسان، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوي إلى الأزواج، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحض على صلة الأرحام ومعاملتهم معاملة الإنسان نفسه.

الجواب الثاني:

وأما عدم ذكر بيوت الأولاد فإنما ذكر من الأموال ما يظن بأن الأكل منه محظوظ، فاحتاج إلى بيان الإباحة، وأما أموال الأولاد فتصرف الوالدين فيها كتصرّفهم في أموالهم أنفسهم؛ لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه، إلا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا كانوا محتاجين؟ وفي الحديث: «إن طيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه».

الجواب الثالث:

وأما زعم القائل بأن الكلام فيه تداخل؛ لأن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُ
مَفْسَدَتْهُ﴾ هو ما في بيوتهم، فإنه يحتمل أن يراد بما في البيوت المال التليد العتيد، وما ملك الإنسان مفاته: المال الطريف المكتسب؛ الذي يتسبب الإنسان في تحصيله، ويتعصب في اكتسابه.

الجواب الرابع:

وأما سر التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب، فهو تعريف حق الصديق الذي ساوى باطنه ظاهره في إخلاص المودة، ولا يسمى صديقاً حتى يكون كذلك، فإن اشتقاء اسمه من صدق المحبة، وصفاء المودة، وهو الذي

أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ ﴾ فإذا كان الصديق بهذه المثابة ، وعلى هذه الصفة ساوي هذه القرابة القريبة ، فليس على الإنسان جناح إذا تصرف في ماله تصرفه في مال نفسه .

- فنون أخرى في الآية الكريمة :

هذا ؛ وقد اشتملت هذه الآية الكريمة بعض إيضاح هذه الإشكالات على تسعه أضرب من فنون البديع ، ندرجها فيما يلي ، مع التلخيص والاختصار :

آ- صحة التقسيم : وذلك لاستيعاب الكلام جميع أقسام الأقارب القريبة ، بحيث لم يغادر منها شيئاً .

ب - التهذيب : وذلك في انتقال الكلام على مقتضى البلاغة في هذا المكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب كما جاء فيها .

ج - حسن النسق : وذلك في اختياره ﴿ أو ﴾ لعطف الجمل ، وهي تدل على الإباحة .

د - الكِتَابَةِ : فقد كنى سبحانه عن الأموال بالبيوت التي هي حrz الأموال ، ومقرها ، من باب : تسمية الشيء بما جاوره ، كقولهم : سال المizarب ، وجري النهر .

ه - المناسبة : وذلك بمناسبة الألفاظ بعضها بعض في الزنة ، وهي واضحة في لفظة : آباءكم ، وأخوانكم ، وأعمامكم ، وأخوالكم .

و- المثل : وذلك في قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا رَحْمًا أَوْ أَشْتَانًا ﴾ خرج مخرج المثل السائر الذي يصح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته .

ز - التذليل : فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذليلًا لمعنى الكلام المتقدم لقصد توكيده ، وتقريره .

ح - المطابقة : وذلك في قوله : ﴿ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَانًا ﴾ فإن هاتين اللفظتين تضادتاً تضاداًً أو جب لهما وصفها بالمطابقة ؛ لأن المعنى جمِيعاً أو متفرقاً .

طــ المقارنة : وذلك في موضعين :

أحدهما : اقتران التمثيل بالتدليل كما تقدم بيانه .

والثاني : اقتران المطابقة بالتمكين ، فإن فاصلة هذا الكلام في غاية التمكين .

* الفوائد :

ذكرنا في باب الإعراب أقرب الوجوه في تأويل قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ... » الآية ، ووعدناك بأن نورد بقية الوجوه التي ذكرها المفسرون ؛ فقد كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم ، وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها ، فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك ، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج ، وكرهوا أن يكون أكلًا بغير حق لقوله تعالى : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِإِبْطِيلٍ » فقيل لهم : ليس على الضعفاء ، ولا على أنفسكم ، يعني : عليكم ، وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك .

وقيل : كانوا يخرجون إلى الغزو ، ويختلفون الضعفاء في بيوتهم ، ويدفعون إليهم المفاتيح ، ويفخذون لهم أن يأكلوا من بيوتهم ، فكانوا يتخرجون . حُكى عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً ، وخلف مالك بن زيد في بيته وماليه ، فلما راجع رآه مجھوداً فقال : ما أصابك ؟ قال : لم يكن عندي شيء ، ولم يجعل لي أن آكل من ماليك ، فقيل له : ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا منه ، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت .

وقيل : نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد ، فعلى هذا تم الكلام قوله : « وَلَا عَلَى الْأَعْمَاقِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ » .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ جَاءَعَلَيْهِمْ بُوأْ حَقَّ يَسْتَدِئُونَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَدِئُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

إِذَا أَسْتَغْفِرُكَ لِعَضْ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لَمَنْ شَهَّدَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ أَلَّا يَنْجُلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَنْصُوكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادَأَ فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلَّا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يَرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَسِّبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ

☆ التَّغْتَةُ:

﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ : ينسرون واحداً بعد واحد، أو قليلاً قليلاً.

﴿لِوَادَأَ﴾ : في «القاموس» : «اللوز بالشيء» : الاستثار، والاحتchan به، كاللواز مثلثة ، واللياذ، والملاؤذة، والإحاطة كاللإذة، وجانب الجبل، وما يطيف به، ومنعطف الوادي، والجمع: لواز». وكان المنافقون يخرجون متسترين بالناس من غير استئذان حتى لا يروا، والمفاجلة لأن كلّاً منها يلوذ بصاحبها، فالمشاركة موجودة، وإنما صحت الواو في لوازاً مع انكسار ما قبلها؛ لأنها تصح في الفعل الذي هو لواز، ولو كان مصدر لاز لكن لياذ مثل: صام صياماً، وقام قياماً.

﴿يُخَالِقُونَ﴾ : يقال: خالفه إلى الأمر؛ إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر؛ إذا صدّ عنه دونه.

○ الْأَكْرَابُ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتريرir حال المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي في مجالسه، وخطبه. وإنما كافة ومكفوفة، والمؤمنون مبتدأ، والذين خبره، وجملة آمنوا بالله ورسوله صلة الموصول، أي: هؤلاء هم المؤمنون الكاملو الإيمان، أما المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه يرافقون أصحابه، فإن بدرت لهم غفلة عنهم تسللوا

لو اذاً، وذهبوا خفية من غير استئذان . ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعْلُوْعَلِيْنَ جَاءُجَمِيعَ لَهُرَيَّهُبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ الواو عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة كانوا في محل جر بإضافة الظرف إليها ، والواو اسم كان ، ومعه ظرف متصل بمحذوف خبر ، وعلى أمر متعلقان بمحذوف حال ، ولك أن تعكس الأمر ، وجامع صفة لأمر ، كالحروب ، وصلة الجمعة ، والعبيد ، وسيأتي معنى إسناد الجمع للأمر في باب البلاغة^(١) . وجملة لم يذهبوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وحتى حرف غاية وجر ، ويستأذنوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، ويستأذنوه فعل وفاعل ومفوعول به . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْتَأْذِنُكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إن واسمها ، وجملة يستأذنونك صلة ، وأولئك مبتدأ ، والذين خبره ، وجملة يؤمنون بالله ورسوله صلة الموصول ، والجملة الاسمية خبر إن . ﴿ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكُمْ بِعَضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنْ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ ﴾ الفاء عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة استأذنوك مجرورة بإضافة الظرف إليها ، ولبعض شأنهم متعلقان باستأذنوك بمثابة التعليل للاستئذان ، فائذن : الفاء رابطة لجواب إذا ، وائذن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره : أنت ، ولمن متعلقان به ، وجملة شئت صلة ، ومنهم حال ، وفيه تقويض الأمر لرأي رسول الله . ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِهِمُ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ واستغفر عطف على فائذن ، ولهم جار ومحروم متعلقان باستغفر ، وجملة إن الله غفور رحيم تعليل للاستغفار فلا محل لها . ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَتَكَبَّرُ كَدُعَاءَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا ﴾ اضطررت عبارات المفسرين في تفسير هذا التعبير ، وأقرب ما قيل فيه : لا تجعلوا دعاء إياكم كدعاء بعضكم لبعض ، فتتكلّون ، وتحجّمون ، كما يتلّكأ ، ويحجم بعضكم عن بعض إذا دعاه لأمر ، فالمصدر - وهو دعاء - مضاد إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضاداً إلى المفعول ، أي : دعاءكم الرسول ، ونداءكم له كدعاء ونداء بعضكم البعض . ولا نافية ، وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بلا النافية ،

(١) فات المؤلف - رحمه الله - إفراد باب للبلاغة لهذه الآيات.

والواو فاعل، ودعاء الرسول مفعول به، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف حال، والكاف بمعنى مثل مفعول به ثان، وبعضكم مضاد لدعاء، وبعضاً مفعول به لدعاء، ونصبه بعضهم بتزع الخاضض، أي : بعض، وذلك متى مفعول ما يقدر دعاء مضافاً لمفعوله . ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّطُونَ إِنْ كُمْ لِوَادِأَ﴾ قد - هنا - بمعنى ربما ، وذلك مطرد فيدخولها على المضارع ، وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد ، ويعلم الله فعل مضارع وفاعل ، وجملة يتسللون صلة ، ومنكم متعلقان يتسللون ، ولو أذا يجوز أن ينصب على المصدر من معنى الفعل إذا كان التقدير : يتسللون منكم تسللاً ، أو : يلاؤذون لواذاً ، ويجوز أن يكون مصدر في موضع نصب على الحال ، أي : ملاؤذين . ﴿فَإِنَّهُمْ يَحْذَرُونَ عَنْ أَمْرٍ وَّأَنْ تُصِيبَهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفاء الفصيحة ، أو عاطفة على ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ﴾ لأنها مرتبة عليه ، واللام لام الأمر ، ويحذر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والذين فاعل ، وجملة يخالفون صلة ، ومفعول يخالفون محذوف ، وهو الله تعالى ؛ لأنه الأمر ، وجيء بـ «عن» لتضمينه معنى الصد والإعراض ، وأن يصيبهم مفعول يحذر ، وفتنة فاعل ، أو يصيبهم عذاب أليم عطف على أن تصيبهم فتنة . ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ قد للتكرير كما تقدم ، وكما سيأتي ، ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى ، وما مفعول به ، وأنت مبتدأ ، وعليه خبر ، والجملة صلة . ﴿وَيَوْمَ يُرَجَّعُونَ إِلَيْهِ فِي نِسَبِهِمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ ويوم عطف على مفعول يعلم ، أي : ويعلم ما يرجعون ، وجملة يرجعون صلة ، ويرجعون بالبناء للمجهول ، فينبئهم عطف على يعلم ، والباء مفعول ، وبما عملوا في موضع المفعول الثاني ، والله مبتدأ ، وبكل شيء متعلقان بعلم ، وعليم خبر .

* الفوائد :

تقدمن القول في «قد» ونضيف هنا أنها إذا دخلت على المضارع أفادت التكرير ، وكانت بمعنى «ربما» ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

أَخْيِ ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكُنْهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
 فـ «قد» هنا للتکثير، وإلا لم يكن مدحًا، والثقة: من وثق، كالعادة من
 وعد، وإسناد الإلھاك إلى الخمر مجاز عقلي، وكذلك إسناده إلى النائل، أي:
 العطاء، والمراد: وصفه بالكرم. ومن أمثلة «ربما» قول ابن عطاء السندي
 يرثي ابن هبيرة:

عَلَيْكَ بِجَارِي دَمَعَهَا لَجْمُودٍ	أَلَا إِنَّ عَيْنَاً لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطِ
جَيْوَبٌ بِأَيْدِي مَأْتِيمٍ وَخَدُودٍ	عَشِيشَةً قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوَفُودِ وَفُودِ	فَإِنْ تَمَسَّ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ فَرِبِّمَا

وواسط موضع الواقعة التي قتل المنصور فيها ابن هبيرة، والمأتم مكان
 الإقامة، واستعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً، وجمعه: مأتم، يقول: إن
 كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم شديدة الجمود، وعشية بدل من يوم، وجيب
 القميص: مخرج الرأس منه، أي: مزقت الجيوب والخدود بأيدي النساء؛ ثم
 التفت إلى الخطاب، وقوله: فإن تمس مهجور الفناء: كنایة عن الموت،
 فربما: أي: كثيراً أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع يستمنحونك،
 فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن؛ لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس، ومنحوا
 خيراً.



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدَرَهُ لَقَدِيرًا ﴾ وَأَخْذَهُمْ مِنْ دُونِهِ هُنَّ إِلَهَهُ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْلَاقُ أَفْرَارِهِ وَأَعْانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَخْرُونَ فَقَدْ جَاءُهُمْ وَظُلْمًا وَزُفْرًا ﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ قُلْ أَنَّهُ لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا كَانَ عَفْوًا رَحِيمًا ﴾

☆ النَّفْتَةُ :

﴿ تَبَارَكَ ﴾ : البركة : زيادة الخير ، وكثرة ، والزيادة تكون حسية ومعنوية ، أي : تزايد خيره ، وتکاثر ، أو تزايد عن كل شيء ، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ، ثم إن تبارك فعل ماض جامد لا يتصرف ، فلا يأتي منه مضارع ، ولا أمر ، ولا اسم فاعل ، وليس له مصدر ، ولا يستعمل في غير الله

تعالى، وسيأتي بحث الجامد في باب الفوائد.

﴿الْفُرْقَان﴾ : القرآن؛ لأن فرق بين الحق والباطل، وقيل : لأن نزل مفرقاً في أوقات كثيرة. وفي «المصباح» : «فرقت بين الشيئين فرقاً، من باب : قتل، فصلت أبعاضه، وفرقت بين الحق والباطل، فصلت أيضاً، هذه هي اللغة العالية، وبهاقرأ السبعة في قوله تعالى : ﴿فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وفي لغة، من باب : ضرب، وقرأ بها بعض التابعين، وقال ابن الأعرابي : فرق بين الكلامين فاقترا مخفف، وفرقت بين العبددين فتقرا مثقل، فجعل المخفف في المعاني، والمثقل في الأعيان. والذي حكاه غيره أنهما بمعنى والتثليل مبالغة».

ولهذه المادة في اللغة شعب كثيرة، وسنورد لك منها ما يروق الخاطر : فالفرقان مصدر فرق بين الشيئين؛ إذا فصل بين الشيئين، وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة، ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال، ألا ترى إلى قوله : ﴿وَقَرَأَنَا فَرَقَنَهُ لِنَقْرَاءَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ والأظهر هو المعنى الثاني؛ لأن في السورة بعد آيات : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجِهَةً كَذَلِكَ لِتُنَثِّتَ بِهِ فُؤَادُكُمْ﴾ . قال الله تعالى كذلك، أي : أنزلناه مفرقاً كذلك لتشتبه به فؤادك، فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة كالمقدمة، والتوطئة لما يأتي بعد، وقد رأت دائرة المعارف الإسلامية كلمة فرقان مجھولة الأصل، وهذا خطأ بین، ووهم ظاهر كما رأيت من اشتقاد الكلمة، يقال : فرق لي الطريق فروقاً، وانفرق انفراقاً إذا اتجه لك طريقان، فاستبان ما يجب سلوكه منهما، وطريق أفرق : بین، وضم تفاريق متاعه، أي : ما تفرق منه، وضرب الله بالحق على لسان الفاروق، وسطع الفرقان، أي : الصبح، وهذا أبين من فلق الصبح، وفرق الصبح، وتقول : سبيل أفرق كأنه الفرق، وهو أسرع من فريق الخيل، وهو سابقها، فعال بمعنى مفاعل؛ لأنه إذا سبقها فارقها، وبيان في قذاله فروق من الشيب، أي : أوضاح منه، ومالي إلا فرق من الغنم وفريقة، أي :

يسير، ورأى أعرابي صبياناً فقال: هؤلاء فِرق سوء، وما أنت إلا فروقة، وفَرْقٌ خير من حبّ، أي: أن تهاب خير من أن تحبّ، وأفرق المحموم والمجنون، وهو في أفرادٍ من حُمَّاه. ومن المجاز: وقوته على مفارق الحديث، أي: على وجهه الواضحة، وفي «اللسان» و«الأساس»: «بَدَا الشَّيْبُ فِي مُفْرَقِهِ وَفِرْقَهُ»، ورأيت وبص الطيب في مفارقهم، وفرقت الماشطة رأسها كذا فرقاً، ورأس مفروق، وديك أفرق: انفرقت رعثته، وجمل أفرق: ذو سنامين، ورجل أفرق الأسنان: أفلجها، وناقة فارق: ماض، فارقت الإبل نادة من وجع المخاض، ونوق فُرق، وفوارق، ومفارق، وقد فرقت فُروقاً وتشبه بها السحاب. قال ذو الرمة:

أو مزنة فارق يجلو غواربها تبوجُ البرقُ والظلماء عُلجمُ

○ الإعراب:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ تبارك فعل ماض جامد كما تقدم في باب اللغة، والذي فاعله، وجملة نزل الفرقان صلة، وعلى عبده متعلقان بنزل، واللام للتعليل، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واسم يكون مستتر تقديره: هو، وندير آخر يكون. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْجِدْ لَهَا﴾ هذا الموصول يجوز أن يكون بدلاً من الموصول الأول، أو خبر لمبدأ مذوف فيكون محله الرفع، ويجوز نصبه على المدح، وما بعده قام الصلة للموصول الأول، وله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، ولم يتخذ ولداً عطف على ما تقدم. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَقَدِيرًا﴾ عطف على ما سبق، وله خبر يكن المقدم، وشريك اسمها المؤخر، وفي الملك متعلقان بشريك، وخلق عطف على ما سبق أيضاً فهو من قام العلة لما قبله، وكل شيء مفعول خلق، فقدره: الفاء عاطفة، وقدره فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، وتقديرأً مفعول مطلق. ﴿وَلَمْ يَخْدُوا مِنْ دُونِهِ إِلَّاهًا وَيَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ واتخذوا: الواو استثنافية، والجملة مستأنفة،

مسوقة لتقرير حال وعبادة الكفار، ومن دونه في محل المفعول الثاني لاتخذوا، وألهة مفعول اتخذوا الأول، وجملة لا يخلقون شيئاً صفة لآلله من سبع صفات ستائي مسرودة متعاقبة، وهم يخلقون: الواو عاطفة، وهم مبتدأ ويخلقون بالبناء للمجهول خبر، وهذه هي الصفة الثانية، ومعنى كونهم مخلوقين أن العابدين ينحثرونهم، ويصوروهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا﴾ الواو عاطفة، ولا يملكون جملة معطوفة على ما تقدم، وضرأً مفعول به، وهذه هي الصفة الثالثة، ولا نفعاً هي الصفة الرابعة، ولا يملكون موتاً هي الصفة الخامسة، ولا حياة هي الصفة السادسة، ولا نشوراً هي الصفة السابعة، والنشور هو: بعث الأموات. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْلَكُ أَفْتَرِيهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في حكاية أباطيلهم، وإبطالها، ودحضها. والذين فاعل قال، وجملة كفروا صلة، وإن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وإفك خبر هذا، وجملة افتراه صفة لإفك. ﴿وَاعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وأعنه عطف على افتراه، وعليه متعلقان بأعنه، والضمير للإفك المفترى، وقوم فاعل، وأخرون صفة قوم، ويريدون بهم أهل الكتاب الذين أمدوه، على زعمهم، بأخبار الأمم الماضية والقرون البائدة، والفاء الفصيحة، وقد حرف تحقيق، وجاؤوا فعل وفاعل، وقد تضمن معنى فعل فعدي تعديه، وظلماً مفعوله، ويجوز أن يكون على بابه فيعرب ظلماً منصوباً بنزع الخاضن، أو نصباً على الحال المؤولة، أي: ظالمين، وزوراً عطف على ظلماً. ﴿وَقَالُوا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَّبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل وأساطير الأولين خبر لمبدأ مخدوف، وجملة اكتبها حالية، ويجوز إعراب أساطير الأولين مبتدأ، وجملة اكتبها خبر، فهي الفاء عاطفة، وهي مبتدأ وجملة تمل خبر، ونائب الفاعل مستتر، وعليه متعلقان بتمل، وبكرة ظرف متعلق بتمل، وأصيلاً عطف على بكرة، ومعنى تمل عليه تقرأ عليه ليتسخها بواسطة من يكتب له، لأنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً. ﴿قُلْ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قل فعل أمر،

وفاعله مستتر تقديره: أنت، وجملة أنزله مقول القول، والذي مفعول به، وجملة يعلم السر صلة الموصول، وفي السموات والأرض حال، وجملة إنه كان... الآية: تعليل لما تقدم، فلا محل لها، وقد تقدم إعرابها كثيراً.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ لف ونشر مرتب، وقد تقدم في هذا الكتاب أن اللف والنشر فن يتضمن ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعين، ثقةً بأن السامع يميز ما لكل واحد منها، ويرده إلى ما هو له، وقد مثلنا لكل من قسميه بما هو كاف، أما في هذه الآية فإن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ فيه جعل الكلام المعجز إفكاً مختلفاً متلقفاً من اليهود، أو غيرهم من أهل الكتاب، وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه.

* الفوائد:

- الفعل الجامد:

الفعل الجامد: هو ماأشبه الحرف من حيث أداؤه معنى، محروداً عن الزمان والحدث المعتبرين في الأفعال، فلزم مثله طريقة واحدة في التعبير، فهو لا يقبل التحول من صورة إلى صورة، بل يلزم صورة واحدة لا يزايلها، وذلك مثل: عسى، وليس، وهب بمعنى: احسب، وافتراض، ولم يرد من مادته بهذا المعنى إلا الأمر فهو فعل أمر جامد، وأما «هب» المشتق من الهبة فماضيه وهب ومضارعه يهب، وكذلك هب المشتق من الهيبة، فإنه فعل أمر متصرف فماضيه هاب ومضارعه يهاب، ونعم وبئس وهو إما أن يلازم صيغة الماضي مثل: عسى، وليس، ونعم، وبئس، وتبارك الله، أو: صيغة المضارع مثل يهبط، ومعناه: يصبح، ويفتح، يقال: ما زال منذ اليوم يهبط هيطاً، وهو مضارع لا ماضي له كما في «السان العربي» و«تاج العروس» ويقال: ما زال في هيط ومهبط بفتح أولهما، وفي هياط ومهياط بكسر أولهما، أي: ضجاج، وشر، وجبلة، وقيل في هياط ومهياط: في دنو، وتبعاد، والهياط: الإقبال،

والمياد : الإدبار ، والهائط : الجائي ، والمائط : الذاهب ، والهابطة والهياط : الصياح ، والجلبة ، ويقال : بينهما مهابطة ، وماماية ، ومسايبة ، ومشايبة ، أي : كلام مختلف ، ومثل هب : هات ، وتعال ، وهلم في لغة تميم ؛ لأنه عندهم فعل يقبل علامته ، فتلحقه الضمائر ، أما في لغة الحجاز فهي اسم فعل أمر ؛ لأنها ستكون عندهم بلفظ واحد للجميع ، وسيأتي بحثها في حينه . ومن الأفعال الجامدة «قل» بصيغة الماضي للنفي المضى ، وإذا لحقته ما زائدة كفتها عن العمل ، فلا يليه حيتنز إلا فعل ، ولا فاعل له بجريانه مجرى حرف النفي ، نحو : قلما فعلت هذا ، وقلما أفعله ، أي : ما فعلت ولا أفعل ، ومنه قول الشاعر :

قلّما يبرُّ اللبيبُ إلى ما يُورِثُ المجدَ داعيًّا أو مجبيًا
أي : لا يزال اللبيب داعيًّا .

وقد يليه الاسم في ضرورة الشعر كقوله :

صددتِ فأطولتِ الصُّدودَ وقلّما وصالٌ على طول الصُّدودِ يدومُ

وقد يراد بقولك : قلما أفعل إثبات الفعل القليل ، كما في «الكليات» لأبي البقاء ، غير أن الكثير استعمالها للنفي الصرف ، ومثل قلما في عدم التصرف : طلما ، وكثرا ، وقصر ما ، وشديما ، فإن ما فيهن زائدة للتوكيد كافة لهن عن العمل ، فلا فاعل لهن ، ولا يليهن إلا فعل ، فهن كقلما . ومن الأفعال الجامدة قولهم : «سقط في يده» بمعنى ندم ، وتحير ، وزلل ، وأخطأ ، وهو ملازم صورة الماضي المجهول ، قال تعالى : ﴿وَلَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ وقد تقدم بحثه .

﴿وَقَالُوا مَا لَهُذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَأْيِيْنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ٨﴾ أَنْظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَيِّلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي
إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ
فُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتُهُمْ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا هَا قَيْظًا وَرَفِيرًا ﴿١٢﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا مَايِّ هَذَا أَرْسَوْلٌ يَأْكُلُ الْطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان قبائحهم التي أرجفوا بها في شأن الرسول، وهي ستة كما سيأتي. وقالوا فعل وفاعل، وما اسم استفهمام مبتدأ، ولهذا خبره، والرسول بدل من اسم الإشارة، وجملة يأكل الطعام حالية، وهي الفريدة الأولى، ويأكل الطعام فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة يمشي في الأسواق عطف عليها، وهي الفريدة الثانية، وسيأتي معنى أكل الطعام والمشي في الأسواق في باب البلاغة. ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ لولا حرفا تحضيضاً، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، وملك نائب فاعل، والفاء فاء السبيبة، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمورة بعد فاء السبيبة؛ لأنها جواب التحضيضاً، واسمها مستتر تقديره: هو، أي: الملك، ومعه ظرف مكان متعلق بمحدوف حال، ونديراً خبراً يكون، أي: فهما يتساندان في الإنذار والتخييف، وهذه هي الفريدة الثالثة. ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أو حرفا عطف، ويلقى فعل مضارع مبني للمجهول، وكنز نائب فاعل، وإليه متعلقان بيلقى، أو تكون له جنة عطف على ما تقدم، وجملة يأكل منها صفة لجنة، وهذا الفعلان معطوفان على أنزل لأنه بمعنى ينزل، ولا يجوز أن يعطفا على «فيكون» المنصوب في الجواب؛ لأنهما مندرجان في التحضيضاً فيعطوان على جوابيه، وهاتان هما الفريتان الرابعة الخامسة. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَسْتَعْنُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ الواو عاطفة، وقال الظالمون فعل وفاعل، وإن

نافية، وتبعون فعل مضارع وفاعل، وإنّا أداة حصر، ورجلًا مفعول به، ومسحورًا صفة، وهذه هي الفريدة السادسة والأخيرة. ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لِكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَيِّلًا﴾ انظر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره: أنت، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، ولكل متعلقان بضرروا، والأمثال مفعول به، فضلوا: الفاء عاطفة، وضلوا فعل ماض وفاعل، فلا: الفاء عاطفة، ويستطيعون سيلًا فعل مضارع وفاعل ومفعول به. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير تساميه سبحانه وتعاليه عما يقولون. وتبارك الذي فعل وفاعل، وقدر الزمخشري والحلال وغيرهما مضافاً مخدوفاً، أي: خير الذي، وإن شرطية، وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وجعل جواب الشرط، والجملة الشرطية صلة الموصول، ولكل مفعول جعل الثاني، وخيراً مفعول جعل الأول، ومن ذلك متعلقان بخيراً، والإشارة إلى الذي اقترحوه من الكنز، والبستان. ﴿جَنَّتٍ بَحْرِي مِنْ قَعْدَتِهَا الْأَنْهَرُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾ جنات بدل من خيراً، وجملة تجري صفة الجنات، ومن تحتها متعلقان بتجري، والأنهار فاعل تجري، ويجعل فعل مضارع معطوف على محل جعل الواقع جواباً للشرط، وسيأتي بحث هام عن فعل الشرط وجوابه في باب الفوائد، وكل مفعول ثان، وقصوراً مفعول أول. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ بل حرف للإضراب، فقد أضرب عن توبيخهم بحكاية أراجيفهم السابقة إلى حكاية تكذيبهم بالساعة، وكذبوا فعل وفاعل، وبالساعة متعلقان بكذبوا، وأعدتنا فعل وفاعل، ولم متعلقان بأعدتنا، وجملة كذب بالساعة صلة من، وسعيراً مفعول به، والمعنى: هيأنا لهؤلاء المكذبين ناراً عظيمة، ووضع الموصول موضع الضمير، ووضع الساعة موضع ضميرها للبالغة في التوبيخ، وقد مررت نظائره في أبواب البلاغة، ونون سعيراً للتكتير، أي: ناراً عظيمة كما ذكرنا. ﴿إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا فَيُظَاهِرُوا زَفِيرًا﴾ هذه الجملة الشرطية في محل نصب صفة لسعيراً؛ لأنّه مؤنث بمعنى النار. وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة رأتهم في محل جر بإضافة إذا إليها، ومن

مكان متعلقان بمحذوف حال، وجملة سمعوا جواب الشرط، ولها حال؛ لأنَّه كان في الأصل صفة وتغييضاً مفعول به، وزفيرأً عطف عليه، وسيأتي في باب البلاغة فصل مسهب عن هذا التعبير.

□ البلاغة:

١ - كنايات بديعutan:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسَوَاقِ﴾ كناية عن الحدث لأنَّه ملازم أكل الطعام، وقد مر تقريره مفصلاً في سورة المائدة، فجدد به عهداً، وفي يمشي في الأسواق كناية عن طلب المعاش، وانظر بعد هاتين الكنايتين البديعيتين إلى حكاية خطراتهم الملتلة، وهواجسهم المحمومة، كيف اقترحوا أولاً بأن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتسانداً في الإنذار والتخييف، ثم نزلوا أيضاً فقالوا: وإن لم يكن مرفوضاً بملك، فليكن مرفوضاً بكلز يلقى إليه من السماء يستظهر به، ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا فاقتعنوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه، ويرتزق كما يرتزق الميسير، فانظر كيف صور خطرات النفس الملتلة، وحالات ترددتها.

٢ - وضع الظاهر موضع المضمر:

في قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير، وقد تقدمت الإشارة إليه مع أمثلته، فقد أراد بالظالمين إياهم بأعينهم، فهم القائلون الأولون، وإنما وضع المظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم، وتجاوز الحدّ.

٣ - الاستعارة: إثبات الرؤية لجهنم، والتغييظ المسموع، والزفير المصاعد، أمر شغل العلماء كثيراً، فأما أهل السنة فيجعلون ذلك كله حقيقة، ولا يحملونه على المجاز، فإن رؤية جهنم جائزه، وقدرة الله تعالى صالحة، وقد ظهرت الظواهر على وقوع هذا الجائز، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسياً وعقلياً. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغْيِيطًا﴾ وإلى

محاجتها مع الجنة، وإلى قولها: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» وإلى استكائها إلى ربها، فاذن لها في نفسيين، إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها؛ إذ لا محوج إليه، قالوا: «ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلال» أما بصدق سمع التغيظ، وهو لا يسمع، فقد أجاب عنه أهل السنة بثلاثة أجوبة ندرجها فيما يلي:

آ- أنه على حذف مضارف، أي: صوت تغيظها.

ب - أنه على حذف فعل تقديره: سمعوا، ورأوا تغيظاً وزفيرأ، فيرجع كل واحد إلى ما يليق به، أي: رأوا تغيظاً، وسمعوا زفيرأ.

ج - أن يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين، أي: أدركوا لها تغيظاً، وزفيرأ. أما بصدق قوله: رأتهم، فقال بعضهم: إنه من باب القلب، أي: رأوها، أو: على حذف تقديره: رأتهم زبانيتها.

أما المعتزلة فهم يحملون ذلك كله على المجاز، ويجعلون رؤية جهنم من باب قولهم: دوربني فلان تراءى وتتناظر، فتدخل عندئذ في باب الاستعارة المكنية، وقد تقدم القول فيها كثيراً.

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهم - في قوله: «إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» من مسيرة مئة عام، وذلك إذا أتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، يشد بكل زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأنت على كل بر وفاجر «سَمِعُوا لَهَا تغيظاً وزفيراً» تزفر زفرا، لا تبقى قطرة من دمع إلا ندرت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها، تقطع اللهوات، والحناجر.

٤ - حسن الاتباع:

هذا؛ وقد رمق الشعراء سماء هذه التعبيرات البليغة مما يدخل في باب: حسن الاتباع، وهو: أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه غيره، فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستتحققه، ويحكم له به دون الأول، وهذا الباب بما يخص كلام المخلوقين، وما أخذ بعضهم من بعض، ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز

فيه، فإن القرآن مُتَّبِعٌ لا مُتَّبَعٌ، إلا أن الشعراء حين يرمقون سماءه، ويحسنون اتباعه، صار كأنه داخل في سلك هذا الفن، فقال الفرزدق:

يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحْتَهُ رَكْنُ الْحَاطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 فَأَسْنَدَ أَفْعَالَ مَنْ يَعْقُلُ إِلَى مَا لَا يَعْقُلُ، وَجَرَى عَلَى مَنْوَالِهِ أَبُو ثَمَامَ قَالَ:
 لَوْ يَعْلَمُ الرَّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ لَخَرَّ يَلْثُمُ مِنْهُ مَوْطِئَ الْقَدْمِ
 وَهَذَا الْبَحْتَرِيُّ حَذَوْ أَبِي ثَمَامَ قَالَ:
 فَلَوْ أَنَّ مَشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسِعِهِ لَسْعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ
 وَاتَّبَعَ الْمَتَنْبَيِ الْبَحْتَرِيِّ فِي ذَلِكَ قَالَ:
 لَوْ تَعْقُلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مَحِيَّةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَا
 وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، سِيَّاقُ الْكَثِيرِ مِنْ أَمْثَالِهِ.

* الفوائد:

- فعل الشرط والجواب:

لا يشترط في الشرط والجواب أن يكونا من نوع واحد، بل تارة:

١ - يكونان مضارعين نحو: «وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ».

٢ - يكونان ماضيين نحو: «وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا».

٣ - يكونان مختلفين ماضياً فمضارعاً، نحو: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ
 الْآخِرَةَ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَثِهِ» وإنما حسن ذلك؛ لأن الاعتماد في المعنى على خبر
 كان وهو مضارع، فكأنه قال: من يردد له.

٤ - يكونان عكسه مضارعاً فماضياً، وهو قليل، وخصبه بعضهم بالشعر،
 وورد منه في الحديث قوله عليه السلام: «من يقم ليلة القدر احتساباً غفر له» رواه
 البخاري.

هذا؛ وإذا وقع فعل الشرط ماضياً، جاز في جزائه الجزم والرفع، كقول

زهير:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمًا مُسْبَغَةً يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِيٌّ وَلَا حَرْمٌ
 بِرْفَعٍ يَقُولُ : قَالَ ابْنُ مَالِكَ « وَبَعْدَ مَاضٍ رَفَعَكَ الْخَبَرُ أَحْسَنٌ ». وَالَّذِي
 حَسَّنَ ذَلِكَ : أَنَّ الْأَدَاءَ لَمَا لَمْ تَعْمَلْ فِي لُفْظِ الشَّرْطِ لِكُونِهِ مَاضِيًّا مَعَ قَرْبِهِ ، فَلَا
 تَعْمَلُ فِي الْجَزَاءِ مَعَ بَعْدِهِ ؛ وَلِذَلِكَ قَرْيَءٌ : « وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا » بِرْفَعٍ يَجْعَلُ
 عَطْفًا عَلَى جَعْلٍ ، وَقَدْ أَرَادَ بَعْضُهُمْ تَحْكِيمَ شَوْقِيَّةَ قِيَّوْلَهُ :
 إِنْ رَأَتِنِي تَعْيِلٌ عَنِّي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِ أَشْيَاءٌ
 وَفَاتَهُمُ الْقَاعِدَةُ الْمُتَقْدِمَةُ .

﴿ وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَا كَانَ أَضَيْقَا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَّا لِكَ ثُبُورًا ﴾ ١٣ ﴿ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ
 ثُبُورًا وَنَجَدًا وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ ١٤ ﴿ قُلْ أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَلِيلِ الَّتِي
 وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ ١٥ ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلِينَ
 كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدَ مَسْتُولًا ﴾ ١٦ ﴾

☆ اللَّفْظَةُ :

﴿ مُقَرَّرِينَ ﴾ : مِنْ قَرْنَهِ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ : جَمِيعُهُ وَشَدَّدَهُ ، يَقَالُ : قَرَنْتَ
 الْأَسَارِيَّ فِي الْحِبَالِ ، وَفَعْلَهُ الْثَّلَاثِيَّ قَرْنٌ يَقْرَنُ ، مِنْ بَابِ : ضَرَبَ يَضْرِبُ قَرْنًا
 الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ : شَدَهُ بِهِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ ، وَقَرْنُ الثُّورِيَّنِ : جَعَلَهُمَا فِي نَيْرٍ وَاحِدٍ ،
 وَقَرْنُ الْبَعِيرِيَّنِ : جَعَلَهُمَا فِي حَبْلٍ ، وَهِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مُقَرَّرِينَ » تَفِيدُ
 شَيْئَيْنِ : التَّصْفِيدُ ، أَيْ : تَقْيِيدُ الْأَرْجُلِ ، وَجَمِيعُ الْأَيْدِيِّ وَالْأَعْنَاقِ بِالسَّلاسلِ .

﴿ ثُبُورًا ﴾ : هَلَاكًا يَقَالُ : ثَبَرَهُ اللَّهُ : أَهْلُكَهُ هَلَاكًا دَائِمًا لَا يَنْتَعِشُ بَعْدِهِ ،
 وَمِنْ ثُمَّ يَدْعُو أَهْلَ النَّارِ : وَاثْبُورَاهُ . وَمَا ثَبَرَكَ عَنْ حَاجَتِكَ : مَا ثَبَطَكَ ؟ وَهَذَا
 مَثْبُرٌ فَلَانَةٌ : لِمَكَانٍ وَلَا دَتَّهَا ، حِيثُ يَثْبُرُهَا النَّفَاسُ .

○ الْأَكْرَابُ :

﴿ وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَا كَانَ أَضَيْقَا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَّا لِكَ ثُبُورًا ﴾ الْوَاوُ عَاطِفَةٌ ، وَإِذَا

طرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ألقوا مجرورة بإضافة الطرف إليها، وهو متعلق بالجواب وهو دعوا، وألقوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ومنها حال من مكاناً، لأنه في الأصل صفة له، ومكاناً ظرف متعلق بالقوا، وضيقاً صفة لمكاناً، ومقرنين حال من الواو في القوا، وجملة دعوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والواو فاعل دعوا، وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بدعوا في ذلك المكان، ومعنى دعوا: نادوا، وثبوراً مفعول به لدعوا، ويحوز أن يكون مفعولاً مطلقاً، أي: مصدرأً من معنى دعوا، وقال الزجاج: وانتساب ثبوراً على المصدرية، أي: ثبرنا ثبوراً، وقيل: منتسب على أنه مفعول له، وقيل: منادي، أي: يقولون يا ثبوراه احضر فهذا أوانك، فإن الهلاك أخف عليهم مما هم فيه. ﴿لَا نَدْعُوكُمْ يَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَأَدْعُوكُمْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ الجملة مقول قول مذدوف تقديره: فيقال لهم، وهذا المذدوف معطوف على ما قبله. ولا نافية، وتدعوا فعل مضارع مجزوم بلا النافية، والواو فاعل تدعوا، وثبوراً تقدم أنها مفعول به، أو مفعول مطلق، وادعوا فعل أمر، وثبوراً تقدم إعراضها، وكثيراً صفة لثبوراً، وعبر عنه بالكثرة، ونفي عنه الوحدة؛ لأنّ ألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفظاعته، أو: لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، فلا غاية، ولا نهاية لهلائهم. ﴿قُلْ أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنَفَّوْنَ كَانَتْ لَهُمْ جَرَاءً وَمَصِيرًا﴾ قل فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره: أنت، والهمزة للاستفهام للتقرير والتهكم، وسيأتي مزيد من بحث بلاغة هذه الآية، وذلك مبتدأ، وخير خبر، وأم حرف عطف، وجنة الخلد عطف على ذلك، واسم الموصول صفة لجنة الخلد، وجملة وعد المتقوون جملة فعلية من فعل ونائب فاعل صلة، وجملة كانت لهم حالية من جنة الخلد، ولهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة، واسم كانت مستتر تقديره: هي، وجاء خبر كانت، ومصيرأً عطف على جزاء. ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَخَلِيلِ

كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ الجملة حال ثانية من جنة الخلد، ولهم خبر مقدم، وفيها حال، وما مبتدأ مؤخر، وجملة يشاؤون صلة، وخالدين حال لازمة من الهاء في لهم، أو الواو في يشاؤون ، وكان فعل ماضٌ ناقصٌ، وأسمها مستتر يعود على الوعد المفهوم من قوله: وعد المتقون، أو: على ما يشاؤن، وعلى ربك حال؛ لأنَّه كان صفة لوعداً، ومسؤولًا صفة لوعداً.

* الفوائد:

معنى التفضيل:

المفهوم من اسم التفضيل أنه تفاوت بين صفتين مشتركتين، فكيف قال: أذلك خير أم جنة الخلد؟ ومعلوم أن النار لا خير فيها أبداً، وقد سبق مثل هذا السؤال؛ والجواب ما حكاه سيبويه عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه، وقيل ليس هو من باب اسم التفضيل، وإنما هو كقولك: عنده خير.

وما لا مندوحة عن التنبيه إليه هو أن قوله تعالى: «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ» ظاهره يقتضي عموم الموصول أنه إذا شاء أحد رتبة من فوقه كالأنبياء نالها، فلم يبق بين الناقص والكامل تفاوت، ويقتضي أيضاً أنه إذا شاء أحدهم الشفاعة لأحد من أهل النار كابنه، أو أبيه، فإن شفاعته سوف تقبل، وذلك يتنافي مع العلم بأن عذاب الكافر مخلد، وقد أجاب القاضي البيضاوي على هذا الإيمام بقوله: «ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبتها، وأنه تعالى لا يلقي في خواطيرهم أن ينالوا أكثر مما نالوه، أو يطلبوا المزيد على ما يسبحون فيه من أمواه النعيم المترفرقة عليهم». والأحاديث مستفيضة في درجات الجنة وتفاوتها. روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للممجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ بِمِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلُّلُكُمْ عِبَادٍ هَتَّلَاءَ آمَ هُمْ ضَلَّلُوا السَّيِّلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَئِآءِ وَلَكِنْ مَتَّعَهُمْ وَأَبَاءُهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذْقِهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

☆ النَّفْخَةُ :

﴿بُورًا﴾ : البور - بضم الباء - : الفاسد الذي لا خير فيه، يقال: امرأة بور، وقوم بور، يوصف به الواحد والجمع، والبور من الأرض: ما لم يزرع، ويجوز أن يكون جمع بائر، كعائد وعود، وفي «الأساس» و«اللسان» و«التاج» : «فلان له نوره، وعليك بوره: أي هلاكه، وقوم بور، وأحلوا دار البار، ونزلت بوار على الكفار. قال أبو مُكْعِتِ الأَسْدِي :

قُتِلَتْ فَكَانَ تَظَالُّمًا وَتَبَاغِيَا إِنَّ التَّظَالُمَ فِي الصَّدِيقِ بَوَارِ
لَوْ كَانَ أَوَّلَ مَا أَتَيْتَ تَهَارَشَتْ أَوْلَادُ عُزْجَ عَلَيْكَ عِنْدِ وِجَارِ

جعلها علمًا للضياع، فاجتمع التعريف والتأنث، ومن المجاز: بارت السياقات، أي: كسدت، وسوق بائرة، وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها» .

○ الإعراب :

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ بِمِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ كلام مستأنف ، مسوق لوصل ما ذكره في أول السورة ، وهو قوله : ﴿وَلَنَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً ﴾ . والظرف متعلق باذكر مقدراً معطوفاً على قل ، وجملة يحشرهم بالياء والنون في محل جر بإضافة الظرف إليها ، والهاء مفعول به ، وما موصول معطوف على الهاء ، أو منصوب على المعية ، وغلب غير العاقل على العاقل ، فأتي بما دون «من» لأن بين العبودين عقلاء ، وقيل : إن كلمة ما موضوعة للكل ، أو : يريد

الأصنام؛ لأنها تتكلّم بلسان الحال، كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل.

وقال الزخشي: «فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَصْحُّ اسْتِعْمَالُ مَا فِي الْعُقَلَاءِ؟ قُلْتَ: هُوَ مَوْضِعُ عَلَى الْعُمُومِ لِلْعُقَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ بِدَلِيلِ قَوْلِكَ: إِذَا رَأَيْتَ شَبَحًا مِّنْ بَعِيدٍ: مَا هُوَ؟ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: إِنْسَانٌ قُلْتَ حِينَئِذٍ: مَنْ هُوَ؟».

وجملة يبعدون صلة ما، ومن دون الله حال. ﴿فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَتُؤَلِّهُمْ أَمْ هُمْ ضَلَّلُوا السَّبِيلَ﴾ فيقول عطف على يحصرهم، وأنتم الهمزة للاستفهام التقريري، وأنتم مبتدأ، وجملة أضللتكم خبر، وعبدادي مفعول به، وهؤلاء اسم إشارة صفة لعبدادي، أي: المشار إليهم، أو بدل من عبادي، وأم حرف عطف، وهم مبتدأ، وجملة ضلوا خبره، والسبيل نصب بنزع الخاضض؛ لأن ضل مطابع أصله، وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداء الطريق، والأصل: إلى الطريق وللطريق. ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَئِكَ﴾ سبحانك مفعول مطلق لفعل مخدوف، أي: تنزيهاً لك عمما لا يليق بك، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وجملة ينبغي خبر كان، ولنا متعلقان ينبغي، وأن وما في حيزها فاعل ينبغي، فيكون اسم كان مستترًا، وفاعل ينبغي مستتر، ومن دونك مفعول نتخد الثاني، ومن حرف جر زائد، وأولياء مجرور لفظاً منصوب محالاً على أنه مفعول نتخد الأول، أو بالعكس، وال الصحيح أن قوله: من أولياء هو المفعول الأول؛ لأن الذي يجوز أن تكون فيه زائدة بخلاف الثاني، تقول: ما اتخذت من أحد ولية، ولا يجوز في الأفصح: ما اتخذت أحداً من ولية. ﴿وَلَنَكَ مَنْعَثَهُرُ وَأَبَكَاهُمْ حَتَّى نَسُوا الْكَسْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ الواو عاطفة، ولكن خففة مهملة للاستدراك، ومتعمتهم فعل وفاعل، ومفعول به، وأباءهم الواو عاطفة، أو للمعية، وأباءهم عطف على الهاء، أو مفعول معه، وحتى حرف غاية وجر، ونسوا الذكر فعل وفاعل ومفعول به، وكانوا كان واسمها، وقوماً خبرها وبوراً صفة. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ إِمَّا لَقُولُونَ فَمَا سَتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها مرتبة على مخدوف، ولأنها مفاجأة.

بالاحتجاج والإلزام، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات، وحذف القول، وهذا التعبير بلieve جداً، وله نظائر في الكتاب الكريم، كقوله تعالى: ﴿يَأَهِلَّ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولًا يُبَشِّرُكُمْ عَلَى فَرْقٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾.

وقول الشاعر:

قالوا: خُراسان أقصى ما يُرادُ بنا
ثم القفو! فقد جئنا خُراسانا

أي: إن هذه البلدة أبعد ما يُراد بنا، وغاية سفرنا، ثم يكون القفو والرجوع، وقوله: فقد جئنا مرتب على مخذوف، أي: إن صدقوا فقد جئنا خُراسان، فلمَ لم تخلص من السفر؟ ويجوز أنه عدل إلى الخطاب، أي: فقولوا لهم اقطعوا السفر بنا، وارجعوا فقد جئنا الموعده.

وقد حرف تحقيق، وكذبواكم فعل وفاعل ومفعول به، وبما متعلقان بكذبكم، وجملة تقولون صلة، والواو واقعة على المعبدين، والكاف على العابدين، فما: الفاء عاطفة، وما نافية، وتستطيعون فعل مضارع وفاعل، وصرفاً، أي: دفعاً للعذاب عنكم مفعول به، ولا نصراً عطف على صرفاً. ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذْقِهُ عَذَابًا كَيْرًا﴾ الواو استثنائية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويظلم فعل الشرط، ومنكم حال، أي: كائناً منكم أية المكلفين، ونذقه جواب الشرط، والفعل وجوابه خبر من، والهاء مفعول نذقه الأول، وعداً مفعول نذقه الثاني، وكبيراً صفة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسَوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيَعْضِ فِتْنَةً أَتَصِيرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءً نَّا لَوْلَا أُنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَكِكَةُ أَوْ نَرَى رَبِّنَا لَقَدْ أَسْتَكَبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَّوْ عُتَّوْ كَيْرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ

الْمَلِئَكَةُ لَا يُشَرِّى بِوَمَيْدٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا ﴿١٧﴾ وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا
مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿١٨﴾

☆ اللفظة:

﴿حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾: ذكره ما سيبويه في باب المصادر غير المترصفة المنصوبة بأفعال متراكمة، نحو: معاذ الله، وقعدك الله، وعمرك الله، وهذه الكلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور، أو هجوم نازلة، أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذه، قال سيبويه: «ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا؟ فيقول: حبراً، وهي من: حبره: إذا منه؛ لأن المستعيد بالله طالب منه أن يمنع المكروره، فلا يلحقه، فكان المعنى: اسأل الله أن يمنع ذلك منعاً، ويحجزه حبراً».

وقد تساءل الزمخشري فقال: «فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر، فما معنى وصفه بمحجور؟ قلت: جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا: ذيل زائل، والذيل: الهوان، وموت مائت، والحجر: العقل؛ لأنه يمنع صاحبه. وفي «الأساس»: «وفي ذلك عبرة لذى حجر، وهو: اللب، وهذا حجر عليك: حرام، وحجر عليه القاضي حبراً، واستيقينا من الحاجر، وهو منهبط يمسك الماء، وفلان من أهل الحاجر، وهو: مكان بطريق مكة، وقعد حجرة، أي: ناحية، وأحاطوا بحجرتي العسكرية، وهم جانبيه، وحجر حول العين بكية، وعوذ بالله وحجر، وامرأة بيضاء المحاجر، وبدا محجرها من الثقب، واستحجر الطين، وتحجر: صلب كالحجر، وتحجر ما وسعه الله: ضيقه على نفسه، وقراءة العامة على كسر الحاء، وقرىء بالضم، وهو لغة فيه، وحكى أبو البقاء فيه لغة ثلاثة، وهي الفتح، قال: وقد قرىء بها.

﴿هَبَاءً﴾: الهباء، قال في «القاموس» و«التاج»: الغبار ودقائق التراب ساطعة، ومتثورة على وجه الأرض، والقليلو العقول من الناس، وفعله: هنا يهبو هبوأ». وقال الزمخشري: «والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس

شبيه الغبار، وفي أمثالهم: أقل من الهباء». قال: «ولام الهباء واو بدليل الهبوا» قلت: وقال النبي:

ولا تحسبنَ المجدَ زقّاً وقينةً

فما المجدُ إِلَّا السيفُ والفتكةُ الْبَكْرُ

وتضرِيبُ أعناقِ الْمُلُوكِ وأنْ تُرى

لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكُرُ الْمُجْرُ

وقال الخليل والزجاج: «هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراهى مع ضوء الشمس».

○ الإعراب:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ أَمْرِ سَلِيمٍ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسَوَافِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتسليته ﷺ، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، وبذلك ظرف متعلق بمحذوف حال، ومن المرسلين متعلقان بأرسلنا، أو: بمحذوف صفة لمفعول أرسلنا، والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقْدَمٌ مَعْلُومٌ﴾ على معنى: وما من أحد، ولعل هذا أولى، وإلا أدة حصر، وجملة إنهم حالية؛ ولذلك كسرت همزة إن، كما أنها كسرت لأجل اللام في الخبر، والمعنى: إلا وهم يأكلون، فالاستثناء من أعم الأحوال، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهي لام الابتداء، زحلقت إلى الخبر، وجملة يأكلون الطعام خبر إنهم، وجملة يمشون في الأسواق عطف على: ليأكلون الطعام. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيَعْصِي فِتْنَةً أَتَصِيرُونَ كَمَا كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، أو تجعلها مستأنفة، مسوقة لتسليته ﷺ أيضاً، وجعلنا فعل وفاعل، وبعضكم مفعول به أول، ولبعض حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لفتنة، وفتنة مفعول به ثان يجعلنا، ومعنى جعل بعضهم فتنة لبعض: أن الغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع، والمراد: أن الدنيا دار امتحان وبلاء، فلا يفلل ذلك في عزمه، ولا يضيقن به صدرك، ولا تأبه لأرجيفهم،

والهمزة للاستفهام، ومعنى الاستفهام: الأمر، أي: اصبروا، ومثله: ﴿إِنَّمَا سَمَّا مُّرَسِّلَتِهِ﴾ معناه: أسلموا، وكان: الواو عاطفة، أو استئنافية، وكان فعل ماض ناقص، وربك اسمها، وبصيراً خبرها. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رِبَّنَا﴾ الواو عاطفة، وقال الذين فعل وفاعل، وجملة لا يرجون صلة، ولقاءنا مفعول به، ولو لا أدلة تحضيض، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، علينا متعلقان به، والملائكة نائب فاعل، والجملة مقول قولهم، وهم الذين ينكرون البعث، وأو حرف عطف، وجملة نرى ربنا عطف على جملة أنزل علينا الملائكة، فهي من مقول قولهم اقتربوا أن ينزل الله عليهم الملائكة، فتخبرهم بصدق محمد حتى يصدقوه، أو يروا الله جهرة، فيأمرهم بتصديقها، واتباعه. ﴿لَقَدِ اسْتَكَبُرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَنَّوْ عَنْنَا كَيْرًا﴾ الجملة مقول قوله تعالى في درء الشبهتين؛ اللتين أوردوهما تعنتاً ومكابرة بعد قيام الحجة، وسطوع الدليل. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، واستكروا فعل وفاعل، وفي أنفسهم فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق باستكروا، يعني: أنهم لتكبرهم استكروا أنفسهم، أي: عدوها كبيرة الشأن، وأصله: من: استكبره، إذا عَدَهُ كِيرًا، ونزله منزلة اللازم.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف حال، أي: أنهم أضمرروا الاستكبار عن الحق في قلوبهم، أي: كائناً في قلوبهم، وعثوا فعل ماض وفاعل، وعثوا مفعول مطلق، وكثيراً صفة له.

﴿يَوْمَ يَرَوُنَ الْمَلَائِكَةَ لَا يُشْرِكُونَ بِهِمْ يَوْمَ الْحِجَرِ مِنَ وَيَقُولُونَ حِجَرًا مَّحْجُورًا﴾ يوم متعلق باذكر مقدرة، أو: بيعذبون، أو: بلا يبشرؤن المفهومه ضمناً من لا بشري، أي: يوم يرون الملائكة يمنعون البشري، أو: يعدموها، ولا تعمل فيه البشري؛ لأن المصدر لا يعمل فيما قبله، ولأن المنفي لا يعمل فيما قبل لا. وجملة يرون محظوظة بإضافة الظرف إليها، والملائكة مفعول به، ولا بشري: لا نافية للجنس، وبشري اسمها، وللمجرمين خبرها، والجملة مقول قول

محذف، أي : يقولون : لا بشرى ، وجملة القول حال من الملائكة ، ويقولون فعل وفاعل ، وحجرأً محجوراً تقدم القول في إعرابها مفصلاً في باب اللغة . ﴿وَقَدِمْنَا إِلَيْ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُرًا﴾ الواو استئنافية ، وقدمنا فعل وفاعل ، وإلى ما : متعلقان بقدمنا ، وجملة عملوا صلة ، ومن عمل حال ، أي : عمل خير كصدقة ، وصلة رحم ، أو إغاثة ملهوف ، والفاء عاطفة ، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به أول ، وهباء مفعول به ثان ، ومنتوراً صفة .

□ البلاعنة :

شَيْءَ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ الْحَسْنَةِ بِالْهَبَاءِ، وَوَجْهُ الشَّيْءِ: قَلْتَهُ، وَحَقَارَتَهُ، وَعِنْهُ^(١)، وَأَنَّهُ لَا يَتَفَعَّبُ بِهِ، ثُمَّ أَيْ هَبَاءٌ؟ إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ مُنْتَظَمًا مَعَ ضَوْءِ الْشَّمْسِ، فَإِذَا حَرَكَتَهُ الرِّيحُ تَطَافِرًا، وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ، وَلَذِكَّ قَالَ مَنْثُرًا، أَيْ : جَامِعًا لِحَقَارَةِ الْهَبَاءِ وَالْتَّنَاثِرِ، وَمُثْلُهُ: ﴿كُنُوا قِرَدَةً حَسَرِينَ﴾ أَيْ : جَامِعِينَ لِلْمَسْخِ، وَالْخَسْءِ، وَأَتَى بِالْعَالِمِ مُنْكَرًا؛ لِيَتَنَوَّلُ هَذَا الْوَعِيدُ كُلُّ مَنْ سُوِّلَتْ لَهُ نَفْسَهُ الْبَقَاءُ عَلَى الْكُفَّرِ، وَعَمِلَ مِثْلَ عَمَلِهِمْ .

وللرماني في كتابه : «النكت في إعجاز القرآن» بحث طريف في هذا التشبيه بعد أن يلخصه بباب الاستعارة يقول فيه : «حقيقة قدمنا هنا عمنا ، وقدمنا أبلغ منه ؛ لأنَّه يدلُّ على أنه عاملهم معاملة القادر من سفر ؛ لأنَّه من إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم ، وفي هذا تحذير من الاغترار بالأفهام ، والمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأنَّ العمد لإبطال الفاسد عدل ، والقدوم إلى إبطال الفاسد عدل ، والقدوم أبلغ لما بيننا ، وأما هباء منتوراً فيبيان ما قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه» .

فانظر إليه كيف استجمعت الصور القرآنية في ذهنه ، وكيف أوحى إليه لفظ قدمنا المستعار من معان ، ثم كيف كشف عن خبايا التعبير القرآني في استعارة القدوم للعمد ، وفضل الأول في بعث الخيال ، وإثارته ؛ ليربط بين المعنى

(١) كذا في الأصل ، ولم نهتم لمعناها .

الأول في الآية والمعنى المستعار، وصورة أخرى ربطية تثور في الخيال، وهي صورة المسافر الغائب الذي يأتي فيرى القوم على خلاف، فيضرب ليعدل، ويصلح الفاسد.

وقال الواحدي: «معنی قدمنا: عمدنا وقصدنا، يقال: قدم فلان إلى أمر کذا؛ إذا قصده أو عدده، ومنه قول الشاعر:

وقدم الخوارجُ الضلآلُ إِلَى عبادِ رَبِّهِمْ فَقَالُوا
إِنَّ دماءَكُمْ لَنَا حَلَالٌ

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾
السَّمَاءُ بِالْغَمْمِ وَزِلَّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٤﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِرَحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكُفَّارِ عَسِيرًا ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدِيهِ يَكْفُلُ يَلْيَتِي أَخْذَتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَيِّلًا ﴿٢٦﴾ يَنْوِيلَهُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَهْذِفْ لَفَلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٧﴾ لَفَدَ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ
بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَنِ حَذِلًا ﴿٢٨﴾

○ الإعراب:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أصحاب: مبتدأ، والجنة: مضارف، ويومئذ: ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بخير، وخير: خبر أصحاب، وهو اسم تفضيل، أو لمجرد الوصف، ومستقر: تميز وأحسن مقيلاً: عطف على: خير مستقرًا، والمستقر: المكان الذين يقضون فيه معظم أوقاتهم. والمقيل: المكان الذي يأولون إليه للاستراحة إلى أزواجهم، والتمتع بمعازلتهم. وسيأتي في باب البلاغة مزيد من بحث هذه الآية. ﴿وَيَوْمَ
تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمْمِ وَزِلَّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ الظرف منصوب بتقدير اذكر، وجملة تشدق: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأصل تشدق: تششقق، فحذف بعض القراء التاء، وأدغمها بعضهم، والسماء: فاعل، وبالغمام: في هذه

الباء وجوه. أولها: أنها للسببية، بمعنى: أنها تشتق بسبب طلوعه منها، فيتعلق الجار وال مجرور بتشتق. وثانيها: أنها للملابسة، فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، والثالث: أنها بمعنى عن، أي: عن الغمام؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فتتعلق بتشتق أيضاً. ونزل الملائكة: فعل ماضٍ مبني للمجهول، والملائكة: نائب فاعل، وتزييلاً: مفعول مطلق.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكُفَّارِ عَسِيرًا﴾ الملك: مبتدأ، والظرف متعلق به، والحق: صفة للملك، وللرحم: خبر الملك، وأجاز بعض العرب أن يكون الظرف هو الخبر، وأخرون أجازوا أن يكون الحق، وما ذكرناه أولى. وكان: الواو استئنافية، وكان: فعل ماضٍ ناقصٍ، واسمها ضمير مستتر تقديره: وكان اليوم. ويوماً: خبرها، وعلى الكافرين: متعلق بعسيراً، وعسيراً: صفة ليوماً. ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمَ عَنْ يَدِهِ﴾ الظرف: منصوب باذكر مقدراً، وهو معطوف على قوله: يوم يرون الملائكة، وكذا قوله السابق: يوم تشتق السماء، وجملة بعض محروزة بإضافة الظرف إليها، والظلم: فاعل بعض، وعلى يديه: متعلقان ببعض. وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿يَقُولُ يَنِيَتِي أَخْتَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِيلًا﴾ الجملة: نصب على الحال من فاعل بعض، أي: قائلًا، وياليتي: يا: حرف نداء، والمنادى ممحض، أو هي مجرد التبيه، وليتي: ليت واسمها، وجملة اخذت: خبرها، ومع الرسول: ظرف مكان في موضع المفعول الثاني لاتخذت، وسيلًا: مفعول اخذت الأول. تمنى أن لو صاحب الرسول، وسلك سبيل الحق. ﴿يَنْوَلَنَّ لَيْتَنِي لَمْ أَخْتَذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ يا: حرف نداء، وويلتا: منادى مضاد إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، وأصله: يا ويلتي. وقد تقدم بحث المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ينادي ويلته، أي: هلكته. وليتي: ليت واسمها، وجملة لم اخذ: خبرها، وفلاناً: مفعول به أول، وخليلاً: مفعول به ثان. ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدِّرْكِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَنِ حَذُولًا﴾

اللام: جواب للقسم الممحوذ، وقد: حرف تحقير، وأصلني: فعل وفاعل مستتر، وعن الذكر: متعلقان بـأصلني، والجملة: تعليلية لمعنى المذكور، ونداهه هلكته، وبعد: ظرف أضيق إلى مثله، وهو متعلق بممحوذ حال، وجملة جاءني: مجرورة بإضافة الظرف إليها، والواو حالية، وكان الشيطان: كان واسمها، وللإنسان: متعلقان بـخذولاً، وخذولاً: خبر كان.

□ البلاغة:

الكنية في قوله: «مُسْتَقِرًا» و«مَقِيلًا» فأما المستقر: فهو اسم مكان من الاستقرار، وهو المجلس الدائم لأهل الجنة، يستقرون فيه، ويقضون معظم أوقاتهم متقابلين، يتحادثون، ويتسامرون، وكفى به عن أحاديث العشايا والبكر التي يتداولونها، وهي أحاديث كانت في الدنيا تدور بين المترفين وأصحاب النعيم واليسار، وكفى بالمقيل - وهو وقت استراحة نصف النهار - عن قضائهم وقت الاستجمام والاستراحة مع أزواجهم، وفي هذا المعنى سيأتي قوله: «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُعْلٍ فَتَكَبُّونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَأِيكِ مُشَكِّعُونَ» قيل في تفسير الشغل: إنه افتراض الأبكار.

ومن روائع الحديث في وصف غناء الحور العين قوله ﷺ فيما يرويه عنه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحدٌ قطٌّ، إن مما يغنين به: نحن الحيرات الحسان، أزواج قومٍ كرام، ينظرون بقرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الحالات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعن». .

وفي قوله: «وَيَوْمَ يَعْשُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» كناية عن الندم والغيظ والحسرة، ومثل هذا التعبير: عض الأنامل، والسقوط في اليد، وحرق الأرم، ففي الصحاح: حرقت الشيء حرقاً: بروته، وحکكت بعضه ببعض، ومنه: قولهم: حرق نابه. أي: سحقه حتى يسمع له صريف، وفلان يحرق

عليك الأرم غيظاً، من أرم على الشيء، أي: عض عليه، وأرمه أيضاً.
والأرم: الأضراس، كأنه جمع أرم، يقال: فلان يحرق عليك الأرم: إذا
تغيظ، فحك أضراسه بعضها ببعض، وقيل: هو مجاز عبر به عن التحير،
والغم، والندم، والتلجم. ونقل أئمة اللغة: أن المتأسف المتشنج المتندرم
يعض على إيهامه ندماً، وقال الشاعر:

لطمث خدّها بحمر لطاف
вшكـا العنـاب نورـ أقاح

و«فلان» كناية عن علم من يعقل، وفل: كناية عن نكرة من يعقل من الذكور، وفلانة: كناية عن علم من يعقل من الإناث، وفلة كناية عن نكرة من يعقل من الإناث، والفلان، والفلانة بالألف واللام: كناية عن غير العاقل، ولا مه واوية أو يائة.

قال أبو حيان: وفلان: كناية عن العلم، وهو متصرف. وفل: كناية عن نكرة الإنسان نحو: يا رجل، وهو مختص بالنداء، وفلة: يعني: يا امرأة، كذلك، ولام فل ياء، أو واو، وليس مرخماً من فلان، خلافاً للفراء، ووهم ابن عصفور، وابن مالك، وصاحب البسيط في قولهم: فل: كناية عن العلم، كفلان، وفي كتاب سيبويه ما قلناه بالنقل عن العرب.

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخْذَوْا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدْوًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ۚ ۲۱ ۷۰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَجَدَةً كَذَلِكَ لِتُنَبِّئَ بِهِ فَوَادَكَ وَرَتَنَّهُ تَرْتِيلًا ۖ ۲۲ وَلَا يَأْتُوكَ يَمْثِلُ إِلَّا جِئْنَاهُكَ بِالْحَقِّ وَأَحَسَنَ تَفْسِيرًا ۖ ۲۳ الَّذِينَ يَحْشُرُونَكَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أَوْ لِتُكَاهُ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْلُلُ سَيِّلًا ۶۴ ۷۱ ﴾

• 10 •

﴿مَهْجُورًا﴾: متوكلاً، أي: تركوه، وصدوا عن الإيمان به، وقيل: هو

من هجر: إذا هذى، أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار، وهو يحتمل بهذا المعنى وجهين. أحدهما: أنهم زعموا: أنه هذيان، وباطل، وأساطير الأولين، وثانيهما: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، فهو إما من الهجر بالفتح، أي: ضد الوصل، وإما من الهجر بالضم، وهو الهذيان، وفحش القول. ثم المهجور: إما اسم مفعول، وإما مصدر بمعنى: الهجر، أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر، كالمجلود، والمعقول، والميسور، والمعسر.

﴿وَرَأَنَّهُ﴾: فرقناه، أو أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل، وتؤدة، ولنيسر فهمه، وحفظه، وأصله: الترتيل في الأسنان وهو تفليجها، يقال: ثغر مرتل، ورتل (بفتحتين).

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَكْرِبِ إِنَّ قَوْمَيْ أَخْدُوا هَذِهِ الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقال الرسول: فعل وفاعل، ويا: حرف نداء، ورب: منادي مضاد إلى ياء المتكلم، وإن، واسمها، وجملة اتخذوا: خبرها، وهذا: مفعول أول لاتخذوا، والقرآن: بدل من اسم الإشارة ومهجوراً: مفعول به ثان. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَّيِّ عَدُوَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الواو: استثنافية، والكلام مستأنف، مسوق لتسليته ﴿وَكَذَلِكَ بَعْدَ الْأَرْتَاضِ الَّذِي يَعْنِيهِ﴾ والذى تدل عليه شكواه المريضة. وكذلك نعت مصدر محذوف، أي: مثل ذلك الجعل جعلنا، ولكل نبي: مفعول به ثان جعلنا، وعدوا: مفعول به أول، ومن مجرمين: نعت لعدوا. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ الواو: عاطفة، وكفى: فعل ماض، وبربك: الباء حرف جر زائد في الفاعل، وربك: مجرور لفظاً، فاعل كفى م حالاً، وهادياً: حال، ونصيراً: عطف عليه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَجَهْدَةً﴾ الواو: استثنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لحكاية شبهة منهم تتعلق بالقرآن، والحاكون هم قريش، أو اليهود، وهو اعتراض متهافت ساقط من أساسه؛ لأن إعجاز القرآن ليس منوطاً

بنزوله جملة أو تفصيلاً. قال الذين : فعل وفاعل، وجملة كفروا : صلة، ولو لا : حرف تحضيض، ونزل : فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بنزل، والقرآن : نائب فاعل، وجملة : حال، وواحدة : صفة. ﴿كَذَلِكَ لَنْثَيْتَ بِهِ فَوَادِكَ وَرَتَلَنَا تَرْتِيلًا﴾ الكاف : نعت مصدر مذوف، أي : نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل، ولثبتت : تعليل لنزلناه المذوفة، وبه : متعلقان بثبتت، والفاعل مستتر تقديره : نحن، وفؤادك : مفعول به، ورتلناه : عطف على نزلناه المذوفة، وهو فعل ماض، وفاعل، ومفعول به. وترتيلًا : مفعول مطلق، ومعنى ترتيله : أن قدره آيةً بعد آيةٍ بترسل، وثبتت، وقيل : هو أنزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة، وهي عشرون سنة. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا جِئْنَاهُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الواو : عاطفة، ولا : نافية، ويأتونك : فعل وفاعل ومفعول به، وبمثل : متعلقان ب يأتيونك، أي : بسؤال عجيب يشبه في استغرابه وبطلانه المثل السائر، وإلا : أداة حصر، وجئناك : فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق : جار ومحور، متعلقان بجئناك، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، ف محل الجملة النصب على الحال، أي : لا يأتيونك بمثل في حالٍ من الأحوال إلا في حال إتياناً إليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً. وأحسن : عطف على الحق، وجُرّ بالفتحة لأنه منع من الصرف، وتفسيراً : تميز. ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ الذين : رفع على أنه خبر لمبدأ مذوف، أي : هم، أو : نصب على الذم، أي : أذم الذين، وجملة يحشرون : صلة، وعلى وجوههم : متعلقان بمذوف حال، أي : مقلوبين على وجوههم، وإلى جهنم : متعلقان بيحشرون. ﴿أُولَئِكَ شُرُّ مَكَانًا وَأَخْلُلُ سَيِّلًا﴾ أولئك : مبتدأ، وشرُّ : خبر، ومكاناً : تميز، وأخلل سيلًا : عطف على شر مكاناً، والجملة تفسيرية، فلا محل لها، ولذلك أن تعرب : الذين : مبتدأ، والجملة : خبره.

□ البلاغة:

١ - وصف المكان بالشر ، والسبيل بالضلال ، من الإسناد المجازي . وقد مرت له نظائر .

٢ - قوة اللفظ لقوة المعنى :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَرَأَتِنَّهُ تَرْبِيلًا ﴾ فإن لفظة رَتَّلَ على وزن لفظة قَتَّلَ الرباعية ، ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة ، وإنما المراد بها : أن تكون القراءة على هيئة الثنائي والتذير ، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا تلائى لها حتى تنقل عنه إلى رباعي ، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة الحسنة المخصوصة من القراءة ، فاللفظة إن كانت منقوله أدت إلى الكثرة . خذ لك مثلاً : «كَلْم» من قوله تعالى : ﴿ وَكَلْمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّيمًا ﴾ فإن كَلْم على وزن قَتَّلَ أيضاً ، ولم يُرَدْ بها التكثير بل أريد بها : خاطبه ، سواء أكان خطابه إياها طويلاً ، أم قصيراً ، قليلاً أم كثيراً ، وهذه اللفظة رباعية ، وليس لها ثلاثة نقلت عنه إلى رباعي . لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثة ورباعي ، فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى ، وذاك أن تكون كَلْم من الجرح ، أي : جَرَح ولها ثلاثة ، وهو كَلْم مخففاً ، أي : جَرَح ، فإذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة ، وإذا وردت مثقلة دلت على التكثير . فتدبر هذا فإنه حسن جداً ، وقل من يتغطى له .

٣ - وفي قوله : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثِيلٍ ﴾ استعارة تصريحية . شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان ، لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة .

﴿ وَلَقَدْ مَأَتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلَنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزَيْرًا ٢٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِيَأْتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٢٦ وَقَوْمٌ نُوحَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ لِتَسَاسَ إِعْيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا ٢٧ ﴾

الْيَمًا ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَنَمُودًا وَاصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونَ بَنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّا ضَرِبَتِ
لَهُ الْأَمْثَالُ وَكُلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ أَنَّا عَلَى الْفَرِيقَيْنِ الَّتِيْ أَمْطَرْتَ مَطَرَ
السَّوْءَ أَفَلَمْ يَكُنُوا يَرَوْنَهَا كُلَّ كَانُوا لَا يَرْجُونَكُ شُورًا ﴿٣٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿الرس﴾: اسم بئر معينة، قال أبو عبيدة: هي البئر المطوية، والجمع: الرّاس، ومنه قول الشاعر:

وَهُمْ سَائِرُونَ إِلَى أَرْضِهِمْ تَنَابِلَةً يَخْفِرُونَ الرِّسَاسَا

وقيل: الرّس: قرية، وكان أصحاب الرّس قوماً من عبادة الأصنام، أصحاب آبار ومواش، فبعث الله إليهم شعيباً، فدعاهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم، وفي إيزاده، وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان، كانوا مبتلين بالعنقاء، وسيأتي بحثها، فكانت تسكن جبلهم، وتتقاض على صبيانهم، فتختطفهم إن أعزها الصيد، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا، وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس: هو الأخدود، وقيل: الرس بأنطاكية، قتلوا فيها حبيباً النّجار.

العنقاء: هي أعظم ما يكون من الطير، سميت لطول عنقها، ويقال لها: عنقاء مُغرب - على الإضافة - أو: العنقاء المغرب، والمغاربة - على الوصف - وهي: طائر مجهول الجسم لم يوجد، والداهية، ويقال في الإخبار عن هلاك الشيء وبطلانه: حلقت به عنقاء مغرب، وسميت بالمغرب: إما لإتيانها بأمر غريب، وهو اختطاف الصبيان وقيل: أنها اختطفت عروساً. أو: لغروتها، أي: غييتها، ومغرب: بضم الميم وفتحها، وقيل غير ذلك مما يطول تعداده. وقيل: الرس: ماء ونخل لبني أسد. وقيل: الثلج المترافق في الجبال.

والرس اسم وادٍ، قال زهير:

بَكَرُونَ بُكُورًا وَاسْتَحْرَنَا بِسُخْرَةٍ

فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

﴿تَبَرَّزَا﴾ : فتنا ، ومنه : التبر ، لفُتات الذهب والفضة .

○ الاعراب :

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُورَنَ وَزِيرًا﴾ الواو : استثنافية ، والجملة مستأنفة ، مسوقة لتأكيد ما مرّ من تسلية محمد ﷺ بحكاية ما جرى للأنبياء ، وما كابدوه من أقوامهم . واللام : جواب للقسم المحدود ، وقد : حرف تحقيق ، وأتينا موسى : فعل وفاعل ومفعول به ، والكتاب : مفعول ثان لأتينا ، وجعلنا : عطف على آتينا ، ومعه : ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني بجعلنا ، وأخاه : هو المفعول الأول بجعلنا ، وهارون : بدل من أخيه ، أو : عطف بيان ، وزيراً : حال ، أو تجعل وزيراً هو المفعول الثاني ، وتعلق الظرف بمحذوف نصب على الحال . ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِإِيمَانِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ فقلنا : عطف على ما تقدم ، وقلنا : فعل وفاعل ، وجملة اذهبنا : مقول القول ، وإلى القوم : جار و مجرور متعلقان باذهبنا ، والذين : نعت للقوم ، وجملة كذبوا : صلة ، وبآياتنا : متعلقان بكذبوا ، والفاء : عاطفة على محدود ، أي : فذهبنا إليهم ، فكذبواهما ، فدمRNAهم ، ودمRNAهم : فعل وفاعل ومفعول به ، وتدميراً : مفعول مطلق . ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ وقوم نوح : مفعول به لفعل محدود يفسره ما بعده ، أي : وأغرقنا قوم ، ولذلك أن تعطه على الهاء في : دمناهم ، أي : دمنا قوم نوح ، ولما : ظرف بمعنى حين ، أو : رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وقد تقدم الإلماع إليها ، وكذبوا الرسل : فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة أغرقناهم : جواب شرط غير جازم ، فلا محل لها . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ أَيَّةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وجعلناهم : عطف على ما تقدم ، وللناس : مفعول جعلناهم الثاني ، وأيّةً : مفعول جعلناهم الأول ، وأعدنا : عطف على جعلناهم ، وللظالمين : متعلقان بأعدنا ، وهي تحتمل التعين والتخصيص ، فتكون من وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بوصف الظلم . ﴿وَعَادَا وَمُؤْمِدًا وَاحْحَبَ الرَّسِّ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾

وعاداً: مفعول به لفعل مخدوف، تقديره: أهلتنا، أو دمنا، وثمود وأصحاب الرس وقرونا: عطف عليه، والمراد بقوله قروناً: أقواماً، وكثيراً: صفة لقروناً. ﴿وَكُلًاً ضرِبَنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًاً لَتَبَرَّنَا تَثِيرًا﴾ كلاً: مفعول به لفعل مخدوف يلاقي ضربنا في المعنى، أي: خوفنا، وأنذرنا كلاً، فهو نصب على الاشتغال، وجملة ضربنا: مفسرة، وهو فعل ماض وفاعل، وله: متعلقان بضربنا، والأمثال: مفعول به، وكلاً: مفعول به مقدم لتبرنا؛ لأنه فارغ له لم يستغل بضميره، وتبرنا: فعل وفاعل، وتثيراً: مفعول مطلق. ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرِيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الواو: استثنافية، واللام جواب للقسم المخدوف، وقد: حرف تحقيق، وأتوا: فعل وفاعل، وعلى القرية: متعلقان بأتوا، والتي: صفة للقرية، وجملة أمطرت صلة، ومطرسوء: مفعول مطلق لأمطرت، فهي بمعنى: أمطارسوء، والمراد بمطرسوء: الحجارة. والمعنى: أن قريشاً عرجوا مراراً كثيرة بمنازل تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أثناء انتاجعهم للتجارة. وفي القاموس: «سأء سوءاً - بالفتح - فعل به ما يكره، والسوء بالضم: اسم منه»، والقرية هنا: اسم جنس؛ لأنها تشمل خمسة قرى كان قوم لوطن يسكنونها، ما نجت منها إلا واحدة. وقيل: هي قرية واحدة اسمها: سذوم بالذال المعجمة، أو سدوم بالذال المهملة، وقد تقدّم هذا كله. ﴿أَفَلَمْ يَكُنُوا يَرَوْنَهَا بِلَ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، المتضمن معنى الإنكار، والتقرير: هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، والفاء: عاطفة، لعطف مدخلوها على مقدر يقتضيه المقام، أي: ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها مرات أثناء تعريجهم عليها؛ ليعتبروا بمصائر من قبلهم؛ وما جرّ عليهم إمعانهم في الغواية، وركوب متن الشطط من عقوبة لا تقدر. وجملة يرونها: خبر يكونوا، بل: حرف إضمار، وكان واسمها، وجملة لا يرجون: خبرها، ونشراؤاً: مفعول به.

□ البلاغة:

١ - في قوله: ﴿لَا يَرْجُونَكُنْ شُورًا﴾ مجاز عن التوقع، وتوقع شيء يكون في الخير والشر؛ لأنّه لما كانت حقيقة الرجاء انتظار الخير، وما فيه من سرور، وما هو محبب إلى النفس احتاج إلى توجيه الرجاء بما ذكرناه، ولأنّه لا يتصور رجاء النشور إلى الكفار.

هذا وقد أجرى بعضهم الكلام على الحقيقة فقال: إنّ الرجاء بمعنى الخوف هنا، وهو محض تكليف، وفي المجاز عنه مندوحة.

٢ - وفي قوله: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا﴾ إلى قوله ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ الحذف، ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية، فإنّ تقديره: فقلنا أذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا، فذهبوا إليهم، فدمرناهم تدميراً.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهْنَدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِن كَادَ لِيُضْلِلُنَا عَنِ الْهَدِيَّنَا لَوْلَا أَنْ صَرَّبَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مِنْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ أَرَيْتَ مَنْ أَنْهَذَ إِلَيْهِ هَوْنَهُ أَفَاتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿أَمْ تَحْسَبَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْفُسِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوا﴾ الواو: استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة رأوك: مجرورة بإضافة الظرف إليها، وإن: نافية، ويتخذونك: فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولم يقترن الجواب بالفاء، لأن «إذا» اختصت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المبني لا يقترن بالفاء، بخلاف غيرها من الأدوات. وإنما: أداة حصر، وهزواً: مفعول به ثان ليتخذونك. ﴿أَهْنَدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ

رسولاً》 الجملة في محل نصب على الحال من الواو في يتحذونك ، على تقدير القول ، أي : قائلين ، والهمزة للاستفهام الإنكارى ، وهذا : مبتدأ ، والذى : خبره ، وجملة بعث : صلة ، والعائد مذوف ، أي : بعثه ، والله : فاعل لبعث ، ورسولاً : حال ، ويجوز أن يكون بمعنى مرسل ، وأن يكون مصدرًا حذف منه المضاف ، أي : ذا رسول ، وهو الرسالة ، وفي الإشارة معنى الاحتقار لأنها للقريب . 《إِنْ كَادَ لِيُضْلِنَا عَنِ الْهَدِّيَّةِ إِنَّا لَنَا أَنْتَ صَرَبْنَا عَيْتَهَا》 إن : مخففة من الثقيلة ، والجملة من تتمة مقولهم ، واسمها : مذوف ، أي : إنه ، وجملة كاد خبرها ، ويجوز إهمالها ، واسم كاد مستتر تقديره : هو ، واللام : الفارقة بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة ، وجملة يضلنا : خبر كاد ، وهو فعل مضارع وفاعل مستتر ، ونا : مفعول به ، وعن آلهتنا : متعلقان بيضلنا ، ولو لا : حرف امتناع لوجود ، متضمن معنى الشرط ، وأن وما في حيزها مبتدأ ، وعليها : متعلقان بصبرنا ، والخبر مذوف ، أي : موجود ، والجواب مذوف ، أي : لصرفنا عنها . 《وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْنَعَ سَيِّلًا》 الواو : استئنافية ، والكلام مستأنف ، مسوق للرد عليهم من الله تعالى ، وسوف : حرف استقبال ، ويعلمون : فعل مضارع ، وفاعل ، وحين : ظرف زمان متعلق بعلمون ، وجملة يرون : في محل جر بإضافة الظرف إليها ، ومن : استفهام مبتدأ ، وأصل : خبره ، وسيلاً : تميز ، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي يعلمون التي علقت عن العمل بالاستفهام ، أي : أهم أم المؤمنون؟ . 《أَرَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَنَهُ》 الهمزة : للاستفهام ، ورأيت : فعل وفاعل ، أي : أخبرني ، ومن : اسم موصول مفعول رأيت الأول ، وجملة اتخذ : صلة ، وإلهه : مفعول به ثان لاتخذ ، وهواء : مفعول به أول ، وقدم المفعول الثاني لأنه أهم ، وللإعتناء به؛ لأنه هو المحور الذي يدور عليه التعجب ، وستأتي في باب البلاغة مناقشة طريقة حول هذا التقديم . 《أَفَأَنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَسِيلًا》 الجملة في محل نصب مفعول به ثان لرأيت ، والهمزة : للاستفهام الإنكارى للتبيين من إيمانهم ، والفاء : عاطفة على مقدر ، أي : أنت تحرض على إيمانه ، وأنت : مبتدأ وجملة تكون : خبره ، واسم تكون :

ضمير مستتر تقديره: أنت، وعليه: متعلقان بوكيلًا، ووكيلاً: خبر تكون.
 ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أم: حرف عطف مقدرة ببل والهمزة، فهي منقطعة، والهمزة المقدرة للاستفهام الإنكارى، وأن وما في حيزها: سدت مسد مفعولي تحسب، وجملة يسمعون: خبر أن، وأو: حرف عطف، ويعقلون: عطف على يسمعون. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ إن: نافية، وهم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، والكاف: خبر هم، بل: حرف عطف وإضراب، وهم: مبتدأ، وأضل: خبره، وسيلاً: تميز.

□ البلاغة:

١ - التقديم:

في قوله تعالى: ﴿أَنْخَذَ إِلَّاهُمْ هَوَنَهُ﴾ التقديم، فقد قدم المفعول الثاني، والأصل: اتخاذ الهوى إليها؛ للعنابة به؛ كقولك: ظنت منطلقاً زيداً؛ إذا كانت عنایتك بالمنطلق، وفيه إلى جانب هذه النكتة نكتة ثانية، وهي: إفاده الحصر، فإنَّ الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر، المبتدأ: هواه والخبر: إِلَهُه، وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر، فكانه قال: أرأيت من لم يتخد معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتسويقه. هذا وقد زعم بعض المعربين: أنه لا تقديم ولا تأخير في الكلام، وأنهما مفعولاً الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير، لاستواهما في التعريف، ولكن هذا مجرد وهم فإنَّهما وإنْ تساوايا في التعريف؛ فقد غاب عن أصحاب هذا الزعم أنَّ المفعول الثاني هو المتلبس بالحالة الحادثة، أي: أرأيت من جعل هواه إِلَهًا لنفسه من غير أن يلاحظه، وبنى عليه أمر دينه معرضًا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية.

٢ - التمثيل:

في قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ فن التمثيل وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن؛ الذي يتلخص في: أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظ الخاص، ولا بلفظي الإشارة، ولا الإرداد، بل بلفظ هو أبعد من

لفظ الإرداد قليلاً، يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص؛ لأنَّ المثل لا يشبه المثل من كل الوجوه، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لا تُحْدَداً. ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قدامة، وهو: أن يذكر الشيء ليكون مثلاً للمعنى المراد، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه؛ كأنهم لشوتهم على الصلاة بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أضل سبيلاً؛ لأنَّ البهائم تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها من يسيء إليها، أما هؤلاء فقد أسفوا إلى أبعد من هذا الدرك.

هذا وقد استخرج ابن أبي الإصبع في كتابه المسمى : بـ «تحرير التحبير» أمثال أبي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفاً وثلاثة بيت، واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي ، فوجدها مئة نصف وأربعين بيت، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عدداً من أمثال المتنبي ونذكر هنا طائفة أخرى منها :

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبُه فربما صحتُ الأجسامُ بالعللِ
وقوله :

ومكايِدُ السُّفهاءِ واقعَةٌ بِهِمْ وعداؤُ الشَّعراَءِ بشِّ المُقْتَنِي
وقوله :

لا يُعْجِبَنَّ ماضِيَّاً حسنٌ بِزَرْتَهِ وهلْ تروقُ دَفِينَا جُودَةُ الْكَفَنِ
وقوله :

وأنا الذي اجْتَلَبَ المنيَّةَ طرْفُه فَمَنِ الْمُطَالَبُ والقتيلُ القاتلُ
وقوله :

وَمَا كَمَدُ الْحُسَادُ شَيْئاً قَصَدْتُهُ ولكنَّهَ مَنْ يَرْحِمُ الْبَحْرَ يَغْرِقُ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظَّلَلَ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنَّا ثُمَّ جَعَلَنَا الشَّمَسَ عَلَيْهِ ذَلِيلًا ﴾ ٤٦ ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ٤٧ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْمَانَ

لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِتُنْهَىَ بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا وَتُسْقِيَهُ مَمَّا حَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنَّاسَى كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

☆ اللغة:

﴿سُبَاتًا﴾: راحة للأبدان بقطع الأعمال، وهو من **السبت**، أي: القطع، سمي بذلك لقطع الأشغال فيه، وفي «المصباح»: «والسبات - وزان غراب - النوم الثقيل، وأصله الراحة، يقال منه: سبت، يسبت، من باب قتل» وفي «القاموس»: «إنه من باي قتل، وضرب، ثم قال: والسبات: النوم، أو: خفيفه، أو: ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب»، وقال الزمخشري: «والسبات: الموت، والمبوت: الميت؛ لأنَّه مقطوع الحياة» وهذا كقوله: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِأَيْنِلِي» فإن قلت: هلا فسرته بالراحة؟ قلت: النشور في مقابلته يباء العيوف الورد وهو مرنق» والعيوف من الإبل كما في «الصحاح»: «الذِي يشم الماء فيدعه وهو عطشان، وفيه أيضاً: رنقة ترنيناً: كدرته» وفي «اللسان» و«الأساس»: «وَجَعَلَ اللَّهُ النَّوْمَ سُبَاتًا: موتًا، وأصبح فلان مسبوتًا: ميتًا» وفي «القاموس» و«التاج»: «السبات: النوم، أو: أوله، والدهر، والرجل الدهنية، وابنا سبات: الليل والنهر، مأخذ من معنى الدهر، وسبت، يسبت، من باي قتل وضرب، سبتاً: دخل في السبت، وقام بأمر السبت: استراح، وسبت الشيء: قطعه، وسبت الرأس: حلقة، والسبت: مصدر، ويوم من أيام الأسبوع بين الجمعة والأحد، وجمعه: أسبت، وسبوت، والسبت أيضاً: النوم، والفرس الجواد، والرجل الدهنية.

﴿الرِّيحَ﴾: في «المصباح»: «والريح أربع: الشمال، وتأتي من ناحية الشام، والجنوب تقابلها، وهي الريح اليمانية، والثالثة: الصبا، وتأتي من مطلع الشمس، وهي: القبول أيضاً، والرابعة: الدبور، وتأتي من ناحية

المغرب ، والريح مؤنثة على الأكثر ، فيقال : هي الريح ، وقد تذكر على معنى الهواء ، فيقال : هو الريح ، وهب الريح ، نقله أبو زيد ، وقال ابن الأباري : الريح مؤنثة ، لا علامة فيها ، وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر .

﴿ طَهُورًا ﴾: الظهور على وجهين في العربية : صفة ، واسم غير صفة ، فالصفة : قولك : ماء طهور ، كقولك طاهر ، والاسم قولك لما يظهر به : ظهور ، كالوضوء ، والوقود ، لما يتوضأ به ، وت OCD به النار ، كقولك وضوءاً حسناً ، ذكره سيبويه .

﴿ وَأَنَاسِيٌّ ﴾: الأناسي : جمع إنسى ، أو : إنسان ، ونحوه : طرابي في ظربان على قلب النون ياء ، والأصل : أناسين ، وظرابين ، ولعل الثاني هو الأرجح ، قال سيبويه : « إن الياء في إنسى للنسب ، وما هي فيه لا يجمع على فعال » وقال ابن مالك : « واجعل فعالى لغير ذي نسب » وجذم ابن هشام ، وابن مالك بأنه جمع إنسان ، لا جمع إنسى ، قالا : وشد : قباطي : جمع قبطي ، وبخاتي : جمع بختي . وفي الصلاح : القبط : أهل مصر ، ورجل قبطي ، والقبطية : ثياب بيض ورفاق من كتان ، والبخت من الإبل معرب ، وقيل : هو عربي ، وينشد لابن قيس الرؤقيات :

يهبُ الخيلَ والألوَافَ ويَسْقِي لَبَنَ الْبَخْتِ فِي قِصَاعِ الْخَلْنجِ

○ الإكراه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِنَّ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ سَاكِنًا ﴾ كلام مستأنف مسوق للمشروع في إيراد أدلة محسوبة على توحيده ، وستأتي خمسة أدلة . أولها : امتداد الظل ، وثانيها : جعل الليل لباساً ، وثالثها : إرسال الرياح ، ورابعها : مرج البحرين ، وخامسها : خلق البشر من الماء . والهمزة : للاستفهام التقريري ، ولم : حرف نفي وقلب وجذم ، وتر - أي : تنظر - : فعل مضارع مجزوم بلم ، وهي هنا بصرية ، وإلى ربك : متعلقان بتتنظر ، وعلى حذف مضاف ، أي : إلى صنيع ربك ؛ لأنَّه ليس المقصود رؤية ذات الله ، وكيف : اسم استفهام في محل نصب على الحال ، أي : ألم تر إلى صنيع ربك كيف مدَّ

الظل، أي: على أية حالة، ومعنى مدّ الظل: أن جعله يمتد، وينبسط، فينتفع به الناس، واختار الزجاج أن تكون الرؤية قلبية، والمعنى: ألم تعلم، قال: وهذا أولى؛ لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق، ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر، له مؤثر، فحمل اللفظ على رؤية القلب أولى، وقد علقت كيف تر عن العمل، فجملة مدّ الظل: في محل نصب مفعول به على الثاني، وعلى الأول مستأنفة.

ولو: الواو حالية، ولو: شرطية، وشاء: فعل ماض، وفاعل مستتر، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة جعله: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والهاء: مفعول جعل الأول، وساكنًا: مفعوله الثاني، أي: ثابتًا بأن يجعل الشمس على وضع واحد، أو دائمًا غير زائل. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دِلْلَاتِهِ﴾ ثم: هنا للتفاصل بين أوقات الظهور، وليس للترافق الزمني؛ لأنه لا يصح هنا، فهي محمولة على المجاز، كما سيأتي في باب البلاغة، وجعلنا: فعل وفاعل، والشمس: مفعول به، وعليه: حال، ودللاً: مفعول به ثان، أي: لو لا الشمس لما عرف الظل. ﴿ثُمَّ قَبضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وثم: هنا للتفاصل أيضًا بين الأمور الثلاثة، وهي: مد الظل، وسكونه، وقبضه، كأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما، وقبضناه: فعل وفاعل ومفعول به، وإلينا: متعلقان بقبضناه، وقبضًا: مفعول مطلق، ويسيرًا: صفة، ومعنى: قبضه قبضًا يسيرًا؛ أي: حسبما ترتفع الشمس، لتنتظم بذلك مصالح الكون. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَامَ لِيَاسِأَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ الواو: عاطفة، وهو مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعل: صلة، ولكم: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة للباس، والليل: مفعول جعل الأول، ولباسًا: مفعوله الثاني: والنوم سباتًا: عطف على ما تقدم، وجعل النهار نشورًا: عطف أيضًا؛ أي: انتشارًا ينشر فيه الناس لتحصيل معاشهم. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّبِيعَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ﴾ بشرًا: حال،

ويبن : ظرف متعلق بمحذوف صفة لبساً ، ويدى رحمة : مضاف إلى وسيأتي تحقيق ذلك في باب البلاغة . ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۚ ۝﴾ عطف على ما تقدم ، وفيه إشعار بأن تطهير الظاهر يتلزم تطهير البواطن ، وفي ذلك متنه المنة والنعمة . ﴿ لَنُنْهِيَّ بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا وَنُسْقِيهُ مَمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۚ ۝﴾ لام التعليل متعلق بأنزلنا ، لبيان العلة في إنزاله ، وبه : متعلقان بتحبي ، وببلدة : مفعول به ، وميتاً : صفة لبلدة ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، أو : لأن ذكر على معنى البلدة في قوله : ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَيَّتٍ ۚ ۝﴾ ونسقيه : عطف على تحبي تبعه في النصب ، ويقال : سقاها ، وأسقاها ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين ، وما : متعلقان بمحذوف حال ، وأنعاماً : مفعول به ثان لنسقيه ، وأناسي كثيراً : عطف على أنعاماً . وسيأتي سُرُّ تقديم الأنعام على الأناسي في باب البلاغة .

□ البلاغة :

١ - التقديم والتأخير :

في قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۚ ۝﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۚ ۝﴾ فن التقديم والتأخير ، وهو فن عجيب دقيق المسلك ، خفي الدلالة ، وهو قسمان : قسم يختص بدلاله الأنفاظ على المعاني ، وقسم يختص بدرجة التقدم في الذكر ، ومنه الآية التي نحن بصددها ، فقد قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ، وإن كانوا أشرف محلًا ؛ لأن حياة الأرض هي سبب حياة الأنعام والناس ، فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ، ولما كانت الأنعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس ؛ لأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقد سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم .

٢ - في قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ۚ ۝﴾ و﴿ ثُمَّ قَبضَنَاهُ ۚ ۝﴾ استعارة تصريحية تبعية ، استغير فيها لفظة المشبه به - وهو البعد والتراخي - للمشبه ، وهو تفاضل الأمور .

وفي قوله ﴿بَيْتَ يَدِ رَحْمَتِهِ﴾ استعارة أيضاً، أي: قُدّام المطر، وسيأتي المزيد من ذلك.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بِنَهْمٍ لِيَذَكُرُوا فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَعَشَنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَيْرًا ﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنَ هَذَا عَذْبُ فُراتٍ وَهَذَا مَلْحُ أَجَاجٍ وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْخًا وَجِهْرًا مَحْجُورًا ﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُمْ سَبَا وَصَهْرًا
وَكَانَ رَبِّكَ قَدِيرًا ﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ ظَهِيرًا ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَعَذَّدَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾

☆ النَّفَخَةُ :

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: جعلهما متباورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان، وفي المصباح: «المرج: أرض ذات نبات ومرعى، والجمع: مروج، مثل: فلس، وفلوس، ومرجت الدابة مرجاً - من باب قتل -: رعت في المرج، ومرجتها مرجاً: أرسلتها ترعى في المرج». وفي «المختار»: وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلاهما لا يتبع أحدهما بالآخر. وفي «الأساس»: «أمرج الدواب، ومرجها: أرسلها في المرج، والمروج، ومرج السلطان الناس، ورجل مارج: مرسل غير منوع، ولا يزال فلان يمرج علينا مروجاً: يأتيها مفاجئاً، ومرج الخاتم في الإصبع: قلق. ومن المجاز: مرج الله البحرين، ومرج فلان لسانه في أعراض الناس، وأمرجه، وفلان سراج مراج: كذاب، ومرجت عهودهم، وقد مرج أمرهم مرجاً ومروجاً، وأمر مارج ومريج، وفي الحديث: «كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة» قال زهير:

مرجَ الْدِينُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ مُشَرِّفَ الْحَارِكِ مَبْوَكَ التَّبَّاجِ
 يَرْهَبُ السَّوْطَ سَرِيعًا فَإِذَا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدَّ مَعَجَ
 وَأَمْرَجَوا عَهُودَهُمْ وَدِينَهُمْ، وَطَلَعَ مَارِجُ مِنْ نَارٍ: لَهُبَ سَاطِعٌ». .
 هذا وقد سمي الماء الكثير: بحراً، ولم يقصد بحرين معينين.

﴿فَرَاتُ﴾: الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والتاء فيه أصلية لام الكلمة، وزنه فعال، وبعض العرب يقف عليها هاء، ويقال: سمي الماء العذب فراتاً؛ لأنَّه يفترط العطش، أي: يشقة، ويقطعه، وفي «المصباح»: «الفرات: الماء العذب، يقال: فرت الماء فروته - وزان سهل سهولة - : إذا عذب، ولا يجمع إلا نادراً على فرتان، كغربان» والفرات أيضاً: نهر عظيم معروف، والفرات أيضاً: البحر.

﴿أَجَاجُ﴾: الأجاج: البالغ في الملوحة، وقيل: في الحرارة، وقيل: في المرارة. وفي «الأساس»: «وماء أجاج: يحرق بملوحته» وفي «القاموس»: «أَجَّ يَؤْجُ الماء: صار أجاجاً، أي: ملحاً مراً، وهذه نبذة لغوية في تفصيل كمية الماء وكيفيته: إذا كان الماء دائماً لا ينقطع، ولا ينزع في عين أو بئر فهو: عَدُّ، فإذا كان إذا حُرِّكَ منه جانب لم يضطرب جانبه الآخر فهو: كَرْ، فإذا كان كثيراً عذباً، فهو: غَدَقُ، وقد نطق به القرآن، فإذا كان مغرقاً فهو: غَمْرٌ، فإذا كان تحت الأرض فهو: غور، فإذا كان جارياً فهو: غَيْلٌ، فإذا كان على ظهر الأرض يستقى بغير آلة فهو: سَيْنَحٌ، فإذا كان ظاهراً جارياً على وجه الأرض فهو: معين، وسِنْمٌ، وفي الحديث: «خير الماء السنم»، فإذا كان جارياً بين الشجر فهو: غَلْلٌ، فإذا كان مستقعاً في حفرة، أو نقرة فهو: ثَغْبٌ. فإذا أنبط من البئر فهو: نَبْطٌ، فإذا غادر السيل منه قطعة فهو: غَدِيرٌ، فإذا كان إلى الكعبين، أو أنصاف السوق فهو: ضَحْضَاحٌ، فإذا كان قريباً للقعر فهو: ضَحْلٌ، فإذا خاضته الدواب فغيرته فهو: طَرْقٌ، فإذا كان متتناً غير أنه شروب فهو: آجَنٌ، وإنما فهو: آسَنٌ، فإذا كان بارداً متتناً فهو: غَسَاقٌ، أو كان حاراً: فَسْخَنٌ، فإذا اشتتد حرارته: فَحَمِيمٌ، فإذا كان

ملحاً فهو: زعاقٌ، أو مراً فهو: قعاعٌ، فإذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو: أجاجٌ، فإذا كان فيه شيء من العذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه فهو: شريب فإذا كان دونه في العذوبة، وليس يشربه الناس إلا عند الضرورة، وقد تشربه البهائم، فهو: شروب، فإذا كان عذباً فهو: فرات، فإذا زادت عذوبته فهو: نفاخٌ، فإذا كان زاكياً في الماشية فهو: نمير، فإذا كان سهلاً سائغاً متسلسلاً في الحلق فهو: سلسل، وسلسال، فإذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد فهو: زلال، فإذا كثر عليه الناس حتى نزحوه بشفافهم فهو: مشفوه، ثم مشمودٌ، ثم مضغوفٌ، ثم ممكولٌ، ثم مجمومٌ ثم منقوصٌ» فما أعجب أمر لغتنا الشريفة.

﴿بَرْزَخًا﴾: حاجزاً يحول دون اختلاط أحدهما بالأخر دون أن يرى.

﴿وَحِجَّرًا تَحْجُورًا﴾: تقدم تفسيرهما، وسيأتي البحث عن موقعهما هنا في باب البلاغة.

﴿وَصِهْرًا﴾: الصهر بالكسر: القرابة كما في «القاموس»، والختن، وجمعه: أصهار، وفي «المصباح»: «الصهر: جمعه أصهار، قال الخليل: الصهر: أهل بيت المرأة، وقال: ومن العرب من يجعل الأحماء، والاختنان جميعاً أصهاراً، وقال الأزهري: الصهر: يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم، كالآبوبين، والأخوة، وأولادهم، والأعمام، والأخوال، والحالات، فهو لاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً، وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج: من أبيه، أو أخته، أو عمه، فهم: الأحماء، ومن كان من قبل المرأة، فهم: الأختنان، ويجمع الصنفين الأصهار، وصاهرت إليهم، ولهم، وفيهم: إذا تزوجت منهم».

﴿ظَهِيرًا﴾: الظهير: المعين، فهو فعل بمعنى مفاعل، ويجوز أن يراد بالظهير: الجماعة؛ كقوله: ﴿وَالْمَلِئَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ كما جاء الصديق والخليل.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْتُهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكُرُوا فَأَبَقَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ عطف على ما تقدم، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وصرفاته: فعل وفاعل ومفعول به، والضمير يعود على الماء، أو على القول الذي مرّ فيه ذكر إنشاء السحاب، وإنزال القطر بين الناس؛ ليعتبروا، فأبوا إلا الكفر، وبينهم: متعلقان بصرفناه، وليدكروا: اللام للتعليل، ويدكروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، فأبى أكثر الناس: الفاء: عاطفة، والجملة عطف على ما تقدم، وإلا: أداة حصر، وكفوراً: مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَعَثَنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية، وشئنا: فعل وفاعل ومفعول المشيئة ممحض، وقد تقدم: أنه يكثر بعد فعل المشيئة، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة بعثنا: لا محل لها، وفي كل قرية: متعلقان ببعثنا، ونذيرأ: مفعول به، أي: ولكننا قصرنا الأمر عليك، وأنطناه بك وحدك؛ ليكون لك فضل إظهاره، والتمرس بأعبائه.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهَهُمْ بِهِ جَهَادًا كَيْرًا﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: نهاية، وتطع: محروم بلا، والفاعل مستتر تقديره أنت، والكافرين: مفعول به، أي: فلا تسيرهم فيما يريدونك عليه، ولا تأخذك هوادة، أو لين، وجادهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبه: متعلقان بجاذبهم، والضمير للقرآن، واتل عليهم دائمًا زواجه وأوامره ونوازره، وجهاداً: مفعول مطلق، وكثيراً: صفة. ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَّ بِالْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ﴾ الواو: عاطفة، والكلام معطوف على ما تقدم ليتساوق ذكر الدلائل الخمسة على توحيده، وهذا هو الدليل الرابع. وهو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة مرج البحرين: صلة، وجملة هذا عذب: استثنافية، أو مقولاً لقول محذوف في موضع الحال؛ أي: مقولاً فيهما، وهذا: مبتدأ، وعذب: خبره، وفرات: خبر ثان، وهذا ملح أجاج: عطف على ما تقدم. ﴿وَجَعَلَ يَنْهَمَا بَرْخَا وَجِبْرَا مَحَجُورًا﴾ عطف على مرج داخل في حيز الصلة،

وجعل: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وبينهما: ظرف متعلق بمحذوف في موضع المفعول الثاني بجعل، ويرزاً: مفعول به أول، وحراً محجوراً: عطف على براً، وقيل: منصوبين بقول مقدر، وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ شَرَكًا فَجَعَلَهُ نَسِبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبِّكَ قَدِيرًا﴾ عطف على ما تقدم، وقد ذكر فيه الدليل الخامس، ومن الماء: جار ومحرر متعلقان بخلق، وبشراً: مفعول به، فجعله: الفاء عاطفة، وجعله: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، ونسباً: مفعول به ثان، وصهراً: عطف على نسباً، والواو استئنافية، وكان: فعل ماض ناقص، وربك: اسمها، وقديراً: خبرها. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ الواو: استئنافية، وجملة يعبدون: استئنافية، مسوقة للشرع في تبيح جنوح المشركين إلى عبادة الأوثان؛ بعد أن أورد الدلائل الخمسة على التوحيد، ومن دون الله: حال، وما: مفعول به، وجملة لا ينفعهم: صلة، وجملة ولا يضرهم: عطف على جملة لا ينفعهم. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَاهِرًا﴾ الواو: عاطفة، وكان الكافر: كان واسمها، وعلى ربه: متعلقان بظاهراً، وظاهراً: خبر كان؛ أي: معيناً للشيطان. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير حال رسوله ﷺ، وما: نافية، وأرسلناك: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وإلا: أداة حصر ومبشرأ حال فالاستثناء من أعم الأحوال، ونذيراً: عطف على مبشرأ. ﴿فَلْ مَا أَسْتَكِنُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ قل: فعل أمر، وجملة ما أسألكم: مقول القول، وعليه: حال؛ لأنَّه كان في الأصل صفة لأجر، وتقدم عليه، ومن: حرف جر زائد، وأجر: محرر لفظاً في محل نصب مفعول به لأسألكم. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ إلا: أداة استثناء، ومن شاء: مستثنى منقطع؛ لأنَّه من غير الجنس؛ أي: لا أطلب منكم أجراً لنفسي، لكن من شاء أن ينفق أمواله في سبيل الله، ولو جهه خالصاً فليفعل، وأنَّ ما في حيزها: مفعول المشيئة، وإلى ربه: في موضع المفعول الثاني ليتخذ، وسييلاً: مفعول به أول ليتخذ.

□ البلاغة:

الاستعارة التصريحية في قوله ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ فقد شبه بهما الماءين الكثرين الواسعين، و ﴿وَحْجَرًا مَّحْجُورًا﴾ هي: الكلمة تقال عند التعوذ كما أسلفنا في هذه السورة، ولكنها هنا تقالان على سبيل المجاز، كأنَّ كلَّ واحدٍ من البحرين يتغُّزَّ من الآخر، ويقول له: حجرًا محجوراً، فإنَّه عرب حجرًا محجوراً: مفعولين للقول المحذوف جيد للغاية من الناحية البيانية، وسيأتي قوله: ﴿يَنْهَا بَرْزَجٌ لَا يَغِيَّبُ﴾ في سورة الرحمن، فقد شبههما كما قلنا بطايفتين متعاديتين، تريد كلُّ منهما الإيقاع بالأخرى، وتتربيص بها بالدوائر، وتنتهز السواحل والفرص، ولكنها عندما تحصل على ما تريده تمنع من البغي، فجعل المعنى المستعار كاللفظ المقول، وهذا من أبلغ القول وأبينه، وأكثره تجسيداً وملاءمة للمعنى المراد.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَّحَ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَيْرَةِ أَيَّامِ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَعَلَ بِهِ خَيْرًا ٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجَدَ لِمَا تَأْمُرُنَا وَرَأَدَهُمْ نَفُورًا ٦٠﴾

○ الإعراب:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَّحَ بِحَمْدِهِ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، والأية متصلة بقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ فإنه لما بين: أن الكفار متظاهرون على إيدائه أمره أن يتوكل عليه. وتوكل: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وعلى الحي: متعلقان بتوكلا، والذي: صفة، وجملة: لا يموت: صلة، وسبح: عطف على توكل، وبحمده: متعلقان بممحذوف حال، أي: متلبساً بحمده. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ الواو: حرف

عطف، وكفى: فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، والهاء: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ويدنوب: متعلقان بخيراً، وخيراً: تمييز، أو: حال. ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الذي: نعت، أو: بدل من قوله ﴿بِهِ﴾ أو: مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، وما بينهما: عطف على السموات، والظرف: متعلق بممحذف صلة، وفي ستة أيام متعلقان: بخلق. ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَعَلَ بِهِ حَمِيرًا﴾ ثم: حرف عطف، واستوى: عطف على خلق، وعلى العرش: متعلقان به، والرحمن: خبر الذي، أو: خبر لمبتدأ ممحذف، أي: هو الرحمن، فاسأل: الفاء الفصيحة، واسأله: فعل أمر، وبه: متعلقان بخيراً، وخيراً: مفعول به، ويجوز أن تكون الباء بمعنى عن، والجار والمجرور متعلقان بقوله: ﴿فَسَعَلَ﴾ ومنه قول الشاعر:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالسَّاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِسَادْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ
وقول عترة:

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إِنْ كُنْتِ جاهلَةَ بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِرَبِّهِنَّ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ الواو: استثنافية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقيل، وجملة اسجدوا للرحم: مقول القول، وجملة قالوا: جواب شرط غير جازم، لا محل لها، والواو: زائدة، وما الرحمن: ما: اسم استفهام خبر مقدم، والرحمن: مبتدأ مؤخر، أو: بالعكس، يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به، أو: عن معناه. ﴿أَذْسِجَدُ لِمَا أَمْرَنَا وَزَادَهُمْ ثُغُورًا﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ونسجد: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، ولما: متعلقان بنسجد، أي: كيف نسجد لما لا نعرفه، وجملة تأمرنا: صلة، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: للسجد من أجل أمرك، وزادهم: فعل وفاعل يعود على القول، والهاء: مفعول به، ونفوراً: مفعول به ثان، أو: تمييز.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استعارة مكنية، ويسمىها القدامي تخيلية، فالمستعار: الاستواء، والمستعار منه: كل جسم مستو، والمستعار له: الحق عز وجل ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملِكًا فرغ من ترتيب مالكه، وتشييد ملِكته، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه وجنده، من عمارة بلاده، وتدبیر أحوال عباده، استوى على سرير ملِكته استيلاء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثم سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة.

فائدة:

في الاستواء مذهبان، أحدهما: مذهب السلف، وهو لا يفسر الاستواء، بل يقول: إنه استواء يليق به. وثانيهما: مذهب الخلف وهو يفسره بالاستلاء عليه بالتصرف فيه. وفي سائر المخلوقات.

* الفوائد:

قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّارٍ﴾: يعني: في مقدار هذه المدة، والظاهر: أنها من أيام الدنيا، وأولها: الأحد، آخرها: يوم الجمعة، وقد كان لها أسماء عندهم، وهي: الأحد: أوهل، والاثنين: أوهن، والثلاثاء: جبار، والأربعاء: دبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: عروبة، والسبت: شيار.

﴿نَبَارَكَ اللَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرَجًا وَقَسَرًا مُنِيرًا ﴿١١﴾
 وَهُوَ اللَّذِي جَعَلَ أَيَّلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا ١٣ وَالَّذِينَ يَسْتُورُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقَيْمًا ١٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا
أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ١٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً
وَمُقَاماً ١٦

☆ اللغة:

﴿بُرُوجًا﴾: أي: منازل للكواكب السيارة، وهي اثنا عشر، وأصل البروج: القصور العالية، سميت هذه المنازل: بروجاً؛ لأنها للكواكب السيارة يماثلة المنازل الرفيعة التي هي القصور لسكنها، هذا ومنطقة البروج هي منطقة سماوية؛ تحتوي على المدارات التي تحيط بها الكواكب السيارة حول الشمس، وانحراف هذه المدارات بالنسبة إلى بعضها مختلف قلة وكثرة، ولا سيما مدارات الكواكب التي لا تشاهد إلا بالآلة العظيمة الفلكية، وهذه المنطقة تقسمها الدائرة الكسوفية المسماة بمدار الأرض إلى قسمين متساوين، عرض كل منهما تقريرًا ثمانى درجات، وينتهيان بمدارتين موازيتين لتلك الدائرة، وهي منحرفة عن دائرة الاستواء؛ التي تقسمها إلى قسمين يقربان للتساوي، وقد قسمت في سالف الأزمان إلى اثنى عشر قسمًا تسمى: صوراً، وكل قسم منها ثلاثة درجة، ومن سير الشمس بحسب الظاهر في هذه الأقسام تحصل الفصول ومدتها، وذلك: أنَّ هذا الكوكب يترك النصف الجنوبي من الكورة ودخوله في نصفها الشمالي تفتح السنة الشمسية، أعني بمجرد دخوله في برج الحمل، وفي ذلك الوقت يبتدىء الربع الذي يحيى به الكون، ويستمر هذا الفصل مدة اجتياز الشمس البرج المذكور وبرج الثور والجوزاء، ثم تدخل على التعاقب في السرطان والأسد والسبنلة، وهذه تسمى بفصل الصيف، فينبعث إلينا مدة إقامتها في تلك البروج أشعة شديدة الحرارة؛ تنضح الحبوب التي تحصد زمن الصيف، ثم بعد بلوغها هذا الارتفاع تنزل من جهة النصف الجنوبي؛ فتجتاح على التوالي الميزان والعقرب

والقوس ، ويقال لهذه البروج الثلاثة : فصل الخريف ، ثم يدخل الشتاء بثلجه وبرده ، وتكون الشمس حينئذٍ بعد نقطة عنا ، ولا ينبعث منها إلينا إلا أشعة مائلة ، فتقطع بروجه الثلاثة ؛ أعني : الجدي ، والدلو ، والحوت ، ثم ترجع إلى محلها الأول ؛ لتعيد الحياة والحركة إلى كثير من الكائنات ؛ التي كانت كأنها خلية عنها بسبب بعدها عنها .

فقد عرفت من ذلك : أنَّ الصور الاثني عشرة لمنطقة البروج تنقسم على الفصول الأربع ، فللربع : الحمل ، والثور ، والجوزاء . وللصيف : السرطان ، والأسد ، والسنبلة . وللخريف : الميزان ، والعقرب ، والقوس . وللشتاء : الجدي ، والساكب ، والحوت .

﴿سَرْجَا﴾ : السراج : الشمس ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سَرْجَا﴾ .

﴿خَلْفَةً﴾ : أي : يختلف كلُّ واحدٍ منهما الآخر ، فالخلفة : مصدر هيئه . وعبارة القرطي : قال أبو عبيدة : الخلفة : كُلُّ شَيْءٍ بَعْدِ شَيْءٍ فَكُلُّ واحدٍ من الليل والنهر يختلف صاحبه ، ويقال للمبطون : أصحابه خلفة ، أي : قيام وقعود ، يختلف هذا ذاك ، ومنه : خلفة النبات ، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد . وقال مجاهد : خلفة : من الخلاف ، هذا أبيض ، وهذا أسود . والأول أقوى . وقيل : يتعاقبان في الضياء والظلم ، والزيادة والنقصان ، وقيل : هو من باب حذف المضاف ؛ أي : جعل الليل والنهر ذوي خلفة ؛ أي : اختلاف من أراد أن يذكر ، أي : يتذكر ، فيعلم : أنَّ الله لم يجعلهما كذلك عبثاً ، فيعتبر في مصنوعات الله تعالى ، ويشكر الله على نعمه عليه في العقل ، والتفكير ، والفهم ، وقال عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، والحسن : معناه : من فاته شيءٌ من الخير بالليل أدركه بالنهر ، ومن فاته بالنهر أدركه بالليل .

﴿هَوْنَا﴾ الهون : الرفق والسكنية ، وهو مصدرٌ وضع موضع الصفة للтельفظ ، وقد مررت له نظائر ، ومنه الحديث : «أحب حبيك هوناً ما» وقوله : «المؤمنون هينون لينون» ومن أمثالهم : «إذا عز أخوك فيهن» .

﴿غَرَامًا﴾ : هلاكاً، وخسراناً، وعداً لازماً، وفي «المختار» : «الغرام الشر الدائم وال العذاب» قال بشر بن أبي خازم : **وَيَوْمَ السَّارِ وَيَوْمَ الْفِجَاجِ رِكَانِ عَذَابًا وَكَانَ غَرَاماً** والنّصار : ماء لبني عامر ، والفيجار ماء لبني تميم ، وقد جرت فيهما هاتان الواقعتان ، وكانت عذاباً على أهلهما ، وهلاكاً دائمـاً.

○ الأعراـب:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرِيجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ تبارك : فعل ماض جامد ، والذى : فاعله ، وجملة جعل : صلة ، وفي السماء : متعلقان يجعل ، وبروجاً مفعول به ، وما بعده : عطف عليه ، ويجوز أن يجعل جعل متعدية لاثنين بمعنى الجعل ؛ أي : التصريح . **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾** كلام معطوف على ما قبله ، وهو : مبتدأ ، والذى : خبره ، وجملة جعل الليل والنـهار : صلة ، وخلفـة : مفعول به ثان يجعل إن كانت بمعنى صير ، أو : حال إن كانت بمعنى خلق ، وأفرد لأن المعنى يخالف أحدهما الآخر ، فلا يتحقق هذا إلا منهما ، قيل : ولا بد من تقدير مضاف ؛ أي : ذوي خلفـة : كما تقدم في بـاب اللغة ، ولـمن صفة خـلفـة ، وجملـة أراد : صـلة مـن ، وأن يـذكر : مصدر مـؤـول في محل نـصـب على المـفعـوليـة لأـرادـ ، ومـفعـول يـذـكـرـ مـحـذـفـ ؛ أي : ما فـاتهـ في أحـدـهـماـ ، وأـوـ : حـرفـ عـطـفـ ، وأـرادـ شـكـورـاـ ؛ عـطـفـ عـلـيـ أـرـادـ الـأـولـيـ . **﴿وَعِسَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوَنًا﴾** كلام مستأنـف ، مـسوقـ لـبيانـ الـأـوصـافـ الـتـيـ تـميـزـ بـهاـ عـبـادـ الرـحـمـنـ المـخلـصـونـ بـعـدـ بـيـانـ حـالـ الـمـنـافـقـينـ ، وـقـدـ وـصـفـهـمـ بـثـمـانـيـةـ مـوـصـولـاتـ . وـعـبـادـ مـبـتدـأـ ، وـالـرـحـمـنـ : مـضـافـ إـلـيـهـ ، وـماـ بـعـدـ صـفـاتـ ، وـيـجوزـ أـنـ تـكـونـ الـمـوـصـولـاتـ الـثـمـانـيـةـ أـوـ صـافـاـ ، وـخـبـرـ عـبـادـ فيـ آخـرـ السـوـرةـ ، وـهـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : **﴿أُولَئِكَ يُجَزَّرُونَ الْفُرْقَةَ﴾** كـأـنـهـ قـالـ : وـعـبـادـ الرـحـمـنـ الـمـوـصـوـفـوـنـ بـهـذـهـ الصـفـاتـ أـوـ لـئـكـ يـجـزوـنـ ، وـلـعـلـ الـأـوـلـيـ أـوـلـيـ ؛ لـبعـدـ عنـ التـعـسـفـ ، وـالـذـينـ : خـبـرـ عـبـادـ ، أـوـ : صـفـةـ ، وـجـمـلـةـ يـمـشـونـ : صـلـةـ ، وـعـلـىـ الـأـرـضـ : مـتـعـلـقـانـ

بيمشون، وهو نـا: مصدر وضع في موضع الحال، أو: نصب على المفعولية المطلقة، كأنه وصف للمصدر، أو ملاقيه في المعنى؛ أي: مشياً هونـا. ﴿وَإِذَا حَاطَّهُمْ الْجَاهِلُونَ قَاتَلُوا سَلَتَنًا﴾ الواو: عاطفة، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي من حيز الصلة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة خاطبهم الجاهلون: في محل جر بإضافة الطرف إلـيـها، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنـها جواب شـرـطـ غيرـ جـازـمـ، وسلامـاـ: مفعول مطلق؛ أي: قولهـاـ يـسـلـمـونـ فيهـ منـ الإـثـمـ، وـسـتـأـنـيـ منـاقـشـةـ طـرـيفـةـ بـيـنـ سـيـبـوـيـهـ وـالـبرـدـ حـوـلـ هـذـاـ المـصـدـرـ فـيـ بـابـ الـفـوـائـدـ. ﴿وَالَّذِينَ يَبْيَتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيمًا﴾ والذينـ: عطف على الموصول الأولـ، وجملة يـبـيـتـونـ: صـلـةـ، والـواـوـ: اسم يـبـيـتـونـ، ويـضـعـفـ جـعـلـهـاـ تـامـةـ؛ أيـ: يـدـخـلـونـ فـيـ الـبـيـاتـ؛ كـمـ سـيـأـتـيـ فـيـ بـابـ الـفـوـائـدـ، وـلـرـبـهـمـ: مـتـعـلـقـانـ بـسـجـدـاـ، وـسـجـدـاـ: خـبـرـ يـبـيـتـونـ، أوـ: حالـ عـلـىـ جـعـلـهـاـ تـامـةـ، وـقـيـامـاـ: عـطـفـ عـلـىـ سـجـدـاـ، وـقـدـمـ السـجـودـ عـلـىـ الـقـيـامـ؛ وـإـنـ كـانـ الـقـيـامـ قـبـلـهـ فـيـ الـفـعـلـ؛ لـمـرـاعـاـتـ الـفـوـاصـلـ، وـسـجـدـاـ: جـمـعـ سـاجـدـ، وـهـوـ اـسـمـ فـاعـلـ، وـلـذـكـ تـعـلـقـ الـجـارـ وـالـمـجـرـورـ بـهـ، وـكـذـلـكـ: قـيـامـاـ: جـمـعـ قـائـمـ. ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ والـذـينـ: عـطـفـ أـيـضاـ، وـجملـةـ يـقـولـونـ: صـلـةـ، وـرـبـنـاـ: منـادـيـ مضـافـ مـحـذـوفـ منهـ حـرـفـ النـداءـ، وـاـصـرـفـ: فعلـ أمرـ معـناـهـ الدـعـاءـ، وـعـذـابـ هـنـمـ: مـفـعـولـ اـصـرـفـ، وـالـجملـةـ مـقـولـ القـولـ. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الجـملـةـ تـعـلـيلـيةـ لاـ محلـ لهاـ، فـهيـ تـعـلـيلـ لـقولـهـمـ: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ وـأـنـ وـاسـمـهاـ، وـجملـةـ كـانـ: خـبـرـهاـ، وـاسـمـ كـانـ ضـمـيرـ مـسـتـرـ تـقـديرـهـ: هـوـ، وـغـرـامـاـ: خـبـرـ كـانـ.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَاماً﴾ الجـملـةـ تـعـلـيلـيةـ أـيـضاـ، وـحـذـفـ العـاطـفـ بينـهـماـ، فـالـجـملـتـانـ مـنـ جـملـةـ مـقـولـهـمـ، وـإـنـ وـاسـمـهاـ، وـجملـةـ سـاءـتـ: خـبـرـهاـ، وـفـاعـلـ سـاءـتـ ضـمـيرـ مـسـتـرـ مـبـهمـ مـفـسـرـ بـنـكـرـةـ، وـمـسـتـقـرـاـ: تـميـزـ، وـمـقـاماـ: عـطـفـ عـلـىـ مـسـتـقـرـاـ، وـالـمـخـصـوـصـ بـالـذـمـ مـحـذـوفـ تـقـديرـهـ: هـيـ، وـقـدـ أـجازـ

المعربون كالزمخشري والسميين أن تكون ساءت بمعنى : أحزنت ، فلا تكون من أفعال الذم ، بل تكون فعلاً متصرفاً ناصباً للمفعول به ، وهو هنا مذوف ؛ أي : وأحزنت أصحابها وداخلتها ، عندئذ يجوز في مستقرأً أن يكون تميزاً ، وأن يكون حالاً .

* الفوائد :

١- مناقشة حول ﴿سَلَّمًا﴾

قال القرطبي في تفسيره : « قال النحاس : ولا نعلم لسيبوه كلاماً في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية ، قال سيبويه : لم يؤمر المسلمين يومئذ أن يسلموا على الكفار ، لكنه على معنى قوله : سلمنا منكم ، ولا خير بيننا وبينكم ولا شر ، وقال المبرد : كان ينبغي أن يقول : لم يؤمر المسلمين يومئذ بحرفهم ثم أمروا بحرفهم ، وقال ؛ أي : محمد بن يزيد المبرد : أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة ، وقال ابن العربي : لم يؤمر المسلمين يومئذ أن يسلموا على المشركين ، ولا نهوا عن ذلك ، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أندائهم ، ويحييهم ، ويدانيهم ، ولا يداهفهم ».

قلت : ولا حاجة إلى ادعاء النسخ ؛ لأن الإغضاء عن السفهاء ، وترك المقابلة مستحسنٌ في الأدب والمروءة والشريعة ، وأصون للعرض ، وأوفر له .

٢- فعل بات :

قال في «القاموس» : « وبات يفعل كذا ، بيت ، وبيات ، بيتاً ، وبياتاً ، وبيتوة ، أي : يفعله ليلاً ، وليس من النوم » ومعنى قوله : « وليس من النوم » أي : وليس الفعل من النوم ، فإذا نام ليلاً لا يصح أن يقال : بات ينام ، ومنه قول الشهير الرضي :

أَتَيْتُ رِيَانَ الْجُفُونِ مِنَ الْكَرَىٰ وَأَبَيْتَ مِنْكَ بَلِيلَةَ الْمُلْسُوعِ
ذكر ابن هشام في «معجم الليب» عن رجل كبير من الفقهاء : أنه استشكل

قول الشريف الرضي الآنف الذكر، وقال: كيف ضم التاء من بيت وهي للمخاطب، لا للمتكلّم وفتحها من أبيت وهو للمتكلّم؟ فبيّنَتُ للمحاكي: أن الفعلين مضارعان، وأن التاء فيها لام الكلمة، وإن الخطاب في الأول مستفاد من الهمزة، والأول مرفوع حلوله محل الاسم، والثاني منصوب بأن مضمرة بعد و أو المصاحبة على حد قول الخطيبة:

أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ وَيَكُونَ بَيْنِيْ وَيَنْكُمُ الْمُوْدَةُ وَالْإِخْرَاءُ

هذا ونعود إلى بيت الشريف فنقول: هو من أرق الشعر وأجمله، وفيه استعارة تبعية؛ حيث شبه امتلاء جفون المحبوب من النوم بالرّيّ وهو امتلاء الجوف بالماء المذهب للأوار بجامع حصول الراحة في كل منهما، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتقت من الريّان، بمعنى: ممتليء الجفون، وفيه أيضاً كناية، وذلك: أنه كنى بليلة المنسوخ عن ليلة السهر؛ لأن السّهر والأرق من لوازم ذلك، وفيه أيضاً طباق بين النوم المستفاد من الصدر صريحاً والشهر المستفاد من العجز كناية، فقد استكمل البيت ثلاثة فنون من البيان، فإذا أضفت إلى ذلك خروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى البث والشكوى؛ فقد استكمل أربعة فنون، يضاف إليها خامس، وهو فن حسن النسق، وسلامة الأسلوب. وهو من أبيات نذكر منه الباقة التالية:

يَا صَاحِبَ الْقَلْبِ الصَّحِيحِ أَمَا اشْتَمَى

أَلْمُ الْجَوِيْ مِنْ قَلْبِيِ الْمَضْدُوِعِ

هِيَهَاتٌ لَا تَكْلُفَنَّ لِيَ الْهُوَى

فَضَّحَ التَّطْبُعُ شِيمَةَ الْمَطْبُوعِ

كَمْ قَدْ نَصَبْتُ لَكَ الْحَبَائِلَ طَامِعاً

فَنَجَوْتَ بَعْدَ تَعْرِضِي لِوَقْوَعِ

وَتَرَكْتَنِيْ ظَمَآنَ أَشْرَبُ غَلَّتِي

أَسْفَأً عَلَى ذاكَ الْلَّمْىِ الْمَنْوَعِ

كِمْ لِيْلَةٍ جَرَّعْتَهُ فِي طُولِهَا
 غُصَصَ الْمَلَامِ وَمَؤْلِمَ التَّقْرِيرِ
 أَبْكَى وَيَسِّمَ وَالْدُّجَى مَا بَيْنَا
 حَتَّى أَضَاءَ بَشَرِّهِ وَدُمُوعِي
 قَمَرٌ إِذَا اسْتَعْجَلَتْهُ بِعْتَابِهِ
 لَيْسَ الْغُرُوبَ وَلَمْ يَعْدِ لِطْلُوْعِ
 لَوْحَيْثُ يُسْتَمِعُ السَّرَّارُ وَقَفَّتِهِ
 لَعْجَبُّتُمَا مِنْ عَزَّهُ وَخُضُوعِي
 أَهُونُ عَلَيَّ إِذَا امْتَلَأْتُ مِنَ الْكَرَى
 أَنِّي أَبْيَثُ بِلِيلَةِ الْمَسْوَعِ

وتكون بات تامة مكتفية بمروعيها عن منصوبها إذا كانت بمعنى: عَرَسٌ، وهو النزول آخر الليل، نحو قول ابن عمر رضي الله عنه: «أما رسول الله فقد بات بمني» أي: عَرَسٌ بها، وقال أمير القيس بن عانس بالنون، وهو غير «امير القيس بن حجر الكلبي»:

وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لِيْلَةً كَلِيلَةٌ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
 أي: وَعَرَسٌ، والْعَائِرُ بالعين المهملة: اسم فاعل من العور، وهو القدى في العين تدمع له، وقيل: الرَّمَدُ، والأرمد صفة له، وقالوا: بات بالقوم، أي: نزل بهم ليلاً.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾
 ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِمَعِ اللَّهِ إِلَّا هَآءَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ أَلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾
 ﴿ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ وَيَحْلَدُ فِيهِ مَهَكَانًا ﴾
 ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَنِيلًا حَمَلَهَا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيَّقَاتِهِمْ حَسَنَتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾
 ﴿ وَمَنْ تَابَ

وَعَمِلَ صَدِيقًا فَإِنَّهُ يُؤْتَ إِلَيَّ اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

☆ اللَّغْشَةُ :

﴿يَقْتُرُوا﴾ : في «المختار»: «وقتر على عياله؛ أي: ضيق عليهم في النفقه، وبابه: ضرب، ودخل، وفتر تقثيراً، وأفتر أيضاً لغات» وقد قرئ بفتح أوله وضممه.

﴿قَوَامًا﴾ : بفتح القاف وكسرها، وقد قرئ بهما، والقوام - بالفتح - العدل بين الشيئين لاستقامته الطرفين، ونظير القوام من الاستقامة: السواء من الاستواء، والقوام بالكسر: ما يقام به الشيء، يقال: أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة، لا يزيد عنها ولا ينقص.

﴿أَثَاماً﴾ : الأثام كالموال والنكال وزناً ومعنى: جزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه، قال:

جزى الله ابنَ عروةَ حِيثُ أَمْسَى عقوقاً والعقوقُ لَهُ أَثَاماً
وفي «المختار»: «أثمه الله في كذا بالقصر، يائمه - بضم الثاء وكسرها - أثاماً: عده عليه إثماً، فهو مأثوم، وقال الفراء: أثمه الله، يائمه، إثماً، وأثاماً: جازاه جزاء الإثم، فهو مأثوم، أي: محزيٌّ جزاء إثمه».

○ الاعراب:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾
والذين: عطف على ما تقدم، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أنفقوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة لم يسرفوا، ولم يقتروا: لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والواو عاطفة، أو: حالية، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر، أي: وكان الإنفاق، وبين: ظرف متعلق بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لقواماً، وذلك: مضارف إليه، وقواماً: خبر كان. قال الزمخشري: «والمنصوبان أعني: بين ذلك، قواماً جائز أن يكونا خبرين معاً، وأن يجعل بين ذلك لغوًّا، وقواماً مستقراً، وأن يكون

الظرف خبراً، وقواماً حالاً مؤكدة». ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَى﴾ والذين : عطف على ما تقدم أيضاً، وجملة لا يدعون : صلة، ومع الله : متعلق بيدعون، وإلهها مفعول به، وأخر : صفة. ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُقُنَّ﴾ ولا يقتلون : عطف على ولا يدعون، والنفس : مفعول به، والتي : صفة، وجملة حرم الله : صلة، وإلا : أداة حصر، وبالحق: متعلقان يقتلون، أو: بمخدوف حال، فالاستثناء من أعم الأحوال؛ أي: إلا مستحقين، ولا يزنون: معطوفة. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فِيهِ مُهَاجِنًا﴾ الواو: عاطفة، ومن: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويفعل: فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وأثاماً: مفعول به، ويضاعف: بدل من يلق؛ لأنهما في معنى واحد، وسيأتي في باب الفوائد ببحث إبدال الفعل من الفعل لأن مضاعفة العذاب لقي الآثم، وله متعلقان بيضاعف، والعذاب: نائب فاعل، ويوم القيمة: ظرف متعلق بيضاعف أيضاً، وينحد: عطف على يضاعف، وفيه: متعلقان ينحد، ومهاناً، حال من فاعل ينحد. ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَكْمَلًا صَلِحًا﴾ إلا: أداة استثناء، ومن: استثناء من الجنس في موضع نصب، وجملة تاب: صلة، وآمن: عطف على تاب، وكذلك عمل عملاً: مفعول مطلق، أو: مفعول به، وصالحاً: صفة. ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفاء: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وأولئك: مبتدأ، والإشارة إلى الموصول وهو من، والجمع باعتبار معناها، وجملة يبدل: خبر أولئك، والله: فاعل، وسيئاتهم: مفعول، وحسنات: مفعول ثان ليبدل، أو نصب على نزع الخافض، وكان: الواو استثنافية، وكان واسمها، وغفوراً: خبرها الأول، ورحيمماً: خبرها الثاني. ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّمَا يُؤْتُ إِلَيْهِ اللَّهُ مَتَابَةً﴾ الواو: عاطفة، أو: استثنافية، ومن: اسم شرط جازم مبتدأ، وتاب: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وعمل: عطف على تاب، وصالحاً: صفة لمفعول مطلق، أو: لمفعول به مخدوف؛ أي: عملاً صالحـاً، فإنه: الفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وإنـ واسمها، وجملة

يتوب : خبر ، وإلى الله : جار و مجرور متعلقان بيتبّ ، ومتباً : مفعول مطلق ؛ لأنَّه مصدر ميمي .

* الفوائد :

إبدال الفعل من الفعل :

يبدل كل من الاسم والفعل والجملة من مثله، وينطبق عليه أحكام البدل، فيكون بدل كل من كل، أو : بدلاً مطابقاً، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَأْتِي أَثَاماً إِذَا يُضَعِّفُ﴾ فيضاً عاف : بدل من يلق بدل كل من كل، أو بدلاً مطابقاً، قال الخليل : لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام . وبدل البعض نحو : إن تصلٌ تسجد لله يرحمك ، فتسجد بدل من تصل بدل بعض من كل . وبدل الاشتغال كقوله :

إِنَّ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ تَبَاعِدَا تَؤْخُذْ كُرْهَاهُ أَوْ تَجْيِيءْ طَائِعاً

لأنَّ الأخذ كرهًا والمجيء طائعاً من صفات المبادعة ، والله منصوب على نزع الخافض ، أي : والله ، وأن تبادعا : اسم إن ، والألف في تبادعا للإطلاق ، وهو من بادع ؛ أي : عاهم ، وعلى : متعلق بالخبر ، وتأخذ وما عطف عليه : بدل الاشتغال من حيث المعنى . أما إبدال الجملة فيطرد في البدل المطابق ، نحو : قعدت جلست في دار زيد .

وفي بدل البعض من الكل كقوله تعالى : ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ إِذَا أَمَدَّكُمْ بِأَنْتُمْ وَيَعنَّ﴾ فجملة أمدكم الثانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما ، فتكون داخلة في الأولى ؛ لأن «ما تعلمون» تشمل الأنعام وغيرها ، وبدل الاشتغال كقوله :

أَقُولُ لَهُ ارْحُلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا

وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

ف «لا تقيم عندنا» بدل اشتغال من «ارحل» لما بينهما من المناسبة اللزومية ، وليس توكيداً له ؛ لاختلاف لفظيهما ، ولا بدل بعض ؛ لعدم

دخوله في الأول، ولا بدل كل من كل؛ لعدم الاعتداد به؛ كما تقدم.

وقد تبدل الجملة من المفرد بدل كل؛ كقول الفرزدق:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يُلْتَقِيَانِ

فقد أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجة وأخرى وهم مفردان، وأما إبدال المفرد من الجملة فقد صرّح أبو حيان في «البحر» بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَأً فَقَمَا﴾ فقيماً بدل من جملة لم يجعل له عوجاً؛ لأنها في معنى المفرد؛ أي: جعله مستقيماً.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كَرَاماً ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِيَاهِيتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صَمَّا وَعُمَيْناً ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هَبَّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلنَّمَقِينَ إِمَاماً ﴿٧٩﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلَقَوْنَ فِيهَا تَعْيَةً وَسَلَاماً ﴿٨٠﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا حَسِنَتْ مُسْتَقْرَأً وَمَقَاماً ﴿٨١﴾ قُلْ مَا يَعْبُؤُ بِكُوْنِ رَبِّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَانِاً ﴿٨٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كَرَاماً﴾ والذين: عطف على الموصولات السابقة، وجملة لا يشهدون: صلة، والزور: إن كانت يشهدون بمعنى الشهادة المعلومة فيكون الزور منصوباً بنزع الخافض، أي: بالزور، وإن كانت يشهدون بمعنى يحضرون فيكون الزور مفعولاً به، وإذا: الواو عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة مروا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومرروا: فعل وفاعل، وباللغو: متعلقان بمرروا، وجملة مروا الثانية: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وكراماً: حال، أي: ربوا بأنفسهم عن الوقوف عليه، والإسهام فيه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا يَأْكِتُونَ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُوا أَعْيَهَا صُمًّا وَعُمَيَّانًا﴾ جملة لم يخروا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعليها: متعلقان يخرجوا، وسيأتي معنى هذا النفي في باب البلاغة، وصماً: حال، وعمياناً: حال ثانية.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذِرْنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمُتَّقِيرِنَ إِيمَامًا﴾ عطف على ما تقدم، وربنا: منادي مضاف مذوف منه حرف النداء، وهب: فعل أمر فيه معنى الدعاء، ولنا: متعلقان بهب، ومن أزواجنا: حال، وسيأتي بحث هذا التجريد في باب البلاغة، وقرة أعين: مفعول هب، وتقدم: أن قرة العين: سرورها، والمراد به: ما يحصل به السرور، وسيأتي سر تقليل الأعين في باب البلاغة، واجعلنا: فعل أمر متضمن معنى الدعاء، وفاعله مستتر، ومفعول أول، وللمتقين: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لإماماً، وإماماً: مفعول به ثانٍ، وفيه أربعة أوجه:

١- آئه مصدر مثل: قيام، وصيام، فلم يجمع لذلك والتقدير ذوي إمام.

٢- آئه جمع إمامية، مثل: قلادة، وقلاد.

٣- هو جمع: آم، من: أم، يؤم.

٤- آئه واحد اكتفي به عن أئمة كما قال تعالى: ﴿نَحْرِجُكُمْ طَفَلًا﴾.

﴿أُولَئِكَ يُجَرِّرُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقِّونَ فِيهَا تَحْيَةً وَسَلَامًا﴾ الجملة حالية من المتقين، أو: خبر عباد الرحمن على أحد القولين، وأولئك: مبتدأ، وجملة يجرون العرفة: خبره، والعرفة: مفعول به ثان ليجرون، والواو: نائب فاعل، وهو المفعول الأول، وبما: متعلقان بيجرون، وما مصدرية، والباء: للسببية؛ أي: بسبب صبرهم على المشاق في الطاعات، والابتعاد عن الشهوات، ومكافحة المجاهدات، ويلقون: عطف على يجرون، وفيها: حال، وتحية: مفعول به ثان ليلقون؛ لأنه مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وسلاماً عطف على تحية. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسِنَتْ مُسْتَقَرًا وَمَقَامًا﴾ خالدين: حال، وفيها: متعلقان بخالدين، وحسنت فعل ماض، والفاعل مستتر يعود على العرفة، ومستقرأ: تقييز، ومقاماً: عطف على

مستقرأً، وجملة حسنة: حال ثانية من الغرفة. ﴿ قُلْ مَا يَعْبُرُ بِكُوْرَى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ ما: اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق، ويعباً: فعل مضارع، وبكم: متعلقان بيعباً، وربى: فاعل، أي: إنه يكرث بكم، ويعباً بكم، ويعلي ذركم؛ لأجل عبادتكم، ولو لا عبادتكم لم تكونوا شيئاً يؤبه له، ويحوز أن تكون ما: نافية، ولو لا: حرف امتناع لوجود، ودعاوكم: مبدأ مذوف الخبر وجوباً، وجواب لولا مذوف، كما قدرناه سابقاً، ودعاوكم: مصدر أضيف لفاعله، والمفعول مذوف، أي: إيه. ﴿ فَقَدْ كَذَّبُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ الفاء: الفصيحة؛ أي: إن إذا علمتكم أني لا أعتد بكم، ولا أقيم لكم وزناً إلا لأجل عبادتكم؛ فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف تتحملون مسؤولية تكذيبكم. ويكون: فعل مضارع ناقص، واسمها: هو، أي: التكذيب، ولزاماً: خبرها، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: ملازمكم.

□ البلاغة:

١ - النفي والإثبات:

في قوله تعالى: ﴿ أَتَرَ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمَيَّانًا ﴾ نفي وإثبات، فقد أثبت الخرور؛ لأنهم طالما خروا ساجدين خاشعين في هدوء الليل ووسط الدجى، ولكنهم إن خررموا ساجدين سلمت لهم أبصارهم وأذانهم، فلم يتصروا إلا مرائي الهيبة، وتعاجيب الألوهية، وأنوار السنن الساطعة، ولم يسمعوا إلا الآيات، تتردد في آذانهم، وتهجس في مخيلاتهم، فإذا الورى آيٌ وعبر، وإذا الحوية لا عين ولا أثر، تقول: ما يلقاني زيد ماشياً، إنما هو نفي للمشي، لا للقاء، وعبارة ابن قتيبة: «المعنى: لم يتغافلوا عنها؛ لأنهم صمٌ لم يسمعوها، وعميٌ لم يتصرواها».

٢ - التقرير للكافرين:

وفيها أيضاً تنديد وتقرير للكافرين؛ لأنهم صمٌ، بكمٌ، عميٌ،

لا ينتفعون بما يقرؤون، ولا يعتبرون بما يشاهدون، ولا يتجاوز آذانهم ما يسمعون.

٣ - التنكير والتقليل :

وفي قوله تعالى: ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ نكتتان؛ الأولى: التنكير وإنما جنح إليه لأجل تنكير القرة، والمضاف لا يمكن تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه ليكون السرور غير متناه ولا محدود، وإنما قلل الأعين، أي: جمع القلة؛ لأن أعين المتقيين قلة بالإضافة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ ﴾ وهناك وجه آخر لعله أبلغ مما تقدم، وهو: أن المحكي كلام كل أحد من المتقيين، فكانه قال: يقول كل واحد من المتقيين: اجعل لنا من ذرياتنا قرة أعين، فإن المتقيين؛ وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً؛ إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد، والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً في نفسه؛ لا بالنسبة بالإضافة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسَمَ ۝ تِلْكَ ءاَيَتُ الْكَيْنَبِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَكَ بَيْخُ نَفْسَكَ اَلَا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ لَّا شَأْنَزَلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ اَيَّةً فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَصْبَعِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِّنْ ذِكْرٍ قَوْنَ الْرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ اَلَا كَانُوا عَنْهُ مُغَرِّبِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا فِسَائِلِهِمْ اَنْبَتُوا مَا كَانُوا
يَدْهِ يَسْتَهِزُونَ ۝ اَوَلَمْ يَرْقُوا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ اَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْجَ كَرِيمٌ ۝ اِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِيَّةٌ وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُمُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾

☆ اللَّفْظَةُ :

﴿ بَيْخُ ﴾ : تقدم تفسير هذه الكلمة، والبخع : أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء ، وهو : عرق مستبطن الفقار ، وذلك أقصى حد للذابح ، وفي «المصباح» : (وبخع نفسه ، بخعاً من باب نفع : قتلها من وجد أو غيظ ، وبخع لي بالحق بخوعاً : انقاد وبذله) .

○ الْإِعْرَابُ :

﴿ طسَمَ تِلْكَ ءاَيَتُ الْكَيْنَبِ الْمُبِينِ ﴾ طسم تقدم إعرابها والحديث عن فواتح

السور، وتلك : مبتدأ ، وأيات الكتاب : خبر ، والمبين : صفة لكتاب . ﴿لَكُلَّ أَيْمَانٍ
بَنَجْعٌ نَفَسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لعل : للإشفاق ؛ أي : فالترجي هنا بمعنى الأمر ؛
أي : ارحم نفسك وارفق بها ، والكاف : اسمها ، وبابخ : خبرها ، ونفسك :
مفهول به لبادخ ، وأن وما في حيزها : مفعول لأجله ؛ أي : خيفة لا يؤمنوا ،
أو لامتناع إيمانهم ، ومؤمنين : خبر يكونوا . ﴿إِنَّمَا تُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتعليق الأمر بإشفاقه على
نفسه من الاسترسال في التحسّر والغم على عدم إيمانهم ، وإن : شرطية ،
ونشأ : فعل الشرط ، وفاعله مستتر ، تقديره : نحن ، ومفعول المشيئة
محذوف ؛ لأنّه مضمون الجواب ؛ أي : إيمانهم ، ونزل : جواب الشرط ،
وعليهم : متعلقان بنزل ، ومن السماء : حال ؛ لأنّه كان في الأصل صفة لآية ،
والفاء : حرف عطف ، وظلت : فعل ماضٍ ناقص معطوف على نزل ، فهو مجزوم
مجزوم محلاً ، ويجوز أن تكون فعل ماضٍ ناقص معطوف على نزل ، فهو مجزوم
محلاً ، ويجوز أن تكون الفاء استثنافية ، وظلت بمعنى المضارع ؛ أي : ظلت ،
وتedom ، وإليه جنح الجلال فيكون قد فسره بالمرفوع ، وأعنائهم : اسم ظلت ،
ولها : متعلقين بخاضعين ، وخاضعين : خبر ظلت ، وسيأتي سر المخالفة في
العطف ، وسر بجيء خاضعين خبراً عن الأعناق في باب البلاغة . ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعَرِّضِينَ﴾ الواو : عاطفة ، وما : نافية ،
ويأتיהם : فعل مضارع ، ومفعول به ، ومن : حرف جر زائد ، وذكر : مجرور
لفظاً مرفوع محلاً ؛ لأنّه فاعل يأتיהם ، ومن الرحمن : صفة لذكر ، ومحدث :
صفة ثانية ؛ أي : تحدّد إزالة وفق مقتضيات الأحوال ، وإلا : أدلة حصر ،
وجملة كانوا : استثناء من أعم الأحوال ، فهي حالية ، وكان واسمها ، وعنده :
متعلقان بمعرضين ، ومعرضين : خبر كانوا . ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسِيَّارَتِهِمْ أَبْيَقُوا مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ الفاء : الفصيحة ؛ كأنه قيل : إذا شئت أن تعرف ماذا كان
موقعهم من الذكر حين أعرضوا عنه ، وصدروا عن التأمل فيه ، فقد كذبوا .
وقد : حرف تحقيق ، وكذبوا : فعل ماض ، وفاعل ، فسيّارتهم : عطف على

ما تقدم للوعيد والتهديد، ويأتيهم: فعل مضارع، ومفعول به، وأبناء: فاعل، وما: مضاف إليه، وجملة كانوا: صلة، والواو: اسم كان، وبه: متعلقان يستهزئون، وجملة يستهزئون: خبر كانوا. ﴿أَولَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كُمْ أَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَيْجَنْ كَرِيمٍ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على مقدر، وقد تقدم مثل هذا التعبير كثيراً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، والروية هنا بصرية، ولذلك تعدد إلى، وإلى الأرض: متعلقان يروا، وكم: خبرية في محل نصب مفعول أبنتنا، وأبنتنا: فعل ماض وفاعل، ومن كل زوج: تمييزكم الخبرية، ويجوز أن يكون حالاً، كما ذكر أبو البقاء، وكريم: صفة لزوج، وأراد بالزوج الصنف من النبات والنوع، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّيْهِ وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وأية: اسم إن، وما: الواو: حالية، وما: نافية، وكان أكثرهم مؤمنين: كان، واسمها؛ أي: سبق ذلك في علم الله، وقال سيويه: كان: زائدة، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب الغوائد. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: استئنافية، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وهو ضمير فضل، أو مبتدأ، والعزيز: خبر إن، أو: خبر هو، والجملة: خبر إن، والرحيم: خبر ثان.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على الكثير من فنون البلاغة ندرجها فيما يلي:

١ - المخالفة في العطف:

فقد خالف في العطف، فعطف ﴿فَظَلَّتْ﴾ على ﴿نَزَّلَ﴾ ولو قيل: أزلنا؛ لكان صحيحاً، ولعله كان مما يقتضيه السياق، ولكنه خولف؛ لأن في عطف الماضي على المستقبل إشعاراً بتحقيقه، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً، وله في القرآن نظائر، وسترد في مواضعها.

٢ - المجاز العقلي :

المجاز العقلي في إسناد الخصوص للأعناق، فقد يقال: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق والخضوع من خصائص العقلاء، وقد كان أصل الكلام: «فظلوا لها خاضعين» والسر في ذلك: أنه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: خاضعين؛ كما تقدم في قوله: ﴿لِي سَيِّدِينَا﴾ وهناك أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة، نلخصها فيما يلي:

آ- المراد: الرؤساء؛ كما قيل لهم: وجوه وصدور.

ب- إنه على حذف مضارف؛ أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف.

ج- إنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم؛ كما يكتسب التأنيث بالإضافة.

د- إنَّ الأعناق جمع عنق من الناس، وهم الجماعة، يقال: جاءنا عنق من الناس؛ أي: فوج، وليس المراد الجارحة المعلومة.

هـ- إفحام الأعناق لبيان موضع الخصوص، وترك الكلام على أصله.

وـ- ما ذكره من أنها عمّلت معاملة العقلاء؛ لما أسند إليها ما يكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي.

زـ- إنه لما أضاف الأعناق إلى المذكر، وكانت الأعناق متصلة بهم في الحلقة والتكون أجري عليها حكمهم.

ومن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية، قال: ستكون لنا عليهم الدولة، فتذلل لنا أعناقهم بعد صعوبتهم، ويلحقهم هوان بعد عزة.

٣ - التمهيّه:

بقوله: «أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَثِيرٍ» فقد كان يكفي أن يقال كم أنبتنا فيها من زوج كريم، وما معنى الجمع بين كم وكل؟ والجواب: أن كلاً إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات، وكم دلت على أن هذا المحيط مفرط بالكثرة، وبذلك تبيه على تمام القدرة وكمالها، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الإشارة إليه، وتعريفه: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ كما أن المقصود هنا في الآية آحاد الأزواج، ويدل عليه: أنه لو اسقطت «كل» فقلت: انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكنك مكيناً عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه، فإذا أدخلت كلاً فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف، لا آحاد صنف معين.

٤ - التمهيم أيضًا:

وتم كذلك بوصفه الزوج بالكريم وذلك لأمرين:

آن النبات - كما هو معلوم - نوعان: نافع، وضار، فدل بكلمة كريم: أنه يقصد النوع النافع، فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع، وخلى ذكر الضار.

ب - أنه يقصد كلا النوعين: النافع، والضار، ويصفهما جيئاً بالكرم تنبئهاً على أنه ما خلق شيئاً إلا لفائدة، وربما خفيت عليكم أسرارها، وصعب عليكم اكتناها، ولكنه تعالى عالم بما تجهلون.

﴿ وَلَذِنَادِي رَبِّكَ مُوسَى أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١١ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ ١٢ ﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَبِّرُونَ ١٣ وَيَضْعِفُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَافِي فَأُرْسِلُ إِلَى هَرُونَ ١٤ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ١٥ قَالَ كَلَّا فَإِذْهَبَا بِعَايَنَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ

○ الْإِعْرَابُ:

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتِّيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في سرد سبع قصص هي على التوالي: قصة موسى، وقصة إبراهيم، وقصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب. والظرف: متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك، عساهم يتعظون بها، ويعتبرون بما آل إليه مصرir أولئك الأقوام؛ الذين جنحوا إلى المكابرة والتعتن، ولجؤوا إلى اللجاج والسفسطة التي لا طائل تحتها، وجملة نادى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربك: فاعل نادى، وموسى: مفعول به، وأن ائت: يجوز في «أن» أن تكون مفسرة، وأن تكون مصدرية، وهي مع مدخلوها في موضع نصب بنزع الخافض، وائت: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، وال القوم: مفعول به، والظالمين: صفة. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ﴾ قوم فرعون: بدل من القوم الظالمين، أو عطف بيان، ولعله أولى؛ لأنهما عبارتان تعتقدان على مدلولٍ واحدٍ، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بياز الله، والهمزة: للاستفهام الإنكارى، ولا: نافية، ويتقون: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة: استثنائية، والمقصود منها: التعجب؛ أي: تعجب من عدم تقواهم، ولا بد من تقدير معنى التعجب؛ لأن الاستفهام الإنكارى معناه النفي، ولا نافية، ودخول النفي على النفي إثبات، فيؤول المعنى إلى أنهم اتقوا الله، وذلك فاسد، ويحتمل أن تكون الجملة حالية من الضمير الذي تحمله اسم الفاعل، وهو: الظالمون؛ أي: يظلمون غير متقيين، واختار بعض المعربين أن تكون ألا للعرض، وأخرون اختاروا أنها للتتبئه. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ﴾ رب: منادي مضاد، حذف منه حرف النداء، وإنى: إن، واسمها، وجملة أخاف: خبرها، وأن وما في حيزها: مفعول أخاف،

وحذفت ياء المتكلّم من يكذبوني لمراعاة الفوّاصل . ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَنْرُونَ﴾ الواو : عاطفة ، ويضيق : معطوف على خبر إنّ ، أي : على أخاف ، فهو مرفوع مثله ، ويجوز عطفه على يكذبون ، فهو منصوب مثله ، وقد قرئ به ، والفرق بين المعنين : أن الرفع يفيد فيه ثلاثة علل ، أو : معاذير وهي : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان . وأما الرفع فيفيد : أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة . وصدرى : فاعل ، ولا ينطلق لساني : عطف على ما قبله ؛ لحبسة في لسانه ، فأرسل : الفاء الفصيحة ، وأرسل فعل أمر ، معناه : الالتماس ، وإلى هارون : متعلقان بأرسل ، وليس مراد موسى الامتناع من أداء الرسالة ، أو : التلكؤ فيها ، بل أراد أن يظهر عجزه عن الأضطلاع بهذا العبء الخطير ، وطلب المعونة من ربه ، بأن يغضبه بأخيه ، حتى يتساندا ، ويتضارفا على تنفيذ الأمر ، وتبلغ الرسالة . ﴿ وَلَمَّا عَلَى ذَنْبٍ فَلَخَافَ أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ عطف على ما تقدم ، ولهم : خبر مقدم ، وعلى : حال ، وذنب : مبتدأ مؤخر ، وهو قتله القبطي ؛ الذي قيل : إنه كان خباز فرعون . والمعنى : لهم عليّ تبعه ذنب ، وهي : قود ذلك القتيل ، فأخاف أن يقتلوني به ، فحذف المضاف ، أو : سمي تبعه الذنب ذنباً ؛ كما سمي جزاء السيئة سيئة . ﴿ قَالَ كَلَّا فَإِذْهَبَا بِيَأْيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِنُونَ﴾ كلا : حرف ردع نابت عن الفعل ، وهو : ارتدع يا موسى ، ولذلك عطف عليها بالفاء من قوله : فاذهبا ، واذهبا : فعل أمر ، وألف الاثنين : فاعل ، وبأياتنا : متعلقان باذهبها ، وجملة إنا معكم مستمعون : تعليلية للأمر ، وإنّ واسمها ، ومستمعون : خبرها ، والظرف : متعلق بمحذف حال ، أو : خبر ثان ، أو : بمستمعون نفسها ، ومفعول مستمعون محذف ؛ أي : ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه ، وفي هذا الكلام مجاز سياقي ذكره في باب البلاغة . ﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ كَفُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاء : عاطفة ، واتيا فرعون : فعل أمر ، وفاعل ، ومفعول به ، فقولا : عطف ، وإننا : إنّ واسمها ؛ أي : إنّ كلاً منا ؛ ليطابق اسم إن خبرها ، ورسول : خبرها ، ورب العالمين : مضاف إليه ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا التطابق . ﴿ أَنَّ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأرجح أن تكون أن هنا

مصدرية؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول وحروفه، والمصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض، وأصر الزمخشري على أنها تفسيرية، بمعنى: أي؛ وجعلها غير مسبوقة بقوله: فقولا، بل بما تضمنه لفظ الرسول من معنى الإرسال، تقول: أرسلت إليك أن أفعل كذا، لما في الإرسال من معنى القول؛ كما في المناداة، والكتابة، ونحوهما، والظرف: متعلق بأرسل، وبين إسرائيل: مفعول به.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ شَهِيدُونَ﴾ بجاز معناه: إنّا معكم نستمع ما يجري بينكم وبينه، وأنا الناصر لكم علىه، فالاستماع قرينة للكلام المجازي؛ لأن من سمع محاورة خصمين كان مستطيعاً الحكم بينهما، ومشايعة أيهما رأه أقرب إلى الحق، وأدنى من الصواب، فإذا اعترض معترض بأن الله تعالى مستمع لحقيقة، وسامع، ولا يجوز إجراء المجاز عليه تعالى: قلنا: إن الاستماع يقتضي الإصغاء بالأذن؛ كما الإبصار يتطلب تقليل الحدقتين من العين، وكل ذلك من خواص المحدثين.

* الفوائد:

يجوز أن يكون الرسول بمعنى الرسالة، فجازت التسوية فيه؛ إذ وصف به بين الواحد والثنية والجمع، كما يفعل بالصفة بالمصادر، نحو: صوم، وزيارة، قال أبو ذؤيب:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخِيرُ الرَّسُوْلِ لِأَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبْرِ

فجعله للجماعة؛ لأن الرسول في الأصل مصدر، فجاز إفراده مع تعدد معناه، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في أعلمهم، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على طريق الاستعارة المكنية، والنواحي: تخيل، أو شبه توابع الخبر التي يسأل عنها تبعاً له بالنواحي على طريق الاستعارة التصريحية، يعني: أنه

أعلم من غيره بذلك، وألکني : أرسلني مصحوباً بالرسالة. ومن مجيء
الرسول بمعنى الرسالة قول كثیر عزه :
حلفتُ برَبِّ الراقصاتِ إِلَى مَنِي

خَلَالَ الْمَلَائِكَةِ كُلَّ جَدِيلٍ
لَقَدْ كَذَّبَ الْوَاشُونَ مَا فِهُتْ عِنْدَهُمْ
بِسِرِّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ
فَلَا تَعْجَلِي يَا عَزْلَةَ أَنْ تَتَفَهَّمِي
بَنْصَحِّ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحَبْوِلٍ

والراقصات : المطایا السائرات إلى مني في الحج ، وخلال الملا : أي في أثناء الناس ، فيكون مخففاً من الملا ، أو : في الصحراء ؛ لأن الملا الصحراء ، والمتسع من الأرض ، والجديل : الرسن في عنقها ، والواشي : الذي يحسن الكلام ، ويموهه ، ويختلط الصدق بالكذب ، ويحرف الكلم عن مواضعه ، وما : نافية ، أي : ما تفوحت عندهم بسر ، ولا أرسلتهم إلى أحد برسول ، أي : برسالة ، فهو في الأصل مصدر ، وقد يطلق على المرسل ، والأصل : يا عزوة ، فرخم بحذف التاء ، وأن تفهمي : أي : في أن تفهمي ، أو : لأجل أن تفهمي ، وبنصح أي : أبنصح أتى الواشون إليك أم بحبوبل ؟ وهي : جمع حبل بالكسر ، وهي : الداهية العظيمة ، ولا أدهى من الكذب !

﴿ قَالَ اللَّهُ نُرِيكَ فِينَا وَلِيَدًا وَلَيَشَّتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِينَ ﴾ وَفَعَلَتْ فَعَلَتْكَ الَّتِي
فَعَلَتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ قَالَ فَعَلَتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فَفَرَقْتُ مِنْكُمْ
لَمَّا خَفَّتُكُمْ فَوَهَبْتُ لِي رَبِّ حُكْمًا وَجَعَلْتُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وَلِكَ يَقْمَهُ تَعْنَهَا عَلَيَّ أَنْ عَدَّتَ
بَيْحَ إِسْرَئِيلَ ﴾

○ الإعراب :

﴿ قَالَ اللَّهُ نُرِيكَ فِينَا وَلِيَدًا وَلَيَشَّتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِينَ ﴾ لا بدّ من تقدير مقدر

محذف، أي: فانطلقا إلى باب فرعون، فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال الباب إنَّ ها هنا إنساناً يزعم: أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأدأه إليه الرسالة، فعرف موسى لأنَّه نشأ في بيته، فقال له: ألم نربك. والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ونربك: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، وفيما: متعلقان بنربك، ووليدها: حال، ولبنت: فعل وفاعل، وفيما: متعلقان بلبنت، ومن عمرك: حال؛ لأنَّه كان صفة لسنين، وسنين: ظرف متعلق بلبنت أيضاً. ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ أَلَّيْ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وفعلت: فعل وفاعل، وفعلتك: مفعول به، أو مفعول مطلق، والتي: نعت، وجملة فعلت: صلة، والواو: حالية، وأنت: مبتدأ، ومن الكافرين: خبر، أي: الجاحدين لنعمتي، والفعلة التي فعلها موسى هي: قتل خبازه القبطي. ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قال: فعل ماض؛ أي: موسى، وفعلتها: فعل وفاعل ومفعول به، أو: مفعول مطلق؛ أي: فعلت الفعلة، وإذاً: حرف جزاء بمثابة الجواب، والواو: وا الحال، وأنا: مبتدأ، ومن الضاللين: خبر؛ أي: عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة، وربما بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها عليه فرعون، وهي قوله له: وأنت من الكافرين؛ فقال: من الضاللين؛ أي: المخطئين؛ كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَهَا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّ الْحَكَمَ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وفررت: فعل وفاعل، ومنكم: متعلقان بفررت، ولما: حينية؛ كما يقول الفارسي، ورابطة كما يقول سيبويه، وجملة خفتكم: مضاد إليها الظرف، فوهب: عطف على فررت، ولي: متعلقان بوهب، ورب: فاعل، وحكم: مفعول به، وجعلني من المرسلين: عطف على ما تقدم، دفع قدحه في نبوته بهذا القول؛ أي: إن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة، ثم كرر على امتنانه عليه بالتربيه، فدحضه، وأبطله من أصله، واجتهه من أساسه بقوله:

﴿وَلِكَ نِعْمَةٌ تُمْهِلُّهُ أَنْ عَبَدَتْ بَعْيَ إِسْرَئِيلَ﴾ كلام مستأنف مسوق لنصف الاتهام الذي وجهه إليه فرعون، وتلك: مبتدأ، ونعمـة: خبر، وجملة تمنـها: صفة لنعمـة، وعلىـ: متعلقان بـنعمـة، وأنـ ما في حيزـها: عطف بـيان لتـلك؛ لأنـ الإشارة إلى خطة شـنـاء، وخـصلـة شـوهـاء، لا تـكتـنه حـقـيقـتها إلا بـتـفسـيرـها، فجـاء عـطـفـ البـيـانـ مـفـسـراـ ما أـبـهـمـ فـاتـحـاـ ما أـغـلـقـ، ويـجوزـ أنـ يـعرـبـ المـصـدرـ المـؤـولـ: بدـلاـ منـ نـعـمـةـ، أوـ: يـكونـ فيـ محلـ نـصـبـ علىـ أـنـ مـفـعـولـ لأـجلـهـ، وـتـمنـهاـ: فـعلـ مـضـارـعـ، وـفـاعـلـهـ: ضـميرـ مـسـتـترـ تـقـديـرهـ: أـنـتـ، وـالـهـاءـ: مـصـوبـ بـنـزـعـ الـخـافـضـ؛ لأنـ مـنـ فـعلـ لـازـمـ يـتـعـدـيـ بـالـباءـ، أـيـ: تـمنـ بـهـاـ.

وأـشارـ الجـلالـ فيـ تـفسـيرـهـ المـختـصرـ إلىـ أـنـ بـعـضـهـمـ قـدـرـ أـوـلـ الـكـلامـ هـمـزةـ؛ أـيـ: قـبـلـ وـتـلـكـ، وـأـصـلـ الـكـلامـ: أـوـتـلـكـ؟ أـيـ: لـيـسـ هـذـهـ نـعـمـةـ حـتـىـ تـمـنـ بـهـاـ عـلـيـ، وـالـمـقـدـرـ هوـ: الـأـخـفـشـ، وـهـذـهـ الـهـمـزةـ لـلـاستـفـهـامـ الـإـنـكـارـيـ المـتـضـمـنـ معـنـىـ النـفـيـ؛ كـمـاـ شـرـحـناـ.

□ البلاغة:

الإيهام:

في قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ إـبـاهـمـ منـ غـيرـ تـفـسـيرـ، وـهـوـ قـسـمـانـ: إـبـاهـمـ مـفـسـرـ، وـإـبـاهـمـ منـ غـيرـ تـفـسـيرـ، فـإـنـ قـولـهـ: ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يـذـهـبـ فيهاـ الـوـهـمـ كـلـ مـذـهـبـ، وـتـحـمـلـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمعـانـيـ، وـهـوـ كـثـيرـ شـائـعـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

﴿قَالَ فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾٢٣﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ مُوقِنِّي ﴾٢٤﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾٢٥﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ كُمْ الْأَوَّلَيْنَ ﴾٢٦﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَعْجُونٌ ﴾٢٧﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾٢٨﴿ قَالَ لِمَنْ أَنْخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ

الْمَسْتَحْوِينَ ﴿ قَالَ أَوْلَوْ حِشْتَكَ يُشَقِّعُ مُبِينٍ ﴾ ﴿ قَالَ فَأَتَيْتُ بِهِ إِنْ كَثُنَتْ مِنْ
الصَّدِيقِينَ ﴾ ٢٣ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَ فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال فرعون: فعل وفاعل، والواو: عاطفة لتعطف القول على قول موسى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وما: اسم استفهام مبتدأ، ورب العالمين: خبره، وإنما أجاب بما؛ لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، ولو أراد عيده لقال: مَنْ؟ ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ مُؤْقِنِي ﴾ قال موسى: هو رب، فرب: خبر لمبتدأ مذوف، وما: عطف على الجنسين، فلا يرد اعتراف على الثنوية، وهي راجعة على الجمع، وبينهما: ظرف متعلق بمذوف صلة، وإن: شرطية، وكنتم: فعل ماضٍ ناقص في محل جزم فعل الشرط، وكان واسمها وخبرها، وجواب إن مذوف؛ أي: إن كتم من يرجى منهم النظر الصحيح، والاعتبار السليم؛ نفعكم هذا الجواب، أو تقدره: إن كتم توافقون بشيء فهذا أولى ما توافقون به؛ لسطوعه، وإنارة دليله. ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِنُ ﴾ قال فرعون، ولمن: متعلقان بقال، وحوله: ظرف متعلق بمذوف هو الصلة، وهم أشراف قومه، والهمزة؛ للاستفهام، ولا: نافية، وتستمعون: فعل مضارع وفاعله، ومفعوله مذوف؛ أي: جوابه الذي لم يطابق السؤال. ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبِّ أَبَائِكُمْ الْأَوَّلَيْنَ ﴾ قال موسى، وربكم: خبر لمبتدأ مذوف؛ أي: هو، ورب آبائكم: عطف على ربكم، والأولين: صفة لأبائكم، أجابه بهذا؛ وإن كان داخلاً ومتظهماً في قوله رب السموات والأرض وما بينهما؛ لإغاظته وتحديه، وسيأتي سر ذكر الخاص بعد العام في باب البلاغة. ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَسَجَنُونُ ﴾ قال فرعون، وجملة إنَّ رسولكم: مقول القول وإن واسمها، والذي: صفة، وجملة أرسل إليكم: صلة للموصول، واللام: المزحلقة، ومحنون: خبر إنَّ. وهذا شأن المبطلين المتحكمين عندما يسقط في أيديهم، يلجمون إلى نعت صاحب الحق بالجهنون، أو غيره؛ لأنهم لا يملكون الدليل

على معارضته . ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ تَعْقِلُونَ ﴾ قال موسى زيادة في إغاظته ، والتدليل على إسفافه: هو رب المشرق والمغرب وما بينهما، وسيأتي سر هذا الطلاق في باب البلاغة ، وإن كنتم تعقلون: شرط وجوابه مذوف؛ أي: إن كان لكم مسكة من عقل علمتم أن لا جواب لكم غير المكابرة والسفه والشطط في القول ، قال أولاً: إن كنتم موقنين؛ لأن المقام مقام تدليل واقناع؛ ثم لما يئس واشتد اللجاج غالظهم وقابل حاجتهم ونسبتهم إياه إلى الجنون بمثلها، فنفى عنهم العقل الذي يمكنهم من التمييز بين الأمور . ﴿ قَالَ لَئِنْ أَخْذَنَا إِلَيْهَا عِنْدِي لَأَجْعَلَنَا مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ قال فرعون، لئن: اللام موطة للقسم ، وإن: شرطية ، واتخذت: فعل ماض وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، وإليها: مفعول به ، وغيري: صفة ، واللام: جواب القسم ، وجواب الشرط مذوف ، دلّ عليه جواب القسم ، بناء على القاعدة المشهورة ، وأجعلنك: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التركيد الثقيلة ، والفاعل: ضمير مستتر تقديره: أنا ، ومن المسجونين: في موضع نصب على أنه المفعول الثاني . ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْنَاكَ لِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ قال موسى ، والهمزة: للاستفهام ، والواو للحال ، وكل ما كان على هذا التركيب يكون قد سبقه فعل مذوف؛ أي: أتفعل ذلك ولو... ، ولو: شرطية ، وجئتكم: فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وبشيء: متعلقان بجئتكم ، ومبين: صفة لشيء؛ أي: ببرهان ساطع على نبوتي . ﴿ قَالَ فَأَتَيْتَ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قال فرعون ، فائت: الفاء الفصيحة ؛ أي: كنت صادقاً في دعواك فائت ، وبه: متعلقان بقوله فائت وإن: شرطية ، وكنت: فعل الشرط ، وكان واسمها ، ومن الصادقين: خبر كنت ، وجواب الشرط مذوف دلّ عليه ما قبله .

□ البلاغة:

العموم والخصوص :

بعد أن ذكر العموم بقوله: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنُهُمَا ﴾ ؛ إذ

استوعب به الخلائق كلّها؛ عاد إلى التخصيص بذكرهم، وذكر آبائهم، والمطابقة بين المشرق والمغرب ليتأملوا في أنفسهم؛ لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه، ومن ولد منه، وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع، والناقل من هيئة إلى هيئة، ومن حال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، وطابق بين المشرق والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم، ونظام ثابت، لا خلل فيه في فصول السنة، وحساب مستقيم أيضاً، من أظهر ما يمكن الاستدلال به.

وعلم ثانياً بجعله من المسجونين، ولم يقل: لأسجننك؛ للإشارة إلى أن ذلك دينه، فقد كان يأخذ من يريد سجنه، فيطرحه في وهة عميقة الغور وحيداً، لا يرى الضوء فيها، ولا يسمع الصوت من داخلها، فكان ذلك أنكى من القتل، وهو دين المعاند المكابر المحجوج حين تواثيه الأيام، ويبتسم له الزمان، يعتقد حين يملك قطراً في غفلة من الدهر: أن على أهله أن يعبدوه. فاللام في قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجُونِ﴾ للعهد؛ أي: من عرف شأنهم، وعهدت حاليهم في سجوني، فالتعيم هنا أبلغ، كما أن التخصيص فيما سبق أبلغ، والله أسلوب القرآن: إنه يتعالى على الأذهان السطحية البدائية ويدق على البدائة الأولى.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعَبَانٌ مُّبِينٌ ﴾٣٢﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾٣٣﴿ قَالَ لِلْمَلِائِكَةِ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلَيْمٌ ﴾٣٤﴿ بِرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ سِحْرِهِ فَنَادَاهُ تَأْمُرُونَ ﴾٣٥﴿ قَالُوا أَرْجِهُ وَلَا هُوَ وَابْنُ فِي الْمَلَائِكَةِ حَتَّىٰ يُنَزَّلَنَّ ﴾٣٦﴿ يَا أَنُوكَ بِرَكْلٍ سَحَّارٍ عَلَيْهِمْ ﴾٣٧﴾

اللغة:

﴿ثُعَبَانٌ﴾: الثعبان: الحية، يطلق على الذكر والأنثى، ويجمع على ثعابين، واشتقاء الثعبان من: ثعب الماء: فجره فانتعب، وقد ظهرت هذه

الشعبانية على العصا حين ألقاها. وللثاء مع العين خاصة التلون والتحليل والإرهان، يقال: ثعَّ، يثُّ من باب ضرب، ثعاً: قاء ما أكله، وانفعَ الأكل من فمه، والدم من أنفه، أو جرحة؛ أي: انصب، ومن أقوالهم: سالتِ التّعبانُ كما انساب الشّعبانُ، جمع ثَعَّب، وهو المسيل، قال:

وَمَا ثَعَّبْ باتت تطرّدِه الصبا
بِسْرَاءِ وَإِنْجِدِ غِيرِ أَهْمَّا
وَمِنْ الْمَجَازِ: صاح بِه فَانْشَعَبَ إِلَيْهِ: إِذَا وَثَبَ يَجْرِي إِلَيْهِ، وَشَدُّ أَثْعَوبَ،
قَالَ:

لَهَا إِذَا حَرَّ الْحَرَارُ وَاللَّوْبُ قَوَائِمُ عَوْجٍ وَشَدُّ أَثْعَوبَ
وَقَالَ أَبُو دَؤَادَ:

وَكُلُّ قَائِمٍ تَهُوِي لِوْجَهِهَا لَهَا أَتَى كَفَرْغُ الدَّلُو أَثْعَوبَ
وَكُلُّهَا مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ إِلَّا أَنَّ الطَّرِيقَ مُخْتَلِفٌ، وَثَعَّبْ عَلَيْهِمُ الْغَارَةُ:
شَنَّهَا، وَثَعَبْ الْبَعِيرُ شَقْشَقَتَهُ: أَخْرَجَهَا. وَثَعَلَتْ أَسْنَانَهُ، تَشَلَّ، مِنْ بَابِ
فَتْحٍ، ثَعَلًا: تَرَاكِبُ إِحْدَاهَا عَلَى الْأُخْرَى، فَهُوَ أَثْعَلُ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّلُونَ
وَالْتَّحْلِيلِ، وَأَثْعَلُ الْأَمْرِ: عَظَمُ وَتَفَاقَمُ، وَالثَّعَلُ بِضَمِّ الثَّاءِ الْمَشَدَّدَةِ: دَوْيَيَّة
تَظَهُرُ فِي السَّقَاءِ إِذَا خَبَثَ رِيحَهُ، وَثَعَالَةُ: عَلَمُ عَلَى أَنْتَشِي التَّعْلِبِ، لَا يَنْصَرِفُ،
وَثَعَلَبُ، وَثَعَلَبُ: رَاغُ، أَوْ: تَشَبَّهُ بِالثَّعْلَبِ فِي رُوْغَانِهِ، وَالثَّعْلَبُ: حَيْوانٌ
مَشْهُورٌ بِالْتَّحْلِيلِ وَالرَّوْغَانِ يَتَسَاقِطُ شَعْرَهُ كُلَّ سَنَةٍ، وَمِنْهُ: دَاءُ الثَّعْلَبِ وَهُوَ:
عَمَلِيَّةٌ تَسَاقِطُ الشِّعْرَ، وَيُقَالُ لِلَّأَثْنَيْ: ثَعْلَبَةُ، وَلِلذِّكْرِ: ثَعْلَبَانُ، وَكَلْمَةُ ثَعْلَبٌ
تَقْعُ عَلَى الْمَذْكُورِ، وَالْمَؤْنَثُ، وَيَجْمِعُ عَلَى ثَعَالِبُ، وَثَعَالَ، وَالثَّعْلَبُ أَيْضًا:
طَرْفُ الرَّمْحِ الدَّاخِلِ فِي جَبَةِ السَّنَانِ، قَالَ بِشَارُ:

وَجِيشٌ كَجُنْحٍ اللَّيْلِ يَرْحَفُ بِالْحَصَّى
وَبِالشَّوِكِ وَالْخَطْيَّيِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُه

وَالثَّعْلَبَةُ أَيْضًا: الْعَصَصُ، وَالْإِسْتُ. وَبِالجملةِ فَهَذِهِ الْمَادَةُ ظَاهِرَةٌ
الثَّعْلَبَةُ وَالثَّعْبَانَيةُ.

﴿أَرْجِه﴾ : وأرجئه كما قرئ أيضاً بالهمز وبالتحقيق، وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجيته؛ إذا أخرته، ومنه المرجئة.

○ الإعراب:

﴿فَلَقَنَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الفاء: عاطفة، وألقى: فعل ماض، وفاعله: مستتر تقديره: هو، وعصاه: مفعول به، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا: فجائية وهي ظرف، أو حرف، وقد تقدم بحثها مفصلاً، وهي: مبتدأ، وثبان: خبر، ومبين: صفة. وقد تقدم بحث المسألة الزنبوية وخلاف سيبويه مع الكسائي في حضرة يحيى البرمكي حولها. ﴿وَرَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ يَصَاءَ لِلنَّاظِرِ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها، وهي ماثلة لها في إعرابها. ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلَيْهِ﴾ قال فرعون، وللملأ: متعلقان بقال، وحوله: ظرف متعلق بمحذوف حال، وللزخشي تفنن في إعرابها نورده لروعته:

«فإن قلت: ما العامل في حوله؟ قلت: هو منصوب نصبين، نصب في اللفظ ونصب في محل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف، والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال».

وإنّ: حرف مشبه بالفعل، وهذا: اسمها، واللام: المزحلقة، وساحر: خبر، وعلیم: خبر ثان. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ يُسْحِرُهُ فَمَادَا تَأْمُرُونَ﴾ الجملة صفة لساحر، وهي بيت كامل من مجزوء الرجز، وليس شرعاً؛ لأنباء القصد، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً. وأن وما في حيزها: مفعول يريد، ومن أرضكم: متعلقان بيخرجكم، وبسحره: متعلقان بيخرجكم أيضاً.

﴿فَمَادَا تَأْمُرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وماذا: اسم استفهام مفعول به لقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ أو: مفعول مطلق لكونه في معنى المصدر، أو: ما: اسم استفهام وذا: اسم موصول خبر، وجملة تأمرؤن: صلة، قال ذلك بعد أن بصره ما شاهد، واستولى عليه الدهش والبهر. ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَآخَاهُ وَيُعَثِّرُ فِي الْمَدَائِنِ

حَشِّرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا: فَعْلٌ وَفَاعِلٌ، وَأَرْجَهُ: فَعْلٌ أَمْرٌ، وَالْهَاءُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَأَنْخَاهُ: مَفْعُولٌ مَعْهُ، أَوْ عَطْفٌ عَلَى الْهَاءِ، وَابْعَثُ: عَطْفٌ عَلَى أَرْجَهِ، وَفِي الْمَدَائِنِ: مَتَعْلِقٌ بِابْعَثِ، وَحَاشِرِينَ: صَفَةٌ لِمَفْعُولٍ بِهِ مَحْذُوفٌ، أَيْ: شُرُطًا يُحَشِّرُونَ السُّحْرَةَ، وَيُجْمِعُونَهُمْ. ﴿يَأْتُوكَ يَكُلُّ سَحَّارٍ عَلَيْهِ﴾ يَأْتُوكَ: فَعْلٌ مَضَارِعٌ مَبْرُومٌ؛ لَأَنَّهُ جَوابُ الْأَمْرِ، وَبِكُلِّ سَحَّارٍ: مَتَعْلِقٌ بِيَأْتُوكَ، وَعَلِيمٌ: صَفَةٌ لِسَحَّارٍ.

* الفوائد:

الشُّرْطُ: وَاحِدَهُ شُرْطٌ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ مِنْ خِيَارِ أَعْوَانِ الْوَلَاةِ، وَفِي أَيَّامِنَا هُمْ رُؤْسَاءُ الضَّابِطَةِ، وَرِجَالُهَا، سَمُوا بِذَلِكَ؛ لَأَنَّهُمْ جَعَلُوا لِأَنفُسِهِمْ عَلَامَةً يَعْرَفُونَ بِهَا، وَفِي الصَّحَاحِ: «الشُّرْطُ مُحْرَكَةٌ: الْحَرْسُ سَمُوا بِذَلِكَ لَأَنَّهُمْ جَعَلُوا لِأَنفُسِهِمْ عَلَامَةً يَعْرَفُونَ بِهَا» وَالشُّرْطُ أَيْضًا: أُولَئِكَ تُشَهِّدُ الْحَرْبَ وَتَهْيَأُ لِلْمَوْتِ.

﴿فَجَمِيعَ السَّحَرَةِ لِيُمِيقَتِ يَوْمٌ مَعْلُومٌ ﴿٢﴾ وَقَلَّ لِلنَّاسِ هُلْ أَنْتُمْ تُجْمَعُونَ ﴿٣﴾ لَعَنَّا نَتَّعِي السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَنِيلِينَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفَرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كَنَّا نَحْنُ الْغَنِيلِينَ ﴿٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمْنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٦﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْلُو مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَوْا جَبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا يَعْزَزُهُ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِمُونَ ﴿٨﴾

○ الإعراب:

﴿فَجَمِيعَ السَّحَرَةِ لِيُمِيقَتِ يَوْمٌ مَعْلُومٌ﴾ الفاءُ: عاطفةٌ عَلَى مَقْدِرٍ، وَجَمِيعٌ: فعلٌ ماضٌ مبنيٌ للمجهول، وَالسَّحَرَةُ: نَائِبٌ فَاعِلٌ، وَلِمِيقَاتٍ: جَارٌ وَمُجْرُورٌ مَتَعْلِقٌ بِجَمِيعٍ، وَيَوْمٌ: مضافٌ إِلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ: صَفَةٌ، وَالْيَوْمُ الْمَعْلُومُ هُوَ: يَوْمُ الزِّينَةِ، وَمِيقَاتُهُ هُوَ: وَقْتُ الصَّحْنِيِّ، وَقَدْ مَرَ ذِكْرُهُ فِي طَهِ فَجَدَدَ بِهِ عَهْدًا.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ وقيل: معطوف على ما تقدم، للناس: متعلقان به، وهل: حرف استفهام، وأنتم: مبتدأ، مجتمعون: خبر، والجملة: مقول القول، وفي الاستفهام معنى الأمر؛ كأنه يستبطئهم ويستحثهم على الاجتماع، ومنه قول تأبظ شرًا:

هَلْ أَنْتَ بَاعُثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدَ رَبِّ أَخَا عَوْفِ بْنِ مِخْرَاقٍ

فهل: استفهام استبطائي، فيه حث على الفعل، ودينار: اسم رجل ورب: كذلك، ونصب لأنه معطوف على محل دينار؛ لأنه مفعول معنى، وأخا عوف: نعت له، وقيل: منادي، وعوف، ومخراق: اسمان لرجلين، ويروى: عون بالنون. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَنَّانِينَ﴾ الجملة في محل نصب حال؛ لأن الترجي باعتبار حالة الغلبة المقتضية للاتباع، وإن كان مقصودهم الأصلي: ألا تتبعوا موسى، المعنى: راجين أن تكون الغلبة لهم فلا تتبع موسى. ولعل واسمها، وجملة تتبع: خبرها، والسحررة: مفعول به، وإن شرطية، وكانوا: فعل الشرط، وهو كان واسمها، وهم: ضمير فصل، والغالبين: خبر كانوا. ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفَرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأْجَرًا إِنْ كُنَّا تَحْنُنَّ الْفَنَّانِينَ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية ظرفية، أو رابطة، وجاء السحررة: فعل وفاعل، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولفرعون: متعلقان بقالوا، والهمزة: للاستفهام، وإن: حرف مشبه بالفعل، ولنا: خبرها المقدم، وأجرًا: اسمها المؤخر، وإن: شرطية، وكنا: كان واسمها، وهو فعل الشرط، ونحن: ضمير فصل، والغالبين: خبر كنا، وجواب الشرط: مخدوف، دل عليه ما قبله؛ لأن قوله: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأْجَرًا﴾ في معنى جواب الشرط لدلالة عليه. ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمْ يَنْعِمُ الْمُقْرَبُينَ﴾ قال فرعون، ونعم: حرف جواب؛ أي: لكم الأجر، وزادهم بقوله: وإنكم، فهو عطف، وإن واسمها، وإذاً: حرف جواب وجزاء، واللام: المزحلقة، ومن المقربين: خبر إن، وعدهم بالأجر، وبالقريبي، والزلفي لديه. ﴿قَالَ هُمْ مُؤْمِنُوْنَ الْقُوَّا مَا أَنْتُ مُلْقُوْنَ﴾ قال لهم موسى: فعل وفاعل، ولهم: متعلقان بقال،

وجملة ألقوا: مقول القول، وما: مفعول به، وجملة أنتم ملقون: صلة، وأنتم: مبتدأ، وملقون: خبر. ﴿فَأَلْقُوا حِجَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَلِيْبُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وألقوا: فعل وفاعل، وحجالهم: مفعول به وعصيهيم: عطف على حجالهم، وقالوا: عطف على فألقوا، وبعزة: الباء: حرف قسم وجر، وبعزة: مجرور بالباء، والجهاز وال مجرر: متعلقان بفعل مذدوف، وقديره: نقسم، ونحلف بعزة فرعون، وإنما: إن واسمها، وكسرت همزتها وجوباً لوقوعها بعد القسم؛ كما تقدم، واللام: المزحلقة، ونحن: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والغالبون: خبر إنما، أو: خبر نحن، والجملة: خبر إنما.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ﴾
 قالوا إِمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿رَبُّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ قالَ إِمَّا مَنْتُمْ لَمْ يُقْبَلْ أَنْ أَذَنَ لَكُمْ إِنَّمَا لَكُمُ الْكِبِيرُ الَّذِي عَلِمْتُمُ السِّحْرَ فَلَسْوَقَ تَعْلَمُونَ لَا فَطَعْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِهِ لَا أَصِيلُنَّكُمْ أَجَعَّبِينَ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ إِنَّا نَطَمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَّيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾

○ الإكراه:

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وألقى موسى عصاه: فعل وفاعل ومفعول به، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا: فجائحة، وهي: مبتدأ، وجملة تلتف: خبر، وما: مفعول به، وجملة يأفكون: صلة ما، أي: تتبع ما يقلبوه بتمويههم عن وجهه، ويزورونه. ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وألقى: فعل ماض مبني للمجهول، والسحر: نائب فاعل، والفاعل الذي ناب عنه المفعول به لو صرخ به هو الله عز وجل بما ألههم من التوفيق، أو: إيمانهم، أو: ما عاينوه من المعجزة الباهرة التي ضُئلَ أمر السحر عندها، وسيأتي مزيد بحث عن الإلقاء في باب البلاغة، وساجدين:

حال . ﴿قَالُوا إِمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جملة آمنا من الفعل والفاعل مقول القول، ويرب العالمين : متعلقان بأمنا ، وجملة القول : بدل اشتغال من ألقى ، أو : حالية بتقدير : قد . ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ رب : بدل من رب العالمين ، أو : عطف بيان ، وموسى وهارون : مضاف إليه . ﴿قَالَ إِمَّا مَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ظَاهَرَ لِكُمْ﴾ جملة آمنتكم : مقول القول ، وله : متعلقان بأمانتكم ، والظرف : كذلك ، وأن وما في حيزها : في محل جر بالإضافة ، ولكم : متعلقان بأذن . ﴿إِنَّمَا لَكُمُ الَّذِي عَلِمْتُمُ السِّحْرَ فَلَسْوَفَ تَعْلَمُونَ﴾ تعليل لاصطياعهم لموسى وهارون ، وللتلبيس على قومه لئلا يعتقدوا : أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق . وإن واسمها ، واللام : المزحلقة ، وكبيركم : خبر إن ، والذي : صفة ، وجملة علمكم : صلة ، والكاف : مفعول به أول ، والسحر : مفعول به ثان ، فلسوف : الفاء : الفصيحة ؛ أي : إن استمررت في فعلكم فلسوف تعلمون وبال ما فعلتموه ، واللام : موطة للقسم ، وسوف : حرف استقبال ، وتعلمون : فعل مضارع وفاعل ، والمفعول : مذوق كما قدرناه . ﴿لَا أُقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفِ وَلَا صَبَّنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام : موطة للقسم ، وأقطعن : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله ببنون التوكيد الشقيقة ، والفاعل : ضمير مستتر بتقديره : أنا ، والجملة لا محل لها ؛ لأنها مفسرة ؛ بمثابة بيان لما أبهمه بقوله : ﴿فَلَسْوَفَ تَعْلَمُونَ﴾ وأيديكم : مفعول به ، وأرجلكم : عطف على أيديكم ، ومن خلاف : حال ؛ أي : مضمومة يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ، وقد تقدم القول فيها ، ولا صلينكم : عطف على لأقطعن ، وأجمعين : تأكيد للكاف . ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لِنَا إِنَّ رَبَّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ لا : نافية للجنس ، وضير : اسمها المبني على الفتح ، وخبرها : مذوق ؛ أي : لا ضير علينا ، ولا بأس ، وجملة إننا : تعليل لعدم الضير ، وإن واسمها ، وإلى ربنا : متعلقان بمنقلبون ، ومنقلبون : خبر إننا . ﴿إِنَّا نَطَّعْمَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إن واسمها ، وجملة نطعم : خبر ، والفاعل مستتر بتقديره : نحن ، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخاضض ؛ أي : في غفران خططيانا ، أو : على تضمين نطعم معنى نرجو ، فتكون إن وما في حيزها في محل نصب على

المفعولية، وربنا: فاعل يغفر، وخطابانا: مفعول به، وأن وما في حيزها نصب بتزع الخافض؛ أي: لأن كنا، أو: الباء، فالتقدير: بسبب أن كنا، وكان واسمها، وأول المؤمنين: خبرها؛ أي: أول من آمن من رعية فرعون.

□ البلاعنة:

في قوله: ﴿فَالْقَوْمَى السَّحَرَةُ سَجِدُوا﴾ استعارة مكنية، كأنهم أخذوا، فطروا على وجوههم، وقد زاد هذه الاستعارة جمالاً المشاكلة؛ لأنه عبر بالقى عن الخرور، فلم يقل: فخر واساجدين؛ لمشاكلة الإلقاءات المتقدمة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَسْرِي بِعَبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنَ حَشِيرَتِنَ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِذَمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَا يَأْتِيُونَ ﴿وَلَنَا جَمِيعُ حَذَرُونَ ﴾ فَأَخْرَجَنَّهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُونَ ﴿وَكُنُوزٌ وَمَقَامَرٌ كَثِيرٌ ﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثَنَّهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ فَلَمَّا تَرَكَ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمْ نَرَكُونَ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبٌّ سَيِّدُنَا ﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَصْرِبَ عَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿شَمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَلَنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

☆ اللستة:

﴿لَشَرِذَمَةٌ﴾ : الشرمدة: الجماعة القليلة من الناس، وتجمع على شراذم، وشراذيم، وثياب شراذم: ممزقة، وشَرَّذ الجمع - بالتشديد -: فرقه.

﴿حَذَرُونَ﴾ : متيقظون، وهي مبالغة اسم الفاعل، وقد قرئ: حاذرون، قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، يقال: رجل حذر، وحاذر، بمعنى، وقيل: بل بينهما فرق، فالحذر: المتيقظ، والحاذر: الخائف، وقيل:

الحدر المخلوق مجبولاً على الحذر، والحادر: من عرض فيه ذلك، وفي المصباح: «حدر، حدرأ»، من باب تعب، واحتذر، واحتزز، كلها بمعنى، واستعد، وتأهب، فهو حادر، وحدر، والاسم منه: الحذر، مثل: حمل، وحدر الشيء: إذا خافه، فالشيء مخذور؛ أي: مخوف، وحدرته الشيء، فحدره» وفي قراءة: حادرون - بالدال المهملة - والحادر: السمين القوي قال:

أَحَبُّ الصَّبَّيَ السَّوَاءِ مِنْ أَجْلِ أُمَّهُ
وَأَبْغَضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرٌ

أي: أن مدار حب الولد على حب أمه، لا على حسن أو صافه، وضمير أبغضه عائد على الصبي بدون وصفه، ولكن هذه شيمة المنهمك في حب النساء.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت الشروق، من: شرقت الشمس شروقاً: إذا طلعت.

﴿فِرْقِ﴾: بكسر الفاء؛ أي: قطعة.

(الطُّود): الجبل، أو: عظيمه؛ كما في «القاموس»، والجمع: أطواد، وطاد، يطود: إذا ثبت.

﴿وَأَزْلَفَنَا﴾: قربنا.

○ الامراب:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَسْرِيَ يَبْدَأِ إِنْكُو مُتَّبِعُونَ﴾ الواو: استثنافية، والجملة مستأنفة للشرع في الأمر الموجه إلى موسى بأن يسير بقومه إلى جهة البحر ليلاً، وذلك بعد ثلاثين سنة من الحوادث الآنفة الذكر. وأوحينا: فعل وفاعل، وإلى موسى: جار ومحروم متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة؛ لأن في الإيماء معنى القول دون حروفه، وأسر: فعل أمر من أسرى؛ أي: سار ليلاً، وفي قراءة: بكسر النون، ووصل همزة أسر، من: سرى لغة: أسرى،

وبعبادي: متعلقان بأسر، أو: حال؛ أي: مصحوباً بعبادي، وجملة: إنكم متبعون تعليل للأمر بالإسراء. ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ﴾ الفاء: عاطفة؛ وإن كان في الوقت انقطاع؛ لأنهم كما يروى شغلوا بدن موتاهم من الوباء الذي اجتاح مصر، وأرسل فرعون: فعل وفاعل، وفي المدائن: حال، وحاشرين: مفعول به. ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِمَةُ قَلِيلُونَ﴾ الجملة: مقول قول ممحض منصوب على الحال؛ أي: قائلًا، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وشرذمة: خبرها، وقليلون: صفة؛ لأنهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لقوم فرعون، وسيأتي في باب البلاغة سُؤال الجمع بالمذكر السالم لقليل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَيْظُونَ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وإن واسمها، ولنا متعلقان بغايةظون، واللام: المزحلقة، وغايةظون: خبر إن؛ أي: فاعلون ما يغيظنا. ﴿وَلَوْنَا لِجَمِيعِ حَلِزُونَ﴾ الواو عاطفة، أو: حالية، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وجميع: خبر أول، وحاذرون: خبر ثان، أي: ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر، واستعمال الحزم في الأمور. أراد فرعون أن يغطي الصدوع الذي أصاب هيبيته، فوصف نفسه، ورهطه بأبلغ الأوصاف الدالة على أصالة المنزلة، وقوه الشكيمة. ﴿فَأَخْرَجَنَّهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعِيُونِ﴾ الفاء: استثنافية، وأخر جناهم: فعل وفاعل ومفعول به، ومن جنات وعيون: متعلقان بأخر جناهم، وأراد البساتين التي كانت على جانبي النيل، والأهار الصغيرة المتفرعة من النيل، والموزعة على الدور، وسيأتي وصف مسهب لمصر في باب الفوائد. ﴿وَكَنُوزٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ﴾ عطف على جنات وعيون، وأراد بالكنوز؛ الأموال التي تحت الأرض، وخصها؛ لأن ما فوقها انطممت معالله، أو: لأنهم لم ينفقوها فيما يجب إنفاقه من خير. ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كذلك: نعت مصدر عاطفة، أي: آخر جناهم مثل ذلك الإخراج، ويجوز أن تعرّب الكاف صفة لمقام كريم؛ أي: مقام مثل ذلك المقام الذي كان لهم، ويجوز أن تعرّب الكاف رفعاً على أنها خبر لمبدأ ممحض؛ أي: الأمر كذلك، وأورثناها: الواو عاطفة، أو اعتراضية، ولعله أرجح، وأورثناها: فعل وفاعل ومفعول به أول، وبني إسرائيل: مفعول به ثان؛ أي: بعد إغراق فرعون وقومه.

﴿فَاتَّبِعُوهُمْ مُشْرِقِين﴾ الفاء عاطفة، وأتبعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ثان؛ أي: لحقوهم، ومشرين: حال. ﴿فَلَمَّا تَرَكَ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصَحَّ بُنْ مُوسَى إِنَّا لَمْ نَرَكُونَ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: ظرفية حينية، أو رابطة، وتراءى الجمعان: فعل ماض وفاعل؛ أي: تقابلا، ورأى كل واحدٍ منها الآخر، وجملة قال: لا محل لها لأنها جواب لما، وأصحاب: فاعل قال، وجملة إن لمدركون: مقول القول. ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَيِّدِهِنَّ﴾ قال موسى، وكلا: حرف ردع وزجر، وأراد موسى أن ينحي عليهم باللامنة لخور أعصابهم، وفتور عزائمهم؛ أي: لن يدركونا، وإن معني: تعليل لهذا الردع، وإن: حرف مشبه بالفعل، والظرف: متعلق بمحدوف خبر مقدم، ورب: اسمها المؤخر، وجملة سيهدين: استثنافية، وغلط من أعرها حالاً، وسيأتي التفصيل في باب الفوائد. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنَّ أَضْرِبْ بِعَصَبَكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ الفاء: عاطفة، وأوحينا: فعل وفاعل، وإلى موسى: متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة، واضرب بعصاك البحر: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعصاك: متعلقان باضرب، فانفلق: الفاء: الفصيحة، وقد تقدمت كثيراً؛ أي: فضرب فانفلق. ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَانَ طَوْرَ الْعَظِيمِ﴾ الفاء: عاطفة، وكان واسمها، والكاف: اسم بمعنى مثل خبرها، أو: هو جار و مجرور متعلقان بمحدوف خبر، والعظيم: صفة للطود. ﴿وَأَزْلَفْنَا مِنَ الْأَخْرَيْنَ﴾ الواو: عاطفة، وأزلفنا: فعل وفاعل، وثم: ظرف بمعنى هناك، والآخرين: مفعول به، وأراد بهم قوم فرعون؛ أي: قربناهم من قوم موسى. ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجَمِيعَنَّ﴾ وأنجينا: عطف على ما تقدم، وهو فعل وفاعل، وموسى: مفعول به، ومن: عطف على موسى، ومعه: ظرف مكان متعلق بمحدوف صلة من، وأجمعين: تأكيد لمن. ﴿ثُرَّ أَعْرَقَنَا الْأَخْرَيْنَ﴾ عطف على ما تقدم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تعليل لما تقدم؛ أي: إنما جعلنا ذلك، وقدرناه؛ ليكون آية، وموعظة للناس ولكن ما تنبه إليها أكثرهم، وفي ذلك: خبر إن المقدم، واللام: المزحلقة، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكان واسمها، والباء: حرف جر زائد، ومؤمنين: مجرور لفظاً، منصوب محلاً؛

على أنه خبر كان^(١) ، وستأتي زيادة الباء في خبر كان في باب الفوائد . ﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ عطف على ما تقدم ، وإنَّ واسمها ، واللام : المزلقة ، وهو ضمير فصل ، أو : مبتدأ ، والعزيز الرحيم : خبران لأنَّ ، أو : لهو ، والجملة : خبر لأنَّ .

البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لِشَرِذَمٌ فَلِيُؤْنَ﴾ الشرذمة: هي الطائفة، أو: الجماعة القليلة؛ كما ذكرنا في باب اللغة، وكان يمكن الاكتفاء بها تعبيراً عن القلة، ولكنه وصفها بالقلة القليلة زيادة في احتقارهم، واستصغار شأنهم، ثم جمع وصفهم؛ ليعلم أن كل ضرب منهم قليل، واختار جمع المذكر السالم الذي هو للقلة، فهذه أربعة أوجه تساند لتقليلهم، وهناك وجه خامس: وهو الوصف بالموصوف، وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من الموصوفين. فتأمل هذا فإنه من روائع النكٰت.

الفهائد:

١- شروط وقوع الحال جملة:

تقع الحال جملة بشرط ثلاثة:

أـ أن تكون الجملة خبرية، وهي المحتملة للصدق والكذب، وهذا الشرط مجمع عليه؛ لأن الحال بمثابة النعمت، وهو لا يكون بجملة إنسانية، وأما ما ورد في الحديث: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا هاء هاء» فهو على إضمار القول، أي: إلا قائلين: هاء، وهاء، من جهة البائع والمشتري.

وفي شرح التسهيل للمرادي: أن الخبرية تتناول الشرطية، وأنه يجوز وقوعها حالاً، ولكن كلام «المعنى» يخالفه، والتحقيق: أنَّ الكلام في الجملة

(١) الذي ورد في الآية هو كلمة **«مؤمنين»** وليس: بمؤمنين، كما أعرب المؤلف.
فتتأمل.

الشرطية إن كان هو الجزاء والشرط قيد له، فالجزاء إن كان خبراً فالجملة الشرطية خبرية، وإن كان إنشاء فإنسانية، وإن كان الكلام مجموع الشرط والجزاء فليست خبرية؛ لأن الأداة آخر جتها عن ذلك.

هذا وقد غلط من قال في قول أحد المولدين:

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرها
أما ترى الحبلى بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

أن لا: نافية، وأن الواو للحال. قال في «المغني»: وهذا خطأ والصواب في الواو: أنها عاطفة، إما مصدرأً يسبك من أن الفعل على مصدر متوهם من الأمر السابق؛ أي: ليكن منك طلب، وعدم ضجر، أو: جملة على جملة، وعلى الأول ففتحة ضجر إعراب، ولا نافية، وعلى الثاني: فالفتحة ببناء للتركيب، والأصل: ولا تضجرن بنون التوكيد الخفيفة، فحذفت للضرورة ولا نافية، والعطف مثل: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ثم استأنف ابن هشام في «المغني» كلامه في النوع الثامن من الجهة السادسة، فقال: «ثم الأصح: أن الفتحة يعني فتحة ضجر إعراب مثلها في: لا تأكل السمك وترتب اللبن، لا بناء لأجل نون توكيد ممحونة».

٢ - أن تكون الجملة غير مصدرة بدليل استقبال؛ لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال، وذلك ينافي الاستقبال، وغلط من أعراب ﴿ سَيِّدِينَ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينِ ﴾ حالاً، وبيان غلطه من جهة الصناعة ظاهر، وأما من جهة المعنى: فلأنه صير معنى الآية سذهب مهدياً، فصرف التنفيس إلى الذهاب وهو في الآية للهداية، وأجيب: بأن مهدياً وقع بعد الذهاب الذي فيه تنفيس، فيلزم أيضاً أن يكون فيه تنفيس كالمقيد. وأما قولهم: لأن ذهب وإن مكث؛ فإنما جاز وقوع الشرطية فيه حالاً؛ وإن كانت مصدرة بدليل استقبال وهو: إن، لأن المعنى: لأن ذهب على كل حال؛ إذ لا يصح اشتراط وجود الشيء وعدمه لشيء واحد.

٣- أن تكون مرتقبة إما بالواو والضمير معًا تقوية الربط نحو: ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَهُمُ الْأُولُفُ حَدَّارُ الْمَوْتِ ﴾ فجملة: هم أولف: حال من الواو في خرجوا، وهي مرتقبة بالواو والضمير وهو: هم. أو بالضمير فقط دون الواو نحو: ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فبعضكم: مبتدأ، وعدو: خبره، ولبعض متعلقان بعده، أو: حال منه، والجملة: حال من الواو في اهبطوا؛ أي: متعددين يصل بعضكم بعضاً، وهي مرتقبة بالضمير فقط، وهو: الكاف والميم. أو مرتقبة بالواو فقط دون الضمير نحو: ﴿ لَئِنْ أَحَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصَبَةٌ ﴾ فجملة: ونحن عصبة: حال من الذئب، مرتقبة بالواو فقط، ولا دخل لنا في الربط؛ لأنها لم ترجع لصاحب الحال.

(٢) وصف مصر لعمرو بن العاص :

ولما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر؛ كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنْ صَفْ لِي مِصْرَ، فكتب إليه:

«ورد كتاب أمير المؤمنين - أطال الله بقائه - يسألني عن مصر ، اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ مصر قرية غراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكتنفها جبل أغبر ، ورمل أعنقر ، ينطر وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان ، كجري الشمس والقمر ، له أوان يدرُّ حلابه ، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها ، حتى إذا ما اصلحَّ عجاجُه ، وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب ، وخراف القوارب ، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الأسائل ؛ فإذا تكامل في زیادته نكص على عقيبه كأول ما بدأ في جريته ، وطما في درّته ، فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة ، وذمة محفورة ، يحرثون الأرض ، ويبذرون بها الحبّ ، يرجون بذلك النماء من ربّ ، لغيرهم ما سعوا من كلدهم ، فناله منهم بغير جدهم ، فإذا أحدق الزرع ، وأشرق ، سقاهم الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، في بينما مصر يا أمير

المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الله الحالى لما يشاء» إلى آخر تلك الرسالة الممتعة.

وجاء في خطط المقريزى ما يجلو غوامض هذه الرسالة:

«ووصف بعضهم مصر فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حراء، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في أشهر: أبيب، ومسرى، وتوت، يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء، وضياعها على روابي وتلال، مثل الكواكب، قد أححيطت بالمياه من كل وجه، فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا بالزوارق، وأما المسكة السوداء فإن في أشهر: بابه، وهاتور، وكىهك، ينكسف الماء عن الأرض، فتصير أرضاً سوداء، وفي هذه الأشهر تقع الزراعات، وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر: طوبة، وأمشير، وبرمهاط، يكثر نبات الأرض، وربيعها، فتصير خضراء كأنها الزمردة، وأما السبيكة الحمراء فإن في أشهر: برمودة، وبشننس، وبئوئه، يتورّد العشب، ويبلغ الزرع الحصاد، فيكون كالسبيبة التي من الذهب منظراً ومنفعة».

(٣) زيادة الباء في خبر كان^(١):

تحتخص ليس، وكان بجواز زيادة الباء في خبريهما، وتكثر زيادتها في خبر ليس، وما الحجازية، أمّا كان فلا تزاد إلا إذا سبقها نفي، أو: نهيٌ كما في الآية، وكتقول الشَّنْفُرِي:

وإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِيْ إِلَى الرَّازِدِ لَمْ أَكُنْ

بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعَ الْقَوْمَ أَعْجَلُ

(١) انظر التعليق السابق (ص ٤١٠).

﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ بَنَاءً إِبْرَاهِيمَ ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَنِيفِينَ ﴾ إِذْ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿ أَفَلَا يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُبُونَ ﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا عَبَادَةَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ قَالَ أَفَرَبِيشَرْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ أَنْتُمْ وَأَبْأَوْكُمْ أَلَا قَدْمُونَ ﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُولُنِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَسَقِينِي ﴾ وَإِذَا مَرَضَتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي ﴾ وَالَّذِي يُمْسِكُنِي ثُمَّ يُعْلِيَنِي ﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَايِّي يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمَنَا وَالْحِقْنِي بِالصَّنْدِلِ حِينَ ﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صَدِيقِ فِي الْآخَرِينَ ﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرْثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنْهُ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعْثُوْنَ ﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ﴾ إِلَّا مَنْ أَنْقَدَ اللَّهُ يَقْلِبْ سَلِيمٍ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ بَنَاءً إِبْرَاهِيمَ ﴾ الواو: عاطفة، وأتل: معطوف على اذكر المقدرة عاماً في قوله: «﴿ وَإِذْ نَادَى رَبِّكَ مُوسَى ﴾ للشرع في القصة الثانية، وعليهم: متعلقان باتل، وبناء إبراهيم: مفعول به. «﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن، وهو بدل من بناء بدل اشتغال، فيكون العامل فيه اتل، وقيل: منصوب بناء إبراهيم، أي: وقت قوله لأبيه وقومه: ما تعبدون، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولا أبيه: متعلقان بقال، وقومه: معطوفة، وما: اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون، وجملة ما تعبدون: مقول القول. «﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَنِيفِينَ ﴾ جملة نعبد أصناماً: في محل نصب مقول القول، فنظل: الفاء عاطفة، ونظل: فعل مضارع ناقص، واسمها: ضمير مستتر تقديره: نحن، ولها: متعلقان بعاكفين، وعاكفين: خبر نظل، وفي الكلام إطناب سيأتي في

باب البلاغة. ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ هل : حرف استفهام، ويسمعونكم : فعل مضارع ، وفاعل ، والكاف : مفعول به ، ولا بد من تقدير محدوف ، أي : يسمعون دعاءكم ، فتكون متعدية لواحد ، أو : يسمعونكم تدعون ، ف تكون متعدية لاثنين ، وقد قامت الجملة المقدرة مقام المفعول الثاني ، وإذ : ظرف متعلق بـ يسمعونكم ، وهو كما يقول الزمخشري : لحكاية الحال الماضية ، و معناه : استحضر والأحوال التي كنتم تدعونها فيها ، هل سمعوكم إذ دعوتكم؟ وهو أبلغ في التبييت ، وجملة تدعون : مجرورة بإضافة الظرف إليها . ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَصْرُونَ ﴾ عطف على يسمعونكم . ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا إِبَاءَنَا كَذَّلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ بل : إضراب انتقالي ، تفادوا به الإجابة عن استفهماته ، وكأنهم وجدوا أنفسهم حقيقة في معزل عن التفكير والمساءلة ، وأنهم لم يرجعوا إلى عقولهم ، فیناقشو ما يعبدون : هل يسمع؟ هل ينفع؟ هل يضر؟ وإنما هو مجرد تقليد درجوا عليه دون التأمل في مغابه ، أو : النظر إلى عواقبه ، ونتائجها . ووجدنا : فعل وفاعل ، وأباءنا : مفعول أول لوجودنا ، وجملة يفعلون : هي المفعول الثاني ، وكذلك : نعت مصدر محدوف ، أي : يفعلون فعلاً مثل ذلك ، أو : تجعل الكاف مفعولاً به مقدماً ليفعلون ، ولعله أولى . ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ الهمزة : للاستفهام الإنكارى المتضمن معنى الاستهزاء والساخريه ، وقد تقدم : أنَّ «رأيت» في مثل هذا التعبير إما أن تكون بمعنى : أخبروني ، ف تكون متعدية لمفعولين ، أوَّلُهُمَا : اسم الموصول ، وثانيهما : محدوف ، وهو جملة ؛ تقديرها : هل هو جدير بالعبادة؟ وإنما أن تكون رأى بمعنى : عرف ، وهي تنصب مفعولاً واحداً والمعنى : هل تأملتم ، فعلمتم ما كنتم تعبدون؟ والفاء : عاطفة على محدوف ؛ كما قدرناه ، وقد تقدمت نظائر كثيرة له في مثل هذا التركيب ، وجملة كنتم : صلة ما ، وجملة تعبدون : خبر كنتم . ﴿ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَفَمُونَ ﴾ أنتم : تأكيد للضمير في تعبدون ، وآباءكم : عطف على أنتم ، والأقدمون : صفة لآباءكم . ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِإِلَّارَبِ الْعَلَمَيْنَ ﴾ الفاء : تعليلية ، وإنَّ واسمها ، وعدُّوٌّ : خبرها ولي : صفة لعدو ، والعدو والصديق يحيطان في معنى الوحدة والجماعة ، قال :

وَقَوْمٌ عَلَيَّ ذَوِي مِئَرَةٍ أَرَاهُمْ عَدُواً وَكَانُوا صَدِيقًا

ويروى : مرأة بالكسر ، وهي : القوة وشدة الجدال ، والمئرة : العداوة .

يقول : رب قوم أصحاب قوة على أراهم اليوم أعداء و كانوا أصدقاء .

وإلا : أدلة استثناء ، ورب : نصب على الاستثناء ، والاستثناء منقطع ،

ولذلك تقدر إلا بمعنى : لكن ، وفي الآية فن التعريض ، وسيأتي في باب البلاغة .

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَعْلَمُ بِهِمْ﴾ الذي : يجوز فيه النصب على النعت لرب العالمين ، أو : البدل ، أو : عطف البيان ، أو : الرفع على أنه خبر لمبدأ محدود ؛ أي : هو الذي خلقني ، وغلط أبو البقاء ، فأعرب الذي : مبتدأ وخبره : جملة : هو يهدين ، ولم يتكلم عن الفاء ، وهذا مردود ؛ لأن الموصول معين ، ليس عاماً ، وأن الصلة لا يمكن فيها التجدد ، فلم يشبه الشرط ، وال الصحيح : أنها استثنافية ، وهو : مبتدأ ، وجملة يهديني : خبره ، وحذفت الآية لمراعاة الفواصل . ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي﴾ عطف على ما سبق ، وهو : مبتدأ ، وجملة يطعمني : خبر . ﴿وَلِإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي﴾ الواو : عاطفة ، ومرضت : فعل وفاعل ، أضاف المرض إلى نفسه ؛ وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى تأدباً ، كما قال الخضر : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيَهَا﴾ وقال : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَلَّا أَشَدَّهُمَا﴾ وسيأتي مزيد بحث في هذا الصدد في باب البلاغة . ﴿وَالَّذِي يُمْسِكُنِي ثُمَّ يُخْبِيَنِي﴾ عطف على ما تقدم ، وعطف يحيى على يحيى بشم خلاف ما تقدم ؛ لترابخى المدة ، واتساع الأمر بين الإمامة والإحياء في الآخرة . ﴿وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطِيقَتِي يَوْمَ الْلِّيْلَتِينَ﴾ والذى : عطف على ما قبله ، وجملة أطمع : صلة ، وأن وما في حيزها : نصب بنزع الخافض ، أي : في أن يغفر ، ولي : متعلقان بيعذر ، وخطيئتي : مفعول يغفر ، ويوم الدين : ظرف متعلق بيعذر أيضاً . ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ رب : منادى مضارف لبيك المتكلم ، حذف منه حرف النداء ، وهب : فعل أمر أراد به الدعاء ، ولي : متعلقان بهب ، وحكمـاً : مفعول به ، وأحقني : عطف

على هب ، وبالصالحين : متعلقان بالحقني ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صَدِيقًا فِي الْآخِرِينَ﴾ واجعل : عطف على ما تقدم ،ولي: مفعول اجعل الثاني ، ولسان صدق : مفعول اجعل الأول ، والإضافة من إضافة الموصوف إلى صفتة ، وفي الآخرين : حال ؛ أي : الذين يأتون بعدي إلى يوم القيمة . ﴿وَاجْعَلْنَا مِنْ وَرَثَةَ جَنَّةَ النَّعِيمِ﴾ من ورثة : مفعول اجعلني الثاني ، وجنة النعيم : مضاف إلى ورثة ﴿وَأَنْفِرْ لِأَنِّي إِنَّمَا كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ لأبي : متعلقان باغفر ، وجملة إنه : تعليل لطلب الغفران له ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها ، ومن الضالين : خبر كان ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ الظرف متعلق بتخزني ، وجملة يبعثون : في محل جر بإضافة الظرف إليها . ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ يوم : ظرف في محل نصب بدل من يوم الأول ، وهذا يؤكد أنه من كلام إبراهيم ، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى في هذا اليوم ، ولا مانع من إعرابه بدلاً أيضاً ، أي : متعلق بما تعلق به الظرف الأول ، وجملة لا ينفع مال : في محل جر بإضافة الظرف إليها ، ولا بنون : عطف على مال ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يجوز في هذا الاستثناء أن يكون منقطعاً ، أي : من غير الجنس ، ومعناه : لكن من أتى الله ، ويجوز أن يكون متصلةً ، وفيه وجهان ؛ أحدهما : أن يكون بدلاً من المذوف ، أو استثناء منه ، فهو في محل نصب على الوجهين ، والتقدير : لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا من أتى ، ويجوز أيضاً أن يكون بدلاً من فاعل ، فهو في محل رفع ، وغلب من يعقل ، ويكون التقدير : إلا مال من ، وبنو من ، فإنه ينفع نفسه أو غيره ، وجعل الزمخشري من مفعول ينفع ، أي : لا ينفع ذلك إلا رجلاً أتى الله . وبقلب : متعلقان بأتي ، أو : بمذوف حال ، أي : مصحوباً ، وسلمي : صفة لقلب .

□ البلاغة:

في هذه الآيات سمو منقطع النظير من حيث البلاغة البينية ؛ تقطع دونه الأعناق ، وتخرس الألسن ، وسنجرنح إلى اختصار الكلام ؛ لأنَّ فيه متسعاً من القول يضيق به صدر هذا الكتاب .

١- الإطناب:

- في قوله: ﴿فَالْوَلَا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَرُ لَهَا عَنِّكُفِينَ﴾ وكان مقتضى جواب السؤال وهو: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أن يقولوا: أصناماً، لأنه سؤال عن المعبود وحسب؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾ و﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ ولكنهم أضافوا إلى الجواب زيادة شرحاً بها قصتهم كاملة؛ لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم، وإعلان افتخارهم، وذلك شائع في الكلام، تقول لبعضهم: ماذا تلبس؟ فيقول: ألبس البرد الأنثمي، فأجر أذياه بين جواري الحي الحسان. وقالوا: نظر؛ لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل، وهذه هي مزية الإطناب؛ تزيد في اللفظ عن المعنى لفائدة مقصودة، أو: غاية متواخة، فإذا لم تكن ثمة فائدة في زيادة اللفظ، فإنه يكون تطويلاً مملأً، بادي العثاثة، ظاهر الركاكة.

٢- التعریض:

وذلك في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَالْأَرَبِ الْعَلَمَيْنَ﴾ فإنه صور المسألة في نفسه، والعداوة مستهدفة شخصه، كأنه يعرض بهم قائلاً: لقد فكرت في المسألة ملياً، وأمعنت النظر فيها طويلاً، فرأيت عبادي لها عبادة للعدو الذي يتربص به الدوائر للإيقاع، فإذا بلغ المرء من الإسفاف مدى يحب فيه عدواً، ويؤثره بالعبادة، فذلك هو الارتظام في مزالق الغي، ومهماوي الضلال، وقد يبلغ التعریض للمنصوح مالاً يبلغه التصریح؛ لأنه يلفت انتباذه، ويسترعی انتظاره، فيتأمل فيه، فربما قاده التأمل إلى التقبل، ومنه ما يحكى عن الشافعي: أنَّ رجلاً واجهه شيء فقال له: لو كنت بحيث أنت لاحتاجت إلى أدب.

٣- أسرار حروف العطف:

وهنا موضع دقيق المسلك، لطيف المرمى، قلما يتبه إلى أحد، أو يتقطن إلى كاتب، فإن أكثر الناس يضعون حروف العطف في غير مواضعها،

فيجعلون ما ينبغي أن يجر بـ «على» بـ «في» في حروف الخبر ، كما أنهم يعطفون دون أن يتضمنوا إلى سر الحرف الذي عطف به الكلام ، فقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَسَقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِي وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِّمَ يُحَبِّبُنِي﴾ فالأول عطفه بالواو التي هي لطلق الجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء ، والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ، ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف الثالث بشم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان ، ولهذا جيء في عطفه بشم ؛ التي هي للتراخي . وهذا من الأسرار التي يحدر بالكاتب الإمام بها حتى يقيس عليها ، ويعطف على كل بما يناسبه ، ويقع موقع السداد منه .

٤- التفويف :

ولم يسبق أن تحدثنا فيما غير من كتابنا عن هذا الفن ، وهو : إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح ، والوصف ، والنسيب ، وغير ذلك من الفنون ، كل فن في جملة منفصلة من أختها بالسجع غالباً مع تساوي الجمل في الرثة ، ويكون بالجمل الطويلة ، والجمل المتوسطة ، والجمل القصيرة ، فمثال المركب من الجمل الطويلة : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي﴾ إلى قوله : ﴿وَالْحِقْنِي بِالصَّبْرِ لِهِدِنِي﴾ ففي هذه الآيات فنون شتى منها :

آ- المناسبة :

في قوله : ﴿خَلَقَنِي﴾ و﴿يَطْعِمُنِي﴾ .

ب- التنكية :

في قوله : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِي﴾ فإن النكتة التي أوجبت على الخليل إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عز وجل ؛ إذ أسد إليه أفعال الخير كلها ، وأسد فعل الشر إلى نفسه ، وللإشارة إلى أنَّ كثيراً من الأمراض تحدث بتغريب الإنسان في مأكله ومشربه وغير ذلك .

ج- حسن النسق :

فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته، فإنه أول نعمة، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته، ثم ثنى بنعمة الهدایة التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم، ثم ثلث بالإطعام والإسقاء للذين هما مادة الحياة، وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتمم، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أدباً - كما قلنا - مع ربه، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مستنداً ذلك إلى ربه، ثم ذكر الإمامة مستنداً فعلها إلى ربه؛ لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام، ثم أردد ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والإيمان بالبعث، وكل هذه المعاني جملٌ ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعانى الجمل المعطوفة كما تقدم.

د- صحة التقسيم :

فقد استواعت هذه الآيات أقسام النعم الدنيوية، والأخروية من الخلق، والهدایة، والإطعام، والإسقاء، والمرض، والشفاء، والموت، والحياة، والإيمان بالبعث، وغفران الذنب.

٥- التخلص :

وهو فن عجيب يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فيينا هو فيه؛ إذ أخذ في معنى غيره آخر، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقباب بعض، من غير أن يقطع كلامه، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسکر العقول، وتسحر الألباب، إلا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عمابعدون، سؤال مقرر، لا سؤال مستفهم، ثم أنجحى على آلهتهم باللائمة، فأبطل أمرها بأنها: لا تضر، ولا تنفع، ولا تعني، ولا تسمع، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين، فكسره، وأخرجه من أن يكون شبهة، فضلاً عن أن يكون

حجة، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي لا تُحب العبادة إلا له، ولا ينبغي الرجوع والإنابة إلا إليه، فصور المسألة في نفسه دونهم ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ على معنى: إني فكرت في أمري، فرأيت عبادي لها عبادة للعدو، وهو: الشيطان فاجتنبها، وأثرت عبادة من بيده الخير كله، وأراهم بذلك: أنها نصيحة ينصح بها نفسه؛ لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى إلى القبول لقوله، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: إنهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة، فتخلص عن تصويره المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى، فأجرى عليه تلك الصفات العظام، فعظم شأنه، وعدد نعمته من لدن خلقه، وأنشأه إلى حين يتوفاه، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته؛ ليعلم من ذلك: أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة، واجب على الخلق الخصوص له، والاستكانة لعظمته، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه، فدعا الله بدعوات المخلصين، وابتهدل إليه ابتهال الأوابين؛ لأنَّ الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة؛ كان ذلك أسرع للإجابة، وأنجح لحصول الطلبة، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث، ويوم القيامة، ومجازاة الله من آمن به واتقاء بالجنة، ومن ضل عن عبادته بالنار.. فتدبر هذه التخلصات البدعة المودعة في أثناء هذا الكلام.

٦- التقديم :

وفي قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنَى بِالصَّالِحِينَ﴾ التقديم، فقد استوهب الحكم أولاً، ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسر فيه دقيق جداً، ذلك: أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية؛ لأنَّه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن؛ لأنَّ العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، وكما أنَّ الروح أشرف من البدن؛ كذلك العلم أفضل من الإصلاح.

٧- المجاز المرسل :

وفي قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدِيقٍ﴾ مجاز مرسل؛ إذ المراد باللسان هنا:

الثناء، وذكر اللسان مجاز؛ لأنّه سببه، فالعلاقة هي: السببية، وقد تقدم ذلك مراراً، وقيل: هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل؛ لأن الدعوة باللسان.

﴿وَأَرْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْتَقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِينَ ﴿٩٤﴾ وَجَنَدُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سُوِّيَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضْلَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعٍ نَّبِيِّنَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُدُّ وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

○ الاعراب:

﴿وَأَرْلَفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْتَقِينَ﴾ الواو: عاطفة، والجملة معطوفة على لا ينفع، وإنما أورده بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الواقع؛ عندما تدنى الجنة من موقف السعداء ينظرون إليها، ويغبطون بما ينتظرون فيها من نعيم، وعندما تدنى النار من موقف الأشقياء ينظرون إليها، ويتحسرون على أنهم مسوقون إليها. وأزلفت: فعل ماضٍ مبني للمجهول؛ أي: قربت، والجنة: نائب فاعل، وللمتقين: متعلقان بأزلفت ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ عطف على الجملة المقدمة ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ الواو: عاطفة، وقيل: فعل ماضٍ مبني للمجهول، ولهم متعلقان بقولي؛ أي: على سبيل التوبیخ، وأین: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وما: اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة كنتم صلة، وجملة تعبدون: خبر كنتم. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ من دون الله: حال، وهل: حرف استفهام، وينصرونكم: فعل مضارع، وفاعل ﴿فَكَبَكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِينَ﴾ الفاء: عطف، وينتصرون: فعل مضارع، وفاعل ﴿وَجَنَدُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾ الفاء: حرف عطف، وكبكبا: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل،

وهم: ضمير فصل، والغاون: عطف على الواو في كبكبا، وسogه الفصل بالجار والجرور ضمير الفصل ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ وجند: عطف على الواو أيضاً، وإبليس: مضاف إليه، وأجمعون: تأكيد للواو وما عطف عليها. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِّمُونُ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، والواو: حالية، وهم: مبدأ، وفيها: متعلقان يختصمان، وجملة يختصمان: خبر هم، والتخاصم بين الشياطين ومتبعيهم، فالضمير يعود على الغاون ﴿تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَيْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجار والجرور: متعلقان بفعل محذف، تقديره: نقسم، وهو متعلق بقالوا، وإن: مخففة من الثقلية، واسمها: ضمير الشأن المحذف، أي: إنه، وجملة كنا: خبر إن، وكان، واسمها، واللام: الفارقة، وفي ضلال: خبر كنا، ومبين: صفة ﴿إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن، وهو متعلق بمبين، أو: بفعل محذف دل عليه ضلال، ولا يجوز أن يتعلق بضلال؛ لأن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية، والمعنى: تالله لقد كنا في غاية الضلال المبين وقت تسويتنا إياكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة، وأنتم أذل المخلوقات وأعجزهم ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا هُنَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وما: نافية، وأضلنا: فعل ومفعول به مقدم، وإلا: أداة حصر، والجرمون: فاعل أضلنا، وهم: رؤساؤهم، وكبارهم؛ كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبرَاءَنَا فَأَضَلَّنَا السَّبِيلَ﴾ . ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِنَا﴾ الفاء: الفصحية، وما: نافية، ولنا: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وشافعين: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه خبر مقدم ﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ عطف على شافعين، وحميم: صفة لصديق ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: استثنافية، ولو: حرف للتنبي في مثل هذا الموضوع؛ كأنه قيل: فليت لنا كرة؛ لما بين معنى «لو» و«ليت» من التلاقي في التقدير، ويجوز أن تكون على أصلها للشرط، والجواب: ممحذف، تقديره: لفعلنا كيت وكيت، وأن: حرف مشبه بالفعل، وهي وما في حيزها مفعول لفعل ممحذف، تقديره: نتمنى، وقد

نابت عنه لو، أو: فاعل لفعل مذوف إن كانت لو للشرط، ولنا: خبر أن المقدم، وكرة: اسم أن المؤخر، فتكون: الفاء: للسببية، ونكون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، واسم نكون: ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن المؤمنين: خبر تكون ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْرَهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن، وخبرها المقدم، واسمها المؤخر، وما: نافية، وكان، واسمها، وخبرها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: استئنافية، وإن، واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز: خبر إن، أو: خبر هو، والرحيم: خبر ثان.

□ البلاغة:

١ - في قوله: ﴿فَكَبَّكُبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاؤُونَ﴾ قوة اللفظ لقوة المعنى، وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جني في كتاب «الخصائص»، فإن الكبكة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى؛ كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة؛ حتى يستقر في قعرها، وليس الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة، بل إن المدار في ذلك على الذوق، خذ ذلك مثلاً: زيادة التصغير، فهي زيادة نقص، فرجيل: أنقض من رجل في المعنى، ولكنه أكثر حروفاً منه.

٢- الإيضاح:

وقد تقدم ذكره كثيراً، وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره ليس، ثم يوضحه في بقية كلامه، والإشكال الذي يحمله الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ، وفي إعرابها، ومعاني النفس دون الفنون، وهو هنا في قوله: ﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ فإن الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة، ويربو عليه، وهو أن يكون حميماً، فالحميم من الاهتمام، وهو الاهتمام؛ أي: يهمه أمرنا، ويهمنا أمره، وقيل: من الحامة، وهي: الخاصة، من قولهم: حامة فلان؛ أي: خاصة.

﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَنْقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونِ ۝ قَالُوا لَنْ نَمِنَ لَكَ وَأَتَبْعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝ قَالَ
وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّهِ لَوْ شَعُورُونَ ۝ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْهُو لِتَكُونَ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ۝ قَالَ رَبِّيْ إِنَّ قَوْمِيْ كَذَبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبَخِيْنِي وَمَنْ مَعِيْ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَبْعَثْنِيْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرِقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ۝
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

○ الْعَرَبُ:

﴿كَذَبَ قَوْمٌ نَوْجَ الْمُرْسَلِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية القصة الثالثة، وكذبت قوم نوح المرسلين: فعل، وفاعل، ومفعول، وأنث الفعل باعتبار معنى القوم، وهو الأمة والجماعة، وفي المصباح: «القوم: يذكر ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه، نحو: رهط، ونفر» وفي الرمخشري، والبيضاوي: «ال القوم: مؤنث، ولذلك يصغر على قويمية» وهذا محمل على الأغلب، فإن قلت: كيف قال: ﴿كَذَبَ قَوْمٌ نَوْجَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهم لم يكذبوا إلا نوحًا وحده؟ قلت: هو كقولهم: «فلان يركب الدواب، ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد» إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نَوْجَ الْأَنْفَقَوْنَ» الظرف: متعلق بكذبت، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقال، وأخوهם: فاعل قال، ونوح: بدل، وإنما جعله أخا لهم جرياً على أسلوبهم في قولهم: يا أخا العرب، ويا أخا تميم، يريدون: يا واحداً منهم، ومنه بيت «الخمسة»:

لَا يَسْأَلُونَ أَخْاْهُمْ حِينَ يَتَدْبِّرُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

وألا: أداة عرض، وتقون: فعل مضارع، وفاعل «إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمْ» تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى، وإن، واسمها، ولكم: متعلقان بمحدوف حال، أو: برسول، ورسول: خبر، وأمين: صفة «فَانْقُضُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ» الفاء: الفصيحة، واتقوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وأطيون: الواو: عاطفة، وأطيون: فعل أمر مبني على حذف التون، والواو: فاعل، والتون: للوقاية، والياء المحدوفة لمراجعة الفواصل: مفعول به «وَمَا أَشَأْلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» الواو: عاطفة، وما: نافية، وأسألكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وعليه: متعلقان بمحدوف حال، ومن: حرف جر زائد، وأجر: مجرور لفظاً منصوب محلأ؛ لأنه مفعول به، وإن: نافية، وأجري: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وعلى رب العالمين: خبر «فَانْقُضُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ» تقدم إعرابها قريباً، وقد صدرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى للدلالة على اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق، واتباعه، وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهذه الغاية السامية «فَالْأُوَّلُ أَنْتُمْ لَكَ وَأَتَبْعَكَ الْأَرْذُلُونَ» الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ونؤمن: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ولك: متعلقان بنؤمن، والواو: للحال، واتبعك الأرذلون: فعل، ومفعول به، وفاعل، وحق الواو الحال هنا أن يضم بعدها قد، وهذا ضرب من السخافة، يقيسون كفاءة الأتباع بمقدار ما يتمتعون به من مال وحطام، أو: بما يتميزون به من حسب وجهه، ولكن الإسلام سوى بين المسلمين كافة. «قَالَ وَمَا عَلِمَيْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» الواو: استثنافية، وما: يحتمل أن تكون استفهامية، وأن تكون نافية، فعل الأول: تكون في محل رفع بالابتداء، وعلمي: خبرها، وبما: متعلقان بعلمي على كل حال، وعلى جعلها نافية يكون الخبر محدوفاً؛ ليصير الكلام به جملة، وجملة كانوا: صلة ما، وجملة يعلمون: خبر كانوا «إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّهِ لَوْ تَشَعُّرُونَ» إن: نافية، وحسابهم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وعلى رب: خبر حسابهم،

ولو: امتناعية، وتشعرون: فعل مضارع مرفوع، وجواب لو: مذوف؛ كما أن مفعول تشعرون: مذوف، تقديره: ذلك، وتقدير الجواب: ما عبتموه، وما نسبتم إليهم أيّ نقش «وَمَا أَنْ يُطَابِرُ الْمُؤْمِنِينَ» الواو: عاطفة، وما: حجازية، وأنا: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وطارد: مجرور لفظاً خبر ما محلاً، والمؤمنين: مضاد إليه «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ شَيْئٌ» إن: نافية، وأنا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، ونذير: خبر، ومبين: صفة «قَالُوا إِنَّ لَرَبِّنَا يَنْتَهِ يَنْتُوخُ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» اللام: موطنة للقسم، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجسم، وتنته: فعل مضارع مجزوم بـلم، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، ولتكون: اللام: جواب القسم، وجواب الشرط مذوف على حسب القاعدة المشهورة:

واحْذِفْ لَدَى الْجَمِيعِ شَرْطِ وَقَسْمِ

جَوَابَ مَا أَخَرْتَ فَهُوَ مُلْتَزَمٌ

وتكون: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسم تكون: ضمير مستتر، تقديره: أنت، ومن المرجومين: خبر. «قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونَ» رب: منادي مضاد إلى ياء المتكلم المذوقة، وحرف النداء مذوف، وإنَّ واسمها، وجملة كذبون: خبرها، وكذبون: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وقد حذفت ياء المتكلم لمرااعة الفواصل. «فَأَفْتَحْ بَيْنِهِمْ فَتَحًا وَبَيْنِهِمْ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الفاء: الفصيحة، وافتح فعل أمر، معناه: الدعاة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبيني: ظرف متعلق بافتح، وبينهم: عطف على بيني، وفتحاً: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به، والفتح هنا: من الفتاحة، بمعنى: الحكومة، والفتح: الحاكم، سمي بذلك لفتحه معالق الأمور، وفي «القاموس»: «الفتحة بالضم والكسر، ويقال: بينهما فتاحات؛ أي: خصومات» والمعنى: أحكم بيننا بما يستحقه كلُّ منا، والمراد: أنزل العقوبة بهم، ولذلك قال: ونجني. ونجني: الواو عاطفة، ونجني: عطف على

احكم، وَمَنْ: الواو عاطفة، او: للمعية، وَمَنْ: عطف على الياء، او: مفعول معه، ومعي: ظرف متعلق بمحذوف صلة مَنْ، وَمَنْ المؤمنين: حال. ﴿فَأَبْيَحْتُهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ الفاء: استثنافية، وهو من كلامه تعالى، وأنجيناها: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وَمَنْ: مفعول معه، او: عطف على الهاء، ومعه: ظرف متعلق بمحذوف صلة، وفي الفلك: متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الظرف، والمشحون: صفة للفلك، والمشحون: المملوء. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ ثم: حرف عطف للتراخي، وأغرقنا: فعل، وفاعل، وبعد: ظرف زمان مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والمراد بعد إنجائهم، والباقين: مفعول أغرقنا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف لبيان العبرة من هذه القصة، وإن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبر مقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسم إن المؤخر، والواو: عاطفة، او: حالية، وما : نافية، وكان واسمها، ومؤمنين: خبرها، يعني: أن أكثرتهم الساحقة لم تؤمن، ولذلك أخذوا، ولو كان نصفهم مؤمنين على الأقل لنجوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: عاطفة، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، او: مبتدأ، والعزيز: خبر إن، او: هو والرحيم خبر ثان، وقد تقدم إعراب نظائرها مراراً.

□ البلاغة:

التكريير في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ للتأكيد، والتقرير في النقوس؛ مع كونه علق على كل واحدٍ منها بسبب، وهو: الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني، ونظيره قوله: ألا تتقى الله في عقوبي وقد ربيتك صغيراً؟ ألا تتقى الله في عقوبي وقد علمتك كبيراً؟ .

وفيه أيضاً: التقديم، قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله عله لطاعته.

﴿ كَذَّبَ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾^{١٢٢} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ أَلَا تَنْتَقُونَ ﴾^{١٢٣} إِنِّي لَكُوْنُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾^{١٢٤} فَانْقَوُا إِلَيْهِ وَأَطْبَعُوْنَ ﴾^{١٢٥} وَمَا أَسْلَكْتُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^{١٢٦} أَتَبْيُونَ بِكُلِّ رِيعٍ إِيمَانَ تَعْبُثُونَ ﴾^{١٢٧} وَتَسْخُذُونَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾^{١٢٨} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾^{١٢٩} فَانْقَوُا إِلَيْهِ وَأَطْبَعُوْنَ ﴾^{١٣٠} وَانْقَوُا إِلَيْهِ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾^{١٣١} أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَلَمْ وَبَيْنَ ﴾^{١٣٢} وَحَنَّتِ وَعِيُونِ ﴾^{١٣٣} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^{١٣٤} قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَذَابٌ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾^{١٣٥} إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾^{١٣٦} وَمَا نَعْنَى بِمُعَذَّبِينَ ﴾^{١٣٧} فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْتُهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً ﴾^{١٣٨} وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^{١٣٩} وَلَئِنْ رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾^{١٤٠} ﴿

☆ **اللَّفْظَةُ:**

﴿ رِيعٌ ﴾ : الريع بكسر الراء ، وفتحها ، قال في «الأساس» و«اللسان»: «ونزلوا بريع ، ورَيْعُ رفيع ، وريعة رفيعة» ، وهي: المرتفع من الأرض ، وتقول: يبنون بكل رية ، وملكتهم كسراب بقيعة» وقال في «القاموس»: «والريع بالكسر والفتح: المرتفع من الأرض ، أو: كل فج ، أو: كل طريق ، أو: الطريق المنفرج في الجبل ، والجبل المرتفع ، الواحدة بهاء... وبالكسر: الصومعة ، وبرج الحمام ، والتلّ العالى... وبالفتح: فضل كل شيء؛ كريع العجين ، والدقىق ، والبذرة» قلت: واستعماله بمعنى استغلال الريع صحيح ، يقال: طعام كثير الريع ، وأراعت الحنطة ، وراعت: زكت ، وأراعتها الله تعالى ، وأراع الناس هذا العام: زكت زروعهم ، ويقولون: كم ريع أرضك ، وهو ارتفاعها ، قال المسيب بن علس:

في الآل يَرْفَعُهَا وَيَخْفِضُهَا رِيعٌ يَلْوُحُ كَائِنٌ سَحْل
والضمير في البيت للظعاين ؛ أي: هي في الآل ، وهو السراب ، يرفعها تارة ، ويخفضها أخرى ريع ؛ أي: طريق مرتفع تارة ، ومنخفض أخرى ، أو:

مكان عالٍ ترتفع بصلعده، وتنخفض بالهبوط منه. ويقال: ليس له ريع؛ أي: مرجوع وغلة.

﴿أَيَّاهَ﴾ : الآية: العلم يهتدى به المارة، وكان بناؤها للعبث واللهو؛ لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فلا يحتاجون إليها، وقيل: المراد بها: القصور المشيدة ترعنون بناءها، وتجمعون فيها، فتعيشون بمن يمر بكم.

﴿تَبَثُّونَ﴾ : في «المصباح»: «عبث عثاً من باب تعب: لعب وعمل ما لا فائدة فيه، فهو عابث».

﴿مَصَانِعَ﴾ : جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها، وهي: الحوض، أو: البركة، قوله: مصانع؛ أي: حيضاناً، وبركاً تجتمعون فيها الماء، فهي من قبيل الصهاريج، وفي «المختار»: «المصنعة بفتح الميم وضم النون، أو: فتحها: كالحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع: الحصون» وفي «القاموس»، وشرحه «التاج»: «المصنعة، والمصنعة بفتح الميم وفتح النون وضمها: ما يجمع فيه ماء المطر، كالحوض، والجمع: مصانع، والمصانع أيضاً: القرى، والمحصون، والقصور، والمصنعة أيضاً: الدعوة للأكل، يقال: كنا في مصنعة فلان، وموضع يعزل للنحل بعيداً عن البيوت» وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير.

﴿بَطَشْتُ﴾ : البطش: السطوة، والأخذ بعنف، وللباء مع الطاء فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة، فهي تدل على السطوة، والقوة، وعدم المبالاة بالأخرين يقال: أبطأ علي فلان، وبطؤ في مشيته، وتباطأ في أمره، وتباطأ عني، وفيه بطء، وما كنت بطئاً، ولقد بطئت، وفرس بطيء من خيل بطاء، وما أبطأ بك عنا؟ وما بطيء بك؟ وما بطيء؟ قال عمر بن ربيعة:

فَقُمْتُ أَمْشِي فَقَامْتُ وَهِيَ فَاتِرَةُ

كشاربِ الرَّاحِ بَطَّا مَشِيهُ السُّكْرُ

ولا يخفى ما في ذلك كله من الإدلال بالنفس، والزهو بها، وعدم المبالاة بالأخرين، ويقال: بطحه على وجهه، فانبطح، وفيه كل الإذلال، والصغر

والماهنة، ونظر حويص إلى قبر عامر بن الطفيلي فقال: هو في طول بطحيتي، أراد: في طول قدبي منبطحاً على الأرض، وبطاح بطح: واسعة عريضة، وبطح السيل اتسع مجراه، قال ذو الرمة:

و لا زالَ مِنْ نَوْءِ السَّمَاكِ عَلَيْكُما

ونَوْءُ الْثُرَيَا وَابْلُ مَتَبَطْحُ

وبطح فلان: تبوأ الأبطح قال:

هَلَّا سَأَلْتَ عَنِ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا

كرم البطاح وخير شرة وادي

وأبطح القوم وأقتوها: كثر عندهم البطيخ والفتاء، ونظر الليث إلى قوم يأكلون بطيخاً فقال:

لَمَ رَأَيْتُ الْمُبَطِّخِينَ أَبْطَحُوا فَأَكَلُوا مِنْهُ وَمِنْهُ لَطَخُوا

ورأيته يدور بين المطاخ والمباطن، ولا يفعل ذلك إلا تيه مفتخر بغناه وثرائه، وبطر فلان: تجاوز الحد في الزهو والمرح، ورجل أشر بطر، وأبطحه الغنى، ومن أقوالهم: «وما أمطرت حتى أبطرت» يعني: السماء، وإن الخصب بيطر الناس كما قال:

قَوْمٌ إِذَا اخْضَرَتْ نَعَالْهُمْ يَتَنَاهَقُونَ تَنَاهَقَ الْحُمْرِ

وامرأة بطيرة: شديدة البطر، وبيطر الدابة بيطرة. و«أشهر راية البيطار» والدنيا قحبة يوماً عند عطار، ويوماً عند بيطار. ومن أقوالهم أيضاً: «وعهدي به وهو لدواينا بيطر، فهو اليوم علينا مسيطر». ومن حكمهم المأثورة: «لا تُبْطِرْنَ صَاحِبَكَ ذَرْعَهُ» أي: لا تقلق إمكانه، ولا تستفزه بأن تكلفه غير المطاق، وذرعه من بدل الاشتغال، وبطر فلان نعمة الله: استخفها، فكفرها، ولم يسترجحها فيشكراها، ومنه: «بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا» وذهب دمه بطرأ؛ أي: مبطوراً مستخفياً، حيث لم يقتضبه، وهو بهذا الأمر عالم بيطار، قال عمر بن أبي ربيعة:

وَدَعَانِي مَا قَالَ فِيهَا عَتِيقٌ وَهُوَ بِالْحُسْنِ عَالَمٌ بَيْطَارٌ

والبطش معروف، وقد تقدم، ومن مجازه: فلا يبطش في العلم بباع بسيط، وبطشت بهم أهواك الدنيا، ومن أقوالهم: «وسلكوا أرضاً بعيدة المسالك قرية المهالك، وُقدُوا بمباطشها، وما أتقنوا من معاطشها» وجاءت الركاب تبطش بالأحمال، أي: ترجمف بها، وبطّ القرحة بالمبط، وهو: المبضع. وعنه بطة من السليط، والبط، والواحدة: بطة للذكر والمؤنث، وهو: طير مائي قصير العنق والرجلين، وهو غير الإوز، وجمعه: بطوط، وبساط، والبطة أيضاً: إناء كالقارورة أبطن، وهو باطل بين البطلان، وبطّال بين البطالة بكسر الباء، وقد بطل فتح الطاء، وبطل بين البطالة بفتح الباء، وقد بطل بضم الطاء، وقد بطل بضم الطاء أيضاً يبطل بالضم بطاله وبطلة: صار شجاعاً، فهو بطل، وجمعه: أبطال، ومؤنثه: بطة، وجمعها: بطلات، والبطن معروف، وألقت الدجاجة ذات بطنهما، ونشرت المرأة للزوج بطنهما: إذا أكثرت الولد، وبطنه وظهره؛ أي: ضربهما منه، وقد بُطِنَ فلان بالبناء للمجهول: إذا اقتل بطنه، وهو مبطون، وبطين، ومبطان، ومبطن؛ أي: عليل البطن؛ وعظيمه، وأبطن البعير: شدّ بطانه، وباطنت صاحبي: شددته معه، وبطّن ثوبه بطانة حسنة، واستبطن أمره: عرف باطنه، وتبطّن الكلأ: جوّل فيه، وتوسطه، قالت النساء:

فجاء يشّرُّ أصحابه تبطّنْتُ يا قوم غيّاً خصّبِيا

وتبطّن الجارية: جعلها بطانة له، قال أمرو القيس:

كأيْ لَمْ أرَكْبْ جواداً لِلذِّهَّ وَلَمْ أَتَبْطَنْ كاعِباً ذات خِلْخَال

ويقال: أنت أبطن بهذا الأمر خبره، وأطول له عشره، وهو بطانتي، وهم بطانتي، وفلان عريض البطن؛ أي: غني، وشاوٌ بطين؛ أي: بعيد، قال زهير:

فبصّص بين أداني الغَضَى وَبَيْنَ عُنْيَّةَ شَاؤَا بَطِئِنَا

○ الاقرابة:

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة، مسوقة

للشروع في القصة الرابعة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ أَلَا نَتَقْوَنَ﴾ الظرف: متعلق بكذبته، وقال لهم أخوههم: فعل، وفاعل، وهو: بدل من أخوههم، وألا: أداة عرض، وتتقون: فعل مضارع، وفاعل، والجملة: مقول القول. ﴿إِنَّ لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الجملة: تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى، وإن واسمها، ولكم: متعلقان بمحدثوف حال، أو: برسول، ورسول: خبر إن، وأمين: صفة لرسول. ﴿فَأَنَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ تقدم إعرابها كثيراً. ﴿وَمَا أَسْعَلَكُمْ عَيْنُهُمْ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذه تقدم إعرابها بحروفها قريباً. ﴿أَتَبْنُونَ يِكُلُّ رِيعٍ ءَايَةً تَبْثِثُونَ﴾ الاستفهام: للتقرير، والتوبیخ، وتبثون: فعل مضارع، وفاعل، ويكل ريع: متعلقان بتبنون، وآية: مفعول به، وجملة تبثون: في محل نصب على الحال. ﴿وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وتخذلون: عطف على تبنون، وتخذلون: فعل مضارع وفاعل، ومصانع: مفعول به، ولعلكم تخذدون: لعل واسمها، والجملة: خبرها، وجملة الرجاء في محل نصب على الحال؛ أي: راجين، ومؤملين أن تخذلوا في الدنيا. ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف متعلق بالجواب، وهو: بطشتم الثانية، وجملة بطشتم الأولى: في محل جر بإضافة إذا إليها، وجبارين: حال؛ أي: غير مبالين بالنتائج والعواقب، وإنما انكر عليهم ذلك لأنه ظلم، وأما في الحق فالبطش بالسيف، والسوط، جائزٌ ﴿فَأَنَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، واتقوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وأطيعون: عطف على اتقوا. ﴿وَأَنَّقُوا أَذْيَى أَمْدَكْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ واتقوا: فعل أمر، وفاعل، والذي: مفعول به، وجملةAMDكم: صلة، وبما: متعلقان بأمدكم، وجملة تعلمون: صلة. ﴿أَمْدَكْ بِأَنْعَمْ وَبَيْنَ وَحَنَّتْ وَعَيْنُونَ﴾ جملة AMDكم الثانية: بدل من جملة AMDكم الأولى بدل بعض من كل؛ لأنها أخص من الأولى باعتبار متعلقיהםا، فتكون داخلة في الأولى؛ لأن ما تعلمون يشمل الأنعام وغيرها، وقيل: هي مفسرة للجملة الأولى، فتكون لا محل لها، وسيأتي ببحث بدل الجملة من الجملة في باب الفوائد. ﴿إِنَّ أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن واسمها، وجملة أحاف: خبرها، وعليكم: متعلقان

بأخاف ، وعذاب : مفعول به ، ويوم : مضاف إليه ، وعظيم : صفة . ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظَّمَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ سواء : خبر مقدم ، وعليينا : متعلقان بسواء ، والهمزة : للاستفهام ، ووعظت : فعل ماض ، وفاعل ، وأم لم تكن من الوعاظين : معادل لقوله : أوعظت ، وهمزة التسوية ، وما في حيزها : في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر ؛ أي : سواء علينا وعظك ، وأتي بالمعادل هكذا دون قوله : أم لم تعظ لناخي القوافي ، وقال الزمخشري : « وبينهما فرق ؛ لأن المعنى : سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ؛ أم لم تكن أصلاً من أهله وبما شرط ، فهو أبلغ في قلة اعتمادهم بوعظه من قولك : أم لم تعظ ». ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ إن : نافية ، وهذا : مبتدأ ، وإلا : أداة حصر ، وخلق : خبر هذا ، والأولين : مضاف إليه ، والمعنى : ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ، كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون . ﴿ وَمَا تَحْنُّ مِعْدَدِينَ ﴾ الواو : عاطفة ، وما : نافية حجازية ، ونحن : اسمها ، والباء : حرف جر زائد ، ومعذبين : مجرور لفظاً بالياء منصوب محلأً على أنه خبر ما . ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الفاء : الفصيحة ، وكذبوه : فعل ماض ، وفاعل ، ومفعول به ، فأهلكناهم : عطف على فكذبوه ، وإن : حرف مشبه بالفعل ، وفي ذلك : خبر إن ، واللام : المزحلقة ، وآية : اسم إن ، والواو : حرف عطف ، وما : نافية ، وكان : فعل ماض ناقص ، وأكثرهم : اسمها ، ومؤمنين : خبرها . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تكرر إعرابها كثيراً .

* الفوائد :

تبديل الجملة من الجملة بشرط أن تكون الجملة الثانية أولى من الأولى بتأدبة المراد ، ولذلك لا يقع البدل المطابق في الجمل ، وإنما يقع بدل البعض من الكل ؛ كما تقدم في الآية ، أو بدل الاستعمال كقوله :

أَقُولُ لَهُ أَرْحَلٌ لَا تُقْيِمَنَّ عِنْدَنَا

وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا .

فلا تقيّمْ عندنا : بدل اشتعمال من ارحل ؛ لما بينهما من المناسبة اللزومية ، وليس توكيداً له ؛ لاختلاف لفظيهما ، لا بدل بعض من كل ؛ لعدم دخوله في الأول ، ولا بدل بدلاً مطابقاً ؛ لعدم الاعتداء به ، ولم يشترط النهاية الضميري في بدل البعض والاشتعمال في الأفعال والجمل لتعذر عود الضمير عليها ، وقد تبدل الجملة من المفرد بدلأً مطابقاً كقول الفرزدق :

إِلَى الله أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يُلْتَقِيَانِ

أبدل جملة : كيف يلتقيان من حاجة وأخرى ، وهما مفردان ، وإنما صَحَ ذلك لرجوع الجملة إلى التقدير بمفرد ، أي : إلى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما ، فتعذر مصدر مضاف إلى فاعله ، وهو بدل من هاتين ، ولم يسلم بعض النهاية بذلك ؛ لاحتعمال أن تكون جملة كيف يلتقيان مستأنفة ، نبه بها على سبب الشكوى ، وهو استبعاد اجتماع هاتين الحاجتين .

قال بعضهم : وهل يجوز عكسه . أعني : إبدال المفرد من الجملة أو لا ، وصرح أبو حيان في «البحر» : بأن المفرد يبدل من الجملة ؛ كقوله تعالى : «وَلَئِنْ يَجْعَلْ لَمْ عِوْجَانَ قَيْمَا» فقيماً عندـه : بدل من جملة لم يجعل له عوجاً ؛ لأنـها في معنى المفرد ؛ أي : جعلـه مستقيماً ، وقال ابن هشام في «معنى الليـب» : «إن جملـة : «كَيْفَ خُلِقَتْ» بـدل من الإـبل بـدل اشتـعمال ، والـمعنى : إلى الإـبل كـيفـة خـلقـها ، ومـثلـه : «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ» وكل جـملـة فيها كـيفـة من اسـم مـفرد». .

فائدة هامة :

إذا أبدل اسم من اسم استفهام ، أو اسم شـرـط ؛ وجـب ذـكر هـمـزة الاستفهام ، أو : «إن» الشرطـية مع البـدل ليـواـفقـ المـبـدلـ منهـ فيـ المعـنىـ ، نحوـ : كـمـ مـالـكـ ؟ـ أـعـشـرونـ أمـ ثـلـاثـونـ ؟ـ فـكـمـ : اسـمـ استـفـهـامـ فيـ محلـ رـفعـ خـبرـ مـقـدـمـ ، وـمـالـكـ : مـبـتـداـ مـؤـخـرـ ، وـعـشـرونـ : بـدلـ منـ كـمـ ، وـيـسـمـيـهـ النـهاـيةـ : بـدلـ تـفـصـيلـ ، وـهـوـ يـنـحـصـرـ فيـ المـطـابـقـ .ـ وـمـنـ جـاءـكـ أـعـلـىـ أـمـ خـالـدـ ؟ـ فـمـنـ : اسـمـ

استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة جاءك: خبره، وعلى: بدل من «من» الاستفهامية بدل تفصيل. ونحو: من يجتهد إن علي أو خالد فأكرمه؛ فمن: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، والجملة بعده خبره، وإن: حرف شرط لا عمل له هنا لأنه جيء به لبيان المعنى، لا للعمل، وعلى: بدل من الضمير المستتر في يجتهد، وحالد: معطوف على علي، وجملة فأكرمه: في محل جزم جواب الشرط. ونحو: حيثما تنتظري في المدرسة وإن في الدار أوافقك؛ فحيثما: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول فيه متعلق بنتظري، وفي المدرسة: جار ومحروم في موضع النصب على البديلية من محل حيثما.

﴿ كَذَّبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَاحِحٌ أَلَا تَنْقَوْنَ ١٤٢ إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣ فَانْقَوُا إِلَيَّهُ وَأَطْبِعُونِ ١٤٤ وَمَا أَشْكُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٥ أَتَرُكُونَ فِي مَا هَنَّا إِمِينِكُمْ ١٤٦ فِي جَنَّتِ وَعِيُونِ ١٤٧ وَزَرْوَعٍ وَنَخْلٍ طَلْعَهَا هَضِيمٌ ١٤٨ وَنَحْشُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُؤْتَىٰ فَرِهِنَ ١٤٩ فَانْقَوُا إِلَيَّهُ وَأَطْبِعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أُمَّرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحِرِينَ ١٥٣ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَنْتَ بِشَائِيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُنْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ١٥٥ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَذِيرِينَ ١٥٧ فَلَأَخْذُهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ وَمَا كَانُ أَكْتَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الرَّبِيعُ الرَّحِيمُ ١٥٩﴾

☆ اللغة:

﴿ وَنَخْلٍ ﴾: النخل، والنخيل: شجر التمر المعروف، له ساق مستقيم طويل ذو عقد، واحدته: نخلة، ونخلية، وفي «المصاحف» ما ملخصه:

النخل: اسم جمع، الواحدة: نخلة، وكل اسم جمع كذلك يؤتى ويدرك، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً.

﴿طَلْمَهَا هَضِيمٌ﴾ ما يطلع منها؛ كنصل السيف؛ في جوفها شماريخ القنو، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل، وفي «المختار»: «ويقال للطلع: هضيم ما لم يخرج؛ لدخول بعضه في بعض» من قولهم: كشح هضيم، وفي «القاموس» و«التاج»: «الطلع: المقدار، تقول: الجيش طلع ألف، ومن النخل: شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، والطرف محدد، أو: ما ييدو من ثمرته في أول ظهورها» والهضيم: النضيج، الرخص، اللين، اللطيف.

﴿فَرِهِينَ﴾: وقرىء فرهين: بطرير، حاذقين في العمل، من الفره، وهو: شدة الفرح، وقال في «الكساف»: «والفراهة: الكيس والنشاط، ومنه: خيل فرحة».

﴿شَرِب﴾: بكسر الشين؛ أي: نصيب.

﴿فَعَرَوْهَا﴾: أي: ضربها ببعضهم بالسيف في ساقيها، وكان اسمه: قدار، وسنورد القصة التي نسجت حول هذه القصة؛ لتكون حافزاً للأقلام على صوغ قصيدة فنية منها.

○ الإعراب:

﴿كَذَّبُتْ ثَمُودَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للشرع في القصة الخامسة، وهي: فعل، وفاعل، ومفعول، وثمود: اسم قبيلة صالح، سميت باسم أبيها، وهو: ثمود جد صالح، وفي التعبير عن صالح بالجمع ما تقدم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَاحِحٌ لَا يَنْقُونَ﴾ الظرف: متعلق بكذبت، والجملة: تقدم إعرابها. ﴿إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿وَمَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿أَتَرُكُونَ فِي مَا هَنَّا إِمْرَانِ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكارى

التوبيخي، وتركون: فعل مضارع مبني للمجهول، وفيما: متعلقان بتتركون، وها: حرف تنبية، وهنا: اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول، وأمنين: حال من الواو في تركون؛ أي: في الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسره بقوله: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعَيْنٌ وَزَرْعٌ وَخَلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ في جنات: بدل من قوله: فيما هاهنا بإعادة الجار، وما بعده: عطف على جنات، وطلعها: مبتدأ، وهضم: خبر، والجملة: صفة لنخل. ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتًا فَرِهِنَ﴾ الواو: حرف عطف، وتنحتون: عطف على تركون، فهو في حيز الاستفهام الإنكاري التوبيخي، و محل جملة الاستفهام التوبيخية: نصب على الحال، ومن الجبال: جار و مجرور متعلقان بتنحتون، وبيوتاً: مفعول به، وفارهين: حال، وقد مرت جملة مماثلة فيها النحت، الذي هو: النحر والبرى. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِّعُوهُ﴾ تقدم إعرابها. ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَئِمَّةَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الواو: للحال، ولا: نافية، وتطيعوا: فعل مضارع مجزوم بلا النافية، والواو: فاعل، وأمر المسرفين: مفعول، وسيأتي معنى إطاعة الأمر في باب البلاغة. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الذين: صفة للمسرفين، وجملة يفسدون: صلة، وفي الأرض: متعلقان بيفسدون، ولا يصلحون: عطف على قوله: يفسدون، وسيأتي سر العطف في باب البلاغة. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحَرِينَ﴾ إنما: كافية ومكاففة، وأنت: مبتدأ، ومن المسحرين: خبر؛ أي: الذين سحروا كثيراً؛ حتى غلب السحر على عقولهم، والجملة: مقول القول. وقيل: المسر هو: المعلل بالطعام، والشراب، فيكون المسر: الذي له سحر، وهو الرئة، فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْنَا فَإِنِّي بِأَيَّةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ما: نافية، وأنت: مبتدأ، وإن: أداة حصر، وبشر: خبر، ومثلنا: صفة، فائت: الفاء: الفصيحة؛ أي: إن كنت صادقاً كما تزعم فائت، وبآية: متعلقان بقوله: فائت، وإن: شرطية، وكنت: كن، واسمها، وهو في محل جزم فعل الشرط،

ومن الصادقين: خبر كنت، وجواب إن: مخدوف دل عليه ما قبله؛ أي: فائت بآية. ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ هذه: مبتدأ، وناقة: خبر، والجملة: مقول القول، ولها: خبر مقدم، وشرب: مبتدأ مؤخر، والجملة: صفة لناقة، ولكم: خبر مقدم، وشرب يوم: مبتدأ مؤخر، ومعلوم: صفة لـ يوم. ﴿ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾ الواو: عاطفة، ولا: نهاية، وتمسوها: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وبسوء: متعلقان بتمسوها، فـ يأخذكم: الفاء: هي السبيبية، ويأخذكم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، والكاف: مفعول به، وعداب: فاعل، ويوم: مضاف إليه، وعظيم: صفة يوم. ﴿ فَعَقِرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وعقروها: فعل، وفاعل، ومفعول به، فأصبحوا: عاطفة، وأصبحوا نادمين: فعل ماض، ناقص، والواو: اسمها، ونادمين: خبرها، ولك أن تجعل أصبحوا: تامة، والواو: فاعل، ونادمين: حال، وسيأتي في قصة صالح ما يرجح: أنها تامة. ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، والعذاب: فاعل مؤخر، وجملة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ ﴾ تعيل للأخذ، والواو: حالية، أو: عاطفة، وما: نافية، وكان واسمها وخبرها. ﴿ وَلَئِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْمَرِizُ الرَّحِيمُ ﴾ تقدم إعرابها كثيراً.

□ البلاغة:

١ - في قوله: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ مجاز عقلي؛ لأنَّ الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه؛ أي: ولا تطعوا المسرفين في أمرهم.

٢- الإرداد:

فقد كان يكفي أن يقول: ﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ولكنَّ لما كان قوله: يفسدون؛ لا ينفي صلاحتهم أحياناً، أردفه بقوله: ﴿ وَلَا يَمْصِلُونَ ﴾ لبيان كمال إفسادهم، وإسرافهم فيه.

* الفوائد:

قصة صالح:

في القرطبي: «أوحى الله إلى صالح: أنَّ قومك سيعقرنون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنَّ سيولد في شهركم هذا غلامٌ يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر، فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق، أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناءنا أحياء؛ لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح؛ لأنَّه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوه، وتقاسموا بالله لبنيته وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر، فيرى الناس سفراً، فنكرون في غار؛ حتى إذا كان الليل، وخرج صالح إلى مسجده؛ أتیناه، فقتلناه، ثم قلنا: ما شهدنا مهلك أهله، وإنما الصادقون، فيصدقونا، ويعلمون: أنا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام معهم في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح أتاهم، فوعظهم، فلما دخلوا الغار؛ أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار، فقتلهم، فرأى ذلك الناس من كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله أما رضي صالح أن أمر بقتلهم أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

رواية عقر الناقة:

وروي: أنَّ مسطعاً أجاً الناقة إلى مضيق في شعب، فرمها بسهم، فأصاب رجلها، فسقطت، ثم ضربها قدار، وقيل: إنه قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم.

هذا وقد ضربَ بقدار المثل في الشؤم، فقال زهير مشيراً إليه وقد غلط، فجعله أحمر عاد، مع أنه أحمر ثمود، وذلك في أبيات له يصف الحرب، ويخذر

قومه من مغابها ، ونوردها هنا جملة لأهميتها :

وَمَا الْحَرُبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعُثُوهَا دَمِيَّةً
وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّتُمُوهَا فَتَضَرَّمِ
فَتَعْرِكُمْ عِرَكَ الرَّحِيْبِ بِثَفَالَهَا
وَتَلْقَحُ كِشَافًا نَمْ تَنْجُ فَتَسْتَمِ
فَتَنْجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كَلَّهُمْ
كَأَهْرَعَادِثَمْ تُرْضِعُ فَنْفَطَمِ

أي : أنها تلد لكم أبناء كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة ،
وهو : قدار بن سالف .

﴿ كَذَّبَ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ١١ إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطٌ أَلَا تَنْتَقُونَ ١٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٣ فَلَمَّا قَوْلَهُ اللَّهُ وَأَطَّيْعُونَ ١٤ وَمَا أَسْعَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَيِ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٥ أَتَأْتُونَ الْذُكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ١٦ وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٧ قَاتُلُوكُمْ لَمْ تَنْتَهِ يَلْوُطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرِجِينَ ١٨ قَالَ إِنِّي لَعَمِلْكُمْ مِنَ الْقَالِيْنَ ١٩ رَبِّ يَحْيَىٰ وَاهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ٢٠ فَنَجَّيْتُهُ وَاهْلَهُ أَجْمَعِينَ ٢١ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَارِبِينَ ٢٢ فَمِمْ دَمَرْنَا الْأَخْرَيْنَ ٢٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِيْنَ ٢٤ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ٢٥ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ٢٦﴾

اللغة :

﴿ الْذُكْرَانَ ﴾ : أحد جموع الذكر ، والذكر : خلاف الأنثى ، وفي «المختار» :
الذكر ضد الأنثى ، وجمعه : ذكور ، وذكرة ، وذكرة ؛ كحجارة » وأورد له في

«القاموس» جموعاً عديدة فقال: «وَجْمَعُهُ: ذِكْر، وَذِكْرَةُ، وَذِكْرَانُ، وَذِكْرَاتُ، وَذِكْرَةٌ». .

﴿الْقَالِينَ﴾: المبغضين، والقليل: البعض الشديد؛ كأنه بعض يقلل الفؤاد والكبد، وفي «المصباح»: «وَقَلِيلُ الرَّجُلِ، أَقْلِيلٌ، مِنْ بَابِ رَمِيٍّ، قِلَّى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ، وَقَدْ يَمْدُ: إِذَا أَبْغَضْتَهُ، وَمِنْ بَابِ تَعْبُ لِغَةً» وعبارة «القاموس»: «قَلَاهُ: كَرْمَاهُ، وَرَضِيهُ، قَلَى، وَقَلَاءُ، وَمَقْلِيلَةٌ: أَبْغَضْهُ؛ وَكَرْهُهُ غَايَةُ الْكَرَاهَةِ، فَتَرَكَهُ، أَوْ قَلَاهُ: فِي الْهَجْرِ، وَقَلِيلٌ: فِي الْبَعْضِ».

﴿الْغَلَّارِينَ﴾: قال في «الكتشاف» «وَمَعْنَى الْغَابِرِينَ فِي الْعَذَابِ وَالْهَلاَكِ: غَيْرُ النَّاجِينَ» وفي «المصباح»: «غَيْرُ، غَبُوراً، مِنْ بَابِ قَدْ: بَقِيَّ، وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ فِيمَا مَضِيَ أَيْضًا، فَيَكُونُ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَقَالَ الزَّبِيدِيُّ: غَيْرُ غَبُوراً: مَكْثُ، وَفِي لِغَةِ الْمَهْمَلَةِ لِلْمَاضِيِّ، وَبِالْمَعْجمَةِ لِلْبَاقِيِّ، وَغَيْرُ الشَّيْءِ وَزَانَ سَكَرٌ: بَقِيَّتِهِ» وفي «القاموس»: «غَيْرُ، غَبُوراً: مَكْثُ، وَذَهَبَ ضَدُّ، وَهُوَ غَابِرٌ، مِنْ غَيْرٍ؛ كَرْكَعٌ، وَغَيْرُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ: بَقِيَّتِهِ».

○ الإعراب:

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة السادسة. ﴿إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطُ الْأَنْفَقُونَ﴾ لم يكن لوط أخاهم في النسب، وإنما جعله أخاهم جريأاً على أسلاليهم؛ كما تقدم، أو باعتبار أنه كان ساكناً، ومجاوراً لهم في قريتهم. ﴿إِنَّ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَلَمَّا فَلَقُوا اللَّهَ وَاطَّبَعُونَ وَمَا أَشْكَلُوكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صدر كل قصة بهذه الآيات، وقد تقدم إعرابها، فجدد به عهداً. ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وتأتون الذكران: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، و محل جملة الاستفهام التوبيخية: النصب على الحال، ومن العالمين: حال. ﴿وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْوَاعِكُمْ بِلَّا أَنْتُمْ قَمْ عَادُونَ﴾ وتذرون: عطف على تأتون، داخل في حيز الاستفهام التوبيخي، وهو فعل مضارع، وفاعل، وما: مفعول به، وجملة خلق لكم ربكم: صلة، ومن أزواجكم: حال على أن «من»

للتبين، ويجوز أن تكون للتبعيض، وسيأتي تفصيل هذا كله في باب البلاغة، وبـ: حرف إضراب انتقالي، وأنتم: مبتدأ، وقوم: خبر، وعادون: صفة، أي: متجاوزون الحلال إلى الحرام؛ لأن معنى العادي: المتعدي في ظله، المتتجاوز فيه الحد. ﴿قَالُوا لِئِنْ لَّرَأَتِهِ يَنْلُوْطُ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ قالوا: فعل ماض، وفاعل، ولئن: اللام موطة للقسم، وإن: شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجذم، وتنبه: فعل مضارع مجزوم بلـم، ولتكونـنـ: اللام واقعة في جواب القسم، وتكونـنـ: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والـواـوـ: اسم تكونـنـ، ومن المخرجـينـ: خـبرـ؛ أيـ: من جملة من آخر جناهمـ، وسيأتي تفصيل مسهـبـ عن هذا التعبير في بـابـ البلـاغـةـ. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلْكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ إنـ، واسمـهاـ، ولـعملـكمـ: متعلقـانـ بالـقالـينـ، ومنـ القـالـينـ: خـبرـ إنـ، والـحملـةـ: مقولـ القـولـ، وتشددـ بـضمـعـهـ فـقاـلـ في حـواشـيـ البيضاـويـ ماـ يـليـ: «ـمنـ القـالـينـ»ـ: متعلقـانـ بـمحـذـوفـ؛ أيـ: لـقاـلـ مـنـ القـالـينـ، وـذـكـ المـحـذـوفـ: خـبرـ إنـ، وـمنـ القـالـينـ: صـفـةـ، ولـعملـكمـ: متعلقـانـ بـالـخبرـ المـحـذـوفـ، ولوـ جـعـلـ منـ القـالـينـ خـبرـ إنـ؛ لـعـمـلـ القـالـينـ فيـ لـعـملـكمـ، فـيفـضـيـ إلىـ تقديمـ مـعـمـولـ الصـلـةـ عـلـىـ المـوـصـولـ؛ وـهـوـ أـلـ؛ مـعـ أـنـ لاـ يـجـوزـ. قـلتـ: وـهـذاـ عـلـىـ دـقـتـهـ وـمـلـاءـمـتـهـ لـلـقـوـاعـدـ فـيـهـ تـكـلـفـ شـدـيدـ يـخـرـجـهـ إـلـىـ الإـحـالـةـ، وـلـاـ دـاعـيـ لـهـذـاـ التـشـدـدـ؛ مـعـ أـنـ استـعـمـالـ أـلـ مـوـصـوـلـاـ يـكـادـ يـكـونـ نـادـرـاـ.

﴿رَبِّ يَحْنَىٰ وَأَهْلِيٰ مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ربـ: منـادـيـ مضـافـ إـلـىـ يـاءـ المـتكلـمـ المـحـذـوفـ، وـقـدـ حـذـفـ مـنـ هـرـفـ النـداءـ، وـنـجـنـيـ: فـعلـ أمرـ لـلـدـعـاءـ، وـالـيـاءـ: مـفـعـولـ بـهـ، وـأـهـلـيـ: مـفـعـولـ معـهـ، أـوـ: مـعـطـوفـ عـلـىـ الـيـاءـ، وـمـاـ: مـتـعـلـقـانـ بـنـجـنـيـ، وـجـمـلةـ يـعـمـلـونـ: صـلـةـ ماـ. ﴿فَنَجَّيْتَهُ وَاهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الفـاءـ: عـاطـفةـ عـلـىـ مـحـذـوفـ مـقـدـرـ؛ لـتـتـسـاـوـقـ الـقـصـةـ، وـنـجـنـيـاهـ: فـعلـ مـاضـ، وـفـاعـلـ، وـمـفـعـولـ بـهـ، وـأـهـلـهـ: مـفـعـولـ معـهـ، أـوـ: مـعـطـوفـ عـلـىـ الـهـاءـ، وـأـجـمـعـينـ: تـأـكـيدـ. ﴿إِلَّا عَجَزَ رَأْيُهُ فِي الْغَدَرِيْنَ﴾ إـلاـ: أـدـاةـ استـثـنـاءـ، وـعـجـوزـاـ: مـسـتـشـنـيـ بـإـلـاـ، وـهـيـ اـمـرـأـتـهـ، وـفـيـ الغـابـرـيـنـ: صـفـةـ لـعـجـوزـاـ؛ كـأـنـهـ قـيلـ: إـلاـ عـجـوزـاـ غـابـرـةـ. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْأَخْرَيْنَ﴾

عطف على ما تقدم . ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرَّا فَسَاءَ مَطْرُّ الْمُنْذَرِينَ﴾ وأمطرنا : عطف على دمنا ، وعليهم : متعلقان بأمطربنا ، ومطراً مفعول به ، فباء : الفاء حرف عطف ، وباء : فعل للذم ، ومطر المذرين : فاعل ساء ، والمحصوص بالذم مذوف ، وهو : مطربهم ، المراد بالمطر : الحجارة التي اثالت عليهم . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن وخبرها المقدم ، واسمها المؤخر ، والواو : حالية ، وما : نافية ، وكان ، واسمها ، وخبرها . ﴿وَلَيْكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تقدم إعرابها كثيراً .

□ البلاغة :

١ - قوله تعالى : ﴿وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ في هذه الآية الإبهام بقوله ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ وقد أراد به أقباليهن ، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتضليل ، و«من» تحتمل البيان ، وتحتمل التبعيض .

٢ - العدول إلى الصفة :

في قوله : ﴿لَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْرِجِينَ﴾ وقوله : ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عدول عن الجملة الفعلية إلى الصفة ، وكثيراً ما ورد في القرآن - خصوصاً في هذه الصورة - العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة ، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع ؛ كقول فرعون : ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ السَّاجِدُونَ﴾ وأمثاله كثيرة ، والسر في ذلك : أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة ، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه ، وهو : أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ، ثابتة العلوق به ؛ كأنها لقب ؛ وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة ، استمع إلى قوله تعالى : ﴿رَضِصُوا إِنَّ يَكُونُوا مَعَ الْحَوَالِفِ﴾ كيف ألحقهم لقباً رديئاً ، وصيرهم من نوع رذل مشهور باسم التخلف ؛ حتى صارت له لقباً لا صقاً به ، وهذا عام في كل ما يرد عليك ، وورد فيما مضى من أمثال ذلك ، فتذرره ، واقدره قدره .

﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذَا قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا يَنْتَهُونَ ۝ إِلَى لَكُمْ ۝ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَأَتَقْوِا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ ۝ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَرِزْقُهُمْ بِالْقِسْطَاسِ ۝ الْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَأَتَقْوِا الَّذِي خَلَقُوكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلَيْنَ ۝ قَالُوا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظِنْنَكَ لِمِنَ الْكَذَّابِينَ ۝ فَأَسْقِطُ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الْظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ ۱۹۱﴾

الْفَتْنَةُ

﴿لَيْكَو﴾ : في اللغة: الشجرة الكثيفة، وجمعها: أيلك، قال في «القاموس»: «أيلك، يأيلك، من باب تعب، أيلكاً، واستأيلك الشجر: التف وصار أيلكة، والأيلك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة: أيلكة» فتطلق الأيلكة على الواحدة من الأيلك، وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين، قالوا: وكان شجرهم الدوم، وهي قرية شعيب، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام، وقد اختلف المفسرون، واللغويون فيها، وستنتقل لك بعض ما قالوه.

قال الزمخشري:

«قرىء أَصَحَّ لِيَكَةً» بالهمزة، وبتحقيقها، وبالجر على الإضافة، وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب، وزعم أنَّ لِيَكَةً، بوزن ليلة: اسم بلد فتوهمُ، قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة، وفي سورة (ص) بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط

المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ؛ كما يكتب أصحاب النحو لأنَّ، ولو لا على هذه الصورة؛ لبيان لفظ المخفف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة، على أنَّ ليكَة اسم لا يعرف، وروي: أنَّ أصحاب الأيكَة كانوا أصحاب شجر متلف، وكان شجرهم الدوم».

وقال الجلال السيوطي:

«وفي قراءة بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وفتح الهاء، وهي: غيبة شجر قرب مدين» وهذا الصنيع يقتضي: أنَّ اللام الموجودة لام التعريف، وحيثئذ لا يصحُّ قوله: وفتح الهاء؛ إذ الاسم المقربون بأَلْ؛ سواء كانت معرفة، أو غيرها؛ يغير بالكسرة؛ سواء وقع فيه نقل أم لا، ووجه بعضهم فتح الهاء: بأنَّ الاسم بوزن ليلة، فاللام من بنية الكلمة، ولا نقل، بل حركة اللام أصلية، فجزُّه بالفتحة حيثئذ ظاهر.

وقال الشهاب الخفاجي:

«وقد استشكل هذه القراءة أبو علي الفارسي، وغيره؛ بأنه لا وجه للفتح؛ لأنَّ نقل حركة الهمزة لا يقتضي تغيير الإعراب من الكسر إلى الفتح. وأجيب: بأنَّ ليكَة على هذه القراءة: اسم البلدة، وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث، واللام فيها جزء من الكلمة، لا المعرفة؛ لأنَّها توجب الصرف، فقول القائل: إنها على النقل؛ غير صحيح، وبهذا اندفع ما قاله النحاة، فإنهم نسبوا هذه القراءة إلى التحريف».

وقد أطال السمين الحلبي في توجيه هذه القراءة جداً ونصه:

«قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: ليكَة، بلام واحدة، وفتح التاء، جعلوه اسمًا غير معرف بأَلْ مضافاً إليه أصحاب هنا، وفي «ص» خاصة، والباقيون: الأيكَة معرفاً بأَلْ موافقة لما أجمع عليه في «الحجر» وفي «ق»، وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى، وتجروا بعضهم على قارئها وسأذكر

لَكْ مِنْ ذَلِكَ طَرْفًا: فَوْجِهِهَا عَلَى مَا قَالَ أَبُو عَبِيدَةَ: أَنَّ لِيَكَةَ اسْمَ لِلْقَرْيَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَالْأَيْكَةَ اسْمَ لِلْبَلَادِ كُلُّهَا، فَصَارَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا شَبِيهًَا بَيْنَ مَكَةَ وَبَيْكَةَ».

وقال صاحب «القاموس»:

«وَمَنْ قَرَأَ الْأَيْكَةَ فَهِيَ: الْغَيْضَةُ، وَمَنْ قَرَأَ لِيَكَةَ فَهِيَ: اسْمَ الْقَرْيَةِ، وَمَوْضِعِهِ الْلَّامُ، وَوَقْعُ فِي الْبَخَارِيِّ: الْلَّايِكَةُ، جَمْعُ: أَيْكَةُ، وَكَانُهُ وَهُمْ».

وقال شارحه في «التاج»:

«قُولُهُ: وَكَانُهُ وَهُمْ؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَقَةٌ فِيمَا يَنْقُلُ، فَيُبَيِّنُ أَنَّ يَحْسَنُ الظُّنُونَ بِهِ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ شَرَاحُهُ وَصَحْحُوهُ».

وقال أبو البقاء:

﴿أَصَحَّبُ لَيْكَةً﴾ يَقْرَأُ بِكَسْرِ التاءِ مَعَ تَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِهَا بِالإِلْقاءِ، وَهُوَ مَثْلُ: الْأَنْثَى، وَالْأَنْثَى، وَقَرِيءٌ: لِيَكَةٌ بِيَاءٌ بَعْدَ الْلَّامِ، وَفَتْحُ التاءِ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ؛ إِذَا لَيْسَ فِي الْكَلَامِ: لِيَكَةٌ؛ حَتَّى يَجْعَلْ عَلَمًا فَإِنْ ادْعَى قَلْبُ الْهَمْزَةِ لَمَّا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْبَعْدِ».

الأيك والحمام في الشعر:

هذا وقد استهوى الأيك وحمامة الشعراء فكثرت أشعارهم فيه، أنسد أبو حاتم لرجل من بنى نهشل:

أَلَامَ عَلَى فِيَضِ الدَّمْوَعِ وَإِنَّى

بِفِيَضِ الدَّمْوَعِ الْجَارِيَاتِ جَدِيرٌ

أَيْكَيْ حَامُ الأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفَهٍ

وَأَصَبِّرُ عَنْهَا إِنَّى لِصَبُورٍ

وأنشد الرياشي عن الأصمسي، قال: أنسدني متجمع بن نبهان لرجل من

بني الصيداء:

دعت فوق أفنان من الأيك موهنا
 مطروقة ورقاء في إثر آلف
 فهاجت عقابيلُ الهوى إذ ترئث
 وثبت ضرامُ الشّوق تحت الشّراسِفِ
 بكتْ بجفونِ دمعها غير ذارفِ
 وأغرث جفوني بالدموع الدّوارفِ
 والطريف في هذا الباب قول عوف بن حملّم:
 ألا يا حمام الأيك إلْفَكَ حاضرِ
 وغضنك ميادُ فَيْمَ تنوحُ
 أفق لا تنح من غير شيء فإني
 بكى زماناً والفؤادُ صحيحُ
 ولوعاً فشطَت غربة دار زينب
 فها أنا أبكي والفوادُ جريحُ

﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾: بكسر القاف، وضمها، وقد قرئ بهما: الميزان السّوي، فإن كان من القسط، وهو العدل، وجعلت العين مكررة، فوزنه فعالس، وإلا فهو رباعي، وقيل: هو بالرومية العدل.

﴿وَلَا تَنْثُرُ﴾: ولا تفسدوا، يقال: عثا في الأرض، وعشى، وذلك نحو قطع الطريق، والغارة، وإهلاك الزروع، وفي «المختار»: «عثا في الأرض: أفسد، وبابه: سما، وعشى بالكسر عثواً أيضاً، وعشى بفتحتين بوزن فتي، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثُرْ فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ﴾ قلت: قال الأزهري: القراء كلهم متافقون على فتح الثناء، دلّ على أن القرآن نزل باللغة الثانية».

﴿وَالْجِلَّةَ﴾: بكسر الجيم والباء، وتشديد اللام المفتوحة: الخلق المتحد الغليظ، وفي القاموس «الجَبْلَةُ، والجَبْلَةُ، والجَبْلَةُ، والجَبْلَةُ وهي التي قرئ بها: الوجه وما استقبلك منه، والخلقة، والطبيعة، والأصل والقوه، وصلابة الأرض» والجبل بفتح الجيم مع سكون الباء مصدر، جبله الله على كذا؛ أي:

طبعه، وخلقه، واسم الطبيعة: جبلة، ولهذه الكلمة بهذا المعنى ألفاظ كثيرة، وهي: الجبلة، والخيم، والطبع، والنحيز، والطبيعة، والنبيبة، والضريبة، والسجية، والشنونة، والخلقة، والسلقة، والشيمية، والغرizia، والنجار، وقد نظم بعضهم معانى الجبل فقال:

وُسْمِيَ الْمَالُ الْكَثِيرُ جِبْلًا بِالضَّمِّ إِنْ أَرْدَتَ أَوْ بِالْكَسْرِ وَامْرَأَةُ غَلِظَةُ وَالْجِبْلَةُ جَمَاعَةُ أَوْ كَثْرَةُ كَالْجِبْلِهِ	قَدْ جَبَلَ اللَّهُ الْطَّبَاعَ جَبْلًا وَعَدْدُ النَّاسِ الْكَثِيرُ جَبْلًا وَجَهُ وَقْوَةُ وَغَيْثُ جَبْلَةُ لَقْدَحٌ مِّنْ خَشْبٍ ذِي كَبْرٍ
--	--

﴿كِسْفًا﴾: بكسر الكاف، وفتح السين، وقراءة: كسفَا بسكون السين، وكلاهما جمع: كسفة، نحو قطع، وسدر، وقال أبو عبيدة: «الكسف: جمع: كسفة، مثل: سدر، وسدرة، وقرأ السلمي ومحض: كِسْفًا؛ جمع: كسفة أيضاً، وهي القطعة، والجانب، مثل: كسرة، وكسر» وفي «الصحاح»: «الكسفة من الشيء»، يقال: أعطني كسفة من ثوبك أي: قطعة، ويقال: الكسف والكسفة واحد» وقال الأخفش «من قرأ: «كسفاً من السماء» جعله واحد، ومن قرأ «كسفاً» جعله جمعاً».

﴿الظَّلَلَةُ﴾: المظلة الضيقة، وما يستظل به من الحر، أو البرد، وما أظلك كالشجر، والجمع: ظلل، وظلال، ويوم الظلة اشتهر بعذابهم، فقد رنقت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فامطرت عليهم ناراً، فاحتربوا.

○ الإعراب:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ ثَيَّكَةَ الْمَرْسَلِينَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة. ﴿إِذَا قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَنْقُونَ﴾ تقدمت هذه الآية وما بعدها في جميع القصص السبع، وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة. ولم يقل أخوههم؛ كما قال في الأنبياء قبله؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأئكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: أخاهم شيئاً؛ لأنه كان منهم. ﴿إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا﴾

أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ وَمَا أَشْكَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» آيات تقدمت في القصص السبع . ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ» أوفوا: فعل أمر، وفاعل، والكيل: مفعول به، والواو: حرف عطف، ولا: نافية، وتكونوا: فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، والواو: اسمها، ومن المحسرين: خبر تكونوا، قال الزمخشري: «الكيل على ثلاثة أضرب: وافٍ وطفيف، وزائد، فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف، ولم يذكر الزائد، وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله فلا عليه». ﴿وَزِينُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ» إعرابها واضح . ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءً هُرُبَّ وَلَا تَعْنُوْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» الواو: عاطفة، ولا: نافية، وتبخسوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، والناس: مفعول به أول، وأشياءهم: مفعول به ثان. وفي أقوالهم: «لا تبخس أخاك حقه». ولا تعثوا عطف: على: ولا تبخسوا، وفي الأرض: جار و مجرور متعلقان بتعثوا، ومفسدين: حال مؤكدة لمعنى عاملها، وأما لفظهما ف مختلف . ﴿وَأَنَّقُوا الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلَيْنَ» الواو: عاطفة، وانتقوا: فعل أمر، وفاعل، والذي: مفعول به، وجملة خلقكم: صلة، والجللة: عطف على الذي، والأولين: صفة للجللة . ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» إنما: كافية ومكافحة، وأنت: مبتدأ، ومن المسحرين: خبر، والجملة: مقول القول . ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَّرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظَنْكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» الواو: عاطفة، وما: نافية، وأنت: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وبشر: خبر، ومثلنا: نعت لبشر، والواو: حرف عطف، وإن: مخففة من الثقلية، واسمها: ممحوف، ونظنك: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر، تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، واللام: الفارقة، ومن الكاذبين: خبر. قال الزمخشري: «فإن قلت: إن المخففة من الثقلية ولا لها كيف تفرقنا على فعل الظن وثاني مفعوليها؟ قلت: أصلها أن تفرقنا على المبتدأ والخبر؛ كقولك: إن زيد لمنطلق فلما كان البابان - أعني: باب كان وباب ظنت - من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين، فقيل: إن كان زيد لمنطلقًا، وإن ظنته لمنطلقًا». ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا

مَنْ أَلْسَحَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ الفاء: الفصيحة، وأسقط: فعل أمر، وعلينا: متعلقان بأسقط، وكسفاً: مفعول به، ومن السماء: صفة لكسفاً، وإن شرطية، وكنت: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، ومن الصادقين: خبر كنت، وجواب الشرط: محدود دل عليه ما قبله؛ أي: فأسقط علينا. ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ربى: مبتدأ، وأعلم: خبر، والجملة: مقول القول، وبما: متعلقان بأعلم، وجملة تعملون: لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبواه: فعل، وفاعل، ومفعول به، فأخذهم: فعل، ومفعول به، وعداب يوم الظلمة: فاعل، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: ضمير مستتر، تقديره: هو، وعداب خبر كان، ويوم: مضاف إليه، وعظيم: صفة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تقدم إعرابها.

□ البلاغة:

فن التكرير :

في هذه القصص السبع كرر في أول كلّ قصة، وفي آخرها ما كرر، مما أشرنا إليه؛ لأن في التكرير تقريراً للمعنى في الأنفس، وترتسيحاً لها في الصدور مع تعليق كل واحدة بعلة، وفن التكرير فن دقيق المأخذ، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرةً، وبالتطويل مرةً أخرى، وهو ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول من التكرير :

يوجد في اللفظ والمعنى؛ كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لَمْثَلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَاسُمٌ

القسم الثاني من التكرير :

يوجد في المعنى دون اللفظ؛ كقولك: أطعني، ولا تعص أو امري، فإنَّ
الأمر بالطاعة نهيٌ عن المعصية.

وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره.

وزعم قومٌ أنَّ أبا الطيب المتنبي أتى بتكرير لا حاجة به إليه في قوله:
العارضُ الْهَتِنُ بْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ

بن العارض الهاتن بن العارض الهاتن

وليس في هذا البيت من تكرير فإنه كقولك: الموصوف بكذا وكذا، ابن
الموصوف بكذا وكذا؛ أي: إنه عريق النسب في هذا الوصف، وقد ورد في
الحديث النبوي مثله؛ كقوله ﷺ في وصف يوسف النبي: «الكريم ابن الكريم
ابن الكريم» ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» فالبيت
الحادي ث النبي من جهة المعنى لكنه انحط عن الحديث من جهة ألفاظه،
وهي ألفاظ إذا استعملت مفردة كانت حسنة، ولكن إبرادها على هذا الوجه
المتدخل هو الذي شوه جمالها، وأحالها إلى ضرب من المغالطة اللغوية،
غضبت منها، وهذا أمر مرده إلى الذوق وحده، فهو الفيصل الذي يحكم في
هذه الأمور، وما أحسن ما قال الفيلسوف الفرنسي فولتير «ذوقك أستاذك».

التكرير غير المفيد:

أما إذا كان التكرير غير مفيد فهو: العي الفاحش، ومن العجيب أن
يتورط شاعر كأبي الطيب المتنبي، فيورد البيت الذي أوردناه في مستهل هذا
البحث وهو:

ولَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ
الا ترى أنه يقول: لم أر مثل جيراني في سوء الجوار، ولا مثلي في مسايرتهم
ومقامي عندهم، إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين، ومثله قوله:
وقلقلت بالهمَّ الذي قلقلَ الحشا
قلقل دهري كلهنَّ قلقل

وكذلك قوله:

عَظِمْتَ فلَمَّا لَمْ تَكُلْ مَهَابَةً

تواضعتَ وَهُوَ الْعَظِيمُ عِظَمًا عَلَى عِظَمٍ

قال أحد النقاد القدامي فيه: « ولو سمي هذا البيت جبانة لكان لائقاً به» والظاهر أن هذا الناقد يكره التكرير وقد صور له كرهه إياه قصيدة ابن الرومي في المرأة التي أولها:

أَجَنْتَ لَكَ الْوَجْدَ أَغْصَانُ وَكِبَانُ

فِيهِنَّ نَوْعَانِ تَفَاحٌ وَرَمَانٌ

غير جليلة أو من هذا الضرب، فقال: «هذه دار البطيخ فاقرئوا نسيها تعلموا ذلك».

ولسنا ننكر أن ابن الرومي قد بالغ في غزلها، وأكثر من ذكر العناب، والبيان، والترجس، ولكنه واقع موقعه، ولا سبيل إلى النيل منه. ونعود إلى أبي الطيب، فقد أكثر من التكرير حتى أسف في كثير من أبياته؛ مع أنه شاعر العربية الأول فقال:

أَسْدُ فِرَائِسِهَا الأَسْوَدُ يَقُودُهَا

أَسْدُ تَصِيرَ لَهُ الأَسْوَدُ ثَعَالِبَا

قال ابن رشيق: «ما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوقةأسوداً» وقال الأصممي لمن أشله قوله:

فَمَا لِلنَّوْيِ حِذَ النَّوْيِ قَطْعَ النَّوْيِ

كَذَاكَ النَّوْيِ قَطْعَاعَةً لِوَصَالِ

«لو سلط الله على هذا النوى شاة لأكلته كله».

وأما قول أبي نواس:

أَقْمَنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُلِ خَامِسُ

فقال ابن الأثير في المثل السائر: «مراده أنهم أقاموا أربعة أيام ويما عجبًا له

يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن وهي :

ودار ندامى عطّلوها وأدلّجوا
بها أثر منهم جديداً ودارسٌ
مساّب من جرّ الزّقاقِ على الشّرى
وأضفاث ريحانِ جنِّيٍّ ويابسُ
حبستُ بها صحيبي فجددتْ عهدهم
وإني على أمثالِ تلك لحابسٌ
تُدار علينا الرّاحُ في عسجديةٍ
حَبَّتها بأنواع التّصاويرِ فارسٌ
قرارُها كسرى وفي جنباتها
مهاتدريهَا بالقسيّ الفوارس
فللرّاح مازرَتْ عليه جيوها
وللماءِ ما دارتْ عليه القلانسُ

وقد أخطأ ابن الأثير ، وفهم البيت خطأ ، ولم يمعن النظر فيه ، فنقده ، ولو أنه أمعن النظر لما قال فيه هذا القول ، والمعنى الصحيح : إن المقام ستة أيام لأنه قال وثالثاً ويوماً آخر له اليوم الذي رحلنا فيه خامس .

وابو نواس أجل قدرأً من أن يسفَّ ، ويأتي بهذه العبارة لغير معنى طائل ، قوله في الخمر أبيات منقطعة النظير ، وقد تدق على الأفهام ، حكي عنه أنه ذكر عند الرشيد قوله :

فاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي اعْتَجَرْتُ بِخَمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحْمِ
فقال الرشيد لمن حضر : ما معناه ؟ فقال أحدهم : إنَّ الخمر إذا كانت في
دنهَا كان عليه شيءٌ مثل الزبد ، فهو الشيب الذي أراده ، وكان الأصمعي
حاضرًا فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا علي أجل خطرًا ، وإن معانيه لخفية ،
فأسأله عن ذلك . فأحضر ، وسئل ، فقال : إن الكرم أول ما يخرج العنقود في

الزرجون يكون عليه شيء يشبه القطن . فقال الأصمسي : ألم أقل لكم إن
أبا نواس أدق نظراً مما قلتكم ؟

عود إلى الآيات :

ونعود فنقول : إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها ، لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصحابها وقر، وقلوب غلف ، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح مغالقها ، ويجلو ما تحجّفها من صدأ . وسيأتي من التكرير في القرآن ما يسّكّر النفوس ، وينخلب الألباب .

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزَلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لِفِي رُبُّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَّهُ مَا يَأْتِيَهُ أَنَّ
يَعْلَمُهُ عَلَمَهُ أَبْيَ إِسْرَئِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأُوهُ عَلَيْهِمْ مَا
كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكَنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ تَحْنُنُ
مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

☆ اللّاشّة :

﴿ الْأَعْجَمِينَ ﴾ : قال الزمخشري : الأعجم : الذي لا يفصح ، وفي لسانه عجمة واستعجم ، والأعجمي : مثله ؛ إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ، وقرأ الحسن : الأعجميين ، ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفهون كلامه قالوا له : أعجم ، وأعجمي ، شبهوه بمن لا يفصح ، ولا يبين ، وقالوا الكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها : أعجم .

قال حميد:

ولا عربياً شاقه صوتُ أعمجاً

قلت : وهذا عجز بيت وصدره :

ولمْ أر مثلي شاقه صوتُ مثلها

والبيت من أبيات لحميد بن ثور وقد رحلت صاحبته ومنها :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوَّقَ إِلَى حَمَّةٍ	دَعَثْ سَاقَ حَرَ تَرَحَّةً	وَتَنَدَّمَا
عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غَنَوْهَا	فَصِيقَّاً لَمْ تَفْغُرْ بِمَنْطَقَهَا فَمَا	
وَلَمْ أَرْ مَثَلِي شَاقَهُ صَوْتُ مَثَلَهَا	وَلَا عَرَبِيَاً شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَماً	

وساق حر : مركب إضافي وهو ذكر الحمام مطلقاً، يقول : وما حرك هذا السوق ، وبعثه ، فتوقد في قلبي إلا حمامه دعت ذكرها ، والترحة : الحزن ضد الفرحة ، والتندم : التأسف على ما فات ، ويروى : وترنما ، وهو : تحسين الصوت ، وهم نصب على الحالية . أي : حزينة ومتأسفة أو ذات ترحة وذات تندم ، وأني : اسم استفهام بمعنى : كيف ، والاستفهام معناه هنا : التعجب ، وفغر فاه ، يفخره ، من باب نفع : فتحه ؛ أي : والحال أنها لم تفتح فمها بنطقها ، وإنما يخرج صوتها من صدرها ، وشاقه : تسبب له في السوق ، والعريبي : المفصح ، والأعجم : الذي لا يفصح من الحيوان ، نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه ، ولا يفهون مراده ، وربما ألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة ، وبينه وبين عربي طباق التضاد .

واستشكل كيف يجمع الأعجم جمع المذكر السالم ، وهو وصف على وزن أ فعل في المذكر ، وعلى وزن فعلاء في المؤنث ، وشرط الجمع بالياء والنون ، أو باللواو والنون : أن لا يكون الوصف كذلك ، وأجيب : بأنه جمع أعمجي بباء النسب ، وحذفت للتخفيف ، كأشعررين في أشهرى ، والkovifion يحيزون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم ، وقال صاحب «التحرير» : «قوله على بعض الأعجمين جمع أعمجي ، ولو لا هذا التقدير لم يجوز أن يجمع جمع سلامه ».

عبارة «القاموس»: «العجم، بالضم، وبالتحريك: خلاف العرب، ورجل، وقوم أعمج، والأعمج: من لا يفصح؛ كالأعمجي، والآخرين، وزياد الشاعر، والموج لا يتنفس، فلا ينضح ماء، ولا يسمع له صوت، والعجمي من جنسه العجم وإن أفصح، وجمعه: عَجَمٌ».

○ الإكراه:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص، وتأكيد نبوة محمد ﷺ، فإنَّ إخباره عن الأمم المتقدمة، وهو الأمي الذي لا يقرأ، ولا يكتب، لا يكون إلا عن طريق الوحي، والضمير: يعود على القرآن؛ لأن هذه القصص جزء منه. وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وتتنزيل رب العالمين: خبرها. ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ﴾ على قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذَرِينَ﴾ الجملة: صفة لتنزيل، وبه: في موضع الحال، أي: متلبساً به فالباء للملابسية، والروح: فاعل، والأمين: صفة، وعلى قلبك: متعلقان بنزل، واللام: للتعليل، وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام، ومن المؤمنين: خبر تكون. ﴿يُلِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ﴾ بلسان: جار ومحروم متعلقان بالمنذرين؛ لأنه اسم مفعول، أي: من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم: هود، صالح، وشعيب، واسماعيل، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أو أنه بدل من قوله: به، بإعادة العامل؛ أي: نزل بلسان عربي؛ أي: باللغة العربية. ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زِيرِ الْأَوَّلِينَ﴾ عطف على ما تقدم، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وفي زير الأولين: خبر إن، يعني: أنَّ ذكره مثبت في الكتب السماوية. ﴿أَوْ كَيْفَ يُكَلِّمُهُمْ إِيمَانُهُ أَنْ يَعْلَمُهُ عَلَمَتُهُ
بِهِ إِسْرَائِيلَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي التقريري، والواو: عاطفة على مقدر، ولم: حرف نفي وقلب وجذم، ويكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بـلم، ولهم: متعلقان بمحدود حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـآية، وتقدم عليها، وأية: خبر يكن المقدم، وأن يعلمه: في تأويل مصدر اسم يكن، وعلماء بنى إسرائيل: فاعل يعلمه. وهؤلاء العلماء هم خمسة قد

أخبروا بالقرآن، وهم: عبد الله بن سلام، وأسد، وأسيد، وثعلبة، وابن يامين، وقد أسلموا، وحسن إسلامهم. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الواء: عاطفة، ولو: شرطية امتناعية، ونزلناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وعلى بعض: الأعجمين متعلقان بنزلناه. ﴿فَقَرَأُوهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وقرأه: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بعض الأعجمين، ومفعول به، وعليهم: متعلقان بقرأه، وجملة ما كانوا مؤمنين: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم وبه: متعلقان بمؤمنين، ومؤمنين: خبر كانوا. ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكاف: نعت مصدر مخدوف مقدم؛ أي: مثل هذا السلوك سلكناه في قلوبهم، وقررناه فيها، وسلكناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وفي قلوب المجرمين: متعلقان بسلوكناه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يُرَوُا عَذَابَ الْأَلِيمِ﴾ الجملة: مستأنفة، أو حالية من الهاء في سلوكناه، أو: من المجرمين، فعل الأولى تكون الجملة بمثابة الإيضاح والتلخيص لما تقدم، وعلى الثاني يكون التقدير: سلوكناه حالة كونه غير مؤمن به، ولا: نافية، ويؤمنون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وبه: متعلقان بـيؤمنون: وحتى: حرف غائية وجر، ويروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو: فاعل، والعذاب: مفعول به، والأليم: صفة. ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الفاء: حرف للتعليق، قال الزمخشري: «إإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: فيأتיהם بغتة فيقولوا...؟ قلت: ليس المعنى ترافق رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى: ترتبتها في الشدة؛ كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب، فما هو أشد منها، وهو: لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشد منه، وهو: سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها، ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أأسأت مقتلك الصالحون، فمقتك الله. فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله عقيبة مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء» وهكذا سبر الزمخشري أغوار القرآن الكريم، وألم بخفاياه إمام الخير بموقع الأسرار. ويأتيهم: معطوف على يروا،

والفاعل مستتر، تقديره: هو، والهاء: مفعول به، وبعنته: حال، والواو: واو الحال، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ الفاء: عاطفة؛ كما تقدم، والكلام كله مقدم من تأثير، ويقولوا: عطف على يأتيهم، وهل: حرف استفهام، ونحن: مبتدأ، ومنظرون: خبر، والجملة: مقول القول، ومعنى الاستفهام هنا: التحسير، والاستبعاد لما هو محال، وهو: إمهالهم بعد حلول العذاب بهم.

* الفوائد:

شروط جمع المذكر السالم:

يشترط في كل ما يجمع جمع المذكر السالم من اسم أو صفة ثلاثة شروط:

آ- الخلو من تاء التأنيث فلا يجمع هذا الجمع من الأسماء نحو: طلحة، ولا من الصفات نحو عالمة - بتشديد اللام - لئلا يجتمع فيها علامتا التأنيث والتذكير.

ب- أن يكون المذكر، فلا يجمع هذا الجمع علم المؤنث، نحو: زينب، ولا صفة المؤنث، نحو: حائض.

ج- أن يكون لعاقل؛ لأن هذا الجمع مخصوص بالعقلاء، فلا يجمع نحو: واشق - علماً ل الكلب - وسابق - صفة لفرس - ثم يشترط أن يكون إما علماً غير مركب تركيباً مرجياً، ولا إسنادياً، فلا يجمع المركب المرجي نحو مundi كرب، وسيبويه، وقيل: إن المختوم بوه يجمع هذا الجمع فيقال: سيبيوهن، ومنهم من يحذف فيه فيقول سيبيون، أما المركب الإضافي: فيجمع أول المتضاهيين ويضاف للثاني فيقال: غلامو زيد وغلامي زيد، والkovيون يجمعونهما معاً، وأما صفة تقبل التاء المقصود بها معنى التأنيث؛ فلا يجمع هذا الجمع، نحو: عالمة، ونسابة؛ لأن التاء فيهما لتأكيد المبالغة، لا لقصد معنى التأنيث، أو صفة لا تقبل التاء، ولكنها تدل على التفضيل، فالصفة التي تقبل التاء، نحو: قائم، ومذنب، تقول: قائمة، ومذنبة، والصفة التي تدل

على التفضيل، نحو: أَفْضَلُ، فهذه الصفات الثلاث تجمع هذا الجمع؛ كما تجمع بالألف والتاء فيقال: قائمون، ومذنبون، وأفضلون، كما يقال: قائمات، ومذنبات، وفضليات، فلا يجمع هذا الجمع نحو: جريح بمعنى: محروح، وصبور بمعنى: صابر، وسكران، وأحمر، وأعجم، فإنها لا تقبل التاء، ولا تدل على تفضيل؛ لأن جريحاً، وصبوراً، مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، وسكران مؤنثه: سكري، وأحمر مؤنثه: حمراه، وأعجم مؤنثه: عجماء، فلا يقال: جريحون، وصبورون، وسكرانون، وأحمرون، كما لا يقال: جريحات، وصبورات، وسكرانات، وحمراوات، وعجماءات، فلو جعلت أعلاماً جاز الجمعان.

﴿أَفِعْدَاهُنَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴾ أَفَرَيْتَ إِنْ مَتَعَنَّهُمْ سِينَنَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُنَّ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰءَ أَخْرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَإِنَّ رَّعِيشَتَكَ الْأَقْرَبَينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقْلُ إِنِّي بِرَّيْهُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبْكَ فِي السَّلَجِيدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

○ الإكراه:

﴿أَفِعْدَاهُنَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام التوبخي، والتهكمي، والإيكاري، والفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، وقد سبق تقريره، والتقدير: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنذار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون، هكذا قدره بعض المعربين، ولكنه لا يخلو من إبهام، فالأولى أن

يقدر: أيفلؤن عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون، وقدم الجار وال مجرور لأنرين؛ لفظي: وهو مراعاة الفواصل، ومعنى: وهو الإيذان بأن مصب الإنكار والتبيخ كون المستعجل به العذاب، والجار والمجرور: متعلقان بيستعجلون. ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعَنَّهُمْ سِينَنَ﴾ الهمزة: للاستفهام، والفاء: حرف عطف، ورأيت: معطوف على فيقولوا، وما بينهما اعتراف، والباء: فاعل رأيت، ورأيت بمعنى: أخبرني، فتتعدى إلى مفعولين، أحدهما مفرد، والآخر جملة استفهامية غالباً، وإن: شرطية، ومتعبناهم: فعل ماض، فاعل، ومفعول به، وسنين: ظرف متصل بمتعبناهم.

﴿ثُرَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ثم: حرف عطف، وجاءهم: فعل، ومفعول به، وما: فاعل جاءهم، وجملة كانوا: صلة، والواو: اسم كان، وجملة يوعدون: خبرها.

ثم: تنازع أرأيت، وجاءهم في قوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ فإن أعملت الثاني، وهو: جاءهم؛ كما تقدم في الإعراب رفعت به ﴿مَا كَانُوا﴾ فاعلاً به، ومفعول أرأيت الأول ضميره، ولكنه حذف، والمفعول الثاني: وهو الجملة الاستفهامية في قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف، وهو مقدر، وتقديره: أرأيت ما كانوا يوعدونه، وإن أعملت الأول؛ نصبت به ﴿مَا كَانُوا﴾ مفعولاً به، وأضمرت في جاءهم فاعلاً به، والجملة الاستفهامية: مفعول ثان أيضاً، والعائد: مقدر على ما تقرر في الوجه قبله، والشرط معرض، وجوابه: محذوف. وقد تقدم البحث مستوف في هذا التعبير في سورة الأنعام، وهذا كله إنما يتأنى على قولنا: إنَّ «ما» استفهامية، ولا يضيرنا تفسيرهم لها بالنفي، فإن الاستفهام قد يرد للنفي، وأما إذا جعلتها نافية، ف تكون حرفًا، ولا يتأنى ذلك؛ لأن مفعول أرأيت الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية، وقد ذكر هذا مفصلاً. كما ذكرت أقوال المعربين في سورة الأنعام، فجدد به عهداً. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَكِّنُونَ﴾ ما: استفهامية؛ كما تقدم مفعول مقدم لأننى، وأغنى: فعل

ماض ، وعنهم: متعلقان بأغنى ، وما مصدرية ، أو: موصولة ، وعلى كل حال هي ومدخلوها ، أو: هي وحدها فاعل أغنى ، والتقدير: ما أغنى عنهم تمعتهم ، أو: ما كانوا يمتعون به من متع الحياة الدنيا ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، وقيل: ما نافية ، ولا فرق بينهما ؛ كما تقدم . ﴿ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَّةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ الواو: عاطفة ، أو: استثنافية ، وما: نافية ، وأهلتنا: فعل ، وفاعل ، ومن: حرف جر زائد ، وقرية: مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول أهلتنا ، وإلا: أداة حصر ، ولها: خبر مقدم ، ومنذرون: مبتدأ مؤخر ، والجملة: صفة لقرية ، أو: حال منه ، وسogue ذلك سبق النفي ، وقد تقدم للزخيري رأي جميل في مثل هذا التعبير ، ونعيده هنا . قال: «إِنْ قُلْتَ كَيْفَ عَزَّلْتَ الْوَaoْعَنِ الْجَملَةِ بَعْدَ إِلَّا، وَلَمْ تَعْزِلْ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَّةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ قُلْتَ: الْأَصْلُ عَزْلُ الْwaoَuْ؛ لِأَنَّ الْجَملَةَ صَفَّةُ لِقَرِيَّةٍ، وَإِذَا زَيَّدَتْ فَلَتَأْكِيدَ وَصْلُ الصَّفَّةِ بِالْمَوْصُوفِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنَهُمْ كَلَّهُمْ ﴾» .

﴿ ذَكَرَ وَمَا كُثِّنَ ظَلَمِينَ ﴾ مفعول لأجله على معنى: أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة ، وجوز أبو البقاء أن تكون خبراً لمبتدأ مذوف ؛ أي: هذه ذكرى ، والجملة اعترافية ، وأعربها الكسائي: حالاً ، أي: مذكرين ، وأعربها الزجاج: مصدراً والعامل منذرون ؛ لأنها في معنى مذكورون ذكري ؛ أي: هذه ذكرى ، والجملة اعترافية ، وأعربها الكسائي: حالاً ، أي: مذكرين ، ﴿ وَمَا نَزَّلْتَ بِهِ الشَّيَّطِينُ ﴾ الواو: عاطفة ، وما: نافية ، وتنزلت: فعل ماض ، وبه: جار ومحرر متعلقان بتنزلت ، والضمير للقرآن ، والشياطين: فاعل تنزلت ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الواو: عاطفة ، وما: نافية ، وينبغي: فعل مضارع ، وفاعله: مستتر يعود على القرآن ، ولهم: متعلقان بينبغي ، وما يستطعون: عطف على ما ينبعي: ومفعول يستطعون مذوف ، تقديره: ذلك . ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ الجملة: تعليل لعدم استطاعتهم أن يتنزلوا به ، وإن واسمها ، وعن السمع: متعلقان بمعزولون ،

واللام: المزحلقة، ومعزولون: خبر إن. ﴿فَلَا تَنْعَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، والخطاب للنبي ﷺ، والمقصود غيره، ولا: نافية، وتدع فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومع: ظرف متعلق بمحذوف حال؛ لأنـه كان في الأصل صفة لإلهـا، وتقديم عليهـ، وإلهـا: مفعول بهـ، وأخـرـ: صفة لإلهـاـ، فتكون الفاء فاء السبيـةـ، وتكونـ: فعل مضارع منصوبـ بأنـ مضمرةـ بعدـ الفاءـ، واسمـ تكونـ: مستترـ، تقديرـهـ: أنتـ، ومنـ المعذـبـينـ: خـبرـ تكونـ. ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الواوـ: عـاطـفةـ، وأـنـذـرـ فعلـ أمرـ، وـفاعـلـهـ مستـترـ، تقـديرـهـ: أـنتـ، وـعشـيرـتكـ: مـفعـولـ بهـ، وأـلـاقـبـينـ: صـفةـ، وـسـيـاتـيـ بـحـثـ وـافـ عنـ هـذـاـ الإنـذـارـ فيـ بـابـ الفـوـائدـ.

﴿وَأَخْفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفـ أيضاـ، وـاخـفضـ جـناـحـكـ: فعلـ أمرـ، وـفاعـلـ مستـترـ، وـمـفعـولـ بهـ، وـلـمـ: مـتعلـقـانـ باـخـفـضـ، وـجمـلةـ اـتـبعـكـ: صـلـةـ مـنـ، وـمـنـ الـمـؤـمـنـينـ: حـالـ. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ قُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الفاءـ: عـاطـفةـ، وإنـ: شـرـطـيةـ، وـعصـوـكـ: فعلـ مـاضـ، وـفاعـلـ، وـمـفعـولـ بهـ، وـهـوـ فيـ مـحـلـ جـزـمـ فعلـ الشـرـطـ، فـقـلـ: الفـاءـ رـابـطـةـ لـلـجـوـابـ، وـإـنـ وـاسـمـهاـ، وـبـرـيءـ: خـبـرـهاـ، وـمـاـ: مـتعلـقـانـ بـبـرـيءـ، وـجمـلةـ تـعـمـلـونـ: صـلـةـ، وـجمـلةـ إـنـ بـرـيءـ: مـقـولـ القـولـ، وـلـذـلـكـ كـسـرـتـ هـمـزةـ إنـ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ عـطـفـ علىـ ماـ تـقـدـمـ وـعـلـىـ العـزـيزـ مـتعلـقـانـ بـتـوـكـلـ. ﴿أَلَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ الـذـيـ: صـفـةـ لـلـعـزـيزـ الرـحـيمـ، وـجـملـةـ يـرـاكـ: صـلـةـ، وـحـينـ: ظـرفـ مـتعلـقـ بـيـرـاكـ، وـجمـلةـ تـقـومـ: مجرـورةـ بـإـضـافـةـ الـظـرفـ إـلـيـهاـ، وـمـتعلـقـ تـقـومـ: مـحـذـفـ؛ أيـ: إـلـىـ الصـلـاةـ ﴿وَتَقْلِبْكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ عـطـفـ عـلـىـ الـكـافـ فيـ يـرـاكـ، وـفيـ السـاجـدـينـ: حـالـ، وـفـيـ: بـمـعـنىـ معـ؛ أيـ: مـصـلـيـاـ معـ الجـمـاعـةـ، وـعـنـ مـقـاتـلـ: أـنـ سـأـلـ أـبـاـ حـنـيفـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: هـلـ تـجـدـ الصـلـاةـ فـيـ الـجـمـاعـةـ فـيـ الـقـرـآنـ؟ـ فـتـلـاـ هذهـ الآـيـةـ.ـ وـقـالـ بـعـضـهـمـ:ـ المـرـادـ بـالـسـاجـدـينـ:ـ الـمـؤـمـنـونـ؛ـ أيـ:ـ يـرـاكـ مـتـقـلـبـاـ فـيـ أـصـلـابـ وـأـرـحـامـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـذـ زـمـنـ آـدـمـ وـحـوـاءـ إـلـىـ عـبـدـ اللـهـ وـآـمـنةـ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ إـنـ وـاسـمـهاـ، وـهـوـ: ضـمـيرـ فـصـلـ، اوـ: مـبـتـداـ، وـالـسـمـيعـ الـعـلـيمـ: خـبـرـ

لأن أول الضمير، والجملة الاسمية: خبر إن.

* الفوائد:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينذر الأقرب فالأقرب، فلما أنزل الله تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» دعاهم إلى دار عمه أبي طالب، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه، فأنذرهم، فقال: يا بني عبد المطلب: لو أخبرتكم أنَّ بسفح هذا الجبل خيلاً أكتتم مصدقتي؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وروي: أنه قال: يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار، فإني لا أغنى عنكم شيئاً، ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة^(١) بنت محمد ويا صفية عممة محمد اشترين أنفسكن من النار، فإني لا أغنى عنكم شيئاً.

وهناك روایات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى نجتزيء بما تقدم منها.

﴿هَلْ أُنِيشُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكِ أَشِيمِ ۝ يُلْقَوْنَ السَّمَعَ وَأَكَّرُهُمْ كَذِبُورٍ ۝ وَالشَّعَرَاءَ يَتَّعَهُمُ الْغَافِوْنَ ۝ إِنَّمَا تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَبُونَ ۝﴾

○ الاعراب:

﴿هَلْ أُنِيشُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ كلام مستأنف مسوق لإبطال كونه كاهناً يتلقى من الشياطين، وهل: حرف استفهام، وأنيشكم: فعل مضارع،

(١) القسم الثاني من الرواية غير صحيح، بدليل أن عائشة وحفصة لم تكونا في ذاك الوقت من أزواجـه ﷺ. ولم تولد عائشة بعد!!

وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وعلى من: جار و مجرور متعلقان بتنزل، وقدم للاهتمام به، ولأن للاستفهام صدر الكلام، وهو معلق لفعل التنبئة عن العمل، والجملة: سدت مسد المفعولين الثاني، والثالث، وتنزل: فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، والأصل: تنزل، والشياطين: فاعل تنزل.

﴿تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ﴾ الجار والمجرور: متعلقان بتنزل، وهو بدل من الجار والمجرور قبله، وأفاك: مضاف إلى كل، وأثيم: صفة، وهم الكهنة، والمتنبئة؛ كشق، وسطح، ومسيلمة، وطلحة. **﴿يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرَهُمْ كَذَّابُونَ﴾** يلقون: فعل مضارع، والواو: فاعل، وهو يعود على الشياطين، فتكون الجملة: حالية، أو يعود على كل أفاك أثيم؛ من حيث أنه جمع في المعنى، فتكون الجملة: مستأنفة، أو: صفة لكل أفاك أثيم، ومعنى القائمين السمع: إنصاتهم إلى الملا الأعلى ليستروا شيئاً، أو: إلقاء الشيء المسموع إلى الكهنة، والسمع: مفعول به، والواو: حالية، وأكثرهم: مبتدأ، وكاذبون: خبر، والجملة: حالية. **﴿وَالشُّعُرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاقِونَ﴾** كلام مستأنف أيضاً، مسوق لإبطال كونه شاعراً؛ كما زعموا، وسيأتي بحث ضاف عن الشعر، ومن هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون في باب الفوائد، والشعراء: مبتدأ، وجملة يتبعهم: خبر، ويتبعهم: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، والغاون: فاعل مؤخر. **﴿أَلَّا تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾** الجملة: مفسرة، والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجذم، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر، وفي كل واد: متعلقان بيهيرون، ويهيرون: فعل مضارع، وفاعل، والجملة: خبر أنهم، ويجوز أن تعلق الجار والمجرور بممحض فهو الخبر، وجملة يهيرون: حالية، وتمثل ذهابهم في كل شعب من القول بالوادي سيأتي بحثه في باب البلاغة.

﴿وَأَهْمَمُهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ جملة معطوفة. **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَوْا الصَّلَاحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** إلا: أداة استثناء، والذين: مستثنى من الشعراء المذمومين، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، داخل في حيز الصلة، وذكروا الله: عطف أيضاً، وكثيراً: صفة لمفعول مطلق

محذوف، أي: ذكروا الله ذكراً كثيراً، أو: صفة لظرف زمان محذوف، أي: وقتاً كثيراً.

﴿وَانْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ عطف على ما تقدم، وما: مصدرية؛ أي: من بعد ظلمهم، من إضافة المصدر لمعنى المفعوله. **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾** الواو: استثنافية، والسين: حرف استقبال، ويعلم: فعل مضارع، والذين: فاعله، وجملة ظلموا: صلة، وأي منقلب: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأن أيّاً تعرّب بحسب ما تضاف إليه، وقد علقت يعلم عن العمل، هذا والعامل في «أي» هو: ينقلبون لا يعمل، لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها، قال النحاس: «وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى، وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض».

□ البلاغة:

في قوله تعالى: **﴿أَلَّا تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادِيٍّ يَهِيمُونَ﴾** استعارة تمثيلية لطيفة، وليس ثمة وادٍ، ولا شعاب، ولا هياجٍ، وإنما هو تغلغل إلى مناحي القول، واعتراض في الأوصاف، والتغزل، والتشبيب، والنسيب، وقلة مبالغة بما يهتكونه من أعراض، ويرجفون به من أقوال، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الشعر في باب الفوائد، وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فَيَتَنَّ بِحَانِبَيِّ مَصْرَعَاتٍ **وَبِثُّ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخَتَامِ**

قال: قد وجب عليك الحد، فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنك الحد

بقوله: **﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾**.

* الفوائد:

١- فضل الشعر:

واستثناء الشعراء الصالحين الذين ينافحون دون الأوطان، ويدعون إلى الفضائل والإصلاح، ويصورون عيوب المجتمع وسيئاته لرأب صدوعه،

يدل على ما للشعر من مكانة سامية، و منزلة عالية، وقد روى البخاري عن أبي بن كعب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً. وعن ابن عباسٍ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام فقال: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سُحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً. أخرجـه أبو داود. وقالت عائشة رضي الله عنها: الشعر: كلام منه حسن، ومنه قبيح، فخذ الحسن، ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان عليًّا أشعر من الثلاثة، رضي الله عنـهم أجمعـون.

بين النظم والنشر :

وقال صاحب «العمدة»: «وكلام العرب نوعان: منظوم و منتشر ، ولكلٍّ منها ثلات طبقات: جيدة، و متوسطة، وردية، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية؛ لأنَّ كلَّ منظوم أحسن من كل منتشر من جنسه في معرف العادة، ألا ترى أن الدر، وهو آخر اللفظ ونسيبه، إليه يقاس وبه يشبه، إذا كان منتشرًا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، وإن كان أعلى قدرًا، وأغلى ثمناً، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك اللفظ إذا كان منتشرًا تبدد في الأسماع، وتدرج عن الطياع.

الكذب مذموم إلا من الشعراء :

ومن فضائله: أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسنٌ فيه، وحسبك ما حسن الكذب واغترف له قبحه ، فقد أوعـدر رسول الله ﷺ كعب بن زهير لما أرسـل إلى أخيه بـجير يـنهـاه عن الإـسلام وذـكرـ النبي ﷺ بما أحـفـظـهـ فأرسـلـ إـلـيـهـ أخـوهـ: ويـحكـ إنـ النبيـ أـوـعدـكـ لـماـ بلـغـهـ عنـكـ ، وـقدـ كانـ أـوـعدـ رـجـالـاـ بمـكـةـ مـنـ كـانـ يـهـجوـهـ وـيـؤـذـيهـ فـقـتـلـهـمـ ، يـعـنيـ: ابنـ خـطـلـ ، وـابـنـ حـبـابةـ ، وـإنـ منـ بـقـيـ منـ شـعـرـاءـ قـرـيشـ ؟ـ كـابـنـ الزـبـعـرـيـ ، وـهـبـيرـةـ بنـ أـبـيـ وـهـبـ قدـ هـرـبـواـ فيـ كـلـ وجـهـ فـإـنـ كـانـتـ لـكـ فيـ نـفـسـكـ حـاجـةـ فـطـرـ إـلـىـ رـسـولـ اللهـ فـإـنـهـ لاـ يـقـتـلـ مـنـ جـاءـ

تائباً، وإلا فانج إلى نجائك ، فإنه والله قاتلك ، فضاقت به الأرض فجاء إلى رسول الله متنكراً فلما صلى النبي صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله ثم قال : يا رسول الله إِنَّ كعب بن زهير قد أتى مستأذناً تائباً ، أفتؤ منه ، فأتاك به؟ قال : هو آمن ، فحسر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنشد كعب قصيده التي أولها :

بانت سعادُ قلبي اليوم متبوُلٌ متيمٌ إثراها لم يُفْدَ مكبولٌ
يقول فيها بعد تغزله ، وذكر شدة خوفه ، ووجله :
أنبئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
والعفوُ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مهلاً هداكَ الْذِي أَعْطَاكَ نافلةَ الـ
قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلٌ
لا تأخذني بآقوالِ الوشاة فلمْ
اذنبْ وقد كثرتْ في الأقاويلُ

فلم ينكِر عليه النبي قوله ، وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ، ووَهَبَ له بردته ، فاشترتها منه معاوية بثلاثين ألف درهم ، وقال العتبى : بعشرين ألفاً ، وهي التي توارثها الخلفاء يلبسوها في الجمع والأعياد .

ويروى : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مَرَّ بحسان ، وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ثم قال : أرغاء كرغاء البعير فقال حسان : دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنسد في هذا المسجد لمن هو خير منك فما يغير على ذلك ، فقال عمر : صدقت .

وقال صاحب «العدمة» : «فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَعَاهُمُ الْغَارُونَ أَلَّا تَرَأَنَهُمْ فِي كُلِّ وَادِيهِمْ وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فهو غلط ، وسوء تأويل ؛ لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين ؛ الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ، ومسُوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله

عز وجل ، ونبه عليهم فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ يريد شعراء النبي؛ الذين يتصررون له ، ويحبون المشركين عنه؛ كحسان بن ثابت ، وكمب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم النبي ﷺ: «هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل» وقال لحسان بن ثابت: «اهجهم - يعني قريشاً - وروح القدس معك ، فوالله لهجاوك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات» فلو أن الشعر حرام ، أو مكروه ما اخذ النبي شعراء يشيهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ، ويسمعه منهم .

وأما قوله ﷺ «لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتليء شعراً» فإنما هو من غالب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى . وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين ، والخلفاء من الصحابة ، والتابعين ، والفقهاء المشهورين :

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالوا: واسمي عبد الله بن عثمان ويقال : عتيق لقب له ، قال في غزوة عبيدة بن الحارث :

أَمِنْ طِيفِ سَلْمٍ بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ
أَرْقَتْ أَوْ أَمْرَّ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ
تَرَى مِنْ لَؤِي فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا
عَنِ الْكُفْرِ تَذَكِّرُ وَلَا بَعْثُ بَاعِثِ
رَسُولُ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذِّبُوا
عَلَيْهِ وَقَالُوا: لَسْتَ فِيْنَا بِمَا كَتِّ
إِذَا مَا دَعَوْنَا هُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا
وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجْمَرَاتِ الْلَّوَاهِتِ
فَكُمْ قَدْ مَتَّنَا فِيهِمْ بِقَرَابَةٍ
وَتَرَكَ الثُّقَى شَيْءٍ لَهُمْ غَيْرَ كَارِثٍ

فَإِن يَرْجِعُوا عَنْ كُفُّرِهِمْ وَعَوْقَبَهُمْ
 فَمَا طَيَّبَتِ الْحَلَّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
 وَإِن يَرْكَبُوا طَغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
 فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَا بَثِ
 فَأُولَئِكَ الْرَّاقِصَاتِ عَشِيشَةٌ
 حِرَاجِيْحُ تَحْدِي فِي السَّرَّيْعِ الرَّثَائِثِ
 كَادِمٌ ظَبَاءٌ حَوْلَ مَكَةَ عَكْفُ
 يَرِدْنَ حِيَاضَ الْبَئْرِ ذَاتَ النَّبَائِثِ
 لَئِنْ لَمْ يَفِيقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
 وَلَسْتُ إِذَا آتَيْتُ قَوْلًا بِحَانِثِ
 لَتَبْتَدِرُهُمْ غَارَةً ذَاتَ مَصْدَقِ
 تَحْرِمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ
 تَغَادُرُ قُتْلَى تَعَصِّبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
 وَلَا يَرَأُفُ الْكُفَّارُ رَأْفَ ابْنَ حَارِثَ
 فَأَبْلَغُ بَنِي سَهْمٍ لِدِيكَ رِسَالَةً
 وَكُلَّ كَفُورٍ يَتَغَيِّي الشَّرُّ بِاحْتِ
 فَإِنْ شَتَمُوا عَرْضِي عَلَى سَوَءِ رَأِيهِمْ
 هَذَا وَلَا بدَ مِنَ الْإِلَاعَ إِلَى أَنَّ ابْنَ هَشَامَ قَالَ فِي سِيرَتِهِ: «وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ
 يَنْكِرُ هَذِهِ الْقُصْيَدَةَ لِأَبِي بَكْرٍ».
 وَمِنْ شِعْرِ عَمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَنْفَذِ أَهْلِ زَمَانِهِ لِلشِّعْرِ
 وَأَنْفَذُهُمْ فِيهِ مَعْرِفَةً:
 هَوْنَ عَلَيْكَ فِيْنَ الْأَمْوَالِ رَبِكُفُ الْإِلَهُ مَقَادِيرُهَا
 فَلَيْسَ يَأْتِيكَ مِنْهُمْ وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

ومن شعره أيضاً وقد لبس بردًا جديداً فنظر الناس إليه:
 لاشيءٌ مَا ترى تبقى بشاشته
 يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
 لم تغرن عن هرمنز يوماً خزانته
 والخلدُ قد حاولت عاد فما خلدوها
 ولا سليمان إِذْ تجري الرياحُ له
 والجنةُ والإنس فيما بينها ترددُ
 حوضُ هنالكَ مورودُ بلا كذبٍ
 لا بدَّ من وزده يوماً كما ورددوا
 ومن شعر عثمان بن عفان رضي الله عنه:
 غنى النفس يُغني النفسَ حتى يكفيها
 وإن عصها حتى يضرَّ بها الفقرُ
 وما عسرةٌ - فاصبر لها إنْ لقيتها -
 بكائنةٌ إلا ستبعها يُسرٌ
 ومن شعر علي بن أبي طالب ما قاله يوم صفين يذكر همدان ونصرهم
 إياه:

ولما رأيتُ الخيلَ تُرَجَّمُ بالقنا
 نواصيهَا حمرُ النحورِ دوامي
 وأعرضَ نفعَ في السَّماءِ كأنَّه
 عجاجةٌ دجنَ ملَبسَ بقتامٍ
 ونادي ابنُ هندَ في الكلاعِ وحميرٍ
 وكندةٌ في خمٍ وحبيٌ جذامٍ
 تيمَّمتُ همدانَ الَّذين همُ همُ
 - إذا نابَ دهرٌ - جُتنى وسَهَامى

فجاوبني من خيل همدان عصبة
 فوارسٌ من همدان غير لئامٍ
 فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها
 وكانوا لدى الهيجا كشرب مدامٍ
 فلو كنتُ بوابةً على باب جنةٍ
 لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلامٍ
 ومن شعر الحسن بن علي وقد خرج على أصحابه مختضباً، رواه المبرد:
 تسودُ أعلاها وتأبى أصولها
 فليت الذي يسودُ منها هو الأصلُ
 ومن شعر الحسين بن علي وقد عاتبه أخوه الحسن في أمراته:
 لعمري إني لأحب داراً
 تحل بها سكينة والربابُ
 أحبهَا وأبذلُ جلَّ مالي
 وليس للامي عندي عتابُ
 ومن الخلفاء كثiron قالوا الشعر، فمن شعر عمر بن عبد العزيز:
 أيقطانُ أنتَ اليوم أم أنتَ حالمُ
 وكيفَ يطيقُ النَّومَ حيرانُ هائمُ
 فلو كنتَ يقطان الغداةِ حرقتُ
 جفوناً لعينيك الدموع السواجمُ
 نهاركَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ
 وليلكَ نومٌ والرَّدِي لك لازمُ
 وتشغلُ فيما سوفَ تكرهُ غبَّهُ
 كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ
 واشتهر من الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي بالشعر، فكان من أحسن
 الناس افتاناً بالشعر، وهو القائل:

ومنتعب العيس مرتاحاً إلى بلدِ
والموت يطلبُه في ذلك البلدِ
وضاحكِ والمنايا فوق مفرقه
لو كان يعلمُ غيّاً ماتَ من كمَدِ
من كان لم يؤتَ علمًا فيبقاء غدِ
ماذا تفكّرُه في رزقِ بَعْدِ غدِ
ومن روائعه المشهورة قوله في الحظِ:
الجَدُّ يدْنِي كُلَّ شَيْءٍ شَاسِعٍ
والجَدُّ يفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ
فإِذَا سمعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً حَوَى
عُوداً فَأُورَقَ فِي يَدِيهِ فَصَدَّقَ
إِذَا سمعْتَ بِأَنَّ مَحْرُوماً أَتَى
مَاءً لِيَشَرِّبَهُ فَجَفَّ فَحَقَّ قِ
وأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْهَمَّ امْرُؤٌ
ذُو هَمَّةٍ يُبَلِّي بِرِزْقٍ ضَيِّقٍ
ولِرَبِّمَا عَرَضَتْ لِنفْسِي فَكَرَّةٌ
فَأَوْدُّ مِنْهَا أَنَّـي لَمْ أَخْلَقِ
وحسينا ما تقدم من الاستشهاد، فذلك قد يخرج بنا عن الغرض.
نصائح بوالو للشاعر:

هذا ونختتم المبحث بالنصائح القيمة التي أوردتها الكاتب الفرنسي بوالو للشاعر وخلاصتها: إنه على الشاعر أن يتنتزه عن الإباحية، صحيح أن تصوير الحب مباح، ولكن بحيث لا يكون في هذا التصوير أي نوع من أنواع التبدل، وينبغي أن يتجرد من الغيرة، إنها آفة من آفات رجال الأدب، وهي رذيلة، إن وجدت في أحدهم دلت على ضعف مواهبه. ثم ينبغي عليه أن يكون طيب الصحبة، ممتع الحديث، ثم إن مما يشين شاعراً من الشعراء أن يوجه همه إلى

كسب المال، كما يجدر به - على العكس - أن يسعى لبلوغ المجد، وعليه أن لا يحطّ من قدر الشعر ذلك الفن الإلهي الذي هذب فيما مضى النفوس، وألهب فيها الوطنية، وعلم الحكمة والفضيلة.

٢ - من هو سطح الكاهن:

روى التاريخ: أنَّ سطحياً الغساني كان أكهن الناس، وقد أنذر بسيل العرم، وكان جسده يدرج كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه، وإذا مسست باليد أثرت فيه للين عظمها، وكان أبداً منسطحاً على الأرض، عاش ١٥٠ سنة على ماقيل، ومات في الليلة التي ولد فيها محمد ﷺ، ومن كهانته: أنه لما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشرة شرفة، فأعظم ذلك أهل المملكة، وكتب إلى كسرى صاحب الشام: أن وادي السماوة قد انقطع في تلك الليلة، وكتب إليه صاحب اليمن: أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طبرية: أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب إلى صاحب فارس: أن النار خمدت تلك الليلة، فلما تواترت عليه الكتب؛ أظهر سريره، وبرز إلى أهل ملكته، فأخبرهم الخبر، فقال المويدان: أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني، رأيت إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا. قال فما عندك في تأويلها؟ قال: ما عندي شيء، ولكن أرسل إلى عاملك في الحيرة يوجه إليك رجلاً من علمائهم، فإنهم أصحاب علم بالحدثان. فوجه إليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني، فأخبره كسرى بالخبر، فقال: أيها الملك ما عندي فيها من شيء، ولكن جهزني إلى خالي سطح، فجهزه، فلما قدم عليه وجده قد احتضر، فناداه فلم يجبه، فقال:

أصْمُ أَمْ يسمِّيْ غطرييف اليمَنْ

أتاك شيخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سنَنْ

أيُضُّ فضفاضُ الرِّداءِ والرسَنْ

فرفع إليه سطح رأسه وقال: عبد المسيح، على جمل مشيغ، أقبل إلى

سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلاً صعباً تقد خيلاً عرباً، حتى اقتحمت الواد، وانتشرت في البلاد، يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة، وفاض وادي السماوة، وظهر صاحب الهراء، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات، بعدد ما سقط من الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قال:

إِنْ كَانَ مَلِكُ بْنِي سَاسَانَ أَفْرَطْهُمْ
فَإِنَّ ذَا الَّذِهْرَ أَطْوَارَ دَهَارِيْرُ
مِنْهُمْ بْنُو الصَّرَحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ
وَالْهَرْمَزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
فَرِيمَا أَصْبَحُوا مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ
يَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ
حَشَوا الْمَطَيَّ وَجَدُوا فِي رَحِيلِهِمْ
فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرْجُ وَلَا كُورُ
وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلِمَوْا
أَنْ قَدْ أَفْلَأَ فَمَحْقُورُ وَمَهْجُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرِينِ
وَالْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ
فَأَتَى كَسْرَى فَأَخْبَرَهُ، فَغَمَّهُ ذَلِكُ، فَقَالَ: إِلَى أَنْ يَمْلِكَ مِنَا أَرْبَعَةُ عَشَرَ مَلِكًا
يَدُورُ الزَّمَانُ، فَمَلَكُوكُوا كُلَّهُمْ فِي أَرْبَعِينِ سَنَةٍ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسْ تِلْكَ إِيَّاكَ الْقُرْءَانَ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ هُدَى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَوَةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم يُوْقَنُونَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَاهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَإِنَّكَ لِتَلَقَّى الْقُرْءَانَ كَمِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

○ الإكراب:

﴿ طَسْ تِلْكَ إِيَّاكَ الْقُرْءَانَ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ طس: تقدم الكلام على إعرابها، ومعناها في بحث فواتح السور. وتلك: مبتدأ، وأيات القرآن: خبر، وكتاب مبين: عطف على القرآن، ومبين: صفة. وسيأتي سر التنکير والعلف في باب البلاغة. ﴿ هُدَى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يجوز في هدى: النصب على الحال، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة؛ أي: هاديه وبشرة، ويجوز فيها: الرفع على أنها خبر لمبتدأ ممحض؛ أي: هي هدى وبشرى، ومعنى هداها للمؤمنين وهم مهديون: زيادتها في هداهم ﴿ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ

الرَّكْوَةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُم يُوقَنُونَ》 الَّذِينَ : نَعْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكَ أَنْ تَقْطَعَهُ؛ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ؛ أَيِّ : هُم الَّذِينَ، وَجَمْلَةٌ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ : صَلَةُ الَّذِينَ، وَجَمْلَةٌ يَؤْتُونَ الزَّكَاةَ : عَطْفٌ عَلَى يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَهُم : الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَهُمْ : مُبْتَدَأٌ، أَوْ لِلْعَطْفِ، وَجَمْلَةٌ يَوْقَنُونَ : خَبْرُهُ، وَبِالْآخِرَةِ : مَتَعْلِقَانِ بِيَوْقَنَوْنَ، وَهُمْ : مُبْتَدَأٌ جَيِّءٌ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ؛ لِيَتَصلَّ بِالْخَبْرِ فِي الصُّورَةِ، وَسِيَّأِي سُرُّ التَّغْيِيرِ فِي النَّظَمِ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ . 《إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ》 كَلَامٌ مُسْتَأْنِفٌ مُسْوَقٌ لِبَيَانِ السَّبِبِ فِي عَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَتَحْيِرُهُمْ، وَتَرْدُدُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَإِنْ وَاسْمَهَا، وَجَمْلَةٌ لَا يُؤْمِنُونَ : صَلَةُ الَّذِينَ، وَبِالْآخِرَةِ : جَارٌ وَمُجْرُورٌ مَتَعْلِقَانِ بِيَوْقَنَوْنَ، وَجَمْلَةٌ زَيَّنَا : خَبْرُ إِنْ، وَزَيَّنَا : فَعْلٌ، وَفَاعِلٌ، وَلَهُمْ : مَتَعْلِقَانِ بِزَيَّنَا، وَأَعْمَالُهُمْ : مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْفَاءُ : عَاطِفَةٌ، وَهُمْ : مُبْتَدَأٌ، وَجَمْلَةٌ يَعْمَهُونَ : خَبْرُهُ؛ أَيِّ : يَتَحِيرُونَ، وَيَرْتَدُونَ بَيْنَ تَرْكَهَا - لَا نَهَا وَاضْحَى الْبَطْلَانُ، ظَاهِرَةُ السَّوْءِ - وَبَيْنَ الْاسْتِمْرَارِ عَلَيْهَا، وَقَلِيلٌ : مَعْنَى يَعْمَهُونَ : يَسْتَمِرُونَ مِنْ غَيْرِ تَرْدُدٍ؛ إِذَا لَمْ يَدْرِي فِي خَلْدِهِمْ لَحْظَةً إِلْقَاعِ عَنْهَا، وَهُوَ جَيِّلٌ وَقَوِيٌّ، وَلَكِنَّ الْعَمَهُ هُوَ كَمَا يَقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَئْمَةِ الْلُّغَةِ : التَّرْدُدُ وَالتَّحِيرُ؛ كَمَا يَكُونُ حَالُ الصَّالِحِ عَنِ الْطَّرِيقِ، وَعَنِ بَعْضِ الْأَعْرَابِ : أَنَّهُ دَخَلَ السَّوقَ، وَمَا أَبْصَرَهَا قَطُّ فَقَالَ : رَأَيْتَ النَّاسَ عَمَّهِنِ؟ أَرَادَ : مَتَرَدِّيْنِ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ، وَتَكَادُ تَجْمَعَ مَعَاجِمُ الْلُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْعَمَهَ : مَصْدَرُ عَمَّهِ؛ يَعْمَهُ، وَيَعْمَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ، وَفَتْحٍ، وَعَمَّهَا، وَعَمَّوْهَا، وَعَمْوَهِيَّةٌ، وَعَمَّهَا نَأِيَّا؛ أَيِّ : تَحِيرٌ فِي طَرِيقِهِ، أَوْ : أَمْرٌ، وَتَرْدُدٌ فِي الضَّلَالِ، فَهُوَ عَمِّهُ، وَجَمْعُهُ : عَمَّهُونَ، وَعَامِهُ، وَجَمْعُهُ : عَامِهُونَ، وَعَمَّهُ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أُولَئِكَ : مُبْتَدَأٌ، وَالَّذِينَ : خَبْرُهُ، وَلَهُمْ : خَبْرٌ مُقْدَمٌ، وَسُوءُ الْعَذَابِ : مُبْتَدَأٌ مُؤَخِّرٌ وَالْجَمْلَةُ : صَلَةٌ، وَهُمْ : مُبْتَدَأٌ، وَفِي الْآخِرَةِ : مَتَعْلِقَانِ بِالْأَخْسَرَوْنَ، وَالْأَخْسَرَوْنَ : خَبْرُهُ، وَهُمْ : مُبْتَدَأٌ، جَيِّءٌ بِهِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ؛ لِيَتَصلَّ بِالْخَبْرِ فِي الصُّورَةِ، وَقَدْ تَقْدِمُ بِحَثَّهُ، هَذَا وَلَا بَدَّ مِنِ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ 《الْأَخْسَرَوْنَ》 .

يتحمل أنها على بابها من التفضيل، وذلك بالنسبة للكفار، ويتحمل أنها للبالغة، لا للتشريك؛ لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة. ﴿وَلَئِنْكَ لَتَلَقَّى الْفُرَّاءَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ الواو: استثنافية، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تلقى: خبرها، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والقرآن: مفعول به ثان، ومن لدن: الجار وال مجرور متعلقان بتلقى، وحكيماً: مضاد إليه، وعليناً: صفة.

□ البلاغة:

١- التنکير:

التنکير: فقد نکر الكتاب المبين ليهم بالتنکير فيكون أفحى له، ومثله في ﴿مَقْعَدٌ صَدِيقٌ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّفْتَلِيرٍ﴾ أما عطفه على القرآن مع أنه هو القرآن نفسه، فهو من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى كقولك: هذا فعل السخي والجود الكريم؛ ولأن المعطوف فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه.

٢- تکرار الضمير:

وفي قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾ كرر الضمير حتى صار معنى الكلام: ولا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق، وقد سبق لنا أن ذكرنا: أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الخبر؛ كما مر في قوله تعالى: ﴿هُمْ يُنْشَرُونَ﴾ أن معناه: لا ينشر إلا هم، وأما وجه تکراره هنا: فهو أنه كان أصل الكلام: هم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عنابة به، فوقع فاصلة بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره، وقد حال المجرور بينهما، فطري ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور؛ حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنکر أن تعاد الكلمة مقصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية.

٣- بالاسمية والفعلية :

قلنا في مواطن من هذا الكتاب : إنَّ التعبير يكون أحياناً بالجملة الاسمية ، وأحياناً بالجملة الفعلية ؛ على أن ذلك ليس متروكاً إلى الاعتراض ، وإنما يعدل عن أحد التعبيرين لضربِ من التأكيد ، والبالغة ، والاستمرار والانقطاع ، فإن الإيمان ، والإيقان بالأخرَة أمر ثابت مطلوب دوامه ، ولذلك أتى به جملة اسمية ، وجعل خبرها فعلاً مضارعاً فقال : ﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد ، أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما المعينة ، ولذلك أتى بهما فعلين فقال : ﴿ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْنَ ﴾ .

* الفوائد :

أورد الإمام الزمخشري سؤالاً في هذا الصدد بناء على قاعدهه الاعتزالية وهو : «إإن قلت : كيف أسند تزرين أعمالهم إلى ذاته ، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله : ﴿ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾؟» وقد أجاب بقوله : «قلت : بين الإسنادين فرق وذلك : أنَّ إسناده إلى الشيطان حقيقة ، وإسناده إلى الله عز وجل مجاز ، وله طريقان في علم البيان أحدهما : أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة ، والثاني : أن يكون من المجاز الحكمي ، فالطريق الأول : أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق ، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم ، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم ، وبطرهم ، وإشارتهم الروح والترفة ، ونفارهم عمما يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة ، والمشاق المتعبة ، فكانه زين لهم بذلك أعمالهم ، وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ مَتَعْتَهُمْ وَأَبَكَاهُمْ حَتَّى نَسُوا الْذِكْرَ ﴾ والطريق الثاني : أن إمهاله الشيطان ، وتخليةته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزرين ، فأسنده إليه ؛ لأنَّ المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات . وقيل : هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها ، زينها الله لهم ، فعمهموا عنها ، وضلوا . ويعزى إلى الحسن ».

وقد أجاب أهل السنة: بأن هذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة، فمن ثم جعل التزين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لفاز بالصواب، وتأمل ميله إلى التأويل الآخر: من أن المراد: أعمال البر على بعده؛ لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض، على أن التزين قد ورد في الخير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَسَّأَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ على أن غالب وروده في غير البر؛ كقوله: ﴿رُزِّقَنَّ لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهَوَاتِ﴾، و﴿رُزِّقَنَ لِلنَّاسِ كُفْرًا أَلْحِيَّةً الدُّنْيَا﴾ و﴿كَذَلِكَ رُزِّقَنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ وما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله: أعمالهم، وأعمال البر ليست مضافة إليهم؛ لأنهم لم يعملاها قط، فظاهر الإضافة يعطي ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وقوله: ﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ فأطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم؛ لأنه لم يصدر منهم، وأضاف الإسلام الظاهر إليهم لأنه صدر منهم.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَعَاتِكُمْ مِنْهَا يَخْبِرُ أَوْ إِاتِكُمْ شَهَابٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ بُرُوكَ مَنْ فِي الْأَنَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَسْمُوْسَى إِنَّهُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِالْحَكْمِ وَاللَّهُ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهَزُّ كَانَهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَسْمُوْسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ الرَّسُولُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُرَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْلِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نَسْعَ إِنَّتِي إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ إِنَّهُمْ كَافُرُ قَوْمًا فَلَسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَيَّلَنَا مَبْصَرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيقَنْتُهَا أَنَّفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَذَّبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

☆ اللَّغْةُ:

﴿آنَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد، ويقال: آنست ناراً، وآنست فرعاً، وآنست

منه رشداً، فهو يطلق على المادي والمعنوي.

﴿إِشَابٍ قَبِيسٍ﴾ يقرأ بالإضافة، وتركتها، كما سيأتي في الإعراب، والشهاب: كل مضيء متولد من النار، وما يرى كأنه كوكب انقض، والكوكب عموماً، والستان لما فيه من البريق، وجمعه: شُهْبُ، وشُهْبان، وشُهْبان، وأشُهْبُ، ويقال: فلان شهاب حرب؛ إذا كان ماضياً فيها؛ والقبس بفتحتين: النار المقوسة، تقول: خذ لي قبساً من النار، ومِقْبَسًا، واقبس لي ناراً، واقتبس، ومنه: ما أنت إلا كالقارب العجلان؛ أي: المقتبس، وما زورتك إلا كقبضة العجلان، وتقول: ما أنا إلا قبضة من نارك، وقبضة من آثارك، وقبسته ناراً، وأقبسته؛ كقولك: بغئيل الشيء، وأبغتيه ومن المجاز: قبسته علمأً، وخبرأً، وأقبست.

﴿تَصْطَلُونَ﴾ فيه الإبدال؛ لأن أصله: تصتلون، فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الإطباقي، وهو الصاد، قلبت طاء على القاعدة، وهو: من صلي بالنار بكسر اللام، وفي «المصبح»: «صلي بالنار، وصليلها، صَلَى»، من باب تعب: وجد حرها، والصلاء بوزن كتاب: حر النار، وصليل اللحم، أصليه، من باب رمي: شويته وفي «الأساس»: «وصللي النار، وصللي بها» ﴿يَصْلَى النَّارُ الْكَبِيرَ﴾ وتصلاها، وتصلى بها، وأصلاه، وصلأه، وشاة مصلية: مشوية، وقد صليتها».

﴿جَانٌ﴾: حية خفيفة الحركة، وقال في «القاموس» و«التاج»: «والجانُ»: اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤدي، كثيرة في الدور» قالوا: وهي كبيرة جداً؛ وإن كانت خفيفة في سرعة الحركة.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع، يقال: عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرار قال:

فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ مِنْ مَعْقِبٍ

وَلَا نَزَلُوا يَوْمَ الْكَرْبَلَةِ مَنْزِلًا

يصف قوماً بالجبن، وأنهم إن قيل: هل من معقب، وراجع على عقبه للحرب؛ لم يرجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلًا من منازلها وفي

«المختار» : «وتقول : ﴿وَلَيْ مُدِرِّكَ وَلَرْ يَعِقْبَ﴾ بتشديد القاف ، وكسرها ؛ أي : لم يعطف ولم يتضرر» .

﴿جَيِّكَ﴾ : طوق قميصك ، وسمى جيماً لأنه يحاب ؛ أي : يقطع ليدخل فيه الرأس .

﴿وَأَسْتَيقْنَتْهَا﴾ : الاستيقان أبلغ من الإيقان ، فلا معنى لقول بعض المفسرين : أن السين لمجرد الزيادة .

○ الاءات :

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنْتَمُ نَارًا﴾ كلام مستأنف مسوق لذكر قصص خمس من قصص الأولين ؛ الأولى : قصة موسى ، وتليها : قصة النمل ، وتليها : قصة بلقيس ، وتليها : قصة صالح ، وتليها : قصة لوط ، والظرف : متعلق بفعل مخدوف ، تقديره : اذكر ، وقد تقدم كثيراً تقرير ذلك ، وجملة قال : في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وموسى : فاعل ، ولاهله : متعلقان بقال ، وجملة إني آنست ناراً : مقول القول ، وإن واسمها ، وجملة آنست : خبرها ، وناراً : مفعول به . وأهله : عbara عن زوجة بنت شعيب ، وولده ، وخادمه ، وذلك عند قوله من مدین إلى مصر ؛ ليجتمع بأمه وأخيه في مصر ، وقيل : لم يكن معه غير امرأته ، وقد كنى الله عنها بالأهل ، وتبعداً لذلك أورد الخطاب بالجمع . ﴿سَكَاتِيكُ مِنْهَا يُخَدِّرُ أَوْ إِاتِيكُ شَهَابٍ قَبِيسٌ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوبُ﴾ الجملة : استئنافية ، وآتياكم : فعل مضارع ، وفاعله : مستتر ، تقديره : أنا ، والكاف : مفعول به ، وجاء بسين التسويف للإشارة إلى أنه عائد ، وإن أبطأ فربما كانت المسافة بعيدة ، ومنها : متعلقان بمخدوف حال ؛ لأنه كان في الأصل صفة الخبر ، وبخبر : متعلقان بآتياكم ، وأو : حرف عطف ، وللعدول عن الواو إلى أو سر سيأتي في باب البلاغة ، وآتياكم : عطف على آتياكم الأولى ، وبشهاب : متعلقان بآتياكم ، وقبس : بدل من شهاب ، أو : نعت له على تأويله بالمفعول ؛ أي : شهاب مقتبس من نار ، وقرىء بالإضافة ، لأن الشهاب يكون قبساً وغيره ، كالكوكب ، فهو من إضافة النوع إلى جنسه ، كخاتم فضة ، وثوب

حز، وهي بمعنى: من، ولعلكم تصطلون: جملة الرجاء حالية، ولعل،
واسمها، وخبرها، أي: راجياً تأمين الدفء لكم وتوفيره.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الفاء: عاطفة على مذدوف
للاختصار، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءها: فعل، وفاعل مستتر،
ومفعول به، وجملة نودي: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونائب
فاعل نودي: ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على موسى، وأن: هي
المفسرة؛ لأن في النداء معنى القول دون حروفه، والمعنى: قيل له: بورك،
ويجوز أن تكون على حالها؛ أي: ناصبة للفعل المضارع، وقد دخلت على
الماضي، أو مخففة من الثقلية، وأن وما بعدها: في تأويل مصدر منصوب بنزع
الخافض؛ أي: بأن بورك، وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحًا لأنها
واهنة، وبورك: فعل ماض مبني للمجهول، ومن: نائب فاعل، وفي النار:
جار و مجرور متعلقان بمذدوف صلة من؛ أي: في مكان النار، ومن حولها:
عطف على من في النار، والمراد بمن: إما الله تعالى على حذف؛ أي: قدرته،
وسلطانه، وقيل: المراد: موسى، وقيل: المراد بمن: غير العقلاء، وهو
النور، والأمكنة التي حولها.

﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو: استئنافية، وسبحان: مفعول مطلق
لفعل مذدوف، والله: مضاد إليه، ورب العالمين: بدل، أو: نعت.
﴿يَسْمُوْتَ إِنَّهُ إِنَّا لِلَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يا: حرف نداء، وموسى: منادي مفرد علم،
 وإن، واسمها، والهاء: إما ضمير الشأن، أو: راجعة إلى مادل عليه ما
قبلها، يعني: إن مكلمك، وأنا: مبتدأ، والله: خبر، والجملة: خبر إن،
والعزيز الحكيم: صفتان. ﴿وَأَلَّى عَصَابَكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهَرَّ كَانَهَا جَانَ وَلَيْ مُدِيرًا وَلَيْ
يُعَرِّقَتِ﴾ الواو: حرف عطف، وألق: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة،
والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والكلام معطوف على بورك؛ لأن
المعنى: نودي: أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك، وهذا ما يرجح كون
أن مفسرة كما تقدم، وعصاك: مفعول، فلما: الفاء: عاطفة على مذدوف؛

أي : فألقاها ، فاستحال حية فلما ، ولما : ظرف بمعنى : حين ، أو : رابطة ، وجملة رآها : في محل جر بإضافة الظرف إليه ، ورأها : فعل ، وفاعل ، ومفعول به ، وجملة تهتز : في محل نصب على الحال ؛ لأن الرؤية هنا بصرية ، وكأنها جان : لأن ، واسمها ، وخبرها ، والجملة : في محل نصب حال ثانية ، أو : هي حال من ضمير تهتز ، فهي حال متداخلة ، وجملة ولـ : لا محل لها ، ومدبراً : حال من فاعل ولـ ، والواو : حرف عطف ، ولم : حرف نفي ، وقلب ، وجزم ، ويعقب : فعل مضارع مجزوم بلم . ﴿يَمُوسَى لَا تَخْفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَّيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ الجملة : مقول القول ممحذوف ؛ لابد من تقديره ؛ أي : قال تعالى ، ويَا مُوسَى : منادي مفرد علم ، ولا : نهاية ، وتحفـ : فعل مضارع مجزوم بلا ، وإن ، واسمها ، وجملة لا يخافـ : خبرها ، والجملة تعليلية للنهي عن الخوف ولديـ : ظرف متعلق بيـخافـ ، والمـرسـلـونـ : فاعـلـ . ﴿إِلَّا مَنْ طَلَّقَ ثُرَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ إلاـ : أدـاةـ استثنـاءـ بـمعـنىـ : لكنـ ؛ لأنـ الاستثنـاءـ منـقطعـ ، وـمـنـ : اسمـ موصـولـ مستـشـنىـ فيـ موضـعـ نـصـبـ ، وـيجـوزـ أنـ تكونـ شـرـطـيةـ ، فـتـكـونـ مـبـتدـأـ ، والـجـملـةـ مـسـتـشـناـةـ مـنـ أـعـمـ الـأـحـوالـ ، وـظـلـمـ : فعلـ ماـضـ فيـ محلـ جـزـمـ فعلـ الشـرـطـ ، ثمـ بـدـلـ : عـطـفـ عـلـىـ ظـلـمـ ، وـحـسـنـاـ : مـفـعـولـ بـهـ ، وـبـعـدـ سـوءـ : ظـرفـ مـتـعـلـقـ بـمـحـذـوفـ صـفـةـ لـحـسـنـاـ . ﴿فَإِنِّي عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾ الفاءـ : وـاقـعـةـ فيـ جـوابـ «ـمـنـ» عـلـىـ الـوـجـهـيـنـ ، وـإـنـ ، وـاسـمـهاـ ، وـخـبـراـهاـ .

﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ الواوـ : عـاطـفـةـ ، وـأـدـخلـ : عـطـفـ علىـ وـأـلـقـ عـصـاكـ ، وـيـدـكـ : مـفـعـولـ بـهـ ، وـفـيـ جـيـبـكـ : مـتـعـلـقـانـ بـأـدـخلـ ، وـتـخـرـجـ : فعلـ مضـارـعـ مـجـزوـمـ ؛ لأنـ جـوابـ الـأـمـرـ ، وـفـاعـلـ تـخـرـجـ : ضـمـيرـ مـسـتـرـ ، تقـديرـهـ : هيـ ، وـبـيـضـاءـ : حالـ منـ فـاعـلـ تـخـرـجـ ، وـمـنـ غـيرـ سـوءـ : مـتـعـلـقـانـ بـيـضـاءـ ؛ لماـفيـهاـ مـنـ معـنىـ الـفـعـلـ ، وـقـدـ تـقـدـمـ هـذـاـ فيـ «ـطـهـ»ـ ، وـاخـتـارـ أبوـ الـبقاءـ أنـ يكونـ الـجـارـ وـالـجـرـورـ حـالـاـ آخـرىـ ، وـاخـتـارـ السـمـينـ أنـ يكونـ صـفـةـ لـبـيـضـاءـ . ﴿فِي تَسْعَ آيَاتٍ إِلَى فَرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِنَّهُمْ كَافُرُوا قَوْمًا فَنِسِيقِينَ﴾ كـلامـ مـسـتـأـنـفـ ، وـحـرـفـ الـجـرـ يـتـعـلـقـ بـالـفـعـلـ المـحـذـوفـ ؛ أيـ : اـذـهـبـ فيـ تـسـعـ آيـاتـ إـلـىـ فـرـعـونـ ،

وقدره بعضهم بمحذوف، أي: مرسلًا، فيكون محله: النصب على الحال، والأول أولى، وله نظائر، قال:

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ يَحْسُدُ الْإِنْسُنَ الطَّعَامَا

وهناك أقوال متشعبة للمعريين، سنوردها في باب الفوائد؛ لصدق الأذهان.

وقمه: عطف على فرعون، وجملة إنهم: تعلييل للأمر بالذهب، وجملة كانوا: خبر إن، وقولاً: خبر كانوا، وفاسقين: صفة، وقد تقدمت الآيات التسع. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا يَنْهَا مُبِصِّرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، وقد تقدم ذلك كثيراً، ومبصرة: حال، وسيأتي معناها في باب البلاغة، وجملة قالوا: لا محل لها، وهذا: مبتدأ، وسحر: خبر، ومبين: صفة، والجملة: مقول القول. ﴿وَجَحَدُوا إِيمَانَهَا وَأَسْيَقْنَاهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعَلُوْكًا﴾ جحدوا: عطف على قالوا: وبها: متعلقان بجحدوا، والواو: للحال، وقد بعدها مضمرة، واستيقناتها أنفسهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وظلماً: مفعول لأجله؛ لأنّه علة للجحد، أو: حال من فاعل جحدوا؛ أي: ظالئين مستكبرين. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِنْقَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان، وعاقبة المفسدين: اسم كان، والجملة: معلقة لانظر عن العمل، فهي محل نصب بتنع الخافض؛ لأن انظر بمعنى: تفكّر.

□ البلاغة:

١- استعمال «أو» بدل الواو:

في قوله: ﴿إِنَّ مَنْسَتُ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِّنْهَا يُخَبِّرُ أَوْ إِاتِكُمْ شَهَابٍ قَبَسٌ لَّمْكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ آخر «أو» على الواو لنكتة بلاغية رائعة؛ فإن أو: تفيد التخيير، وقد بنى رجاءه على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم واحدة منهمما، وهما

إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار هضماً لنفسه، واعترافاً بقصوره نحو ربه، وقد كانت الليلة شاتية مظلمة، وقد ضل الطريق، وأخذ زوجته المخاض، وهذا موطن ترلق فيه أقلام الكتاب الذين لا يدركون أسرار البيان، وخاصة في استعمال الحروف العاطفة والجارة، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن.

٢- المجاز العقلي:

في إسناد الإبصار إلى الآيات في قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا يَرَوْنَهُمْ وَيَحْبَزُونَ أَنْ يَكُونُ الْمَجَازُ مَرْسَلًا﴾، والعلاقة السببية؛ لأنها سبب الإبصار، وهذا أولى من قول بعضهم: إن «مبصرة»: اسم فاعل، والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفظ وضوحاً، وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر.

* الفوائد:

أقوال المعربين في «في تسعة آيات»:

تشعبت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وهي: ﴿فِي تَسْعَةِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ وقد اخترنا لك في الإعراب أمثلها، وأسهلها، وسنورد بقية الوجوه؛ لأنها واردة ومعقولة؛ لتشحد ذهنك وتخثار منها ما تراه أدنى إلى المنطق؛ فالإعراب منطق قبل كل شيء.

أما الزمخشري: فقد اكتفى بالوجه الذي اخترناه في الإعراب قال: «في تسعة آيات: كلام مستأنف، وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: اذهب في تسعة آيات؛ أي: في جملة تسعة آيات وعدادهن، ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة اثنان منها: اليد، والعصا، والتسع: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسمة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم».

وقال أبو البقاء: ﴿فِي تَسْعَةِ﴾: «حال ثالثة، وأراد بالحالين الأولى والثانية

قوله: بيضاء، وقوله: من غير سوء، وإلى فرعون: متعلقة بمحذوف، تقديره: مرسلًا إلى فرعون، ويجوز أن يكون صفة لتسع، أو: آيات، أي: وائلة إلى فرعون».

وجعل الزجاج «في» بمعنى «من» وعلقها بألق، قال: «كما تقول خذ لي من الإبل عشرًا، فيها فحلان، أي: منها فحلان».

وأما ابن عطية فقد أيد الزجاج في تعليقها بألق، وجعل «في» بمعنى «مع» لأن اليد والعصا حينئذ داخلتان في الآيات التسع، وقال: «تقديره: يمهد لك ذلك، وينشره في تسعة». وقال آخرون: هو كما قال ابن عطية، وتكون اليد والعصا خارجتين من التسع.

واختار الحال أن تتعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج، وقد صرخ بهذا المحذوف في سورة «طه» حيث قال هناك: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرِ سُوَءٍ أَيّْهَا الْأُخْرَى﴾ فالمعني هنا: حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع.

﴿ وَلَقَدْ أَئْتَنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَنَ عَلَمًا وَقَالَا لِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾١٤﴿ وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاؤِدَ وَقَالَ يَتَأْيَاهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾١٥﴿ وَحُشَرَ لِسْلَيْمَانَ جُنُودُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُورَعُونَ ﴾١٦﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادَّ النَّمَلَ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْيَاهَا النَّمَلُ أَدْخِلُوهُ مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾١٧﴿ فَبَسَّمَ صَاحِحَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴾١٨﴿ أَصْلِحِينَ

الصَّالِحِينَ ﴾١٩﴾

☆ الْلُّغَةُ :

﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ المنطق: مصدر نطق، ينطق، من باب ضرب، نطقًا،

ومنطقاً، ونطقاً؛ أي: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والمنطق: الكلام، وقد يستعمل في غير الإنسان، يقال: سمعت منطق الطير، وقال البيضاوي: «والنطق، والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان، أو: مركباً، مفيداً كان، أو: غير مفيد، وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه، أو: التبع؛ كقولهم: نطقت الحمام، ومنه: الناطق، والصمت للحيوان والجماد؛ فإن الأصوات الحيوانية من حيث أنها تابعة للتخييلات منزلة منزلة العبارات، لا سيما وفيها ما يتفاوت بتفاوت الأغراض، بحيث يفهمها ما هو من جنسه».

وزاد الزمخشري على ما قاله البيضاوي: «وقد ترجم يعقوب ابن السكري كتابه بإصلاح المنطق، وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم».

هذا ويبدو: أنَّ الأصل الاشتقاقي لكلمة المنطق يظهرنا على الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة، فإنَّ الحيوان المفكر هو وحده الحيوان المتكلم، ولن يست اللغة مجرد أداة اصطناعها العقل البشري للتعبير عن أغراضه ومراميه، بل هي أيضاً وسيلة إلى التجدد عن الأعراض الحسية واصطناع بعض الرموز، أو الدلالات المعنوية.

وعلم المنطق: هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسدته، فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء، وفي الأحكام، كما أنه يهتم بالتعرف على المناهج المختلفة في دراساتهم المتعددة وأبحاثهم المتباينة، حقاً إنَّ موضوع المنطق هو التفكير الإنساني بصفة عامة، ولكن المنطق لا يقتصر على وصف العمليات الذهنية التي تقوم بها حين نفكر، أو نحكم، أو نجرد أو نتذكر، أو نحل مشكلة، بل هو يريد أيضاً أن يعيننا على التمييز بين الحكم الصحيح، والحكم الخاطئ، بين الاستدلال السليم، والاستدلال الفاسد.

وقد اهتم فلاسفة اليونان الأقدمون بدراسة العلاقة بين صورة الفكر ومادته؛ أي: بين الناحية الشكلية للأحكام، أو القضايا، ومضمون التفكير

نفسه، فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق، وهكذا اهتم سocrates، وأفلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين، فوضعا للرّد عليهم أصول التفكير الجدلية السليمة، ثم جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات، والقسمة المنطقية، وطرق إبراد البرهنة، ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم: «التحليلات الأولى» وإن كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق؛ فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبaitته بـأماراة المنطق.

أما في العصور الحديثة: فقد ثار كلّ من ي يكون، وديكارت على منطق أرسطو بدعوى: أنه منطق صوري مجدب. ثم فطن المناطقة أخيراً إلى ضرورة تخلص الفكر من سحر الألفاظ، وتحريره من سلطان اللغة، فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علم رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية.

﴿يُؤَزَّعُونَ﴾: يحبس أولهم على آخرهم؛ أي: توقف سلاف العسكر حتى تلتحقهم التوالي، وسلام العسكرية يعني: متقدميهم: كما في «الصالح»، وفي «المختار»: «وزعه، يزعه، وزعاً، مثل: وضعه، يضعه، وضعًا؛ أي: كفه، فatzع هو؛ أي: كفّ، وأوزعه بالشيء: أغراه به، واستوزعت الله شكره فأوزعني؛ أي: استلهمنته، فاللهمني، والوازع: الذي يتقدم الصدف، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر، وجمعه: وزعة، وقال الحسن: لابد للناس من وازع؛ أي: من سلطان يكتفهم، يقال: وزَعْتُ الجيش: إذا حبست أولهم على آخرهم».

﴿نَمَّلَة﴾: النمل، والنمل، بضم الميم: حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل، ودهاليز، وغرف، وطبقات منعطفة، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء، الواحدة: نملة، ونملة: للذكر والأنثى، والجمع: نمال.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة: أنه وقف على قتادة، وهو يقول:

نفسه، فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق، وهكذا اهتم سocrates، وأفلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين، فوضعوا للرّد عليهم أصول التفكير الجدلية السليمة، ثم جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات، والقسمة المنطقية، وطرق إيراد البرهنة، ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم: «التحليلات الأولى» وإن كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق؛ فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبaitته بأمارنة المنطق.

أما في العصور الحديثة: فقد ثار كلٌّ من ي يكون، وديكارت على منطق أرسطو بدعوى: أنه منطق صوري مجدب. ثم فطن المناطقة أخيراً إلى ضرورة تخلص الفكر من سحر الألفاظ، وتحريره من سلطان اللغة، فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علمًّا رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية.

﴿يُؤَذِّعُونَ﴾: يحبس أولئك على آخرهم؛ أي: توقف سلاف العسكر حتى تلتحقهم التواли، وسلام العسكر يعني: متقدميهم: كما في «الصالح»، وفي «المختار»: «وزعه، يزعمه، وزعًا، مثل: وضعه، يضعه، وضعًا؛ أي: كفه، فatzع هو؛ أي: كف، وأوزعه بالشيء: أغراه به، واستوزعت الله شكره فأوزعني؛ أي: استلهمنته، فألهمني، والوازع: الذي يتقدم الصفة، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر، وجمعه: وزعة، وقال الحسن: لابد للناس من وازع؛ أي: من سلطان يكشفهم، يقال: وَزَعْتُ الجيش: إذا حبس أولئك على آخرهم».

﴿نَمَلَة﴾: النمل، والنمل، بضم الميم: حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل، ودهاليز، وغرف، وطبقات منعطفة، يملؤها حبوبًا وذخائر للشتاء، الواحدة: نملة، ونملة: للذكر والأنثى، والجمع: نمال.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة: أنه وقف على قنادة، وهو يقول:

مقول القول، والذي: اسم موصول صفة الله، وجملة فضلنا: صلة، وعلى كثير: متعلقان بفضلنا، ومن عباده: صفة لكثير، والمؤمنين: صفة لعباده.

﴿وَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوِدَ وَقَالَ يَكِيدَاهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَطْقَ الظَّيْرِ﴾ الواو: استئنافية، وورث سليمان داود: فعل، وفاعل، ومفعول به، وقال: عطف على ورث، ويا أيها الناس: تقدم إعرابها، وعلمنا: فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول، ونا: نائب فاعل، ومنطق الطير: مفعول به ثان.

﴿وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ وأوتينا: عطف على علمنا، ومن كل شيء: متعلقان بأوتينا، وإن هذا: إن، وأسمها، وهو كلام مستأنف مسوق على سبيل إيراد الشكر والحمدة، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والفضل: خبر إن، أو: خبر هو، والجملة: خبر إن، والمبين: صفة للفضل.

﴿وَحَشَرَ لِسَلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ وَالظَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الواو: استئنافية، وحشر: فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول، ولسليمان: متعلقان بحشر، وجنوده: نائب فاعل، ومن الجن والإنس والطير: حال من جنوده، والفاء: الفصيحة، وهم: مبتدأ، وجملة يوزعون: خبر، وسيأتي في باب البلاغة ما يرويه التاريخ عن معسكر سليمان.

﴿حَقَّ إِذَا أَتَكُمْ عَلَى وَادِ النَّمَلِ قَالَتْ نَمَلٌ يَكِيدَاهَا النَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ حتى: حرف غاية لمحذوف، تقديره: فساروا حتى إذا أتوا، ويجوز أن يكون غاية ليوزعون؛ لأنَّه مضمون معنى: فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مقارقة بعض؛ حتى إذا أتوا، وعلى وادي النمل: جار و مجرور متعلقان بأتوا، وسيأتي سر تعليقه بأنَّوا في باب البلاغة، وجملة قالت نملة: لا محل لها، ويا أيها النمل: تقدم إعرابها، وادخلوا مساكنكم: فعل، وفاعل، ومفعول به على السعة، وسيأتي ما قاله السيوطي في «الإنقان» عن قول النملة.

﴿لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سَلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نهيٌ مستأنفٌ لا تعلق له بما قبله؛ أي: لا تكونوا بحيث يحطمونكم ويجوز أن يكون الكلام بدلاً من جملة الأمر مثله، وهو: ادخلوا مساكنكم. وقد تصدى الزمخشري لهذا التعبير فقال «فإن قلت

لا يحطمكم ما هو؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، فيحطمنكم، على طريقة: لا أرىتك ها هنا» ولا: نهاية، ويحطمنكم: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والكاف: مفعول به، وسليمان: فاعل، وجنوده: عطف على سليمان، وهم: الواو: حالية، وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون: خبر، والجملة: حالية. ﴿فَبِسْمِ رَضَا حَكَمَ مِنْ قَوْلَهَا﴾ الفاء: عاطفة على مذوف يقتضيه السياق؛ أي: فسمع قولها المذكور، فتبسم، وضاحكاً: حال مؤكدة، وسيأتي سر ما أضحكه في باب الفوائد، ومن قولها: متعلقان بضاحكاً. ﴿وَقَالَ رَبِّ أُوزِعْنِي أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى الَّذِي أَنْعَمْتَ﴾ وقال: عطف على فتبسم، ورب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء: مذوف، وأوزعني: فعل دعاء، وفاعل مستتر، ومفعول به، وأن وما في حيزها: مفعول ثان لأوزعني؛ لأنه متضمن معنى الإلهام؛ أو: نصب بتزع الخافض؛ أي: بأن أشكر نعمتك، والتي: صفة لنعمتك، وجملة أنعمت: صلة، وعلى: متعلقان بأنعمت، وعلى الذي: عطف على على. ﴿وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحَاتِكَ تَرَضَنِهُ﴾ جملة معطوفة. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ﴾ الواو: حرف عطف، وأدخلني: فعل دعاء، وفاعل، ومفعول به، ويرحمتك: متعلقان بمحذوف حال، والباء: للسببية، وفي عبادك: متعلقان بأدخلني، والصالحين: نعت لعبادك.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى ندرجها فيما يلي:

١- التنکير وأسراره:

ففي قوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمًا﴾ التنکير، وفائدته: إفاده التبعيس، والتقليل، أو إفاده التعظيم، والتکثير، والثاني هو المراد هنا؛ فظاهر قوله في ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمًا﴾ في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه؛ كأنه قال: علماً أي علم، وهو كذلك، فإن علمهما كان ما

يستغرب ، ويستعظم ، ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات ، على أن كل علم بالإضافة إلى علم الله قليل ضئيل .

قصة رائعة :

ونورد هنا قصة مروية جرياً على عادتنا في إدراج القصص المروية ؛ لتكون مصدر إلهام للكتاب ومعالم صبح لهم . قال مقاتل : كان سليمان جالساً في معسكره ، وكانت مساحته مئة فرسخ في مئة ، خمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش ، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب ، وابريسم فرسخاً في فرسخ ، فمر به طائر يطوف ، وفي رواية : رأى ببلأ على شجرة ، فقال جلسياه : أتدرون ما يقول هذا الطائر ؟ قالوا : الله ونبيه أعلم ، قال : يقول : أكلت نصف قرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهده فوق شجرة ، فقال : استغروا الله يا مذنبون ، وصاحب فاختة ، فأخبر : أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول : كما تدين تدان ، وصاح طيطوى فقال : يقول : كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وصاح خطاف ، فقال : يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وصاح قمري فأخبر : أنه يقول : سبحان رب الأعلى ، وقال : الحدا يقول : كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : ويل من الدنيا لهم ، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلون ، والنسر يقول : يا بن آدم عش ما شئت آخرك الموت ، والعقارب يقول : في البعد من الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان رب الأعلى .

٢- استعمال حرف الجر :

وقال : ﴿حَقَّ إِذَا أَتَوْنَ عَلَى وَادِ الْنَّمِيل﴾ فعدى أتوا بعلى ؛ لأن الإتيان كان من فوق ، فأتى بحرف الاستعلا ، وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية فقال :

فلشدَّ ما جاوزَتْ قدرَكَ صاعِدًا ولشدَّ ما قربَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ
فقد عنى بالأنجوم أبيات شعره ، ويقول : ما أشد ما تجاوزت قدرك ؟ حتى

بعثت تسألني المديح، ومسألتك إبّا ي مدحك تجاوز منك لقدرك؛ حين طلبت أن تهبط الأنجم من سمواتها لتكون قريبة منك. وهذا البيت من أمض الهجاء وأقذعه، وهو من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، فقد سافر من الرملة يريد أنطاكية، فنزل بطرابلس، وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلّغ، وكان جاهلاً يجالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة، فقالوا له: أتحب أن يتتجاوزك ولا يمدحك، وجعلوا يغرونـهـ، فراسلهـ أن يمدحـهـ، فاحتـاجـ عليهـ بـيمـينـ لـحـقـتهـ لا يـمدـحـ أحدـاـ إلى مـدـةـ، فـعـاقـهـ عن طـرـيقـهـ يـتـظـرـ المـدـةـ، وـأـخـذـ عـلـيـهـ الـطـرـيقـ وـضـبـطـهـ، وـمـاتـ النـفـرـ الـثـلـاثـةـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ يـغـرـونـهـ في مـدـةـ أـرـبـعـينـ يـوـمـاـ، فـهـجـاهـ أـبـوـ الطـيـبـ المـتـنـبـيـ، وـأـمـلـاـهـ عـلـىـ مـنـ يـشـقـ بـهـ، فـلـمـاـذـابـ الثـلـجـ خـرـجـ كـأـنـهـ يـسـيرـ فـرـسـهـ، وـسـارـ إلى دـمـشـقـ، فـأـتـيـعـهـ اـبـنـ كـيـغـلـغـ خـيـلـاـ وـرـجـلـاـ فـأـعـجزـهـمـ وـظـهـرـتـ القـصـيـدةـ وأـولـهـاـ:

لـهـوـىـ الـنـفـوسـ سـرـيـةـ لـاـ تـعـلـمـ
عـرـضاـ نـظـرـتـ وـخـلـتـ أـئـيـ أـسـلـمـ
وـمـنـ أـبـيـاتـ الـحـكـيـمـةـ فـيـهـاـ:
وـلـقـدـ رـأـيـتـ الـحـادـثـاتـ فـلـاـ أـرـىـ
يـقـقاـ يـمـيـتـ وـلـاـ سـوـادـاـ يـعـصـمـ
وـالـهـمـ يـخـتـرـمـ الـجـسـيـمـ نـحـافـةـ
وـيـشـيـبـ نـاصـيـةـ الصـبـيـ وـيـهـرـمـ
ذـوـ الـعـقـلـ يـشـقـيـ فـيـ التـعـيـمـ بـعـقـلـهـ
وـأـخـوـ الـجـهـالـةـ فـيـ الشـقـاـوـةـ يـئـعـمـ
وـالـنـاسـ قـدـ نـبـذـوـاـ الـحـفـاظـ فـمـطـلـقـ
يـنـسـىـ الـذـيـ يـولـيـ وـعـافـ يـنـدـمـ
لـاـ يـخـدـعـنـكـ مـنـ عـدـوـ دـمـعـهـ
وـارـحـمـ شـبـابـكـ مـنـ عـدـوـ تـرـحـمـ

لا يسلِّمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذِى
 حَتَّى يَرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْءِ الْقُوَّسِ إِنْ تَجْدُ
 ذَا عَفَّةً فَلَعْلَةً لَا يَظْلِمُ
 ثُمَّ تَطْرَقُ إِلَى هَجَاءِ ابْنِ كِيْغَلْغَ فَقَالَ وَأَقْذَعَ:
 يَحْمِي ابْنُ كِيْغَلْغَ الطَّرِيقَ وَعَرْسُهُ
 مَا بَيْنَ رِجْلِيهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ
 أَقْمِ الْمَسَالِحَ فَوْقَ شُفَرِ سَكِينَةٍ
 إِنَّ الْمَنِيَّ بِحَلْقَتِهَا خَضْرَمُ
 وَارْفَقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصُ
 وَاسْتَرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مَظْلِمُ
 وَاحْذَرْ مَنَاوَةً الرِّجَالِ فَإِنَّمَا
 تَقوِيُّ عَلَى كَسْرِ الْعَبِيدِ وَتَقْدُمُ
 وَعَنَاكَ مَسَأَلَةً وَطِيشُكَ نَفْخَةً
 وَرَضَاكَ فِيشَلَةً وَرَبِّكَ دِرْهَمُ
 ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْحُكْمَةِ الْمَلَائِمَةِ فَيَقُولُ:
 وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوْيِ
 عَنْ غَيِّهِ وَخَطَابٌ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ
 تَحْتَ الْعُلُوْجِ وَمَنْ وَرَاءِ يَلْجَمُ
 وَجْفَوْنَهُ مَا تَسْقُرُ كَائِنَهُ
 مَطْرُوفَةً أَوْ فُثَّ فِيهَا حُضْرَمُ
 وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَائِنَهُ
 قَرْدٌ يَقْهَقِهُ أَوْ عَجْزُورٌ تَلْطُمُ

يقلِي مفارقَةُ الْأَكْفَ قذاله
 حتَى يكادَ عَلَى يَدِي يَتَعَمَّمُ
 وَتَرَاهُ أَضْغَرَ مَا تَرَاهُ ناطقاً
 وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ
 وَالذُّلُّ يَظْهُرُ فِي الدَّلِيلِ مُوَدَّةً
 وَأَوْدُّ مِنْهُ لَمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ
 وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنْالُكَ نَفْعُهُ
 وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَالْقَصِيدَةُ كُلُّهَا مِنْ هَذَا النَّمَطِ الْبَدِيعِ، فَحَسِبَنَا مَا أُورِدَنَاهُ مِنْهَا، وَنَعُودُ
 إِلَى مَا نَحْنُ بِصَدِّهِ فَنَقُولُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادُ قَطْعُ الْوَادِيِّ، وَبِلوَغِ آخِرِهِ مِنْ
 قَوْلِهِمْ: أَتَى عَلَى الشَّيْءِ: إِذَا بَلَغَ آخِرَهُ.

٣- التوليد:

وقد اشتملت الآية ﴿قَاتَ نَمَلٌ يَتَأَيَّهَا النَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا
 يَحْطِمُنَّكُمْ سَيِّئَمُنْ وَجَنُودُهُ وَهُنَّ لَا يَشْعُرونَ﴾ على أحد عشر نوعاً من البلاغة، يتولد
 بعضها من بعض، وقد ذكرها السيوطي في كتابه «الإنقان» أي: قالت قوله
 مشتملاً على حروف وأصوات، والمراد: قالته على وجه النصيحة، وقد
 اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعاً من البلاغة:

أولها: التداء بيا.

وثانيها: كنَّتْ بـأيْ.

وثالثها: نَبَهَتْ بـهَا التنبية.

ورابعها: سَمِّتْ بـقولها النمل.

وخامسها: أمرت بـقولها: ادخلوا.

وسادسها: نَصَّتْ بـقولها: مساكنكم.

سابعها: حذرت بـقولها: لا يَحْطِمُنَّكُمْ.

وئامنها: خصّصت بقولها: سليمان.

وتاسعها: عّمّمت: بقولها وجنوده.

وعاشرها: أشارت بقولها: وهم.

وحادي عشرها: عذرت بقولها: لا يشعرون.

هذا وقد أشدوا ملغزين في نملة سليمان، وبقرةبني إسرائيل:

فَمَا مِيَّثُ أَحْيَالَهُ اللَّهُ مِيَّثًا

لِيَخْبَرَ قَوْمًا أَنْذَرُوا بِيَسَانٍ

وَعَجْفَاءَ قَدْ قَامَتْ لِتَنْذِرَ قَوْمَهَا

وَأَهْلَ قُرَاهَا رَهْبَةَ الْحَدَّثَانِ

* الفوائد:

١ - ما الذي أضحك سليمان؟ وإنما أضحك سليمان من قول النملة لشيئين:

أولهما: ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وذلك قولهما: وهم لا يشعرون؛ يعني: أنهم لو شعرو لم يفعلوا.

وثانيهما: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قاله النملة، وهي مثل في الضالة والقمامدة، والإنسان إذا رأى، أو سمع مالا عهد به ضحك.

٢ - الحال المبينة والمؤكدة:

الحال ضربان مؤسسة، وتسمى أيضاً: مبينة، وهي التي لا يستفاد معناها بدونها؛ كجاء زيد راكباً، فلا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً، ومؤكدة، وهي: التي يستفاد معناها بدون ذكرها، وهذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

آ - مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ فرسولاً حال من الكاف، وهي مؤكدة لعاملها، وهو: أرسلنا لفظاً ومعنى.

ب - مؤكدة لعاملها معنى فقط ، واللفظ مختلف ، نحو: ﴿فَبَسَمَ صَاحِحًا﴾ فصاححاً: حال من فاعل تبسم ، وهي مؤكدة لعاملها معنى فقط ؛ لأن التبسم نوع من الضحك ، واللفظ مختلف .

ج - مؤكدة لصاحبها نحو: ﴿لَمَنْ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَيِّعًا﴾ فجميعاً: حال من فاعل آمن، وهو من الموصولة مؤكدة لها. وهناك أقسام أخرى للحال المؤكدة يرجع إليها في المطولات.

﴿ وَقَدِّمَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ﴾
﴿ لَا عِذْنَةَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبْحَةَ أَوْ لِيَأْتِيَهُ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ٢١ فَمَكَثَ عَيْرَ
﴿ بَعِيدَ فَقَالَ أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِ بِهِ وَحَتَّىٰكَ مِنْ سَيِّئِاتِنَا يَقِينٌ ﴾ ٢٢ إِنِّي وَجَدْتُ
﴿ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ٢٣ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ
﴿ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ٢٤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
﴿ تُخْفِنُ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

二三一

﴿الْهَدْهُدَ﴾ والْهَدْهُدَ، والْهَدَاهِدَ: طائر ذو خطوط وألوان كثيرة،
الواحدة: هُدْهُدَةَ، وَهُدَهَدَةَ، وَهُدَاهِدَةَ، والجمع: هَدَاهِدَ، وَهَادَاهِدَ،
ويقولون: أبصَرَ من هَدَهَدَ؛ لأنَّهم يزعمون: أنه يرى الماء تحت الأرض،
والْهَدْهُدَ: أيضًا كل ما يقرقر من الطير، والحمام الكبير، وستأتي قصته مع
سليمان في باب الفوائد.

﴿فَمَكَثَ﴾: بضم الكاف، وفتحها، والأول: من باب قرب، والثاني: من باب نصر، وفي «القاموس» وغيره: مكث، يمكث، من باب نصر، مكثاً، ومكثاً، ومكوثاً، ومكثاناً، ومكثيّاً، ومكثيّة، بالمكان: أقام،

ولبَثُ، فهو ماكتُ، والاسم: المُكْثُ، والمِكْثُ، ومكثُ، يمكثُ، من باب قربٍ، مَكَاثَةً: لبَثُ، ورزنُ.

﴿سَيِّ﴾: بلاد واقعة جنوب غرب الجزيرة العربية في اليمن، ذكرت في كتب العهد القديم، وفي مؤلفات العرب، واليونان، والروماني، كانت على جانب عظيم من الحضارة، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة.

وقال الزمخشري في الكشاف: «سباً: قرىء بالصرف، ومنعه، وقد روي بسكون الباء، وعن ابن كثير في رواية: سبا بالألف؛ كقولهم: ذهبوا أيدي سبا، وهو: سبا بن يشجب بن قحطان، فمن جعله اسمًا للقبيلة لم يصرف، ومن جعله اسمًا للحي، أو الأب الأكبر صرف قال:

من سبَا الحاضرين مأربٌ إِذْ يبنوَنَّ من دونِ سيلهِ العَرِما
وقال:

الواردونَ وتيِّمٌ في ذرا سبَا قد عضَّ أعناقَهُمْ جلدُ الجواميسِ
ثم سميت مدينة مأرب بسباً، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة، كما سميت معافر بمعافر بن أذ، ويحتمل أن يراد: المدينة والقوم».

معنى ذهبوا أيدي سبا:

هذا ويقال: ذهبوا أيدي سبا. وفيه لغتان: أيدي سبا، وأيادي سبا، وله حالتان: إما أن ترکب الاسمين اسمًا واحدًا، وتبنيهما؛ لتضمن حرف العطف؛ كما فعلوا بخمسة عشر. والثانية: أن تضييف الأول إلى الثاني، وموضعهما النصب على الحال، والمراد: ذهبوا متفرقين، ومتبدين، ونحوهما، وإذا اعترض بأن سبا معرفة، قيل: بأن تركيبيهما طاح بمعنى العلمية وصارا اسمًا واحدًا، وأصل هذا المثل: أن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما أندروا بسيل العرم؛ خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، فقيل لكل جماعةٍ تفرقت: ذهبوا أيدي سبا، والمراد بالأيدي: الأبناء،

والأُسرة، لا نفس الجارحة؛ لأن التفرق وقع بهم، واستعير اسم الأيدي؛ لأنهم في التقوى والبطش بهم بمنزلة الأيدي.

﴿الْخَبَّء﴾: مصدر بمعنى: المخبأ، يقال: خبات الشيء، أخبأه خباءً، من باب نفع، أي: سترته، والخبء في السموات: المطر، وفي الأرض: النبات.

○ الإعراب:

﴿وَنَفِدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ﴾ كلام مستأنف للشرع في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كانت فيه قصة النمل. وت فقد: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، أي: سليمان، والطير: مفعول به، فقال: عطف على ت فقد، وما: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ولي: خبره، وجملة لا أرى الهدهد: حال، وأم: منقطعة، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: ضمير مستتر يعود على الهدهد، ومن الغائبين: خبر كان **﴿لَا عَذِبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ ثَمِينِ﴾** اللام: موطة للقسم، وأعدبه: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بـ**بنون** التوكيد الثقيلة، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنا، والهاء: مفعول به، وعدباً: مفعول مطلق، وشديداً: صفة، أو لاذبحه: عطف على لاذبحه، أو ليأتيني: عطف عليه أيضاً، وبسلطان: متعلقان بـ**يأتي**ني، ومبين: صفة **﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحْطَثْ يِمَالَمْ تُحْطَبْ يِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئِ يِنْتَرِي يَقِينِ﴾** الفاء: استئنافية، ومكث: فعل ماض، وفاعل مستتر، يعود على الهدهد، أو: على سليمان، وغير بعيد: ظرف زمان متعلق بمكث، أو على الأصح: صفة لظرف محذوف نابت عنه؛ أي: وقت غير بعيد، أو مكاناً غير بعيد، فهو ظرف مكان، فقال: عطف على مكث، وهذا يؤيد عودة الضمير إلى الهدهد، وجملة أحطت: مقول القول، وبما: متعلقان بأحطت، وجملة لم تحط: صلة، وبه: متعلقان بـتحط، وجئتك: عطف على أحطت، ومن سبأ: متعلقان بـمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـنبا، وبنبا: متعلقان

بحجتك ، ويقين : صفة لبأ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ إنَّ، واسمها ، وجملة وجدت امرأة : خبر إني ، وجملة تملّكهم : صفة لامرأة ، وأوتيت : الواو عاطفة ، أو : حالية ، وجملة أوتيت : إما معطوفة على جملة تملّكهم ، وساغ عطف الماضي على المضارع ، لأن المضارع بمعنى الماضي ؛ أي : ملكتهم ، وإما حالية من فاعل تملّكهم ، وقد مقدرة ، ومن كل شيء : متعلقان بأوتيت ، أو : بمحذف هو مفعول أوتيت الثاني ، والتقدير أيضاً من كل شيء ، ولها : خبر مقدم ، وعرض : مبتدأ مؤخر ، وعظيم : صفة .

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمَسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جملة وجدتها : بدل من وجدت امرأة ، فهي داخلة في حيز الخبر ، ووجدتـها هنا تتعدى لواحد ؛ لأنـها بمعنى لقيتها ، والهاء : مفعول به ، وقومـها : عطف على الهاء ، أو : مفعول معه ، وجملة يسجدونـ : حال من مفعولـها ، وما : عطف عليه ، وللشمسـ : متعلقـان يسجدـونـ ، ومن دون اللهـ : حال ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ الواوـ : حرف عطف ، وزينـ : فعل ماضـ ، ولهمـ : متعلقـان بهـ ، والشـيطـانـ : فاعـلهـ ، وأعـمالـهمـ : مفعـولـهـ ، فـصـدـهـمـ : عـطفـ على زـينـ ، وعنـ السـبـيلـ : متعلقـان بـصـدـهـمـ ، فـهـمـ : الفـاءـ : عـاطـفةـ ، وـهـمـ : مـبـتدـأـ ، وجـملـةـ لاـ يـهـتـدـونـ : خـبـرـ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يـحبـ حـذـفـ التـونـ في الرـسمـ اـتـبـاعـاـ لـلسـنةـ المـصـحـفـ ، وـأـنـ : هيـ حـرفـ مصدرـيـ وـنـصـبـ ، وـلـاـ زـائـدـةـ ، وـالـمعـنىـ : أـنـ يـسـجـدـواـ ، وـهـذـاـ المـصـدرـ المـؤـولـ مـعـمـولـ لـقولـهـ : لـاـ يـهـتـدـونـ ؛ لـكـنـ بـنـزعـ الـخـافـضـ ، وـهـوـ : إـلـىـ ، وـالـمعـنىـ : فـهـمـ لـاـ يـهـتـدـونـ إـلـىـ السـجـودـ ، وـعـلـىـ هـذـاـ الإـعـرـابـ لـاـ يـصـحـ الـوـقـوفـ عـلـىـ يـهـتـدـونـ ، وـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ المـصـدرـ بـدـلاـ مـنـ أـعـمـالـهـمـ ، وـالـتـقـدـيرـ : وزـينـ لـهـمـ الشـيـطـانـ أـعـمـالـهـمـ عـدمـ السـجـودـ ، وـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ بـدـلاـ مـنـ السـبـيلـ ، وـقـرـيـءـ بـتـخـفـيفـ أـلـاـ ، فـهـيـ حـرفـ تـنـيـهـ ، وـاستـفـتـاحـ ، وـيـاـ : حـرفـ نـداءـ ، وـالـمـنـادـيـ مـحـذـفـ ، وـاسـجـدـواـ : فعلـ أمرـ ، فـكـانـ حـقـ الـخـطـ عـلـىـ هـذـهـ الـقـرـاءـةـ أـنـ يـكـونـ يـاـ اـسـجـدـواـ ،

ولكن الصحابة أسلقو ألف يا، وهنّة الوصل من اسجدوا خطأً لما سقطت لفظاً، ووصلوا يا بسين اسجدوا، فصارت صورته: يسجدوا؛ كما ترى فاتحدت القراءتان لفظاً، وخطاً، واختلفتا تقديرًا، وسيأتي بحث اختلاف النحوين في «يا» الدالخلة على فعل، أو حرف في باب الفوائد. والله: متعلقات بيسلدو، والذي: موصول نعت الله، وجملة يخرج الخبر: صلة، وفي السموات والأرض: متعلقات بالخبر؛ أي: المخبوء في السموات، أو: يخرج؛ على أن «في» بمعنى «من» أي: يخرج من السموات والأرض ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ ويعلم: عطف على يخرج، فهو داخل في حيز الصلة، وفاعل يعلم: ضمير مستتر، يعود على الله، وما: موصول مفعول به، وجملة تخون: صلة، وما تعلمنون: عطف على ما تخونون ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ كلام مستأنف مسوق للثناء على عرش الله العظيم بعد الإلماع إلى عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم.

اللامعة:

جناس التصريف:

في قوله ﴿وَجِئْتَكَ مِنْ سَيِّئَاتِ بَنِي إِيَّادٍ﴾ جناس التصريف، وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف؛ إما من مخرجه، أو من قريب من مخرجه، وهو من محسن الكلام المتعلقة باللفظ، شريطة أن يأتي جارياً مع الطبع، بعيداً عن التكلف، محتفظاً بصحة المعنى، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة، فحسن، ورق، إلا ترى أنه لو قال: يخبر بدلاً من بنياً لصلاح المعنى واستقام، ولكنه جاء منغوماً عذب الجرس لاتفاق سبأ ونبأ، وقد تقدم مثله في قوله بسورة الأنعام ﴿وَهُمْ يَنْهَا عَنْهُ وَيَنْهَى عَنْهُ﴾.

الفوائد:

١- قصة سليمان والهدى:

وجريدة على عادتنا نورد إحدى الروايات المذكورة عن قصة سليمان

والهدده؛ لما فيها من جذور قصصية، وتمهيداً للنابغين الملهمين من كتاب القصص:

روي: أن سليمان حين فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره، فوافي الحرم، وأقام به ما شاء، وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً يوم سهيلأ، فوافي صنعاء وقت الزوال، فرأى أرضاً حسناء تر هو خضرتها، فنزل ليتغدى ويصلّي، فلم يجدوا الماء، وكان الهدده قناته؛ أي: دليله الهادي، وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة، فتفقده لذلك، وحين نزل سليمان حلق الهدده؛ فرأى هدهداً آخر واقعاً، فانحط إليه، فوصف له ملك سليمان، وما سخر له من كل شيء، وذكر له صاحبه ملك بالقيس، وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد، وتحت كل قائد مئة ألف، وذهب معه لينظر، فما رجع إلى بعد العصر، وذكر: أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان، فنظر فإذا موضع الهدده خال، فدعا عريف الطير، وهو: النسر، فسألته عنه، فلم يجد عنده علمه، ثم قال لسيد الطير وهو العقاب: عليّ به، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدده مقبلاً فانتقض العقاب يريده، وعلم الهدده: أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قواك، وأقدرك إلا ما رحمتني، فتركه، وقال: ويلك ثكلتك أملك! إن نبي الله قد حلف ليعدبنك، قال: وما استثنى نبي الله؟ قال: بلى، قال: أو ليأتيني بسلطان مبين. فقال: نجوت إذاً، فلما قرب من سليمان أرخي ذنبه وجناحيه يحبرها على الأرض متواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه فقال: يا نبي الله، اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان، وعفا عنه، ثم سأله: ما الذي أبطأكعني؟ فقال الهدده: أحطت بما لم تحط به.. الخ.

نكتة بيانية:

قال الرمخشي: «إِنْ قَلْتَ: قَدْ حَلَفْتَ عَلَى أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَايْ، فَحَلْفُهُ عَلَى

فعليه لا مقال فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدّه؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول : والله ليأتيني بسلطان؟ قلت : لمانظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قوله ليكونن أحد الأمور، يعني : إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب، ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما، وليس في هذا ادعاء دراية».

٢- من هي بلقيس؟

أما بلقيس : فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سباً . وقال ابن الكلبي : كان أبوها من عظماء الملوك، وستأتي قصتها ، وذكر الحريري في «درة الغواص» :

إن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه ؛ لأن كل أعجمي يعرب فقياسه أن يلحق بأمثلة كلام العرب وعلى ذلك بلقيس ، وفي أخبار سيف الدولة : أن الخالدين مدحاه ، فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة مع كل واحد منهمما بدراة وتحت من ثياب مصر والشام فكتبا إليه :

لَمْ يَغُدْ شَكُرُكَ فِي الْخَلَاقِ مَطْلَقاً

إِلَّا وَمَا لَكَ فِي النَّوَالِ حَيْسُ

خَوْلَتْنَا شَمْسًا وَبَدْرًا أَشْرَقْتُ

بِهِمَا لَدَنَنَا الظَّلْمَةُ الْهَنْدِيُّسُ

رَشَأْتَنَا أَتَانَا، وَهُوَ حَسْنٌ يَوْسُفُ

وَغَزَّالَةُ هِيَ بِهِجَةٍ بِلَقِيسُ

هَذَا وَلَمْ تَقْنِعْ بِذَاكَ وَهَذِهِ

حَتَّى بَعْثَتَ الْمَالَ وَهُوَ نَفِئِسُ

أَتَيْتَ الْوَصِيفَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ بَدْرَةً

وَأَتَى عَلَى ظَهَرِ الْوَصِيفِ الْكَيْسُ

وَكَسُوتُنَا مِمَّا أَجَادْتِ حَوْكَهُ

مَصْرُ وَزَادَتْ حَسَنَةُ تَنِيسُ

فَغَدَا لَنَا مِنْ جُودَكَ الْمَأْكُولُ وَالْ

مَشْرُوبُ وَالْمَنْكُوحُ وَالْمَلْبُوسُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا سِيفُ الدُّولَةَ قَالَ: أَحَسَنَا إِلَّا فِي لَفْظِ الْمَنْكُوحِ؛ إِذَا لَيْسَ مَا
يَخَاطِبُ بِهَا الْمُلُوكُ. هَذَا وَقَدْ كَانَتْ قَصَّةُ بِلْقَيْسِ وَصَرْحَاهَا الْمَرْدُ مَصْدِرُ إِلَهَامِ
لِلشَّعْرَاءِ، فَقَدْ أَوْرَدَ الْبَحْتَرِيُّ ذَلِكَ كَلَّهُ فِي قَصِيدَةِ لَهُ يَمْدُحُ بِهَا الْمَتَوَكِّلُ، وَيَذَكِّرُ
بِنَاءَ الْبَرَكَةِ الْمَشْهُورَةِ، وَمِنْهَا:

يَا مَنْ رَأَى الْبُرْكَةَ الْحَسَنَاءَ رَؤْيَتَهَا

وَالْأَنْسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا

بِحَسْبِهَا أَنَّهَا فِي فَضْلِ رَتْبَتِهَا

تَعْدُّ وَاحِدَةً وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا

كَانَ جَنَّ سَلِيمَانَ الَّذِينَ وَلَوَا

إِبْدَاعَهَا فَأَدْفَوْا فِي مَعَانِيهَا

فَلَوْ تَمْرُّ بِهَا بِلْقَيْسُ عَنْ عُرُوضِ

قَالَتْ هِيَ الصَّرْحُ تَمِيلًا وَتَشَبِّهُ

٣- سجادات القرآن:

وَعَلَى ذَكْرِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَ اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ سجادات القرآن أربع عشرة، وإنما اختلفا في سجدة «ص» فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة، وعند الشافعي سجدة شكر، وفي سجدة سورة الحج.

٤- قصة سيل العرم وتفرق العرب أيام سبا:

ونورد هنا بعض الأساطير المروية للطرافة والفائدة:

وسباً: هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب؛ الذين مزقهم الله كلّ مزق، وسمى: سباً؛ لأنّه أول من سبى النبي، وقيل: سباً اسم أحهم،

ومأرب اسم بلدتهم، وكانت سبأ من أحسن بلاد الله، وأخصبها، وأكثرها شجراً وماء، وقد ذكر الله: أنها كانت جتنين عن يمين وشمال، وكانت مسيرة شهر في شهر لل Mage الراكب، يسير في جنان من أولها إلى آخرها، لا تواجه الشمس، ولا يفارقه الظل، مع تدفق الماء، وصفاء الهواء، واتساع الفضاء، فمكثوا ما شاء الله، لا يعandهم ملك إلا قصموه، وكانت في بدء الزمان تركبها السيول، فجمع ملك حمير أهل مملكته، فشاورهم في دفع السيول، فأجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه إلى البحر فحشد أهل مملكته، حتى صرف الماء، واتخذ سداً في موضع جريان الماء من الجبال، ورصفه بالحجارة والحديد، وجعل فيه مجاري للماء في استدارة الذراع فإذا جاء السيل تصرف في المجاري إلى جناتهم ومزروعاتهم بتقدير يعمهم نفعه. وذكر الأعشى في شعره: أن حميرأ بنته، فقال:

إذا جاء مأوئهم لم يرم	رخأم بنته لهم حمير
على سعةٍ مأوئهم قد قُسِّم	وأروى الزروع وأعنابهم
فعاشوا بذلك في غبطٍ	فحاقدا بهم جارفٌ مُهَدِّم

ولما انتهى الملك إلى عمرو بن عامر مزيقياء، وسمى بذلك؛ لأنه كان يمزق كل ليلة حلةً كبراً من أن تعاد عليه، أو يلبسها غيره، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه مزق الأزد في البلاد، وكان أخوه عمران كاهناً، فأتته كاهنة تدعى ظريفة، فأخبرته بدنو فساد السد، وفيض السيل، وأندرته، فجمع أهل مأرب وعمل لهم طعاماً فأخبرهم بشأن السيل، فأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران أخوه: إني أصن لكم بلداناً، فاختاروا أيتها شئتم، فمن كان منكم ذا هم بعيد، وجمل غير شرود؛ فليلحق بالشعب من كرود، فلتحق به همدان، ثم قال: ومن كان منكم ذا سياسة، وصبر على أزمات الدهر، فليلحق بيطن مر، فلتحقت به خزانة، ثم قال: ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل، المطعمات في محل؛ فليلحق بيشرب ذات النخل، فنزلها الأوس والخزرج، ثم قال: ومن كان منكم يريد الخمر

والخمير، والأمر والتأمير؛ فليلحق ببصري وسدير، وهي من أرض الشام، فنزلها غسان، ثم قال: ومن كان منكم يريد الشياطين الرقاق، والخيل العتاق، والذهب والأوراق؛ فليلحق بالعراق، فلحق بها مالك بن فهم بن الأزد، وتختلف مالك بن اليمان في قومه؛ حتى أخرجهم السيل، فنزلوا نجران، وانتسبوا إلى مذحج، ودخلت جماعة منهم إلى معد، فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال الشراة على تخوم الشام فلما تفرقوا البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا: ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا.

﴿ قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴾^{٢٧} أَذْهَبْتِكَتِي هَذَا
فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تُولِّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾٢٨﴾ قَالَتْ يَتَأَيَّهَا الْمَلَوْا إِلَى الْقَيْ إِلَى كَذَّابِ
كَرِيمٍ ﴾٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ يَسِّرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴾٣١﴾ قَالَتْ يَتَأَيَّهَا الْمَلَوْا أَفَتُؤْتِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْلَ حَتَّىٰ
تَشَهَّدُونَ ﴾٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَأَنْظُرِي مَاذَا
تَأْمِينَ ﴾٣٣﴾

☆ **اللُّفْظَةُ:**

﴿ أَفَتُؤْتِي ﴾: أشيروا على الفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاة في السن، والمراد بالفتوى هنا: الإشارة عليها بما عندهم؛ كما ذكرنا فيما حدث لها من الرأي والتدبر. وفي «الأساس»: «وفلان من أهل الفتوى، والفتيا، وتعالوا ففاتونا، وتفاتوا إليه: تحاكموا، قال الطراح:

هَلْمَ إِلَى قَضَاهُ الْغُوثُ فَاسْأَلْ بِرْهِطِكَ وَالْبَيْانُ لَدِي الْقَضَاهِ
أَنْخُ بَفْنَاءَ أَشْدَقَ مِنْ عَدِيٍّ وَمِنْ جَرْمٍ وَهُمْ أَهْلُ التَّفَاقِي
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

فبِئْ أَفَاتِهَا فَلَا هِيَ تَرْعُوِي بِحُودٍ وَلَا تُبَدِّي إِبَاءَ فَتِخْلَا
أَيْ : أَسْأَلَهَا » .

هذا ويجوز ضم الفاء، وفتحها؛ كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة قال: «قالوا: فتوى، وفتيا، وبقوى، وبقيا، وثنوى، وثنيا، ورعوى، ورعيا» .

﴿أُولُوا الْقُوَّة﴾ : اسم جمع بمعنى: أصحاب، والواحد: ذو، بمعنى: صاحب، وقيل: جمع ذو على غير لفظه، وقد تقدم: أنها من الملحقات بجمع المذكر السالم، والمؤنث: أولات، ووحدتها: ذات، تقول: جاء أولو العلم، وأولات الفضل .

○ الإعراب:

﴿قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ عن حكاية الهدهد، وجملة ستنظر: مقول القول، والهمزة: للاستفهام، وصدقت: فعل، وفاعل، وأم: متصلة، معادلة للهمزة، وكان، واسمها، ومن الكاذبين: خبرها، وعدل عن الفعل المطابق لما قبله إلى الاسم لنكتة بلاغية تقدمت الإشارة إليها أكثر من مرة . وهي جعله واحداً من الفئة الموسومة بالكذب ﴿أَذْهَبَ يَكْتَبِي هَذِهَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ لا بد من تقدير كلام ممحوظ لتناسب حوادث القصة، أي: ثم دلهم على الماء، فاستخرجوه، وارتروا، وتوضؤوا، وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً بهذه صورته: «من عبد الله سليمان إلى بلقيس ملكة سبا، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علىَّ، وأتوفي مسلمين» ثم ختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: اذهب، فالجملة: مقول قول ممحوظ، وذهب: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبكتابي: متعلقان باذهب، وهذا: نعت لكتابي، أو: بدل منه، فألقه: الفاء: عاطفة، وألقه: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإليهم: متعلقان بألقه، ثم: حرف عطف، وتول: فعل أمر على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر،

تقديره: أنت، وعنهـم: متعلـقـان بـمحـذـوفـ حـالـ؛ أـيـ: مـتـجـاـزاـ إـيـاهـمـ إـلـىـ
مـكـانـ قـرـيبـ، تـنـوـارـيـ فـيـهـ، لـيـكـونـ ماـيـقـولـونـهـ بـمـسـمـعـ مـنـكـ، فـانـظـرـ: عـطـفـ
عـلـىـ تـوـلـ، وـمـاـذـاـ يـرـجـعـونـ: فـيـ هـذـاـ التـعـبـرـ وـجـهـانـ:

أولـهـماـ: أـنـ تـكـوـنـ اـنـظـرـ بـمـعـنـىـ تـأـمـلـ، وـتـفـكـرـ، فـتـكـوـنـ مـاـذـاـ: اـسـمـ اـسـتـفـهـامـ
فـيـ مـحـلـ نـصـبـ مـفـعـولـ مـقـدـمـ لـيـرـجـعـونـ، تـقـدـيرـهـ: أـيـ شـيـءـ يـرـجـعـونـ، أـوـ: تـجـعـلـ
مـاـ: اـسـمـ اـسـتـفـهـامـ مـبـدـأـ، وـذـاـ: اـسـمـ مـوـصـولـ بـمـعـنـىـ الـذـيـ خـبـرـ مـاـ، وـجـمـلـةـ
يـرـجـعـونـ: صـلـةـ ذـاـ، وـالـعـائـدـ: مـحـذـوفـ، تـقـدـيرـهـ: أـيـ شـيـءـ الـذـيـ يـرـجـعـونـهـ،
وـعـلـىـ كـلـاـ التـقـدـيرـيـنـ فـاـلـجـمـلـةـ الـاـسـتـفـهـامـيـةـ قـدـ عـلـقـ عـنـهـ الـعـاـمـلـ، وـهـوـ: اـنـظـرـ
بـالـاـسـتـفـهـامـ، فـمـحـلـهـاـ النـصـبـ عـلـىـ نـزـعـ الـخـافـضـ؛ أـيـ: اـنـظـرـ فـيـ كـذـاـ، وـفـكـرـ
فـيـهـ.

وـثـانـيـهـماـ: أـنـ تـكـوـنـ اـنـظـرـ بـمـعـنـىـ اـنـتـظـرـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿أَنْظُرُونَا فَتَنِّسِ مِنْ
ثُرُوكُم﴾ فـتـكـوـنـ مـاـذـاـ كـلـهـاـ: اـسـمـ مـوـصـولـ، وـهـوـ أـحـدـ أـوـجـهـ مـاـذـاـ الـتـيـ سـتـأـتـيـ فـيـ
بـابـ الـفـوـائـدـ، وـهـيـ مـفـعـولـ بـهـ، أـيـ: اـنـتـظـرـ الـذـيـ يـرـجـعـونـهـ، وـجـمـلـةـ يـرـجـعـونـ:
صـلـةـ، وـالـعـائـدـ: مـحـذـوفـ؛ كـمـاـ تـقـدـمـ، وـمـعـنـىـ: مـاـذـاـ يـرـدـونـ مـنـ الـجـوابـ، أـوـ:
مـاـذـاـ يـرـجـعـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ بـعـضـ مـنـ الـقـوـلـ.

﴿قَالَتْ يَتَأَبَّهَا الْمَلَوْأُ إِذْ أَلْقَى إِلَكَ كِتَبَ كَرِيم﴾ لاـ بدـ مـنـ تـقـدـيرـ كـلـامـ مـحـذـوفـ،
روـعـيـ فـيـ حـذـفـهـ الـإـيجـازـ، وـتـقـدـيرـهـ كـمـاـ قـالـ مـقـاتـلـ: «ـحـمـلـ الـهـدـهـدـ الـكـتـابـ
بـمـنـقـارـهـ، وـطـارـ حـتـىـ وـقـفـ عـلـىـ رـأـسـ الـمـرـأـةـ، وـحـولـهـاـ الـجـنـوـدـ وـالـعـاسـكـرـ،
فـرـفـرـ سـاعـةـ، وـالـنـاسـ يـنـظـرـونـ، فـرـفـعـتـ الـمـرـأـةـ رـأـسـهـاـ، فـأـلـقـىـ الـكـتـابـ فـيـ
حـجـرـهـاـ». وـسـيـأـتـيـ مـزـيدـ مـنـ الـرـوـاـيـاتـ فـيـ تـقـدـيرـ هـذـاـ الـمـحـذـوفـ. وـإـيـ: إـنـ
وـاسـمـهـاـ، وـجـمـلـةـ أـلـقـىـ: خـبـرـهـاـ، وـإـلـيـ: مـتـعـلـقـانـ بـأـلـقـىـ، وـكـتـابـ: نـائـبـ
فـاعـلـ، وـكـرـيمـ: صـفـةـ، وـسـيـأـتـيـ سـرـ هـذـاـ الـوـصـفـ فـيـ بـابـ الـبـلـاغـةـ.

﴿إِنَّمَا مِنْ سَلِيمَنَ وَإِنَّمَا يُسْرِيُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الـجـمـلـةـ: مـسـتـأـنـفـةـ مـسـوـقـةـ
لـلـزـدـعـلـىـ سـؤـالـ مـقـدـرـ، كـأـنـهـمـ: قـالـواـ: مـنـ هـوـ؟ وـمـاـ هـيـ مـنـطـوـيـاتـهـ؟ فـقـالـتـ: إـنـهـ
مـنـ سـلـيـمـانـ. وـإـنـ، وـاسـمـهـاـ، وـمـنـ سـلـيـمـانـ: خـبـرـهـاـ، وـإـنـهـ: الـوـاـوـ: عـاطـفـةـ،

وإنَّ، واسمها، وجملة البسمة: خبرها، وقد تقدم إعراب البسمة في صدر هذا الكتاب ﴿أَلَا تَعْلُوْا عَلَىٰ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِيْنَ﴾ أن: مفسرة، والمفسر كتاب؛ لتضمنه معنى القول دون حروفه، ولا: نافية، وتعلوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، وعلىٰ: متعلقان بتعلوا، ويجوز أن تكون أن: مصدرية ناصبة للفعل، ولا: نافية، وأن وما في حيزها: مصدر مؤول في محل رفع بدل من كتاب، أو: خبر لمبدأ مذدوف؛ أي: مضامونه: ألا تعلوا، أو: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بأن لا تعلوا، وأتونى: الواو عاطفة، وأentonى: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وفي به، ومسلمين: حال ﴿قَالَتْ يَتَائِبُهَا الْمَلَوْا أَفْتَوْنِي فِيْ أَمْرِي﴾ أفتوني: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وفي أمري: متعلقان بأفتوني ﴿مَا كَسَّنْتُ فَاطِعَةً أَمْرَحَتَنِي تَشَهَّدُونَ﴾ ما: نافية، وكنت قاطعة: كان، واسمها، وخبرها، وأمراً: مفعول به، وحتى: حرف غاية وجر، وتشهدون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة: نون الوقاية، وباء المتكلم المذكورة: مفعول به ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوْ قُوَّةٍ وَأُولُوْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ جملة نحن: مقول القول، ونحن: مبتدأ، وأولو: خبر، وعلامة رفعه الواو؛ لأنَّ ملحق بجمع المذكر السالم، وقوة: مضاد إليه، وأولو بأس شديد: عطف على ما تقدم ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرْ إِلَيْكِ مَا ذَاتَ تَأْمِيْنَ﴾ الواو: حرف عطف، والأمر: مبتدأ، وإليك: خبر؛ أي: موكل إليك، ونحن مطعون لك، فانظري: الفاء: الفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن مقدر؛ كأنما تصوروا: أنها قد تكون راغبة في القتال، أو: أنهم راغبون فيه، فإن أردت ذلك، وعزمت على خوض الحرب فنحن أبناء بجدتها، وانظري: أي فكري، وماذا: اسم استفهام، وقد تقدم إعرابها، وستأتي وجوهها، وهي هنا في محل نصب مفعول مقدم لتأمرين، والاستفهام معلق للنظر.

□ البلاغة:

في هذه المحاورة التي جرت بين بلقيس وبين الملأ من قومها، وفي الوصف لكتاب سليمان بعد ذكر العنوان والتسمية فنون عديدة، نورد أهمها فيما يلي:

١- الإشارة:

وهذا الفن سبقت إليه الإشارة في هذا الكتاب، وقد فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه، فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير؛ حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد، فإنّها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة، والفرق بينه وبين الإيجاز: أن الإيجاز بألفاظ المعنى الم موضوعة له، وألفاظ الإشارة لحمة خاطفة دالة، فدلالة اللفظ بالإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمن، أو دلالة التزام، والدلالة هنا دلالة تضمن، فقد وصفت كتاب سليمان بالكرم؛ لأنّه من عند ملك كريم، أو: لأنّه مختوم، وفي الحديث عنه رض أنه قال: «كرم الكتاب ختمه» وعن ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به.

وروي: أنها كانت راقدة، وكانت إذا رقدت غلت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، فدخل الهدّد من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية. وقيل: نقرها، فانتبهت فزعة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وقالت لقومها ما قالت.

٢- الإيجاز:

في قولهم: ﴿قَالُواْ مَنْ هُنَّ اُولُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكُمْ فَانظُرُوهُمْ مَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إيجاز عجيب، فهو أولاً: يدل على تعظيم المشورة، وتعظيم بلقيس أمر المستشار، وهو ثانياً: يدل على تعظيمهم أمرها، وطاعتها، وفي قولهم: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكُمْ﴾ قولهم: ﴿فَانظُرُوهُمْ مَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إيجاز يسكر الألباب، قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاوي في كتابه «إعجاز القرآن»: «فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعممه التخفيف منه، والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار

بسطأً، لتمكنه ووقوعه موقعه، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز محمله وموضعه» إلى أن يقول: «وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد، وإذا اختصر كمل في بابه، وجاد، وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثته؛ لم يقع إلا على محاسن تتوالى، وبدائع تترى».

* الفوائد:

عقد ابن هشام في «المغني» فصلاً لـ «ماذا» نلخصه فيما يلي ونعرب أمثلته:

تأتي ماذًا في العربية على أوجه:

١ - أن تكون ما: استفهامية، وذا: إشارة نحو ماذًا التوانى؟ ماذًا الوقوف؟ فما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: خبر، والتوانى: بدل، أو: عطف بيان؛ أي: أي شيء هذا التوانى؟

٢ - أن تكون ما: استفهامية، وذا: موصولة؛ كقول ليبيد:
 ألا تسألانِ المرءَ مَاذَا يجاهُلُ أَنْحَبْ فِي قَضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ
 فما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول خبره، وجملة يجاهُلُ: صلة، والهمزة: للاستفهام، ونحوه: بدل من ما.

٣ - أن يكون ماذًا كله استفهاماً على التركيب، كقولك: لماذا جئت؟
 قوله:

يا خزر تغلب ماذًا بالُّ نسوتُكُمْ لا يسْتَفِقُنَّ إِلَى الْدِيرِينِ تَحْنَانًا
 فماذًا: اسم استفهام مركب مبتدأ، وبالنسوتكم: خبر.

٤ - أن يكون ماذًا كله اسم جنس بمعنى شيء، أو: موصولاً بمعنى الذي على خلاف تخرير قول الشاعر:

دعى ماذًا علمت سأقِيهِ وَلِكُنْ بِالْمَغَيَّبِ نَبَيِّنِي
 فالجمهور على أن ماذًا كله مفعول دعي، ثم اختلف، فقيل: موصول

بمعنى: الذي، وقيل: نكرة بمعنى: شيء، وهناك وجهان ذكرهما ابن هشام ولم نر حاجة إليهما؛ لأنهما لا يقعان في فصيح الكلام.

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرِيَّةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً ۚ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۚ ۲۴﴾
 ﴿ وَإِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ يَمْرِجُ الْمُرْسَلُونَ ۚ ۲۵﴾
 فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَمْدُونِي بِمَا لَمَّا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَسْكُمْ بَلْ أَتَسْعُ بِهَدِيَّتِكُوْنِي
 نَفَرُونَ ۖ ۲۶﴿ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِنَّهُمْ بِمُنْوِرٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذْلَةً وَهُمْ
 صَغِيرُونَ ۖ ۲۷﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرِيَّةً أَفْسَدُوهَا ۚ ۲۸﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على مستشاريها؛ أي: لم ترض بما أشاروا به، وهو خوض الحرب، بل مالت للسلام، وعقد الصلح، وعللت ذلك بقولها إن الملوك.. وكأنها تلمع لهم بسوء مغبة الحرب، وعواقبها المخيفة، وأثارها الكثيرة. فإن واسمها، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دخلوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وقرية: مفعول به على السعة، وجملة أفسدوها: جواب شرط غير جازم لا محل لها، وجملة الشرط وجوابه خبر إن ﴿ وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً ۚ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۚ ۲۹﴾ الواو: عاطفة، وجعلوا: فعل وفاعل، وأعزه أهلها: مفعول جعلوا الأول، وأذلة: مفعول جعلوا الثاني، وكذلك: الواو عاطفة؛ لأن ذلك من جملة كلامها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف تقدمت له نظائر، أرادت: هذه عاداتهم المستمرة، وديندهم الثابت ﴿ وَإِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ يَمْرِجُ الْمُرْسَلُونَ ۚ ۳۰﴾ إن واسمها، ومرسلة: خبرها، وإليهم: متعلقان بمرسلة، وبهدية: متعلقان بمرسلة أيضاً، فناظرة: عطف على مرسلة، وبم: الباء: حرف جر، وما: الاستفهامية المحذوف ألفها: في محل جر بالباء، والجار والجرور متعلقان بيرجع، ولا يجوز تعلقهما بنازرة، كما أعرتها

الحوفي؛ لأن الاستفهام له الصدر، فلا يعمل ما قبله فيه، وإلا خرج عما ثبت له، وللمفسرين كلام طويل في هذه الهدية، لا يحتمل ذكرها صدرُ هذا الكتاب، ويرجع المرسلون: فعل، وفاعل، والجملة: مفعول به لنظرته.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانَ قَالَ أَتَيْدُونَنِ بِسَالٍ﴾ الفاء: عاطفة على محنوف لا بد من تقديره: فأعدت الهدية مع رسول بكتاب، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة. ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط، وجاء سليمان: فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: هو، أي: الرسول، وسلامان: مفعول به، وجملة قال: لا محل لها، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبخي، وتمدونن: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والباء المحنوفة: مفعول به، وبمال: متعلقان بتمدونن؛ أي: تعاونوني بالمال ﴿فَمَا أَتَنِّي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَنِّي﴾ الكافُمُكْ بْلَ أَشْرُبَهِدِيَكُوكُنْفَرَحُونَ﴾ الفاء: حرف تعلييل لما تقدم من إنكاره عليهم، وتوبيخه إياهم، وما: اسم موصول مبتدأ، وجملة آتاني: صلة، وأتاني الله: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وخير: خبر ما، وبيل: حرف إضراب انتقالى؛ لبيان السبب الذي حداهم إلى إمداده بالمال، وأنتم: مبتدأ، ويهديتكم: متعلقان بتفرحون، وجملة تفرحون: خبر ﴿أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَنْتُنَّهُمْ بِخُوبُدِ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ الخطاب لأمير الوفد، وارجع: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإليهم: متعلقان بارجع، وقيل: الخطاب للهدى محملاً إياه رسالة أخرى، والفاء: استثنافية، واللام: موظة للقسم، ونأتينهم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، والميم: علامة جمع الذكور، وبجنود: متعلقان بناتينهم، ولا: نافية، للجنس، وقبل: اسمها المبني، ولهم: خبر، وبها: متعلقان بقبل؛ لتضمنه معنى المصدر؛ لأن حقيقته المقابلة والمقاومة، يقال: مالي به قبل؛ أي: طاقة، ويقال: لي قبل فلان دين؛ أي: عنده، وأتاني من قبله، أي: من عنده، فتكون بمعنى المصدر، وبمعنى

الظرف ﴿ وَلَنْخُرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذْلَةً وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴾ ولنخرجهم: عطف على فلنأتيهم، ومنها: متعلقان بـ لنخرجهم، والضمير يعود إلى سبأ؛ أي: بلادهم، وأذلة: حال، وهو: الواو: حالية، وهو: مبتدأ، وصاغرون: خبر، والجملة: حال ثانية من الهاء في لنخرجهم.

□ البلاغة:

الإيجاز:

في هذه الآيات إيجاز بلغ، يحسن بنا أن نتدرّبه؛ لأن المدار فيه على المعاني دون الألفاظ، فرب لفظ قليل ينطوي على معنى كثير، وقد تقدم معنا: أن الإيجاز قسمان. أحدهما: إيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد. وإيجاز بالقصر، وفي هذه الآيات إيجاز بالحذف، وهو قوله: ﴿ يَمْرِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ثم قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ فقد حذف هنا ما لو أظهر لظاهر الكلام غثّاً لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلارة والحسن، لأن الخاطر قد يذهب كل مذهب، وقد يترك العنان للخيال؛ ليجول في آفاق لا نهاية لها، ليتصور الهدية التي أعدتها مما يتولى الشرح وإظهاره. فقد روي: أن بلقيس كانت امرأة عاقلة لبيبة قد ساست الأمور، وسبّرت أغوار الناس، وكانت تعرف: أن سليمان لو كان نبياً لترفع عنأخذ الهدية، ولو كان ملكاً لأخذها، فأحببت أن تتأكد من هذه المسألة، وروي أيضاً: أنها بعثت خمسين غلام عليهم ثياب الجواري، وحلبهنّ الأساور، والأطواق، والقرطبة، راكبي خيل مشاة بالديباج، ومحلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسين جارية على رماك؛ أي: إناث الخيل في زي الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكلاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر، وحقاً فيه درة عذراء، وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من أشراف قومها، وهما: المنذر بن عمرو، وأخر ذا عقل ورأي، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك، فلا يهولنك أمره. وإن رأيته بشأً لطيفاً فهونبي، فأقبل الهدد، فأخبر سليمان بما تم، فأمر سليمان الجن، فضربو البن الذهب والفضة، وفرشوه في

ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب فربطوها عن يمين الميدان ويساره، وأمر أولاد الجن وهم خلق كثير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم، ونظروا؛ بهتوا، ثم رد الهدية، وقال للمنذر: ارجع إليهم، فقالت: هونبي، وما لنا به من طاقة، وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتختل في الثاني عشر ألف قيل، أي: ملك وهو بفتح القاف، سمي قيلاً؛ لأنه ينفذ كل ما يقول، إلى أن قربت منه على فرسخ، فشعر بها.

هذا: والهدية اسم المهدى، كما أن العطية اسم المعطى، فتضاف إلى المهدى والمهدى إليه، تقول: هذه هدية فلان تريد هي التي أهدتها، أو أهديت إليه، والمضاف إليه في قوله: «**﴿بَلْ أَنْتُ بِهِدَىٰٰيُّكُمْ نَفَرْحُونَ﴾**» هو المهدى إليه.

﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمُلُوْكُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾٣٨﴾
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنْ الْجِنِّ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَلِيَنِي عَلَيْهِ لَقَوْيٌ أَمِينٌ ﴾٣٩﴾
﴿قَالَ اللَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْبُوْنِي أَشْكُرُ أَمَّا كُفُورُهُ مِنْ شَكَرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ غَنِّيٌّ كَرِيمٌ ﴾٤٠﴾
﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرَ أَنْهَنْدَى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾٤١﴾
﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشَكِ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكَنَا مُسْلِمِينَ ﴾٤٢﴾
﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَيْهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴾٤٣﴾
﴿قِيلَ لَهَا أَدْخُلِ الْصَّرَحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيْهَا قَالَ إِنَّمَا صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرِ قَالَتْ رَبِّ إِلَيْيَ طَلَّمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٤٤﴾

☆ **اللغة:**

﴿عِفْرِيتٌ﴾: العفريت: الخبيث المنكر، والنافذ في الأمر مع دهاء، وذلك

من الإنسان، والجبن، والشياطين، وجمعه: عفاريت، ومؤنه: عفريتة، والعفريتة مثله، وقد قرئ به، ويقال: رجل عفريتة، وعفتر، وعغير: إذا كان صحيحاً، شديداً، مونق الخلق، أخذ من عفر الأرض، وهو: التراب؛ أي: من علق به من عفره بالأرض، ومنه: ليث عفرين، أي: ليث ليوث معفر لفريسته، قال الخليل: رجل عفار: بين العفار، إذا وصف بالشيطنة، والعغير أيضاً: الظريف الكيس، ويقال للشيطان: عفريت، وعفريتة. وفي الحديث: «إن الله ليبغض العفريت التفريت» قيل: هو الجموع، المنوع. وقال أبو عثمان النهدي: دخل رجل عظيم على النبي ﷺ فقال له: متى عهدك بالحمى؟ قال: ما أعرفها. قال: فالصداع؟ قال: ما أدرى ما هو؟ قال: فأصبت بمالك؟ قال: لا. قال: أفرزئت بولدك؟ قال: لا. فقال النبي ﷺ: إن الله ليبغض العفريت التفريت، وهو: الذي لا يرزاً.

﴿الصَّرْح﴾: قال في «الكساف»: الصرح: «القصر». وقيل: صحن الدار وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذب صراح، أي: ظاهر مكشوف، ولؤم صراح، ولبن صريح، أي: ذهبت رغوته، وخلص. وعربي صريح: من عرب صرحاء، غير هجناء. وكأس صراح: لم تمزج. وصرحت الخمرة، ذهب عنها الريد. ولقيته مصارحة: مجاهرة. وصرح النهار: ذهب سحابه، وأضاءت شمسه. قال الطرماح في وصف ذئب:

إذا امتلأَ يعدو قلتُ ظلَّ طخاءه

ذرَّى الريحَ في أعقابِ يومِ مصرَح

﴿مُمَرَّد﴾: الممرّد: الممليس، وسيأتي سر بنائه في باب الفوائد، ومنه: الأمرد؛ للاسة وجهه؛ أي: نعومته؛ لعدم وجود الشعر به، وفي «القاموس»: «التمرید في البناء: التمليس، والتسوية، وبناء مرد: مطول، والمارد: المرتفع وال العالي».

﴿قوَارِيرُ﴾: في «المصباح»: «القارورة: إناء من زجاج، والجمع: القوارير، والقارورة أيضاً: وعاء الرطب والتمر، وهي: القوصرة، وتطلق

القارورة على المرأة؛ لأن الولد، أو المني يقر في رحمها، كما يقر الشيء في الإناء، أو: تشبهها بآنية الزجاج لضعفها، قال الأزهري: والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة». وفي «القاموس»: «والقارورة: حدة العين، وما قر فيه الشراب، أو نحوه، أو يخصل بالزجاج، وقوارير من فضة؛ أي: من زجاج في بياض الفضة، وصفاء الزجاج».

○ الإعراب:

﴿فَالَّتِي هُنَّا مُلْكًا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِرَبِّهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِيْنَ﴾ فاعل قال: سليمان، والخطاب لكل من هو عنده من الجن والإنس وغيرهما، وأيكم: مبتدأ، وجملة يأتيوني برعشها: خبر، والظرف: متعلق ب يأتيوني أيضاً، وأن ما في حيزها: مصدر مؤول مضارف إليه، ومسلمين: حال ﴿قَالَ عَفْرِيْتُ مِنْ لَجْنِ أَنَا إِلَيْكِ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكِ﴾ قال: فعل ماض، وعفريت: فاعل، ومن الجن: صفة، وأنا: مبتدأ، وجملة آتيك به: خبر، والظرف: متعلق ب آتيك، ومن مقامك: متعلق ب تقوم؛ أي: قبل أن تبارح مجلسك الذي تجلس فيه للقضاء من الغدأة إلى منتصف النهار. ﴿وَلِنِعَيْهِ لَقَوْيِ أَمِينٌ﴾ الواو: عاطفة، وإن واسمها، وعليه: متعلقان بقوى، واللام: المزحلقة، وقوى: خبر، وأمين: خبر ثان؛ أي: قوي على حمله، أמין به، لا اختلس منه شيئاً، ولا أعبث به ﴿قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّمَا مِنْ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكِ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَنَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لا بد من تقدير مذوق على طريق الإيجاز؛ كما تقدم، وهو: قال سليمان: أريد أن يتم ذلك في أسرع وقت. وقال: فعل ماض، والذي: فاعل، والظرف: متعلق بمذوق خبر مقدم، وعلم: مبتدأ مؤخر، ومن الكتاب: صفة لعلم، والجملة: صلة الموصول وأنا: مبتدأ، وجملة آتيك به: خبر، والجملة: مقول القول، وتقديم إعراب الباقى، وسيأتي معنى: ارتداد الطرف في باب البلاغة ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَمْ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ الفاء: عاطفة على مذوق، يقدر بحسب المقام، ويروى: أن أصنف بن برخيا، وهو الذي عنده علم من الكتاب المنزل قال لسليمان مَدَّ عينيك حتى يتنهى طرفك، فمدَّ

سلیمان عینیه، ونظر نحو اليمين، ودعا آصف بالعلم الذي لديه، فغار العرش في مكانه بمارب، ثم نبغ بمجلس سلیمان، ولما: ظرف بمعنى حين، أو: رابطة، ورآه: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومستقرأ: حال؛ لأن الرؤية بصرية؛ أي: ثابتًا، والظرف: متعلق بمستقرأ، وجملة قال: لا محل لها من الإعراب، وهذا: مبتدأ، ومن فضل ربى: خبر.

﴿لِيَلْوُنَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفَرُ﴾ اللام: للتعليل، ويبلوني: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعل يبلوني: يعود على ربى، والياء: مفعول، وأشكر: الهمزة للاستفهام، وأشكر: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وجملة أشكر: بدل من الياء في يبلوني، فهو بمثابة المفعول به، وأم أكفر: عطف على أشكر ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ عَنِّيْ كَرِيمٌ﴾ الواو: استئنافية، ومن: شرطية مبتدأ، وشكراً: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة؛ لأن الجواب جملة اسمية، وإن: حرف مشبه بالفعل، وما: مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدر اسم إن؛ أي: فإن ثواب شكره، ولنفسه: هو الخبر، وفعل الشرط وجوابه خبر من، ومن كفر فإن ربى غني كريم: جملة معطوفة على الجملة السابقة ماثلة لها في الإعراب ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرَ أَتَهْدَى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ نكروا: فعل أمر، والواو: فاعل، ولها: متعلقان بنكروا، وعرشها، مفعول به؛ أي: غيره، وننظر: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، وقراء بالرفع على الاستئناف، وجملة أتهدي: في محل نصب على المفعولية؛ لأن الاستفهام علق نظر عن العمل، وأم: حرف عطف معادلة للهمزة، وتكون: فعل مضارع ناقص، معطوف على أتهدي، واسمها: مستتر، تقديره: هي، ومن الذين: خبر تكون، وجملة لا يهتدون: صلة الذين ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشَهُ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ﴾ الفاء: عاطفة على مذوف اقتضاه الإيجاز؛ كما تقدم، أهناذا: الهمزة: للاستفهام، الهاء: للتنبيه، والكاف: حرف جر للتبيه، وذا: اسم إشارة في محل جر بالكاف، والجار وال مجرور: خبر مقدم، وعرشك: مبتدأ

مؤخر، والأصل: اتصال هاء التنبيه باسم الإشارة، فكان مقتضاه أن يقال: أكها عرشك؟ وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً، فلو قلت: أبهاذا أمرت، أو: ألهذا فعلت؟ لم يجز فيه ذلك الفصل، فلا يجوز أن تقول: أها بهذا أمرت، وأها لذا فعلت؟ وسيأتي السر في الإitan بكاف التشبيه، وعدم الاكتفاء بالقول: أهذا عرشك؟ في باب البلاغة. قالت: فعل وفاعل مستتر، تقديره: هي، يعود على بلقيس، وكأنه هو: وكان، واسمها، والضمير هو: خبرها، وسيأتي السر في عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال في باب البلاغة أيضاً.

﴿وَأُوتِنَا الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ الواو: عاطفة على كلام مذوف للإيجاز؛ أي: لما سمعوا قولها كأنه هو، قالوا: أصابت في الجواب، فقال سليمان: وأوتينا، وهو فعل ماض مبني للمجهول، ونا: نائب الفاعل، والعلم، مفعول أوتينا الثاني، ومن قبلها: متعلقان بأوتينا، وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمها، ومسلمين: خبرها، ويحتمل أن يكون: وأوتينا، من كلام بلقيس، فالضمير في قبلها راجع للمعجزة، والحالة التي دل عليها سياق الكلام، والممعنى: وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة، أو: من قبل هذه الحالة. والأول أرجح **﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونَ اللَّهِ إِلَّا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَفَّارِينَ﴾** من جملة كلام سليمان، أو من كلام الله، وصدتها: فعل ماض، ومفعول به، وما: موصول فاعل، وجملة كانت: صلة، واسم كانت: مستتر، تقديره: هي، وجملة تعبد: خبر، ومن دون الله: حال، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: وصدتها عبادة الشمس عن الإسلام، وجملة إنها: تعليل للصد عن الإسلام، وعبادة غير الله، وإن، واسمها، وجملة كانت: خبرها، واسم كانت، هي، ومن قوم: خبرها، وكافرين: صفة، وقراء: أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صدتها، أو: نصب بنزع الخافض **﴿قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ﴾** قيل: فعل ماض مبني للمجهول، والجملة: مستأنفة، وجملة ادخلني الصرح: مقول القول، والصرح: مفعول به على السعة، وسيأتي قصة

الصرح في باب الفوائد ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ الفاء: عاطفة على مخدوف للإيجاز؛ أي: فدخلته، لما: حينية، أو: رابطة، وجملة حسبته: لا محل لها، والهاء: مفعول به أول، ولجة: مفعول به ثان، وكشفت عن ساقيها: عطف على حسبته ﴿قَالَ إِنَّمَا صَرَحَ مُمَرِّدًا مِنْ قَوَارِيرِ﴾ إنّ، واسمها، وصرح: خبرها، وممرد: صفة، ومن قوارير: صفة ثانية؛ أي: إن الذي ظنتنه ماء فوقه؛ هو صرح ممرد؛ أي: مسقف بسطح، فمن أراد مجاوزته لم يفتح إلى تشميم ثيابه ﴿قَالَتْ رَبِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رب: منادى مضاف، مخدوف منه حرف النداء، وإنّ، واسمها، وجملة ظلمت نفسى: خبرها، وأسلمت: عطف على ظلمت، ومع: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال؛ أي: كائنة مع سليمان، وإنما قدر حالاً؛ لأن تعليقه بأسلمت يوهم اتحاد إسلامهما في الزمان، والله: متعلقان بأسلمت، ورب العالمين: بدل من الله، أو: صفة له.

□ البلاغة:

١- الكناية في ارتداد الطرف:

في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرِدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ﴾ كناية عن الإسراع، والطرف: هو تحريك أجنانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتفاع، وعليه قوله: و كنت إذا أرسلت طرفك رائداً

لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيَتَ الذي لا كله أنت قادرٌ
عليه ولا عن بعضه أنت صابرٌ

وهذا بيتان لأعرابية نظرها أعرابي، فخاطبها بشعر، يسألها عن أحوالها ومحاسنها، كأنه يراودها عن نفسها، فأجابته بذلك. وقيل: هو لشاعر حماسي، وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام

الركب يتعرف لهم مكان الخصب على طريق الاستعارة التصريحية ، ورائداً: ترشيح للاستعارة ، ويوماً: ظرف له .

٢- السر في التشبيه :

وفي قوله «كأنه هو» تشبيه مرسل ، عدلت إلية عن مقتضى السؤال ، ومقتضاها أن تقول : هو هو؛ لسر دقيق جداً ، وذلك : إن «كأنه» عبارة من قرب الشبه عنده ، حتى شكل نفسه في التغاير بين الأمرين ، فكاد يقول : هو هو ، تلك حال بلقيس ، ولما كانت هكذا هو عبارة جازم بتغاير الأمرين ، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير ، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة ؛ لمطابقتها حالها .

٣- التجنيس :

وهو تألف الكلمتين في تأليف حروفهما ، وهو هنا في قوله : ﴿وَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ .

* الفوائد :

١- قصة الصرح :

هذا ونلخص ما يروى من قصة الصرح ؛ لأنها قصة شعرية مجنبة الخيال ، فقد روي : أن سليمان أمر قبل قدومها ، فبني له على طريقتها قصر من زجاج أبيض ، وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دواب البحر : السمك وغيره ، ووضع سريره في صدره فجلس عليه ، فلما رأت اللجة ؛ فرعت وظلت أنه قصد إغراها ، وتعجبت من كون كرسيه على الماء ولم يكن لها بد من امتحان الأمر ، فكشفت عن ساقيها ، والمقصود من ذلك كله : اختبار عقلها وإرها بها بالمعاجز ، لا ما يروى : أنه قيل له : إنها شراء الساقين ، ورجلها كحافر الحمار ، مما لا يتلاءم ووقار النبوة ، وترفعها عن الصغار .

٢- هل تزوج سليمان بلقيس ؟ :

قيل : تزوجها بعد ذلك ، وأقرها على ملكها ، وكان يزورها في الشهر

مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له، وقيل: بل زوجها ذاتي من ملوك اليمن، ويقال لهم: الأدواء؛ لأن أعلامهم تُصدَّر بكلمة (ذو) والمراد: صاحب هذا الاسم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِي قَرَانٍ
يَخْتَصِمُونَ ﴾٤٥﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَمَّا سَتَعْجَلُونَ بِالسَّيْئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا
سَتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ ﴾٤٦﴿ قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَيَمْنَ مَعَكَ قَالَ
طَهِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾٤٧﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعْةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾٤٨﴿ قَالُوا نَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَبُيْسَتِهِ وَاهْلَهُ
ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيْهِ مَا شَهَدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾٤٩﴿ وَمَكْرُوْمَكَرَا
وَمَكْرُنَا مَكْرَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾٥٠﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾٥١﴿ فَتَلَكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيْكَهُ بِمَا ظَلَمُوا
إِنَّهُ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾٥٢﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَنْفُوْنَ ﴾٥٣﴾

☆ الشَّفَّافُ:

﴿أَطَيَّرْنَا﴾: وتطيرنا: تشاءمنا والطائر هنا: ما تيمنت به، أو تشاءمت، والمقصود هنا: الثاني، كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن، وإن مر بارحاً تشاءم، فلما نسبوا الخير أو الشر إلى الطائر استغير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته، أو من عمل العبد، وقد مر هذا في سورة الأعراف، فجدد به عهداً.

﴿الْمَدِينَة﴾: البلد، مَنْ أَخْذَهَا مِنْ: مدن بالمكان، يمدن: إِذَا قام فيه، فهي: فعيلة، والجمع: مدائن بالهمز، والميم أصلية، والياء زائدة، ومن أخذها من دان، يدين، فالميم زائدة، والياء أصلية، وهي: مفعولة، ويقال:

دنت الرجل ملكته، ودنت له: خضعت له، وأطاعت، ويقال للأمة: مدينة لأنها مملوكة، قال الشاعر:

ثُوتْ وَثُوى فِي كَرِمِهَا ابْنُ مدِينَةِ

يَظْلُمُ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَوَكِّلُ

وفي معاجم اللغة: مدن بالمكان، يمدُّن، من باب نصر، مُدُوناً: أقام، وهو فعل ممات، ومدن المدينة: أتهاها، ومدَّن المدائن - بالتشديد -: بناها ومصَّرها، وتمَّدَّن: تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الهمجية إلى حالة الأنس والظرف، وتحجم المدينة على: مُدْن بسكون الدال، ومدن بضمها، ومدائن، والمدينة: علم أطلق على يثرب، ومدينة السلام: بغداد، والمدائن: مدينة قرب بغداد، كان فيها إيوان كسرى، وسميت بالجمع لكبرها، والنسبة إليها: مدائني.

(رهط): الرهط: قوم الرجل، وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، وجمعه: أرهط، وأرهاط، وجمع الجمع: أراهط، وأراهيط، وإذا أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص، والنفس، نحو: عشرون رهطاً؛ أي: شخصاً، ويقال: نحن ذوو رهط؛ أي: مجتمعون، وفي «المصاح» «الرهط»: بما دون العشرة من الرجال، ليس فيهم امرأة، وسكنون الهاء أفعى من فتحها، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: الرهط: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة: نفر، وقال أبو زيد: الرهط، والنفر: ما دون العشرة من الرجال، وقال ثعلب أيضاً: الرهط: النفر، والقوم، والمعشر، والعشيرة، معناهم الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، وهو للرجال دون النساء، وقال ابن السكيت: الرهط، والعترة، بمعنى، ويقال: الرهط: ما فوق العشرة إلى الأربعين. قاله الأصمسي، ونقله ابن فارس أيضاً، ورهط الرجل: قومه، وقبيلته الأقربون» وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الإعراب.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْ شَمُودٍ أَخَاهُمْ صَلَحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير القصة الثالثة، أو الرابعة إذا استقلت قصة النمل عن قصة سليمان وبليقىس، وهي قصة صالح. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل ماض، وفاعل، وإلى شمود: متعلقان بأرسلنا، وأخاهم: مفعول به، وصالحاً: بدل من أخاهم، أو: عطف بيان، وأن: مصدرية، وهي ومدخلوها: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، ويصبح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال يتضمن معنى القول، واعبدوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: فجائية تقدم القول فيها، وهم: مبتدأ، وفريقيان: خبر، وجملة يختصمون: نعت لفريقيان على المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَتَأْتُو﴾ لأن كل فريق يضم جماعة ﴿قَالَ يَقُولُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ يا: حرف نداء، وقوم: منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحذوفة، ولم: اللام حرف جر، وما: اسم استفهام حذفت ألفه لدخول الجار، والجار والمجرور متعلقان بستعجلون، وبالسيئة: متعلقان بستعجلون، وقبل الحسنة: ظرف متعلق بممحذوف حال، والمراد بالسيئة: العذاب، وبالحسنة: الرحمة؛ كما سيأتي ﴿لَوْلَا تَسْتَعْفِرُوْنَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ لولا: حرف تحضيض بمعنى هلا، وتستغفرون الله: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل ولفظ الجلالة: مفعوله، ولعلكم ترحمون: لعل، واسمها، والجملة: خبرها ﴿قَاتُلُوا أَطْيَبَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكُ﴾ اطيرنا: فعل ماض، وفاعل، وأصله: تطيرنا، ادغمت التاء في الطاء، واجتلت همزة الوصل للتوصيل إلى النطق بالساكن؛ لأن المدغم ساكن دائمًا، وبك: متعلقان باطيرنا، وبمن: عطف على بك، ومعك: ظرف مكان متعلق بممحذوف صلة من، والجملة: مقول قولهم.

﴿قَالَ طَتِّيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُقْسَنُونَ﴾ طائركم: مبتدأ، وعند الله: ظرف متعلق بممحذوف هو الخبر، والجملة: مقول قوله، وبل: حرف

إضراب ، فقد أضرب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحقيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه ، وأنتم : مبتدأ ، وقوم خبر ، وجملة تفتون : نعت لقوم ﴿وَكَاتِبٌ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَهُ رَهَطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الواو : استثنافية ، وكان : فعل ماضٌ ناقص ، وفي المدينة : جار و مجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، وتسعة : اسمها المتأخر ، ورهط : مضاف إليه ، وسيأتي بحث تميز العدد مفصلاً في باب الفوائد ، وجملة يفسدون : صفة لتسعة ، ولا يصلحون : عطف على يفسدون ، وسيأتي سؤال قوله : ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ في باب البلاغة ﴿قَاتُوا نَقَاصَمُوا بِاللَّهِ لَنْبَيِّنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ تقاسموا : فعل أمر ؛ أي : احلقوا ، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً ، وحيثند يجوز أن يكون مفسراً ، كأنه قيل : ما قالوا ؟ فقيل : تقاسموا ، ويجوز أن يكون مع فاعله : جملة في محل نصب على الحال ؛ أي : قالوا متقاسمين بإضمار قد ، والتقاسم ، والتقطير ، والتظاهر ، والظهور : التحالف ، لنبيته : اللام : واقعة في جواب القسم ، ونبيته : من البيات - وقد تقدم معناه في مكان آخر - : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والفاعل : مستتر ، تقديره : نحن ، والهاء مفعول به ، أي : لباغته ليلاً ، وأهله : الواو عاطفة ، وأهله : معطوف على الهاء ، ويجوز أن يعرب مفعولاً معه ، فتكون الواو للمعية ﴿ثُمَّ لَقُولَنَّ لَوْلَيْهِ مَا شَهِدَنَا مَهْلِكٌ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ ثم : حرف عطف للتراخي ، واللام : موطنها للقسم ، ونقولن : تقدم إعراب مثيلتها ، ولو لـيه : متعلقان بنقولن ؛ أي : الذين لهم ولادة دمه ، ومهلك : مفعول به ، وهو إما مصدر ميمي ، أو اسم زمان ، أو اسم مكان ، وقرىء بضم الميم ، وفتح اللام ؛ على أنه من الرباعي ، وأهله : مضاف إليه ، وإننا : الواو : عاطفة ، أو : حالية ، وإننا : إن ، واسمها ، واللام : المزحلقة ، وصادقون : خبر إن .

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الواو : عاطفة ، ومكروا : فعل ، وفاعل ، ومكراً : مفعول مطلق ، ومكرنا مكراً ، عطف على الجملة السابقة ، والواو : حالية ، وهم : مبتدأ ، وجملة لا يشعرون : خبر

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عِنْقَبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرَّتْهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الفاء: استثنافية، والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مكرهم المبيت، وتآمرهم الدنيء، فإنَّ البيات مما يستكره، ويروى عن الإسكندر: أنه أشير عليه بالبيات، فقال: ليس من آيin الملوك استراق الظفر؛ أي: من عادته وطرائقه. وكيف: خبر كان المقدم، وعاقبة: اسم كان المؤخر، والجملة: في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بانظر المعلقة عن العمل بالاستفهام، وإنما: جملة مستأنفة، ولذلك كسرت همزة إنما، وقرىء بفتحها على أن المصدر بدل من العاقبة، أو: خبر لمبدأ مذوق، وأن، واسمها، وجملة دمناهم: خبرها، وأجمعين: تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه؛ أي: صالح وأهله المؤمنين به، وكانوا كما يروى أربعة آلاف ﴿فِتْلَكَ بَيْوَتُهُمْ حَاوِيَّةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الفاء: عاطفة، والجملة معطوفة على ما قبلها، مقررة لها، وتلك: مبتدأ، وبيوتهم: خبر، وخاوية حال من بيوتهم، والعامل فيها معنى الإشارة، وبما ظلموا: متعلقان بخاوية، وما: مصدرية، والباء: للسببية؛ أي: بسبب ظلمهم، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسمها، ولقوم: صفة لآية، وجملة يعلمون: صفة لقوم ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ أَمْنَوْا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فعل؛ وفاعل، ومفعول به، وجملة آمنوا: صلة، وكانوا يتقوون: عطف على آمنوا، فهو في حيز الصلة، وكان، واسمها، وخبرها.

□ البلاغة:

١- التمام أو التتميم:

في قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فن التمام، كما سماه قدامة في «نقد الشعر»، وابن رشيق في «العمدة»، وابن عساكر في «الصناعتين»، أو: التتميم كما سماه الحاتمي، وقد تقدم ذكره في «البقرة» و«النحل»، ونعيد تعريفه مختصرًا هنا، وهو: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه

في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ فإن قوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعْةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ شأنهم الإفساد البحث، وقد كانوا كما يروى عتاةً غلاظاً، وهم الذين أشاروا بعقر الناقة لراغمة صالح، وإثارة حفيظته، ومنهم قدار بن سالف المشهور بالشوم، وقد تقدم ذكره، ولكن قوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يدفع أن يندر منهم، أو من أحدهم بعض الصلاح، فتمم الكلام بقوله «ولا يصلحون» دفعاً لتلك العذرة أن تقع، أو أن يخالج بعض الأذهان شك في أنهاستقع، وبذلك قطع كل رجاء في إصلاح أمرهم، وحسن حالهم.

٢- المشاكلة:

في قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكَرًا وَمَكَرْنَا مَكَرًا﴾ فن المشاكلة، وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته؛ لأن الله تقدس عن أن يستعمل في حقه المكر، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة، وهو كثير في القرآن، ومنه: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ والله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة النفس، أما مكرهم، فهو: ما بيته لصالح، وما انتووه من إهلاكه وأهله، وأما مكر الله، فهو: إهلاكهم من حيث لا يشعرون، على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، فقد شبه الإهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء؛ لأن حقيقة المكر هو الإيقاع بالآخرين قصداً، وعن طريق الغدر والخديعة، وقد تقدمت قصة إهلاكهم في الشعب.

* الفوائد:

١- تمييز العدد:

مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما؛ إن كان اسم جنس؛ وهو: ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء؛ كشجر وتمر، أو اسم جمع، وهو ما دل على الجمع، وليس له مفرد من لفظه؛ كقوم، ورهط؛ جُزّ بمن، تقول: ثلاثة من التمر أكلتها، وعشرة من القوم لقيتهم، وتسعة من الرهط صحبتهم، قال تعالى: ﴿فَخُذْ

أَرْبَعَةَ مِنَ الظَّيْرِ ﴿١﴾ وَقَدْ يَجِدُ بِإِضَافَةِ الْعَدْدِ إِلَيْهِ، فَاسْمُ الْجَمْعِ نَحْوُ الْآيَةِ الْمُتَقْدِمَةِ ﴿٢﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴿٣﴾ وَفِي الْحَدِيثِ: «لِيسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَ ذُودَ صِدْقَةً» وَقَالَ الشَّاعِرُ:

ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ ذُودٍ لَقْدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالٍ

وَالذُّودُ مِنَ الْإِبْلِ: مَا بَيْنَ الْثَّلَاثَ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَهِيَ مَؤْنَثَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، كَمَا فِي «الصَّحَّاحِ»، وَالْأَنْفُسُ: جَمْعُ نَفْسٍ، وَهِيَ مَؤْنَثَةٌ وَإِنَّمَا أَنْثَ عَدْدُهَا وَكَانَ الْقِيَاسُ تَذَكِيرَهُ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا مَقْصُودًا بِهَا الْإِنْسَانُ، أَمَّا اسْمُ الْجِنْسِ فَكَقُولُ جَنْدُلُ بْنُ الْمَشْنِيِّ:

كَأَنَّ خِصْيَيْهِ مِنَ التَّدَلْدُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثَنَتَا حَنْظَلَ

فَهَنْظَلُ: اسْمُ جِنْسٍ مُجْرُورٌ بِالإِضَافَةِ عَلَى حَدٍ: تِسْعَةُ رَهْطٍ، هَذَا وَيَرَوْيُ بَدْلَ التَّدَلْدُلِ: التَّهَدُلُ، وَهُوَ أَوْلَى، وَيَرَوْيُ: سَحْقُ جَرَابٍ، وَخَصُّ الْعَجُوزُ: لِأَنَّهَا لَا تَسْتَعْمِلُ الطَّيْبَ؛ حَتَّى يَكُنْ فِي ظَرْفِهَا مَا تَنْزِيَنَ بِهِ وَالْبَيْتُ مِنْ أَقْدَعِ الْهَجَاءِ.

وَإِنْ كَانَ مِيزُ الْثَّلَاثَةِ وَالْعَشْرَةِ، وَمَا بَيْنَهُمَا جَمِيعًا، جُنُّرٌ بِإِضَافَةِ الْعَدْدِ إِلَيْهِ نَحْوُ: ثَلَاثَةُ رَجَالٍ، وَثَلَاثَ إِمَاءَ، وَيُعَتَّرُ التَّذَكِيرُ وَالتَّأْنِيَثُ مَعَ اسْمِ الْجَمْعِ وَالْجِنْسِ بِحسبِ حَالِهِمَا؛ بِاعتِبَارِ عُودِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِمَا تَذَكِيرًا وَتَأْنِيَثًا، فَيُعَطِّي الْعَدْدُ عَكْسَ مَا يَسْتَحِقُهُ ضَمِيرُهُمَا، فَإِنْ كَانَ ضَمِيرُهُمَا مَذْكُورًا أَنْتَ الْعَدْدُ، وَإِنْ كَانَ مَؤْنَثًا ذَكْرُ، فَتَقُولُ فِي اسْمِ الْجِنْسِ: ثَلَاثَةُ الْغَنَمِ عَنِّي، بِالْتَّاءِ فِي ثَلَاثَةِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: غَنَمٌ كَثِيرٌ بِالْتَّذَكِيرِ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَترِ فِي كَثِيرٍ، وَرَوْيُ صَاحِبِ «الْمَصَبَّاحِ»: أَنَّهُ يَجِدُ فِي غَنَمٍ تَذَكِيرَ ضَمِيرِهِ وَتَأْنِيَثِهِ، وَثَلَاثَ مِنَ الْبَطِّ، بِتَرْكِ الْتَّاءِ مِنْ ثَلَاثَةِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: بَطٌ كَثِيرٌ بِالْتَّأْنِيَثِ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَترِ فِي كَثِيرٍ، وَثَلَاثَةُ أَوْ ثَلَاثَ مِنَ الْبَقَرِ؛ لِأَنَّ ضَمِيرَ الْبَقَرِ يَجِدُ فِيهِ التَّذَكِيرَ وَالتَّأْنِيَثَ، وَذَلِكُ: أَنْ فِي الْبَقَرِ لِغَتَيْنِ: التَّذَكِيرُ، وَالتَّأْنِيَثُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الْبَقَرَ شَبَّهَ عَلَيْنَا» بِتَذَكِيرِ الضَّمِيرِ، وَقَرَىءَ: تَشَابَهَتْ، بِتَأْنِيَثِهِ، وَأَمَّا اسْمُ الْجَمْعِ؛ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمَذْكُورِ، إِنْ كَانَ لَمْ يَعْقُلُ، كَالْقَوْمُ، وَالرَّهْطُ، وَالنَّفَرُ، وَإِنْ كَانَ

لما لا يعقل؛ فحكمه حكم المؤنث؛ كالحامل، والباقي. هذا ما ذكره النحاة، ولكن فيه نظراً؛ لأن نسوة اسم جمع، وحكمه حكم المؤنث باتفاق، فيقال: ثلاث نسوة، والتذكير والتأنيث مع الجمع يعتبران بحال مفرده، فإن كان مفرده مذكراً؛ أنت عدده، وإن كان مؤنثاً؛ ذكر عدده، فلذلك: تقول ثلاثة إصطبلات، جمع: إصطبل بقطع الهمزة المكسورة، وثلاثة حمامات؛ لأن الإصطبل والحمام مذكران، وتقول: ثلاث سحابات، بترك التاء اعتباراً بالسحابة، فهي مؤنثة، ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه؛ حتى يقال: ثلاث طلحات بترك التاء، ولا يعتبر حال معناه؛ حتى يقال: ثلاث أشخاص بتركها أيضاً؛ يريد نسوة؛ لأن الشخص يقع على المذكر والمؤنث، بل ينظر إلى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره، فيعكس حكمه في العدد، فاما قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجّنِي دونَ مَنْ كنُتْ أَتَقَى

ثلاث شخصوصٍ كاعبانٍ ومُعصرٍ

فضرورة، وكان القياس فيه ثلاثة شخصوص بالباء، ولكنه كنى بالشخصوص عن النساء، والذي سهل ذلك قوله: «كاعبانٍ ومعصرٍ» فاتصل اللفظ بما يقصد المعنى المراد وهو التأنيث، والكاعب الجارية؛ حين يبدو ثديها لللنھود، والمعصر بضم الميم وكسر الصاد الجارية أول ما أدركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب كما قال الخليل. هذا وقد جمع بنا عنان القول، فحسبنا ما تقدم أوردناه لأهميته وفائده، ولا بد من الرجوع إلى المطولات لمن أراد المزيد.

٢ - اعلم أنهم قد كسروا شيئاً من الأسماء لا على الواحد المستعمل، بل تحملوا لفظاً آخر مرادفاً له، فكسروه على ما لم يستعمل، فمن ذلك: رهط وأراهط. قال الشاعر:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعَتْ أَرَاهَطَ فَاسْتَرَاحُوا

وليس القياس في رهط أن يجمع على أراهط، لأن هذا البناء من جموع

الرباعي، وما كان على عدته، نحو: جعفر، وجعافر، وجدول، وجدائل وأرنب، وأرانب. وليس أرهط بجمع رهط؟ إذ لو كان كذلك؟ لم يكن شاداً، ويدل على ذلك: أن الشاعر قد جاء به لما احتاج إليه قال:

وَفَاضِحٌ مفتوحٌ في أرْهُطِهِ مِنْ أرْفَعِ الْوَادِيِّ وَلَا مِنْ بُعْثُطِهِ
وَالْبُعْطُ وَالْبَعْثُوتُ: سُرَّةُ الْوَادِيِّ، وَخَيْرُ مَوْضِعِهِ.

هذا وقد اختلف النحويون في أراهط ، فزعم قوم منهم : أنه جمع أرهط ؛
الذى هو جمع رهط ، وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وزعم أكثر النحويين : أن
أراهط جمع رهط على خلاف القياس . والبيت مطلع قصيدة لسعد بن مالك بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد الشاعر ، وبعده :

وَالْحَرْبُ لَا يَقْنَى بِجَاهِ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَارُ فِي النَّدِ
وَالثَّنَرُهُ الْحَصَدَاءُ وَالْ
وَتَسَاقِطُ الْأَوْشَاظِ وَالْ
وَالْكَرْبُ بَعْدَ الْفَرَرِ إِذْ
كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا

لفظ الآيin في شعر أبي نواس:

وردت في باب الإعراب كلمة الإسكندر، وفيها: يقول: ليس من آين
الملوك استراق الظفر، ونحب أن نورد أبياتاً لأبي نواس استعمل فيها كلمة
الآين، فجاءت خفيفة ظريفة رغم غرائبها، قال أبو نواس يصف ما جرى له
في دير نهراذان:

بـدـيـر نـهـراـذـان لـيـ مـجـلـسـ
 رـحـثـ إـلـيـهـ وـمـعـيـ قـيـنـهـ
 بـكـلـ طـلـابـ الـهـوـيـ فـاتـكـ
 حـتـىـ تـوـافـيـنـاـ إـلـىـ مـجـلـسـ
 وـالـنـرجـسـ الغـضـ لـدـيـ وـرـدـهـ

وخيء بالدَّنْ على مرفع
وطاف بالكأس لنا شادنْ
يكادُ من إشراقِ خديه أنْ
فلم يزل يسقي ونهوه به
حتى غدا السَّكرانْ من سُكِرِه
فقوله : نأخذ القصف بآينه ؛ أي : برسومه ، وقوانينه ، وشروطه .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾
أَيْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾٦٠﴿ فَمَا
كَانَ حَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُونَا إِلَّا لُوطًا مِنْ قَرِيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ
يَنْظَهُرُونَ ﴾٦١﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدْرَنَاهَا مِنَ الْعَذَابِ ﴾٦٢﴿ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾٦٣﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الواءُ : استئنافية ، والكلام مستأنف ، مسوق لذكر القصة الخامسة والأخيرة من قصص السورة ، ولوطاً : مفعول به لفعل مذوف ، تقديره : اذيره ، أو : أرسلنا ، فإن جعلته اذيره ؛ كانت إذ ظرفأ لما مضى من الزمان متعلقاً بأذير ، وإن جعلته أرسلنا ؛ كانت إذ بدل اشتثال من لوطاً ، وجملة قال : مجرورة بإضافة الظرف إليها ، ولقومه : جار ومحرر متعلقان بقال ، والهمزة : للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، وتأتون : فعل مضارع ، والواو : فاعل ، والفاحشة : مفعول به ، والجملة : مقول القول ، وأنتم : الواو حالية ، وأنتم : مبتدأ ، وجملة تبصرون : خبر أنتم ، والمراد : بصر القلب ؛ أي : تعلمون أنها فاحشة ، ومع ذلك تفعلونها « أَيْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ » الهمزة : للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، وكرر التوبيخ زيادة في التبيح ،

واستسماج هذه الفعلة الشناع المخالفة لنوميس الطبيعة، وسيرد في باب الفوائد بحث عن هذه الميول الجنسية الشاذة؛ التي لا يبلغ كنه قبحها، وإن، وأسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون الرجال: خبرها، وشهوة: مفعول لأجله، أو: حال من الفاعل، أو المفعول، ومن دون النساء: متعلقان بمخدوف حال من الفاعل **﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** بل: حرف إضراب، وأنتم: مبتدأ، وقوم: خبر، وتجهلون: صفة لقوم **﴿فَمَا كَانَ جَوَابٌ لِّقَوْمٍ إِلَّا أَنْ كَالُوا أَخْرِجُوا أَهْلَ لَوْطٍ مِّنْ قَرِيرِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾** الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وجواب قومه: خبر كان المقدم، وإلا: أداة حصر، وأن قالوا: مصدر مؤول في موضع الرفع اسم كان المؤخر، وجملة أخرجوا: مقول القول، وهو فعل أمر، وفاعل، وأآل لوط: مفعول به، ومن قريركم: متعلقان بأخرجوا، وإنهم: تعليل لإخراجهم، وإن، وأسمها، وأناس: خبرها، وجملة يتظاهرون: صفة؛ أي: يتنتزهون عن هذا العمل القذر **﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَهْلَكُمْ إِلَّا أَمْرَاتُكُمْ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْفَتَرِيكَ﴾** الفاء: عاطفة على مقدر مخدوف يفهم من السياق، أي: فخرج لوط بأهله من أرضهم بعد أن أحسن بمكرهم، وكيدهم، وتربيتهم الدوائر. وأنجيناهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وأهله: عطف على الهاء، أو مفعول معه، وإلا: أداة استثناء، وامرأتهم: مستثنى، وجملة قدرناها: حال، وقدرناها: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ومن الغابرين: متعلقان بقدرناها، أي: الباقيين في العذاب **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ﴾** الواو: عاطفة، وأمطربنا: فعل وفاعل، وعليهم: متعلقان بأمطربنا، ومطراً: مفعول به، فسأء: الفاء: عاطفة، وسأء: فعل ماض للذم، ومطر المنذرين: فاعل.

* الفوائد:

النرجسية والشذوذ الجنسي:

يرجع فلاسفة المحدثون ظواهر الشذوذ في غرائز الجنس إلى النرجسية،

ولهذا كان لابد من أن نشرح هذه النرجسية كما يفهمها المحللون النفسيون :

كان اليونانيون الأقدمون يطلقون اسم نرجس على فتى من فتيان الأساطير، بارع الحسن، ساحر الشمائل، يفتن من يراه، ويشقي بجماله وتيهه قلوب العذارى الخفرات، فلا يلتفت إلية، ولا يستجيب لضراعتهن، ولم يزل كذلك حتى ضجت السماء بدعاء عاشقاته وصلواتهن إلى الأرباب أن يصرفوهن عنه، أو يصرفوه عنهن، واستجابت «نمسى» ربة القصاص والجزاء إلى هذا الدعاء، فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه، ويلقى منها الشقاء الذي تلقاه منه عاشقاته، قال رواة الأساطير: **فما هو إلا أن ذهب يشرب من ينبوع صافٍ حتى لمح بصورته في مائه، فوقف عندها يعجب من جمالها، وأذهلتة الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقاً إلى الماء ليتملىء تلك الصورة، ويرتوي من النظر إليها، فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقاً، ولا تزيده اللهفة إلا هزاً، وذبولاً حتى فني، وذهبت عرائس الماء، تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غير نرجسة مطرقة ترنو إلى الماء، ولا ترفع بصرها إلى السماء، فالنرجس أبداً مطرق مفتوح العين، لا يشع من النظر إلى خياله على حوافي الجداول والغدران.** وهناك روايات أخرى حول هذه الأسطورة تمثل الصدى، والخذر، والسبات، لا تخرج عن هذا الفحوى، وتتحقق بما تطوي عليه آفة النرجسية من الغرائز أو من الميل والأحساس، ولهذا وقع عليها اختيار المحللين النفسيين، فلم يجدوا اصطلاحاً أوفقاً منها لأعراض تلك الظاهرة النفسية، مع عراقة الاصطلاح في اللغة اليونانية؛ التي يختارونها لابداع الأسماء الجديدة في العلوم، وأول من أدخل هذا المصطلح في الطب النفسي الدكتور هافلوكليس رائد المباحث الجنسية المشهور، ثم توسع الأطباء النفسيون في دراسة هذه الآفة، وتتبعوا أعراضها ولوازمها، واستقصوا ما هو من لوازمها الأولية، وما هو من لوازمها الثانوية، أو التبعية، وتعيننا هنا من شعابها التي تتصل بدراسة المنحرفين شعبتان:

١- تسمى إحداها الاشتهاء الذاتي .

٢- تسمى ثانيةما التوثين الذاتي .

فالاشتئاء الذاتي يغلب على الحالات الجسدية التي تقرن باختلال وظائف الجنس في صاحبها ويبلغ من اختلال هذه الوظائف : أن المصاب به يمني إذا أطال النظر إلى بدن عاريًا في المرأة وما إليها، وأنه يشتهي بدن كأنه بدن إنسان غريب عنه ، ولكنها شهوة يبالغ فيها المريض .

والتوثين الذاتي يغلب على الحالات العاطفية والفكيرية ، فيتعدد المصاب به من نفسه وثناً يعبده ، ويعزه ، ويدللها ، فلازمة التلبيس والتتشخيص لا غنى عنها في الشذوذ الجنسي ، وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوية ، فالشاذ في حب جنسه ، أو حب الجنس الآخر ، يجد طلبه ويقضي مأربه ، أما الذي يشتهي بدنه ؛ فليس في وسعه أن يقضي مأربه منه بغير الاحتيال لذلك بالتلبس والتتشخيص ، فهو يلبس شخصيته شخصاً آخر يتوهم أنه هو ذاته ، أو يحل محل ذاته ، وكما يفعل جالد عميزة حين يضع أمامه صورة .

هذا ومن المفيد أن يرجع الذي يتوقف إلى معرفة تطور النظريات في مسائل الجنس إلى الكتب المؤلفة في هذا الصدد ، فهي تلقى أصوات على المشكلة ، ولكنها لا تحلها ، لأنها كلها لم تنته إلى تهويق الفوارق بين الجنسين ، ولا إلى زعم الزاعمين : أن الإنسان مزدوج الجنسين ، مخلط الذكورة والأنوثة بطبيعته ، وأن الشذوذ الجنسي فيه فطرة عامة تتخذ أطوارها على حسب العمر من الطفولة إلى تمام النمو في الجنسين ، كما يقول فرويد ومتابعيه .

وقد صور أبو نواس - وهو قطب من أقطاب النرجسين - هذه الأطوار خير تمثيل ، وهو يغشى معاهد الدرس على هذا المثال في عرفة بقوله :

دُلْلَعْلَمِ حَصَّى الْمَسْجَدِ مِنْ التَّكَّةِ تَسْعَقَدِ فَقُولُوا سَجَدَ الْهَدَهْ	إِذَا مَا وَطِئَ الْأَمْرِ فَقُلْ حَلَّ لَنَا عَقْدًا فَإِنْ كَانَ عَرْوَضِيَا
---	--

وإِنْ أَعْجَبَهُ النَّحْوُ
وإِنْ مَالَ إِلَى الْفَقْرِ
وإِنْ كَانَ كَلَامِيَاً
وَمِيلَتْهُ إِلَى الْخَيْرِ
وَخَذَهُ كَيْفَمَا شَاءَتْ
وَقَلَ: هَذَا قَضَاءُ اللَّهِ
وَأَنْتَهِي مَصْرَحًا:
فِيَا مَنْ وَطَىَ الْمَسْجَدَ
أَنَا قَسْطُ عَلَى نَفْسِي
وَنَتْهِي مِنْ هَذَا الْبَحْثِ وَقَدْ كَانَ أَمْرًا لَا بُدْ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَوْضِعُهُ

تصحیح روایة بیت فی «الکشاف» لأبی نواس:

ذكر الزمخشري في كشافه بقصد الحديث عن قوم لوط قال: «... كانوا في ناديهم يرتكبونها، معالين بها، لا يتستر بعضهم من بعض، خلاعة، ومجانية، وإنهم ماكأ في المعصية، وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله:

وبِحَّ بِاسْمِ مَا تَأْتِي وَذُرْنِي مِنَ الْكِنَىٰ

فَلَا خَيْرٌ فِي الْذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ

وصواب الرواية: «وَبُحْ بِاسْمِ مِنْ تَهْوِيْ وَدَعْنِي مِنَ الْكِنَّى» الْبَيْتُ وَهُوَ مِنْ قصيدة رائعة أولها:

أَلَا فَاسْقُنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِي الْخَمْرُ

وَلَا تُسْقِنِي سِرًا إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ

وبعد البت:

فيعيش الفتى في سكره بعد سكره

فَإِنْ طَالَ هَذَا عَنْدَهُ قَصْرُ الْعُمُرِ

وبعده :

وَمَا الْغُرْمُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِيًّا
وَمَا الْغُنْمُ إِلَّا أَنْ يُعْتَنِي السُّكَرُ

ولا نمر بك دون أن نقف عند البيت الأول فقد قال : «وقل لي هي الخمر» وقد ييدوا هذا حشوأللوهلة الأولى ، ولكن القارئ إذا ذكر أن للإنسان خمس حواس علم أن أبا نواس قصد أن يشرك حاسة السمع التي تتطلب محرومة من لذة الخمر حال شربها ، فطالب ندمانه أن يخاطبه باسمها ، ليشرك حاسة سمعه ، وهذا من أتعجب فطنته .

﴿ قُلْ لَحَمْدُ اللَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنِي اللَّهُ خَيْرًا مَا يُشْرِكُونَ ﴾^{٥٩}
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنِ السَّمَاءِ مَا مَأْتَيْنَا بِهِ حَدَائِقَ
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْسِيُوا شَجَرَهَا أَعْلَمُهُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَانِهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْسِيًّا
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَعْلَمُهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ
يُحِبِّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوَءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَمُهُ
مَعَ اللَّهِ قِيلًا مَا نَذَكَرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِي يَكُمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ
يُرْسِلُ الْرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَعْلَمُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَلَمًا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَمُهُ
مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكُوْنُوا بِرْهَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

☆ ﴿الْفَتْحَةُ﴾

﴿ حَدَائِقَ ﴾ : جمع حديقة ؛ أي : بستان من أحدق بالشيء : أحاط به ، ولما كان البستان محوطاً بالحيطان سمي حديقة ، وإلا فلا يسمى بها ، وفي «المصاح» : «والحدائق» : البستان ، يكون عليه حائط ، فعيلة بمعنى مفعولة ؛

لأن الحائط أحدق بها، أي: أحاط، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان، وإن كان بغير حائط، والجمع: الحدائق» وفي «الصحاح»: «الحديقة كل بستان عليه حائط» ومن أقوالهم: «ورد على كتابك فتنزهت في آنق رياضه، وبهجة حدائقه».

○ الإعراب:

﴿ قُلْ لَّمْحَدُ لِلَّهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْتَكُمْ ﴾ كلام مستأنف مسوق لأمر رسوله ﷺ بحمده تعالى، وبالسلام على المصطفين الآخيار من خلقه، وكأن هذا الحمد براعة استهلال لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية، والعلم، والقدرة؛ التي سيرد ذكرها، وذلك بعد أن فرغ من قصص هذه السور الخمس. وقل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت؛ أي: يا محمد؛ ليكون نموذجاً؛ يتأسى به كل كاتب وخطيب، ويحتذى على مثاله في كل علم مفاد، والحمد: مبتدأ، والله: خبره، وسلام مبتدأ سوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، وعلى عباده: خبر، والذين: صفة لعباده، وجملة اصطفي: صلة، والعائد: مخدوف؛ أي: اصطفاهم، وهم المؤمنون المتأهلون للدنيا والآخرة **﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا يُشَرِّكُونَ ﴾** الهمزة: للاستفهام، والله: مبتدأ، وخير: خبر، وأم: عاطفة، وما: اسم موصول واقع على آهتهم، وجملة يشركون: صلة **﴿ أَمْنَنَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا أَمْنَنَنَا لِهِ حَدَّاً بِقَدَّارِ ذَاتَكَ بَهْجَةً ﴾** أم: منقطعة لفقدان شرطها وهو تقدم همزة الاستفهام، وهي بمعنى بل، والإضراب بمعنى التبكيت والتوبيخ، ومن: مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، وخبر من: مخدوف، تقديره: خير أم ما يشركون، فيقدر ما أثبتت في الاستفهام الأول تعويلاً عليه، وهذا ما اختاره الزمخشري، وهو جميل متناسب مع الكلام، وقال أبو الفضل الرازمي: «لا بد من إضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمير كالمتوقع لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة: أمن خلق السموات والأرض كمن لم يخلق، وكذلك أخواتها، وقد أظهر في غير هذه الموضع ما أضمر فيها؛ كقوله

تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنَ لَا يَخْلُقُ﴾ ولا نرى خلافاً بيناً بين الوجهين. وأنزل: عطف على خلق، ولكم: حال، ومن السماء: متعلقان بأنزل، وماء: مفعول به، والفاء: عاطفة، وأنبتنا: عطف على ما تقدم على طريق الالتفات، وسيأتي في باب البلاغة، وبه: متعلقان بأنبتنا، وحدائق: مفعول به، وذات بهجة: صفة لحدائق، وسogue إفراده: أن المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل.

﴿مَا كَانَ لَكُنَّ أَنْ تُنْتِي شَجَرَهَا﴾ الجملة: نعت ثان لحدائق، أو: حال منها؛ لتخصصها بالصفة، وما: نافية، وكان: فعل ماضٌ ناقصٌ، ولهم: خبر كان المقدم، وأنْ وما في حيزها: اسمها المؤخر، وتبتوا: فعل مضارع منصوب بأن، والواو: فاعل، وشجرها: مفعول ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى النفي، وإله: مبتدأ، وساغ الابتداء به لإفادته بسبب الاستفهام، ومع الله: ظرف متعلق بمحذوف الخبر، ويل: حرف إضراب، معناه: التبييت، وقد تكرر هذا التعبير خمس مرات؛ كما سترى، وهم: مبتدأ، وقوم: خبر، وجملة يعدلون: صفة ﴿أَمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ تقدم إعراب هذا التركيب فقس عليه، وقراراً: مفعول جعل الثاني، وجعل خلالها أنهاراً: عطف على الجملة الأولى، وخلالها: يجوز أن يكون ظرفاً لجعل، بمعنى: خلق المتعدية لواحد، وأن يكون في محل المفعول الثاني، على أنها بمعنى: صير، وعلى الوجه الأول يكون قراراً: حالاً ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوْسِي﴾ جملة معطوفة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكَّرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجملة: معطوفة على ما تقدم، وقد تقدم إعرابها ﴿أَمَنَ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشَّوَّهَ﴾ تقدم إعرابها، وجملة دعاه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمضرط: اسم مفعول، وظاهره أصلها تاء الافتعال ﴿وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا لَذَّكُرُونَ﴾ تقدم إعرابها، وقليلاً: نعت مصدر محذوف، أو لوقت محذوف، وما: زائدة، لتقليل القليل، وتذكرون: فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، والواو: فاعل ﴿أَمَنَ يَهْدِي سَبَّعَمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تقدم

اعرابها ﴿ وَمَنْ يُرِسِّلُ الْرِّيَاحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَئَلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿ أَئَلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكَانُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إن: شرطية، وجوابها: مذوف، تقديره: فهاتوا برهانكم، وقد قدمنا: أن قوله: أإله ذكر خمس مرات، وختم الأول بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ قَمْ يَعْدِلُونَ ﴾ وختم الثاني بقوله: ﴿ بَلْ أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ والثالث بقوله: ﴿ قَلِيلًا مَا نَذَكَرُونَ ﴾ والرابع بقوله: ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ والخامس بقوله: ﴿ قُلْ هَكَانُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

□ البلاغة:

الالتفات في قوله: ﴿ فَأَنْبَتَنَا يَهُ، حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ بعد قوله: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ فقد انتقل في نقل الإخبار من الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: ﴿ فَأَنْبَتَنَا ﴾ ، والسر فيه تأكيد اختصاص فعل الإن amat بذاته تعالى، وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، وما يبدو فيها من تزاويق الألوان، وتحاسين الصور، ومتباين الطعوم، و مختلف الروائح المتفاوتة في طيب العرف والأريج، كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق، وهو الله وحده، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك: ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْسِيُوا شَجَرَهَا ﴾ وقد أدرك أبو نواس هذه الحقيقة فقال:

تأمل في رياض الأرض وانظر عيون من جين شاخصات على قضي الزير جد شاهدات هل تاب أبو نواس؟	إلى آثار ما صنع الملائكة بأنظار هي الذهب السبيك بأن الله ليس له شريك
---	--

هذا ولعلك تعجب من هذه الأبيات تنضح بالإيمان العميق، وتتصدر عن رجل كأبي نواس، لم يظلمه الذين اتهموه، ولم تعوزهم الأدلة على اتهامه بالفساد، ولكنهم ظلموا الفلسفة، فظنواها مدرجة المطبعين عليها إلى الزندقة

ومذاهبتها، ولا زندقة هنا عند أبي نواس، ولا مذهب غير المجنون، وحب الظهور، ولقد كان إبراهيم النظام من أعلم أهل زمانه بما يسمونه علوم الأوائل، وكان أبو نواس يحضر عليه، فينهاه عن التبذل، ويدركه بالوعيد يقول له: إن من ترقب وعد الله فعليه أن يحذر وعيده، فلا يرعوي عن لغوه، ومجونه، حتى يئس منه، فطرده من مجلسه، فنظم فيه قصيده التي اشتهرت بالإبراهيمية ومطلعها مشهور متداول:

دُعْ عَنْكَ لَوْمِي فِي إِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءً

وَدَاوِي بِالْتِي كَانَتْ هِي الدَّاءُ

وَفِيهَا يَسْخَرُ مِنَ النَّظَامِ :

فَقُلْ لَمَنْ يَدْعُ يَ فِي الْعِلْمِ فَلَسْفَةً

حَفِظَتْ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءً

لَا تَخْطُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً حَرْجَأً

فِإِنَّ خَطْرَكَ بِالْدِينِ إِزْرَاءُ

فأبو نواس لم يكن سوى ماجنٍ مستهترٍ، وقد كان المجنون في عرف بيته هو الظرف، نصح له الأمير أبو العباس محمد أن يتوب عن المجنون، فقال له: أما المجنون فما كل أحد يقدر أن ي benign، وإنما المجنون ظرف، ولست أبعد فيه عن حد الأدب، أو أتجاوز مقداره، أما العاصي؛ فإني أتق فيها بعفو الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وقد تلقف أبو نواس أضاليل المرجئة وقولهم: «لا يضر مع الإيمان سيئة جلت، أو قلت أصلًا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلًا» فنادى بذلك، ويظهر أنه استهواه:

تَرَى عَنْدَنَا مَا يَسْخُطُ اللَّهَ كُلَّهُ

مِنَ الْعَمَلِ الْمَرْدِيِّ الْفَتَنِ مَا خَلَّ الشَّرِّ كَا

ثم عدل نظريته بعض الشيء، فاكتفى بالقول: إن الكبائر لا تسلك

صاحبها مع الكفار ، ولا تحرمه الرجاء بعفو الله ، وقوله مشهور في ذلك :
 تكثّر ما استطعت من الخطايا فِإِنَّكَ بِالْغُرْبَةِ رَبِّاً غَفُورًا
 تعصُّ ندامةً كفيك ممّا تَرَكْتَ مُحَافَةَ النَّارِ السُّرُورًا

ومن ذلك قوله :

بَا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللَّهِ هِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرَ

على أنه تاب في آخريات عمره ، وقد نستشف من أشعاره التينظمها في تلك السن المشرفة على النهاية صدق توبته ، فقال معترفاً بتأخيرها بعد فوات حينها :

دَبَّ فِيَ الْفَنَاءِ سَفَلًا وَعَلَوْا
 ذَهَبْتُ شَرَّتِي وَجَدْتُ نَفْسِي
 لِيَسَّ من سَاعَةٍ مَضَتْ بِي إِلَّا
 لَهَفَّ نَفْسِي عَلَى لِيَسَالٍ وَأَيَا
 قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ يَا

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
 يَعْثُونَ ١٩﴾ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا
 عَمُونَ ٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تَرَيَّا وَأَبَاؤُنَا أَئِنَا لَمُخْرَجُونَ ٢١﴾ لَقَدْ
 وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٢٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُجْرِمِينَ ٢٣﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي
 ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ٢٤﴾

○ الإعراب :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَعْثُونَ ١٩﴾
 شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين والنحاة وخاضوا فيها كثيراً، وسنختار

هنا أسهل أقوالهم على أن نورده في باب الفوائد جميع ما قيل حولها لما في ذلك من رياضية ممتعة للذهن. والجملة مستأنفة، مسوقة للرد عليهم، وقد سأله عن وقت قيام الساعة، فـ«لا»: نافية، ويعلم فعل مضارع، ومن: اسم موصول فاعل يعلم، وفي السموات والأرض: صلة من؛ أي: لا يعلم الذي ثبت واستقر وسكن في السموات والأرض، والغيب: مفعول به، وإلا: أداة استثناء بمعنى لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، والله: مبتدأ، خبره مذوف، تقديره: يعلم، ويصح أن تكون من في محل نصب مفعول به، والغيب: بدل اشتغال منها، والله: فاعل يعلم، والمعنى: قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السموات والأرض الغائية عنا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، والواو: عاطفة، وما: نافية، ويشعرون: فعل مضارع، وفاعل، وأيام: اسم استفهام بمعنى متى، وهي منصوبة بيعثون، ومعلقة ليشعرون عن العمل، فالجملة المؤلفة منها وما بعدها: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: ما يشعرون بذلك. ﴿بَلْ أَدَرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ بل: حرف إضراب انتقالي، وقال الجلال: هي بمعنى هل، وهو غريب بالرغم من أن شراح الجلال قالوا: إن طريقة الجلال أسهل من الطرق التي سلكها غيره، وادارك: فعل ماض؛ أي: لحق، وتتابع، وأورد الزمخشري اثنين عشرة قراءة لها، وعلمهم: فاعل، وفي الآخرة: متعلقان بادارك، أو بعلمهم، وادارك وإن كان ماضياً لفظاً؛ فهو مستقبل معنى؛ لأنه كان حتماً؛ كقوله: ﴿أَقَرَّ أَمْرًا لِّلَّهِ﴾، بل: حرف إضراب انتقالي أيضاً، وهم: مبتدأ، وفي شك: خبر، ومنها: صفة لشك، وبل: حرف إضراب انتقالي أيضاً، وهم: مبتدأ، ومنها: متعلقان بعمون، وعمون: خبر هم، والعجمي هنا: عمي القلب، والأصل: عميون استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تَرَبَّأْ إِلَيْنَا أَئِنَّا لَمُخْرُجُوكُمْ﴾ الواو: للعطف، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة الذين، والهمزة:

للاستفهام الإنكاري، وإذا: ظرف مستقبل، متضمن معنى الشرط، وجملة كنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكان، واسمها، وتراباً: خبرها، وأباونا: عطف على اسم كان، وسough العطف عليه الفصل بالخبر، والهمزة: للاستفهام الإنكاري أيضاً، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وخرجون: خبر إنَّ، والجملة: تأكيد للجملة الأولى. ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ قَبْلٍ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الجملة: تأكيد ثان للجملة السابقة، واللام: جواب للقسم المذوف، وقد: حرف تحقير، ووعدنا: فعل ماض مبني لل مجرور، ونا: نائب فاعل، وهذا: مفعول به ثان لوعتنا، ونحن: تأكيد لنا، وأباونا: عطف على الضمير البارز في وعدنا، وسough العطف تأكيد بالضمير المنفصل، والفصل بالمفعول الثاني، ومن قبل: متعلقان بوعتنا، والظرف: مبني على الضم لانقطاعه على الإضافة لفظاً لا معنى؛ أي: من قبل مجيء محمد من الرسل السابقين، وهنا لا بد من تقدير حذف اقتضاه الإيجاز: فلو كان الموعود به حقاً لحصل، وإن: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وأساطير: خبر هذا، والأولين: مضاد إليه.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ سيروا: فعل أمر معناه التهديد لهم على التكذيب، والتحذير من أن ينزل بهم ما حاق بالكمذبين من قبلهم، وفي الأرض: متعلقان بسيروا، فانظروا عطف على سيروا، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة المجرمين: اسم كان المؤخر. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة على قل، ولا: نهاية، وتحزن: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعليهم: متعلقان بتحزن، ولا تكن: عطف على لا تحنن، واسم تكن مستتر، تقديره: أنت، وفي ضيق: خبر، وما: صفة لضيق، وجملة يمكرون: صلة.

* الفوائد:

منشأ الاضطراب في هذه الآية أنهم - أي: النحة - أعربوا لفظ الجلالة

بدلاً من «من» وفي ذلك إبدال المستثنى المنقطع وهي لغة مرجوحة لتميم ، ولما كانت القراءة ما اتفق عليه السبعة بالرفع حصل ذلك الإشكال ، وفيما ذكرناه - أي: إعراب لفظ الحلال مبتدأ - ملخص من هذا كله قالوا: «والله: مرفوع على البدالية من «من» لأنَّه تعالى لا يحييه مكان».

وجوز الصفاقي أن يكون الاستثناء متصلة ، والظرفية في حقه تعالى مجازية ، وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز في الظرفية ، وعلى هذا فيرتفع على البدل ، أو عطف البيان . وقد سبق لنا تقرير الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة ، وأرجحنا جواز اجتماعهما ، وعلى ذلك قولهم «القلم أحد اللسانين» وجميع أهل الأصول من أتباع الإمام الشافعي لا يشترطون في المجاز القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

وفي الجمع بين الحقيقة والمجاز إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو نوع من البديع يسمى : التنويع ، وهو ادعاء: أنَّ مسمى اللفظ نوعان: متعارف ، وغير متعارف على طريق التخييل ، وهو نوع واسع يجري في أبواب كثيرة ، منه: أن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عنه متزنته بدون تشبيه ، ولا استعارة ، كقولهم «تحية بينهم ضرب وجمع» وقولهم: عقاب السيف .

وقال ابن الكمال: فإن قلت: كيف استثنى الله ، وإنَّه تعالى مترى ومتعال عن أن يكون في السموات والأرض؟ قلت: كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قوله - أي النابغة الذبياني - :

وَلَا عِيبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فَلُولٌ مِّنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

يعني: إنَّ كان الله تعالى من في السموات والأرض كان فيهم من يعلم الغيب ، والغرض: المبالغة في نفي العلم بالغيب عنهم ، وسد الطريق إلى ذلك الاحتمال ، فالاستثناء متصل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا تَكَحَّعَءَ أَبَكَّأُكُمْ مِّنَ النَّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ فإن شراح «الكتشاف» قاطبة صرحو بأن الاستثناء فيه متصل .

والعجب: أنَّ البيضاوي جوَّز اتصال الاستثناء في آية النكاح على

الوجه المذكور، وجزم هنا بانقطاعه، والظاهر من كلام الزمخشري أيضاً: القطع بالانقطاع حيث قال: «جاز رفع اسم الله تعالى على لغةبني تميم حيث يقولون: ما في الدار أحد إلا حمار، كان أحداً لم يذكر؛ فإنه على تقدير الكلام على النسق المذكور يصح رفع اسم الله على لغة أهل الحجاز أيضاً».

واعترض بعضهم على الإعراب الثاني، أي: نصب «من» وإعراب «الغيب» بدلاً من «من» بدل اشتغال فقال: إن بدل الاشتغال يحتاج إلى ضمير يكون رابطاً، ولا ضمير هنا، وليس البدل بعد أدلة الاستثناء ليقال: إن قوة المستثنى بالمستثنى منه تغنى عنه، وعلى هذا فالوجه الأول خال من كل محذور.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٧١ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ
بَعْضُ الَّذِي سَتَعْجِلُونَ ٧٢ فَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَذِكْنَ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ٧٤ وَمَا مِنْ غَيْرِهِ فِي
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهُصُّ عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُ لَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بِنَاهِمِ حُكْمَهُ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْعِلِيمِ ٧٨﴾

☆ اللفة:

﴿رَدْف﴾ : في القاموس: «ردفه، كسمع، ونصر: تبعه» ولكنه ضمن هنا معنى دنا، أو قرب، ولذلك عدي باللام، أو: أن اللام زائدة، كما سيأتي في الإعراب وقد عدي بمن أيضاً قال:

فلما رَدْفَنَا مِنْ عَمِيرٍ وَصَبِحَهُ تَوَلَّوْنَا سِرَاعًا وَالْمُنْيَةُ تَعْنَقُ
ردف، كتابع: يتبع بنفسه، وضمن هنا معنى الدنو، فعدى بمن،

وأعنق الفرس: سار سيراً سرياً سهلاً، والعنق: اسم منه ، يقول الشاعر فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أذبروا مسرعين ، والحال: أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا . شبه المنية بالأسد على طريق الاستعارة المكنية ، فأثبتت لها العنق تخيلًا؛ لأنهم كانوا تبعوهم برمي النبال .

ويجوز أنه استعار المنية لنفسه وقومه على طريق التصريح ، أي: ونحن نسرع خلفهم ، فذكر العنق تجريد؛ لأنه يلائم المشبه ، والعنق: ضرب من سير الدواب كما في «الصالح» .

وقال ابن الشجري :

معنى ردفع لكم: تبعكم ، ومنه: ردفع المرأة: لأنها تبع لها من خلفها ، ومنه قول أبي ذؤيب .

عادَ السَّوادُ بِيَاضِ فِي مَفَارِقِهِ

لَا مَرْحَبًا بِيَاضِ الشَّيْبِ إِذْ رَدَفَهَا

قال الجوهري: وأردفه لغة في ردفعه ، مثل: تبعه ، وأتبعه ، بمعنى ، قال خزيمة بن مالك بن هند: إذا الجوزاء أردفت الشريعا ظنتُ بآل فاطمة الطُّنونا

○ الإعراب:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الواو: استثنافية ، والخطاب للنبي ، ويقولون: فعل مضارع ، وفاعل ، ومتى: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية ، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وهذا: مبتدأ مؤخر ، والوعد: بدل ، وإن: شرطية ، وكنتم: فعل الشرط ، وكان ، واسمها ، وصادقين: خبرها ، وجواب الشرط: محذوف ، دل عليه ما قبله .

﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدَفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْعَجِلُونَ﴾ عسى ، ولعل ، وسوف ، إذا خوطب بها من هو أكبر منك قدرًا فهي بمثابة الجزم بمدخلتها ، وإنما يطلقونها للوقار ، وعسى: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء ،

واسمها: مستتر ، تقديره: هو ، وأن يكون: مصدر مؤول: خبرها ، واسم يكون: مستتر ، تقديره: هو ، وردف: فعل ماض ، ضمن فعل يتعدى باللام ، وبعض: فاعل ، والذي: مضاف إليه ، وجملة تستعجلون: صلة ، وجملة رdf: خبر يكون ، وقيل: إن رdf على باهها بمع تبع واللام زائدة . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ الواو: استثنافية ، وأن ، واسمها ، واللام: المزحلقة ، ذو فضل: خبرها ، وعلى الناس: متعلقان بفضل ، أو: صفة له ، والواو: حالية ، ولكن: حرف استدراك ، ونصب ، وأكثرهم: اسمها ، وجملة لا يشكرون: خبرها . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴾ الواو: عاطفة ، وإن ، واسمها ، واللام: المزحلقة ، وجملة يعلم: خبر إن ، وما: مفعول به ، وجملة تكن صدورهم: صلة ، والعائد: مخدوف ، وما يعلنون: عطف على ما تكن . ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الواو: عاطفة ، وما: نافية ، ومن: حرف جر زائد ، وغائية: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لدخول النفي عليها ، والغائية: كل ما يخفى ، سمي الشيء الذي يغيب ويختفى: غائية ، وخافية ، فكانت التاء فيها بمنزلتهما في: العافية ، والعافية ، والتصححة ، والرمية ، والذبيحة ، في أنها أسماء غير صفات ، ويجوز أن تكون هذه صفات ، والتاء فيها للمبالغة ، كراوية ، وعلامة ، ونسابة . وفي السماء والأرض: صفة لغائية ، وإن: أداة حصر ، وفي كتاب: خبر غائية ، ومبين: صفة . ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَعْصُمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الجملة مستأنفة لبيان نوع آخر من ميزات القرآن ، وإن ، واسمها ، والقرآن: بدل من اسم الإشارة ، وجملة يقص: خبر إن ، وعلى بني إسرائيل: جار ومحرر متعلقان بيقص ، وأكثر: مفعول به ، والذي: مضاف إليه ، وفيه متعلقان بيختلفون ، وجملة يختلفون: صلة الذي . ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على ما تقدم ، وإن ، واسمها ، واللام: المزحلقة ، وهدى: خبرها ، ورحمة: عطف على هدى ، وللمؤمنين: صفة . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بِنَّهِمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ إن ، واسمها ، وجملة يقضى: خبرها ،

والظرف : متعلق بمحذوف حال ، وبحكمه : متعلقان يقضي ، وهو : مبتدأ ،
والعزيز : خبر أول ، والعليم : خبر ثان .

* الفوائد :

أحكام التاء المترددة اللاحقة بالأسماء والصفات :

هذه التاء إحدى علامات التأنيث المختصة بالأسماء ؛ لأنها لما كان التأنيث عرفاً للتذكرة احتاج لعلامة تمييزه ، على أن العرب قد أثروا أسماء كثيرة بتاء مقدرة ، ويستدل على ذلك التقدير بالضمير العائد عليها نحو : ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿هَنَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ وبشوبتها في تصغير الأسم ، نحو : عينية ، وأذينة ، مصغر : عين ، وأذن ، من الأعضاء المزدوجة ، فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، فإن القاعدة المشهورة هي : أن ما كان من الأعضاء مزدوجاً فالغالب عليه التأنيث ؛ إلا الحاجبين ، والمنخرتين ، والخددين ، فإنهما مذكورة ، على أن المرجع السماع ، فإن من المزدوج الكف ، وهي مؤنثة ، وزعم المبرد أنها قد تذكر وأنشد :

ولو كفي اليمين يقيك خوفاً لأفردُ اليمين عن الشّمالِ
ولكن هذا وهم من المبرد ، فإن اليمين بمنزلة اليمنى فهي مؤنثة . وقال ابن سعون : على أنه رجع إلى التأنيث فقال : تقيك . ونعود إلى طرق الاستدلال فنقول : ويستدل على التقدير أيضاً بشوبتها في فعله نحو : ﴿وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعَيْرُ﴾ وبسقوطها من عدده ، كقول حميد الأرقط ، يصف قوساً عربية :

أرمي عليها وهي فرعٌ أجمعٌ وهي ثلاتُ أذرعٍ وأصبحُ
فأذرع جمع : ذراع ، وهي مؤنثة ، بدليل سقوط التاء من عددها وهو
ثلاث ، والواو في قوله « وهي » فرع للحال ، يقال : قوس فرع : إذا عملت من
رأس القضيب ، ولم يرد بقوله : وإصبح حقيقة مقدار الإصبع ، ولكن أشار
بذلك إلى كمال القوس كما تقول : الثوب سبع أذرع وزائد ، تريده : أنها موفاة
هذا العدد .

والغالب في هذه التاء أن تكون لفصل صفة المؤنث من صفة المذكر، كفائمة، وقائم، ومن غير الغالب في الأسماء غير الصفات، نحو: رجل، ورحلة، وغلام، وغلامة، وفي الصفات التي تنزل على مقصدين، وهي الصفات المختصة بالمؤنث، كحائض، وطامث، فإن قصد بها الحدوث في أحد الأزمنة؛ لحقتها التاء، فقيل: حائضة، وطامثة، وإن لم يقصد بها ذلك؛ لم تلتحقها، فيقال: حائض، وطامث، بمعنى: ذات أهلية للحيض، والطمث.

وقال في «المفصل»: «للبعضين في نحو حائض، وطامث مذهبان: فعند الخليل: أنه على النسب، كلابن، وتامر، كأنه قيل: ذات حيض، وذات طمث، وعند سيبويه: أنه مؤول بإنسان، أو شيء حائض، كقولهم: غلام ربعة، على تأويل النفس، وإنما يكون ذلك في الصفة الثابتة، وأما الحادثة؛ فلا بد لها من علامة التأثير، فتقول: حائضة، وطالقة الآن، أو: غداً وقد أوضحتنا الفرق بين الصفة الحادثة الثابتة في الكلام عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَحَّا أَرْضَعَتِ﴾ بأن المرضع: هي التي من شأنها الإرضاع، والمرضعة: هي التي في حالة الإرضاع ملقطة ثديها للصبي، فانظره هناك.

وقال في «المفصل»: «إن مذهب الكوفيين: إن حذف التاء في حائض للاستغناء عنها» وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس، كضامر، وعاشق، وأيم، وثيّب، وعانس، وهذا الاعتراض بين، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإإناث من: امرأة مصيبة، وكلبة محربة، على ما في الصحاح؛ فليس بسديد؛ لأن ما ذكروه مجوز، لاموجب؛ لأنهم يقولون: الإتيان بالباء في صورة الاستغناء عن الأصل، كحاملة في المرأة، قال الجوهري في «الصحاح»: يقال: امرأة حامل، وحاملة: إذا كانت حبل، فمن قال: حامل، قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال: حاملة، بناء على حملت، فهي حاملة، وأنشد لعمرو بن حسان:

تَخْضُطِ الْمَنْوُنُ لِهُ يَوْمٌ أَتَى وَلَكُلٌّ حَامِلَةٌ تَامٌ

فَإِذَا حَمَلَتْ شَيئًا عَلَى ظَهِيرَهَا، أَوْ عَلَى رَأْسِهَا، فَهِيَ: حَامِلَةٌ لَا غَيْرُ.

هَذَا وَلَا تَدْخُلْ هَذِهِ التَّاءُ فِي خَمْسَةِ أَوْزَانٍ:

١ - فَعُول بفتح الفاء، بمعنى: فاعل، كرجل جسور، وامرأة جسور
﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغَيْرِهَا﴾ وقد سبق ذكرها في سورة مريم.

٢ - فَعِيل، بمعنى: مفعول، نحو رجل جريح، وامرأة جريح، فإن
قلت: مررت بقتيلةبني فلان ألحقت التاء خشيةالالتباس بالذكر، لأنك لم
تذكرة الموصوف.

٣ - مفعال بكسر الميم، نحو: منحار، يقال: رجل منحار، وامرأة
منحار.

٤ - مفعيل بكسر الميم، كمعطير من: العطر، وشدّ: امرأة مسكينة
وسمع: امرأة مسكينة على القياس.

٥ - مفعل، كمفشم، وهو: الذي لا يتنهى عما يريد، ويهواء من
شجاعته.

تاء الفصل: وتأتي التاء لفصل واحد من الجنس، كتمرة، وتمر، أو: فصل
الجنس من الواحد، نحو: كمة، وليس منه سيارة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ
سَيَّارَةً﴾ فإنها جمع: سيار، لا من أسماء الأجناس.

تاء العوض: وتأتي العوض وهي التي تأتي عوضاً من فاء، كعدة، أو:
عين، كإقامة، أو: لام، كستنة، أو: من حرف زائد لغير معنى، كزنديق،
وزنادقة، فالباء عوض من ياء زناديق.

تاء التعريب: وتأتي التعريب وهي التي تأتي لتعريف الأسماء الأعجمية،
كموازجة، جمع: موزج بفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاي بعدها جيم،
وهو: الخف، أو: الجورب، والقياس موازج، فدخلت التاء في جمعه لتدل
على أن أصله أعجمي فرب.

تاء المبالغة: وفاء المبالغة في الوصف، كراوية، لكثير الرواية ونسبة، لكثير العلم بالأنساب.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾٧٩ إِنَّكَ لَا تَشْعُمُ الْمَوْقَعَ وَلَا تُشْعِمُ الصَّمَدَ
الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدَبِّرِينَ ﴾٨٠ وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَشْعِمُ إِلَّا مَنْ
يُؤْمِنُ بِغَایِتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾٨١ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ
الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِغَایِتِنَا لَا يُوقَنُونَ ﴾٨٢﴾

○ الإعراب:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الفاء: الفصيحة؛ لأنَّها تفرِيع على قوله: العزيز العليم؛ أي: إنْ عرفت هذه الصفات لله تعالى، وأمنت بها، فتوكل. وتوكل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعلى الله: جار ومحروم متعلقان بتوكل، وجملة إنك على الحق المبين: لا محل لها؛ لأنَّها تعليل للتوكيل، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والمبين: صفة. ﴿إِنَّكَ لَا تَشْعُمُ الْمَوْقَعَ وَلَا
تُشْعِمُ الصَّمَدَ إِذَا وَلَوْا مُدَبِّرِينَ﴾ تعليل ثان للأمر بالتوكيل، يقطع طمعه عن متابعتهم. وإنَّ، واسمها، وجملة لا تسمع: خبر، الموتى: مفعول به، ولا تسمع الصم: عطف على سبقتها، والصم: مفعول به أول، والدعاء: مفعول به ثان، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ولو: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومدبرين: حال. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعُمَى عَنْ
ضَلَالِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية تعمل عمل ليس، وأنت: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وهادي: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والعجمي: مضاد إليه، وعن ضلالتهم: متعلقان بهادي، وعدى بعن لتضمنه معنى تصرفهم، وأجاز أبو البقاء وجهاً آخر، وهو أن يتعلق بالعمى؛ لأنك تقول: عمى عن كذا، وهو وجه سائع مقبول، ومثل الزمخشري للوجه الأول بقولهم: سقاه عن العيمة؛ أي: أبعده عنها بالسقي، والعيمة: شهوة

اللين كما في «الصحاح». ﴿إِن تُشْعِّعُ إِلَّا مَن يُؤْمِن بِيَايَاتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ﴾ إن: نافية، وتسمع: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإن: أداة حصر، ومن: مفعول به، وجملة يؤمن: صلة، وبآياتنا: متعلقان بيؤمن، والفاء: الفصيحة، وهم: مبتدأ، ومسلمون خبر. ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ الواو: استثنافية، والكلام: مستأنف، مسوق لبيان بعض أمائر الساعة الدالة عليها، والمراد بالقول: ما نطق به القرآن من الآيات التي تنبئ عن الساعة، والمراد بوقوعه وهو لم يقع: قرب حصوله. وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة وقع القول: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والقول: فاعل وقع، وعليهم: متعلقان بوقع، وجملة أخرى جنا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولهم: متعلقان بأخر جنا، ودابة: مفعول به، ومن الأرض: صفة لدابة، وسيأتي ما قيل في دابة الأرض في باب الفوائد.

﴿تَكَلَّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَافُوا بِيَايَاتِنَا لَا يُوْقِنُونَ﴾ جملة تكلمهم: صفة ثانية لدابة، أو: حال منها؛ لأنها وصفت، وأن: بفتح الهمزة على تقدير الباء؛ أي: بأن الناس، والجار والجرور: متعلقان بتكلمهم، وقرىء بكسرها على الاستئناف، وأن، واسمها، وجملة كانوا: خبر أن، وكان، واسمها، وبآياتنا: متعلقان بيوقنون، ولا: نافية، وجملة لا يوقنون: خبر كانوا، والكلام إما من الله تعالى، وإما من كلام الدابة، وقد اختار الزمخشري هذا الوجه، وردد على المعارضين بأن قوله: بآياتنا يعكر على ذلك؛ بأن قوله حكاية لقول الله تعالى، أو على معنى: بآيات ربنا، أو: لاختصاصها بالله، وأثرتها عنده، وأتها من خواص خلقه، أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا، وببلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده.

□ البلاغة:

في قوله ﴿وَلَا تُشْعِّعُ الصَّمَدَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ﴾ فن الإيغال، وهو: أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أريد الإتيان به أتى بما

يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام، فقد انتهى الكلام عند قوله ولا تسمع الصم الدعاء، فما معنى قوله: ولو مدبرين؟ والجواب: أنه أتى بها وقد أغنى عنها ذكر التولي في الظاهر، أما في الحقيقة فهو لم يعن عنها؛ لأن التولي قد يكون بجانب دون جانب، كما يكون الإعراض، ولما أخبر سبحانه بذكر توليهم تماماً للمعنى في حال الخطاب، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإن الأصم يفهم من الإشارة ما يفهمه السامع من العبارة، ثم علم سبحانه أن التولي قد يكون بجانب دون جانب، كما قدمنا، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به، فيدرك بعض الإشارة، والمراد: نفي كل الإشارة، فجاءت الفاصلة: ﴿مَدِيرِينَ﴾ ليعلم: أن التولي كان بجميع الجوانب، بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدرباً، فاحتجب المخاطب عن المخاطب؛ إذ صار من وراءه، فخفيت من غيه الإشارة، كما صمت أذناته عن العبارة، فحصلت المبالغة الكلية في عدم الإسماع البة، وهذا تمثيل مثلث به حال هؤلاء القوم، أتى مدحأً في الإيغال، وهذا الضرب من الإيغال يسمى: إيغال الاحتياط.

وهناك ضرب آخر وهو: إيغال التخيير، وقد مضى شاهده في سورة المائدة، وقد قدمنا في المائدة ما فيه الكفاية من أمثلة الإيغال، ونورد هنا نماذج منه:

يحكى: أن إخوة ليل لما علموا بحب توبه بن الحمير العقيلي لها؛ نذروا دمه، وارتحلوا بها، فقال توبه:

وإِنْ يَمْنُعوا لَيْلَ وَحْسَنَ حَدِيثَهَا

فَلَنْ يَمْنُعوا عَنِي الْبُكَا وَالْقَوَافِيَا

فَهَلَّا مَنْعَتْمُ إِذْ مَنْعَتْمُ حَدِيثَهَا

خِيَالًا يَوْافِينِي مَعَ اللَّيْلِ هَادِيَا

فقد تم المعنى بقوله مع الليل، ولما أتى بالقافية زاد على ذلك.

ولأبي تمام:

إِنَّ الْمَنَازِلَ سَاوِرْتُمْ فِرْزَقَةُ

أَخْلَقْتُ مِنَ الْأَرَامِ كُلَّ كَنَاسٍ

مِنْ كُلِّ ضَاحِكَةِ التَّرَابِ أَرْهَفْتُ

إِرْهَافَ خَوْطِ الْبَانَةِ الْمَيَاسِ

فِإِنَّ الْمَعْنَى قَدْ تَمَّ قَبْلَ إِتِيَانِهِ بِالْقَافِيَّةِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَلَمَّا أَتَى بِهَا زَادَ عَلَيْهِ،
وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ الْجَمِيلِ يَطْرُدُهُ ذَلِكُ فِيَقُولُ :

فَتُرْوُحُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَفَتَّحَتْ

لَهُنَّ أَزَاهِيَّ الرُّبَا وَالْخَمَائِلِ

لَقَدْ أَبَسَ اللَّهُ الْإِمَامَ فَضَائِلًا

وَتَابَعَ فِيهَا بِاللَّهِ وَالْفَوَاضِلِ

فَأَضْحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شَرَداً

تَسَائِلَ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ

مَوَاهِبُ جَدَنَ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَمَا

أَخَذْنَ بِآدَابِ السَّحَابِ الْهَوَاطِلِ

* الفوائد :

دابة الأرض :

دابة الأرض، هي: الجسasse، وتنونها وتنكيرها لإبهام تفخيمها، ل تسترعي الانتباه إليها، وتلفت الأنظار إلى ترقب خروجها، وقد كثر الحديث عنها في المطولات وهي من الأمور المغيبة؛ التي نؤمن بها، ولا يعنينا كنهها، ولا حقيقتها.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوَجَاءَ مِنَ يُكَذِّبُ بِيَقِنِّنَا فَهُمْ يُوَزَّعُونَ ﴾٨٣﴾ حَتَّى
إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِيَقِنِّي وَلَئِنْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾٨٤﴾ وَقَعَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا أَلَيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَيَوْمَ يُنَفَّعُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَعْلَمُ كُلُّ أَتَوْهُ دَاهِرِينَ ﴿٢﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ
تَحَسَّبًا جَامِدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّمَا خَيْرُ بِمَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

☆ اللَّفْظَةُ :

﴿فَوْجًا﴾ : الفوج : الجماعة ، والطائفة ، وجمعه : أفواج ، وفؤوج ، وجمع الجموع : أفواج ، وأفایج ، وأفاویج ، والفائجة : الجماعة ، ومتسع ما بين كل مرتتعين من رمل أو غلظ . وقال الراغب في «مفرداته» : «الفوج : الجماعة المارة المسرعة ، وكان هذا هو الأصل ، ثم أطلق ، وإن لم يكن مرور ولا إسراع ، والجمع : أفواج ، وفؤوج» .

﴿يُوزَعُونَ﴾ : تقدم قريباً في سورة «النحل» فجدد به عهداً ، أي : يحبس أولهم على آخرهم لأجل تلاحقهم .

﴿دَاهِرِينَ﴾ : صغارين ، وفي «القاموس» : دخـر الشخص ، كمنـع ، وفرح ، دخـراً ، ودخـوراً : صـغر ، وذـلـل ، أدـخـرـته بـالـأـلـفـ للـتـعـدـيـةـ . والـدـالـ معـ الخـاءـ فـاءـ وـعـيـناـ تـفـيدـانـ معـنـىـ خـاصـاـ يـدـلـ عـلـىـ التـضـاؤـ ، وـالتـصـاغـرـ ، وـماـ تـبـوـعـ عـنـهـ النـفـسـ ، وـتـغـيـيـ الطـبـاعـ ، فـالـدـخـ ، وـالـدـخـ : الدـخـانـ ، وـهـوـ مـعـرـوفـ ، يـعـمـيـ العـيـونـ ، وـيـقـذـيهـاـ ، وـقـالـتـ أـعـرـابـيـةـ لـزـوـجـهـاـ . وـكـانـ قـدـ كـبـرـ وـأـسـنــ :ـ

لَا خَيْرٌ فِي الشَّيْخِ إِذَا مَا اجْلَحَّا	وَسَالَ غَرْبُ عَيْنِهِ وَلَحَّا
وَكَانَ أَكْلًا قَاعِدًا وَشَحَّا	تَحْتَ رُوَاقِ الْبَيْتِ يَغْشَى الدُّخَانُ
وَانْشَتَرَ الرِّجْلُ فَصَارَتْ فَخَّا	وَصَارَ وَصْلُ الْغَانِيَاتِ أَخَّا

وـمعـنـىـ يـغـشـىـ الدـخـ :ـ أـنـهـ يـكـثـرـ التـرـددـ عـلـىـ النـسـاءـ عـنـدـ التـنـورـ ،ـ يـقـولـ :ـ أـطـعـمـتـيـ ،ـ وـمـعـنـىـ اـجـلـخـ :ـ سـقطـ وـلـمـ يـتـحـركـ ،ـ وـقـيلـ :ـ مـعـنـاهـ :ـ اـعـوـجـ ،ـ وـأـخـ بـفـتـحـ الـهـمـزةـ :ـ كـلـمـةـ تـقـالـ عـنـ التـأـوـهـ ،ـ كـذـاـ قـالـ اـبـنـ درـيدـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ وـأـحـسـبـهاـ مـحـدـثـةـ ،ـ وـقـالـ الصـاغـانـيـ :ـ يـقـالـ لـلـصـبـيـ إـذـاـ نـهـيـ عـنـ فـعـلـ شـيـءـ قـدـرـ :ـ إـخـ بـكـسـرـ الـهـمـزةـ ،ـ

بمنزلة قول العجم: كخ، كأنه زجر، وقد تفتح همزته، ودخل في الرجل: قارب الخطوط مسرعاً، وتدخل في الرجل: انقبض، ودخل في الشيء في الرماد: أدخله، ودسه، ودخل في الحافر: أصابه داء الدخنس، وهو ورم في حافر الدابة، والدُّخُن بضم الدال: دابة في البحر، ودخل: معروف، وهو يفيد التواري، والتضليل، ودخل في عقله بالبناء للمجهول، أو جسده، ودخل بكسر الخاء دخلاً بفتحتين: داخله الفساد، فهو مدخول عليه، والدخل بفتح الدال وسكون الخاء: ما دخل عليك من مالك لتختزنه، وتواريه عن العيون، والداء، والعيب، والدخل بفتحتين: ما داخل الإنسان من فساد في العقل، والجسم، والخدية: العيب في الحسب، والدخل: من دخل في قوم، وانتسب إليهم، وليس منهم، والجمع: دخلاء، وكل كلمة أعممية، ويقال: داء دخيل؛ أي: داخل في أعماق البدن، ويقال: إنه لحبيث الدخلة بكسر الدال المشددة، وهي باطن أمره، ودحمه، دحماً: دفعه بإزعاج، ودخن الطعام، واللحم، من باب تعب: أصابهما الدخان في حال الطبخ، ولا شيء أخبث من طعمه آنذاك، وكم لهذه اللغة من عجائب.

○ الإكراه:

﴿وَيَوْمَ تَحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوَمَا مَنَ يُكَذِّبُ بِيَوْمِنَا فَهُمْ يُوزَّعُونَ﴾ الواو: استثنافية، والظرف: متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وهو كلام مستأنف، مسوق لبيان أحوال الكذابين بصورة إجمالية، وجملة نحشر: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومن كل أمة: متعلقان بنحشر و«من» هنا: للتبعيض، وفوجاً: مفعول به، ومن: صفة لفوجاً و«من» هنا: للتبين، وجملة يكذب: صلة من، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة يوزعون: خبر. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِيَوْمِنِي وَلَمْ تُحْكِمُوا إِلَيْهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حتى: حرف غاية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاؤوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومتصل بـ «جاووا» المحذوف، أي: إلى مكان الحساب، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود على الله تعالى، أكذبتم: الهمزة: للاستفهام التوبيخي

التربيعي، وكذبتم: فعل وفاعل، وبآياتي: متعلقان بكذبتم، ولم: الواو حالية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجذم، وتحيطوا: فعل مضارع مجزوم بلم، وبها متعلقان بتحيطوا، وعلمًا: تميز، والجملة: حالية، مؤكدة للإنكار، والتوييج، وإظهار بشاعة التكذيب القائم على الارتجال، وعدم التمعن، والتبصر، والتحقيق، وأم: حرف عطف، وهي هنا منقطعة، فهي بمعنى بل، وما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول خبر، أو: ماذا كلها: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعملون، وكتنم: كان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها. ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطَقُونَ﴾ الواو: عاطفة، ووقع القول: فعل وفاعل، وعليهم: متعلقان بوقع، وبما ظلموا: متعلقان بوقع أيضًا؛ أي: بسبب ظلمهم، وما: مصدرية، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا ينطقون: خبر.

﴿أَلَّا يَرَوُا أَنَّا جَعَلْنَا الَّيلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، والإإنكري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجذم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والرؤبة هنا قلبية، لا بصرية، وأنَّ وما بعدها سدت مسد مفعولي يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة جعلنا: خبرها، والجعل هنا إن كان بمعنى الخلق لا بمعنى التصوير فتتعدى لواحد، والليل: مفعول جعلنا، واللام: للتعليق، ويسكنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمورة بعد لام التعليق، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، والجار والجرور: متعلقان بجعلنا؛ على أنه علة له، فهو بمثابة المفعول من أجله، ولكن لا يجوز النصب لاختلاف الفاعل، وفيه متعلقان بيسكنوا، والنهر: عطف على الليل، ومبصرًا: حال، أو: مفعول به ثان، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة وأيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَغَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ﴾ ويوم: معطوف على ويوم نحشر، متنظم في حكمه، وهو الأمر بذكره، وجملة ينفح: في محل جر بإضافة

الظرف إليها، ونائب الفاعل: مستتر، وتقديره: هو، وفي الصور: متعلقان بينفح، ففرع: عطف على ينفح، وسيأتي سر التعبير بالماضي في باب البلاغة، ومنْ: فاعل فرع، وفي السمات: صلة، ومنْ في الأرض: عطف على منْ في السمات.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتْوَهُ دَاخِرِينَ﴾ إلا: أداة استثناء، ومن مستثنى، وجملة شاء الله: صلة، وكلٌّ: الواو: للحال، أو هي عاطفة، وكلٌّ: مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، ولأن تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحياءهم يوم القيمة، وجملة أتوه: خبر، وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه، كأنه وقع فعلاً، وداخرين: حال. ﴿وَتَرَى الْجَبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تُمْرُّ مِنَ السَّحَابِ﴾ الواو: حرف عطف، وترى الجبال: فعل مضارع مرفوع، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومفعول به، والرؤبة بصرية، وجملة تحسبها: حال من الجبال، والهاء: مفعول تحسبها الأول، وجامدة: مفعول تحسبها الثاني، وهي: الواو: حالية، وهي: مبتدأ، وجملة تر خبر، والجملة: حال من جامدة. ﴿صُنْعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّمَا خَيْرُ بِمَا تَعْكِلُونَ﴾ صنع: مفعول مطلق مؤكّد لضمون الجملة قبله، وأضيف المصدر إلى فاعله، والذي: صفة الله، وجملة أنفن: صلة، وكل شيء: مفعول أنفن، وإنّ، واسمها، وخبرها، وبما: متعلقان بخبر، وجملة تفعلون صلة ما.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون متعددة نوجزها فيما يلي:

١- المجاز العقلي:

في قوله: ﴿وَأَنَّهَا رَمْبَرْمَرًا﴾ فقد أسد الإبصار إلى الزمان، وهو لا يعقل، ولم يأت بالكلام مقابلًا بما قبله وهو ﴿أَلَّمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا أَيْلَلٍ لَّيْسَ كُنُوا فِيهِ﴾ بل جعله أحدهما علة، والثاني حالاً؛ لأن التقابل قد روّعي من جهة

المعنى؛ لأن معنى مبصراً: ليصرروا فيه طرق التقلب والمكاسب، وهذا هو النظم المطبوع غير المتكلف.

٢- الإخبار بالماضي عن المستقبل:

وأخبر بالماضي عن المستقبل في قوله: ﴿فَفَزَعَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ﴾ وكان السياق يقضي بأن يأتي بالمستقبل أيضاً، ولكنه عدل إلى الماضي للإشارة بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطعاً به.

٣- الطلاق:

وفي قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ﴾ طلاق عجيب بين الجمود والحركة السريعة، فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه، ولكنه سريع يمر مروراً حديثاً، كما يمر السحاب، وهذا شأن الأجرام العظام المتراكمة العدد إذا تحركت لا تقاد تبيين حركتها، كما قال النابغة في وصف جيش:

بأرعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ
وَقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرَّكَابُ تَهْمَلُّجُ

وهذا بيت رائع، فالأرعن: الجبل العالي، وقد استعاره للجيش، ثم شبهه بالطود، وهو الجبل العظيم، ليفيد المبالغة في الكثرة، وال حاج: اسم جمع، واحده حاجة، والركاب: المطي، لا واحد له من لفظه، والهملاج: السير الرهو السريع، فارسي معرب، وفي «الصحاح»: «الهملاج من البراذين»، واحده: الهماليج، ومشيها الهملاجة، فارسي معرب» يقول: حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين حاج لكثرتهم، والحال أن ركبهم تسرع السير.

وللزمخشري وصف بلغع لهذه الآيات نورده فيما يلي: «فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه، وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره،

وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقائق، ونحو هذا المصدر؛ أي: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته، والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينفي أن يكون إلا كما قد كان، ألا ترى إلى قوله ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ و﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ و﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلها بقوله: ﴿الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صَبَّاغَةً﴾ و﴿لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْيَعْدَ﴾ و﴿لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ أَمْنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الْأَنَارِ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلْدَةُ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَمْ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتُلَوَّ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِهِمْ سَيِّرِكُمْ إِلَيْنَا فَنَعْرِفُنَّهُمْ وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ أَمْنُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتمهيد لختام السورة، بإحال مصير المحسن والمسيء. ومن: اسم شرط جازم مبتدأ، وبالحسنة: جار و مجرور متعلقان بجاء، أو: بمحذوف حال، فالباء للملابسة؛ أي: جاء متلبساً بها، والفاء: رابطة، وله: خبر مقدم، وخير: مبتدأ مؤخر، ومنها: صفة لخير، أو: متعلق به على أنه اسم تفضيل. وهم: مبتدأ، ومن فرع: متعلقان بأمنون، وأمنون: خبر، ويوم: ظرف أضيق إلى مثله، وهو متعلق بمحذوف صفة لفروع؛ أي: كائن في ذلك اليوم، وقرىء بإضافة فرع إلى يومئذ. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الْأَنَارِ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومن: شرطية، وجاء

بالسيئة: فعل الشرط، والفاء: رابطة داخلة على «قد» مخدوفة؛ أي: كبت، ليصح اقتران الجواب بها، وكبت: فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول، ووجوههم: نائبٌ فاعلٌ، وفي النار: متعلقان بكتبٍ، وجملة فكتبٍ: في محل جزم جواب الشرط، وهل: حرف استفهام، وتجزون: فعل مضارعٍ مبنيٍ للمجهول مرفوعٍ بثبوت النون على طريق الالتفات، والواو: نائبٌ فاعلٌ، والجملة: حالٌ؛ أي: فكتبٍ ووجوههم مقولاً لهم: هل تجزون، وإنما: أداة حصر، وما: مفعول به ثانٌ لتجزون، وجملة كنتم: صلةٌ، وكان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ الجملة مقول قولٍ مخدوفٍ، أي: قل لهم: إنما أمرت، وإنما: كافيةٌ، ومكافوفةٌ، وأمرت: فعلٌ ماضٍ مبنيٍ للمجهول، والثاء نائبٌ فاعلٌ، وأنْ أَعْبُدَ: في تأويلٍ مصدرٍ منصوبٍ بتنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بأمرت، وربٌّ: مفعولٍ به، وهذه: مضارفٌ لربٍّ، والبلدة: بدلٌ من اسم الإشارة، والمراد بها مكةٌ حرسها اللهُ، والذي: نعتٌ لربٍّ هذه البلدة، وجملة حرمها: صلةٌ. ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ وأمرت: أنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الواو: للحال، وله: خبرٌ مقدمٌ، وكل شيءٌ: مبتدأٌ مؤخرٌ، وسيأتي سر هذا الحال في باب البلاغة، وأمرت: عطفٌ على أمرت الأولى، وأنْ أكونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: عطفٌ أيضاً على ما تقدم. ﴿وَأَنَّ أَتَلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ وأنْ أتلوا: عطفٌ على أنْ أكون، أي: وأمرت بأنْ أتلوا، والقرآن: مفعولٌ به، فمن: الفاءٌ: تفريعيٌّ، ومنْ: شرطيةٌ مبتدأٌ، واهتدى: فعلٌ ماضٍ في محل جزمٍ فعل الشرط، والفاءٌ: رابطةٌ، وإنما: كافيةٌ، ومكافوفةٌ، ويهتدى: فعلٌ مضارعٍ، وفاعله مستترٌ، تقديره: هو، ولنفسه: متعلقان بيهتدى. ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ عطفٌ على الجملة السابقة، وهي ماثلةٌ لها في إعرابها، ولا بد من تقدير فعلٍ طلبيٍّ بعد الفاءٌ، أي: فقل له: إنما أنا من المنذرين. ﴿وَقُلْ لَهُمْ لَهُ سَيِّرِكُمْ إِلَيْنِي، فَنَعْرِفُنَّهَا وَمَا رَبُّكَ يَعْلَمُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الواو: عاطفةٌ، وقل: فعلٌ أمرٌ،

والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والحمد: مبتدأ، والله: خبر، والجملة: مقول القول، وسيريكم: السين: حرف استقبال، ويريكم: فعل مضارع، والكاف: مفعول به أول، وأياته: مفعول به ثان، والجملة من تتمة مقول القول منتظمة في سلكه، فتعرفونها: الفاء عاطفة، وتعرفونها: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، والواو: حرف عطف، وما: نافية حجازية، وربك: اسمها، وبغافل: الباء: حرف جر زائد، وغافل: مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنها خبر ما، وعما: متعلقان بغافل، وجملة تعلمون: صلة.

□ البلاغة:

الاحتراس:

في قوله تعالى ﴿وَلَمْ كُلُّ شَيْءٌ﴾ احتراس بديع، وقد تقدم ذكر هذا الفن، وأنه يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه على الكلام، فقد أضاف سبحانه اسمه إلى مكة تشريفاً لها، وذكراً لتحريمها، ولما أضاف اسمه إلى البلد، والمخصوصة بهذا التشريف؛ أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً؛ لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيهاً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف، لا لأنها ملك الله تعالى خاصة.

الباقلاني يحلل سورة النمل:

هذا ونحب في ختام هذه السورة أن نشير إشارة سريعة تحليلية إلى كتاب «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلاني؛ الذي سار ذكره في الناس، وهو يجمع إلى روحه الكلامية طابعاً أدبياً؛ إذ لم يقتصر في الإعجاز على دراسته من الوجهة الكلامية، بل تعرض للناحية البينية، والأسلوبية، فقد نشأ الخطيب الباقلاني بارعاً في الجدل، عالي القدر في علوم القرآن، والسنّة، والكلام، وتعرض لكثير من المعارضين والمخالفين، وقارعهم الحجاج، وجادل علماء الروم، مما أثار إعجاب معاصريه به.

فقد أرسله الملك عضد الدولة إلى ملك الروم عام ٣٧١ هـ في سفاره

رسمية، وأدخلوه مرة وهو في عاصمة الروم على بعض القسّيس، فقال القاضي للقسّيس: كيف أنت والأهل والأولاد؟ فتعجب الرومي وقال له: ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة: أنك لسان الأمة، ومتقدم على علماء الملة، أما علمت أن المطارة والرهبان متزهون عن الأهل والأولاد؟ فأجابه القاضي أبو بكر: رأيناكم لا تزهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد، فهل المطارة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه؟ وأراد كبير الروم أن يخزي القاضي فقال له: أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيك وما قيل فيها؟ فأجابه هما اثنان قيل فيما ما قيل: زوج نبينا ومريم أم المسيح؛ فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفيها، وقد برأها الله مما رمي她 به، فانقطع الرومي، ولم يحر جواباً.

خلاصة نظرية الباقلاني في الإعجاز:

١ - يبدأ بعرض الفكرة عرضاً بسيطاً، فيثبت صحة ما بين أيدينا من نص القرآن، وأنه هو حقاً كتاب الله المتزل على نبيه، وأنه آية محمد، ومعجزته الخالدة.

٢ - يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله على رغم تحديه لهم مراراً.

٣ - ويختهي من المقدمات السالفة إلى نتيجة عامة، هي خلاصة نظرية في الإعجاز، وهي: «خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظمهم» ثم يشرح هذه النظرية في كتاب الإعجاز فيقول: «والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة على تصرف وجهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظم جميع كلامهم، ومبادر للمأثور من ترتيب خطابهم، ولهم أسلوب خاص به، ويتميز في فصوله عن أساليب الكلام المعتاد».

و قبل أن يلتجئ إلى نظم القرآن وتحليل سورة، يتناول قصيدة لامرئ القيس، وأخرى للبحترى، ليرسم طريقته في النقد، وتطبيق منهجه، وينتقل في كلتا القصيدتين من المطلع إلى النهاية منها إلى وجوه الجمال، ومواطن

الضعف ، وفي تحليله لقصيدة امرىء القيس ، أو معلقتة - على الأصح - يوازن بين ما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها ، وما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها ، وما جاء شبيهاً ، أو مقارباً لها في القرآن ، منها إلى تفوق القرآن دائماً ، وكثيراً ما تدخل النقد الشخصي في رأي الباقلاني في تحليل معلقة امرىء القيس ، وإن خالف ذلك الرأي آراء جميع النقاد ، انظر إليه كيف يحيط الشاعر في قوله :

إِذَا قَامْتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا

يقول : «فوجه التكليف فيه بقوله : إذا قامتا تضوّع المسك منهما ، ولو أراد أن يجود أفاد : أن بهما طيباً على كل حال ، فأما في حال القيام فقط ، فذلك تقصير» وهذا تحامل ظاهر من أبي بكر على الشاعر وعلى المعنى الذي تناوله ، إذ لا شك أن في هذا التعبير لمسة فنية دقيقة ، ترتكز على كلمة «قامتا» ؛ لأنها مبعث الحركة والحياة في الصورة كلها ، تريك الفتاتين غاديتين ، أو رائحتين ، وغلاةلهمما بعث الأرجح ، فيسري في الأعطاف ، ويعقب الجو بشذاه لما تبعه الحركة في الهواء ، فيحمل العطر إلى الأنوف لستافه ، ولا يتمنى ذلك في القعود والسكون ، ومع هذا لا ننكر بعض ما نبه إليه الباقلاني من هنات في العقيدة ، بل ونأخذ برأيه ، ونقدر له عمقه ، وحسن استنباطه ، اسمع إلى هذا النقد العجيب الذي يخرس الألسن ، فقد تناول مطلع المعلقة في البيتين الأولين وهما :

إِفَّا نَبَلَكَ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
بَسْقَطَ اللَّوْيَ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ
فَتَوَضَّحَ فَالْمَقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
لَا نَسْجَتَهَا مِنْ جَنْوبٍ وَشَمَائِلٍ

فقال : «لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل ، فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً ، أو شرطه باطلًا» .

وفي تحليله لقصيدة البحترى بعض الطرائف الفنية في النقد نلخصها فيما يلى :

١ - الرؤيا الشعرية : فقد أشار اختلالها عند البحترى في تشبيه الخيال بالبرق ، وذلك في قول البحترى :

أهلاً بذلكم الخيال الم قبلِ
فَعَلَ الْذِي نَهَوْاْ أَمْ لَمْ يَفْعَلِ
بِرْقٌ سَرِي مِنْ بَطْنِ وَجْرَةً فَاهْتَدَ
بِسَانَةً أَعْنَاقُ الرِّكَابِ الضُّلَلِ

فقال : «إنه جعل الخيال كالبرق لإشراق مسراه» والخيال لا يشبه عنده بالبرق ، لأن البرق سريع خاطف ، والخيال يسري مسرى النسيم .

٢ - الحشو : وهو زيادة اللفظ على المعنى المطلوب ، وهو عيب في النظم .

٣ - الابتدال في الصورة البيانية ، كالتشبيه ، أو الاستعارة ، أو الكناية .

٤ - الرونق اللغطيي : إذ يرى في بعض أبيات البحترى رونقاً وطلاؤة ، ويرى في بعضها الآخر قلة ماء ورونق .

٥ - الاختلال في المعنى : ومن هذا قوله في نقد بعض الأبيات « وإنما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ويلائمه ، ثم الذي ذكره من الانتظار ؛ وإن كان مليحاً في اللفظ ، فهو في المعنى متكلف ؛ لأن الواقف في الدار لا يتنتظر أمراً ، وإنما يقف تحسراً وتذللًا وتحيراً » وهذه الأبيات التي تناولها النقد :

ما الْحَسْنُ عِنْدِكِ يَا سَعَادُ بِمُحَسِّنِ
فِيمَا أَتَاهُ وَلَا الْجَمَالُ بِمُجْمَلِ
عَذْلُ الْمَشْوَقِ وَإِنَّ مِنْ سِيَّمَا الْهَوَى
فِي حِيثُ تَجْهَلُهُ لِجَاجُ الْعَادِلِ

ماذَا عَلَيْكِ مِنْ انتظارٍ مُتَّمٌ
 بَلْ مَا يَضُرُّكَ وَقَفَةٌ فِي مَنْزِلٍ
 إِنْ سِيلٌ عَيَّ عنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ
 رَجْعًا فَكِيفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسَأَلِ

٦- التضمين: وهو عيب معروف عند النقاد العرب.

٧- خالفة بناء القصيدة العربية القديمة.

٨- التعقيد، وعدم السلامة في رصف الألفاظ، وسبكها، وهو عيب في الصياغة والنظم.

٩- الاستهلال، وصلته بالفصل والوصل.

١٠- الاشتراك في المعاني بينه وبين غيره من الشعراء مع تفاوت في الحسن.

١١- بناء العبارة، وتأليفها، واختلافها بين النظم السّوي، والمضطرب.

تحليل سورة النمل :

يتناول الباقلانى السورة جملة، يفسر غريبها، ويبيّن ما فيها من جمال اللفظ والمعنى، ويأخذ في تحليلها من أولها، فيقول: «بدأ بذكر السورة إلى أن بين أن القرآن من عنده» ثم وصل بذلك قصة موسى وأنه رأى ناراً فقال لأهله: «إِنِّي أَنَّسْتُ نَارًا لَعَلِّي مَاتِكُمْ مِنْهَا يَخْبِرُ أَوْ جَذْوَرَ قَرْبَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْكُمْ» وقال في سورة «طه» في هذه القصة: «لَعَلِّي مَاتِكُمْ مِنْهَا يَقْبَسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» ثم قال: «فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فانظر إلى ما أجرى له الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الريبوية، وما دلّ عليها من قلب الفصاحة، وجعله دليلاً يدلّه عليه، ومعجزة تهديه إليه، وانظر الكلمات المفردة القائمة بنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثم ما شفع به هذه الآية، وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء، ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدوها كما وصفنا من

عجب النظم، وبديع الوصف، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذاتها، تجري في الحسن بجرها، وتأخذ في معناها، ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وليلي التنزيل».

وي بين الباقياني فضل نظم القرآن على الكلام العادي، فيدعى واحداً إلى التقليد، فلا يصل إلى شيء، ويقر بالعجز أمام لفظ القرآن ونظمه، ويستطرد في تحليل السورة فيقول: «متى تهيأ للأدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة العالية الشريفة: ﴿أَلَا تَعْلَمُ عَلَّيْ وَأَقْوِي مُسْلِيْن﴾ والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبر، واستغلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتتها بتلك الألفاظ البديعة، والكلمات العجيبة، ثم كلامها بعد ذلك لتعلمتمكن قولها: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَوْأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْ حَتَّى تَشَهَّدُونَ﴾ وذكر قولهم: ﴿قَالُوا مَنْ أَفْلَوْا فَوْقَ وَأَوْلَوْا بِأَيْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْنِي مَاذَا تَأْمُرُنِي﴾ لا تجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به، وقوله: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾ تعلم براعته بنفسه، وعجب معناه، وموضع إنقاذه في هذا الكلام، وتمكن الفاصلة، وملاءمتها لما قبلها، وذلك قوله: ﴿فَانْظُرْنِي مَاذَا تَأْمُرُنِي﴾ ثم إلى هذا الاختصار، وإلى البيان مع الإعجاز، فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً؛ لتمكنه، ووقوعه موقعه» إلى أن يقول: «وإن شرحت لك ما في كل آية طال عليك الأمر، ولكنني قد بيّنت بما فسرت، وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت، والنحو الذي قصدت، والغرض الذي إليه رميت، والسمت الذي إليه دعوت».

ونحسبك بعد هذا قد ألممت بكتاب الإعجاز فقد أوردننا لك خير ما فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسَمَ ﴿١﴾ تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتَلَوْا عَلَيْكَ مِنْ نَّبِيًّا مُّوسَى وَفَرَعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرَعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذْهِبُ إِبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرَبِّيْدَ أَنْ نَمَنَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَبَخَلَهُمُ الْوَرِثَتِينَ ﴿٥﴾ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَئِرَى فِرَعَوْنَ وَهَامَنَ وَجَنُودُهُمَا مِّنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ شِيعًا ﴾ : في «القاموس» و«التاج» وغيرهما من كتب اللغة: «شيعة» الرجل: أتباعه، وأنصاره، والجمع: شيع، وأشياع، والشيعة: الفرق، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، مذكراً، ومؤثراً وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علينا، وأهل بيته، حتى صار لهم اسماءً خاصاً الواحد: «شيعي» وقال الزمخشري: «شيعاً: فرقاً يشيعونه على ما يريد، ويطيعونه، لا يملك أحدٌ منهم أن يلوبي عنقه، قال الأعشى:

وَيَلْدَةٌ يَرْهُبُ الْجَوَابُ دُلْجَهَا

حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِي الشَّيْعَا

أَوْ يَشْيَعُ بَعْضَهُمْ بَعْضًاً فِي طَاعَتِهِ، أَوْ أَصْنَافًاً فِي اسْتِخْدَامِهِ، يَتَسَخِّرُ صِنْفًا
فِي بَنَاءِهِ، وَصِنْفًاً فِي حَرْثِهِ، وَصِنْفًاً فِي حَفْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ضَرَبَ عَلَيْهِ
الْجَزِيَّةُ، أَوْ فَرْقًاً مُخْتَلِفَةً، قَدْ أَغْرَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ» وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي أَوْرَدَهُ
الْمُخْشَرِيُّ لِلْأَعْشَى: رَبُّ مَفَازَةِ يَخَافُ الْجَوَابَ؛ أَيْ كَثِيرُ السَّفَرِ، مِنْ: جَبَتْ
الْأَرْضُ: إِذَا قَطَعْتُهَا بِالسِّيرِ، وَالدَّلْجَةِ، مِنْ: دَلْجٌ، وَأَدَلْجٌ، وَادَّلْجٌ: إِذَا سَارَ
لِيَلًاً، وَالدَّلْجَةُ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيلِ، أَيْ: يَخَافُ الْمَعْتَادَ عَلَى السِّيرِ مِنْ سِيرِهَا لِيَلًاً،
حَتَّى يَطْلُبُ الْجَمَاعَاتُ الْمَسَاعِدِينَ لَهُ عَلَى سِيرِهَا، وَبَعْدَ الْبَيْتِ قَوْلُهُ:

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايِعْنِي

هَمِّي عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا مَعَا

بَذَاتِ لَوْثٍ عَفْرَنَا إِذَا عَثَرْتَ

فَالْتَّعَسُّ أُولَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا

يَقُولُ: كَلَّفْتُ نَفْسِي سِيرَ الْمَجْهُولِ مِنْهَا، وَعَاوَدْنِي عَزْمِي عَلَى سِيرِهَا وَقْتِ
لِمَاعَنَّ آلَهَا، وَهُوَ السَّرَابُ؛ الَّذِي يَرِي عِنْدَ شَدَّةِ الْحَرَّ كَأَنَّهُ مَاءٌ، مَعَ أَنْ سِيرَ
الْهَاجِرَةِ أَشَدُّ مِنْ سِيرِ اللَّيلِ، ثُمَّ قَالَ: مَعَ نَاقَةٍ صَاحِبَةٍ قُوَّةٍ، وَيَطْلُقُ الْلَّوْثَ عَلَى
الضَّعْفِ أَيْضًاً فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَعَفْرَنَا: غَلِيظَةُ، وَيُقَالُ لِلْمَعَاثِرِ: لَعَالَكُ،
دُعَاءُ لَهُ بِالْأَنْتَعَاشِ، وَتَعْسَالُهُ: دُعَاءُ عَلَيْهِ بِالسَّقْوَطِ، يُرِيدُ: أَنْهَا لَا تَعْشُ، وَلَوْ
عَثَرْتَ فَالْدُعَاءُ عَلَيْهَا أَحْقَ بِهَا مِنَ الدُّعَاءِ لَهَا.

﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءُهُمْ﴾ : يَبْقِيهِنَّ أَحْيَاءً؛ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَهْنَةِ لَهُ: إِنْ مُولُودًا
يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِبَ زَوَالِ مَلْكَكَ.

﴿وَهَمَّتَنَ﴾ : وزِيرُ فَرْعَوْنَ الْمُذَكُورُ هُنَا، وَهَامَانُ عَدُوُ الْيَهُودِ: وزِيرُ
اَحْشَوِيْرُوْشَ الْفَارَسِيِّ، ذُكْرُهُ فِي سَفَرِ اسْتِيْرِ مِنْ كَتَبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

○ الإعراب:

﴿طَسْمَرَ، تِلَكَ أَيْدِيَتُ الْكِتَبِ الْمُبَيْنِ﴾ تقدم القول فيها، وتلك: مبتدأ، وأيات الكتاب المبين: خبرها. ﴿نَتَوْأُ عَلَيْكَ مِنْ بَيْنًا مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾ نتلوا: فعل مضارع مرفوع، وفاعل مستتر، تقديره: نحن، عليك: متعلقان بتلوا، ومن نبا: صفة لمفعول به محذوف؛ أي: شيئاً من قصة موسى وفرعون، وفيه حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، وبالحق: حال من فاعل نتلوا؛ أي: حال كوننا متلبسين بالحق والصدق، أو من المفعول، أي: حال كونه متلبساً بالحق والصدق، ولقوم: متعلقان بتلوا، فهو بمثابة التعليل له، أي: لأجل قوم، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ أَلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعَةً﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان قصة فرعون، أو جملة تفسيرية لنباً موسى، وكلتاها لا محل لها من الإعراب، وإن، وأسمها، وجملة علا: خبرها، وفاعل علا: ضمير مستتر جوازاً، تقديره: هو، أي: فرعون، وفي الأرض: متعلقان بعلا، وجعل أهلها: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وشيعاً: مفعول به ثان. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ جملة يستضعف: حالية من فاعل جعل، أو: صفة لشيعاً، وذلك أن يجعله كلاماً مستأنفاً، وفاعل يستضعف: هو، وطائفه: مفعول به، ومنهم: صفة لطائفة، ويذبح: بدل اشتغال من يستضعف؛ لأن الاستضعف مشتمل على الذبح، والاستحياء معأً، وأبناءهم: مفعول يذبح، ويستحيي نساءهم: عطف على يذبح أبناءهم، وجملة إنه: تعليل لهذه الأعمال، وإن، وأسمها، وجملة كان: خبرها، وأسم كان: مستتر، تقديره: هو، ومن المفسدين: خبر كان. وإنما كان فرعون يذبح أبناءهم، ويترك النساء؛ لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه: أنه يذهب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل. قال الزجاج: «والعجب من حرق فرعون، فِإِنَّ الْكَاهِنَ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ إِنْ كَانَ صَادِقاً عَنْهُ فَمَا يَنْفَعُ الْقَتْلُ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَا مَعْنَى لِلْقَتْلِ».

﴿ وَنَرِيدُ أَن نَعْلَمَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، فإن جعلتها عاطفة؛ عطفت الكلام على قوله: إن فرعون علا في الأرض، لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنا موسى وفرعون، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، وإن جعلتها حالية؛ فالجملة حال من يستضعف، أي: يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن نمن عليهم. وأن، وما في حيزها: مفعول نريد، وعلى الذين: متعلقان بنمن، وجملة استضعفوا: صلة، وفي الأرض: متعلقان باستضعفوا، أو بمحذف حال؛ أي: حالة كونهم على الأرض، ولعله أولى. ﴿ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَرِثَةَ ﴾ ونجعلهم: عطف على نمن، والهاء: مفعول به أول، وأئمة: مفعول به ثان، ونجعلهم الوارثين: عطف على نجعلهم أئمة. ﴿ وَنَمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنْدُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ونمكنا: عطف على نجعل، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ولهم: متعلقان بنمكنا، وفي الأرض: حال، ونري: عطف أيضاً، وفرعون: مفعول به، وهامان: عطف على فرعون، وجندهما: عطف على فرعون، وهامان، ومنهم: متعلقان بنري، أي: ونري فرعون وهامان وجندهما منبني إسرائيل ما كانوا يحدرون، أي: يخافونه منهم وقد وقع على يد مولود منهم، وما: مفعول به ثان لنري، وجملة كانوا: صلة، وكان، واسمها، وجملة يحدرون: خبر كانوا.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا أَمْرٌ مُوحَّدٌ أَن أَنْتَ ضَعِيفٌ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَأْلِيقِيهِ فِي الْيَمْنِ وَلَا
خَافَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧ فَالْنَّقَطَةُ هُمْ أَهْلُ
فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنْدُهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ ٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِ لَيْ وَلَكَ لَا تَقْتُلُهُ عَسَى أَن
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُمْ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَى فَرِغًا إِن

كَادَتْ لَنْبَدِي بِهِ، لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١٠﴾
 وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ، قُصْبِيهُ فَبَصَرَتْ بِهِ، عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمَنَا
 عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَذْكُرُهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
 نَصِحُورُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدَنَاهُ إِلَى أُمِّهِ، كَيْ نَفَرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

☆ المُفْسَدَة:

﴿وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ﴾ : الخوف: هو غم يلحق الإنسان لأمر مكرره متوقع، والحزن: غم يلحقه لأمر مكرر واقع، وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة، وما ورد من الاعتراض على هذا العطف.

﴿قُصْبِيهُ﴾ : اتبعي أثره، وتبعي خبره، وبابه نصر. وسيأتي المزيد من شرح هذه المادة.

﴿جُنْبٍ﴾ بضمتين: مكان بعيد، يقال: بصرت به عن جنب، وعن جنابة، بمعنى: عن بعد.

○ الْإِكْرَابُ:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَّ أَرْضِيَهُ﴾ الواو: عاطفة، وجملة أوحينا: عطف على قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ وكلتا الجملتين داخلة في حكم تفسير النبأ، وأوحينا: فعل، وفاعل، وإلى أم موسى: متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون مصدرية على بابها، وهي مع مدخلولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأوحينا، وأرضيه: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به.

﴿فَإِذَا خَفَتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الفاء: رابطة، وخفت: فعل، وفاعل، وعليه: متعلقان بخفت، فألقيه: الفاء: رابطة، وألقيه: فعل أمر مبني على حذف النون، والياء: فاعل، والهاء: مفعول به، وفي اليم: جار ومحروم

﴿إِنَّ فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجِنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ كلام لا محل له من الإعراب لأنَّه تعليل لما سبق من أمور، وقيل: هو كلام معتبر بين معطوف عليه، وهو: ﴿فَالْفَتَّأْتُهُ إَلَى فَرْعَوْنَ﴾ ومعطوف وهو: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فَرْعَوْنَ﴾ وإنَّ، واسمها، وهامان، وجندوها: عطف على فرعون، وجملة كانوا: خبر إنَّ، وكان، واسمها، وخطائين: خبرها. ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فَرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنَ لِي وَلَكَ﴾ الواو: عاطفة، وقالت: عطف على فالتفظه آل فرعون، وأمرأة فرعون: فاعل قالت، وهي: آسية بنت مزاحم، وسيأتي ذكرها في قصة موسى وفرعون، وقرة عين: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو قرة عين، ولها، ولذلك: صفتان للقرة، وقد خبط بعض المعربين خبطاً عجيباً في إعراب هذه الآية، ستعلم إليه في باب الفوائد. ﴿لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا: نهاية، وتقتلوه: فعل مضارع مجزوم بلا،

والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وعسى: فعل ماض من أفعال الرجاء، وهي ت عمل عمل كان، واسمها: مستتر، تقديره: هو، وأن ينفعنا: مصدر مؤول في محل نصب خبر عسى، أو تتحذى: عطف على ينفعنا، والهاء: مفعول به أول، وولداً: مفعول به ثان، وهم: الواو حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر، والجملة: حال من آل فرعون، وهي من كلام الله تعالى، ويبعد أن تكون من كلام آسية. ﴿وَاصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَتِرَّا﴾ الواو: استئنافية، وأصبح: فعل ماض ناقص، وفؤاد أم موسى: اسمها، وفارغاً: خبرها، وسيأتي تفسير هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبِطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إن: مخففة من الثقلة، وكادت: فعل ماض من أفعال المقاربة، واسمها: مستتر، تقديره: هي، واللام: الفارقة، وجملة تبدي: خبر كادت، وبه: متعلقان بتبدي، وإذا أعملت «إن» كان اسمها: ضمير شأن مذوف، وجملة كادت: خبرها، والأولى إهمالها، ومعنى تبدي به؛ أي: تظاهر القول به، والضمير لموسى، وقيل: الباء: زائدة، والهاء في محل نصب مفعول به، والأول أضبط، ولو لا: حرف امتناع لوجود، وأن: مصدرية وهي مع مدخلولها: مصدر في محل رفع مبتدأ مذوف الخبر؛ أي: لو لربطنا على قلبها حاصل، وعلى قلبها: متعلقان بربطنا، وجواب لولا: مذوف؛ أي: لأبدت به، ولتكون: اللام: للتعليل، وتكون: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بربطنا أيضاً، ومن المؤمنين: خبر تكون. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصَيْهُ بَصَرَتِ يَهُهُ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وقالت: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: هي، أي: أم موسى، ولاخته: متعلقان بقالت، وقصيه: فعل أمر مبني على حذف النون، والباء: فاعل، والهاء: مفعول به، وبصرت: الفاء: عاطفة على مذوف؛ أي: فذهبت ترتاده، وتقصد آثاره، وبه: متعلقان ببصرت، وعن جنب: في موضع الحال من فاعل بصرت؛ أي: بصرت به مستخفية كائنة عن جنب، أو: من المجرور، وهو:

بـه؛ أي: بعيداً، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر.

﴿ وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعُ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَىٰ أَهْلٍ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِحُونَ ﴾ الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة مسورة للشروع في بيان سبب رده إلى أمه، وحرمنا: فعل، وفاعل، وعليه: متعلقان بحرمنا، والمراضع: مفعول به، ومن قبل: حال - والمراضع: جمع مرضع، وهي التي تمارس الإرضاع، ولم تباشره، أو: جمع مرضع، بفتح الميم والضاد، اسم مكان الرضاع، يعني: الثدي - فقالت: الفاء: الفصيحة، أي: لما رأت أخته ذلك قالت، وهل: حرف استفهام، وأدلکم: فعل مضارع، وفاعل، مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وعلى أهل بيته: متعلقان بأدلکم، وجملة يكفلونه: صفة لأهل بيته، ولکم: متعلقان بيكفلونه، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وله: متعلقان بناصحون، وناصحون: خبر.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ أُمِّهِ، كَيْ نَقَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنْ﴾ الفاء: عاطفة، ورددها: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلى أمه: متعلقان برددها، وكـي: حرف تعليـل، ونصـب، وتقـر: فعل مضارع منصوب بكـي، ولا تحـزن: عطف على تـقر، ودمـع الفـرح بـارد، وعين المـهموم حرـى سـخـينة. ﴿وَلَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: للتعليق، وتعلـم: فعل مضارع منصوب بـأن مضمـرة بعد اللـام، وـأـنـ، وما بـعـدهـا: سـدت مـسد مـفعـولي تـعلـمـ، وـأـنـ، وـاسـمـهاـ، وـحقـ: خـبرـهاـ، والـواـوـ: حالـيةـ. ولـكنـ أـكـثـرـهـمـ: لـكـنـ، وـاسـمـهاـ، وجـملـةـ لـاـ يـعـلـمـونـ: خـبرـهاـ.

اللاغنة

١- معنى الخوف والحزن:

لسائل أن يقول: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في قوله: ﴿وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزُن﴾؟ ثم أليس من التناقض أن يثبت الخوف

في قوله: ﴿فَإِذَا حَقَّتِ عَلَيْهِ﴾ ثم ينفيه بقوله ﴿وَلَا تَخَافِ﴾ والجواب على التناقض المزعوم: أن الخوف الأول المثبت هو غرقه في النيل، والثاني هو خوف الذبح، فاندفع ما يتوهם من تناقض، وأما الاعتراض الأول: فهو مندفع بأن هذا من باب الإطناب، بل هو قسم نادر من أجمل أقسامه، وهو أن يذكر الشيء، فيؤتى فيه بمعانٍ متداخلة. إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست لآخر، فقد قلنا في باب اللغة: إن الخوف هو غم يصيب الإنسان لأمر يتوقع نزوله في المستقبل، أما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلاً ومضى فنهيت عنهما جديعاً، ومنه قول أبي تمام، وقد كان بارعاً فيه:

قطعت إلٰي الزابين هباته والتاتٰ مأمولٰ السَّحَابِ المسَبِّلِ
من منٰة مشهورٰة وصناعة بكرٰ وإحسانٰ أغرٰ محجلٰ

فقوله: منه مشهورة، وصناعة بكر، وإحسان أغر محجل؛ تداخلت معانيه، إذ المنة والصناعة والإحسان متقارب بعضه من بعض، وليس ذلك بتكرير، كما يتوهם؛ لأنه لو اقتصر على قوله: منه وصناعة وإحسان؛ لجاز أن يكون تكريراً، ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرى جتها عن حكم التكرير فقال: «منه مشهورة» فوصفها بالاشتهر لعظم شأنها، و«صناعة بكر» فوصفها بالبكار، أي: أنها لم يؤت بمثلها من قبل، و«إحسان أغر محجل» فوصفه بالغرة، والتحجيل؛ أي: هو ذو محسن متعددة، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة؛ التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباعدة؛ صار ذلك إطناباً، ولم يكن تكريراً. وقد استعملت هذه الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُرًا مُؤْمِنٌ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَقَّتِ عَلَيْهِ فَكَأَلَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزِنِ إِنَّا رَادُونَا إِلَيْكَ وَجَاعَلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ على أمرتين وهما: «أرضعيه، فألقيه» ونبين

وهما «لا تخافي، ولا تحزني» وخبرين، وهما: إنارادوه إليك وجعلوه من المرسلين» وبشارتين في ضمن الخبرين، وهما: رده إليها وجعله من المرسلين.

٢- الكناية :

وذلك في قوله : ﴿ وَأَصَبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِغًا ﴾ فإن ذلك كناية عن فقدان العقل ، وطيش اللب ، والمعنى : أنها حين سمعت برقعه في يد فرعون طاش صوابها ، وطار عقلها ؛ لما انتابها من فرط الجزع والدهش ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَفَيْدُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي : جوف لا عقول فيها ، ومنه بيت حسان : وهذا البيت من قصيدة مطولة لحسان بن ثابت يهجو بها أبي سفيان قبل إسلامه . وبعده :

بَأَنَّ سِيَوْفَنَا تَرَكَتْ عُبَيْدًا
هَجُوتَ مُحَمَّدًا فَأَجْبَتُ عَنْهُ
أَتَهْجُوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفِئٍ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالْدُهُ وَعَرْضِي
وَأَلَا: أَدَةً لِلتَّنبِيهِ، وَالاستِفْتَاحِ، وَالْمَأْمُورِ بِالْإِبْلَاغِ غَيْرِ مَعِينٍ، ثُمَّ التَّفَتَ
لِيَشِيرَ غَيْظَ أَبِي سَفِيَانَ، وَكَانَ مَقْتَضِيُ السِّيَاقِ أَنْ يَقُولَ: «فَإِنَّهُ» أي:
أَبَا سَفِيَانَ، لَكِنَّ مَخَاطِبَتِهِ، وَمَشَافِهَتِهِ بِالذَّمِ أَمْضَ لِلنَّفْسِ، وَأَقْدَعَ فِي
الْهَجَاءِ. وَالْمَجَوَّفِ، وَالنَّخْبِ، وَالْهَوَاءِ: خَالِيُ الْجَوْفِ، أَوْ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ
الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ، وَإِسْنَادُ التَّرْكِ لِلسِّيَوْفِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، لِأَنَّهَا آلَةٌ لِلْفَعْلِ وَعَبِيدٌ
بِالْتَّصْغِيرِ: قَبِيلَةٌ، وَكَذَلِكَ عَبْدُ الدَّارِ، سَادَتُهَا: مُبْتَدَأٌ، وَالْإِمَاءَ: خَبْرُهُ،
وَالْجَمْلَةُ فِي مَحْلِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِتَرَكَتْ، أي: صَبَرَتْ عُبَيْدًا لِاَسَادَةِ لَهَا إِلَّا
النِّسَاءَ، وَصَبَرَتْ عَبْدُ الدَّارِ كَذَلِكَ، وَأَتَهْجُوهُ: الإِسْتِفَاهَ إِنْكَارِي تَوْبِيَخِي،
وَالْلَّوَّا وَبَعْدُ لِلْحَالِ، أي: لَا يَنْبَغِي لَكَ ذَلِكُ، . وَشَرُّ وَخِيرٍ: اسْمَا تَفْضِيلٍ،
وَاحْتَصَارٌ بِحَذْفِ هَمْزَتِهَا تَخْفِيَّاً. لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمَا، لَكِنَّ الْمَرَادُ بِهِمَا هَنَا
أَصْلُ الْوَصْفِ، لَا الزِّيَادَةُ فِيهِ، وَالْشَّرُّ أَبُو سَفِيَانَ، وَجَمْلَةُ فَشَرٌّ كَمَا لَخِيرٌ كَمَا
الْفَدَاءِ: دُعَائِيَّةٌ، دُعَا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فَدَاءً لِرَسُولِ اللهِ، وَأَبْرَزَهُ فِي صُورَةِ الْإِبْهَامِ
لِأَجْلِ الْإِنْصَافِ فِي الْكَلَامِ، وَلَذِلِكَ لِمَا سَمِعَهُ الْحَاضِرُونَ قَالُوا: هَذَا أَنْصَافٌ

بيت قاله العرب ، وأمن يهجو استفهام إنكارى ، أي : ليس من يهجوه منكم ؟ ومن يمدحه ، وينصره منا مستويين ، ويحتمل : أن الهمزة للتنبيه ، أو للنداء ، والمنادى : مخدوف ، أي : يا قوم أبى سفيان إن الذى يهجو رسول الله منكم والذى يمدحه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما ، والوقاء : ما يتوقفى به المكرود ، وزان الحزام ، والرباط ، فهو إما بمعنى اسم مفعول ، أو اسم آلة .

* الفوائد :

١- قصة موسى وفرعون :

نلخص هنا موسى وفرعون كما رويت لطراحتها ، وكما جربنا عليه في هذا الكتاب ، فموسى معناه : ماء وشجر ، لأن مو بالقبطية : هو الماء ، وشا : هو الشجر ، فعربت ، وسمى : موسى ؛ لأنهم وجدوه بينهما ، وهو : موسى بن عمران ، يمت بالنسبة إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ولم يزل بنو إسرائيل من عهد يوسف تحت أيدي الفراعنة حتى كان فرعون الذي بعث موسى إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه ، ولا أطول عمرًا ، وكان شديد الغلظة ، واسمها : الوليد بن مصعب ، وكان قد اتخذبني إسرائيل خولاً ، فصنف منهم يبنون ، وصنف يحرثون ، ومن لا عمل له وظف عليه الجزية ، فرأى في منامه : أن ناراً أقبلت من المقدس فأحرقت القبط ، فسأل عن رؤياه ، فقيل له : يخرج من هذا البلد - أي : الذي جاء بنو إسرائيل منه - رجل يكون على يديه هلاك مصر ، فأمر بقتل كل مولود ، حتى كاد يفنيهم ، فقيل له : إنما هم خولك ، وإنك إن تفنهم ينقطع النسل ، فأمر بقتل الغلمان عاماً ، واستحيائهم عاماً ، فولد هارون في السنة التي يستحيون فيها ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها ، فلما وضعته حزنت ، فأوحى الله إليها ﴿أَنَّ أَرْضِيَّهُ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ فعملت تابوتاً جعلته فيه ، وألقته في اليم ، وهو النيل ﴿وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ فُصِّبِيَّهُ﴾ فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار متکاثفة تحت قصر فرعون فخرجت جواري فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ،

فأدخلته إلى آسية امرأة فرعون، فلما رأته أحبته، وأخبرت به فرعون، فأراد ذبحه، وخشي أن يكون المولود الذي حذر منه، فلم تزل به آسية حتى تركه لها، وذلك قوله : ﴿فَالنَّقْطَةُ هُوَ الْفَرِّعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وستائي تتمة القصة .

٢- لام العاقبة أو الصيرورة :

واللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ للعقاب، وقد أبرز مدخولها في معرض العلة للتقطفهم تشبيهاً له في الترب عليه بالغرض الحامل له، وتسمى : لام الصيرورة، ولام المال، وقد أنكر البصريون لام العاقبة . قال الزمخشري : «والتحقيق : أنها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة . لأنه لم يكن داعيهم إلى التقطفهم أن يكون لهم عدواً وحزناً، ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كانت نتيجة التقطفهم له وثمرته ؛ شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله ، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء ، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قوله : ضربته ليتأدب ، وتحريره : أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد من يشبه الأسد» .

٣- أعاريب في «قرة عين» :

تفادينا في هذا الكتاب إيراد الأعاريب المرجوة ، بله المتهافة ؛ لأننا آثرنا اختيار أفضل الوجوه وأمثالها ، غير أنها لا نرى إغفال بعض الأعاريب المتهافة التي تبناها بعض المعربين ؛ فقد قلنا : إن قرة عين : خبر مبتدأ مضمر ، ولـيـ وـلـكـ : صفتان ، وقد أجاز بعضهم وجهاً لا يجوز إيراده البتة ، وهو أن تكون قرة عين : مبتدأ ، والخبر : جملة لا تقتلوه ؛ لأن فيه الإخبار بالإنشاء عن الخبر ، وهذا هيـنـ بالنسبة لـخـالـفـةـ الضـمـيرـ ، لأنـهـ يـجـبـ أنـ يـقـولـ : لا تـقـتـلـوهاـ ، وـاحـتـجـواـ : بـأنـهـ لـمـ كـانـ المرـادـ مـذـكـرـاـ سـاغـ ذـلـكـ ، وـماـ أـغـنـاهـاـ عـنـ ذـلـكـ التـمـحـلـ الذي لا يـلـيقـ بالـقـرـآنـ ، وـنـقـلـ ابنـ الأـبـنـاريـ بـسـنـدـهـ إـلـىـ ابنـ عـبـاسـ : أـنـ وـقـفـ عـلـىـ «ـلاـ»ـ أيـ هـوـ قـرـةـ عـيـنـ لـيـ فـقـطـ ، وـلـكـ لـاـ ، أـيـ لـيـسـ هـوـ قـرـةـ عـيـنـ ، ثـمـ يـبـتـدـئـ

بقوله : تقتلوه وهذا مضحك ، لا يمكن أن ينسب إلى ابن عباس ولا إلى ابن الأباري نفسه ، وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ، ولا مقتضى لحذفها ، ولذلك قال الفراء : هو لحن .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ وَاسْتَوَى إِلَيْنَاهُ حَكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّالِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
 وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةِ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ
 وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَثَهُ اللَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى
 عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾
 ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّمَا هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
 ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَمْ أَكُونْ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ وَاسْتَوَى إِلَيْنَاهُ حَكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّالِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الواو : استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتممة قصة يوسف بعد بلوغه الأشد ، ولما : حينية ، أو : رابطة ، وقد تقدم ذلك ، وبلغ : فعل ماض ، وفاعله : مستتر ، تقديره : هو ، وأشده : مفعول به ، وقد مضى تفسير الأشد ، والأقوال فيه أكثر من مرة ، واستوى : عطف على بلغ ، والمراد : أنه انتهى شبابه ، وتكامل عقله ، وجملة آتيناه : لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ، وآتيناه : فعل ماض ، وفاعل ، ومفعول به أول ، وحكمًا : مفعول به ثان ، وعلماً : عطف على حكمًا ، وكذلك : نعت مصدر محدوف ، ونجزي المحسنين : فعل مضارع ، وفاعل ، ومفعول به . ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةِ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ودخل المدينة : عطف على محدوف ، أي : غاب عن فرعون مدة طويلة ؛ لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة ، ثم ذهب إلى مدين ، وأقام فيها عشر سنين ، ودخل المدينة : فعل ، وفاعل ، ومفعول على السعة ، قيل : المراد بالمدينة : منف بضم فسكون ، وهي : منوعة من الصرف للعلمية والعجمة ،

وقيل غير ذلك، وعلى حين غفلة: حال من المدينة، أو: من فاعل دخل، أي: مختلساً، ومن أهلها: صفة لغفلة، قيل: كان الوقت بين العشاءين، وقيل: وقت القائلة، وقيل: يوم عيد، ومعنى «على» هنا: الظرفية، أي: على حين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذِهَا مِنْ شَيْئِهِ وَهَذِهَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فوجد: عطف على دخل، وفيها: متعلقان بوجد، ورجلين: مفعول به، وجملة يقتلان: صفة لرجلين، وهذا: مبتدأ، ومن شيعته: خبر، والجملة: صفة ثانية لرجلين، وقيل: حال، والحال من النكرة أجازه سيبويه من غير شرط، وهذا من عدوه: عطف عليها. والعرب تشير بهذا إلى الغائب، لأنها حكاية حال ماضية، فعبر عن غائب ماضٍ باسم الإشارة.

﴿فَأَسْتَعْثِثُكَ الَّذِي مِنْ شَيْئِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ الفاء: عاطفة، واستغاثة: فعل ماض، ومفعول به، والذي: فاعل، ومن شيعته: متعلقان بمخدوف صلة، واستغاث: يتعدى بنفسه تارة كما هنا، وتارة بالباء. ﴿فَوَكَرْمُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا عَدُوُّ مُضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ فوكزه: عطف أيضاً، أي: دفعه بجمع كفه، وقال الكسائي: لكمه، وموسى: فاعل، فقضى عليه: عطف على فوكزه، قال: فعل ماض، والجملة: مستأنفة، وهذا: مبتدأ، ومن عمل الشيطان: خبر، والجملة: مقول القول، وجملة إنه عدو: تعليل، ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، ولكونه غير مقصود، وإنما عده من عمل الشيطان، وسماه: ظلماً، واستغفر منه هضماً لنفسه، واستعظام الهنات اليسيرة التي تبدر منهم، وإن، واسمها، وعدو: خبرها، ومضل: صفة، ومبين: صفة ثانية. ﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّمَا هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ رب: منادي مضاد إلى ياء المتكلم المخدوفة، وإن، واسمها، وجملة ظلمت نفسى: خبر إن، فاغفر لي: الفاء: عاطفة، واغفر: فعل دعاء، ولي: متعلقان باغفر، فغفر له: عطف، وإن، واسمها، وهو: ضمير فصل، والغفور: خبر، والرحيم: خبر ثان، ويجوز أن تعرب هو: مبتدأ، والغفور الرحيم: خبران لهما، والجملة: خبر إن. ﴿قَالَ رَبِّي بِمَا

أَنْعَمْتَ عَلَىٰ فَلنَّ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ» بما: الباء: حرف قسم وجر، وجواب القسم: ممحوف، تقديره: أقسم بإنعامك على المغفرة لأتون، وما: مصدرية، والمصدر: في محل جر بباء القسم، والفاء: عاطفة على الجواب الممحوف، ولن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، وأكون: فعل مضارع ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: أنا، وظهيراً: خبرها، وللمجرمين: متعلقان بظهيراً، ويجوز أن يكون الكلام استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من الكفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين، فتعلق الباء ومدخلها باعصمي المقدر، ولا تحتاج إلى جواب، وتكون الفاء في: فلن أكون، هي الفصيحة؛ لأنها جواب شرط مقدر كما ذكرنا، هذا وهناك أقوال أخرى كلها سديدة، موعدنا بها باب الفوائد.

* الفوائد:

١- تتمة قصة موسى :

واخذه فرعون ولداً، وارتادوا له المرضعات، فلم يقبل ثدي واحدة منهن، ولما غاب أمره عن أمه، كاد قلبها يطير وجداً عليه، فبعثت أخته؛ كأنها تلتمس رضاعه، فلما رأت أسفهم عليه حيث لم يقبل على مرضعة؛ قالت: «هَلْ أَدْلُكُ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» فأجابوا ملتمسها، فذهبت، فجاءت بأمه «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِيقًا إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْتَكُمْ عَلَىٰ قَلْبِهَا» فأعطيته ثديها، فأخذ يرضعه، فربته في قصر فرعون، ثم عرضته آسية على فرعون، فلما أخذه مدّ موسى يده إلى لحيته، فتفتها، فقال فرعون: على بالذبحين، فإنما هو هذا، فقالت آسية: هو «قُرْتَ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُونِي» فإنه صبي لا يعقل، ودعت له بجمري وياقوت، فطرح جبريل يده في النار، فوضعها موسى في فمه، فاحرقته، فتركه فرعون، فكبر في حجره، فلما ترعرع تبناء، فكان يركب مراكبه، ويلبس ملابسه، ويدعى: ابن فرعون، ثم إن موسى أخبر: أن فرعون قد ركب، فركب أثره فأدركه ببلدة منف، فدخلها وقد أخلت لفرعون، وليس في طرقها أحد، فرأى إسرائيلياً

مع قبطي يقتلان، فاستغاثة الإسرائيلى، فوكز القبطي، فقضى عليه، فكان من قصتهما ما قص الله تعالى في سورة القصص حتى خرج خائفاً يتربى إلى مدين، وستأتي البقية قريباً.

٢- اختلاف المعربين في «يَمَّا أَنْعَمْتَ عَلَى» :

أوردنا الوجهين الراجحين في إعراب هذه الآية وهي ﴿ قَالَ رَبِّيْمَا أَنْعَمْتَ عَلَى فَلَنَّ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وقد اختارها الزمخشري أيضاً، قال: «وأراد بمظاهر المجرمين؛ إما صحبة فرعون، وانتظامه في جملته، وتكتيره سواده، حيث كان يركب برковه، كالولد مع الوالد، وكان يسمى: ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم؛ كظاهرة الإسرائيلى المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له» وكذلك اختارهما أبو البقاء في كتابه «إعراب القرآن»، وقيل: ليس هذا خبراً، بل هو دعاء، أي: فلا أكون بعد هذا ظهيراً، أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين.

﴿ فَأَصَبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَلَّيْفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي أَسْتَصْرَفَهُ إِلَيْهِ أَمْسِ يَسْتَصْرِخُ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغُوَيْ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا أَنَّ أَرَادَ أَنْ يَبْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَى إِنِّي أَمْلَأُ يَاتِمْوَنَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِلَيْكَ مِنَ الْتَّصِحِينِ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا حَلَّيْفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّيْمَنِيْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ ۲۱﴾

○ الإعراب:

﴿ فَأَصَبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَلَّيْفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ الفاء: عاطفة، وأصبح: فعل ماض ناقص، أو تام، وعلى الأول اسمها: مستتر، تقديره: هو، وفي المدينة: حال، وخائفاً: خبر أصبح، أو: في المدينة: خبر أصبح، وخائفاً: حال،

وعلى الثاني يكون فاعل أصبح: مستترًا تقديره: هو، وفي المدينة: متعلقان به، وخائفاً: حال، وجملة يتربّب على الوجهين: حال ثانية، أو: خبر ثان، أو: حال من الضمير في خائفاً، فتكون حالاً متداخلة، ومفعول يتربّب: مذوف، أي: يتربّب المكروه، ويبعد أن يتربّب الفرج؛ لأن السياق يستبعده. ﴿فَإِذَا الَّذِي أَسْتَنْصَرَ بِالْأَمْسِ يَسْتَرْخُهُ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: فجائية، وقد تقدم القول في ظرفيتها، أو حرفيتها، والذي: مبتدأ، وجملة استنصره: صلة، وبالأمس: متعلقان باستنصره، وجملة يستنصره: خبر الذي، ومتصل بـ يستنصره: مذوف، أي: على قبطي آخر. ﴿فَالَّذِي مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ قال: فعل ماض، وله: متعلقان به، وموسى: فاعل، وإنك: إن، واسمها، واللام: المزحلقة، وغوي مبين: خبران لأن. ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية، أو: رابطة، وأن: زائدة، وتطرد زيادتها بعد لما، وقبل لو، مسبوقة بقسم، كقول الشاعر:

فَأَقْسِمُ أَنْ لَوِ التَّقَيْنَا وَأَنْتُمْ
لَكَانَ لَكُمْ يوْمٌ مِّنَ الشَّرِّ مُظْلِمٌ

وإنما زاد «أن» للإشعار بأن موسى لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني، كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان عنده إبطاء في بسط يده إليه، فعبر القرآن عن ذلك الإبطاء بزيادة «أن»، وقد تقدم في سورة يوسف ما يماثل هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ فجدد به عهداً.

وأراد: فعل ماض، وأن وما بعده: في تأويل مصدر مفعول أراد، وبالذي: متعلقان بـ يبطش، وهو: مبتدأ، وعدو: خبر، ولهمَا: صفة، والجملة: صلة الذي. ﴿فَالَّذِي مُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَتَنَاهِي كَمَا قَنَّتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ قال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، يعود على الإسرائيلي المستغيث، قال ذلك؛ وقد ظن: أن موسى يريد أن يبطش به، وقيل: يعود على القبطي وليس بعيد، ورجحه زاده في حاشيته على البيضاوي، وكأنه توهם من زجر موسى الإسرائيلي: أنه هو الذي قتل الرجل بالأمس، أترید: الهمزة: للاستفهام الإنكارى، وترید: فعل مضارع مرفوع، وأن وما في

حيزها: مفعول تريد، وكما قتلت: نعت مصدر مذوف، وقد تقدمت له نظائر، ونفساً: مفعول به، وبالأمس متعلقان بقتلت. ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ إن: نافية، وترید: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإلا: أداة حصر وأن وما بعدها: في تأويل مصدر مفعول تريد، وجباراً: خبر تكون، وفي الأرض: صفة لجباراً، وما تريد أن تكون من المصلحين: عطف على الجملة المماثلة السابقة.

﴿وَجَاهَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ الواو: عاطفة على مذوف، يقدر من سياق الكلام، أي: فذهب القبطي الذي سمع ما قاله الإسرائيلي - وقد علم أنَّ موسى هو قاتل القبطي الأول - إلى فرعون، وأخبره بحلية الأمر، فغضب فرعون، وأمر بقتل موسى، وإلقاء القبض عليه. وجاء رجل: فعل وفاعل، وهو مؤمن من آل فرعون، وردت الإشارة إليه في مكان آخر من القرآن، قيل: هو ابن عم فرعون، ومن أقصى المدينة: صفة لرجل، وجملة يسعى: صفة ثانية، أو: حال؛ لأن قوله: «رجل» تخصص بالوصف، كما هي القاعدة المشهورة، ويجوز تعليق من أقصى المدينة ب جاء، فتكون جملة يسعى: صفة فقط. ﴿قَالَ يَكُمُوسَى إِنِّي أَمَلَأُ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصْحِينَ﴾ إن الملا: إن، واسمها، وجملة يأترون: خبر، وبك: متعلقان بياطرون، أي: يتشارون، والاتتمار: التشاور، يقال: الرجال يتآمران، ويأتران بمعنى واحد؛ لأنَّ كل واحدٍ فيهما يأمر صاحبه بشيء، أو يشير عليه بأمر، وقيل: معناه: يأمر بعضهم ببعضاً بقتلك، ولعل هذا أوضح، وقد أورد صاحب «التاج» المعنين قال: «اتتمروا، وتآمروا: تشاوروا، واتتمروا بفلان: هموا به، وأمر بعضهم ببعضاً بقتله»، وبك: متعلقان بياطرون، ولقيتلوك: اللام: تعليلية، والمضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، فاخرج: الغاء: الفصيحة، أي: إن سمعت نصيحتي فاخرج، وإن: تعليل لأمره بالخروج، وإن، واسمها، ولك: متعلقان بمذوف حال، وعليه اقتصر الزخيري، ومنع تعليقه بالناصحين، وأجاز غيره أن يتعلق بالناصحين للاتساع في الظروف، أو بما يدل عليه لفظ الناصحين، أي: ناصح لك من

جملة الناصحين. «فَنَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَرْقُبُ قَالَ رَبِّيْ تَحْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» الفاء: عاطفة على مخدوف، أي: فعمل موسى بنصيحته، فخرج، ومنها: متعلقان بخرج، وخائفاً، حال، وجملة يترقب: حال ثانية، ومفعول يترقب: مخدوف، أي: الشر، أو: لحوthem به، وقيل: يترقب غوث الله، والأول أنساب بالسياق، ورب: منادي، ونجني: فعل دعاء، والباء: مفعول به، ومن القوم: متعلقان بـنجني، والظالمن: صفة.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّيْ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّكِيلِ ﴾١٧﴿ وَلَمَّا
وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ
أُمَّرَاتَيْنِ تَذُوَّدَانِ قَالَ مَا حَطَبُكُمَا فَالَّتَّا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبْوَنَا شَيْخٌ
كَيْرٌ ﴾١٨﴿ فَسَقَى لَهُمَا شَرَّهُ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِيلِ فَقَالَ رَبِّيْ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ
فَقِيرٌ ﴾١٩﴿ بَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَضَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَ
بَحْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾٢٠﴾

☆ اللّغة:

﴿إِلَيْهِمَا﴾: تقدم ذكر المصادر التي وردت على هذا الوزن والمعنى هنا الجهة.

﴿مَدْيَنَ﴾: بلدة في مصر تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك، فيها البئر التي استقى منها موسى، ومدين: اسم قبيلة ذكرها ياقوت، قال الجلال: «وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم. ولم يكن يعرف طريقها».

﴿سَوَاءَ السَّكِيلِ﴾: وسطه، ومعظم نهجه، من إضافة الصفة للموصوف، أي: الطريق الوسط.

﴿تَذُودَان﴾ : تدفعان أغناهما عن الماء . ومنه قول الشاعر :

أبِيَتْ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَائِنًا

أَذُوذُ بَهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ تُرَّعَا

﴿مَا حَطَبْكُمَا﴾ : ما شأنكما ، قال الرمخري : « وحقيقة : ما مخطوبكما ، أي : مطلوبكما من الذياد ، فسمى المخطوب : خطباً ، كما سمي المشؤون شأنًا في قوله : ما شأنك ؟ يقال : شأنت شأنه ، أي : قصدت قصده » وفي « القاموس » وشرحه « الخطب : مصدر الشأن ، يقال : ما خطبك ؟ أي : ما شأنك ؟ وما الذي حملك عليه ؟ والخطب : الأمر صغر ، أو عظم ، وغلب استعماله للأمر العظيم المكرور » ولهذه المادة معان كثيرة يرجع إليها في المعاجم المطولة ، ولكثرتها نظم بعضهم بهذه المعاني بقوله :

وَمِرَّةً الْوَعْظِ تُسْمِي خُطْبَةً ثُمَّ التَّمَاسُ لِلنِّكَاحِ الْخِطْبَةِ

وَمَا بِهِ يُخْطِبُ فَهُوَ الْخِطْبَةُ

وَحُمْرَةُ أَيْ فِي سَوَادِ الشَّعْرِ

فَحُمْرَةُ فِي كُدْرَةٍ تَدْعُى خَطْبَةً

وَخِطْبَةُ النِّكَاحِ جَمْعُهَا خَطَبٌ

وَجَمْعُ خُطْبَةٍ بِمِنْبَرٍ خُطْبَةً

وَالْخَطْبُ سَهْلٌ أَيْ سَبِيلُ الْأَمْرِ

فَالْأَمْرُ مَعَ صِرْفِ الزَّمَانِ خَطْبَةً

وَالْخِطْبَةُ الْخَاطِبُ كُلُّ خَطْبَةٍ

جَمْعُ لَاخْطَبَ وَخَطْبَانِ خُطْبَةً

فِي كُلِّ ذِي اخْتِلَافٍ لَوْنٍ يَجْرِي

وَفِي الْوَعْظِ قُلْ وَفِي النِّكَاحِ خَطَبَا

نَعَمْ وَفِي كُدْرَةٍ لَوْنٍ خَطِيبَا

وَإِنْ تَرَدَ صَارَ خَطِيباً خَطِيبَا

أَتَى بِسَجْعٍ فِي الْكَلَامِ الشَّرِّ

﴿يُبَدِّرُ الْرِّعَاءُ﴾ : الصدر عن الشيء: الرجوع عنه، يقال في فعله: صدر، من باب: نصر، وضرب، والبَدَرُ بفتحتين: اسم مصدر منه، ويتعدي بنفسه، فيقال: صدره غيره، أي: رجعه، أي: رده، ويستعمل رياضياً، فيقال: أصدره غيره. والرِّعَاءُ: جمع راع على غير القياس؛ لأن فاعلاً الوصف المعتل اللام، كقاض قياسه: فعلة، كقضاعة، ورمادة خلافاً للزمخري في قوله: إنه جمع راع على فعال قياس، كصيام، وقيام، أما جمع فعال فيطرد في ستة أنواع نوردها فيما يلي:

١ - اسم أو صفة ليست عينهما ياء على وزن فَعْلٌ، أو فَعَلَة، فالاسم: ككعب، وكعب، وثوب، وثياب، ونار، ونيار، وقصاص، وقصعة، وقصاص، وجنة وجنان، والصفة: كصعب، وصعب، وصعب.

٢ - اسم صحيح اللام غير مضاعف على وزن فَعَلٌ، أو فَعَلَة، كجمل، وجمال، وجبل، وجبال، ورقبة ورقب، وثمرة وثمار.

٣ - اسم على وزن فَعْلٌ، كذب، وذئب، وظل وظلال، وبئر وبئار.

٤ - اسم على وزن فَعَلٌ، ليست عينه واواً، ولا لامه ياء كرمج، ورماح، وريح، ورياح، ودهن، ودهان، وأما الدهان في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْدِهَانِ﴾ فسيأتي: أنه اسم مفرد، ومعنى: الجلد الأحمر.

٥ - صفة صحيحة اللام على وزن فعيل، أو فعيلة، ككريمة، وكريمة، وكرام، ومريض ومريبة، ومراض، وطويل، وطويلة، وطوال.

٦ - صفة على وزن فَعْلَانٍ، أو فَعْلٍ، أو فَعْلَانَة، أو فَعْلَانَة، كعطشان، وعطشى، وعطاش، وريان، ورياء، ورواء، وندمان، وندمى وندام، ومحسان، ومحسانة، ومحاص.

وما جمع على فعال من غير ما ذكر فهو على غير القياس، وذلك: كراع، وراعية، ورعاة، وقائم، وقائمة، وقيام، وصائم، وصائمة، وصيام،

وأعْجَفَ، وعِجْفَاءَ، وعِجَافَ، وَخَيْرَ، وَخِيَارَ، وَجِيَادَ، وَجِيَادَ، وَجُوَادَ،
وَجِيَادَ، وَأَبْطَحَ، وَبِطَاحَ، وَقُلُوصَ، وَقُلَاصَ، وَأَنْثَى، وَإِنَاثَ، وَنُنْطَفَةَ،
وَنُنْطَافَ، وَفَصِيلَ، وَفِصَالَ، وَسَبَاعَ، وَسَبَاعَ، وَضَبَاعَ، وَضَبَاعَ، وَنُفَسَاءَ،
وَنَفَاسَ، وَعَشَرَاءَ، وَعِشَارَ.

هذا ولاندري كيف نَدَّ هذا عن الزمخشري، فقال في كشافه: «وَأَمَا الرُّعَاءُ
بِالْكَسْرِ فَقِيَاسٌ، كَصِيَامٌ، وَقِيَامٌ».

﴿أَسْتَحِيَاءُ﴾: الاستحياء، والحياء: الحشمة، والانقباض،
والانزواء. قال في «المصباح»: «يقال: استحيت بياء واحدة، وبباءين،
ويتعدى بنفسه، وبالحرف، فيقال: استحيته، واستحيت منه».

﴿الْقَصَصُ﴾ بفتحتين: مصدر بمعنى: المقصوص، وقد سمي به فيما
بعد المقصوص، يقال: قص عليه الخبر: حدثه به، ومصدره: قصص
بفتحتين، أما القصص بكسر القاف: فهو جمع قصة.

○ الإكراه:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ الْكِسْلِ﴾ الواو:
استئنافية، ولما: حينية، أو: رابطة، وتوجه: فعل ماض، وفاعله: مستتر،
تقديره: هو، وتلقاء مدین: ظرف مكان متعلق بتوجهه، وتلقاء يستعمل
مصدراً واسماً للقاء، ومكاناً له، وقد ذكرنا فيما مضى: أنَّ لدينا عشرة
مصادر أتت مخالفة فجاءت بكسر أولها، وجعله شارح «القاموس» اسمًا
للمصدر، فقال تعليقاً على «القاموس»: «قوله: والاسم: التلقاء، أي: اسم
المصدر، ولكن يعكر عليه قوله ولا نظير له غير التبيان؛ إذ لم يقل أحدٌ: بأنَّ
التبیان اسم مصدر، بل هو مصدر نادر» وعبارة «المحكم»: «التلقاء: اسم
 المصدر، لا مصدر، وإنما لفتت الناء، وقيل: مصدر لا نظير له غير التبيان»
ومدین: مضاد إليه، ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث، وجملة قال:
لا محل لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم، وعسى: فعل ماض جامد من

أفعال الرجاء، وربِّها: اسمها، وإنْ وما في حيزها: خبرها، وسواء السبيل: مفعول ثان، أو: منصوب بتنزع الخافض. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً قَرَنَ أَنَّاسِ يَسْقُوتُ﴾ وجد: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وعليه متعلقان بوجد، لأن وجداً بمعنى لقي، وأمَّةً: مفعول به، أي: جماعة كثيفة، ومن الناس: صفة لأمة، وجملة يسقون: صفة ثانية، أو: حال، ومفعول يسقون: مذود للعلم به، أي: مواشيهِم. ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّارَاتِيْنَ تَذُودَانِ﴾ ووجد: عطف على وجده الأولى، ومن دونهم: متعلقان بوجد أيضاً، أي: في مكان أسفل منهم، وأمَّارَاتِيْنَ: مفعول به أول، وجملة تذودان: صفة لامرأتين. ﴿قَالَ مَا خَطَبُكُمَا قَالَا لَا شَقِّيَ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الْرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ما: اسم استفهام مبتدأ، وخطبكمَا: خبر، والجملة: مقول القول، قالَا: فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة، وحركت بالفتح لمناسبة ألف التشنية، والألف: فاعل، وجملة لا نسقي: مقول قولهما، وحتى: حرف غاية وجر، ويصدر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والرَّعَاءُ: فاعل، والواو: حالية، وأبُونَا: مبتدأ، وشيخ: خبر، وكبير: صفة، وسيأتي في باب البلاغة سر الجملة الحالية. ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِيلِ﴾ الفاء: عاطفة على مذود مقدر يفهم من سياق الكلام، وسقَى: فعل ماض، ولهمَا: متعلقان به، والمفعول به مذود؛ أي: غنمهما لأجلهما، ثم: حرف عطف، وتولَّ: فعل ماض، وإلى الظلِيل: متعلقان بتولَّ؛ أي: إلى ظل شجرة كانت هناك. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنَّزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ رب: منادى، وإن، واسمها، ولما: اللام حرف جر، وما: نكرة بمعنى شيء، أو اسم موصول، أي: لأي شيء، أو: للذى أنزلَتْ، والجار وال مجرور: متعلقان بفقر، وأنزلَتْ: فعل وفاعل، والجملة: إما صفة لما إن كانت نكرة، أو صلة، وإليَّ: متعلقان بأنزلَتْ، ومن خير: حال، وفقر: خبر إنَّ، وعدِي فقير بحرف الجر لأنَّه ضمن معنى سائل، أو طالب، وإنَّ فهو يتعدى بإليَّ.

﴿جَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِّي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ﴾ الفاء: عاطفة على مذوف يفهم من سياق الكلام، أي: فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا تستنزفانه في السقي، فسألهما عن سبب ذلك، فأخبرتاه بقصة من سقى لهما، فقال لإحداهما ادعيه لي، فجاءته، وإحداهما: فاعل، وجملة تمشي: حال من الفاعل، وعلى استحياء: حال من الفاعل المضمر في تمشي، أي: مستحبية خفرة، وقيل: واضعة كم درعها على وجهها حياءً منه. ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَيْ يَدْعُوكَ لِيَجِزِّيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ إن، واسمها، وجملة يدعوك: خبر وليجزيك: اللام للتعليل، ويجزيك: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والجرور: متعلقان بيدعوك، والكاف مفعول به أول، وأجر: مفعول به ثان، وما: مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأجر، أي: أجر سقاياتك، ولنا: متعلقان بسقيت. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقُبَصَصَ قَالَ لَا تَخْفِ نَجْوَتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الفاء: عاطفة على مذوف، والتقدير: فأجابها لا ليأخذ الأجر، ولكن لأجل التبرك بأبيها، لما سمع منها: أنه شيخ كبير، فمشت أمامه، فجعلت الريح تضرب ثوبها، فتكشف ساقيها، أو ألتقت الريح ثوبها بجسدها، فوصفته، فقال لها: امشي خلفي، ودلني على الطريق، ففعلت، إلى أن دخل عليه، فلما جاءه وقص عليه؛ قص: فعل ماض، وعليه: متعلقان بقص، والقصص: مفعول به، وجملة قال: لا محل لها، ولا: نهاية، وتحف: فعل مضارع مجزوم بلا، ونجوت: فعل، وفاعل، ومن القوم: متعلقان بنجوت، والظالمين: صفة، وإنما هدا روعه، وطمأنه، لأنَّ مدين لم تكن في سلطان فرعون.

□ البلاغة:

١- الإيجاز:

كثر الإيجاز في هذه الآيات، فقد حذف المفعول به في أربعة أماكن. أحدها: مفعول يسوقون، أي: مواشיהם، والثاني: مفعول تذودان، أي: مواشيهما، والثالث: لا نسيي، أي: مواشينا، والرابع: فسقى لهما؛ أي:

ما وسايهمَا، وعلة الحذف: أن الغرض هو أن يعلم: أنه كان من الناس سقي، ومن البنتين ذود، وأنهما قالا: لانسقي، أي: لا يكون منها سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى سقي، فاما كون المسمى غنماً، أو إبلًا، أو غير ذلك، فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض.

٢- الكناية:

في قوله ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فقد أرادتا أن يقولا له: إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مزاجة الرجال، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعن في السن، قد أضعفه الكبر، وأعياء، فلا مندوحة لنا عن ترك السقيا، وإرجائها إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء. وبذلك طابق جوابهما سؤاله؛ لأن سألهما عن علة الذود، فقالتا ما قالتاه، وإنما ساع لبني الله شعيب أن يرضى لابنتهان سقيا الماشية على ما فيها من تبذل واطراح حشمة؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات، مع أن الأمر في حد ذاته ليس بمحظور، فالدين لا يأبه، والعادات متباعدة، ومذهب أهل البدو غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

٣- الإشارة:

وذلك في قوله ﴿عَلَى أَسْتِحْيَاء﴾ فقد أشار بلمح خاطف يشبه لمح الطرف، وبلغة هي لغة النظر إلى وصف جمالها الرائع الفتان باستحياء؛ لأن الحفر من صفات الحسان، ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن، قال الأعشى:

كَأَنَّ مُشَيْهَا مِنْ بَيْتِ جَارِهَا

مِنَ السَّحَابَةِ لَا رِيْثُ وَلَا عَجْلٌ

وَأَبْدَعَ أَبْنَ الرُّومِيِّ مَا شَاءَ لِهِ الْإِبْدَاعُ إِذْ قَالَ :

جَرْتُ تَدَافُعُ مِنْ وَشِيٍّ لَهَا حَسْنٌ

تَدَافَعَ الْمَاءَ فِي وَشِيٍّ مِنَ الْحُبَّبِ

وَإِنْ رَمَقْ سَمَاءُ امْرَىءُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ :

سَمْوَتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
 سُمْوَحَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ
 وَعُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي رَأْيِهِ الْبَدِيعَةِ :
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفَلْتُ
 مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعَشَيِّ وَأَنْوَرَ
 وَغَابَ قُمِيرٌ كَنْتُ أَرْجُو غِيَابَهُ
 وَرَوَحَ رُعَيَانٌ وَهَوَمَ سَمَرٌ
 وَخُفَضَ عَنِّي الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مِشِيشَةً إِلَى
 حَبَابٍ وَرُكْنِي خِيقَةً الْقَوْمِ أَزُورُ

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأَبَّتْ أَسْتَعِجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَعِجَرَتِ الْقَوْيُ
 الْأَمَمِينُ ﴾ ٢٦ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَذَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنَ
 حِجَاجٌ فَإِنْ أَتَمَّتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَكَرَدُونَ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٢٧ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِ وَبَيْنَكَ أَيَّمَا أَلْجَلَنِي قَضَيْتُ
 فَلَا عُذُونَكَ عَلَى اللَّهِ عَلَى مَا تَقُولُ وَكَيْلٌ ﴾ ٢٨

○ الْإِعْرَابُ :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأَبَّتْ أَسْتَعِجِرُهُ ﴾ قالـتـ إـحـدـاهـمـاـ يـتـأـبـتـ أـسـتـعـجـرـهـ وـهيـ
 الـكـبـرـيـ ؛ الـتـيـ تـزـوـجـهـاـ مـوـسـىـ فـيـمـاـ بـعـدـ ، وـيـاـ أـبـتـ : تـقـدـمـ إـعـرـابـهـ كـثـيرـاـ ،
 وـاسـتـأـجـرـهـ : فـعـلـ أـمـرـ ، وـفـاعـلـ ، وـمـفـعـولـ بـهـ ﴿ إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَعِجَرَتِ الْقَوْيُ
 الْأَمَمِينُ ﴾ الجملـةـ لـاـ محـلـ لـهـ ؛ لـأـنـاـ تعـلـيلـ لـلـأـمـرـ قـبـلـهـ ، وـسـيـأـتـيـ معـنـىـ هـذـاـ
 الـكـلـامـ الـجـامـعـ الـمـانـعـ فـيـ بـابـ الـبـلـاغـةـ ، وـإـنـ ، وـاسـمـهاـ ، وـمـضـافـ إـلـيـهـ ، وـجـلـةـ
 اـسـتـأـجـرـتـ : لـاـ محـلـ لـهـ ؛ لـأـنـاـ صـلـةـ الـمـوـصـلـ ، وـالـقـوـيـ : خـبـرـ أـوـلـ ، وـالـأـمـينـ :
 خـبـرـ ثـانـ . ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَذَيْنِ ﴾ إـنـ ، وـاسـمـهاـ ، وـجـلـةـ

أريد: خبرها، والجملة: مقول القول، وأن أنكحك: في تأويل مصدر مفعول أريد، وفاعل أنكحك: ضمير مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به أول، وإحدى ابتي: مفعول به ثان، وأبنتي: مضاف لإحدى، وهاتين: صفة لابتي، والإشارة: لتمييزها من بين بقية أخواتهما، فقد كان له كما يروى سبع بنات. «عَلَّقَ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنَنِي حَجَجَ» على: حرف جر، دخل على أنْ وما يليها، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف في موضع الحال؛ إما من الفاعل، أو من المفعول، أي: مشرطًا على، أو عليك ذلك، وتأجرني: فعل مضارع، من: أجرته: إذا كنت له أجيراً، كقولك: أبوته، أي: كنت له أباً، ومفعول تأجرني الثاني: محذوف، أي: نفسك، وثمني حجاج: ظرف لتأجرني، وحجاج: أعواام، وتتكلف الزمخشري وجهاً ما أدرى كيف استقام له، وهو أن يكون ثمني مفعولاً ثانياً لتأجرني، وقد احتاج إلى تقدير مضاف، أي: رعي ثمني حجاج، ولا داعي لهذا التكلف، هذا فضلاً عن أن المعنى لا يستقيم معه؛ لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة، لا الزمان، فكيف يوجه الإجارة على الزمان؟

﴿فَإِنْ أَتَمْمَتَ عَشَرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، وأتممت: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وعشراً: مفعول به، والفاء: رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، ومن عندك: جار و مجرور، متعلقان بمحذوف خبر لمبدأ محذوف، أي: فالتمام من عندك، وليس في الأمر إلزام وتحتيم. «وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشَقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» الواو: عاطفة، وما: نافية، وأريد: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: أنا، وأن وما في حيزها: مفعول أريد، وعليك: متعلقان بأشق، ستجدني: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وجملة إن شاء الله: اعتراضية لا محل لها، وجواب إن: محذوف، ومن الصالحين: متعلقان بتتجدني، ومعنى أشق عليك: أجعل الأمر صعباً، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما حقيقة شفقت عليه، وشق عليه

الأمر؟ قلت: حقيقته: أن الأمر إذا تعااظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين
تقول تارة: أطيقه، وتارة: لا أطيقه» وسيأتي مزيد من ذلك في باب البلاغة.
 ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمَانُ الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَنَ عَلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ مَا تَقُولُ
 وَكَيْلٌ﴾ ذلك: مبتدأ، وبينك: خبره؛ أي: ذلك الذي عاهدتني،
وشارطبني عليه قائم، وثبتت بيننا، لا نحيد عنه كلانا، وأيمان الأجلين: أي:
اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لقضيت، وما: زائدة للإيهام،
وسيأتي بحث مستفيض عن أي في باب الفوائد، وقيل: إن «ما» نكرة بمعنى
شيء، والأجلين: بدل منها، قضيت: فعل، وفاعل، والفاء: رابطة
للجواب، ولا: نافية للجنس، وعدوان: اسمها المبني على الفتح، وعلى:
خبر لا، والله: مبتدأ، وعلى ما تقول: متعلقان بوكيل، ووكيل: خبر الله.

□ البلاغة:

١- الكلام الجامع المانع:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوْيُ الْأَمِينُ﴾ في هذه الآية فنون
عديدة، ولذلك أطلق عليها علماء البلاغة: أنها من الكلام الجامع المانع
الحكيم؛ الذي لا يزداد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم
بأمرك، والمعهد لشؤونك، وهما: الكفاية والأمانة؛ فقد فرغ بالك، وتم
أمرك، وسهل مرادك، وأنه ذهب مذهب المثل المضروب، ليذهب في متر
العصور وقادمات الدهور، وفيه التعميم؛ الذي هو أجمل وأليق في مدح
النساء للرجال من المدح الخاص، وأبقى للت محشر والتوصيون، وخصوصاً بعد
أن فهمت غرض أيها، وهو تزويجها منه، وقد كان عمر بن الخطاب يعجب
بهذا التعبير، ويرمق سماءه في دعائه فيقول: «أشكو إلى الله ضعف الأمين
 وخيانة القوي».

وهذا الإيهام من ابنة شعيب قد سلكته زليخا مع يوسف، ولكن شتان
ما بين الحياة المحبولة، والحياة المستعمل، وليس التكحل في العينين
كالكحل، حيث قالت: ﴿أَرَادَ يَاهْلَكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ الْيَمِّ﴾ وهي

تعني: ما جزاء يوسف مما أرادني من السوء إلا أن تسجنه، أو تعذبه عذاباً أليماً، ولكنها أوهمت زوجها الحياة والخفر، وأن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الحنا، إذاناً منها بأن هذا الحباء منها هو الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر من مراده يوسف بطريق الأخرى والأولى، ففي هذه الآية كما رأيت: الإيجاز، والمثل، والتعجم، والإيهام، وفيها أيضاً: التقديم، فقد قدم ما هو أولى بالتقديم وجعل اسمـاً لـ«إن» وهو: خبر، وورد بلفظ الفعل الماضي للدلالة على أن الأمر ليس بدعاً، وأنه معروف مبتوت فيه، قد جرب وتعورف. ومن التقديم البديع: قول أبي الشغب العبيسي، يتحزن على خالد بن عبد الله القسري؛ حين أسره يوسف بن عمرو:

ألا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حِيَا وَهَاكَا
أَسِيرُ ثَقِيفٍ عَنْهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا
وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَأَةَ الْمُتَشَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ نَهَاضًا بِكُلِّ مُلِمَّةٍ
وَمُعْطَى اللَّهِي غَمْرًا كَثِيرَ التَّوَافِلِ

وخير الناس: اسم تفضيل مضاد إلى المعرف بأـلـ، وهو: اسم إن، وحيـاـ، وهـاكـاـ: حالـانـ منهـ، وأـسـيرـ ثـقـيفـ: خـبـرـ إنـ، وـثـقـيفـ: عـلـمـ القـبـيلـةـ، وـالـعـلـمـ أـعـرـفـ منـ المـحـلـ بـأـلـ، فـخـبـرـ إـلـيـهـ أـعـرـفـ منـ اـسـمـهـ المـضـافـ المـحـلـ بـأـلـ، وقد قـدـمـ الـاسـمـ لـلـاهـتـمـاـمـ بـهـ، وـعـنـهـمـ فـيـ السـلـاسـلـ: حـالـ، أوـ: خـبـرـ بـعـدـ خـبـرـ، وـلـعـمـرـيـ: قـسـمـ، إـنـ عـمـرـتـمـ: أـيـ أـدـخـلـتـمـ، وـأـسـكـنـتـمـ خـالـدـاـ السـجـنـ، وـأـوـطـأـتـمـوـهـ: أـيـ: صـيـرـتـمـوـهـ يـطـأـ الأـرـضـ بـرـجـلـهـ، كـوـطـأـةـ الـمـتـشـاقـلـ، أـيـ: الـحـاـمـلـ لـشـيـءـ ثـقـيلـ؛ لـجـعـلـ الـقـيـدـ فـيـ رـجـلـيـهـ، فـهـوـ كـنـايـةـ عنـ ذـلـكـ، لـقـدـ كـانـ نـهـاـضـاـ: جـوـابـ الـقـسـمـ، وـجـوـابـ الشـرـطـ: مـحـذـوفـ، أـيـ: كـانـ سـرـيعـ الـقـيـامـ بـكـلـ نـازـلـةـ ثـقـيلـةـ، وـكـانـ مـعـطـيـ اللـهـيـ: بـالـفـتـحـ، جـعـ: لـهـاـ، كـحـصـيـ، وـحـصـةـ، أـيـ: الـلـحـمـةـ فـيـ أـقـصـىـ الـفـمـ، وـلـكـنـهـاـ هـنـاـ بـمـعـنـىـ: الـفـمـ نـفـسـهـ، وـيـجـبـوـزـ

أن يكون اللهم بضم اللام، جمع: لهوة، كغرة، وغرفة، بمعنى: العطية من أي نوع كانت.

٢ - الإيجاز:

وفي قوله ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُشَقَّ عَيْنَكُمْ﴾ إيجاز بلية، فقد ذكرنا معنى: شق عليه الأمر، وأنه متربح بين اليأس والرجاء، وفيه إيماء إلى أولئك المعاشرين الذين يكلفون عمالهم أعمالاً تربو على طوقيهم، وتجاوز حدود قدرتهم المعهودة، وعلى هذا درجة الشرائع في حسن المعاملة، والأخذ بالأسهل والأيسر، ومنه الحديث: «كان رسول الله ﷺ شريكي، فكان لا يداري، ولا يشاري، ولا يماري».

*الفوائد:

أيُّ المشددة:

تأتي «أيُّ» المشددة على خمسة أوجه:

١ - أن تكون شرطاً نحو ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ وقد تزاد «ما» بعدها للتوكيد.

٢ - أن تكون إستفهامية: ﴿أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾.

٣ - موصولة: ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَا مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنَهُ﴾.

٤ - أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة، نحو: زيد رجلُ أيُّ رجل، أي: كامل في صفات الرجال، حالاً من المعرفة: كمررت بعد الله أيَّ رجل، قال أبو العتاهية وقد وردت صفة:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَاهُ مُفْسِدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مُفْسِدَةٌ

٥ - أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه ألل، نحو: يا أيُّها الرجل.

هذا وقد أورد صاحب «المغني» بيتاً لأبي الطيب فيه «أي» وهو:
أَيُّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ لَمْ تَرْعَنِي ثَلَاثَةً بِصُدُودٍ

وقال: «ليست فيه أيّ موصولة؛ لأن الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة، قال أبو علي في «التذكرة» في قوله:

أرأيت أيّ سوالٍ وخدودٍ بَرَزْتُ لَنَا بَيْنَ الْلَّوْيِ فَزَرَوْدِ

«لا تكون أيّ فيه موصولة لإضافتها إلى نكرة» وتتابع صاحب «المغني» كلامه فقال: ولا شرطية؛ لأن المعنى حينئذ إن سررتني يوماً بوصالك آمنتني ثلاثة أيام من صدودك، وهذا عكس المعنى المراد، وإنما هي للاستفهام الذي يراد به النفي، كقولك لمن أدعى أنه أكرمك: أي يوم أكرمتني؟ والمعنى: ما سررتني يوماً بوصالك إلا روعتنى ثلاثة بصدودك، والجملة الأولى مستأنفة، قُدُّم ظرفها؛ لأن له الصدر، والثانية إما في موضع جر صفة لوصال على حذف العائد، أي: لم ترعني بعده، كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَانْقُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي نَفْسٌ﴾ الآية، أو نصب حالاً من فاعل سررتني، أو مفعوله، والمعنى: أي يوم سررتني غير رائع لي، أو: غير مروع منك، وهي حال مقدرة، مثلها في: ﴿طَبِّتُمْ فَادْخُلُوهَا حَلَلِينَ﴾ أو: لا محل لها؛ على أن تكون معطوفة على الأولى بفاء ممحوقة، كما قيل في: ﴿وَإِذْ قَاتَلَ مُوسَى لِرَوْمَهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّنَا نَخْذُنَا هُرُوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ وكذا في بقية الآية، وفيه بعد، والمحققون في الآية على أن الجمل مستأنفة بتقدير: فما قالوا له؟ فما قال لهم؟ ومن روى ثلاثة بالرفع؛ لم يجز عنده كون الحال من فاعل سررتني؛ خلو ترعني من ضمير ذي الحال.

وقال أبو البقاء العكبي في شرحه لديوان المتنبي: «أي نصب وهو استفهام خرج من خرج النفي، كما تقول لمن يدعى أنه أكرمك: أي يوم أكرمتني فقط، كما قال الهذلي:

اذهب فـأـيـ فـتـيـ فـيـ النـاسـ أـحرـزـهـ

مـنـ حـتـفـهـ ظـلـمـ دـعـجـ وـلـ جـلـ

ولا يجوز أن تكون «أي» شرطية تتعلق الجملة بالجملة تعلق الجزاء بالشرط، وإذا حملته على الشرط كان مناقضاً للمعنى الذي أراده، فكأنه

يقول: إن سررتني يوماً بوصالك أمنتني ثلاثة من صدودك، وهذا عكس مراده.

وهذا البيت من جملة أبيات غزلية استهل بها أبو الطيب قصيدة قالها في صباه، ونورد هنا الأبيات الغزلية لفاستها، ونعرب بعض ما فيه فائدة منها:

بِيَاضِ الظَّلِّ وَوَرْدِ الْخُدوْدِ
فَتَكَثُرَتْ بِالْمَتَيْمِ الْمَعْسُودِ
بِرِ ذِيولِي بَدَارِ أَثْلَةِ عُودِي
طَلَعْتُ فِي بَرَاقِعِ وَعْقُودِ
بِ تَشْقُّ القُلُوبَ قَبْلِ الْجَلْوْدِ
هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ
رِ بَقْلِبِ أَقْسَى مِنَ الْجُلْمُودِ
بِرِ فِيهِ بَمَاءِ وَرِدِ وَعُودِ
جِيَّ أَثْيَثِ جَعْدِ بِلَا تَجْعِيدِ
حَ وَتَفْتَرُ عَنْ شَتِّيَتِ بَرَوْدِ
مِ وَبَيْنِ الْجَفْوَنِ وَالْتَّسْهِيدِ
لَدْ بِتَصْفِيفِ طَرَّةِ وَبِجَهِ
شَرِبُهُ مَا خَلَادَمَ الْعَنْقَوْدِ
مِنْ غَزَالِ وَطَارِفِ وَتَلِيدِي
وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكِ شَهُودِي

كَمْ قُتِيلَ كَمَا قُتِلتْ شَهِيدٌ
وَعَيْوَنِ الْمَهَا وَلَا كَعِيْوَنِ
دَرَّ دَرُ الصَّبَا أَلْيَامَ تَجْرِي
عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بِدُورَاً
رَامِيَاتِ بِأَسْهَمِ رِيشَهَا الْهُدِ
يَرْشَفُونَ فِي فَمِي رَشْفَاتِ
كُلُّ حَمْصَانَةِ أَرْقَى مِنَ الْحَمَّ
ذَاتِ فَرْعَ كَائِنَةِ ضُرُبِ الْعَنْ
حَالُكَ الْغَدَافِ مُثْلِ دَجْوِ
تَحْمُلُ الْمَسْكُ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّبِّ
جَعْثُ بَيْنِ جَسْمِ أَحْمَدِ وَالسَّقِّ
أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنْبُرِ بَطْلُ صَبِّ
كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ
فَاسْقَنِيَّهَا فَدَى لَعِينِيَّكَ نَقْسِيَّ
شَيْبُ رَأْسِيَ وَذَلَّتِي وَنُحْوَلِيَّ
أَيْ يَوْمَ سَرَرْتَنِي . . . (البيت).

إعراب بعض الكلمات:

(كم) خبرية، وتمييزها مجرور بالإضافة إليها، أو بمن، وقد تقدم القول فيها مطولاً، وهي هنا في محل رفع مبتدأ خبره ببياض، وكما قتلت: نعت مصدر مخدوف، هذا ولهم في العشق حديث طويل، وخبره عند أرباب التصور معقول. قال الجنيد: «العشق ألفة رحمانية، وإلهام شوقي»،

أوجبهما كرم الله على كل ذي روح، لتحصل به اللذة العظمى؛ التي لا يقدر على مثلها إلا بتلك الألفة، وهي موجودة في الأنفس، مقدرة مراتبها عند أربابها، فما أحد إلا عاشق لأمر، يستدل به على قدر طبقته من الخلق، ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها، مع كونها معاينة، ومالوا إلى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم» وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وقد تقدم القول فيه مطولاً، وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع، وقال الفضيل بن عياض كلاماً جيلاً منه: «لورزقي الله تعالى دعوة مجابة؛ لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق؛ لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية، وما أحسن قول أبي فراس الحمداني:

وكم في النّاس من حسن ولكنْ

عليك لشقوتي وقع اختياري

وقال رجل من العرب لبعضبني عذرة: ما لأحدكم يومت عشقاً في هوئ امرأة ألفها؟ وليس ذلك إلا ضعف نفس أو خور تجدونه يا بني عذرة! فقال: أما والله لو رأيتم الحواجب الرّجّ، فوق النوازل الدّفع، تحتها المباسم الفلح، لا تخدتوها اللات والعزى» هذا وقد استند أبو الطيب في قوله «شهيد» إلى حديث يروونه وهو: «إن من عشق وعف وكتم فمات شهيداً»^(١).

(عمرك الله): مصدر يقال: أطال الله عمرك، وعمرك، بالضم والفتح، وهم وإن كانوا مصدرين بمعنى إلا أنه استعمل أحدهما في القسم، وهو المفتح العين، فإذا دخلت عليه لام الابتداء؛ رفعته بالابتداء، والخبر ممحوف، والتقدير: لعمر الله قسمي، فإن لم تأت باللام نصبتها نصب المصادر، وقلت: عمر الله ما فعلت كذا، وعمرك الله ما فعلت كذا، فكأنك قلت: بتعميرك الله، أي: بإقرارك له بالبقاء، ومنه قول عمر بن ربيعة:

أيها المنكحُ الشّريـا سهـيلاً عـمرـك اللـهـ كـيـفـ يـلـقـيـانـ

(١) الحديث موضوع لا أصل له.

يريد سألت الله أن يطيل عمرك ، وهو في قول أبي الطيب مصدر ومعناه :
سألت الله أن يعمرك تعمراً .

(أحلى من التوحيد) قال الواهidi : «كَنْ يَمْصَنْ رِيقِي لَبْهَنْ إِيَايِي ، فَكَانَ الرُّشْفَاتِ فِي فَمِي أَحْلَى مِنْ كَلْمَةِ التَّوْحِيدِ ، وَهِيَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَهَذَا إِفْرَاطٌ وَتَجَازُّ حَدٍ» .

قال ابن القطاع : «ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة : أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع الموضع ، وذلك غلط . وال الصحيح : أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه :

أحدها : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ولم يظهر لأحدهما حكم ؛ يزيد على الأول به زيادة ؛ يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في الفضل ، لا مجازاً ، وذلك قوله : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا .

والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، أو قريباً منه ، ومحتملاً للحاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه ، لا التفضيل ، نحو قوله : الأمير أكرم من حاتم ، وأشجع من عمرو ، وبيت المتنبي من هذا القبيل ، أي : يترشفن من فمي رشفات هنَّ قريب من التوحيد .

والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني ، أو قريباً منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحضر ، نحو قوله الشمس أضوا من القمر ، والأسد أجرأ من النمر .

والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني ، وقد سبق للثاني حكم أوجد له الزيادة ، واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحضر ، والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قوله : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف .

والخامس: أن يكون الأول من غير جنس الثاني، والأول دون الثاني في الصفة جداً، فيكون هذا على المبالغة المحضة نحو قامته أتم من الرمح، ووجهه أضواً من الشمس. وجاء في الحديث: «ما ألقت الغراء؛ ولا أظلت الخضراء؛ أصدق لهجة من أبي ذر». ذهب من لا يعرف معاني الكلام: أن أبو ذر أصدق العالم أجمع، وليس الأمر كذلك، وإنما نفي عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال: أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت.

(كل خمسانة): يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشfen، وعلى هذا يرفع أرق حملاً على كل، ويجوز نصب كل حملاً على النعت لقوله بدوراً، أو على البدالية منها، والخمسانة: الضامرة، والذكر: خمسان.

(أهل ما بي الضنى بطل) أهل: مبتدأ، خبره: بطل، أو: خبر لمبتدأ مذوف، والمعنى: أنا أهل ما بي، وحقيقة به، وأنا بطل صيد.

(ما خلا دم العنقود): إذا قلت: جاء القوم ما خلا زيداً؛ فليس إلا النصب لأن خلا يتحتم كونها فعلاً؛ لدخول ما المصدرية عليها، وإذا قلت: جاء القوم خلا زيد؛ كان الجر لا غير.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِنَّهُ مِنْ جَانِبِ الظُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُنُوا لِي إِذِنًا فَأَنْسَثُ نَارًا لَعَلَىٰ مَا تَيَكُّمُ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ جَذْوَرَ مِنْ أَنَارٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ٢٩ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَطِّيِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسَّعَ إِفْتَأْنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠ وَإِنَّهُ عَصَمَكَ فَلَمَّا رَأَهَا نَهَرَ كَانَهَا جَانٌ وَلَنْ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَعَ أَفْيَلَ وَلَا تَخَفَّ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ٣١ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَضَاءَ مِنْ عَيْرِ سَوْعٍ

وَأَضْصَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ فَذَلِكَ بِرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَنَسِيْتَ ﴿٣٢﴾

○ الاعراب:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِلَيْهِ أَشَكَ مِنْ جَانِبِ الظُّرُورِ نَارًا﴾ الفاء: عاطفة على مخدوف، يفهم من السياق، والتقدير: فتم العقد بينهما على الإجارة، والنكاح، ومارس المهمة التي أنيطت به على أحسن وجه، وأكمله، فلما... ولما: حينية، أو: رابطة، وجملة قضى موسى الأجل: لا محل لها، وسار: عطف على قضى، وبأهله: جار و مجرور، متعلقان بسار، وجملة آنس: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومن جانب الطور: متعلقان بآنس، وناراً: مفعول به، ولك أن تجعل من جانب الطور: حالاً؛ لأنه كان صفة لناراً، وتقدم عليها. ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي أَنَّسْتُ نَارًا﴾ لأهله: متعلقان بقال، وجملة امكثوا: مقول القول، وجملة إني: تعليل للأمر بالمكث، وإن، واسمها، وجملة آنس: خبرها، وناراً: مفعول به. ﴿لَعَلَّيٌ أَتَيْكُمْ مِنْهَا بِحَبَرٍ أَوْ جَذْوَرٍ مِنْكَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ جملة الرجاء: حال، أي: راجياً، ولعل، واسمها، وجملة آتكم: خبرها، والكاف مفعول به، ومنها: حال، لأنـه كان صفة خبر، وبخبر: متعلقان بآتكم، وأو: حرف عطف، وجذوة: عطف على خبر، وهي مثلثة الجيم: الشعلة من النار، والقطعة من الحطب، وجمعها: جداً، قال ابن مقبل:

باتْ حواطِبُ ليلٍ يلتَمسَنَ لَهَا

جزَلَ الْجَذَا غَيْرَ خَوَارِ ولا ذَعْرِ

ومن النار: نعت بجذوة، وجملة الرجاء: حال أيضاً، ولعل، واسمها، وجملة تصطلون: خبرها. ﴿فَلَمَّا أَتَدْهَا نُودِيَ مِنْ شَطِّي الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ الفاء: عاطفة على مخدوف؛ يقتضيه السياق؛ أي: فسار نحوها، فلما أتتها، وجملة نودي: لا محل لها؛ لأنـها جواب شرط غير

جازم، ومن شاطئ الوادي: متعلقان بنودي، والأيمان: صفة لشاطئ، وفي البقعة: حال من الشاطئ، والباركة: صفة للبقعة، ومن الشجرة: بدل من قوله: من شاطئ الوادي؛ بدل الاستعمال؛ لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، وقد تقدم نظيره في قوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيَمُوْتُهُمْ﴾ أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. ﴿أَن يَمُوْسِعَ إِلَيْهِ أَنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَن: مفسرة؛ لأن النداء قول، والتقدير؛ أي: يا موسى، وأجاز أبو البقاء وغيره أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها: مخدوف، يفسره جملة النداء؛ أي: نودي بأنه، أي: الشأن، وإن: إن واسمها، وهي مكسورة الهمزة باتفاق القراء؛ لأن النداء قول، وأنا: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والله: خبر إن، أو: خبر أنا، والجملة: خبر إن، ورب العالمين: نعت الله، أو: بدل منه. ﴿وَأَنَّ الَّتِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ الواو: عاطفة، وأن: مفسرة معطوفة على سابقتها، وألق: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعصاك: مفعول به، فلما: الفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق؛ أي: فألقها، فصارت ثعباناً، ورآها: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة تهتز: حالية، وجملة كأنها جان: حال من فاعل تهتز، وكأن، واسمها، وجان: خبرها، وجملة ولـ: لا محل لها، لأنها جواب شرط غير جازم، وفاعل ولـ: مستتر، تقديره: هو، ومدبراً: حال، والواو: عاطفة، وجملة لم يعقب: عطف على ولـ؛ أي: ولم يرجع. ﴿يَمُوْسِعَ أَقِيلُ وَلَا تَخْفَ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ أقبل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ولا تخـفـ: لا: نهاية، وتخـفـ: فعل مضارع مجزوم بلا، وإنـ، واسمها، ومن الأمـينـ: خـبرـهاـ، وـالـجـملـةـ: تعـلـيلـ لـلـأـمـرـ بـالـإـقـبـالـ، وـالـنـهـيـ عـنـ الـخـوفـ.

﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بِيَضَاءَ مِنْ عَيْرِ سُوءٍ﴾ اسلـكـ يـدـكـ: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفي جـيـبـكـ: متعلقان باسلـكـ، منـ: سـلـكـ الشـيءـ في الشـيءـ: أـنـفـذـهـ فـيـهـ، وـتـخـرـجـ: فعل مضارع مجزوم؛ لأنـهـ جـوابـ الـطـلبـ، وـالـفـاعـلـ: مستـرـ، تـقدـيرـهـ: هيـ، وـبـيـضـاءـ: حالـ، وـمـنـ غـيرـ سـوءـ: مـتـعـلـقـ بـيـضـاءـ، وـقـدـ تـقـدـمـ تعـلـيلـ ذـلـكـ فـيـ سـوـرـةـ طـهـ، فـجـدـدـ بـهـ عـهـداـ. ﴿وَأَصْنُمُ إِلَيْكَ

جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهَبِ ﴿١﴾ قَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ : «فَإِنْ قُلْتَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَاضْصُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهَبِ﴾ قُلْتَ : فِيهِ مَعْنَى يَوْمٍ أَحَدُهُمْ أَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَا قَلَبَ الْعَصَا حِيَةً فَزَعَ ، وَاضْطَرَبَ ، فَاتَّقَاهَا بِيَدِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْخَائِفُ مِنِ الشَّيْءِ ، فَقَيْلَ لَهُ : إِنْ اتَّقَاءَكَ بِيَدِكَ فِيهِ غَضَاضَةٌ عِنْدَ الْأَعْدَاءِ ، فَإِذَا أَقْتَيْتَهَا فَإِنَّهَا تَنْقُلُ حَيَاةً ، فَادْخُلْ يَدِكَ تَحْتَ عَضْدِكَ مَكَانَ اتَّقَاءَكَ بِهَا ، ثُمَّ أَخْرُجْهَا بِيَضَاءٍ ، لِيَحْصُلَ الْأَمْرَانُ : اجْتِنَابُ مَا هُوَ غَضَاضَةٌ عَلَيْكَ ، وَإِظْهَارُ مَعْجَزَةٍ أُخْرَى . وَالْمَرَادُ بِالْجَنَاحِ : الْيَدُ؛ لِأَنَّ يَدِيَ الْإِنْسَانَ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِي الطَّائِرِ ، وَإِذَا أَدْخَلْ يَدَهُ الْيَمِنِيَّ تَحْتَ عَضْدِ يَدِهِ الْيَسِيرِ ؛ فَقَدْ ضَمَ جَنَاحَهُ إِلَيْهِ ، وَالثَّانِيُّ : أَنْ يَرَادُ بِضَمِّ جَنَاحِهِ إِلَيْهِ : تَجْلِدَهُ ، وَضَبْطَهُ نَفْسَهُ ، وَتَشَدِّدُهُ عِنْدَ انْقلَابِ الْعَصَا حِيَةً ؛ حَتَّى لا يَضْطَرَبَ ، وَلَا يَرْهَبَ ، اسْتِعَارَهُ مِنْ فَعْلِ الطَّائِرِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا خُوْفٌ ؛ نُشَرُ جَنَاحِيَّهُ ، وَأَرْخَاهُمَا ، وَإِلَّا فَجَنَاحَاهُ مَضْمُومَانِ إِلَيْهِ مَشْمُرَانِ . وَمِنْهُ مَا يَحْكُى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَنَّ كَاتِبًا لَهُ كَانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَانْفَلَتْ مِنْهُ فَلَتَةٌ رِيحٌ ، فَخَجَلَ ، وَانْكَسَ ، فَقَامَ ، وَضَرَبَ بِقَلْمَهُ الْأَرْضَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : «خُذْ قَلْمَكَ ، وَاضْصُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ، وَلِيَفْرَغَ رُوعُكَ ، فَإِنِّي مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ أَكْثَرَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ نَفْسِي» .

واضضمُّمُ : فَعْلُ أَمْرٍ ، وَفَاعِلُهُ : مُسْتَرٌ ، تَقْدِيرُهُ : أَنْتُ ، وَإِلَيْكَ : مُتَعْلِقٌ بِاضضمُّمِ ، وَجَنَاحَكَ : مُفْعُولٌ بِهِ ، وَمِنْ الرَّهَبِ : مُتَعْلِقٌ بِاضضمُّمِ بِمَثَابَةِ التَّعْلِيلِ لَهُ ، أَيْ : مِنْ أَجْلِ الرَّهَبِ ، وَقَيْلَ : بُولَى ، أَيْ : هَرَبَ مِنِ الْفَزَعِ ، وَقَيْلَ : بِمَدِيرًا ، وَقَيْلَ : بِمَحْذُوفٍ ؛ أَيْ : يَسْكُنُ مِنْ الرَّهَبِ ، وَالرَّهَبُ : بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالهَاءِ ، وَبِفَتْحِ الرَّاءِ وَاسْكَانِ الْهَاءِ . وَسِيَّاتِي مُزِيدٌ تَفْصِيلٌ فِي بَابِ الْبِلَاغَةِ .

﴿فَذَانِكَ بِرَهَنَانٍ مِنْ زَيْلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِيْنَ﴾ الفاءُ : الْفَصِيْحَةُ ؛ أَيْ : إِذَا تَأْمَلْتَ بِذَلِكَ ، وَاسْتَيْقَنْتَ مِنْهُ فَذَانِكَ ، وَذَانِكَ : اسْمٌ إِشَارَةٌ ، وَهِيَ تَشْنِيَّةٌ ذَالِكَ ، وَمِنْ قَرَأَ : ذَانِكَ بِالتَّشْدِيدِ ؛ جَعَلَهَا تَشْنِيَّةً ذَالِكَ بِلَامَ الْبَعْدِ ، وَيَكُونُ التَّشْدِيدُ عَوْضًا عَنْهَا ، وَبِرْهَانَانٌ : خَبْرٌ ، وَمِنْ

رب: صفة لبرهانان، أي: مرسلان من ربك، وإلى فرعون: متعلقان بمرسلان، وملئه: عطف على فرعون، وجملة إِنْهُمْ: تعليل لإرسال البرهانين، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان، واسمها، وقُومًا: خبرها، وفاسقين: صفة لقومًا.

□ البلاغة:

تقدّم معظم ما في هذه الآيات من فتون البلاغة من استعارة واحتراس، ونضيف إلى ما تقدّم ما أورده الإمام الزمخشري بأسلوبه الساحر، وهذا نصه: «إِنْ قلتْ قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله: ﴿وَاضْصُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي طه ﴿وَاضْصُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد الجناح المضموم هو اليد اليمنى، والمضموم إليه هو اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسرأهما جناح».

وقال الزمخشري أيضاً: «إِنْ قلتْ: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلتْ: لبياضها، وإنارتها، من قولهم للمرأة البيضاء: ببرهرة، بتكرير العين واللام معاً» وهذا تعليل لطيف، لا يحسن استنباطه غير هذا الإمام، ومعنى ذلك: أن النون في البرهان زائدة، يقولون: أبره الرجل: إذا جاء بالبرهان، ونظيره: تسميتهم الحجة أيضاً: سلطاناً، من: السلطان، وهو الزيت؛ لأنارتتها، وفي معاجم اللغة: وأبره: أتى بالبرهان، أو: بالعجبائب، وغلب الناس، وهذا هو قول الزمخشري والمحققين، وزعم صاحب «القاموس» في أحد قوله: أن النون أصلية، قال: وبرهن عليه: أقام البرهان، والبرهان بالضم: الحجة، فتدبر.

* الفوائد:

عصاموسي أيضاً:

قدمنا في سورة طه بحثاً مستفيضاً عن العصا، ونضيف هنا ما يتعلق بعصا

موسى خاصة ، روى التاريخ أن شعيباً كانت عنده عصي الأنبياء ، فقال موسى بالليل : ادخل ذلك البيت فخذ عصاً من تلك العصي ، فأخذ عصاً كان شعيب مفتوناً بها ، وكان مكفوفاً ، فضن بها ، فقال : غيرها . فما وقع في يده إلا هي سبع مرات ، فعلم : أن له شأنًا ، وقيل : أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمته ، فو قعت في يدها سبع مرات ، كما تقدم . وفي كتب التفسير طرائف عن تلك العصا لا مجال لها في كتابنا .

﴿ قَالَ رَبِّي إِنِّي فَلَمْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي ٣٣ وَأَخِي هَذِرُونِي هُوَ أَفْسَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رِدَاءً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَانَا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا إِنَّا يَأْتِنَا أَنَّمَا وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْغَنَّابُونَ ٣٥ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِيَأْتِنَا بِيَسْتَهْنَتِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهِ كَذَّابًا فِي إِبَابَاتِنَا أَلَا وَلَيْنَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عِيقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ٣٧ ﴾

☆ اللغة:

﴿ رِدَاءً ﴾ : معيناً ، يقال : رداته ، والرّداء : اسم ما يعان به ، فعل بمعنى مفعول به ، كما أنَّ الدفء اسم لما يدفأ به . قال سلامة بن جندل : وردئي كلُّ أبيضٍ مشرفيٍّ شحيدٌ الحدُّ عَضِّبٌ ذي فلولٍ أي : وردئي الذي أتوقى به المكاره كلُّ سيفٍ أبيض ، وعبر بكل ، لأنَّ المراد بيان الجنس ، لا الشخص ، وشرفي : نسبة إلى مشارف اليمن ، وهي قرى منها ، وقيل من الشام ، وشحيد الحد : مرهفه ، من : شحد المدية ، أي : حددتها ، والعصب : القاطع ، والفلول : جمع فل ، وهو : كسر في حد السيف وانشال ، أي : به فلول من قراع الكتاب . وقال النحاس : يقال : رداته ، وأرداته .

(العُضُد): بفتح العين، وضم الضاد، وبالضم، وبالكسر: غليظ الذراع، وهو من المرفق إلى الكتف، جمعه: أَعْضَاد، وأَعْضُد، وهو قوام اليد، وبشدته تشتد. قال طرفة، وقيل لأوس بن حجر:

أَبْنَيَ لِيْنِي لِسْتُمُو بِيْدِ إِلَّا يَدًا لِيْسَتْ لَهَا عَضْدُ
وَلِلْعَيْنِ مَعَ الْضَّادِ فَاءُ وَعِيْنًا لِكَلْمَةِ خَاصَّةِ الْقُوَّةِ، وَالصَّلَابَةِ،
وَالْأَصْطَلَامِ، تَقُولُ: عَضْهُ، يَعْضُهُ، عَضًّا: أَمْسَكَهُ بِأَسْنَانِهِ، وَيَقَالُ: أَيْضًا
عَضْ بِهِ، وَعَضْ عَلَيْهِ، وَعَضْهُ الزَّمَانُ: اشْتَدَ عَلَيْهِ، وَأَعْضَ السَّيفِ بِسَاقِ
الْعِيرِ، قَالَ لِبِيدِ:

وَلَكَنَّا نَعْضُ السَّيْفِ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كَوْمِ
وَعَضْتَهُ الْحَرْبُ، قَالَ الْأَخْطَلُ:
ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غُوازِبَهُمْ
وَقَيْسُ عِيلَانَ مِنْ عَادَاتِهَا الصَّجَرُ

وَمَلْكُ عَضُوضُ: غَشُومُ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ: «سَتَرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا
وَأَمَةً شَعَاعًا» وَبَئْرُ عَضُوضُ: بَعِيدَةُ الْقَعْدَ، كَأَنَّهَا تَعْضُ المَاتِحَ بِمَا تَشَقُّ عَلَيْهِ،
وَعَضْبَتِهِ بِلْسَانِي: شَتَمَتْهُ، وَرَجُلُ عَضَّابٌ: شَتَامٌ، وَعَضْبَتِهِ عَنْ حَاجَةِ
قَطْعَتِهِ، وَمَالِكُ تَعْضِبَنِي عَمَّا أَنَا فِيهِ؟ وَالْعَضْ بِالسَّيْفِ: الْفَاطِعُ، وَالرَّجُلُ
الْحَدِيدُ الْكَلَامُ، وَعَضْبُرُ الْكَلْبِ: اسْتَأْسَدُ، وَالْعَضِبَارَةُ: حَجَرُ الرَّحِيِّ،
وَصَخْرَةُ يَقْصَرُ الْقَصَارُ الثَّوْبُ عَلَيْهَا، وَالْمَعْضَادُ: سَكِينٌ كَبِيرٌ لِلْقَصَابِ يَقْطَعُ بِهِ
الْعَظَامُ، وَأَعْضَلُ الْأَمْرِ: اشْتَدَ، وَبِهِ دَاءُ عُضَالٍ، وَقَدْ أَهْبَأَ الْأَطْبَاءَ
وَأَعْضَلَهُمْ، وَتَزَوَّجُ ذُو الْإِلَصِيعِ فَأَتَى حِيْهِ يَسْأَلُهُمْ مِنْهُمْ هَا، فَمَنْعَوهُ، فَقَالَ:
وَاحِدَةُ أَعْضَلَكُمْ أَمْرُهَا فَكِيفَ لَوْ دَرَتْ عَلَى أَرْبَعِ
وَفَلَانُ عَضْلَةُ مِنَ الْعُضَلَةِ: دَاهِيَةُ مِنَ الدَّوَاهِيِّ، وَعَضَلَتْ عَلَى فَلَانَ:
ضَيَقَتْ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَحَلَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ، وَمِنْهُ «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» وَرَمَاهُ
بِالْعَضِيَّهُ: أَيْ: الْإِلْفَكُ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَعْضُلَةُ عَلَى أَهْلِ
الْمِيرَاثِ» أَيْ: لَا يَدْخُلُ لِهِمُ الضرَرُ بِقَسْدَةٍ نَحْوِ السَّيْفِ، وَالْخَاتَمِ.

○ الإعراب:

﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقُولُونَ﴾ رب: منادي مضارف إلى
 ياء المتكلم المحدوفة، كما تقدم، وإن، واسمها، وجملة قلت: خبرها،
 ومنهم: حال؛ لأنَّه كان في الأصل صفة وتقدمت، ونفساً: مفعول به،
 فأخاف: الفاء: عاطفة، وأخاف: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر،
 تقديره: أنا، وأن، وما في حيزها: مفعول أخاف، ويقتلون: منصوب بأن،
 وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاء، وياء المتكلم
 المحدوفة: مفعول به، ﴿وَأَخِي هَدْرُونٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي إِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رِدَاءً
 يُصَدِّقُنِي إِذَ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ الواو: عاطفة، وأخي: مبتدأ، وهارون:
 بدل، أو عطف بيان، وهو: مبتدأ، وأفصح: خبر هو، والجملة: خبر أخي،
 ومني: متعلقان بأفصح، ولساناً: تميز، فأرسله: الفاء: الفصيحة،
 وأرسله: فعل أمر للدعاء، وفاعله: أنت، والهاء: مفعول به، ومعي: ظرف
 متعلق بأرسله، وردهاً: حال. وسيأتي معنى التصديق في باب البلاغة،
 ويصدقني: فعل مضارع مرفوع، ولو جزم لجاز، وقرئ به على أنه جواب
 للطلب، والنون: للواقية، والباء: مفعول به، والجملة: مستأنفة، أو: صفة
 لردهاً، أو: حال من مفعول أرسله، وجملة إني أخاف: تعليل للملتمس،
 وإن، واسمها، وجملة أخاف: خبر إن، وأن، وما في حيزها: مفعول
 أخاف. ﴿قَالَ سَنَشِدُ عَصْدَكَ إِلَيْكَ وَنَجِعْلُ لَكُمَا سُلْطَنًا﴾ جملة سنشد: مقول
 القول، وفاعل نشد: نحن، وعصدك: مفعول به، وبأخيك: جار و مجرور
 متعلقان بنسد، ونجعل: عطف على سنشد، ولكما: في محل نصب مفعول
 ثان لنجعل، وسلطاناً: مفعول نجعل الأول، أي: غلبة وحجوة وأوضحة،
 وقد مر تفسيره في باب اللغة. ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْمَانِنَا أَنْتُمَا وَمِنْ أَتَّبَعْكُمَا^{أَغْلَبُونَ}﴾ الفاء: عاطفة، ولا: نافية، ويصلون: فعل مضارع مرفوع،
 والواو: فاعل، وإليكمما: متعلقان ب يصلون، وبآياتنا: يجوز فيه أن يتعلق
 بنحو ما تعلق به في تسع آيات، أي: اذهبوا بآياتنا، أو بنجعل، أو ب يصلون، أو

بسلطاناً، أي: نسلطكم بما يأتنا، أو بمحذوف حال، أو من لغو القسم، ولا أرى موجباً للترجيح في هذه الأوجه، فاختر منها ما ترى ترجيحة، وأنتما: مبتدأ، ومن: اسم موصول معطوف على أنتما، وجملة اتبعكما: صلة مَنْ، والغالبون: خبر أنتما.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِإِيمَانِهِ بَيْتَنَتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، يقتضيه السياق، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءهم موسى: فعل، ومفعول، وفاعل، وبآياتنا: متعلقان ب جاءهم، أو: بمحذوف حال، وبينات: حال؛ أي: واضحات الدلالة، وجملة قالوا: جواب لما، وما: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أدلة حصر، وسحر: خبر، ومفترى: صفة. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهِكُذَا فِي أَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وسمعنا: فعل، وفاعل، وبهذا: متعلقان بسمعنا، وفي آبائنا: حال من هذا، فهو متعلق بمحذوف، تقديره: كائننا، والأولين: نعت لآبائنا. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ رب: مبتدأ، وأعلم: خبره، وبين: متعلقان بأعلم، وجملة جاء بالهدى: صلة مَنْ، ومن عنده: حال. ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومن: عطف على مَنْ الأولى، وتكون: فعل مضارع ناقص، وله: خبرها المقدم، وعاقبة الدار: اسمها المؤخر، ويجوز أن يكون اسم تكون ضمير الشأن، أو ضمير القصة، وله: خبر مقدم، وعاقبة الدار: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر تكون، ويجوز أن تكون ثامة، فتكون جملة له عاقبة الدار: حالاً، وفاعل تكون: ضمير يعود على مَنْ، وأنَّ، واسمها، وجملة لا يفلح الظالمون: خبرها.

□ البلاغة:

١- الإسناد المجازي:

في قوله: ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدَاءً يُصَدِّقُنِي﴾ إسناد مجاري، فقد أنسنده إليه التصديق؛ لأنَّه السبب فيه، ومعنى الإسناد المجاري: أن التصديق حقيقة في

المصدق، فإسناده حقيقة، وليس في السبب تصديق، لكن استعير له الإسناد؛ لأنه لا ينبع التصديق بالتبسيب، كما لا ينبع الفاعل بال المباشرة، والدليل على ذلك قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ فليس الغرض من قوله: يصدقني أن يقول: صدقت، أو يقول للناس: صدق أخي، وإنما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه، ويجادل الكفار بيشهاته، وأن يقرر الحجة، ويورد البرهان مدعاً بالأرقام، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَخِي هَذُورُثُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وفي هذا دليل على سمو البيان، وشرفه، وإنافتته على الكلام العادي الذي لا يصيب المhz، ولا يتغلغل إلى أغوار النفوس.

٢- المجاز المرسل:

وفي قوله: ﴿سَنَشُدُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ﴾ مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين، تتبع إحداهما ثانيةهما، فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد، وشدة اليد مستلزم لقوة الشخص في المرتبة الثانية، واختيار الشهاب في حاشيته على البيضاوي أن يكون كناية تلويجية قال: «الشد: التقوية، فهو إما كناية تلويجية عن تقويته، لأن اليد تشد بشد العضد، والجملة تشد بشد اليد، أو: استعارة تقليلية، شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بالعضد» وليس بعيد.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنِ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدُ لِي يَتَهَمَّنُ عَلَى الظِّلِّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعْكَلَ أَطْلَعُ إِنَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُنُهُ مِنَ الْكَذَّابِينَ ٢٣﴾ وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجَنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْحَقَّ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٢٤﴾ فَأَخْذَنَاهُ وَجَنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَةُ الظَّالِمِينَ ٢٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ

وَيَوْمَ الْقِيَمَةَ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَغُنَّةً وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَطْلَع﴾ : الطلوع والاطلاع : الصعود، يقال: طلع الجبل، واطلع بمعنى، وإن نفسك لطُلِعَتْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَإِنَّهَا لَتَطْلُعُ إِلَيْهِ؛ أي: تนาزع.

﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ : المقووح: المترود، وقبحه الله: طرده، وفي «المصباح»: «قبح الشيء قبحاً، فهو قبيح، من باب: قرب، وهو خلاف حسن، وقبحه الله يقتضيه بفتحتين: نحاة الله عن الخير، وفي التنزيل: ﴿هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: البعد عن الفوز، والتقليل: مبالغة، وقبح عليه فعله تقبيحاً.

وقال أبو زيد: قبح الله فلاناً، قبحاً، وقبوحاً: أبعده من كل خير، وقال أبو عمرو: قبحت وجهه بالتحفيف، بمعنى: قبحت بالتشديد ومثله قول الشاعر:

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كَلَّهَا وَقَبَحَ يَرْبُوْعًا وَقَبَحَ دَارِمَا

○ **الإعراب:**

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ الواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، أي: وقال فرعون بعد ما جمع السحرة لمعارضته، وكان بينهم وبين موسى ما كان، ويما: حرف نداء، وأيتها: منادي نكرة مقصودة،بني على الضم في محل نصب، والهاء: للتنبيه، والملا: بدل، وما: نافية، وعلمت: فعل، وفاعل، ولكم: حال، ومن: حرف جر زائد، وإله: مجرور لفظاً بمن، منصوب محلاً؛ لأنـه مفعول به، وغيري: صفة لإله.
 ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَنْهَمَدُنْ عَلَى الْطَّيْبِينَ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ الفاء: الفصيحة، وأوقد: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ويما: حرف نداء، وهامان: منادي

مفرد علم، وعلى الطين: متعلقان بأوقد، فاجعل: عطف على أوقد، ولي: في محل نصب مفعول ثان لاجعل، وصرحاً: مفعول أول. ﴿لَعَلَّيْ أَطْلَعُ إِلَيْهِ مُؤْسَفٌ وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لعل، واسمها، وجملة أطلع: خبرها، وإلى إله موسى: متعلقان بأطلع، وإنني: الواو عاطفة، وإن، واسمها، واللام المزحلقة، وجملة أظنه: خبر، والهاء: مفعول به أول، ومن الكاذبين: في موضع المفعول الثاني. ﴿وَاسْتَكَبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يُفْكِرُ الْحَقَّ﴾ عطف على وقال فرعون، وهو فاعل استكبر، أو: توكيد للفاعل؛ لأن استثار الفاعل في الغائب جائز، وجنوده: عطف على هو، وفي الأرض: متعلقان باست الكبر، وبغير الحق: حال من فاعل استكبر، أي: متلبسين بغير الحق. ﴿وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ وظنوا: عطف على استكبر، وأن، وما يليها: سدت مسد مفعولي ظنوا، وإلينا: متعلقان بيرجعون، ولا: نافية، وجملة لا يرجعون: خبر أن. ﴿فَأَخْذَنَاهُ وَجَنُودَهُ فَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فأخذناه: عطف على ما تقدم، وأخذناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وجنوده: عطف على الهاء في أخذناه، أو: مفعول معه، فنبذناهم: عطف على فأخذناه، وفي اليم: متعلقان بنبذناهم، فانظر: الفاء الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وكيف: خبر مقدم لكان، وعاقبة الظالمين: اسمها المؤخر. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَكْتُبُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ وجعلناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وأئمة: مفعول به ثان، وجملة يدعون: صفة لأئمة، وإلى النار: متعلقان بيدعون، ويوم القيمة: الواو عاطفة، ويوم القيمة: ظرف متعلق بینصرون، ولا: نافية، وینصرون: فعل مضارع مبني للمجهول، ولذلك أن تمجعل الواو: حالية، والجملة: حال. ﴿وَاتَّبَعَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَفَنَّةً﴾ وأتبعناهم: عطف على ما تقدم، وفي هذه الدنيا: حال، والدنيا: بدل من هذه، ولعنة: مفعول به ثان. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ الظرف: متعلق بمحذوف، دل عليه قوله المقبوхين، كأنه قيل: وقبعوا يوم القيمة، وإنما قدرنا محذوفاً؛ لأن تعليقه بالمقبوхين، وهو الظاهر، يمنع منه وجود أول

الوصولية، على أنهم قد اتسعوا في ذلك، فعلقوه بمدخلها، ولا مانع من ذلك، ولك أن تعطّفه على موضوع: في هذه الدنيا، أي: وأتبعناهم لعنة يوم القيمة، وهم مبتدأ، ومن المقبوّلين: خبره.

□ البلاغة:

في قوله: «فَأَوْقَدَ لِي يَهَمَّنْ عَلَى الْطَّينِ» إطناب بديع، وذلك أنه لم يقل: أطبغ لي الأجر، وذلك ليتفادى ذكر الكلمة الأجر؛ لأن تركيبيها - على سهولة لفظه - ليس فصيحاً، وذلك أمر يقرره الذوق وحده، ألا ترى إلى هذه الكلمة وقد وقعت في بيت للنابغة الذبياني من قصيده الدالية التي أولها: من آل مية رائح أو مُغْتَدِي عجلانَ ذا زادٍ وغير مزودٍ

والبيت هو:

أو دميةٌ مِنْ مرمِّ مرفوعةٌ بُيَيْثُ بآجِرِ يُشَاد بِقُرْمُدِ
فلحظة آجر في البيت قلقة، نابية؛ لا بذالها، فإن شئت أن تعلم شيئاً من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن فانظر إلى هذا الموضوع، فإنه لما جيء فيه بذكر الآجر لم يذكره بلفظه، ولا بلفظ القرمد أيضاً، لكنه ذكر في القرآن على وجهه آخر، فعيّر عن الآجر بالوقود على الطين، ثم إن هذه العبارة أحسن مطابقة لفصاحة القرآن وعلو طبقته، وأشباهه بكلام الجبارية، وأمر هامان - وهو وزيره ورديفه - بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ«يا» في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر، وقد اشتتملت هذه العبارة على الكثير من ألفاظ الجبارية العتاة، وذلك على الوجه التالي:

١ - نادى وزيره بحرف النداء.

٢ - توسيط ندائٍ خلال الأمر وبناء الصرح.

٣ - رجاوه الإطلاع إلى الله.

٤ - الغباء الذي يلازم الجبارية العتاة؛ إذ يقعون في التناقض من حيث لا يشعرون، فقد صرّح قبل هنيهة بقوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»

فعبر عن نفي المعلوم بنفي العلم، وأعلن تصميمه على الجحود، ثم ما عتن أن أعلن رجاءه الاطلاع، فهل كان مصمماً على الجحود، أم لم يكن.

فصل في اختيار الألفاظ :

هذا وقد عنى علماء البيان باللغة وسر اختيارها، وخلاصة ما يقال فيه: أن حسن الألفاظ وقبتها أمر يعود إلى الذوق وحده، فما استحسنه كان حسناً، وما استقبحه كان قبيحاً، فالاستعمال ليس بدليل الحسن، وهذا طريق يصل فيه غير العارف بمسالكه، ومن لم يعرف صناعة النظم والنشر، وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ و اختيارها، فإنه معدور في أن يقول ما قال:

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يَكَادُ

وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

والصاحب بن عباد الذي كان من المفتونين بأبي الطيب، والذي كان يستعمل أشعاره في كتاباته، ويقتبس منها، عندما حصلت بينه وبين أبي الطيب المتني الجفوة بسبب ترفع هذا عن مجاوبته؛ فقد ذكروا أنَّ الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتني إياه بأصبهان، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب، ولم يكن قد استوزر بعد، وقد كتب الصاحب إليه يلطفه في استدعائه، ويضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتني وزناً، ولم يجده إلى كتابه، ولم يحقق مراده، وقصد المتني بعد ذلك إلى حضرة عضد الدولة بشيراز، فأسفرت سفرته - كما يقول أبو منصور الثعالبي في «يتيمة الدهر» - عن بلوغ الأمينة، وورود مشروع المية، وذلك: أنَّ المتني قتل عند مغادرته إياه محملاً بالعطايا والهبات.

قال الثعالبي: «وأخذه الصاحب غرضاً، يرشقه بسهام الواقعية، ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينهى عليه سيئاته، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالاً إياها، ومتناهلاً بها في محاضراته، ومكتباته».

وقد عمل الصاحب رسالة فيما أخذه على المتنبي، وإذا فرضنا أن الذي دعا الصاحب إلى عمل هذه الرسالة هو استياؤه من المتنبي؛ حيث تعاظم عن مدحه؛ فإننا نجد أنه لم يتحامل عليه بالباطل في شيء منها، ولم يظلمه بحرف واحد جاء فيها، ولم يعبه إلا بما هو عيب، ولم يستطع أن ينال منه إلا من طريق الألفاظ وحدها. ونورد هنا نماذج من هذه الرسالة.

١- أخذ الصاحب على المتنبي التفاصح بالألفاظ الشاذة، فمن ذلك قوله:

أيفطمُه التورابُ قبلِ فطامِه

ويأكلُه قَبْلَ البلغِ إِلَى الأَكْلِ

قال: «وما أرى كيف عشق التوراب حتى جعله عودة أشعاره»
والتوراب: التراب.

ومعنى البيت: أيفطمته التوراب قبل أن تفطمته أمه، ويأكله التراب قبل أن يبلغ سن الأكل.

٢- وأخذ عليه لفظة ترنج بقوله:

شديدُ البعـدِ من شربِ الشـمـول

ترنجُ الـهـنـدـ أو طـلـعُ النـخـيلـ

قال الصاحب ساخراً: «فلا أدرى إـسـتـهـلـالـ الأـبـيـاتـ أـحـسـنـ؟ـ أمـ الـعـنـيـ أـبـدـعـ؟ـ أمـ قـوـلـهـ تـرـنجـ أـفـصـحـ»ـ ولـقـدـ أـصـابـ الصـاحـبـ،ـ فـالـلـغـةـ الـفـصـيـحةـ هـيـ:ـ أـتـرـجـ،ـ وـأـتـرـجـةـ،ـ وـمـنـهـ الـحـدـيـثـ:ـ «ـمـثـلـ الـمـؤـمـنـ الـذـيـ يـقـرـأـ الـقـرـآنـ كـالـأـتـرـجـةـ،ـ رـيـحـهـ طـيـبـ،ـ وـطـعـمـهـ طـيـبـ»ـ.ـ وـحـكـيـ أـبـوـ زـيـدـ:ـ تـرـنجـ وـتـرـنـجـةـ،ـ يـقـولـ أـبـوـ الطـيـبـ:ـ تـرـنجـ الـهـنـدـ وـطـلـعـ النـخـيلـ شـدـيـدـ بـعـدـهـماـ عـنـ مـحـلـكـ مـنـ شـرـبـ الـخـمـرـ،ـ وـإـنـ كـانـ غـيرـكـ يـتـخـذـهـمـاـ لـذـلـكـ،ـ لـأـنـ هـذـهـ الـحـالـ غـيرـ مـظـنـونـةـ بـكـ،ـ وـإـنـماـ اـسـتـحـضـارـكـ لـهـمـاـ وـلـمـ يـشـاكـلـهـمـاـ مـنـ الـرـيـاحـينـ اـسـتـمـتـاعـاـ بـحـسـنـ ذـلـكـ.

٣- وانتقد الصاحب جمع الآباء في شعره إذ قال:

كـلـ آـخـائـهـ كـرـامـ بـنـيـ الدـنـ ـ يـاـ وـلـكـنـهـ كـرـيمـ الـكـرـامـ

قال: «ولو وقع الآباء» في رأيه الشماخ لاستقل فكيف مع أبيات منها:

قدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ

وَأَنْلَنْكَ بَدْرَةً فِي الْمَنَامِ

والكلام إِذَا لَمْ يَتَنَاسَبْ زَيْفَهْ جَهَابِذَتَهْ، وَبَهْرَجَهْ نَقَادَهْ.

وعلى هذا النحو يمضي في كشف مساوىء المتنبي، وكلها أمور ترجع إلى اللفظة وحدها، وسيرد معنا الكثير منها، فلنكتف بما ذكرناه الآن منها.

وعاب النقاد القوافي الملتائة، فعابوا على أبي تمام قافية الثالثة في قصيده التي مطلعها:

قِفْ بِالْطَّلْوُلِ الدَّارِسَاتِ عَلَاثًا

أَصْخَثْ حَبَالْ قَطْنِينَ رِثَاثًا

وعلاًثا: منادي مرخم، وأصله يا علاًثة. وعابوا على أبي الطيب قافية الشينية في قصيده التي مطلعها:

مِيَتِي مِنْ دَمَشْقَ عَلَى فَرَاشِ

حَشَاءُ لِي بَحْرٌ حَشَاءِي حَمَاشُ

وعابوا على ابن هانىء الأندلسي قافية الحائنة في قصيده التي مطلعها:

سَرِي وَجْنَاحُ الْلَّيلِ أَقْتَمُ أَفْتَخُ

حَبِيبٌ ضَجِيعٌ بِالْعِبَرِ مَضِئُخٌ

والأقتم: المظلوم، والأفتخ: المستطيل.

وحسينا ما تقدم، فقد كدنا نخرج بالكتاب عن موضوعه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الظُّرُونَ الْأُولَئِكَ أَبْكَاهُنَا لِتَنَاهُسْ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾٣٨﴿ وَمَا كُنَّا كُنَّا بِمَا نَبَاهُ الْفَرِيقَ إِذَا فَضَيَّنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنَّا مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴾٣٩﴿ وَلَكِنَّا أَشَأْنَا قُرُونَا

فَنَطَّاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِتْ أَهْلَ مَدِينَتْ تَنْلُوا عَلَيْهِمْ إِيْتِنَا
وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً
مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ إِنْ قَبْلَكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَصَارَاتِ﴾: البصيرة: العقل، والفتنة، والعبرة، والشاهد، والحججة،
يقال: جوارحه بصيرة عليه؛ أي: شهود، وفراسة ذات بصيرة؛ أي:
صادقة، والجمع: بصائر، قوله: ﴿بَصَارَاتِ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنواراً لقلوبهم،
تبصر بها الحقائق، وتميز بها بين الحق والباطل، بعد أن كانت عمياً عن الفهم
والإدراك بالكلية، فالبصيرة نور القلب؛ الذي به يستبصر، كما أنَّ البصر نور
العين الذي به تبصر، وسبأي المزید من معناها في باب الإعراب.

﴿ثَاوِيَا﴾: مقيناً، يقال: ثوى، يثوي، من باب ضرب، ثوء، وثُوِيَا
المكان، وفيه، وبه: أقام. وثوى الرجل: مات. قال عبيد بن الأبرص في
مطلع معلقته:

آذَنْتَنَا بِيَنِهَا أَسْمَاءُ ربَّ ثَاوِي يَمْلُ مِنْهُ الشَّوَاءُ

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ الواو:
استئنافية، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا:
فعل، وفاعل، وموسى: مفعول به أول، الكتاب: مفعول به ثان، ومن
بعد: متعلقان بآتينا، وما: مصدرية، وأهلكنا: فعل، وفاعل، والقرون:
مفعول به، والأولى: صفة. ﴿بَصَارَاتِ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾
بصائر: حال من الكتاب، أو: مفعول لأجله، وعلى الحالية لا بد من تقدير
مضاف، أي: ذا بصائر، أو على المبالغة، وللناس: نعت لبصائر، وهدى

ورحمة: عطف على بصائر، ولعلهم يتذكرون: لعل، واسمها، وجملة يتذكرون: خبرها. ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْقَادِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّهِيدِينَ﴾ الواو: عاطفة، أو: استثنافية، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وبجانب: خبرها، والغري: مضاف إليه، أي: وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي، فيكون من حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، واختاره الزجاج، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي؛ أي: حيث ناجي موسى ربه، وإذا: ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار؛ الذي تعلق به الجار والجور، وجملة قضينا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، والأمر: مفعول به، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، ومن الشاهدين: خبرها، والأمر المضي: هو الوحي الذي أوحى إليه. ﴿وَلَكُنَا أَنَّا قُرُونًا فَطَاؤَ عَلَيْهِمُ الْعَمَرُ﴾ الواو: عاطفة، ولكن، واسمها، وجملة أنسانا: خبرها، ونا: فاعل، وقرونا: مفعول به، فتطاول: عطف على أنسانا، وعليهم: متعلقان بتطاول، والعمر: فاعل. ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِتَّ أَهْلِ مَدِينَ تَنَلُّو عَلَيْهِمْ إِيمَنَتَنَا وَلَكُنَا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وثاويأ: خبرها، وفي أهل مدين: متعلقان بثاويأ، وجملة تللو: في موضع نصب خبر ثان لكن، أو: حال من الضمير في ثاويأ، ولكنأ: الواو: حالية، أو: عاطفة، ولكن، واسمها، وجملة كنا: خبرها، وكان، واسمها، وجملة مرسلين: خبرها.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وبجانب: خبر كنت، والظور: مضاف إليه، والظرف: متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو: بجانب، والخطاب في الآيتين لـمحمد ﷺ، أي: وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام، ولا كنت من الشاهدين الوحي، ولا كنت بجانب الظور حين ناديناه ليأخذ التوراة، وجملة نادينا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولكن: الواو: عاطفة، ولكن: حرف

استدراك مهملاً. لأنه خفف، ورحمة: مفعول لأجله، أي: أرسلناك
وعلمناك هذا كله رحمة، ومنريك: صفة لرحمة. ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِّنْ
نَذْيِرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لتنذر: اللام: للتعليل، وتنذر: فعل
مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والجاري والجرور:
متعلقان بأرسلناك المحدوفة، وإنما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف
الفاعل، وقوماً: مفعول به، وجملة ما أتاهم: صفة لقوماً، وما: نافية،
وأتاهم: فعل ماض، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، ونذير: مجرور
لفظاً مرفوع محالاً على أنه فاعل، ومن قبلك: صفة لنذير، ولعل، واسمها،
وجملة يتذكرون: خبرها.

اللاغة: □

١- جناس، التحريف:

في قوله: ﴿وَلَكُنَا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ جناس التحريف؛ الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما، وقد مررت له نظائر، وستمر نظائر كثيرة، ومثاله في الشعر قول أبي العلاء المعري:
والْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئِنْ رَوْنَقْهُ

بيتٌ منَ الشِّعْرِ أو بيتٌ منَ الشِّعْرَ

وَلِهُ أَنْصَارٌ

لغيري زكاة من جمال فإن تكون

زکاۃ جمآلٍ فاذگری ابن سبیل

فالتجنيس في الأول بين «الشّعر» و«الشّعر» وفي الثاني بين «جمال» و«جمال»
وما ألطّف قول بهاء الدين زهير:

زها ورد خدّيك لكنه
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ مُضِعِفٌ
يُغَيِّرُ الْوَاظِرَ لَمْ يُقطِّفِ
وَمَا عَلِمُوا أَنَّهُ مُضِعِفٌ

٢- الإشارة:

وقد تقدم بحث هذا الفن أكثر من مرة، وتناوله الآن بصورة مسهبة، كما نتناول الرمز الذي شاع في العصر الحديث، ليكون كتابنا جاماً لأفاني الأدب، أمّا الإشارة في الآية فهي : ما أشارت إليه كلمة «الأمر» من قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْقَرْبَى إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ فقد أشارت إلى ابتداء نبوة موسى، وخطاب الحق له، وإعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعباناً، وإخراج يده بيضاء، وإرساله إلى فرعون، وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون، إلى جميع ما جرى في ذلك المقام، وأمثال هذه المواضيع إذا تقصاها الباحث خرجت عن حد المحصر في الكتاب العزيز.

الإشارة في الشعر :

وقد قدمنا نماذج شعرية من هذا الفن، ويرى قدامة: أنَّ أفضل بيت في الإشارة قول زهير:

إِنِّي لَوْلَقِيْتُكَ فَاجتَمَعْنَا
لَكَانَ لِكُلِّ مُنْدِيَةٍ لِقاءً

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه. وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون، عن أبيه، عن حماد، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

جَعَلْنَا السَّيْفَ بَيْنَ الْخَدَّيْنِ وَبَيْنَ سَوَادِ لِثَّهَ عِذَارَا

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة؛ دلت على كيفيةها، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه. ومن أنواع الإشارة: التفحيم والإيماء، فأما التفحيم: فكقول الله تعالى ﴿الْحَاقَةُ مَا الْحَاقَةُ﴾ وقول كعب بن سعد الغنوبي:

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحْشُّ عَنْدَ بَيْتِهِ

وَلَا وَرْغُ عَنْدَ الْلِقاءِ هَيْوَبُ

وأما الإيماء: فكقوله تعالى: ﴿فَغَشَّيْهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهِمْ﴾ فأوّلما إلى

ما غشיהם، وترك التفسير، وتقدم ذكره بعنوان الإبهام، وقال كثير صاحب عزة:

تجافيت عنِّي حينَ لا لي حيلةٌ وخلفت ما خلفت بينَ الجوانحِ
قوله: «خلفت ما خلقت» إيماء مليح.

ومن أنواع الإشارة: الرمز، كقول أحدهم يصف امرأة قتل زوجها وسببت:

عقلتُ لها مِنْ زُوْجِها عَدَدَ الحصى

مع الصُّبْحِ أو مع جُنْحٍ كُلَّ أَصِيلٍ

يريد أني لم أعطها عقلاً ولا قواداً بزوجها إلا لهم الذي يدعوها إلى عد الحصى، وأصل العقل: أخذ الديمة، وعدد الحصى: مفعول عقلت، وأصله من قول أمرئ القيس:

ظللتُ ردائِي فوقَ رأسِي قاعداً

أعْدُ الحصى ما تنقضي عَبَراتِي

يريد: أنه لما غشي ديار الحي، فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه، وجلس مفكراً يعد الحصى ودموعه لا ترقاً. ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة، فيها صور منقوشة، وقد تقدم ذكر هذه الأبيات ومنها هنا:

قرارٌ هَا كسرى وفي جَنَابِهَا

مَهَا تَذَرِّيْهَا بالقَسِّيْ الفوارسُ

فَلَلخْمَرِ مَا زُرَّثُ عليه جِيوبُهَا

وللماءِ ما دارتْ عليه القلايْسُ

يقول: إن حد الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي والنحو، وزيد الماء فيها مزاجاً، فانتهى الشراب إلى فوق رؤوسها، ويجوز أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت، والأول أملح،

وفائدته معرفة حَدِّها صِرْفًا من معرفة حَدِّها مزوجة، وهذا عندهم ما سبق إليه أبو نواس.

الرمزية في الشعر الحديث:

كان نشوء الرمزية ردًّا فعل ضد الواقعية التي أسرفت في التأثير بالعلم والبعد عن الخيال الشعري، وكما استطاعت الواقعية أن ترخز الرومانтика عن مكانتها؛ كان نشوء الرمزية إيداناً بتراجع الواقعية؛ لتحل محلها تلك الحركة الجديدة التي احتلت الرابع الأخير من القرن التاسع عشر.

والشعر عند أصحاب هذا المذهب - كما يقول بعضهم -: «نشوة وحلم يحملان الإنسان إلى حيز اللاوعي، حيث يلمح هناك من الحقائق ما لا يستطيع رؤيتها عن طريق العقل والمنطق في العالم الوعي، وهو لا يجد في العالم الباطني صوراً تامة الوضوح يستطيع التعبير عنها تعبيراً صريحاً، ولكنه يعبر عنها بالرمز؛ حتى يستطيع أن يوحي للقارئ بنفس الإحساس وينقله إلى نفس الحالة».

ومن هنا جاء الغموض في الرمزية، ثم أمعنوا في الإبهام، وغلقوا الشعر بخلاف من الضباب، فأسقطوا حروف التشبيه، واعتمدوا على الكلمة في إيحائهم، يقدمونها، ويؤخرونها عن قصد حتى تزيد من إشعاعاتها الموحية، وكذلك طابقوا بين الحروف والألوان، وبين الألوان والمعنى، فاللون الآخر: يرمز للحياة الصافية، والدم، وشهوة الحب، والأعاصير، والأخضر: يمثل الكون، والطبيعة، والبحر، والأزرق: يمثل الانطلاق إلى ما وراء المادة الكونية؛ حيث عالم الملائكة، والموسيقى التي تبلغ الأعماق. واللون البنفسجي: لون الرؤى الصوفية، والأصفر: للحزن والتحفز نحو عالم أفضل، والأبيض: يشف عن الهدوء، والسكينة، والطهر. ويعبر بودلير الشاعر الفرنسي الرمزي عن العلاقة بين الألوان والعطور والأصوات في قصيده التي يتناول فيها وحدة الطبيعة فيقول:

الطبيعة معبد ذو أعمدة حية
تبعد منه أحياناً كلمات غامضة
فيمر الإنسان من خلال غابات الرموز
تحدق فيه بنظرات ألفته .

وتمازج الأصداء الطويلة البعيدة الغموض
في وحدة مظلمة عميقة
رحبة كالليل ، وكالضياء
وتتجاوب العطور ، والأنوار ، والأصوات
وحسينا ما أوردناء ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما كتب في هذا الصدد
...
وهو كثير .

٣- الاحتراس :

وفي هذه الآية نفسها فن الاحتراس ، وقد تقدم ذكره كثيراً ، ولعل الاحتراس الذي وقع في هذه الآية أعجب احتراس وقع في القرآن ، فالخطاب كما قلنا موجه إلى الرسول ﷺ ، ولما نفى تبارك وتعالى عن رسوله الكريم كونه بالمكان الذي قضى لكليمه موسى الأمر عَرَفَ المكان بالجانب الغربي ، ولم يصفه باليمن ؛ كما قال في الإخبار عن موسى عليه السلام : ﴿ وَنَذَرْتَنَّهُ مِنْ جَانِبِ الْطَّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ أدباً منه سبحانه وتعالى مع نبيه أن ينفي عنه كونه في الجانب الأيمن ، ووصف سبحانه الجانب ها هنا باليمن ؛ إذ أخبر : أنه نادى منه كليمه موسى تشريفاً له .

هذا ولا بد من الإلماع إلى أن قوله ﴿ جَانِبُ الْفَرْقَانِ ﴾ أصله أن يكون صفة ، أي : بالجانب الغربي ، ولكن حول عن ذلك ، وجعله صفة لمحذف ضرورة امتناع إضافة الموصوف إلى الصفة ؛ إذ كانت هي الموصوف في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه خطأ ، والتقدير : جانب المكان الغربي .

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ يُمَاقِدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَسَّالَةُ اللَّهِ أَرْسَلَتْ

إِلَيْسَارَسُولًا فَنَتَّيْعَ إِيَّنِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتَ مِثْلَ مَا أُوتَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكُنْ قُرْبًا بِمَا أُوتَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرٌ نَظَاهِرًا وَقَالُوا إِنَّا يُكْلِ كَفَرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَيْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّعَوْنَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَبَعَ هَوَّهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

○ الإكراه:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الواو: عاطفة، ولو لا: حرف امتناع لوجود، وأن وما في حيزها: مبداً خبره مذوف؛ كما هي القاعدة المشهورة؛ أي: ولو لا إصا لهم المصيبة لهم، وجوابها مذوف، تقديره: لما أرسلنا رسولاً، ومصيبة: فاعل، وبما: متعلقان بتصيبهم، وجملة قدمت: صلة. ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْسَارَسُولًا فَنَتَّيْعَ إِيَّنِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة، ويقولوا: عطف على أن تصيبهم، وربنا: منادي مضاف، ولو لا: تحضيرية بمعنى هلا، وأرسلت: فعل وفاعل وإلينا: متعلقان بأرسلت، ورسولاً: مفعول به، فنتبع: الفاء: فاء السبيبة، ونتبع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السبيبة، وفاعل نتبع: مستتر، تقديره: نحن، وأياتك: مفعول به، ونكون: عطف على نتبع، واسم نكون: ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن المؤمنين: خبره.

هذا وقد شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين قال الزمخشري: «إإن قلت: كيف استقام هذا المعنى؟ وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول؛ لدخول حرف الإمتناع عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول، وكان وجوده بوجودها؛ جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا، وهي بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى

السببية، ويؤول معناه إلى قوله ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة، وهم أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم؛ وقد عاينوا ما أجهوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا: «لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير، لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم، وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى».

والسر في جعل سبب السبب سبباً، وعطف السبب الأصلي عليه أمران؛ أحدهما: أن مزيد العناية يوجب التقديم، وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه، والثاني: أن في هذا النظم تنبيةً على سببية كل واحد منها، أما الأول: فلا يقترانه بحرف التعليل، وهو: أن، وأما الثاني: فلا يقترانه بفاء السبب، وكان بعض النحاة يورد إشكالاً بهذه الآية، فيقول: «لَوْلَا» عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها، وحيثئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً، وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل، وجوابها المحدوف غير واقع، وهو عدم الإرسال؛ لأنه ممتنع بالأولى. ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة، فيشكل الواقع بعدها؛ إذ لا ظلم قبل بعثة الرسل، فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة، وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع، فإن لم يكن شرعاً فلا مخالفة ولا عقوبة، ويشكل الجواب على النحاة؛ لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً، وهو عدم بعثة الرسل، لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه، والتحرير في معنى لولا: أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس «لو»، فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها، ثم المانع قد يكون موجوداً، وقد يكون مفروضاً، والآية من قبيل فرض وجود المانع، وكذلك اللزوم في «لو» قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين، فلا يلزم نفي أحد ملزوميه، وعلى هذا التحرير يزول الإشكال.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِكَ مِثْلَ مَا أُوتِكَ مُوسَىٰ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية، أو رابطة، وجاءهم الحق: فعل ماض، ومفعول به

مقدم، وفاعل مؤخر، ومن عندنا: متعلقان بجاءهم، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب لما، ولو لا: حرف تحضيض، أي: هلا، وأوقي: فعل ماض، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو، أي: محمد ﷺ، ومثل: مفعول به ثان، وما: اسم موصول مضارف مثل، وجملة أوقي: صلة، وموسى: نائب فاعل. ﴿أَوَّلَمْ يَكُنْ قُرْبًا إِنَّمَا أُوقي مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التقريري، والواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ويكفروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وبما: متعلقان يكفروا، وجملة أوقي موسى: صلة، ومن قبل: متعلقان بأولم يكفروا، أو أوقي، فيكون المعنى: أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة. ﴿قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ رَّجُلٌ فَقَاتُوا إِنَّا إِنَّا يَكْلِلُ كَفَّارُونَ﴾ فجملة قالوا: مفسرة، وسحران: خبر لمبدأ ممحظ، أي: هما ساحران، وجملة تظاهرا: نعت لسحران، أي: تعانا بتصديق أحدهما الآخر، وقالوا: عطف على قالوا، وإن: إن، واسمها، وبكل: متعلقان بكافرون، وكافرون: خبر إن، والجملة مقول القول. ﴿قُلْ فَأَتُوْا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا إِنَّكُنُتُمْ صَدِيقِينَ﴾ قل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والفاء: الفصيحة، وائتوا: فعل أمر، وبكتاب: متعلقان بفائتوا، ومن عند الله: متعلقان بممحظ صفة، وهو: مببدأ، وأهدي: خبر، ومنهما: متعلقان بأهدي، والجملة: صفة ثانية لكتاب، وأتبعه: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، والهاء: مفعول به، وإن: شرطية، وكتتم: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والباء: اسمها، وصادفين: خبرها، وجواب الشرط: ممحظ، دل عليه ما قبله، أي: فائتوا، والأمر هنا للتعجيز المشوب بالتوبيخ، والتقرير. ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُونَا لَكَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ويستجيبوا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، ولنك: متعلقان بمستجيبوا، والفاء: رابطة لجواب الشرط، واعلم: فعل أمر، وأنما: كافة ومكافحة لإفاده

الحصر، ويتبعون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وأهواهم: مفعول، وإنما وما في حيزها: سدت مسد مفعولي أعلم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَبَعَدَ هَوَّةً بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الواو: عاطفة، ومن: اسم استفهام معناه النفي والإنكار في محل رفع مبتدأ، وأضل: خبره، ومن: متعلقان بأضل، وجملة أتبع هواه: صلة من، وبغير هدى: حال، ومن الله: صفة لهدى، وجملة إن الله: تعليل لما تقدم، وإن، واسمها، وجملة لا يهدى القوم الظالمين: خبرها.

* الفوائد:

نظراً لانغلاق التراكيب الواردة في الآية المتقدمة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . وسموا إعجازه نوراً بالإضافة إلى ما قدمناه في الإعراب ما قاله الشهاب الخفاجي في حاشيته المتعة على البيضاوي، فيه إيضاح لما أوضحناه، قال ما ملخصه: إن الآية تقضي وجود إصابتهم، وجود قولهم المذكور، الواقع: أنهم لم يصابوا، ولم يقولوا القول المذكور، فحينئذ يشكل هذا الترتيب من حيث أن لو لا حرف امتناع لوجود، فيصير المعنى: أرسلناك إليهم لنزول المصيبة بهم، وجود قولهم المذكور، وهذا غير صحيح، وتتكلف بعضهم الجواب بأن في الكلام حذف المضاف، والتقدير: ولو لا كراهة أن تصيبهم . . . الخ، فالمتحقق في الموجود إنما هو كراهة مصيبتهم المرتب عليها قولهم المذكور، فيكون المعنى: أرسلناك إليهم لأجل كراهة أن يصابوا، فيقولوا ما ذكر، وقيل: إن التحقيق أن لو لا إنما تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها، والمانع قد يكون موجوداً، وقد يكون مفروضاً، وما هنا من الثاني، فلا إشكال فيه، وإن لم يقدر المضاف. انتهى.

﴿وَلَقَدْ وَصَلَّا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴽ٤٧﴾ الَّذِينَ إِنَّهُمْ أَكِيدُّونَ

قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا يَتَّلَقُ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبَتِنَ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمَمَّا رَزَقَنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَأَلُوكُمُ اللَّغُورَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ ﴿٦٠﴾

○ الاتجاهات:

﴿وَلَقَدْ وَصَلَّنَا لَمَّا قَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ الواو: استئنافية، ولد أن تجعلها عاطفة ليتساوق الكلام، واللام: جواب للقسم الممحوف، وقد: حرف تحقيق، ووصلنا: فعل ماض، مبني على السكون، ونا: ضمير متصل في محل رفع فاعل، ولهم: متعلقان بوصلنا، والقول: مفعول به؛ أي: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال؛ ليتصل التذكرة، ولعل، واسمها، وجملة يتذكرون: خبر لعل، أي: جعلناه متنوعاً؛ يشتمل على الوعيد والنصائح، والمواعظ، والقصص؛ لعلهم يتعظون به. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الذين: اسم موصول مبتدأ، وجملة آتيناهم: صلة، وآتيناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والكتاب: مفعول به ثان، ومن قبله: حال، وهم: مبتدأ ثان، وبه: جار و مجرور متعلقان بـ يؤمنون، وجملة يؤمنون: خبر «هم»، وجملة هم به يؤمنون: خبر الذين، وهم أهل الكتاب؛ الذين آمنوا، وكان عددهم أربعين رجلاً، وقيل: ثمانين. ﴿وَإِذَا يَتَّلَقُ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا آمَنَّا بِهِ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة يتلقي: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ويتنى: فعل مضارع مبني للمجهول، وعليهم: متعلقان بيتنى، ونائب الفاعل: مستتر تقديره هو، يعود على القرآن، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آمنا: مقول القول، وبه: متعلقان بـ آمنا. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان وتعليل ما استدعى إيمانهم به، وإن، واسمها، الحق: خبر

إِنَّ، ومن رينا: حال، وإننا كنا... الخ: كلام مستأنف أيضاً، مسوق لبيان: أَنَّ إيمانهم ليس بدعاً، ولا مستحدثاً، وإنما هو أمر متقادم العهد، وإن، واسمها، وجملة كنا: خبرها، ومن قبله: حال، و المسلمين: خبر كنا؛ لأنَّ الإسلام صفة كل مؤمن مصدق للوحي.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبَنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أولئك: مبتدأ، وجملة يؤتون: خبر، ويؤتون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وأجرهم: مفعول به ثان، ومرتبين نصب على المصدرية، أو: الظرفية، وبما صبروا: متعلقان بيتون، والباء: حرف جر للسببية، وما: مصدرية أي: بسبب صبرهم. ﴿وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ أُسْيَةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ ويدرؤون: عطف على يؤتون؛ أي: يدفعون، والواو: فاعل، وبالحسنة: متعلقان بيدرؤون، والسيئة: مفعول به، وما: متعلقان بينفون، وجملة رزقاهم: صلة، وينفقون: عطف على يدروون. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغُورَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة سمعوا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، وللغور: مفعول به، وجملة أعرضوا: لا محل لها، وعنده: متعلقان بأعرضوا، وقالوا: عطف على أعرضوا، ولنا: خبر مقدم، وأعمالنا: مبتدأ مؤخر، ولكم أعمالكم: عطف على ما تقدم. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يَنْتَهِي الْجَهَالَيْنَ﴾ سلام: مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنَّ فيه معنى الدعاء، وعلىكم: خبر، والسلام هنا: سلام توديع ومتاركة، لا سلام تحية ومواصلة، وجملة لا نبتغي الجاهلين: حالية، ولا: نافية، ونبتغي: فعل مضارع، والفاعل: مسiter، تقديره: نحن، والجاهلين: مفعول به. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حرصه على إيمان عمِّ أبي طالب، وإن، واسمها، وجملة لا تهدي: خبرها، والفاعل: مسiter، تقديره: أنت، ومَنْ: مفعول به، وجملة أحببت: صلة، ولكنَّ الله: الواو: عاطفة، أو: حالية، ولكن، واسمها، وجملة يهدي: خبرها، وَمَنْ يشاء: مفعول به، وهو: مبتدأ، وأعلم: خبر، وبالمهتدين: متعلقان بأعلم.

* الفوائد:

قال الزجاج: أجمع المسلمون على أن هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي . . .﴾
 الخ نزلت في أبي طالب؛ لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وقال: يا عم
 قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله، فقال: يا بن أخي قد علمت
 أنك لصادق، ولكن أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولو لا أن يكون عليك
 وعلىبني أريك غضاضة لقتلها، ولأقررت بها عينك عند الفراق؛ لما أرى من
 شدة وجدك ونصيحتك، وأنشد:

لولا الملامهُ أو حذار مسيءٍ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا
 ولقد علمتُ بأنَّ دين محمدٍ مِنْ خيرِ أديانِ البرئهِ دينا
 ولكنّي سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب، وهاشم، وعبد
 مناف. وهناك روایات أخرى مختلفة لا تخرج عن هذه الفحوى.

﴿وَقَالُوا إِنَّنَّنَّيْعَ الْهُدَى مَعَكُ شَخَطْفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً
 إِمَّا يَجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 ﴿وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبَتِهِ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَكَ مَسِكِنُهُمْ لَمْ تُشَكِّنْ مِنْ
 بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَرِثِينَ﴾
 ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَى حَتَّى
 يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنْلُو عَلَيْهِمْ مَا يَبْغِي وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرَى إِلَّا
 وَأَهْلُهَا ظَلَمْوْنَ﴾
 ﴿وَمَا أُوتِنُّمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَآبَقُ﴾
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

○ الاعراب:

﴿وَقَالُوا إِنَّنَّنَّيْعَ الْهُدَى مَعَكُ شَخَطْفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾
 الواو: حرف عطف،
 والجملة: معطوفة على ما تقدم، فهي بمثابة تفريع على قصة أبي طالب،
 قالوا: إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي ﷺ، فقال له:

إنا نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا. وإن: شرطية، ونتبع: فعل الشرط مجزوم، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، والهدى: مفعول به، ومعك: ظرف متعلق بمحذوف حال، ونتحطف: جواب الشرط، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: نحن، ومن أرضنا: متعلقان بنتحطف. ﴿أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَماً إِمَّا يُجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّنْ لَدُنَا وَلَا كُنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكارى، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، وبه يرد عليهم دعواهم التي لا أساس لها من الصحة؛ بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت، وأمن قطانه بحرمته، وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة. ولم: حرف نفي، وقلب، وجسم، ونمك: فعل مضارع مجزوم بلـم، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، ولهم: متعلقان بنمكـنـ، وحرماً: مفعول به، وأمنـاـ: صفة، وجملة يجيـيـ: صفة ثانية لحرماً، ومعنى يجيـيـ إـلـيـهـ: يـسـاقـ، ويـحـمـلـ إـلـيـهـ، ويـجـمـعـ لـازـدـهـارـ، وإـلـيـهـ: متعلقان بـيـجيـيـ، وـثـمـرـاتـ كـلـ شـيـءـ: نـائـبـ فـاعـلـ، وـرـزـقـاـ: مـفـعـولـ مـطـلـقـ لـقولـهـ يـجيـيـ؛ لأنـ معـنىـ الجـبـاـيـةـ وـالـرـزـقـ وـاـحـدـ، وـالـمـرـادـ: تـسـاقـ إـلـيـدـ المـيـرـةـ، وـأـعـرـبـهـ آخـرـوـنـ: مـفـعـولاـ لـأـجـلـهـ، وـأـجـاـزـهـ الرـمـخـشـريـ، وـفـيـ النـفـسـ مـنـهـ شـيـءـ، وـيـجـبـوـزـ أنـ يـكـوـنـ رـزـقاـ مـصـدـراـ بـمـعـنىـ المـفـعـولـ، فـيـنـتـصـبـ عـلـىـ الـحـالـ مـنـ الـثـمـرـاتـ لـتـخـصـصـهـاـ بـالـإـضـافـةـ، وـمـنـ لـدـنـاـ: صـفـةـ لـرـزـقاـ، وـالـواـوـ: حـالـيـةـ، أوـ: عـاطـفـةـ وـلـكـنـ أـكـثـرـهـمـ: لـكـنـ، وـأـسـمـهـاـ، وـجـمـلـةـ لـاـ يـعـلـمـوـنـ: خـرـهـاـ.

﴿ وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً مسقاً لتخويف أهله من سوء مغبة من كانوا في نعمة فغمطوها، وقابلوها بالبطر، والبطر بفتحتين: النشاط، والأشر، وقلة احتمال النعمة، والدهش، والخيرة، والطغيان بالنعمة، وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة ، قال في «القاموس» : «و فعل الكل كفرح ، وبطر الحق: أن يتكبر عنه فلا يقبله» ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله ليتساوق الكلام . وكم: خبرية مفعول مقدم لأهلكنا ، ومن قرية: تمييز كم الخبرية المجرور بمن ، وقد

تقدم تقرير ذلك فجدد به عهداً، وجملة بطرت: صفة لقرية، ومعيشتها: منصوب بنزع الخافض على حد قوله: ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ أي: في معيشتها، وهذا أقرب ما قيل فيه، وأقله تكلاً، وقال الرجاج: هو نصب على الظرفية الزمانية؛ أي: أيام معيشتها، ويجوز تضمين بطرت معنى خسرت، فتكون معيشتها: مفعولاً به، واقتصر عليه أبو البقاء. ﴿فَلَمْ يَكُنْ مَسِكِنُهُمْ لَمْ يُسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَرِثَةِ﴾ فتلك: القاء: عاطفة، وتلك: مبتدأ، ومساكنهم: خبر، وجملة لم تسكن: يجوز أن تكون خبراً ثانياً، ويجوز أن تكون حالاً، والعامل فيها معنى الإشارة، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: ظرف؛ أي: إلا وقتاً قليلاً، فالاستثناء من الظرف، أو: مفعول مطلق، أي: إلا سكتى قليلاً، فالاستثناء من المصدر، ولا مردح لأحد الوجهين، والواو: عاطفة، أو: حالية، وكنا: كان، واسمها، ونحن: ضمير فصل، أو: عماد، والوارثين: خبر كنا، وسيأتي مزيد من هذا المعنى في باب البلاغة.

﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنَّذِلُ عَنْهُمْ آيَاتِنَا﴾
 كلام مستأنف مسوق لبيان عادة الله تعالى في عباده، وما: نافية، وكان ربك: كان، واسمها، ومهلك القرى: خبرها، وحتى: حرف تعليل وجرا،
 وبيعث: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى، والفاعل:
 مستتر يعود على الله، وفي أنها: متعلقان ببيعث، ورسولاً: مفعول به، وجملة
 يتلو: صفة لرسولاً، وعليهم: متعلقان يتلو، وآياتنا: مفعول به، والمراد
 بأمها: أعظمها، والتعيم هنا خير من تخصيصها بمكة. ﴿وَمَا كُنَّا نَمُهْلِكِي
 الْقُرَى إِلَّا وَاهْلَهَا ظَالِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان،
 واسمها، ومهلكي القرى: خبرها، وإلا: أداة حصر، والواو: حالية،
 وأهلها: مبتدأ، وظالمون: خبر، والجملة: حالية، فالاستثناء من أعم
 الأحوال، أي: وما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم
 ظالمين. ﴿وَمَا أُوتِنَّمِنْ شَيْءٍ فَمَنَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا﴾ الواو: عاطفة، أو:

استئنافية، وما: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وأوتitem: فعل ماض مبني لل مجرور، وهو في محل جزم فعل الشرط، والتاء: نائب فاعل، ومن شيء: حال مبينة لمن، والفاء: رابطة للجواب، ومفاع: خبر لمبتدأ مذوف، والحياة مضارف إليه، والدنيا: صفة، وزينتها: عطف على مفاع، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، والفعل والجواب: خبر ما. «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَّأَقْرَبُ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ» الواو: حالية، وما: اسم موصول مبتدأ، وعند الله: ظرف متعلق مذوف صلة للموصول، وخير: خبر، وأبقى: عطف على خير، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على مذوف يقتضيه السياق، ولا: نافية، وتعقولون: فعل مضارع مرفوع وفاعل.

□ البلاغة:

الإسناد المجازي:

في قوله «حَرَمًا إِمَّا نَّا» إسناد مجازي؛ لأنَّ المراد أهل الحرم، وقد تقدم بحثه كثيراً ومثله: «وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبَةِ» المراد أهلها، بدليل قوله فيما بعد: «فَيَلِكَ مَسَيْكُوكُهُمْ لَمْ يُشْكِنُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا» أي: لقد زهوا بها حيناً من الدهر، وغرتهم الأمانى، وأبطرتهم النعمة، وكان ديدنهم ديدن المترفين الرافلين في حلال السعادة، فما عتموا أن فنوا، وطوطهم الأيام، وبقيت آثارهم شواخص، أطلالاً باهته، ورسوماً محيلة، تهزأ بهم، وتدل الآخرين على أفن رأيهم وطيش أحلامهم. وقد رمَّ المتنبي سماء هذه البلاغة العالية في قصيدةه الخالدة التي رشى بها أبا شجاع فاتكاً فقال بيته المشهور:

تختلفُ الآثارُ عن أصحابها حيناً ويذرُّها الفناءُ فتبني

يريد: أنَّ الآثار، وهي البناء، تبقى بعد أصحابها؛ لتدل على تمكّنهم، وقوتهم، وسطوتهم، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء، وأنَّ الخراب سيذرُّها، فتذهب الآثار كما ذهب المؤثرون لها، وهذه هي عادة الدنيا بأهلها، وهذا هو المعهود من تصاريفها، ويحسن لنا أن نورد لك نخبة مختارة من هذه القصيدة جرياً على شرطنا في هذا الكتاب:

الحزنُ يقلُّ والتَّجْمُلُ يرددُ
والسَّدَمُ بِنَهَا عَصِيٌّ طَبَعُ
يَتَنَازَعُانِ دَمْوَعَ عَيْدٍ مَسَهَّدٍ
هَذَا يَجْيِيُّهَا وَهَذَا يَرْجِعُ
النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شَجَاعِ نَافِرٍ
وَاللَّيلُ مَعِي وَالْكَوَاكِبُ ظَلَّعُ

قال ابن جني «لو كان الليل والكواكب ما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته» وقال الخطيب: «إنما أراد: أن الليل طويل لفقده فالليل معى والكواكب ظلع ما تسير» وقال الواحدي «النوم بعده لا يألف العين، فلا تنام حزناً عليه، والليل من طوله كأنه قد أعيا عن المشي، فانقطع ، والكواكب كأنها ظالعة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب، كل هذا يصف به ليه بعده من الحزن عليه» وقال الواحدي: «وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٤٣٥ هـ».

ومضى أبو الطيب يقول:

إِنِّي لِأَجْبُنُ عَنْ فَرَاقِ أَحَبَّيِ
وَتَحْسُّنِ نَفْسِي بِالْحَمَامِ فَأشْجَعُ
وَيُزِيدُنِي غَضْبُ الْأَعْادِي قَسْوَةً
وَيُلْمِنِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
تَصْفُو الْحَيَاةُ بِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُوقَعُ
وَلِنْ يَغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
وَيُسُونُهَا طَلْبُ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنِيَانِهِ
مَا قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَا الْمَصْرَعُ؟
تَخْلُفُ الْآثَارُ . . . الْبَيْتُ .

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَقِيهٌ كَمَنْ مَنَعَنَهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَئِنَّ شَرِكَاءِ الدِّينِ كُثُرٌ تَرْعَمُونَ ﴿٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَوْلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَّتْنَا بَرَّاً إِلَيْكُمْ مَا كَانُوا إِيمَاناً يَعْبُدُونَ ﴿٣﴾ وَقَيلَ اذْعُوا شَرِكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوْهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْأَنَّهُمْ كَانُوا يَهْدُونَ ﴿٤﴾

○ الإعراب:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنَا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَعَنَّهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكارى، والفاء: عاطفة لترتيب إنكار التساوى بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين الجانبين، ومن: اسم موصول مبتدأ، وجملة وعدناه: صلة، وكمن: خبرها، ووعدناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، ووعداً: مفعول مطلق، وحسناً: صفة، والفاء: عاطفة، وهو: مبتدأ، ولاقيه: خبر، والكاف: اسم معنى مثل خبر، أو: جار و مجرور في موضع الخبر، وجملة معناه: صلة من، ومتاع الحياة الدنيا: مفعول مطلق، وثم: حرف عطف، وهو: مبتدأ، ويوم القيمة: ظرف متعلق بالمحضرىن، ومن المحضرىن: خبر هو، وللزخشري كلام مفيد في تحليل هذه الآية من الناحية الإعرابية نورده فيما يلى:

«إإن قلت: فسر لي الفاعلين، وثم، وأخبرني عن مواقعها. قلت: قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا، وما عند الله، وتفاوتهما، ثم عقبه بقوله: أفمن وعدناه على معنى: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا، فهذا معنى الفاء الأولى، وبيان موقعها، وأما الثانية: فاللتسييب؛ لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير، وأما ثم: فلتراخي حال الإحضار عن حال التمييز لا لتراخي وقته عن وقتها».

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَئِنَّ شَرِكَاءِ الدِّينِ كُثُرٌ تَرْعَمُونَ﴾ الظرف: متعلق بفعل مخدوف، تقديره: اذكر، والكلام مستأنف، وجملة يناديهم مجرورة

إِضَافَةُ الظَّرْفِ إِلَيْهَا، وَالْفَاعِلُ: مُسْتَرٌ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ، يَعُودُ عَلَى اللَّهِ، وَالْهَاءُ: مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْمُقْصِدُ مِنْ هَذَا النَّدَاءِ: التَّوْبِيخُ، وَالتَّقْرِيبُ. فَيَقُولُ: عَطْفٌ عَلَى يَنْادِيهِمْ. وَأَيْنِ: اسْمٌ اسْتِفَاهٌ فِي مُحْلٍ نَصْبٍ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَبْرٌ مُقْدَمٌ، وَشَرْكَائِيٌّ: مُبْتَدَأٌ مَؤْخَرٌ، وَالَّذِينَ: صَفَةٌ لشَرْكَائِيٍّ، وَجَمْلَةٌ كُنْتُمْ: صَلَةُ الَّذِينَ، وَكَانَ، وَاسْمَهَا، وَجَمْلَةٌ تَزَعَّمُونَ: خَبْرُهَا، وَمَفْعُولًا تَزَعَّمُونَ: مَحْذُوفَانِ، تَقْدِيرُهُمَا: تَزَعَّمُوهُمْ شَرْكَائِيٌّ، وَسِيَّئَيُّ فِي بَابِ الْفَوَاتِدِ ذَكْرٌ حَذْفٌ مَفْعُولِيٌّ ظَنِّتُ وَأَخْوَاهُنَّا. وَجَمْلَةُ أَيْنِ شَرْكَائِيٌّ: مَقْولُ الْقَوْلِ.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَتَّوْلَاءُ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا أَغْوَيْنَا﴾ كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة حق عليهم: صلة، والقول: فاعل، وربنا: منادي مضارف محذوف منه حرف النداء، وهؤلاء: مبتدأ، والذين: صفة لهؤلاء، وجملة أغويينا: صلة، وجملة أغويتهم: خبر هؤلاء، وكما أغويانا: نعت لمصدر محذوف؛ أي: أغويتهم فغورو غيًّا مثل ما أغويانا، وقد جرينا في هذا الإعراب على ما أعربه الزمخشري، وأبو حيان.

﴿تَبَرَّأَنَا إِلَيْكُمْ مَا كَانُوا إِيمَانًا يَعْبُدُونَ﴾ الجملة مفسرة مقررة لما قبلها، وتبرأنا: فعل ماض، وفاعل، وإليك: متعلقان بتبرأنا، وما: نافية، وكان، واسمها، وإيماناً: مفعول مقدم ليعدون، وجملة يعبدون: خبر كانوا. وأجاز أبو البقاء أن تكون ما مصدرية، والمصدر منصوب بنزع الخاضض؛ أي: مما كانوا يعبدون؛ أي: من عبادتهم إيماناً، ولا أرى داعياً لهذا التكلف؛ لأن المعنى: ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم، ويسترسلون مع شهواتهم. ﴿وَقَيْلَ أَدْعُوا شَرْكَاءَ كُلَّهُ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُمْ﴾ الواو: عاطفة، وقيل: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مُسْتَرٌ، تَقْدِيرُهُ: هَذَا الْقَوْلُ تَهْكِمًا بِهِمْ، وَتَبَكِيَّتَا لَهُمْ، وَادْعَوْهُمْ: فعل أمر، وفاعلهم، وشركاء لهم: مفعول به، فدعوههم: الفاء: عاطفة، ودعوههم: فعل ماض، وفاعل،

ومفعول به، والفاء: عاطفة، ويستجيبوا: فعل مضارع مجزوم بـلم، والواو: فاعل، ولهم: متعلقان بيستجيبوا. ﴿ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾
الواو: عاطفة، ورأوا العذاب: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ولو: شرطية، وإنّ، وما بعدها: فاعل لفعل ممحض؛ أي: لو ثبت كونهم مهتدين في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، وإنّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان واسمها، وجملة يهتدون: خبرها.

الفوائد:

يجوز بإجماع النحاة حذف مفعولي ظنت وأخواتها من أفعال القلوب اختصاراً للدليل يدل عليهما، نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزَعَّمُونَ﴾ وقول الكميٰ يمدح آل البيت:

بأيّ كتابٍ أُمِّ بِأَيْةٍ سَتَّةٍ ترى حُبَّهُم عاراً علىٰ وتحسبُ
فحذف في الآية مفعولاً تزعمون، وفي البيت مفعولاً تحسب لدليل
ما قبلهما عليهما؛ أي: تزعمونهم شرقاء، وتحسب حبّهم عاراً علىٰ، وأما
حذف أحدهما اختصاراً لدليل: فقد أحجازه الجمهور، كقوله تعالى: ﴿وَلَا
يَحْسِنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سُرُّ لَهُمْ﴾
تقديره: ولا يحسّن الذين يبخّلون ما يبخّلون به هو خيراً لهم؛ فحذف
المفعول الأول للدلالة عليه، وكقول عنترة:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم
تقديره: فلا تظني غيره مني واقعاً، فحذف المفعول الثاني، والتاء في
نزلت مكسورة، والخاء والراء من المحب المكرم مفتوحتان.

وفي الباب الخامس من «المغني» بيان أنه قد يظن الشيء من باب الحذف وليس منه؛ جرت عادة التحويين أن يقولوا: يحذف المفعول اختصاراً، واقتصاراً، ويريدون بالاختصار: الحذف لدليل ، وبالاقتصار: الحذف لغير دليل . ويمثلونه بنحو: ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا﴾ أي: أوقعوا هذين الفعلين ، وقول العرب فيما يتعدى إلى اثنين: من يسمع يخل ؟ أي: تكن منه خيلة . والتحقيق

أن يقال: إنه تارةً يتعلّق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل، من غير تعين من أوقعه، أو من أوقع عليه، فيجاء بمصدره مستنداً إلى فعل كون عام، فيقال: حصل حريق أو نهب. وتارةً يتعلّق بالإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليهمَا، ولا يذكر المفعول، ولا ينوي؛ إذ المنويُ كالثابت، ولا يسمى مذوقاً؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد بمنزلة ما لا مفعول له، ومنه: ﴿رَبِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمْيِتُ﴾ و﴿هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَكُلُّوا وَشَرُّوا وَلَا شُرُفُوا﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ إِذ المعنى: ربِّي الذي يفعل الإحياء والإماتة. وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن يتغنى عنه العلم. وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف. وإذا حصلت منك رؤية هنالك. ومنه على الأصح: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ...﴾ الآية، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما؛ إذ كانتا على صفة الذياد، وقومهما على السقي، لا لكون مذودهما غنماً، ومسقיהם إبلًا، وكذلك المقصود من قولهما: ﴿لَا نَسْقِي﴾ لا المscopic، ومن لم يتأمل قدر: يسوقون إبلهم، وتذودان غنمهما، ولا نسي غنماً. وتارةً يقصد إسناد الفعل إلى فاعله، وتعليقه بمفعوله، فيذكران نحو: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَو﴾، ﴿وَلَا تَنْقِرُوا الرِّفَعَ﴾ وقولك: ما أحسن زيداً. وهذا النوع إذا لم يذكر مفعوله قيل: مذوف، نحو: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ﴾ وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره، نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ ﴿وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ و:

حَمَيْتَ حِمَىٰ تِهَامَةَ بَعْدَ تَجْدِيٍّ
وَمَا شَيْءَ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحٍ

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَثُ الْمُرْسَلِينَ﴾^{١٦} فَعَمِيتَ عَلَيْهِمْ الْأَبْيَاءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^{١٧} فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَدِيقًا فَعَسَى أَنْ
يَكُوَّنَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾^{١٨} وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ
الْغَيْرُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكَلَّ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^{١٩} وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكِنُ صُدُورُهُمْ

وَمَا يُعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ إِلَّا هُوَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ
الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتْهُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ كلام معطوف على ما قبله، فقد سئلوا أولاً عن إشراكم، وسئلوا ثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهواهم عن ذلك، فيقول: عطف على يناديهم، وماذا: اسم استفهام بكمالها في محل نصب مفعول مطلق، لا مفعول به؛ لأن أجباب لا يتعدى إلى الثاني بنفسه بل بباء، وإسقاط الجار ليس بقياس، والمعنى: أجبتموهم أي إجابة، والمرسلين: مفعول به لأجبتم. ﴿ فَعَمِيتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا
يَسْأَلُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وعميت عليهم الأنباء: فعل، وفاعل، وسيأتي بحث إسناد العمى للأنباء في باب البلاغة، ويومئذ: ظرف أضيق إلى مثله، والتثنين في يومئذ: عوض عن جملة، أي: يوم إذ نودوا؛ وقيل لهم: ماذا أجبتم المرسلين، فهم: الفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا يتساءلون: خبر. ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَأَمَّا وَعَمِلَ صَدِيقًا فَسَعَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين بعد بيان حال الكافرين، وأما: حرف شرط وتفصيل، ومن: اسم موصول مبتدأ، وجملة تاب: صلة، وعمل صالحًا: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، أو مفعول مطلق، أي: عمل عملاً صالحًا، والفاء: رابطة، وعسى: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء التي تعمل عمل كان، واسمها: مستتر، تقديره: هو، وأن وما في حيزها: خبرها، والرجاء من الكرام بمثابة التحقيق، أو يكون الرجاء على بابه، ولكن من قبل التائب، ومن المفلحين: خبر يكون. ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ الواو: استثنافية، وربك مبتدأ، وجملة يخلق: خبر، وما: مفعول به، ويشاء: صلة، ويختار: عطف على يخلق، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولهم: خبرها المقدم، والخيرية: اسمها المؤخر، والجملة مفسرة لأنها مقررة لما قبلها، ويجوز

أن تكون مستأنفة، وقيل: إنَّ ما: مصدرية، أي: مختار اختيارهم، والمصدر: واقع موقع المفعول، أي: مختارهم، وقيل: إنَّ ما: موصولة بمعنى الذي، والعائد: مذدوف، أي: ما كان لهم الخيرة فيه، وقيل أيضاً: إنْ كان: تامة، وجملة لهم الخيرة: كلام مستأنف، وسبحان الله: مفعول مطلق لفعل مذدوف، وتعالى: فعل ماض، وفاعله: هو، وعما: متعلقان بتعالى، وجملة يشركون: صلة.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴾ الواو: عاطفة، ورب: مبتدأ، وجملة يعلم: خبر، وما: مفعول به، وتكن: صلة، وصدورهم: فاعل، وما: عطف على ما الأولى، وجملة يعلون: صلة. ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وهو: مبتدأ، والله: خبر، وجملة لا إِلَهَ إِلَّا هو خبر ثان، وقد تقدم إعراب كلمة التوحيد والاختلاف فيها، وله: خبر مقدم، والحمد: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر ثالث، وفي الأولى: حال، والآخرة: عطف على الأولى، وإليه: متعلقان بترجمون، وترجون: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو: نائب فاعل.

□ البلاغة:

١ - إسناد العمى إلى الأنبياء مجاز عقلي، وقد تقدم كثيراً، والمراد: أن الأنبياء صارت كالعمى لا تهتدي إليهم، وقيل: إِنَّه من باب القلب، وإن أصله: فعموا عن الأنبياء، والقلب - كما تقدم - من محسنات الكلام.

٢ - الإدماج:

في قوله: ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ ﴾ الإدماج، وحده: أن يدمج المتكلم إما غرضاً في غرض، أو بدرياً في بديع؛ بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين، والأخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام، فإن هذه الآية أدمجت فيها المبالغة في المطابقة؛ لأن انفراده سبحانه

بالحمد في الآخرة، وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في وصف ذاته بالانفراد، والحمد، وهذه وإن خرج الكلام فيهما مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيها حقيقة في الباطن؛ لأنه أولى بالحمد في الدارين، ورب الحمد، والشكرا، والثناء الحسن في محلين حقيقة، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد في الدنيا مجازاً، وحقيقة حمده راجعة إلى ولی الحمد سبحانه.

﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَثْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضَيَّعَةً أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ٧١ ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾ ٧٢ ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْغُوُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعِلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٣ ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَئِنَ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كُفِّرُوكُمْ تَزَعَّمُونَ ﴾ ٧٤ ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاوْنًا بِرَهْنَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ٧٥ ﴾

☆ اللغة:

﴿ سَرْمَدًا ﴾ : السرمد: الدائم المتصل، وقد اختلف العلماء في اشتقاده، فقيل: هو من السرد، وهو المتابعة، والميم مزيدة، وزنه: فعل، كما في: دلامص من الدلاص، يقال: درع دلاص، أي: ملساء متينة، وهذا ما رجحه الرمخشي وغيره، واختار صاحب «القاموس» وبعض النحاة: أن الميم أصلية، وزنه: فعل؛ لأن الميم لا تنقس زيادتها في الوسط والآخر.

○ الإعراب:

﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَثْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ الهمزة: للاستفهام، ورأيتم: فعل، وفاعل، أي: أخبروني، وإن: شرطية، وجعل الله عليكم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والله: فاعل، وعليكم:

حال، والليل: مفعول جعل الأول، وسرمداً: مفعوله الثاني، وإلى يوم القيمة: صفة لسرمداً، وقد علقت أرأيت عن العمل بسبب الاستفهام، وجواب الشرط: مخدوف، يقدر بما يقتضيه السياق، وتقديره: فأخبروني. ﴿مَنِ إِلَّا اللَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضَيَّعَةً أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ الجملة الاستفهامية: في محل نصب مفعول أرأيت، ومن: اسم استفهام مبتدأ، وإله: خبر، وغير الله: صفة إله، وجملة يأتيكم: صفة ثانية لإله، وبضياع: جار وجرور متعلقان ب يأتيكم، أفلأ: الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبخي، والفاء: عاطفة على مخدوف مقدر، ولا: نافية، وتسمعون: فعل مضارع، والواو فاعل. ﴿فَقُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الظَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنِ إِلَّا اللَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾ تقدم إعرابها. ﴿وَمَنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَالَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من رحمته: خبر مقدم، وجعل لكم: مؤول بمصدر بتقدير أن: مبتدأ مؤخر، وهو كثير في كلامهم، ومنه المثل: تسمع بالمعيد خير من أن تراه. وجعل: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ولكم: مفعول جعل الثاني، والليل: مفعول جعل الأول، والنهار: عطف على الليل، وزواوج بينهما لنكتة سيرد تفصيلها في باب البلاغة، ولتسكنوا: اللام: للتعليل، وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو: فاعل، وفيه: متعلقان بتسكنوا، ولتبتوا من فضله: عطف على لتسكنوا، ولعلكم: لعل، واسمها، وجملة تشكون: خبرها. ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾ تقدم إعرابها بلفظها قريباً، فجدد به عهداً. ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَا تُؤْتَوْ بِرْهَنَنَّكُمْ﴾ الواو: عاطفة، ليتساق الكلام، ونزعنا: فعل، وفاعل، أي: أخرجنا، ومن كل أمة: متعلقان بنزعنا، وشهيداً: مفعول به، فقلنا: عطف على نزعنا، وجملة هاتوا: مقول القول، وهاتوا: فعل أمر، وفاعل، وبرهانكم: مفعول به. ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وعلموا: فعل ماض، وفاعل، وأن ما في حيزها: سدت مسد مفعولي علموا، وأن، واسمها، والله: خبرها، وضل:

فعل ماض ، وعنهـم : متعلـقـان بـضـلـ ، وـما : فـاعـلـ ، وجـملـةـ كـانـواـ : صـلـةـ ، وـكـانـ ، وـاسـمـهـاـ ، وجـملـةـ يـفـتـرـونـ : خـبـرـهاـ .

□ البلاغة :

١- المناسبة :

في قوله : « قُلْ أَرَى إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْأَيْلَ سَرَمَدًا » إلى قوله « أَفَلَا تُبَصِّرُونَ » فـنـ الـمـنـاسـبـةـ وـهـيـ ضـرـبـانـ : منـاسـبـةـ فيـ الـمـعـانـيـ ، وـمـنـاسـبـةـ فيـ الـأـلـفـاظـ ، فـالـمـعـنـوـيـةـ : هـيـ أـنـ يـتـدـىـءـ الـمـتـكـلـ بـمـعـنـىـ ، ثـمـ يـتـمـ كـلـامـهـ بـمـاـ يـنـاسـبـهـ مـعـنـىـ دـوـنـ لـفـظـ ، فـإـنـهـ سـبـحـانـهـ لـمـ أـسـنـدـ جـعـلـ الـلـلـيـلـ سـرـمـدـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـنـفـسـهـ ، وـهـوـ الـقـادـرـ الـذـيـ جـعـلـ الشـيـءـ لـاـ يـقـدـرـ غـيرـهـ عـلـىـ مـضـادـتـهـ قـالـ : « أَفَلَا سـمـعـوـنـ » لـمـنـاسـبـةـ السـمـاعـ لـلـطـرـفـ الـمـظـلـمـ مـنـ جـهـةـ صـلـاحـيـةـ الـلـلـيـلـ لـلـسـمـاعـ دـوـنـ الـإـبـصـارـ ، لـعـدـ نـفـوـذـ الـبـصـرـ فـيـ الـظـلـمـةـ ، وـلـمـ أـسـنـدـ جـعـلـ النـهـارـ سـرـمـدـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـنـفـسـهـ ؛ كـأـنـ لـمـ يـخـلـقـ فـيـ لـيـلـ الـبـتـةـ قـالـ فـيـ فـاصـلـةـ هـذـهـ الـآـيـةـ : « أَفَلَا تُبَصِّرُونَ » لـمـنـاسـبـةـ ماـ بـيـنـ النـهـارـ وـالـإـبـصـارـ .

أما المناسبة اللفظية : فـسـيـأـيـ حـدـيـثـهـاـ فـيـ هـذـهـ الـكـتـابـ .

٢- الـلـفـ وـالـنـشـرـ :

الـلـفـ وـالـنـشـرـ فـيـ قـولـهـ : « وـمـنـ رـحـمـتـهـ جـعـلـ لـكـمـ الـأـيـلـ وـالـنـهـارـ لـتـسـكـنـوـ فـيـ وـلـتـبـتـغـوـ مـنـ فـضـلـهـ وـلـعـلـكـمـ تـشـكـرـوـنـ » وـقـدـ تـقـدـمـ بـحـثـ هـذـاـ الـفـنـ ، وـذـكـرـنـاـ : أـنـهـ عـبـارـةـ عـنـ ذـكـرـ مـتـعـدـ عـلـىـ وـجـهـ التـفـصـيلـ أـوـ الإـجـالـ ، ثـمـ ذـكـرـ مـاـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـ الـمـتـعـدـ مـنـ غـيرـ تـعـيـنـ ، ثـقـةـ بـأـنـ السـامـعـ يـمـيـزـ مـاـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـ ، وـيـرـدـهـ إـلـىـ مـاـ هـوـ لـهـ ، فـقـدـ زـاـوـجـ بـيـنـ الـلـلـيـلـ وـالـنـهـارـ لـأـغـرـاضـ ثـلـاثـةـ أـوـلـهـاـ : لـتـسـكـنـوـ فـيـ أـحـدـهـمـاـ ، وـهـوـ الـلـلـيـلـ ، وـلـتـبـتـغـوـ مـنـ فـضـلـهـ فـيـ ثـانـيـهـمـاـ ، وـهـوـ الـنـهـارـ ، وـلـإـرـادـةـ شـكـرـكـمـ ، وـهـذـاـ مـنـ أـطـرـفـ مـاـ يـتـفـنـ بـهـ الـمـتـكـلـ نـشـرـاـ أـوـ شـعـرـاـ .

٣- صـحـةـ الـمـقـابـلـاتـ :

وـفـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ أـيـضاـ فـنـ عـرـفـوـهـ بـأـنـهـ صـحـةـ الـمـقـابـلـاتـ ، وـهـوـ عـبـارـةـ عـنـ توـخيـ

المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي ، فإذا أتى في صدره بأشياء قابلها في عجزه بأضدادها ، أو بأغيارها ، من المخالف والموافق على الترتيب ، بحيث يقابل الأول بالأول ، والثاني بالثاني ، ولا ينحرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ، ومتي أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ، وهذه الآية من معجز هذا الباب ، فقد جاء الليل والنهار في صدر الكلام ، وهما ضدان ، وجاء السكون والحركة في عجزه ، وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وعبر سبحانه عن الحركة بلفظ الإرداد ، فاستلزم الكلام ضرباً من المحسن زائداً على المقابلة ، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتعاد الفضل : كون الحركة تكون لصلحة ولفسدة ، وابتعاد الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهي اشتراك الإعانة بالقوة ، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحسن ، ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ؛ ليهتمي المتحرك إلى بلوغ المأرب ، ووجوه المصالح ، ويتقي أسباب المعاطب ، والآية سبقت للاعتماد بالنعم ، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردهه وتابعه ؛ ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح ؛ التي لو عدلت بالفاظها الموضوعة لها لااحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة فحصل بهذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحسن ، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان حيث قال : ﴿لَسَكُونًا﴾ و﴿وَلَتَبَغُوا﴾ بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلمات المقابلة ، والتعليق ، والإشارة ، والإرداد ، والإئتلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان لمجيء الكلام فيها متلاحماً ، آخذة عنان بعضه بأعنان بعضه ، ثم أخبر بالخبر الصادق : أنَّ جميع ما عدده من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداد بعض رحمته ، حيث قال بحرف التبعيض : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة ، فاللحظُ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المظاهرة .

٤ - التفسير :

وفي قوله : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْثُغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾ فن التفسير وهو أن تذكر أشياء، ثم تفسرها بما يناسبها، ومنه قول ابن حيوس :

ومقرطق يعني النديم بوجهه عن كأسه الملاي وعن إبريقه فعل المدام ولو أنها ومذاقتها في مقلتيه وجنتيه وريقه

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَيْنَدْهُ مِنَ الْكُوُنْ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَنَسْوَا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْفَوْةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿١﴾ وَأَتَيْتُهُ فِيمَا أَتَتْكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحَسِنْ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِسْتُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْمَ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقَرْوَنَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ فَوَّهَ وَأَكَبَرَ جَمِيعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٣﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَنْأَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِقَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَّكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا وَلَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الْأَصْحَارُونَ ﴿٥﴾ فَفَسَفَّتَا يَهُ وَيَدَاهُ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتَّةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٦﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُوا اللَّهَ يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنَّ مَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لِخَسْفِ بِنَا وَيَكَانُوا لَا يُفْلِحُ الْكُفَّارُونَ ﴿٧﴾

☆ الْفَخْتَةُ :

﴿ لَنَسْوَا بِالْعُصْبَةِ ﴾ أي : تنوع بها العصبة أن تتکلف النهوض بها ، وسيأتي

مزيد عن القلب في هذا التعبير في باب البلاغة، يقال: ناء، ينوء، نوعاً وتنوأ: نهض بجهد ومشقة، وناء به الحمل: أثقله، وأماله، وناء النجم: سقط في المغرب مع الفجر، وطلع آخر يقابلها من ساعته في المشرق، وفي «المصباح»: «وناء، ينوء، نوعاً، مهموز»، من باب قال: نهض» وفي «القاموس»: ناء بالحمل: نهض متناقلأً، وناء به الحمل: أثقله، وأماله، كأناءه، وناء فلان: أثقل، فسقط، ضد.

(المفاتيح): جمع مفتاح، وكان حقه أن يجمع على مفاتيح، ولكن هذه الياء قد تُحذف، كما أنهم قد يجتربون ياء في الجمع الذي لا ياء فيه، وقيل: إن مفاتحه: جمع مفتح، فلا حذف فيه.

○ الـأـعـرـاب:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر قصة قارون، وما تنتوي عليه من عذات وعبر، وإن: حرف مشبه بالفعل، وقارون: اسمها، وهو علم أعجمي، مثل: هارون، ولم ينصرف للعلمية والعجمة، ولو كان فاعولاً من: قرن، لانصرف، وستأتي قصته قريباً؛ وجملة كان: خبر إن، واسم كان: مستتر، يعود على قارون، ومن قوم موسى: خبر كان، أي: ابن عمه، أو ابن خالته، وأمن به، كما سيأتي. ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاسِخَهُ لَنَتوَأُ بِالْمُصْبَكَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ﴾ الفاء: عاطفة، وبغي: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود على قارون، وعليهم: متعلقان ببغي، وآتيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ومن الكنوز: متعلقان بآتيناه، وما: اسم موصول مفعول به ثان لآتيناه، وإن، حرف مشبه بالفعل، ومفاتحه: اسم إن، ولتنوء: اللام: المزحلقة، وتنوء: فعل مضارع، وفاعله: مستتر تقديره هي، يعود على المفاتيح، جمع: مفتح بالكسر، وهو ما يفتح به، والجملة: خبر إن، وجملة إن مفاتحه لتنوء بالعصبة: لا محل لها؛ لأنها صلة، وبالعصبة: متعلقان بتنوء، وأولي القوة: صفة للعصبة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الظرف: متعلق بتنوء، وقيل: باذكر مضمراً، وقال أبو البقاء:

«طرف لأتيناه، ويجوز أن يكون ظرفًا لفعل ممحض، دل عليه الكلام، أي: بمعنى إذ قال له قومه» وجملة قال: في محل جر بإضافة الطرف إليها، وله متعلقان بقال، وقومه: فاعل، وجملة لا تفرح: مقول القول، ولا: نافية، وتفرح: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعل تفرح: مستتر، تقديره: أنت، وجملة إن الله: تعليل للنفي، وسيأتي سر هذا التعليل في باب البلاغة، وإن، واسمها، وجملة لا يحب الفرحين: خبرها.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَيْكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ الواء: عاطفة، وابتغ: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وفي: حرف جر، وما: مصدرية، أو موصولة، والجار والجرور: متعلقان بممحض حال، أي: متقلباً فيما آتاك، ومعنى «في» هنا: السببية، وجملة آتاك الله: لا محل لها، وآتاك الله: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والدار: مفعول ابتغ، والأخرة: صفة للدار، ولا تنس: لا: نافية، وتنس: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ونصيبك: مفعول به، ومن الدنيا: متعلقان بممحض على أنه حال، والنصيب: ما يكفيك، ويسد حاجتك، ويصلح أمورك، وسيأتي مزيد بحث من النصيب، والمراد منه في باب البلاغة. ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ الواء: عاطفة، وأحسن: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وكما: نعت مصدر ممحض، أي: إحساناً مثل الإحسان الذي أحسن الله به إليك، وإليك: متعلقان بأحسن، ولا تبغ الفساد: عطف على ما تقدم، وفي الأرض: متعلقان بالفساد، أو بتبغ، وجملة إن الله: تعليل للنفي المتقدم، وإن، واسمها، وجملة لا يحب المفسدين: خبرها. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِنُّهُ عَلَى عِلْمٍ عَنِّي﴾ استئناف مسوق للإجابة عن قولهم: إن ما عندك تفضل وإنعام من الله، فأتفق منه شكرًا لمن أنعم به عليك. وإنما: كافة ومكافقة، وأوتته: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: نائب فاعل، والهاء: مفعول به ثان،

وعلى علم: في موضع الحال من نائب الفاعل في أُوتِيَتِه، وعندي: ظرف متعلق بمحذوف صفة لعلم، أي: إنما أُوتِيَتِه حال كوني متصفًا بالعلم الذي عندي . قالوا: لم يكن فيبني إسرائيل أعلم منه بالتوراة بعد موسى وهارون . ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَكَ اللَّهُ فَدَ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعًا﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكري ، والواو عاطفة على مقدر دخلت عليه الهمزة؛ أي: أعلم ما ادعاه أو لم يعلم ، ولم: حرف نفي ، وقلب ، وجزم ، ويعلم: فعل مضارع مجزوم بلم ، وفاعله ضمير مستتر ، تقديره: هو ، يعود على قارون ، وأنّ ، وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم ، وأنّ ، واسمها ، وجملة قد أهلك : خبرها ، وفاعل أهلك : ضمير مستتر ، تقديره: هو ، يعود على الله ، ومن قبله: متعلقان بأهلك ، ومن القرون: حال من ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ﴾ مقدمة عليه ، ومن: اسم موصول مفعول به لأهلك ، وهو: مبتدأ ، وأشد: خبر ، والجملة: صلة الموصول ، وقوية: تمييز ، ومنه: متعلقان بأشد ، وأكثر جمِيعًا: عطف على ﴿أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ .

﴿وَلَا يُسْتَأْلَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الواو: عاطفة ، لترتبط الجملة بما قبلها على سبيل التهديد والوعيد؛ أي: إن الله مطلع على ذنوب المجرمين ، لا يحتاج إلى سؤال عنها ، ولا: نافية ، ويسأل: فعل مضارع مبني للمجهول ، وعن ذنوبهم: متعلقان بيسأل ، وال مجرمون: نائب فاعل . ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ الفاء: عاطفة على ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتِهِ عَلَى عِلْمٍ﴾ وما بينهما اعتراف ، وعلى قومه: متعلقان بخرج ، وفي زينته: متعلقان بمحذوف حال ، أي: متبعترًا في زينته ، متقلباً في تعاجيبه ، وسيأتي وصف مسهب للزينة التي خرج حالياً بها . ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَدَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُورِكَ قَدْرُونَ إِنَّمَا لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ الجملة مستأنفة ، مسوقة لبيان الشعور الذي خالج المؤمنين والكافرين على السواء؛ عندما رأوا هذا النعيم المتدقق ، والرواء العجيب جرياً على ديدن البشر من تمني المناعم . وقال الذين: فعل وفاعل ، وجملة يريدون: صلة ، والحياة: مفعول به ، والدنيا: صفة للحياة ، ويا: حرف نداء ، والمنادى محذوف ، وليت: حرف تمن ونصب ، ولنا: خبرها ، ومثل:

اسمها المؤخر، وما: اسم موصول مضارف إليه، وجملة أoptic: صلة، وهو فعل ماض مبني للمجهول، وقارون: نائب فاعل، وهذا التمني على سبيل الغبطة، وهي أن يتمنى الإنسان مثل نعمة صاحبه من غير أن يتمنى زوالها منه، أما الحسد: فهي تمني النعمة التي يتمتع بها المحسود وزوالها عنه. وفي الحديث: «قيل لرسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ فقال: لا إلا كما يضر العضة الخبط» والعضة: كل شجر يعظم فيه شوك، والخبط: ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها. وإن، واسمها، واللام: المزحلقة، ذو حظ: خبرها: وعظيم: صفة لحظ. والحظ: البخت، والجَدُّ، يقال: رجل مبخوت، ومجدد، كما يقال: فلان ذو حظ، وحظوظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاط قسمت وجدد.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَّكُمْ﴾ وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة أتوا العلم: صلة، وويلكم: مفعول لفعل مذدوف على سبيل الردع، أي: أزملكم الله ويلكم. ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَلِيلًا وَلَا يُلْفَهُمَا إِلَّا أَصْنِدِرُونَ﴾ ثواب الله: مبتداً، وخير: خبر، وملن: متعلقان بخير، وجملة آمن: صلة، وعمل صالحًا: عطف على آمن، والواو: عاطفة، ولا: نافية، ويلقاها: فعل مضارع مبني للمجهول، والهاء: مفعول به ثان، وإلا: أداة حصر، والصابرون: نائب فاعل مؤخر، وهو المفعول الأول، والضمير يعود على الإثابة، أو الأعمال الصالحة. ﴿فَخَسَفَنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ الفاء: هي الفصيحة، أي: إِن شئت أن تعلم مصيره، وما آل إلى أمره، وخسفنا: فعل وفاعل، وبه: متعلقان بخسفنا، وبداره: عطف على به، والأرض: مفعول به، والخسف له معان كثيرة، منها خسف المكان، يخسف، خسوفاً، من باب: ضرب، أي: ذهب في الأرض، وغرق، وخسف القمر: ذهب ضوءه، وخسفت العين: ذهب ضوءها، وغابت، وخسف في الأرض، وخسف به فيها: غاب، وفي حديث ابن عباس، وأبي هريرة بسنده ضعيف عن النبي ﷺ: «من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم، فهو

يتجلجل فيها، لا يبلغ قعرها» قال في «فتح الباري» : «إِنَّ مَقْتَضِيَ الْحَدِيثِ : أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ جَسْدَهُ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَلْغُزَ ، وَيُقَالُ لَنَا : كَافِرٌ لَا يَبْلُ جَسْدَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَهُوَ قَارُونَ» وفي «القاموس» : التجلجل: السوخ في الأرض، والتحرّك، والتضعضع، والجلجلة: التحريرك». ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَصْرُوْنَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصْرِّفِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماضٌ ناقصٌ، وله: خبرها المقدم، ومن: حرف جر زائد، وفته: مجرور لفظاً بمن، مرفوع محلاً على أنه اسم كان، وجملة ينصرونه: صفة لفته، أو هي خبر كان، وله: متعلقان بمحذوف حال، ويجوز أن تكون كان: تامة، وفته: فاعل كان، ومن دون الله: حال من فته، وما: نافية، وكان: فعل ماضٌ ناقصٌ، واسمها: مستتر، تقديره هو، يعود على قارون، ومن المتصرفين: خبر كان. ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ الواو: عاطفة، وأصبح: فعل ماضٌ ناقصٌ، والذين: اسمها، وجملة تمنوا: صلة، ومكانه: مفعول به، وبالأمس: متعلقان بتمنوا، وجملة يقولون: خبر أصبح، ويجوز أن تكون أصبح: تامة، والذين: هو الفاعل، وجملة يقولون: في محل نصب على أنها حال، أي: قائلين. ﴿وَتَحَكَّمَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ وي: فيه مذاهب، اختار منها واحداً، وسنورد الباقى في باب الفوائد، فهي اسم فعل مضارع معناه: أتعجب، والكاف حرف جر، وأنَّ: حرف مشبه بالفعل، وهي مع ما في حيزها في محل جر بالكاف، والجار والمجرور: متعلقان بوي، ومعنى الكاف هنا: التعليل، لا التشبيه، والله: اسمها، وجملة يبسط الرزق: خبر أنَّ، والرزق: مفعول به، ولمن: متعلقان بيسط، وجملة يشاء: صلة، ومن عباده: حال، ويقدر: عطف على يبسط. ﴿لَوْلَا أَنَّ مَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لولا: حرف امتناع لوجود، متضمن معنى الشرط، وأنَّ وما في حيزها: مصدر مؤول مرفوع بالابتداء، والخبر: محذوف وجوباً، ومن الله: فعل، وفاعل، وعلينا: متعلقان بمنَّ، واللام: واقعة في جواب لولا، وجملة خسف بنا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومفعول خسف: محذوف، أي: الأرض.

﴿وَتَكَانُ لَا يُفْلِحُ الْكُفَّارُونَ﴾ تقدم إعرابها، وسيأتي المزيد منه قريباً، وهو تأكيد لما قبله.

□ البلاغة:

١ - القلب:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتَهُ بِالْعُصْبَةِ﴾ في هذا التعبير فن القلب، وقد تقدم القول فيه، والأصل: لتنوء العصبة بالفاتحة، أي: لتهض بها بجهد، قال أبو عبيدة: هو كقولهم: عرضت الناقة على الحوض، وأصله: عرضت الحوض على الناقة، وقول حسان بن ثابت:

كَانَ سَيِّئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزاجَهَا عَسْلٌ وَمَاءٌ
عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمٌ غَضْنٌ مِنَ التَّفَاحِ هَصَرَهُ اجْتِنَاءُ

ويروى: كأنَّ سلافةً، والسلامة: أول ما يسيل من ماء العنبر. أما سيئة فمعناه: مشترأة، يقال: سبأ الخمر، كنصر: إذا اشتراها، ويروى أيضاً: خبيئة؛ أي: مصنونة في الخالية، وبيت رأس: قرية بالشام اشتهرت بجودة الخمر، وقد وقع بين صاحب «القاموس» وصاحب «الصحاح» خلاف بين سيئة، فقال صاحب «القاموس»: وقد وهم الجوهرى وإنما سبى الخبر، سبأ، وسباء: حملها من بلد إلى بلد. ومزاجها: خبر يكون مع أنه معرفة، وعسل: اسمها مع أنه نكرة، وكانَ القياس العكس، فقلب الكلام، وتأوله الفارسي: بأن انتساب مزاجها على الظرفية المجازية، وروى برفع الكلمات الثلاث، على أن اسم كان: ضمير الشأن، وجملة يكون: صفة سيئة، وعلى أن يابها في البيت الثاني: خبر كأن المشدد، والمزاج ما يمزج به غيره، والمراد بالأنياب: الثغر كله، فهو مجاز، والغضن: الطري، الرطب، وهو صفة لموصوف مخدوف، أي: طعم عضن غضن، والهصر: عطف الغصن، وإمالته إليك من غير إبانة، لتجني ثمرة، والتهصير: مبالغة فيه، يروى: جناء بدل اجتناء، وهو الجنى بالقصر، ومدّه هنا ضرورة، وإسناده التهصير إلى الاجتناء مجاز عقلي، من باب الإسناد للسبب، شبهه ريقها بالخمر الجيدة

وطعمه بطعْم تفاح ميل غصنه الحاني ليجتنيه، إشارة إلى أنه مجنى الآن، لم يمض عليه شيء من الزمان، وتلوينها لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة، واللين، والثني.

هذا وقد قيل: إنه لا قلب في الآية وإنَّ الباء للتعدية كالهمزة، والأصل: لثناء المفاتيح العصبة الأقوياء، أي: تقلُّهم، وهو رأي صاحب «العمدة» أيضاً.

٢- المبالغة:

وذلك في وصف كنوز قارون، حيث ذكرها جمِعاً، وجمع المفاتيح أيضاً، وذكر النوع، والعصبة، وأولي القوة، قيل: كانت تحمل مفاتيح خزانة ستون بغلًا، لكل خزانة مفتاح، وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأغربها عند الحذاق، وهي: أن يتقصى جميع ما يدل على الكثرة وتعدد ما يتعلق بما يملكه، استمع إلى عمرو بن الأبيه التغلبي كيف أراد أن يصف قومه بالكرم، فلم يزل يتقصى ما يمكن أن يقدر عليه من صفات، فقال:

وَنَكْرِيمٌ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَتُتْسِعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ كَانَ

٣- بلاغة التعليل:

وفي قوله: ﴿إِذَا دَعَاهُ فَلَمْ يَرْجِعْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ حسن تعليل جميل بجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ لأن الفرح المحس في الدنيا من حيث أنها دنيا مذموم على الإطلاق، وأيُّ فرح بشيء زائل، وظلي حائل وقد رمق أبُر الطيب سماء هذه البلاغة بقوله البديع:

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي	فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا
كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي	صَرْوَفٌ لَمْ يُلْمِنْ عَلَيْهِ حَالًا
أَشَدُّ الْغَمَّ عَنِي فِي سُرُورٍ	تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحْبُهُ اِنْتِقاَلا

أَلْسْتَ تَرَاهُ كَيْفَ جَعَلَ الْحُزْنَ عَالِقًا بِفُؤَادِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَعْشُقُهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَوَالِي إِلَّا حِينَ تَهْجُرُنِي، فَإِذَا هَجَرْتَنِي وَاصْلَ الْحُزْنَ قَلْبِي؟ ثُمَّ كَيْفَ يَحْثُ

على الزهد في الدنيا لمن رزق فيها سروراً ومكانة لعلمه أنه زائل عما حين، والسرور الذي يعرف صاحبه أنه منحصر عنه قريباً هو أشد الغم، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه وأدله على عبرية شاعر الخلود.

ومن جليل ما قيل في هذا المعنى: قول هدبة بن خثرم لما قاده معاوية إلى الحرة ليقتضَ منه في زياد بن زيد العذري، فلقيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فاستنشده فأنسده:

وَلَسْتُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا الدُّهْرُ سَرَّنِي

وَلَا جَازِعٌ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقْلِبِ
وَلَا أَبْتَغِي شَرّاً إِذَا الشَّرُّ تَارَكِي
وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبْ

والفرح: كثير الفرح: والمراد: نفي الفرح من أصله، وصرف الدهر: حدثانه، وإذا: شرطية فلا بد بعدها من فعل، أي: إذا سرني الدهر، وإذا كان الشر تاركي، وأحمل مبني للمجهول، وأركب للفاعل، والأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه.

٤- التتميم:

وفي قوله: «**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**» تتميم لا بد منه؛ لأنه إذا لم يغتنمها ليعمل للأخرة؛ لم يكن له نصيب في الآخرة؛ ففي الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحنك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» وقد عاد أبو الطيب فرمق سماء هذه البلاغة مرة ثانية، فقال من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة، وقد توفيت بميافارقين، وجاءه الخبر بمماتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وأنشد أبو الطيب قصيده في جمادى الآخرة من السنة، ونورد نخبة مختارة منها:

نُعِدُّ المُشْرِفَةَ وَالْعَوَالِي
وَتَقْتُلُنَا الْمَنْسُونُ بِلَا قِتَال
وَمَا يُنْجِيْنَ مِنْ خَبَبِ الْلَّيَالِي
وَتَرْتَبِطُ السَّوَابِقُ مُقْرَبَاتٍ

وَمَنْ لَمْ يَعْشِي الدُّنْيَا قَدِيمًا
 نَصِيبُكَ فِي حَيَاةِكَ مِنْ خَيالِ
 رَمَانِ الْدَّهْرِ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
 فَصَرَتْ إِذَا أَصَابَتْكِ سَهَامُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ

والشاهد المراد هو في قوله: نصيبك في حياتك... . البيت، أي: إن نصيب الإنسان من وصال حبيبه في حياته كنصيبه من وصال خياله في منامه، ووجه الشبه: اتفاق الأمرين في سرعة انقضائهما، واشتباهما في عجلة زوالهما.

* الفوائد:

١- قصة قارون:

نسج المؤرخون والقصاصون روایات شتی، وأساطير عجيبة حول هذه القصة الفريدة؛ التي تصلح نواة لمسرحية عالمية، تمثل الزهو الذي يصيب المتمولين، وقد اختلف في نسبة، قيل: كان ابن عم موسى بن عمران، وقيل: كان ابن خالته، وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال، وفي قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى﴾ دليل على إيمانه، وقرباته، وكان من أحسن الناس وجهاً، وقراءة للتوراة، ويسمى: المنور لحسنه، وقيل: إنه كان من السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، قيل: إنه خرج راكباً بغلة شهباء، ومعه سبعمة وصيفة على بغال شهب، عليهن الحلي، والحلل، والزينة، فكاد يفتن بنى إسرائيل، ثم بغي، وتكبر، وركب رأسه حتى أهلكه الله. وقد أخطأ صاحب «المجاد»، فرغم: أنه وزير فرعون، وأنه ظنه هامان، وهذا من نتائج التسرع، وعدم التحقيق. وكان سبب هلاكه: أنه حسد هارون على الحبورة، وذلك: أن موسى لما قطع البحر، وأغرق فرعون، جعل الحبورة لهارون، فحصلت له النبوة، والحبورة بضم الحاء: الإمامة، مأخوذه من الحبر بمعنى: الرئيس في الدين، فوجد قارون من ذلك في نفسه، وقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة، ولست في شيء، لا أصبر على هذا، فقال

موسى : والله ما صنعت ذلك لهارون ، بل جعله الله له ، فقال : والله لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية ، فأمر موسى رؤساء بنى إسرائيل أن يحيي كل رجل منهم بعصاه ، فجاؤوا بها ، فألقى موسى بها في قبة له ، وكان ذلك بأمر الله ، ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك ، فباتوا يحرسون عصيهما ، فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر ، وكانت من شجر اللوز ، فقال موسى : يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ، ثم اعتزل بمن معه من بنى إسرائيل ، وكان كثير المال والتبع ، فدعى عليه موسى .

وقيل : إنه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى إليه ، وصالحه على كل ألف دينار دينار ، وكل ألف شاة شاة ، وعلى هذا الأسلوب ، فحسب ذلك ، فوجده مالاً عظيماً ، فجمع قومه من بنى إسرائيل ، وقال : إنَّ موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا ، فمرنا بما شئت ، فقال عليَّ بفلانة البغي فأعطها مئة دينار ، وأمرها أن تقذف موسى بنفسها ، وجاء إلى موسى وقال : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج ، فقام فيهم خطيباً فقال : يا بنى إسرائيل من سرق قطعناء ، ومن زنى جلدناه ، فإن كانت له امرأة رجمناه . فصاح به قارون ، وقال له : وإن كنت أنت؟ فقال : نعم . قال : فإنَّ بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي . فقال : عليَّ بها ، فلما جاءت ؛ قال لها موسى : يا فلانة أنا فعلت ما يقول هذا؟ فقالت : لا والله يا نبي الله ، وإنما جعل لي جعلاً حتى أقذفك بيضي ، فسجد موسى بيضي ويترسّع ، فأوحى الله إليه : من الأرض بما تستهيه ، فقال : يا أرض خذيه ، فأخذته حتى غابت بعضه ، ثم لم يزل يقول : خذيه ، وهو يغيب حتى لم يبق من جسده إلا القليل ، وهو يتضُّر إلى موسى ، ويسأله ، وهو يقول : خذيه ، إلى أن غاب . إلى آخر هذه القصة التي ينفع فيها الخيال ، ويمتد إلى أبعد مداه .

٢ - وي كأنه :

وعدناك بالزائد من بحث «وي كأنه» فنقول : ذهب الخليل وسيبويه إلى :
أن «وي» منفصلة معناها : أعجب ، ثم ابتدأ فقال : ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾
وكأنها هنا لا يراد بها التشبيه ، بل القطع واليقين ، وعليه بيت «الكتاب» :

وَيَ كَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَّبْ يَحْبُبْ
وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْشُ عَيْشَ حَرْ
لَمْ يَرِدْ هَا هَنَا التَّشَبِيهُ ، بَلِ الْيَقِينِ .

وذهب أبو الحسن إلى : أن ويلك مقصولة من أنه ، وكان يعقوب يقف على
ويلك ثم يتبدىء «أنه لا يفلح الكافرون» كأنه أراد بذلك الإعلام بأن الكاف
من جملة «وي» وليس التي في صدره «كأن» إنما هي «وي» على ما ذكرنا ،
أضيف إليها الكاف للخطاب على حدتها في : ذلك ، وأولئك ، و يؤيد ذلك
قول عنترة :

وَلَقَدْ شَفِى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا
قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيَكَ عَتَّرَ أَقْدِمِ

فجاء بها متصلة بالكاف من غير «أن» فهي حرف خطاب ، وليس اسمًا
محفوظاً كالتي في : غلامك ، وصاحبك ؛ لأن «وي» إذا كانت اسمًا للفعل
في مذهب الفعل ، فلا تضاف لذلك ، وأن وما بعدها في موضع نصب
باسم الفعل الذي هو «وي» ولذلك فتحت أن ، والتقدير : أعجب لأنه
لا يفلح الكافرون ، فلما سقط الجار وصل الفعل فنصب .

وذهب الكسائي إلى : أن الأصل «وילك» فحذفت اللام تخفيفاً ، وهو
بعيد ، وليس عليه دليل .

وقد ذهب بعضهم إلى : أن ﴿وَيَكَانُه﴾ بكماله اسم واحد ، والمراد شدة
الاتصال وأنه لا ينفصل ببعضه عن بعض .

وهذا ونص عبارة سيبويه : «سألت الخليل عن قوله : ﴿وَيَكَانُه لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَكَأَبِ اللَّهَ﴾ فَرَعِمَ أَنْهَا مَفْصُولَةٌ مِّنْ «كَانَ»
وَالْمَعْنَى: عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ اتَّبَعُوهُ فَتَكَلَّمُوا عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِمْ، أَوْ نَبَهُوهُ فَقَيِيلٌ لَّهُمْ:
أَمَا يَشْبِهُ أَنْ يَكُونَ ذَا عِنْدِكُمْ هَكُذَا﴾.

وقال الأعلم: «الشاهد في قوله ﴿وَيَكَاب﴾ وهي عند الخليل وسيبويه مركبة من «وي» ومعناها: التنبية مع «كأن» التي للتشبيه ومعناه: ألم تر، وعلى ذلك تأولها المفسرون.

وزعم بعض النحوين: أن قولهم «ويك» بمعنى **وَيَكَأَنْ**، فحذفت اللام من «ويك» كما قال عنترة «ويك عنتر أقدم» وحذف اعلم لعلم المخاطب مع كثرة الاستعمال، وهذا القول مردود لما يقع فيه من كثرة التغيير.

وقال أبو سعيد السيرافي: «في ﴿وَتِكَاب﴾ ثلاثة أقوال: أحدها قول الخليل: تكون «وي» كلمة يقولها المتندم، ويقولها المندم غيره، ومعنى «كأن» التحقيق، والثاني: قول الفراء: تكون «ويك» موصولة بالكاف و«أن» منفصلة، ومعناه عنده: تقرير كقولك: أما ترى، والقول الثالث: يذهب إلى: أن «ويك» بمعنى «ويلك» وجعل «أن» مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك أعلم أن الله .

وقال الفراء: ﴿وَيَكَاب﴾ في كلام العرب تقرير، كقول الرجل: أما
ترى إلى صنع الله، وقال الشاعر:
وَيُكَانُ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشْتُ
... (البيت).

وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال: سمعت أغربية تقول لزوجها: أين ابنك ويلك؟ فقال: ويكانه وراء البيت، معناه: أما ترينه وراء البيت؟ وقد يذهب بعض النحوين إلى: أتهما كلمتان يريده: «ويلك، أنه» أراد: ويلك فحذف اللام، وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك اعلم أنه وراء البيت، فاضمر اعلم، ولم نجد العرب تعمل الظن والعلم باضمار مضمر في أن، وذلك: أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة . فلما أضمره جرى مجرى الترك، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول: با هذا

إنك قائم، ولا يا هذان قمت، تريد علمت، أو أعلم، أو ظنت، أو أظن، وأما حذف اللام من «ويلك» حتى تصير «ويك» فقد قوله العرب لكثرتها في الكلام قال عترة: ولقد شفي نفسي . . . (البيت) وقد قال آخرون: أن معنى «وي كأن» أن «وي» منفصلة، كقولك لرجل «وي» تريد: أما ترى ما بين يديك فقال: وي، ثم استأنف كأن، يعني: (أن الله يبسط الرزق لم يشاء) وهي تعجب، وكأن في مذهب الظن والعلم، فهذا وجه مستقيم، ولم تكتبهما العرب منفصلة، ولو كانت على هذا الكتباها منفصلة، وقد يجوز أن تكون كثرا بها الكلام، فوصلت بما ليست منه».

وقال أبو الفتح ابن جنی: في «ويكانه» ثلاثة أقوال:

- فمنهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على «وي».

- ومنهم من يقف على «وي».

- ويعقوب يقف على «ويك» وهو مذهب أبي الحسن.

والوجه عندنا: قول الخليل وسيبویه، وهو: أن «وي» اسم سمي به الفعل على قياس مذهبهما، فكأنه اسم أعجب، ثم ابتدأ فقال: (كأنه لا يفلح الكافرون) فـ «كأن» هنا إخبار عار من معنى التشبيه ومعناه: إن الله يبسط الرزق، وـ «وي» منفصلة من «كأن»، وعليه قول الشاعر: وي كأن من . . . (البيت) وما جاءت فيه «كأن» عارية من معنى التشبيه قوله:

كأنني حين أمسى لا تكلمني

متيمٌ أشتهي ما ليس موجودا

أي: أنا حين أمسى متيم من حالي كذا وكذا».

وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: «وأما قول أبي الفتح أن «وي» عند سيبویه والخليل بمعنى أعجب فمردود، وكذا قوله: إن «كأن» عندهما عارية عن التشبيه، وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله: كأنني حين أمسى . . . (البيت) فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر «كأن» مشتقاً لا تكون للتشبيه لئلا يتحد

المشبه والمشبه به . وأجيب : بأن الخبر في مثله مخدوف ، أي : كأنني رجل متيم ، فهي على الأصل للتشبيه» .

وقال التبريزي في «شرح المعلقات» «وقوله «ويك» قال التحوين : معناه : ويحك ، وقال بعضهم : معناه : ويلك ، وكلا القولين خطأ ؛ لأنه كان يجب أن يقرأ «ويك أنه» كما يقال : ويلك أنه ، وويحك أنه» .

وقال الزمخشري في «كتفافه» : «وي مفصولة عن كأن ، وهي كلمة تنبه على الخطأ ، وتندم ، ومعناه : أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تبنيهم ، وقولهم : ﴿يَلَيَّتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْقِتَ قَرُونُ﴾ وتندموا ، ثم قالوا : (كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح . وهو مذهب الخليل وسيبوه قال :

وَيْ كَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ شَبَّ . . . (البيت).

وحكمى الفراء : أن أعرابية قالت لزوجها : أين ابنك ؟ فقال : وي كأنه وراء البيت ، وعند الكوفيين : أن «ويك» بمعنى «ويلك» وأن المعنى : ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ، ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضبوطة إلى «وي» كقوله : «ويك عنتر أقدم» وأنه بمعنى لأنه ، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول ، أو لأنه لا يفلح الكافرون كأن ذلك وهو الخسف بقارون . ومن الناس من يقف على وي ، ويبتدئ كأنه ، ومنهم من يقف على ويك » .

رأي الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين وهو مطلع جداً : (وي كأنه ، فيه مذاهب :

أحدها : أن وي كلمة برأسها ، وهي اسم فعل معناها : أعجب ، أي : أنا ، والكاف للتعليل ، وأن وما في حيزها : مجرورة بها ، أي : أعجب لأن الله

يُبَسِّطُ الرِّزْقَ . . . الْخَ، وَقِيَاسُ هَذَا أَنْ يَوْقُفَ عَلَى وَيْ وَحْدَهَا، وَقَدْ فَعَلَ هَذَا الْكَسَائِيُّ :

الثَّانِي : قَالَ بَعْضُهُمْ : كَأَنْ هَنَا لِلتَّشْبِيهِ إِلَّا أَنَّهُ ذَهَبَ مِنْهَا مَعْنَاهُ، وَصَارَتْ لِلْخَبَرِ وَالْيَقِينِ، وَهَذَا أَيْضًا يَنْسَبُهُ الْوَقْفُ عَلَى وَيْ .

الثَّالِثُ : أَنْ وَيْكَ كَلْمَةُ بِرَأْسِهَا، وَالْكَافُ حَرْفُ خَطَابٍ، وَأَنْ مُعْمَلَةُ لِمَحْذُوفٍ، أَيْ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُبَسِّطُ الرِّزْقَ . . . الْخَ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ . وَهَذَا يَنْسَبُ الْوَقْفَ عَلَى وَيْكَ وَقَدْ فَعَلَهُ أَبُو عَمْرُو .

الرَّابِعُ : أَنْ أَصْلَهَا وَيْلِكَ، فَحَذَفَتِ الْلَّامُ، وَهَذَا يَنْسَبُ الْوَقْفَ عَلَى الْكَافِ أَيْضًا، كَمَا فَعَلَ أَبُو عَمْرُو .

الخَامِسُ : أَنْ وَيْكَانَ كُلُّهَا كَلْمَةً مُسْتَقْلَةً بِسِيَطَةٍ، وَمَعْنَاهَا : أَلْمَ تَرْ، وَرِبَّاً نَقْلَ ذَلِكَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ، وَنَقْلَ الْفَرَاءِ وَالْكَسَائِيِّ أَنَّهَا بِمَعْنَى : أَمَا تَرَى إِلَى صَنْعِ اللَّهِ، وَحْكَى أَبْنَ قَتِيَّةَ : أَنَّهَا بِمَعْنَى رَحْمَةٌ لَكَ فِي لِغَةِ حِمْرَةِ، وَلَمْ يَرِسِمْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَيْكَانَ، وَوَيْكَانَ مُتَّصِّلَةً فِي الْمَوْضِعَيْنِ، فَعَامَةُ الْقَرَاءَةِ اتَّبَعُوا الرِّسْمَ، وَالْكَسَائِيِّ وَقَفَ عَلَى وَيْ، وَأَبُو عَمْرُو عَلَى وَيْكَ» .

وَقَالَ أَبْنَ هَشَامَ فِي «أَوْضَحِ الْمَسَالِكَ» وَشَرَحَهُ لِلشِّيْخِ خَالِدِ الْأَزْهَرِيِّ : «وَوَيْ، وَوَوَيْ، وَوَوَاهَا، الْثَّلَاثَةُ كُلُّهَا بِمَعْنَى أَعْجَبٍ، كَقُولَهُ تَعَالَى ﴿وَيَكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فَوَيْ : اسْمُ فَعْلٍ مُضَارِّعٍ بِمَعْنَى أَعْجَبٍ، وَالْكَافُ : حَرْفٌ تَعْلِيلٌ، وَأَنَّ مُصْدَرِيَّةَ مُؤْكِدَةٌ، أَيْ : أَعْجَبٌ لِعدْمِ فَلَاحِ الْكَافِرِينَ» وَهَذَا مَا اخْتَرْنَا فِي الْإِعْرَابِ، وَرَأَيْنَاهُ أَبْعَدَ مِنَ الْأَرْتِيَابِ، وَأَدْنَى إِلَى الصَّوَابِ .

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَجْمَعِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُنْتَقَيْنَ ﴾٨٣﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْئَةِ فَلَا يُحْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيْئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٨٤﴿ إِنَّ اللَّهَيَ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرَاءَةَ لِرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِكَ قُلْ رَبِّيْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾٨٥﴿ وَمَا كُنْتَ

تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَلَا تَكُونُنَّظَاهِيرًا
لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكُمْ عَنْ مَا يَنْتَهُ اللَّهُ بَعْدَ إِذْأَنَزَلَ إِلَيْكُمْ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
وَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ
شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُمْ لِهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

○ الإعراب:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِجَهَانِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق ببيان: أنَّ الآخرة أعدت للذين لا يريدون
علوًّا في الأرض. وتلك: مبتدأ، والدار: بدل من اسم الإشارة، والآخرة:
صفة للدار، وجملة نجعلها: خبر تلك، وللذين: متعلقان بن يجعلها؛ على أنه
مفعوله الثاني، وجملة لا يريدون: صلة للذين، وعلوًّا: مفعول يريدون، وفي
الأرض: صفة لعلوًّا، ولا فساداً: عطف على علوًّا، والعاقبة: مبتدأ،
وللمتقين: خبر. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَاتِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ كلام مستأنف مسوق لوعد
المحسنين ووعيد المسيئين بعد ذكر: أنَّ العاقبة للمتقين. ومنْ: اسم شرط
جازم في محل رفع مبتدأ، وجاء: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط،
وبالحسنة: متعلقان ب جاء، والفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لأنَّ جملة اسمية،
وله: خبر مقدم، وخیر منها: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل جزم جواب
الشرط، والفعل والجواب معًا: خبر مَنْ. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَاتِ فَلَا يُحِرِّي أَلَّذِينَ
عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عطف على ما تقدم، ويجزى: فعل
مضارع مبني للمجهول، والذين: نائب فاعل، وجملة عملوا السيئات: صلة
الموصول، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول ثان ليجزى، وجملة كانوا: صلة،
وجملة يعملون: خبر كانوا. ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْأَقْرَاءَكَ لِرَادِكَ إِلَى مَعَادٍ﴾
إنَّ، واسمها، وجملة فرض: صلة، وعليك: متعلقان بفرض، والقرآن:
مفعول به، ومعنى فرض عليك القرآن: أوجب عليك تلاوته وتبلیغه،
واللام: المزحلقة، ورادك: خبر إنَّ، والكاف: في محل جر بالإضافة، وإلى

معاد: متعلقان براد؛ لأنَّه اسم فاعل، وتنكيره يدل على أمور ستأتي في باب البلاغة.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ربِّي: مبتدأ، وأعلم: خبره، وهو بمعنى عالم ولذلك نصب من، وجملة جاء: صلة، وبالهدي: متعلقان بجاء، ومنْ: عطف على منْ الأولى، وهو: مبتدأ، وفي ضلال: خبره، ومبين: صفتة. ﴿وَمَا كُتِّبَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وجملة ترجوا: خبرها، وأنْ، وما في حيزها: مفعول ترجو، وإليك: متعلقان بيلقى، والكتاب: نائب فاعل، وإلا: أداة حصر بمعنى لكن للاستدرال، ورحمة: مفعول لأجله، ومن ربك: صفة لرحمة، ويجوز أن يكون الاستثناء على حاله، أي: متصلًا، ولكنَّه محمول على المعنى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكُفَّارِ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: نافية، وتكونن: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم، واسمها: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والنون: نون التوكيد الثقيلة، وظهيرًا: خبر تكونن، وللكافرين: متعلقان بظهيرًا. ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾ عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب نظيره، ونعيده لوجود فارق بسيط، فلا: نافية، ويصدنك: فعل مضارع مجزوم بلا النافية، وعلامة جزمه: حذف النون، وحذفت الواو؛ لأنَّ النون لما حذفت التقى ساكنان الواو والنون المدغمة، فحذفت الواو لاعتلالها وجود دليل يدل عليها، وهو الضمة، وأصله: يصدونك، وعن آيات الله: متعلقان بتصديرك، والظرف: متعلق بمخدوف حال، وإذا: ظرف لما مضى، أضيف إلى مثله، وإذا تضاف إلى اسماء الزمان، كقولك: حيئند، ويومئذ، وقد تقدم بحث ذلك، وجملة أنزلت: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإليك: متعلقان بأنزلت. ﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الواو: عاطفة، وادع: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وإلى ربك: متعلقان بادع، ولا: نافية،

وتكونن، مجزوم بها وقد تقدم إعرابه، واسمها: مستتر، تقديره: أنت، ومن المشركين: خبرها.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: نافية، وتدع: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت يعود على محمد ﷺ، والخطاب له، والمراد غيره، على حد قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِي حَبْطَنَ عَمْلَكَ﴾ ومع الله: ظرف مكان متعلق بتدع، وإلها: مفعول به، وأخر: نعت لإله، ولا إله إلا هو: تقدم إعرابها، والجملة في محل نصب حال. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَحُونَ﴾ كل: مبتدأ، شيء: مضاف إليه، وهالك: خبر المبتدأ، وإلا: أداة استثناء، وجهه: مستثنى، وسيأتي معنى الاستثناء في باب البلاغة، له: خبر مقدم، الحكم: مبتدأ مؤخر، وإليه: متعلقان بترجمون، وترجمون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب الفاعل.

□ البلاغة:

١ - سر التنکير في قوله ﴿إِلَى مَعَارِفِ﴾ للتفخيم، كأنَّ هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر، قيل: المراد به مكة، وهو يوم الفتح، فمعاد الرجل: بلده؛ لأنَّه ينصرف منه، فيعود إليه، فالمعاد على هذا: اسم مكان. روي: أنَّه ﷺ لما خرج من الغار ليلاً سار في غير الطريق خافة الطلب، فلما راجع إلى الطريق، ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة؛ تنزى الحنين في صدره، وهاجه الشوق إلى موطنه، وحنَّ إلى مولده ومولد آبائه، فنزلت عليه تطمئناً لقلبه. وفيها يتجلَّ مقدار الحنين إلى الأوطان، وقد رمَّ الشعراة جيئاً سماء هذا المعنى، فقال ابن الرومي:

بلدُ صحبتُ به الشيبةَ والصبا

ولبستُ ثوبَ العيشِ وَهُوَ جديْدٌ
فإِذَا تمثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رأَيْتُهُ
وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيْدُ

وقال أبو تمام:
 نَقْلٌ فَوَادِكَ حِيثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
 مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَيَّبِ الْأَوَّلِ
 كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَنِ
 وَحَنِينٌ أَبْدَأَ لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

والقول في حب الأوطان كثير ، وما يؤكد ما قلناه في حب الأوطان قول الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَا كَنَبَّا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرُجُوكُمْ مَا فَعَلْتُمُ إِلَّا قَبِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا إِلَّا نُقْتَلُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَرِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ .

وقال بعضهم : «من أمارات العاقل : بره لإخوانه ، وحنينه لأوطانه ، ومداراته لأهل زمانه» .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البدية إذا اشتد القيظ ، وانتعل كل شيء ظلله؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحذنا ميلاً فيرفض عرقاً ، ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليه كساءه ، ويجلس في فيه ، يكتال الريح ، فكانه في إيوان كسرى .

وقال يحيى بن طالب الحنفي من شعراء الدولة العباسية :
 أَلَا هَلْ إِلَى شَمْسِ الْخَزَامِيِّ وَنَظَرِهِ
 إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَيِّلُ
 فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْحَجِيلَاءِ شَرْبَةً
 يَدَاوِي بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلِيلُ
 فِي أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مَوْكِلٌ
 بَكَنَّ وَجْدَوْيَ خَيْرَكَنَّ قَلِيلٌ
 وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صَحْبِي
 مَسِيرِي فَهَلْ فِي ظَلْكَنَّ مَقِيلٌ

أَرِيدُ انْحِدَاراً نَحْوَهَا فِي رَّدْنِي
 وَيَمْنَعُنِي دِينُ عَلَيَّ ثَقِيلٌ
 أَحَدُثُ نَفْسِي عَنِكِ إِذْ لَسْتُ رَاجِعاً
 إِلَيْكِ فَحَزْنِي فِي الْفَؤَادِ دَخِيلٌ

وَالْأَبْيَاتُ الْمُشْهُورَةُ لِلصَّمَةِ الْقَشِيرِيِّ :

تَتَّمَّعُ مِنْ شَمِيمٍ عَرَارِ نَجَدٍ
 فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
 أَلَا يَا حَبَّذا نَفْحَاتِ نَجَدٍ
 وَرِيَّا رَوْضَةٌ بَعْدَ الْقَطَارِ
 وَعِيشُكِ إِذْ يَحْلُّ الْحَيَّ نَجَدٌ
 وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ
 شَهُورٌ يَنْقَضُونَ وَمَا شَعْرَنَا
 فَأَمَّا لِيْلَهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ
 بِأَنْصَافِ لَهَنَّ وَلَا سَرَارِ
 وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
 وَحْسِبَنَا مَا قَدَمْنَاهُ الْآنَ .

٢- المجاز المرسل :

في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُمْ ﴾ أي: إلا إياته، من ذكر البعض وإرادة الكل، وقد جرت عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة.



سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْسَلُ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا أَنَّهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الظَّاهِرِينَ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۖ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَلَمِينَ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ﴾

• 11 •

﴿يُقَسِّمُونَ﴾ : يختبرون ، من : فتن فلااناً ، يفتنه ، من باب ضرب خبرة ، وأحرقه ، وأضلله ، يقال : فتن الصائغ الذهب : أذابه بالبوتقة ليختبره ، وليميز الجيد من الرديء ويقال : فتنه ، يفتنه ، من باب ضرب أيضاً : أعجبه ، واستماله ، وأوقعه في الفتنة .

○ الْعَرَابِ

﴿الَّهُ أَحَسَبَ النَّاسَ أَنْ يَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيمَانًا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾ أَلْمَ: تقدم

إعرابها، والقول فيها في فواتح السور، وأحسب: الهمزة: للاستفهام التقريري، أو التوبخي، وحسب: فعل ماض ينصب مفعولين، قال الزمخشري: «الحسبان لا يصح تعليقه بمعنى المفردات، ولكن بمضامين الجمل» ولذلك احتاج إلى مفعولين، والناس: فاعل، وأن، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي حسب، وأن يقولوا: مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض، وهو متعلق بممحذوف حال إذا قدر حرف الجر باء، ولك أن تقدر حرف الجر لاماً، فيكون تعليلاً للترك، متعلقاً به؛ أي: لأجل قولهم، وجملة آمنا: مقول القول، والواو: حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يفتون: خبر هم، واجملة: حالية، ومعنى الآية: أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير ممتحنين، لا بل يمتحنون، ليتبين الراسخ في الدين من غيره. وهذا أحد أعاريب رأيناها أسهلها، ونورد هنا عبارة الزمخشري لنفاستها، قال:

«تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم: آمنا، فالترك: أول مفعولي حسب، ولقولهم آمنا: هو الخبر، وأما غير مفتونين: ففتممة الترك الذي هو بمعنى التصير، كقوله: «فتركته جزر السباع ينشئه» ألا ترى: أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: تركهم غير مفتونين لقولهم: آمنا، على تقدير: حاصل، ومستقر قبل اللام، فإن قلت: أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين، فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما تقول: خروجه لخافة الشر، وضربه للتأنيد، وقد كان التأنيب والخافة في قوله: خرجت خافة الشر، وضربته تأديباً تعليلين، وتقول أيضاً: حسبت خروجه لخافة الشر، وظنت ضربه للتأنيد، فتجعلهما مفعولين، كما جعلتهما مبتدأ وخبرأ» وسيأتي المزيد من أبحاث هذه الآية في باب الفوائد.

﴿وَلَقَدْ فَتَّنَاهُ اللَّهُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ﴾
الواو: عاطفة، واللام: جواب للقسم الممحذوف، وقد: حرف تحقير، وفتنا: فعل وفاعل، والذين: مفعوله، ومن قبلهم: متعلقان بممحذوف، هو

صلة الذين، والفاء: عاطفة، واللام موطة للقسم، ولعلمن: فعل مضارع مبني على الفتح، والله: فاعل، والذين: مفعوله، وجملة صدقوا: صلة، ولعلمن الكاذبين: عطف على ما تقدم، وسيأتي سر المخالفة بين صدقوا والكاذبين في باب البلاغة، والمعنى: أن الفتنة والامتحان أمران لا بد منهما لابتلاء الخلق، وقد تعرضت لهما الخلائق في مختلف ظروف الزمان والمكان.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنَّ يَسْقِفُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَمْ: منقطعة، ومعناها: بل، وهي للإضراب الانتقالي، ولا بد من همزة في ضمينها للتقرير والتوبیخ، وحسب: فعل ماض، والذين: فاعل، وجملة يعملون السيئات: صلة، وأنْ وما في حيزها: سدت مسد مفعولي حسب . قال الزمخشري : «إِنْ قلت : أين مفعولا حسب؟ قلت : اشتتمال صلة أن على مسند ومسند إليه؛ سد مسد المفعولين ، كقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَتُمْ أَنَّ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر، وأمْ: منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هذا الحساب أبطل من الحساب الأول؛ لأن ذاك يقدر: أنه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظن: أنه لا يجازى بمساوية» وساء: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وما: نكرة منصوبة على التمييز، وجملة يحكمون: صفتها، والمخصوص بالذم محذوف ، أي: حكمهم، ويجوز أن ت تكون تعرب ما: اسم موصول فاعل، وجملة يحكمون: صلتها، ويجوز أن تكون مصدرية ، أي: حكمهم، وعلى هذا يكون التمييز محذوفاً أي: ساء حكماً حكمهم . ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ من: اسم شرط جازم مبتدأ، وكان: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسم كان: مستتر، يعود على مَنْ، وجملة يرجو: خبر كان، ولقاء الله: مفعول به، والفاء: رابطة لجواب الشرط، وإنْ أجل الله: إن، واسمها، واللام: المزلقة، وآت: خبر إن، والواو: حرف عطف، وهو: مبتدأ، والسميع العليم: خبران لهما . وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر مَنْ .

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّهَا يُجْهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الواو: عاطفة، ومن: شرطية مبتدأ، وجاحد: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة للجواب، وإنما: كافة ومكفوفة، ويجهد: فعل مضارع، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، ولنفسه: جار ومحروم متعلقان بـيجهد، وإن، وأسمها، واللام: المزحلقة، وغني: خبر إن، وعن العالمين: متعلقان بـغنى، والجملة: تعليلية لما سبق من تقرير: أنَّ جهاد الشخص لا يصل منه إلى الله نفع. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَكَفَرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، والذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، واللام: موطة للقسم، ونكفرن: فعل مضارع مبني على الفتح، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والجملة: خبر الذين، وعنهم: متعلقان بنكفرن، وسيئاتهم: مفعول به. ﴿وَلَنْجَزِيهِمْ أَحَسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولنجزينهم: عطف على لنكفرن، وأحسن: مفعول به ثان، والذي: مضاف إليه، وجملة كانوا: صلة، وجملة: يعملون خبر كانوا.

□ البلاغة:

١- التعبير بالصيغة الفعلية والصيغة الاسمية:

في قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ﴾ مخالفة بين الصيغة الفعلية وهي: ﴿صَدَقُوا﴾ والصيغة الاسمية في قوله: ﴿الْكَذَّابِينَ﴾ والنكتة في هذه المخالفة: أنَّ اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل، ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه؛ لأنَّ وقت نزول الآية كانت حكاية عن قوم قربي عهد بالإسلام، وعن قوم مستمررين على الكفر، فعبر في حق الأولين بلفظ الفعل، وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات، أما بالنسبة لعلم الله: فلا يقال: إنَّ فيه تجداً في علم الله تعالى بهم قبل الاختبار، وإيماماً بأنَّ العلم بالكائن غير العلم بأنه سيكون، والحق: أنَّ علم الله تعالى واحد يتعلق بما موجود زمان وجوده، وقبليه، وبعده، على ما هو عليه، وفائدة ذكر العلم هنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم: التنبيه بالسبب على

المسبب ، وهو الجزاء ، كأنه قال : لنعلم منهم ، فلنجازهم بحسب علمه فيهم .

٢- الحذف :

جرينا في إعراب قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ على أنَّ الفاء رابطة لجواب الشرط ، وأنَّ جملة : إنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ هو الجواب ، وساغ وقوعه جواباً للشرط مع أنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ لا محالة من غير تقييد بشرط ، وأنه ينعدم بانعدام الشرط ، ساغ وقوعه جواباً ، لأننا نعني بلقاء الله : تلك الحالة المثلثة ، والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت ، كأنه قال : من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآتٍ لأن الأجل واقع فيه اللقاء ، كما تقول : من كان يرجو لقائي فإن يوم الجمعة قريب ؛ إذا عُلم وتعورف أنك تبعد للاستقبال يوم الجمعة ، هذا ويجوز أن يكون من باب الحذف البلاغي ، والتقدير : ﴿فَلَيَعْمَلْ عَبْدًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

* الفوائد :

أطال المعربون في التماس وجوه الإعراب لهذه الآية ، وهي : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يَرَكُونَا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا مَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾ وقد اخترنا أمثل هذه الوجوه ، وأدنناها إلى المنطق ، كما أوردنا نص قول الزمخشري فيها ، وكلا الوجهين سائغ مراد ، ونريد أن نفصل لك القول في الظن ، والحسبان ، وغيرهما من الأفعال التي تسمى : «أفعال القلوب» وإنما قيل لها ذلك لأن معانيها قائمة بالقلب ، وليس معنى هذا : أنَّ كل فعل قلبي ينصب مفعولين ، بل القلبي ثلاثة أقسام : ما لا يتعدى بنفسه ، نحو : فكر في الأمر ، وتفكر فيه ، وما يتعدى لواحد نفسه ، نحو : عرف الحق ، وفهم المسألة ، وما يتعدى لاثنين بنفسه ، وهو المقصود بالتسمية ، وأصل المفعولين المبتدأ والخبر ، ورد بعضهم - وهو السهيلي - هذا القول وقال : كيف يكون نحو : ظنت زيداً عمراً أصلهما مبتدأ وخبر؟ وأجيب : بأن المراد هو التشبيه ، بدليل أنه يقال : ظنت زيداً عمراً فتبين خلاف ، فالظن المذكور لتشبيهه به ، وأجاب بعضهم بجواب آخر ،

وهو: أنه متأنل بمعنى: ظنت الشيء المسمى بزيد مسمى بعمرو، كما أنَّ قوله:

زيد حاتم متأول بمعنى: زيد مثل حاتم في المعنى، استمع إلى قول زفر بن الحارث الكلابي:

وَكَانَ حَسِيبًا كَلَّ بِيَضَاءِ شَخْمَةٍ

عشية لاقيثا جذام وحميراء

فكل بيضاء: مفعول حسبنا الأول، وشحمة: مفعوله الثاني، وهو كنایة عن أنه كان يظنهم شجاعاناً، فتبينوا بخلاف ذلك. ويعد هذا البيت:

فَلَمَّا لَقِيْنَا عُصَبَةً تَغْلِيْبَةً

يقودون جرداً في الأعنَّةِ خَمْراً

سَقَيْنَا هُمْ كَأساً سَقْوَنا بِمِثْلِهَا

ولكُنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبَعَ بِالثَّبَعِ بَعْضُهُ

بِعْضُ أَبْتُ عِنْدَهُ أَنْ تَكْسَرَا

إذا عرفت هذا كله؛ فهمت معنى الآية بوضوح، أي: أحسب الذين
أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم، وتبجحوا بها، واستطاعوا على من سواهم
أنهم سيتركون غير متحنن؟ لا، بل سوف يمتحنهم الله بضرورب الابتلاء،
 وأنواع المحن حتى يسبر أغوارهم جميعاً، ويبليو صبرهم، وثبات أقدامهم،
ورسوخها في الإيمان، فليس الإيمان كلمات تتردد على الألسنة وحسب،
لكنه يحتاج إلى عمل أصيل، وجهاد مستمر، ليسفر عملهم عما فيه نفع
لهم، وجهادهم عن تأثير أو طائفهم.

وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِمَا لَدَيْهِ حَسْنًا وَإِنْ جَاهَهَا كُلُّ تُشْرِكٍ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطْعِهُمَا إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتُمْ كُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرًا مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيَسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٢﴾

○ الإِعْرَاب:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالَّدِيهِ حُسْنًا﴾ كلام مستأنف للشروع في تقرير حق الآبوين، وتحديد طاعتهم بعدم معصية الله. ووصينا: فعل، وفاعل، والإنسان: مفعول به، وبوالديه: متعلقان بوصينا، وحسناً: نعت لمصدر وصينا على حذف مضاف؛ أي: إيصاء ذا حسن، أو: هو في نفسه حسن على المبالغة، وقال الزجاج: «معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن». ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، وجاهداك: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والألف: فاعل، والكاف: مفعول به، ولتشرك: اللام لام التعليل، وتشرك: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والجار وال مجرور متعلقان بجاهداك، وبي: متعلقان بتشرك، وما: اسم موصول مفعول به لتشرك، وليس: فعل ماض ناقص، ولك: جار و مجرور متعلقان بممحذوف خبر مقدم له: ليس، وبه: متعلقان بعلم، وعلم: اسم ليس مؤخر، والجملة الاسمية: صلة ما، فلا: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لأن الجواب جملة، ولا: نهاية، وتطعهما: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، ومفعول به، والميم والألف: حرفان دالان على الثنوية، والجملة المترنة بالفاء: في محل جزم جواب إن. ﴿إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتُمْ كُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلى: خبر مقدم، ومرجعكم: مبتدأ مؤخر، والفاء: حرف عطف، وأنبئكم: فعل مضارع،

وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وبما: متعلقان بأنبئكم، وجملة كنتم: صلة ما، وجملة تعملون: خبر كنتم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَدْخُلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الذين: مبتدأ، خبره: ﴿لَنَدْخُلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: في زمرة الراسخين في الصلاح، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاستعمال. وجملة آمنوا: صلة، وجملة عملوا الصالحات: معطوفة على جملة آمنوا، واللام: موطئة للقسم، وندخلن: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، وفي الصالحين: متعلقان بتدخلهم. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَنَّا بِاللَّهِ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال المنافقين بعد أن بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم، ومن الناس: خبر مقدم، ومن: نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر، أي: ناس، وهو أولى من جعلها موصولة، وجملة يقول: صفة لمن على اللفظ، وجملة آمنا: مقول القول، وبالله: متعلقان بأمننا. ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي الْأَرْضِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الفاء: حرف عطف، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وفي الله: متعلقان بأوذى، وجملة أوذى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، أي: في سبيل الله، وجملة جعل: لا محل لأنها جواب إذا، وفتنة الناس: مفعول جعل الأول، وكعذاب الله: في موضع المفعول الثاني، أو: الكاف: اسم بمعنى مثل في موضع المفعول الثاني، والمعنى: جزء من أذى الناس، فأطاعهم كما يطع الله من يخافه. ﴿وَلَيْسَ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَّبِّكَ لِيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وإن: حرف شرط جازم، وجاءهم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء: مفعول به، ونصر: فاعل، ومن ربك: متعلقان ب جاءهم، أو بمحذوف صفة لنصر، ليقولن: اللام: واقعة في جواب القسم، ويقولن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتواли الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين: فاعل، وجملة إنا: مقول القول، وإن، واسمها، وجملة كنا: خبرها، ومعكم: ظرف متعلق بمحذوف خبر كنا. ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ الهمزة:

للاستفهام التقريري التوبيخي، والواو: عاطفة على مخدوف يقتضيه السياق، وليس: فعل ماضٌ ناقص، والله: اسمها، والباء حرف جر زائد، وأعلم: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وبما: متعلقان بأعلم، وفي صدور العالمين: صلة ما. ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطة للقسم، ويعلمن: فعل مضارع مبني على الفتح، والله: فاعل، والذين مفعول به، وجملة آمنوا: صلة، وليعلمن المنافقين: عطف على: وليعلمن الذين آمنوا.

* الفوائد:

روى التاريخ أنَّ سعد بن أبي وقاص - وهو من السابقين إلى الإسلام - حين أسلم قالت أمه - وهي: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس -: يا سعد بلغني أنك قد صبأت، فوالله لا يظلني سقف بيته من الضح والريح، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد، وبقيت ثلاثة أيام كذلك، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ، وشكأ إليه، فنزلت هذه الآية، والتي في «القمان»، والتي في «الأحقاف»، فأمره رسول الله أن يداريها ويترضّها بالإحسان.

وفي رواية للقرطبي: أنَّ سعداً قال لها: والله لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت بمحمد، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكل، فلما رأت ذلك أكلت، هذا ومعنى قوله: فوالله لا يظلني سقف بيته من الضح والريح كما في «الصحاح»: الضح: الشمس، وفي الحديث: لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل، فإنه مقعد الشيطان. وقيل: نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي، وذلك: أنَّه هاجر مع عمر بن الخطاب متراجفين حتى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام - أخوه لأمه أسماء بنت محرمة امرأة منبني قيم بن حنظلة - فنزلوا بعياش، وقال له: إن من دين محمد صلة الأرحام، وbir الوالدين، وقد تركت أمك لا تطعم، ولا تشرب، ولا تأوي بيتك حتى تراك، وهي أشد حباً لك منا، فاخترج معنا،

وفتلا منه في الذروة والغارب، فاستشار عمر رضي الله عنه، فقال: هما يخدعنك، ولنك على أن أقسم مالي بيني وبينك، فما زالا به حتى أطاعهما، وعصى عمر، فقال له عمر: أما إذا عصيتني فخذ ناقتي، فليس في الدنيا بغير يلحقها، فإن رابك منهما ريب فارجع، فلما انتهوا إلى البيداء؛ قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت، فاحملني معك، قال: نعم، فنزل ليوطئه لنفسه وله، فأخذاه، وشدَا وثاقه، وجلده كلُّ واحدٍ منها مئة جلد، وذهبها به إلى أمِّه، فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد. فنزلت.

وسواء أكانت المناسبة هذه أم تلك فالمسألة عامة، وير الوالدين مطلوب شرعاً، وطاعتهما واجبة إلا في المعصية، فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الخالق. قوله: «وفتلا منه في الذروة والغارب» قال الجوهرى في «صحاحه»: «ما زال فلان يقتل من فلان في الذروة والغارب، أي: يدور من وراء خدعته».

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَبِعُوا سَيِّلَنَا وَلَنَحْمِلْ خَطَبِنَاكُمْ وَمَا هُم بِحَمِيلِنَّ مِنْ خَطَبِنَّهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ١١ وَلَيَحْمِلْ أَنْقَافَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَنْقَافِهِمْ وَلَيُسْكَنَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرُوتُونَ ١٢ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخْذَهُمُ الْأُطُوقَاتُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١٣ فَأَبْعَجَنَّهُ وَأَصْبَحَ السَّفِينَةُ وَجَعَنَّهَا كَاءِنَّهَا لِلْعَذَمِينَ ١٤ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَبِعُوا سَيِّلَنَا وَلَنَحْمِلْ خَطَبِنَاكُمْ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان نموذج آخر من أضاليلهم. وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة الموصول، ولذين: متعلقان بقال، وجملة آمنوا: صلة الموصول، وجملة اتبعوا: مقول القول، واتبعوا: فعل، وفاعل،

وبيلنا: مفعول، ولنحمل: الواو: عاطفة، واللام: لام الأمر، ونحمل: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وخطاياكم: مفعول به، وسيأتي معنى الأمر في باب البلاغة. ﴿وَمَا هُمْ يَحْمِلُونَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الواو: حالية، وما: نافية حجازية تعمل عمل ليس، وهو: اسمها، وبالاء: حرف جر زائد، وحاملين: مجرور لفظاً منصوب محلأً على أنه خبر ما، ومن خطاياهم: حال؛ لأنـه كان في الأصل صفة لشيء، وتقدم عليه، ومن: حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلأً؛ لأنـه مفعول حاملين، وجملة إنـهم لكاذبون: تعليل للجزم بعدم حملهم شيئاً من خطاياهم، وإنـ، واسمها، واللام: المزحلقة، وكاذبون: خبرها. ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا لَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطة للقسم، ويحملن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكين: فاعل، وأثقالهم: مفعول به، وأثقالاً: عطف على أثقالهم، ومع أثقالهم: ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنـقاـلاً. ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرَغُونَ﴾ الواو: عاطفة، ويـسألـنـ: عطف على يـحملـنـ، ويـيومـ الـقيـمةـ: ظرف متعلق بـيـسألـنـ، وـعـماـ: مـتعـاـ: بـيـسألـنـ أـيـضاـ، وجـملـةـ كـانـواـ: صـلـةـ ماـ، وجـملـةـ يـفترـونـ: خـبرـ كـانـواـ. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسَيْنَ عَامًا﴾ كلام مستأنف مسوق لتأيد التكليف الذي أـلـزمـ محمد ﷺ به أـتـابـاعـهـ، أيـ: أنه ليس مختصاـ بالـنبـيـ وـأـتـابـاعـهـ، والـلامـ: جـوابـ للـقسمـ المحـذـوفـ، وـقـدـ: حـرفـ تـحـقـيقـ، وـأـرـسـلـنـاـ: فـعلـ، وـفـاعـلـ، وـنـوـحــاـ: مـفعـولـ بـهـ، وـإـلـىـ قـومـهـ: مـتـلـعـقـانـ بـأـرـسـلـنـاـ، فـلـبـثـ: الفـاءـ: عـاطـفـةـ، وـلـبـثـ: فـعلـ مـاضـ، وـفـاعـلـهـ مـسـتـترـ، تـقـدـيرـهـ: هوـ، يـعـودـ عـلـىـ نـوـحــ، وـفـيهـ: مـتـلـعـقـانـ بـلـبـثـ، وـأـلـفـ سـنـةـ: نـصـبـ عـلـىـ الـظـرفـ؛ لأنـهـ عـدـدـ أـضـيـفـ إـلـىـ الـظـرفـ فـأـخـذـ مـنـهـ ظـرفـيـتـهـ، وـهـوـ مـتـلـعـقـ بـلـبـثـ أـيـضاـ، وـإـلـاـ أـدـاةـ اـسـتـثـنـاءـ: وـخـمـسـيـنـ مـنـصـوبـ عـلـىـ اـسـتـثـنـاءـ، وـعـامـاـ: تـميـزـ، وـقـدـ روـعـيـتـ هـنـاـ نـكـتـةـ، نـذـكـرـهـاـ فـيـ بـابـ الـبـلـاغـةـ.

﴿فَأَخْذَهُمُ الظُّوفَانُ وَهُمْ ظَلِيمُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذهم الطوفان: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وظالموٰن: خبر. والطوفان: ما أطاف، وأحاط بكثرة وغلبة من سيل، أو ظلام ليل، أو نحوهما، قال العجاج:

حَتَّى إِذَا مَا يُوْمِهَا تُصْبِيَا وَعَمَ طَوْفَانُ الظَّلَامِ الْأَثَابَا

والبيت للعجاج، يصف بقرة وحشية، وما: زائدة بعد إذا، عم بالمهملة، ويروى بالمujam، والمعنيان متقاريان، والأثاب: نوع من الشجر يشبه شجر التين، الواحدة أثابة، ونسبة التصبب لليوم مجاز عقلي من باب الإسناد للزمان، أي: تصبب المطر، وستر ظلامه الشجر الذي كان فيه.

﴿فَأَبْجِنَاهُمْ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الفاء: عاطفة وأنجيناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وأصحاب: عطف على الهاء: أو: مفعول معه، وجعلناها: الواو: عاطفة، وجعلناها: فعل، وفاعل، ومفعول به، آية: مفعول به ثان، وللعالمين: صفة لآية.

□ البلاغة:

١- مجيء الأمر بمعنى الخبر:

في قوله: ﴿وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُم﴾ الكلام أمر بمعنى الخبر، يعني: أن أصل ﴿وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُم﴾: إن تتبعونا نحمل خطاياكم، فعدل عنه إلى ما ذكر ما هو حلال الظاهر من أمرهم بالحمل. وفي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ نكتة ستة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر، فإن من الناس من أنكره، ولا حجة له؛ لأن الله تعالى أردف قولهم: ﴿وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُم﴾ على صيغة الأمر بقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ رتنكicity إنما يتطرق إلى الإخبار.

٢- نكتة العدد:

وذلك في قوله: ﴿فَلَيَثِ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِسَتْ عَامًا﴾ فإن الإخبار بهذه الصيغة يمهد عنده نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعة أهلكتهم عن

آخرهم؛ إذ لو قيل: فلبيث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للعبارة الأولى؛ لأن لفظة ألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء، وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر ألف، فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في إصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعاء.

وعبارة الزمخشري في صدد هذا العدد: «فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة. قلت: ما أورده الله أحكم؛ لأنه لو قيل كما قلت؛ لجاز أن يتوهם إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجبيه كذلك، وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخضر، وأعذب لفظاً، وأملاً بالفائدة. وفيه نكتة أخرى، وهي: أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته، وما كابده من طول المصايرة تسلية لرسول الله ﷺ، وتشبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره».

نكتة ثانية في العدد:

وهناك نكتة ثانية، وهو: أنه غاير بين تمييز العدددين فقال في الأول **«سنة»** وقال في الثاني **«عاماً»** لئلا يثقل اللفظ، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إذاناً بأن نبي الله ﷺ لما استراح منهم بقي في زمن حسن، والعرب تعبّر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة.

نكتة ثالثة في العدد:

وهناك نكتة ثالثة اكتشفها الرازى قال: «فإن قلت ما الفائدة في مدة لبته؟ قلت: كان رسول الله ﷺ يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام، فقال له الله تعالى: إن نوحأ لبث في قومه هذا العدد الكبير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر، وما ضجر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبتك، وكثرة عدد أمتك».

* الفوائد:

في قوله: «وَلَنَحْمِلُ خَطَايَاكُم» الأصل دخول لام الأمر، ولا النافية على فعل الغائب معلوماً ومحظواً، وعلى المخاطب، والمتكلم المجهولين، ويقل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم، فإن كان المتكلم غيره؛ فدخولهما عليه أهون وأيسر؛ كالأية المتقدمة، وقول الشاعر:

إِذَا مَا خَرَجْنَا مِنْ دِمْشَقَ فَلَا نَعْدُ
لَهَا أَبْدًا مَا دَامَ فِيهَا الْجَرَاضِيمُ

﴿وَإِنَّ رَهِيمًا إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَقْوُهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾١٦﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَخَلْقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا مِنْ حَدَادِ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾١٧﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا بَلَغُ الْمَيِّتِ ﴾١٨﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْحَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾١٩﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ أَلْهَهُ يُنشِئُ النَّسَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾٢٠﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَلِإِيمَانِهِمْ تَقْلِبُونَ ﴾٢١﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٌ ﴾٢٢﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُعَذَّبُتِ اللَّهُ وَلِقَاءِهِ أُولَئِكَ يَسِّرُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾٢٣﴾

○ الاعراب:

﴿وَإِنَّ رَهِيمًا إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ كلام مستأنف لسوق قصة ثانية بعد قصة نوح والطوفان . وإبراهيم: منصوب بفعل مخدوف ، تقديره: اذكر ، وإذا: الظرف بدل اشتغال من إبراهيم ، ولنك أن يجعله كلاماً معطوفاً ، فتعطف إبراهيم على

نواً، وتعلق الطرف بأرسلنا، والمعنى عندئذ: أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن مبلغاً يخاطب فيه قومه بعبارات الوعظ والإرشاد، وجملة قال لقومه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولقومه: متعلقات بقال. ﴿أَعْبُدُو اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجملة: مقول قول إبراهيم لقومه، وأعبدوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، ولفظ الحالة: مفعوله، واتقوه: عطف على اذكروا الله، وذلكم: مبتدأ، وخير: خبر، ولكم: متعلقات بخير، وإن: شرطية، وكتم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، وجملة تعلمون: خبرها، وجواب الشرط: محل دل عليه ما قبله؛ أي: فاعبدوا الله واتقوه. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ أَنَّا نَنْخَلِقُونَ إِفْكًا﴾ إنما: كافة ومكاففة، وتعبدون: فعل مضارع، وفاعل، ومن دون الله: حال، وأوثاناً: مفعول به، وتخلقون إفكاً: عطف على ما قبله، ويجوز في الإفك أن يكون مصدراً، وأن يكون صفة، أي: خلقاً إفكاً، أي: ذا إفك وباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوكُمْ لَكُمْ رِزْقًا﴾ إن، واسمها، وجملة تعبدون: صلة، ومن دون الله: حال، وجملة لا يملكون: خبر إن، ولكم: متعلقات برزقاً، ورزقاً: مفعول به ليملكون؛ لأنـ بمعنى المزروع، أو: مصدر مؤول من إنـ والفعل، أي: لا يقدرون أن يرزقونكم، ويجوز نصبه على المصدر، وناصبه: لا يملكون؛ لأنـ في معناه. ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، وابتغوا: فعل أمر، وفاعل، وعند الله: متعلقات بابتغوا، والرزق: مفعول ابتغوا، وأعبدوه واشكرواله: عطف على ابتغوا، وإليه: متعلقات بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمْرٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ عطف على ما تقدم مننظم في سلك حديث إبراهيم عليه السلام لقومه، وإن: شرطية، وتكذبوا: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، فقد: الفاء: رابطة

للجواب؛ لاقترانه بقد، وكذب ألم: فعل، وفاعل، ومن قبلكم: صفة لأمم، وقيل: جواب الشرط ممحض، أي فلا يضرني تكذيبكم، فقد كذب ألم من قبلكم أنبياءهم، ورسلهم، وما: الواو: حالية، أو استئنافية، وما: نافية، وعلى الرسول: خبر مقدم، وإلا: أداة حصر، والبلاغ: مبتدأ مؤخر، والمبين: صفة لبلاغ. ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكارى، والواو: عاطفة على ممحض يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي، وجزم، وقلب، وكيف: اسم استفهام في محل نصب حال، وجملة يبدىء الله الخلق: في محل نصب مفعول يروا؛ لأنها علقت عن العمل بالاستفهام، والرؤوية قلبية، والمراد بها العلم الصحيح الواضح، لأنـه كالرؤوية البصرية، ثم يعيدهـ: كلام مستأنـف، أوـ: هو كلام معطـوف على أولـ يرواـ، وسبـب امتنـاع عطفـه على يـبدـىـءـ: لأنـ المقصـود الاستـدلـال بما عـلـموـهـ من أحـوالـ المـبـدـأـ علىـ المعـادـ لإـثـبـاتـهـ، فـلوـ كانـ مـعـلـومـاـ لهمـ لـكانـ تـحـصـيـلاـ لـلـحـاـصـلـ، وـلاـ يـقـالـ: إـنـهـ منـ قـبـيلـ عـطـفـ الـخـبـرـ عـلـىـ الإـنـشـاءـ؛ لأنـ الاستـفـهـامـ مـتـضـمـنـ معـنـىـ الإـنـكـارـ، وـالـتـقـرـيرـ، فـهـوـ بـمـثـابـةـ الإـخـبارـ، وـإـنـ، وـاسـمـهـاـ، وـعـلـىـ اللهـ: مـتـعـلـقـانـ بـيـسـيرـ، وـيـسـيرـ: خـبـرـ إنـ.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَا الْخَلْقُ﴾ الكلام حكاية قول إبراهيم لقومه، أو حكاية قول الله لإبراهيم، وسيروا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعلـ، وفي الأرضـ: مـتـعـلـقـانـ بـسـيرـواـ، فـانـظـرـواـ: عـطـفـ علىـ سـيرـواـ، وكـيـفـ: حالـ، وـبـدـأـ الـخـلـقـ: فعلـ، وـفـاعـلـ مـسـتـترـ، وـمـفـعـولـ بـهـ، وـالـجـمـلـةـ فيـ محلـ نـصـبـ مـفـعـولـ انـظـرـواـ الـعـلـقـةـ بـسـبـبـ الـاسـتـفـهـامـ. ﴿ثُمَّ أَلَّهُ يُنشِئُ النَّشَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثمـ: حـرـفـ عـطـفـ، واللهـ: مـبـدـأـ، وجـمـلـةـ يـنـشـيـءـ: خـبـرـ، وـالـنـشـاءـ الـآخـرـةـ: نـصـبـ عـلـىـ الـمـصـدـرـيةـ المـحـذـوـفـةـ الزـرـائـدـ، وـالـأـصـلـ: الـإـنـشـاءـ، وـقـرـىـءـ: النـشـاءـ بـالـمـدـ، وـهـماـ لـغـتـانـ، كـالـأـفـةـ، وـالـرـأـفـةـ، وـإـنـ، وـاسـمـهـاـ، وـعـلـىـ كـلـ شـيـءـ: مـتـعـلـقـانـ بـقـدـيرـ، وـقـدـيرـ: خـبـرـ إنـ. ﴿يَعْدِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ﴾ الجـمـلـةـ: حالـيةـ،

أو: خبر ثان لأن، أو: مستأنفة، ويعذب: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله، ومنْ مفعوله، وجملة يشاء: صلة مَنْ، ويرحم من يشاء: عطف على يعذب من يشاء، وإليه: متعلقان بتقلبون، وتقلبون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ومعنى تقلبون: تردون، وترجعون. ﴿وَمَا أَنْثُرُ بِمَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وأنتم: اسمها، والخطاب لأهل الأرض، والباء: حرف جر زائد، ومعجزين: مجرور لفظاً، منصوب محلاً على أنه خبر ما، وفي الأرض: حال، ومفعول معجزين: محذوف للعلم به، أي: الله تعالى، أي: لا تفوتونه إن حاولتم الهرب من قصاصه، ولا في السماء: عطف على في الأرض إن حمل السماء على العلو فجائزة، أي: في البروج، والقلاع الذاهبة في العلو، ويكون تخصيصاً بعد تعميم، وما: نافية، ولكم: خبر مقدم، ومن دون الله: حال، ومن ولي: من: حرف جر زائد، وولي: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبدأ مؤخر، ولا نصير: عطف على من ولي.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِبْرَاهِيمَ أُولَئِكَ يَرِيْسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ والذين: مبدأ، وجملة كفروا: صلة، وبآيات الله: متعلقان بكفروا، ولقائه: عطف على آيات، وأولئك: مبدأ، وجملة يرسوا من رحمتي: خبر أولئك، وجملة أولئك يرسوا: خبر الذين. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأولئك: الواو: عاطفة، وأولئك: مبدأ، ولهم: خبر مقدم، وعداب: مبدأ مؤخر، وأليم: صفة لعذاب، وجملة لهم عذاب أليم: خبر أولئك.

□ البلاعنة:

- ١ - نَكَر الرزق في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ثم عَرَفه بقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ لأن الأول مقصور عليهم، فاستوجب أن يكون شيئاً قليلاً، فنكره تدليلاً على قلته وضآلته، ولما كان الثاني مبتغي عند الله

استوجب أن يكون كثيراً؛ لأنه كله عند الله، فعرفه تدليلاً على كثرته وجسامته.

٢- الإضمار والإظهار:

في قوله: «أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَا الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَاءَ الْآخِرَةَ» فنُّقلَ من يتفطن إليه؛ لأنه دقيق للغاية، ولا يجنب إليه الكاتب، أو الشاعر إلا لفائدة تربو على البداهة، وهي تعظيم شأن الأمر. ألا ترى أنه صرخ باسمه تعالى في قوله «ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَاءَ الْآخِرَةَ» مع إيقاعه مبتدأ، وقد كان القياس أن يقول: كيف بدأ الله الخلق، ثم ينشيء النشأة الآخرة، فأفصح باسمه بعد إضماره، والفائدة في ذلك: أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة، وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الإبداء، وقرر لهم: أنَّ ذلك من الله احتاج عليهم بأنَّ الإعادة إنشاء مثل الإبداء، وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء، فوجب أن لا تعجزه الإعادة، فللدلالة وللتنبية على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرز اسمه تعالى، وأوقعه مبتدأ، والأصل في الكلام: الإظهار، ثم الإضمار، ويليه لقصد التفحيم الإظهار بعد الإظهار، ويليه - وهو أفحى الثلاثة - الإظهار بعد الإضمار، كما في الآية.

وعلى هذا يقاس ما ورد من كلامهم، كقول بعضهم يصف لقاء معبني تميم قال: «ولما تلاقينا وبينو تميم؛ أقبلوا نحونا يركضون، فرأينا منهم أسوداً ثكلاً تسابق الأسنة إلى الورود، ولا ترتد على أعقابها إذا ارتدت أمثالها من الأسود، وتناجد بنو تميم علينا بحملة، فلذنا بالفرار، واستبقنا إلى تولية الأدبار» فإنه إنما قيل: «وتناجد بنو تميم» مصرحاً باسمهم، ولم يقل: وتناجدوا كما قيل: «أقبلوا» للدلالة على التعجب من إقدامهم عند الحملة، وثباتهم عند الصدمة، لا سيما وقد أردد ذلك بقوله: «الذذا بالفرار، واستبقنا إلى تولية الأدبار» كأنه قال: وتناجد أولئك الفرسان المشاهير،

والفرسان الكثرة المناكير، وحملوا علينا حملة واحدة، فولينا مدربين منهزمين.

ولقد أشار الإمام الرازى إلى هذه النكتة، ولكنه أوردها مورداً آخر، ولذلك نقل عبارته بنصها: «أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال: كيف يبدىء الله الخلق، وأضمره عند الإعادة، وفي هذه الآية أضمره عند البدء، وأبرزه عند الإعادة، حيث قال: ﴿تَمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَاءَ﴾ لأنه في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البدء، فقال: ﴿يُبَدِّئُ اللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿تَمَّ يُعِيدُهُ﴾ وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مستنداً إلى الله تعالى، فاكتفى به، وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً حيث قال: ﴿تَمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَاءَ﴾ فليقع في ذهن السامع كمال قدرته، وعلمه، وإرادته، ولم يقل: يعيده، بل قال: ينشيء للتبني على أن البدء يسمى نشأة، كالإعادة، والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا: نشأة أولى ونشأة ثانية».

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوهُ أَوْ حَرَقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَدِتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا أَخْذَنَا مَوَدَّةَ بَنِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِعَصْبِهِمْ وَيَلْعَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَمَا وَنَّكُمُ الْنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ۝ ۲۵﴾
 ﴿فَعَانَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْشُّوَّهَةُ وَالْكَنْبَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَلِئَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ۲۶﴾

○ الإعراب:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوهُ أَوْ حَرَقُوهُ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماضٌ ناقص، وجواب: خبرها المقدم، وإن: أداة حصر، وأن قالوا: مصدر مؤول هو اسم كان المؤخر؛ أي: قال بعضهم البعض، فكانوا جميعاً في حكم القائلين، واقتلوه: فعل أمر، وفاعل،

ومفعول به، والجملة: مقول القول، وأو: حرف عطف، وحرّقوه: عطف على اقتلوه. ﴿فَأَنْجَنَّهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: فقدفوه في النار، فأنجاه الله، وأنجاه الله: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ومن النار: متعلقان بأنجاه، وإن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وأيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿وَقَالَ إِنَّمَا أَخْذَذُهُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ أَوْتَنَا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الواو: عاطفة، وقال: عطف على أنجيناهم، وإنما: كافة ومكاففة، واتخذتم: فعل، وفاعل، ومن دون الله: في موضع المفعول الثاني لاتخذتم، وأوثاناً: مفعول به أول لاتخذتم، ومودة: مفعول للأجله، أو: منصوبة بفعل ممحض، تقديره: أعني، وبينكم: مضاد إلى مودة، وفي الحياة الدنيا: متعلقان باتخذتم، أو: بممحض حال. وهذه الآية شغلت المعربين كثيراً لاختلاف قراءاتها، وتباين وجهات النظر فيها، وقد ابتسرنا الكلام في الإعراب على قراءة حفص، واخترنا أمثل الأوجه، وأسهلها، وسننقل في باب الفوائد غيضاً من فيض مما قيل فيها شحذاً للأذهان. ﴿شَرَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفُّرُ بَعْضُكُمْ بِعَضٍ وَيَعْلَمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ثم: حرف عطف للترابي، ويوم القيمة: ظرف متعلق بيافر، وببعضكم: فاعل، وببعض: متعلقان بيافر أيضاً، ويلعن ببعضكم بعضاً: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَمَا وَنَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مأواكم: مبتدأ، أو: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وناصرين: مبتدأ مؤخر، وهو مجرور لفظاً.

﴿فَامَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الفاء: عاطفة، وأمن: فعل ماض، ولوط: فاعله، وله: متعلقان بأمن، وقال: عطف على فامن، وفاعله: مستتر يعود على إبراهيم، ولذلك يجب الوقف على لوط؛ لأن قوله: إني مهاجر: مقول إبراهيم، فلو وصل لتوهم: أنَّ الفعل الثاني للوط، فيفسد المعنى، وإنَّ، واسمها، ومهاجر: خبرها، وإلى

رب: متعلقان بمهاجر؛ أي: إلى حيث يأمرني رب، ففي الكلام مجاز، وإنَّ، وأسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز: خبر إني، أو: خبر هو، والجملة: خبر إني، والحكيم: خبر ثان. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْسُّبُّوَةَ وَالْكِتَابَ﴾ ووهبنا: فعل، وفاعل، وله: متعلقان بوهبنا، وإسحاق: مفعول به، ويعقوب: عطف عليه، وجعلنا: فعل، وفاعل، وفي ذريته: في موضع المفعول الثاني، والنبوة: هي المفعول الأول، والكتاب: عطف على النبوة. ﴿وَمَا أَيْنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الْصَّابِرُونَ﴾ وآتيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والواو: عاطفة، وأجره: مفعول به ثان، وفي الدنيا: حال، وإنَّ، وأسمها، وفي الآخرة: حال، واللام المزحلقة، ومن الصالحين: خبر إنه.

* الفوائد:

قدمنا لك أمثل الأوجه في إعراب قوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنَّمَا أَنْخَذْتُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ووعدناك أن ننقل شيئاً مما قالوه فيها، وكله من الكلام الجيد، والمنطق الحصيف، ونبداً بما قاله الزمخشري قال: «قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك، فالنصب على التعليل، أي: لتوادوا بينكم، وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها، واتفاقكم عليها، كما يتافق الناس على مذهب، فيكون ذلك سبب تحابهم، وتصادفهم، وأن يكون مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿أَنْخَذَ إِلَيْهِمْ هَوَنَهُ﴾ أي: اخذتم الأوثان سبب المودة بينكم؛ على تقدير حذف المضاف، أو: اخذتموها مودة بينكم؛ بمعنى: مودودة بينكم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْخُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُسْنَ اللَّهِ﴾ وفي الرفع وجهاً: أن يكون خبراً لأنَّ؛ على لأنَّ ما: موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: أن الأوثان مودة بينكم، أي: مودودة، أو: سبب مودة، وعن عاصم: مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة، كما قرئ ﴿لَقَدْ تَفَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ففتح، وهو فاعل، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه (أوثاناً إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا)

أي : إنما تتوادون عليها ، أو تودونها في الحياة الدنيا» .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وقال : إنما اتخذتم : في ما هذه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها موصولة بمعنى الذي ، والعائد مخدوف ، وهو المفعول الأول ، وأوثاناً مفعول ثان ، والخبر : مودة في قراءة من رفع ، كما سيأتي ، والتقدير : إن الذي اتخذته أو ثاناً مودة ؛ أي : ذو مودة ، أو جعل نفس المودة وبالغة ، ومخدوف على قراءة من نصب مودة ، أي : الذي اتخذته أو ثاناً لأجل المودة ، لا ينفعكم ، أو : يكون عليكم ، لدلالة قوله : ﴿ثُدَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بِعَصْبَكُمْ بِعَصِّيٍ﴾ .

والثاني : أن تجعل ما : كافية ، وأوثاناً : مفعول به ، والاتخاذ هنا متعدد لواحد ، أو : لاثنين ، والثاني هو : من دون الله ، فمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ ماض ، أي : هي مودة ، أي : ذات مودة ، أو : جعلت نفس المودة وبالغة ، والجملة حيث ذكرت صفة لأوثاناً ، أو مستأنفة ، ومن نصب كان مفعولاً له ، أو بإضمار أعني .

الثالث : أن تجعل ما : مصدرية ، وحيثذا يجوز أن يقدر مضاد من الأول ، أي : إن سبب اتخاذكم أو ثاناً مودة ، فيمن رفع مودة ، ويجوز أن لا يقدر ، بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة وبالغة ، وفي قراءة من نصب يكون الخبر مخدوفاً ، على ما مر في الوجه الأول ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي برفع مودة غير منونة ، وجر بينكم ، ونافع ، وابن عامر ، وأبو بكر بن نصب مودة منونة . ونصب بينكم ، ومحنة ، وحفظ بنصب مودة غير منونة ، وجر بينكم ، فالرابع قد تقدم ، والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان ، ويجوز وجه ثالث ، وهو : أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة للاتساع في الطرف ، ومن نصبه فعل أصله ، ونقل عن عاصم : أنه رفع مودة غير منونة ، ونصب بينكم ، وخرجت على إضافة مودة للظرف ، وإنمابني لإضافته إلى غير متمكن ، كقراءة : «لقد قطع بينكم بالفتح ؛ إذا جعلنا بينكم فاعلاً» .

وفي كتاب أبي البقاء جاء قوله: «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَخْذَذُمُ﴾ في ما: ثلاثة أوجه. أحدها: هي بمعنى الذي، والعائد: مذوف، أي: اخذتموه، و﴿أَوْثَنَا﴾ مفعول ثان، أو: حال و﴿مَوَدَّةً﴾ الخبر على قراءة من رفع، والتقدير: ذو مودة. والثاني: هي كافة، وأوثاناً: مفعول، ومودة بالنصب: مفعول له، وبالرفع: على إضمار مبتدأ، وتكون الجملة نعتاً لأوثان، ويجوز أن يكون النصب على الصفة أيضاً، أي: ذوي مودة، والوجه الثالث: أن تكون ما: مصدرية، ومودة بالرفع: الخبر، ولا حذف في هذا الوجه في الخبر، بل في اسم إن، والتقدير: إن سبب اتخاذكم مودة، ويقرأ ﴿مَوَدَّةً﴾ بالإضافة في الرفع والنصب و﴿بَيْنَكُم﴾ بالجر ويتثنى ﴿مَوَدَّةً﴾ في الوجهين جميعاً، ونصب بين، وفيما يتعلق به ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سبعة أوجه (الأول): أن يتعلق باختدمت؛ إذا جعلت ما كافية لا على الوجهين الآخرين؛ لثلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر. (الثاني): أن يتعلق بنفس مودة إذا لم تجعل بين صفة لها، لأن المصدر إذا وصف لا يعمل، (الثالث): أن تجعله صفة ثانية لمودة إذا نوتها اجتماعكم، أو: وصلكم. (الرابع): أن تجعله صفة ثانية لمودة إذا نوتها وجعلت ﴿بَيْنَكُم﴾ صفة. (الخامس): أن تجعلها بـ ﴿مَوَدَّةً﴾ وتجعل ﴿بَيْنَكُم﴾ ظرف مكان فيعمل ﴿مَوَدَّةً﴾ فيهما. (السادس): أن تجعله حالاً من الضمير في ﴿مَوَدَّةً﴾ إذا جعلته وصفاً لـ ﴿مَوَدَّةً﴾ و(السابع): أن تجعله حالاً من ﴿بَيْنَكُم﴾ لتعريفه بالإضافة، وأجاز قوم منهم أن تتعلق في بـ ﴿مَوَدَّةً﴾: وإن كان ﴿بَيْنَكُم﴾ صفة؛ لأن الظروف يتسع فيها، بخلاف المفعول به».

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿ۚ﴾ أَيْسُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَنَقْطَعُونَ السَّكِيلَ
وَتَأْتُونَ فِي نَكَادِيكُمُ الْمُنْكَرُ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا

﴿إِنَّا يَعْذَابُ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قَالَ رَبِّيْ أَنْصُرْنِي عَلَى
الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾

☆ اللغة:

﴿كَادِيكُم﴾: النادي، والندوة، والمنتدى: مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، وجمعه: أندية، ولا تقل: نواد، وغلط صاحب «المجده» فجمعه على نواد، وما يندوهم النادي، أي: ما يسعهم المجلس من كثريهم. وقال الزمخشري: «ولا يقال للمجلس: ناد إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاما عنه لم يبق نادياً».

○ الإعراب:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ
أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ عطف على إبراهيم، أو منصب بفعل مذوف، تقديره: اذكر، والظرف بدل اشتغال من لوطاً، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولقومه: متعلقان بقال، وجملة إنكم تأتون: مقول القول، وأنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون: خبرها، والواو: فاعل، والفاحشة: مفعول به، وجملة ما سبقكم: مستأنفة، مسوقة لتقرير فحشها، وهجنة فاعلها، ورجح أبو حيان أن تكون حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة مبتدعين لها، غير مسبوقين بها، وما نافية، وسبقكم فعل ماض ومفعول به، وبها متعلقان بسبقكم. ومن: حرف جر زائد، وأحد: مجرور لفظاً مرفوع مخاللاً على أنه فاعل سبقكم، ومن العالمين: صفة لأحد. **﴿أَيْكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّكِيلَ وَتَأْتُونَ فِي كَادِيكُمْ الْمُنْكَر﴾** الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإنكم: إن، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون: خبر إن، والرجال: مفعول به، وتقطعون السبيل: عطف على تأتون الرجال، قيل: إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم، فقطعوا السبيل بهذا السبب، وتأتون عطف

أيضاً، وفي ناديكم: متعلقان بتأتون، والمنكر: مفعول به. «فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَئْتَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماضٌ ناقص، وجواب: خبر كان المقدم، وإلا: أداة حصر، وأن، وما في حيزها: اسم كان المؤخر، وجملة ائتنا: مقول القول، وائتنا: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعذاب الله: متعلقان بائتنا، وإن شرطية: وكنت: فعل ماضٌ ناقص في محل جزم فعل الشرط، والباء: اسمها، ومن الصادقين: خبرها، وجواب إن مذدوف، دل عليه ما قبله؛ أي: فائتنا بعذاب الله. «قَالَ رَبِّ أَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» رب: منادي مضاف لـياء المتكلم المذدوفة، وحرف النداء مذدوف، وانصرني: فعل دعاء، والفاعل: مستتر، والنون: للوقاية، والباء: مفعول به، وعلى القوم: متعلقان بـانصرني، والمفسدين: صفة للقوم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهَلِّكُوْا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرَيَّةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾٢١﴿ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَتَسْجِينُهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ ﴾٢٢﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتِ رُسُلُنَا الْوَطَاسِعَةَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِوْكُ وَأَهْلَكُ إِلَّا أُمْرَاتِكُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ ﴾٢٣﴿ إِنَّا مُنْزَلُوْنَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرَيَّةِ رِجْزًا مِّنِ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُوْنَ ﴾٢٤﴿ وَلَقَدْ تَرَكَنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَكَمَا لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ ﴾٢٥﴾

☆ المفتاح:

﴿ذَرْعًا﴾: الذرع: الطاقة، والقوة. وفي «المصباح»: «ضاق بالأمر ذرعاً: عجز عن احتماله، وذرع الإنسان: طاقته التي يبلغها» وعبارة الزمخشري: «وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع بـكذا؛ إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه:

أنَّ الرَّجُل إِذَا طَالَتْ ذِرَاعُه نَالَ مَا لَا يَنْالُهُ الْقَصِيرُ الذِّرَاعُ، فَضَرَبَ ذَلِكَ مثَلًا في العِجزِ وَالْقُدْرَةِ وَفِي «الأساس» وَ«اللسان»: العَجِيبُ مِنْ مَجَازِ هَذِهِ الْكَلْمَةِ إِذْ يُقَالُ: ضَاقَ بِالْأَمْرِ ذِرَاعًا، وَذِرَاعًا: إِذَا لَمْ يَطْقُهُ، وَأَبْطَرَتْ نَاقْتَكَ ذِرَاعَهَا: كَلْفَتْهَا مَا لَمْ تُطِقْ، وَاقْصِدْ بِذِرَاعِكَ، وَارْبَعَ عَلَى ظَلْلَعِكَ: ارْفَقَ بِنَفْسِكَ، وَمَالِكٌ عَلَى ذِرَاعٍ؛ أَيِّ: طَاقَةٌ، وَظَفَتْ فِي مَذَارِعِ الْوَادِيِّ؛ وَهِيَ أَصْوَاجَهُ، وَنَوَاحِيهُ، وَقَدْ أَذْرَعَ فِي كَلَامِهِ هُوَ، يَذْرَعُ فِيهِ، إِذْرَاعًا، وَهُوَ: الإِكْشَارُ، وَفَلَانُ ذَرِيعَتِي إِلَيْكَ، وَقَدْ تَذَرَعْتَ بِهِ إِلَيْهِ؛ أَيِّ: تَوَسَّلْتَ، وَسَأَلْتَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَذَرَعَ لِي مِنْهُ شَيْئًا، وَذَرَعْتَ لِفَلَانَ عَنْدَ الْأَمْرِ: شَفَعْتَ لَهُ، وَأَنَا ذَرِيعَ لَهُ عِنْدَهُ وَوَقَعَ فِيهِمْ مَوْتُ ذَرِيعٍ: سَرِيعٌ فَاشٌ، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَدَافَنُوا، وَاسْتَوْى كَذِرَاعِ الْعَالَمِ، وَهُوَ: صَدْرُ الْقَنَاهِ، وَهُوَ لَكَ مِنِي عَلَى حَبْلِ الذِّرَاعِ؛ أَيِّ: حَاضِرٌ قَرِيبٌ وَجَعَلَتْ أَمْرَكَ عَلَى ذِرَاعِكَ، أَيِّ: أَصْنَعَ مَا شَاءَتْ».

هذا والذراع من الرجل: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، والساعدي مؤنثة فيهما، وقد تذكّر، والذراع من المقاييس؛ طوله بين الخمسين والسبعين سنتيمتراً.

﴿رِحْزًا﴾: الرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجمس: إذا اضطرب لما يلحق المعدب من القلق والاضطراب.

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوْنَا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ﴾
الواو: عاطفة على ممحوف يقتضيه السياق، أي: فاستجاب الله دعاء لوط، وأرسل ملائكة لإهلاكهم، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم. ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءت رسالنا إبراهيم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وبالبشرى: متعلقان بجاءت، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة إنما: مقول القول،

وإنَّ، واسمها، ومهلوك: خبرها، وأهل هذه: مضافين، والقرية: بدل من هذه، وهي: سدوم، أو سدوم، وقد تقدم تفصيل ذكرها، فجدد به عهداً. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الجملة: لا محل لها؛ لأنها تعليل للإهلاك، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وظالمين: خبر كانوا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ إن: حرف مشبه بالفعل، وفيها: خبرها المقدم، ولوطًا: اسمها المؤخر، وسيأتي معنى هذا الإخبار في باب البلاغة، وقالوا: فعل، وفاعل، ونحن: مبتدأ، وأعلم: خبر، وبمن: متعلقان بأعلم، وفيها: صلة مَنْ. ﴿لَتَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْفَتَّارِينَ﴾ اللام: موطة للقسم، ونجنه: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، وأهله: عطف على الهاء، أو: مفعول معه، وإلا: أداة استثناء، وامرأته: مستتر، وقد تقدم هذا، وجملة كانت: حالية، وكانت: فعل ماضي ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: هي، ومن الغابرين: خبرها، أي: الباقي في العذاب.

﴿وَلَمَّا آتَنَا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سُوْتَهُ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذِرْعًا﴾ آن: زائدة بعد لما، تفيد المهلة مع الترتيب في وقتين متقاربين لا فاصل بينهما، وقد تقدم نظيرها في «يوسف» وجملة سيء بهم: لا محل لها، وسيء: فعل ماضي مبني للمجهول، وبهم: متعلقان بسيء، ونائب الفاعل هو ضمير المصدر؛ أي: جاءته المساعة والغم بسبعين على حد قوله:

يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابِتِهِ

فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَسِّمُ

وسيأتي تفصيل لهذا في باب الفوائد. وضاق بهم: عطف على سيء، وذرعاً: تبييز محول عن الفاعل، أي: ضاق ذرعه بهم، ويجتمل أن نائب الفاعل ضمير يعود على لوط ﴿وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزُنْ إِنَّا مُتَجَهُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْفَتَّارِينَ﴾ الواو: استثنافية، وقالوا: فعل وفاعل، وإنما: إن، واسمها، ومنجوك: خبرها، والكاف: في موضع جر بالإضافة،

وعلى هذا تنصب وأهلك بفعل محنوف، أي: ونجي أهلك، وما بعده تقدم إعرابه. ﴿إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَىٰ أَهْلٍ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ إن، واسمها، ومتزلون: خبرها، وعلى أهل هذه القرية: متعلقان بمتزلون، ورجزاً: مفعول به لمتزلون؛ لأنه اسم فاعل، ومن السماء: صفة لرجز، وبما: الباء: سبية، وما: مصدرية، أي: بسبب فسقهم، وكان، واسمها، وجملة يفسقون: خبرها. ﴿وَلَقَدْ تَرَكَنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وتركنا: فعل، وفاعل، ومنها: متعلقان بتركنا، أو هو المفعول الثاني لها، وآية: مفعولها الأول، وبينة: صفة؛ لأن «ترك» اختلف فيها النهاة فمنهم من جعلها تتعدي إلى واحدٍ، ومنهم من جعلها بمعنى صير فإلى مفعولين، وهو اختيار ابن مالك وأنشد:

وريته حتَّى إذا مات ركته

أخا القَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُه

ولقوم: متعلقان ببينة، وجملة يعقلون: صفة لقوم.

□ البلاغة:

فن الإشارة:

في قوله: ﴿إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا﴾ فن الإشارة، وقد تقدم ذكره كثيراً في هذا الكتاب، فليس المراد إخبارهم بكون لوط في القرية، وإنما هو جدال في شأنه؛ لأنهم ذكروا أن أهلها سيهلكون بسبب إمعانهم في الظلم، فاعتراض عليهم بأن فيها من هو بريء الساحة من الذنب، لم يجترح ذنباً، ولم يقترف إثماً، ولم يشارك قومه فيما هم معنون فيه من غي، وارتکاس، وفي هذا كله أيضاً إشارة إلى أنَّ من واجب الإنسان المؤمن أن يتحزن لأنبيائه، وأن يسارع إلى رد الحيف عنه، ويتشمر للدفع عنه، وهذا من بلاغ الإشارة وخفتها.

* الفوائد :

نائب الفاعل :

ينوب عن الفاعل بعد حذفه واحد من أربعة :

١ - المفعول به نحو : ﴿ وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَّ الْأَمْرُ ﴾

٢ - المجرور بحرف الجر نحو : ﴿ وَلَمَّا سُقطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ شريطة أن لا يكون حرف الجر للتعليق ، فلا يقال : وُقْفٌ لـك ، ولا من أجلـك ، ويقال في إعرابـه : إنه مجرور لفظـاً بـحرفـ الجـر مـرفـوعـ مـحـلاًـ عـلـىـ أـنـهـ نـائـبـ فـاعـلـ ، غـيرـ أـنـهـ إـذـاـ كـانـ مـؤـنـثـاًـ لـاـ يـؤـنـثـ فـعـلـهـ ، بلـ يـقـىـ مـذـكـراًـ ، فـلاـ يـقـالـ ذـهـبـ بـفـاطـمـةـ ، بلـ ذـهـبـ بـفـاطـمـةـ .

٣ - الظرف المتصرف المختص ، نحو : مُشيـ يومـ كاملـ ، وصـيمـ رمضانـ ، والـمـرادـ بـالـظـرفـ المـتـصـرفـ : ما يـصـحـ الإـسـنـادـ إـلـيـهـ ، كـيوـمـ ، وـليـلةـ ، وـدـهـرـ ، وـشـهـرـ ، وـغـيرـ المـتـصـرفـ : ما لـاـ يـصـحـ الإـسـنـادـ إـلـيـهـ ، كـحـيثـ ، وـعـنـدـ ، وـالـمـرادـ بـالـمـخـصـ : أـنـ يـكـونـ مـفـيدـاًـ غـيرـ مـبـهمـ ، وـيـكـونـ مـخـصـاًـ بـالـوـصـفـ ، نحوـ جـلـسـ مجلسـ مـفـيدـ ، أوـ بـالـإـضـافـةـ ؛ـ نحوـ سـهـرـتـ لـيـلـةـ الـقـدـرـ ، أوـ بـالـعـلـمـيـةـ ؛ـ نحوـ صـيمـ رمضانـ ، فـلاـ تـنـوـبـ عـنـ فـاعـلـ الـظـرـوفـ الـمـبـهـمـةـ ، نحوـ زـمانـ ، وـوقـتـ ، وـمـكـانـ غـيرـ مـضـافـةـ .

٤ - المصدر المتصرف المختص ، نحو : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَةً وَجَهَةً ﴾ فـنـفـخـةـ : نـائـبـ فـاعـلـ ، وـهـوـ مـصـدرـ مـتـصـرفـ يـصـحـ الإـسـنـادـ إـلـيـهـ ، وـمـخـصـ لـكـونـهـ مـوـصـوفـاًـ ، وـيـمـتنـعـ : سـيـرـ سـيـرـ ؟ـ لـعـدـ الـفـائـدـةـ ، وـقـدـ يـنـوـبـ عـنـ فـاعـلـ فـيـ المـصـدرـ المـتـصـرفـ المـخـصـ ، وـمـنـهـ قـوـلـ الـفـرـزـدقـ :

يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابِتِهِ

فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

فيـكونـ المعـنىـ :ـ يـغـضـيـ الإـغـضـاءـ الـمـعـهـودـ وـهـوـ إـغـضـاءـ الإـجـالـ وـمـنـ مـهـابـتهـ ، فـنـائـبـ فـاعـلـ :ـ ضـمـيرـ الإـغـضـاءـ الـمـفـهـومـ مـنـ يـغـضـيـ ،ـ وـلـاـ يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ مـنـ

مهابته، في موضع الرفع على أنه نائب الفاعل؛ لأن حرف الجر هنا للتعليل، فهو في محل نصب على أنه مفعول من أجله. ومن أمثلته أيضاً قول طرفة بن العبد البكري:

فِي لَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا

وَمَا كَلُّ مَا يَهْوِي امْرُؤٌ هُوَ نَائِلُهُ

فيكون المعنى: حيل الحول المعهود، ولا يصح أن يكون الظرف؛ لأنه غير متصرف.

﴿وَإِنَّ مَدِينَتَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَكْتُمُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ
الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَلَأَخْذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾٣٧﴾ وَعَادَا وَشَمُودًا وَقَدْ تَبَرَّ لَكُمْ مِنْ
مَسَكِنِهِمْ وَرَتَبَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا
مُسْتَبْصِرِينَ ﴾٣٨﴾ وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَنُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَاسْتَكَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَكِينِينَ ﴾٣٩﴾ فَكُلُّا أَخْذَنَا بِذِنْبِهِ فَيَنْهُمْ مَنْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسْفَنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾٤٠﴾

☆ النَّفْعَةُ :

﴿وَلَا تَعْثُوْا﴾ : ولا تفسدوا، وفي «المصبح»: «عثا، يعثو، وعثي، يعشى، من باب: قال، وتعب: أفسد، فهو عاث» وفي «القاموس»: «وعثا، كرمى، وسعى، ورضي، عثياً، وعثيماً، وعثياناً، وعثا، يعثو، عثوا: أفسد».

﴿الرَّحْفَةُ﴾ : الزلزلة الشديدة، وفي «الأساس»: «ورجفت الأرض

﴿فَأَخْذَتْهُمُ الْرَّجْفَةُ﴾ و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ ورجف الشجر، وأرجفته الريح، ورجف البعير تحت الرحل، والمطي تحت رحالها رواجف، ورجف، وجاءنا شيخ ترجف عظامه. ومن المجاز: خرجوا يسترجفون الأرض نجدة، وارتجفت بهم دفنا الشرق والغرب، وأرجفوا في المدينة بكندا: إذا أخبروا به على أن يقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصبح عندهم، وهذا من أراجيف الغواة، والإرجاف: مقدمة الكون، وتقول: إذا وقعت المخاوف، كثرت الأراجيف».

﴿حَاصِبَا﴾: ريمًا عاصفة فيها حصباء وفي «المختار»: «عصفت الريح: اشتدت، وبابه: ضرب».

○ الْإِعْرَاب:

﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الواو: عاطفة، وإلى مدين: متعلقان بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح، أي: وأرسلنا إلى مدين شعيباً، وأخاهم: مفعول به، وشعيباً: بدل، أو: عطف بيان، والفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ويا: حرف نداء، وقوم: منادي مضاد إلى ياء المتكلم المحذوفة، وقد مر حكم المنادي مضاد إلى ياء المتكلّم، وأعبدوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وارجوا: عطف على عبدوا، واليوم: مفعول به، والآخر: صفة لليلم. ﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: نهاية، وتعثوا: فعل مضارع مجزوم بلا النهاية، والواو: فاعل، وفي الأرض: متعلقان بتعثوا، ومفسدين: حال. ﴿فَكَذَبُوهُ فَأَخْذَتْهُمُ الْرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذتهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، فأخذتهم: فعل مؤخر، فأصبحوا: عطف على فأخذتهم، ومفعول به مقدم، والرجفة: فاعل مؤخر، فأصبحوا: عطف على فأخذتهم، والواو: اسم أصبح، وفي دارهم: متعلقان بجاثمين، وجاثمين: خبر أصبحوا. ﴿وَعَكَادَا وَتَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ الواو:

عاطفة، وعاداً: مفعول به لفعل مخدوف معطوف على ما قبله، أي: وأهلكنا عاداً، وثموداً: عطف على عاداً، بالصرف وتركه، والواو: عاطفة، وقد: حرف تحقيق، وتبين: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: إهلاكهم، وقدره بعضهم: آيات بينات تعظون بها، وتفكررون فيها، ومن مساكنهم: متعلقان بتبيين؛ أي: من جهة مساكنهم إذا عرجتم بها. ﴿وَرَأَيْتَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وزين: فعل ماض ولهم: متعلقان بزين، والشيطان: فاعل، وأعمالهم: مفعول به، فصدتهم: عطف على زين، وعن السبيل: متعلقان بصدتهم، والواو: حالية، و كانوا: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، ومستبصرين: خبرها، أي: الحال: أنهم كانوا متمكنين من النظر والاستبصر، ولكنهم أصموا آذاتهم، وأغشو عيونهم عن الحق ورؤيه معاله.

﴿وَقَدْرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكَبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَيِّقِينَ﴾ وقارون: معطوف على عاد وفرعون، وهامان: عطف عليه، وقدم قارون لقرباته من موسى، أي: أهلكناهم جميعاً، والواو: عاطفة، واللام: موطة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وجاءهم: فعل، ومفعول به مقدم، وموسى: فاعل، وبالبيانات: متعلقان بجاءهم، فاستكروا: عطف على جاءهم، وفي الأرض: متعلقان باستكروا، والواو: حالية، وما: نافية، وكانوا: كان واسمها، وسابقين: خبرها، أي: أنهم لجوا في طغيانهم، ولكنهم لم يكونوا فائتين، فأدركهم عذابنا. ﴿فَكُلُّا أَخْذَنَا إِذِئْنِنَا فِيمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبَاً﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن شئت أن تعرف مصيرهم فقد أخذنا كلًا منهم بذنبه. وكلًا: مفعول مقدم لأخذنا، وأخذنا: فعل، وفاعل، فمنهم: الفاء: عاطفة، ومنهم: خبر مقدم، ومن: مبتدأ مؤخر، وهي نكرة موصوفة، وأرسلنا: صفة، وعليه: متعلقان بأرسلنا، وحاصلًا: مفعول أرسلنا. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَاهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر

مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة أخذته الصيحة صفة، ومنهم من خسفنا به الأرض: عطف على سابقتها، وكذلك ومنهم من أغرقنا. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان الله: كان، واسمها، واللام: لام الجحود، ويظلمهم: منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والواو: حالية، ولكن: مخففة مهملة، وكانوا: كان، واسمها، وأنفسهم: مفعول مقدم، وجملة يظلمون: خبر كانوا.

﴿مَثُلُ الَّذِينَ أَنْهَدُوا مِنْ دُورِنَ اللَّهُ أُولَئِكَاءِ كَمْثُلِ الْعَنْكَبُوتِ
أَنْخَذَتْ بَيْتًا وَلَيْنَ أَوْهَنَ الْبَيْوَتَ لَيْتَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُورِنِهِ مِنْ شَقَّ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتَلَكَ الْأَمْتَلُ نَضْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ حَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَيْةً
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

☆ اللَّغْةُ :

﴿الْعَنْكَبُوتُ﴾: دويبة معروفة، تنسج من لعابها خيوطاً، وتصيد بذلك النسيج طعامها، والجمع: عناكب، وعنكبوتات، والعنكب ذكرها والجمع: عناكب، وعناكيب، والعنكبة، والعنكبة، والعكبة: أشهاها. والجمع: عناكب، وعناكيب، وقال علماء التصريف: «والعنكبوت معروف، ونونه أصلية، والواو والتاء: مزيدتان؛ بدليل قولهم في الجمع: عناكب، وفي التصغير: عينكيب، ويدرك، ويؤنث، وهذا مطرد في أسماء الأجناس» وقال ابن عييش في «شرح المفصل»: «ومن ذلك فعللوت، قالوا: عنكبوت، وتخربوت، ولم يأت صفة، فالعنكبوت: معروفة، وهي دويبة

تنسج لها بيوتاً من خيوط واهية، والتخربوت: الناقة الفارهة، والواو والتاء في آخرهما زائدتان زيداً في آخر الرياعي؛ كما زيداً في آخر الثلاثي من نحو: ملوكوت، ورهيوبت» وسيأتي البحث عن التشبيه المتعلق ببيت العنكبوت في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿مَثُلُ الَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُورِنِ اللَّهِ أُولَئِكَأَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخْذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَتِ لَيَّبَتِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ حال من اخذ الأصنام أولياء، وعبد عما، واعتمدتها راجياً نفعها وشفاعتها، حال العنكبوت، كما سيأتي في باب البلاغة. ومثل: مبتدأ، والمذين مضاف إليه، وجملة اخذوا: صلة، وهو فعل، وفاعل، ومن دون الله: حال، وأولياء: مفعول به، وكمثل: خبر وقد تقدم نظيره، العنكبوت: مضاف إليه، وجملة اخذت بيته: حالية. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لو: شرطية، وكان، واسمها، وجملة يعلمون: خبرها وجواب لو: مخدوف، تقديره: لما عبدوها. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ من دونيه من شيء وهو العزيز الحكيم» الجملة تعليل لما قبله، وإن، واسمها، وجملة يعلم: خبرها، وما: اسم موصول مفعول يعلم، وجملة يدعون: صلة، والعائد: مخدوف، أي: يعلم الذين يدعونهم، ويعلم أحوالهم، والمراد بالتعليق: التوكيد لما ضربه من مثل، ومن دونه: حال، ومن شيء: متعلقان يدعون، ويجوز أن تكون ما: نافية، ومن شيء: مفعول يدعون، على أنَّ من زائدة؛ لسبقها بالنفي، وجملة ما يدعون في محل نصب مفعول يعلم، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والحكيم: خبر ثان. وقال بعضهم: «ما: استفهامية، أو: نافية، أو: موصولة، ومن: للتبعيض، أو: مزيدة للتوكيد، وقيل: إنَّ هذه الجملة على إضمار القول، أي: قل للكافرين: إنَّ الله يعلم أيَّ شيء يدعون من دونه». ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَصَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وتلك: مبتدأ، والأمثال: بدل، وجملة نصر بها للناس: خبر، ويجوز أن يكون الأمثال خبراً،

وجملة نضر بها حال يكون، أو: خبراً ثانياً، والواو: حالية، وما: نافية، ويعقلها: فعل مضارع، ومفعول به، وإن: أداة حصر، والعلمون: فاعل يعقلها، وسيأتي بحث الأمثال في باب البلاغة.

﴿خَلَقَ اللَّهُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّكَ لَأَيَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف للشرع في تسلية المؤمنين بعد أن خامرهم اليأس من إيمان الكفار. وخلق الله السموات: فعل، وفاعل، ومفعول به، وبالحق: حال، والباء للملائكة، وإن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر إن المقدم، واللام: المزحلقة، وأيّة: اسم إن المؤخر، وللمؤمنين: صفة لآية.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَتَ لَيْتَ الْعَنْكَبُوتُ﴾ فن التمثيل، وقد تقدمت نماذج مختارة منه، وبعضهم يجعله ضرباً من ضروب الإستعارة، ويمثل له بقول أمرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إِلَّا لِتُضْرِبِي

بسهميكِ في أَعْشَارِ قلبِ مُقتَلٍ

فمثل عينيها بسهمي الميسري يعني المعلى، وله سبعة أنصباء، والرقيب، وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعيناً قلبه للسهامين اللذين مثل بهما عينيها، ومثل قلبه بأعشار الجزرور، فتمت له جهات الاستعارة والتلميل. وفي الآية مثل ما اتخذوه متكللاً ومعتمداً في دينهم، وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن، وضعف القوة، وهو نسخ العنكبوت، أي: كما صاح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صاح أن دينهم أضعف الأديان وأوهنها.

ومن جيد التمثيل قول عمر بن أبي ربيعة - وكانوا يسمون شعره «الفستق» -

المقشر»:-

أَهُمْ الْمُنْكِحُ الْثَرَيَّا سهيلأً

عمرك الله كيف يلتقيان

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَهَلَتْ

وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقْلَلَ يَمَانِي

يعني: الشريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت نهاية في الحسن والكمال، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامنة، فمثل بينهما وبين سمييهما، ولم يرد إلا بعد ما بينهما، وتفاوته خاصة لأن سهيلاً اليماني قبيح ودميم.

وعليه ورد قول المتibi أيضاً من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب الخارجي، ومخالفته كافوراً:

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارِقَ السَّيْفُ كَفَهُ

وَكَانَ عَلَى الْعَلَاتِ يَضْطَجِبَانِ

كَأَنَّ رَقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ

رَفِيقُكَ قَنْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

فإن شيئاً الخارجي الذي خرج على كافور الأخشيدى، وقصد دمشق، وحاصرها، وقتل على حصارها، كان من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب، وأخبار ذلك مشهورة، والسيف الذي يقال له يماني في نسبته إلى اليمن، ومراد المتيني: أن شيئاً لما قتل وفارق كفه السييف؛ فكان الناس قالوا لسيفه: أنت يماني وصاحبك قيس؛ ولهذا جانبه السيف وفارقه.

التمثيل في رأي عبد القاهر:

وسبب آخر يذكره عبد القاهر مبيناً به روعة التمثيل، ويراه محيطاً بأطراف الباب، وذلك أنَّ لِتَصْوِيرِ الشَّبَهِ مِنَ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ جَنْسِهِ وَشَكْلِهِ بَاباً آخَرَ مِنَ الظَّرْفِ وَاللَّطْفِ، وَمَذْهَبًا مِنْ مَذَاهِبِ الإِحْسَاسِ، لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ مِنَ الْعَقْلِ، وَإِذَا اسْتَقْرَيْتِ التَّشْبِيهَاتِ وَجَدْتِ التَّبَاعِدَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، كُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ كَانَ إِلَى النُّفُوسِ أَعْجَبَ، وَكَانَ النُّفُوسُ لَهَا أَطْرَبَ، وَالْتَّمَثِيلُ أَخْصُّ شَيْءٍ بِهَذَا الشَّأنِ.

قال عبد القاهر: «وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباهين، حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب، وهو يريك المعانى المماثلة شبهاً في الأشخاص المثلثة، وينطق لك الآخرين، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويرك التئام عين الأضداد، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً» ونكتفي الآن بهذا القدر؛ على أن نعود إلى هذا البحث في موطن آخر من هذا الكتاب.



فهرس الآيات

سورة الأنبياء

٥	تفسير الآيات (١-٥)
١٠-٩	تفسير الآيات (٦-١٣)
١٥-١٤	تفسير الآيات (١٤-٢٣)
٢٣	تفسير الآيات (٢٤-٢٩)
٢٥	تفسير الآيات (٣٠-٣٣)
٢٩-٢٨	تفسير الآيات (٣٤-٤٠)
٣٦	تفسير الآيات (٤١-٤٧)
٤٢	تفسير الآيات (٤٨-٥٥)
٤٦	تفسير الآيات (٥٦-٦١)
٥١-٥٠	تفسير الآيات (٦٢-٧٠)
٥٣	تفسير الآيات (٧١-٧٥)
٥٦	تفسير الآيات (٧٦-٨٢)
٦٥	تفسير الآيات (٨٣-٨٨)
٧٠	تفسير الآيات (٨٩-٩٣)
٧٣	تفسير الآيات (٩٤-١٠٠)
٨٠-٧٩	تفسير الآيات (١٠١-١٠٥)

٨٣ تفسير الآيات (١٠٦-١١٢)

سورة الحج

٩٣	تفسير الآيات (٤-١)
٩٨-٩٧	تفسير الآيات (٥-٧)
١٠٦-١٠٥	تفسير الآيات (٨-١٣)
١١٠-١٠٩	تفسير الآيات (١٤-١٧)
١١٣	تفسير الآيات (١٨-٢٢)
١٢٠	تفسير الآيات (٢٣-٢٥)
١٢٣	تفسير الآيات (٢٦-٢٩)
١٢٧	تفسير الآيات (٣٠-٣٣)
١٣٣-١٣٢	تفسير الآيات (٣٤-٣٨)
١٣٨-١٣٧	تفسير الآيات (٣٩-٤١)
١٤٢	تفسير الآيات (٤٢-٤٦)
١٤٦	تفسير الآيات (٤٧-٥٣)
١٦٣-١٦٢	تفسير الآيات (٥٤-٦٠)
١٦٥	تفسير الآيات (٦١-٦٥)
١٦٩	تفسير الآيات (٦٦-٧٠)
١٧١	تفسير الآيات (٧١-٧٤)
١٨٢	تفسير الآيات (٧٥-٧٨)

سورة المؤمنون

١٨٥	تفسير الآيات (١١-١١)
١٨٩-١٨٨	تفسير الآيات (١٢-١٦)
١٩١	تفسير الآيات (١٧-٢١)
١٩٤-١٩٣	تفسير الآيات (٢٢-٢٨)
١٩٧	تفسير الآيات (٢٩-٣٦)

٢٠١	تفسير الآيات (٤٣-٣٧)
٢٠٤	تفسير الآيات (٥٠-٤٤)
٢٠٧	تفسير الآيات (٥٦-٥١)
٢٠٩	تفسير الآيات (٦٣-٥٧)
٢١١-٢١٠	تفسير الآيات (٧٠-٦٤)
٢١٤	تفسير الآيات (٧٦-٧١)
٢١٩	تفسير الآيات (٨٣-٧٧)
٢٢٢-٢٢١	تفسير الآيات (٩٦-٨٤)
٢٢٦	تفسير الآيات (١٠٤-٩٧)
٢٣١	تفسير الآيات (١١٠-١٠٥)
٢٣٤	تفسير الآيات (١١٨-١١١)

سورة النور

٢٣٧	تفسير الآيات (١-٥)
٢٤٤	تفسير الآيات (٦-١٠)
٢٤٧	تفسير الآية (١١)
٢٥٣	تفسير الآيات (١٢-١٥)
٢٥٧	تفسير الآيات (١٦-٢٠)
٢٦٠	تفسير الآيات (٢١-٢٦)
٢٦٤-٢٦٣	تفسير الآيات (٢٧-٢٩)
٢٦٧-٢٦٦	تفسير الآيتين (٣٠-٣١)
٢٧٢	تفسير الآيتين (٣٢-٣٣)
٢٧٧-٢٧٦	تفسير الآيات (٣٤-٣٨)
٢٨٥	تفسير الآيتين (٣٩-٤٠)
٢٩٠	تفسير الآيات (٤١-٤٤)
٢٩٧	تفسير الآيات (٤٥-٤٩)

٣٠٣	تفسير الآيات (٥٣-٥٠)
٣٠٧-٣٠٦	تفسير الآيتين (٥٥-٥٤)
٣٠٩	تفسير الآيات (٥٨-٥٦)
٣١٢	تفسير الآيات (٦١-٥٩)
٣٢١-٣٢٠	تفسير الآيات (٦٤-٦٢)

سورة الفرقان

٣٢٥	تفسير الآيات (٦-١)
٣٣١-٣٣٠	تفسير الآيات (١٢-٧)
٣٣٦	تفسير الآيات (١٦-١٣)
٣٣٩	تفسير الآيات (١٩-١٧)
٣٤٢	تفسير الآيات (٢٣-٢٠)
٣٤٦	تفسير الآيات (٢٩-٢٤)
٣٤٩	تفسير الآيات (٣٤-٣٠)
٣٥٣-٣٥٢	تفسير الآيات (٤٠-٣٥)
٣٥٦	تفسير الآيات (٤٤-٤١)
٣٦٠-٣٥٩	تفسير الآيات (٤٩-٤٥)
٣٦٤	تفسير الآيات (٥٧-٥٠)
٣٦٩	تفسير الآيات (٦٠-٥٨)
٣٧٢-٣٧١	تفسير الآيات (٦٦-٦١)
٣٧٩-٣٧٨	تفسير الآيات (٧١-٦٧)
٣٨٢	تفسير الآيات (٧٧-٧٢)

سورة الشعراء

٣٨٦	تفسير الآيات (٩-١)
٣٩١-٣٩٠	تفسير الآيات (١٧-١٠)
٣٩٤	تفسير الآيات (٢٢-١٨)

٣٩٧_٣٩٦	تفسير الآيات (٢٣_٣١)
٣٩٩	تفسير الآيات (٣٢_٣٧)
٤٠٢	تفسير الآيات (٣٨_٤٤)
٤٠٤	تفسير الآيات (٤٥_٥١)
٤٠٦	تفسير الآيات (٥٢_٦٨)
٤١٤	تفسير الآيات (٦٩_٨٩)
٤٢٢	تفسير الآيات (٩٠_١٠٤)
٤٢٥	تفسير الآيات (١٠٥_١٢٢)
٤٢٩	تفسير الآيات (١٢٣_١٤٠)
٤٣٦	تفسير الآيات (١٤١_١٥٩)
٤٤١	تفسير الآيات (١٦٠_١٧٥)
٤٤٥	تفسير الآيات (١٧٦_١٩١)
٤٥٥	تفسير الآيات (١٩٢_٢٠٣)
٤٦٠	تفسير الآيات (٢٠٤_٢٢٠)
٤٦٤	تفسير الآيات (٢٢١_٢٢٧)

سورة النمل

٤٧٦	تفسير الآيات (٦_١)
٤٨٠	تفسير الآيات (٧_١٤)
٤٨٧	تفسير الآيات (١٥_١٩)
٤٩٨	تفسير الآيات (٢٠_٢٦)
٥٠٧	تفسير الآيات (٢٧_٣٣)
٥١٣	تفسير الآيات (٣٤_٣٧)
٥١٦	تفسير الآيات (٣٨_٤٤)
٥٢٣	تفسير الآيات (٤٥_٥٣)
٥٣٢	تفسير الآيات (٥٤_٥٨)

٥٣٧	تفسير الآيات (٦٤-٥٩)
٥٤٢	تفسير الآيات (٧٠-٦٥)
٥٤٦	تفسير الآيات (٧٨-٧١)
٥٥٢	تفسير الآيات (٨٢-٧٩)
٥٥٦-٥٥٥	تفسير الآيات (٨٨-٨٣)
٥٦١	تفسير الآيات (٩٣-٨٩)

سورة القصص

٥٦٩	تفسير الآيات (٦-١)
٥٧٣-٥٧٢	تفسير الآيات (١٣-٧)
٥٨١	تفسير الآيات (١٧-١٤)
٥٨٤	تفسير الآيات (٢١-١٨)
٥٨٧	تفسير الآيات (٢٥-٢٢)
٥٩٤	تفسير الآيات (٢٨-٢٦)
٦٠٤-٦٠٣	تفسير الآيات (٣٢-٢٩)
٦٠٨	تفسير الآيات (٣٧-٣٣)
٦١٣-٦١٢	تفسير الآيات (٤٢-٣٨)
٦١٩-٦١٨	تفسير الآيات (٤٦-٤٣)
٦٢٦-٦٢٥	تفسير الآيات (٥٠-٤٧)
٦٣٠-٦٢٩	تفسير الآيات (٥٦-٥١)
٦٣٢	تفسير الآيات (٦٠-٥٧)
٦٣٧-٦٣٦	تفسير الآيات (٦٤-٦١)
٦٤١-٦٤٠	تفسير الآيات (٧٠-٦٥)
٦٤٣	تفسير الآيات (٧٥-٧١)
٦٤٧	تفسير الآيات (٨٢-٧٦)
٦٦٣-٦٦٢	تفسير الآيات (٨٨-٨٣)

سورة العنكبوت

٦٦٨	تفسير الآيات (١ - ٧)
٦٧٤ - ٦٧٣	تفسير الآيات (٨ - ١١)
٦٧٧	تفسير الآيات (١٢ - ١٥)
٦٨١	تفسير الآيات (١٦ - ٢٣)
٦٨٦	تفسير الآيات (٢٤ - ٢٧)
٦٩١ - ٦٩٠	تفسير الآيات (٢٨ - ٣٠)
٦٩٢	تفسير الآيات (٣١ - ٣٥)
٦٩٧	تفسير الآيات (٣٦ - ٤٠)
٧٠٠	تفسير آيات (٤٤ - ٤٤)

